

الجانبُ الآَخر

من الجَبل

تكتيكياتُ المجاهدين في الحربِ الأفغانيَّةِ السُّوفييتيَّة

تأليف: علي أحمد جلالي و لستر دبليو غراو

ترجمة وإخراج: مركز الخطابي

تقديم: د. أحمد موفق زيدان

الجانبُ الآخرُ من الجبَلَ

تكتيكاتُ المجاهدين في الحربِ الأفغانيَّةِ السُّوفييتيَّة

تأليف علي أحمد جلالي وليستر دبليو غراو

تقديم: القائدُ العام لقيادة التطوير القتاليَّة في قوات المارينز الأمريكية، الفريق جون رودس

مكتب الدِّراسات العسكريَّة الخارجيَّة، فورت ليفنوورث، كنساس

ترجمة مركز الخطابي للدِّراسات





إلى الذين قدموا لنا الكثير بينما لم نسطع أن نكافئهم إلا بالقليل

إلى من ساندنا في الوقت الذي افتقدنا فيه للمعين

إلى من أعاننا في مسيرنا نحو العُلوم ولو بكلمة طيبة

إلى من ساعد فريق الخطابي بماله ووقته وجهده

نهدي لكم هذا الكتاب علَّه يكون جزءاً من اعترافنا بفضلكم الجزيل


بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

مقدمة الدكتور أحمد موفق زيدان

دعاني مركز الخطابي للدراسات لتقديم كتاب "**الجانب الآخر من الجبل، تكتيكات المجاهدين في الحرب الأفغانية-السوفياتية**" من تأليف أحمد جلالي ولستر غروا، كنت قد عرفت السيد أحمد جلالي منذ أواخر الثمانينيات حين كان يتردد على بيشاور مغطياً الحرب الأفغانية لصالح وكالة صوت أميركا القسم الفارسي في واشنطن. كان الواسطة بيننا يومها مراسل صوت أميركا الزميل إكرام شنواري، عُرِف يومها الضابط جلالي بخلفيته العسكرية لكونه ضابطاً سابقاً بالجيش الأفغاني، فجمع الخبرة العسكرية مع الأدوات الصحافية القادرة على ترجمة تلك الخبرة بأسلوب شيق وماتع، وبعد سقوط حركة طالبان الأفغانية اختِير جلالي لمنصب وزارة الداخلية في الحكومة التي فرضتها أمريكا على أفغانستان.

وبعد أن قرأت الكتاب الذي كان رحلةً بانوراميةً حقيقيةً أخذتنا إلى أفغانستان مختصِرةً الزمان والمكان، رحلةً طافت بنا في أقاليم وأدغال وشوارع المدن الأفغانية، تشرح لنا الجانب الآخر من الجبل، وهي الرواية التي لم تُروَ بعد، كنت على مدى صفحات الكتاب الممتدة لأكثر من خمسمائة صفحة وكأنني أشاهد فيلماً شيقاً مُدعّماً بالخرائط والتفاصيل المساعدة على فهم ما جرى.

كتب الكثيرون عن سياسة واستراتيجيات القوى الكبرى في أفغانستان وتحديداً الحرب الأفغانية السوفياتية، وكتب وسيكتب الكثير ربما عن رواية القوي في الحرب، ولكن قلّما نرى رواية الضعيف، ولعل هذا الكتاب قد سدّ فراغاً كبيراً في المكتبة العالمية لينقله إلينا مركز الخطابي باللغة العربية فنتعرف من خلاله على رواية الأفغاني عن نفسه في حربه ضد السوفييت. ولكن من الواضح وبعد قراءة الكتاب أنْ لا ماء كثيراً جرى تحت الجسر الأفغاني منذ أول حربٍ أفغانية ضد المحتلين البريطانيين بين عامي 1839-1842، فالحرب الثانية 1879-1880 إلى الحرب الثالثة في عام 1919، فقد كان ينظم حبات تلك الحروب كلها شاهد سُبحتها، وهو شاهد الكمائن التي كان ينصبها المقاتلون للجيش البريطاني.

حين تقرأ عن واقعة خورد كابول التي كمِن فيها الأفغان عام 1840 وأبادوا فيها رتلاً بريطانياً مكوناً من 15 ألف جندي، ليدعوا الدكتور برايدن جريحاً حياً على حصانه عائداً إلى بيشاور يروي هول ما جرى؛ ترى شاهداً على تكتيكات المقاتلين الأفغان التي ترددت في الكمائن ضد السوفييت، فتخالك وكأن الزمن قد توقف. اختصرها أحدهم بقوله إن كان للغازي ساعة يدٍ فعندنا الزمن نفسه. تكتيك تكرر حتى أيام الحرب مع السوفييت، ليختلف ربما قليلاً في الحرب الطالبانية ـ الأميركية الأخيرة.

فرضت الطبيعة التضاريسية الأفغانية نفسها على الحرب مع كل غزاة أفغانستان، فكان "الجنرال جبل" في أفغانستان كـ "الجنرال ثلج" في حصار المدن السوفياتية أيام الحرب العالمية الثانية، وفرض تكتيكاته العسكرية على كل الحروب التي خاضها الأفغان، وشكل الجبل حمضاً نووياً حقيقياً لباكورة المقاومات الأفغانية عام 1839-1842، وهو ما ظهر في الحروب التي أعقبت سواء إن كانت مع البريطانيين أو مع السوفييت وأخيراً حتى مع الأميركيين، فكان الجبل كما وصفه قادة الأفغان أيام الحرب السوفياتية: إنه معنا أصدق الأصدقاء.

تميّزت حروب الأفغان مع البريطانيين والسوفييت بالكمائن والهجمات الضخمة ذات العدد الكبير من المقاتلين يتخللها إطلاق نار كثيف وضجيج وجلَبة، وهو ما يعكس طبيعة الأفغاني القبلية والشعبوية والجماهيرية المتماسكة مع بعضها بعضاً، تُغذيها مرجعية قبلية صارمة ومرجعية مذهبية أشد صرامة ذات تراتبية لكن ربما بنكهة قبلية، مع تراجع حدته في الحرب الطالبانية مع الأميركيين، وقد يعود ذلك لانحسار الدور القيادي القبلي وحتى الحزبي في الحرب كما كان عليه الأمر خلال الحروب الماضية، نتيجة تصدّر طالبان ذات الخلفية الشرعية الدينية لوحدها هذه الحرب، ولا أدلّ على ذلك من جلوسها وحيدة على طاولة المفاوضات الأخيرة مع الأميركيين، وثانياً لعصرنة الحروب الحديثة وما رافقها من احتكاك طالباني مع الغير فنقل تكتيكاته، كما حدث مع نقل أساليب الحرب العراقية إلى أفغانستان كالعبوات الناسفة، أو العمليات الانتحارية التي لم يعهدها الأفغان من قبل، والأهم وهو العمليات الانغماسية والتي تختلف تماماً عن أسلوب الأفغان السابق في القتال بشكل

جماعي ثم الانسحاب، مع تفادي الانخراط والقتال المباشر حتى الموت، وتلك أساليب بحاجة حقيقة إلى كتّاب يوثق وُلوجها لأفغانستان وتطورها والغوص في تفاصيلها على غرار كتابنا هذا.

قدر أفغانستان أن تُجرب كل الإمبراطوريات حظها فيها، ولذلك أُطلق عليها مصطلح " مقبرة الإمبراطوريات" أو مقبرة عظام الإمبراطوريات، وأحسن أحدهم حين قال كلهم مر وعبر من أفغانستان، إلاّ الإسلام مرّ واستقرّ، وحتى استقرار الإسلام لم يأت بسهولة، فقد خاض الصحابة قتالاً شرساً حول كابول وغيرها من المدن الأفغانية حتى اقتنع الأفغان بالدين الجديد، ولا تزال قبور الصحابة رضوان الله عليهم شاهدة على ذلك. ومنذ ذلك التاريخ ينظر الأفغان إلى أنفسهم، بل وينظر إليهم أهالي منطقة جنوب آسيا على أنهم حماة الإسلام فيها، ولا أدلّ على ذلك من الدور التاريخي الذي لعبه الغوريون والغزنويون والأبداليون، ثم الدور الذي لعبه الأفغان في قتال السوفييت، فحَمَوا المنطقة من هجمة شيوعية شرسة كانت تستهدفها وتستهدف بلوغ المياه الدافئة في بحر العرب.

ربما ما أخذته على الكتاب أمرين اثنين:

أما الأول، فهو قصْره الحديث على تكتيكات المجاهدين في المنطقة الجنوبية وقليلاً من الغربية، وغاب الحديث تماماً عن المنطقة الشمالية المتاخمة لجمهوريات وسط آسيا، حيث لم يُتحفنا الكاتبان بتكتيكات المجاهدين في تلك المنطقة، كما لم يركزا على تكتيكات المجاهدين في وادي بنجشير الشهير، إذ غاب عنّا معرفة تلك التكتيكات، حيث كان يتعرض الوادي لهجوم سنوي على مدى سنوات الحرب الأفغانية، وفي نفس السياق لم يركز المؤلفان على مرحلة ما بعد صواريخ ستينغر الجوية، وفيما إذا كانت التكتيكات بقيت على حالها أم تطورت وتغيرت بعد دخول هذا السلاح الجديد.

أما الأمر الثاني، فهو نيْله بشكل مقصود من الأفغان العرب على امتداد الكتاب فتحدث عنهم بسلبية مفرطة، وينقل عن أحد القادة الميدانيين في ص 413 بأن العرب جاؤوا للسمعة ورفضوا نقل الجرحى، وفي ص 516 ينقل عن آخر قوله: "كان معنا بعض العرب الطامحين في سمعة الجهاد لتصوير مقاطع جريئة بكاميراتهم، ولم تكن لهم في الواقع أي قيمة على الأرض." بينما كل من عاصر تلك الحرب يرى الدور العربي الكبير فيها، ولا تزال قبور العرب عند معبر طورخم من

الجانب الأفغاني شاهدة على حجم المشاركة العربية، ففي معركة جلال آباد شرقي أفغانستان في مارس/ آذار 1989 وصل عدد شهداء العرب أكثر من 150 شهيداً، ويكفي أن شيخ المجاهدين العرب الشيخ عبد الله عزام رحمه الله قضى في الحرب ودفن في بيشاور.

التصميم والإرادة والاعتماد على الذات هو أكبر رأسمالٍ يملكه الأفغاني، ويعكسه نقل الكاتبين عن قائد ميداني حين أعْياه عدم وجود قنبلة لتدمير عربة عسكرية سوفيتية، فأشعل عمامته وقذف بها العربة العسكرية، حينها تدرك من خلال هذا الحدث وغيره عقلية ونفسية الشعب الأفغاني التوّاق للحرية والرافض للاستعمار، وعزز ذلك ما ترجمه بلغة أكاديمية عسكرية الجنرال عبد الرحيم وردك قائلاً: "إننا كأمة نؤمن بأن التاريخ يعيد نفسه، فما لاقاه الغزاة البريطانيون في القرن التاسع عشر سيلقاه حتماً الغزاة السوفييت، غير أن السوفييت من الناحية الفلسفية لا يُقرون بذلك، فهم يؤمنون بأن التاريخ أحادي الاتجاه وتقدمي ولا يُعيد نفسه، لكن الذي حصل أن التاريخ أعاد نفسه، وانتصرنا في الحرب مرة أخرى."

يبقى القول الفصل أن الكتاب جديرٌ بالقراءة، ولا غنى للمعنيين عنه، خصوصاً وهو يعكس تجربة ثرية وغنية ومهمة في تاريخنا المعاصر، وربما تتشابه كثيراً في جوانبها مع ما تمر به المنطقة العربية والإسلامية. لقد نقل جانباً مهماً من الحرب الأفغانية وركز على رواية منسية هي رواية الضعيف، ورواية من لم تتوافر لديه الأدوات العصرية من بحث علمي ولغة شيقة، فضلاً عن نقل السردية بلغات عالمية، وهو بحد ذاته مكسباً كبيراً للضعيف، وللمكتبة العالمية. وفي الختام أسأل الله أن ينفع بالكتاب، ويكتب الأجر والثواب والتوفيق للقائمين على مركز الخطابي للدراسات الذي يُتحفنا بشكل دائم بكتب قيّمة يزيح عنها ثلاثية غبار النسيان وبُعد المسافات وغبار اللغة الأجنبية لينقلها إلينا بلسان عربي مبين.

د ـ أحمد موفق زيدان

اسطنبول في الرابع من ربيع الأول 1442

الموافق 2020/10/21

مقدمة مركز الخطابي

عام 2019 ميلادي، الموافق لـ 1441 هجري، وبينما كانت أقلامنا تضع اللمسات الأخيرة في ترجمة الكتاب القيم "**تكتيكات الطالبان جنوب أفغانستان**"، وجدنا أن المؤلفين (كارتر مالكسيان وجيري ميبرلي) قد استوحيا فكرة الكتاب من مرجع أوسع تحدث عن التكتيكات الأفغانية ضد الاحتلال السوفييتي (الجانب الآخر من الجبل). ولشغفنا بالمراجع العلمية التي تتناول تكتيكات التجارب الثورية المتألقة التي حتماً تعد التجربة الأفغانية من إحداها، انطلقنا في رحلة البحث عن نسخةٍ من كتاب "الجانب الآخر من الجبل" علنا نظفر بها، وخلال بحثنا الدؤوب هنا وهناك في مواقع التواصل الجماعي، كأننا رحَّالةٌ أخذتهم اللهفة في الوصول إلى كنز ثمين، وجدنا ضالتنا أخيراً ولله الفضل والمنة. لكننا للأسف لم نجد أحداً قد اهتم بنقل هذا المرجع العلمي الفريد إلى اللغة العربية.

والحقيقية التي لا يمكن إخفاؤها أننا شعرنا بالحزن والفرح في نفس الوقت، بالحزن لأن نُخب الأمة تكاد لا تهتم بالتوثيق وما يدخل في ذلك من ترجمة وأبحاث وتأليف، إلا من رحم الله، وإلا كيف يفوتهم كتاب قيِّم كهذا لا نكاد نجد له في المكتبة العربية مثيلاً. أما الفرح، فلأننا في مركز الخطابي للدراسات سنحظى بشرف ترجمته ونقله إلى تراث أمتنا الغالية، ويكفينا فضلاً أن نضع لبنةً واحدةً في صرح حضارتنا المجيدة.

تكمن أهمية هذا الكتاب في أنه يغطي جانباً مهماً في الحرب الثورية الأفغانية ضد الاحتلال السوفييتي، فهو يتناول بشكل مفصل التكتيكات الحربية التي استخدمها المجاهدون طيلة سنوات الحرب، وميزته الكبرى أنه يتناول هذه التكتيكات أولاً من باب توثيق الأحداث بالوقائع التاريخية الدقيقة والتواريخ المفصلة، ويتناولها ثانياً بالتحليل العلمي والاستنتاجات المفيدة، بما يجعل القارئ يشاهد الحدث كأنه يراه في لحظته ويستفيد من عِبَره كأنه عاشه بنفسه. ومما زاد هذه المادة فرادةً، أن مؤلفَيْها قد جمعا بين الخبرة الميدانية الواسعة والعلوم الأكاديمية الوافرة، وقلما يجتمع هذان العاملان في مؤلفِي هذا الزمان.

يحوي الكتاب في طياته 15 فصلاً غير المقدمات، ويتضمن 92 عملية حربية تقريباً مصنَّفةً وفق تكتيكات متنوعة، مثل الكمائن والإغارات والحصار والإنزالات الجوية والتطويق والقتال الحضري...إلخ ومعظم المعارك في هذا المصنف مرفقةٌ بالخرائط، كما أردف المؤلفان كل عملية باستنتاجاتها الخاصة. وإضافة إلى هذا، لقد قاما بتخصيص مبحثٍ خاص في خاتمة كل فصل لتحليل الفوائد في الفصل بالعموم. ولم يتوقفا عند إيراد الاستنتاجات بعد كل معركة وفي خاتمة كل فصل، بل أوردا فصلاً كاملاً في نهاية الكتاب ذكرا فيه تحليلاً موسعاً لكل العمليات الحربية التي تم ذكرها، واستنتجا فيه ملامح التكتيكات التي كان يعتمدها كلٌّ من المجاهدين والسوفييت، وعواملَ الضعف والقوة فيها.

إضافة إلى ترجمتنا للكتاب وإخراجه، قمنا بإعادة تصميم جميع الخرائط بشكل أنيق واحترافي. ومن أجل أن تتضح الصورة بشكل أوسع للقارئ أردفنا معظم الخرائط بصورٍ أصلية للمواقع التي حصلت فيها المعارك، لتصبح العملية الحربية وكأنك تشاهدها في الأرض التي وقعت فيها حقيقة. كما قمنا بتصميم العديد من الخرائط الإضافية التي رأينا أن الكتاب يحتاجها، مثل الخريطة الطبيعية لأفغانستان وخريطة الاجتياح السوفيتي، وحاولنا أيضاً أن نورد العديد من الصور التعريفية لبعض الشخصيات السياسية أو العسكرية التي ذكرت في الكتاب، ومن الصور التي وضعناها في هذا الكتاب صور المؤلفين لتسر غراو وعلي جلالي.

بالنسبة للمصطلحات التي لم نجد لها أصلاً واضحاً فقد اجتهدنا واستبدلناها بكلمات توافق معناها في اللغة العربية، وقد حرصنا دائماً أن نحافظ على المعنى الذي أراده المؤلفان منها. كما أننا أحيانا اضطررنا إلى اختصار بعض الكلمات، أو تقديم بعضها، أو تغيير مكان بعض الجُمل، لتوافق الصياغةُ اللغةَ العربية، وقد حرصنا خلال ذلك أيضا على إبقاء نفس المعنى الذي أراده المؤلفان دون أي تحريف. إضافة إلى هذا، كلما وجدنا غموضاً في بعض المصطلحات أو الجمل وضعنا في الهامش ما يرفع هذا الغموض عن القراء، ولنميز التعريفات التي وضعناها في الهوامش عن كلام المؤلفين، ابتدأنا حديثنا

في الهامش دائماً "بالمركز:" ليعلم القارئ أن ما يلي هذه الكلمة هو من إضافتنا نحن وليس من النسخة الأصلية.

وفي الختام، لا نريد أن نطيل أكثر على القارئ الكريم بين يدي هذا الكتاب المشوق. نرجو أن نكون قد أدينا حق الأمانة العلمية في هذا العمل، ونسأل الله أن يجعل جهدنا هذا سبباً في رفعة أمتنا وتألقها وازدهارها، ومرجعاً مفيداً لنخبة المسلمين في كل زمان ومكان.

مركز الخطابي للدراسات

ادلب في الخامس من ربيع الأول 1442

الموافق 2020/10/22

.

مقدِّمة جون رودس

مِثلمَا واجَهَ المارينز طَوال تاريخِه في الفلبين وهايتي ونيكاراغوا ولبنان وفيتنام والصُّومال قواتِ عصاباتٍ، فَقطعاً سيواجهونَ مثل هذهِ القُّواتِ في القَرنِ الحادي والعشرين. لذا يتوجَّبُ على المارينز فَهْمَ أعدائِهم المستقبليين المُحتملين والتَّعرُّفَ عليهم قَدْرَ الإمكان، فقد استطاعَ المجاهدونَ في الحرب الأفغانيَّة السُّوفييتية (الذين غلبَ على قتالهم أسلوبُ العصابات) تحقيقَ النَّصرِ ضدَّ عدوِّهم المتفوِّق عليهم تفوُّقاً هائلاً كمّاً ونوعاً، والمتمثِّلِ بالجيشِ السُّوفييتي. ويعرضُ كتابُنا "الجانبُ الآخرُ من الجبل" قِصَّةَ معاركِ المجاهدين ضدَّ هذا العدو.



في 27 ديسمبر 1979م، أصدرَت موسكو أوامِرَها للجيش السُّوفييتيّ بدخولِ أفغانستان، فاندفَعَ الاتِّحاد السُّوفييتي بقوَّةٍ مُنظَّمةٍ ومجهَّزةٍ ومدرَّبةٍ، ومُطبِّقة لمفهومِ الحربِ الخَاطفة (بليتزكريغ)، وبأسلوبِ عمليَّاتِ الأسلحة المشتركة.[1] إلا أنَّهم بعدَ تسعِ سنواتٍ، انسحبُوا يجرُّون أذيالَ الخيبةَ والهزيمة. فجمعْنَا كتاب "الجانبُ الآخرُ من الجبل" من تقاريرِ قُدامى المُجاهدين ليقدِّمَ نظرةً تكتيكيَّةً عن قواتِ الثُّوارِ اللامركزيَّة المؤلَّفةِ من رجالِ العصابات، وعن طريقتِهم في شَنِّ الحرب ضدَّ عدوٍ متفوِّقٍ عليهم تقنيَّاً، حيثُ لم يضمنِ التَّفوُّقُ المطلق على مُستوى القوَّة النَّارية النَّصرَ للسُّوفييت، حيثُ استطاعَ المجاهدونَ الأفغان تعويضَ

---

[1] المركز: الحربُ الخاطفة هي أسلوبٌ حربيٌّ يتضمَّنُ تركيزَ قوَّةٍ مدرَّعةٍ وآليَّةٍ من المشاة الميكانيكية كرأس حربةٍ مسنودةً بسلاحٍ جويٍّ على مستوىً تكتيكي، لخرقِ جبهةِ العدو الدِّفاعية والنفاذ منها لقطعِ خطوطِ مواصلاتِ العدوِّ وضربِ مراكزِ قيادته ليتحققَ تطويقُ المدافعين ومن ثمَّ إبادتهم، وقد عُرفت ألمانيا النَّازيَّة بتطبيق هذا الأسلوب على مستوىً عالٍ.

الأسلحةُ المشتركة: هو نهجٌ حربيٌّ يسعى إلى دمجِ فروعٍ مختلفةٍ من الوسائلِ العسكريَّة لتحقيق تأثيراتٍ متبادلةٍ ومتكاملة.

ذلك بمعرفةِ أهلِ الأرضِ والتَّضاريسِ ودراستِهم المُفصَّلة لخصمِهم المعروف بهذا التَّفوق. ونخصُّ بالإشارة الفصلَ المتعلّق بالقتالِ في المدن نظراً لأهميتهِ الكبيرة للقادةِ المعنيينَ بتأمينِ القوَّات.

هذا الكتّابُ والكتّابُ القرين له: "عبورُ الدبِّ للجبل، تكتيكاتُ السُّوفييت في أفغانستان"[2] الذي نُشِرَ لصالحِ قوّاتِ مُشاةِ البحريَّة الأمريكيَّة عام 1996م، يُقدّمان سَرداً تاريخيّاً للحربِ الأفغانيَّة تمّ نقلهُ من رواياتِ المُقاتلين.

في المستقبل عبرَ القرنِ الواحدِ والعشرين، ستمتلكُ قوّاتُ المارينز تفوُّقاً هائلاً على قوّات العصابات. فالمُعدَّاتُ والتَّقنيَّاتُ والتّدريباتُ والدَّعمُ المتوفّرُ لدينا هو الأفضلُ على مستوى العالم، ومع ذلك فإنَّ التَّفوُّقَ التّقنيَّ ليسَ في حدِّ ذاتِهِ ضماناً للنَّجاح، بل التَّبصُّرُ بقدراتِ الخصمِ وتكتيكاتِهِ ودوافِعِه هوَ الذي سيوفّرُ التَّفوُّقَ الحاسمَ عليه. وسوفَ يساعدُنا "الجانبُ الآخرُ من الجَبَل" في اكتسابِ هذه البصيرة؛ لذا أحثُّ جميعَ أفرادِ المُشاةِ البحريَّةِ على الاطّلاعِ على هذا الكتّاب.



بقلم جون رودس القائدُ العام لقيادةِ التطويرِ القتاليَّةِ في قوّاتِ المارينز

---

[2] المركز: العنوان باللغة الإنجليزية:

(The Bear Went Over the Mountain: Soviet Combat Tactics in Afghanistan)

تصدير

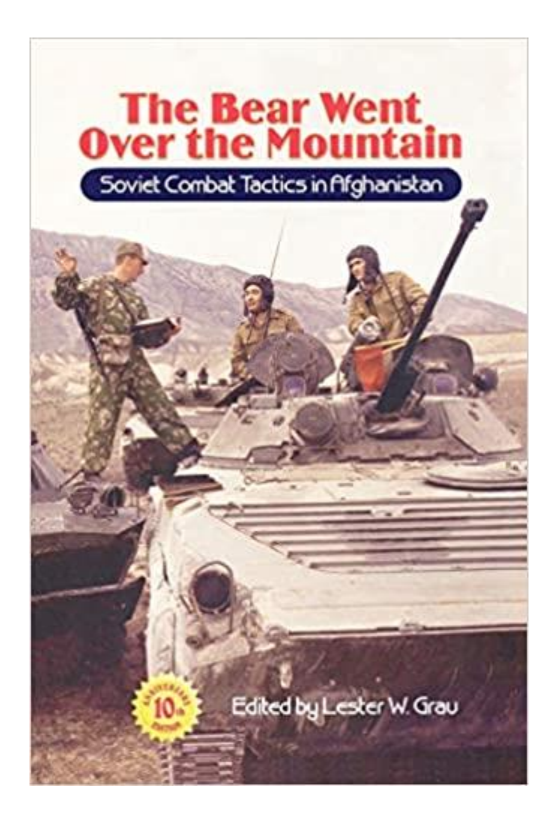
عندما قامَ الاتِّحادُ السُّوفييتيُّ بغزوِ أفغانستانَ عامَ 1979م، لم يرَ الخبراءُ -عدا القليلُ منهم- أيَّ فرصةٍ لنجاحِ حركةِ المقاومةِ النَّاشئة حديثاً أمامَ الجيشِ السُّوفييتيّ الميكانيكيِّ الحديث والمتقدِّمِ تقنيّاً، فيما صَرَّحَ معظمُهُم بعدمِ جَدوى المقاومة، وأنَّ الاتِّحادَ السُّوفييتيَّ قد صمَّمَ على توسيعِ إمبراطوريَّتِهِ بخطةٍ مدروسةٍ نحوَ الجنوب، وأنَّ الاتِّحادَ السُّوفييتيَّ قد جاءَ لكي يبقى. وبالرُّغم من أنَّ البعضَ منهم -ممَّن لديه معرفةٌ في التَّاريخ- قد دَرَسَ التَّجربةَ البريطانيَّةَ في قتالِ رجالِ القبائلِ الجبليَّةِ الأفغانيَّة، إلا أنَّهم غلبَت عليهم فكرةُ استبعادِ أيِّ وجهِ تشابهٍ مع تلكَ الحالة، حيثُ امتلكَ الاتِّحادُ السُّوفييتيُّ تفوُّقاً غيرَ مسبوقٍ في القوَّةِ النَّاريَّةِ والتَّقنية والجَبَرُوتِ العسكري. وعلى الرُّغم من أنَّ قادةَ العربِ والغربِ عملُوا على تزويدِ المجاهدينَ بالأسلحةِ والمواد، إلا أنَّهم لم يطمحُوا من وراءِ ذلك بأكثرَ من طعنِ خاصرةِ السُّوفييت وجعلِهِ ينزفُ على المَدى الطَّويل، ولم يخطرْ على بالِهِم أبداً هزيمةُ الاتِّحاد السُّوفييتي، كما لَمْ يتوقَّعوا أبدا أنْ ينسحبَ الاتِّحادُ السُّوفييتيُّ طواعيةً من أفغانستان عام 1989م.

إذن، ما سببُ الانسحابِ السُّوفييتي؟ لقد أدركَ السُّوفييت بأنَّهم علقوا في مستنقعِ حربٍ لا يمكنُ الانتصارُ فيها، حيث عانَوا من أساليب "الموتُ بألفِ جرحٍ"، ومن يَتَسبَّبُ لهم بالجراح هو عَدُوٌّ عنيدٌ لا يقاتلُ أملاً بالنَّصر، بل يقاتِلُ اعتقاداً بوجوبِ وشرعيَّةِ هذا القتال. وبعدَ الفشلِ في تحقيقِ النَّصرِ العسكري، سعى الاتِّحادُ السُّوفييتيُّ لوضعِ حدٍّ لاستنزافِهِ، فعمدَ إلى الانسحابِ بعد أن خسرَ 13833 قتيل، وماتَ أكثرُ من 1.3 مِليون أفغاني، وتشرَّدَ أكثرُ من ثلث السُّكان كلاجئين، مُعظمهم لم يعودوا بَعْدُ إلى أفغانستانَ التي مَزَّقتها الحرب.

من المؤسفِ قلَّةُ الدِّراساتِ عن حربِ العصابات من منظورِ العصاباتِ نفسها. وبغرضِ اكتشافِ هذا المنظورِ واكتسابِ الخبرةِ التَّكتيكيَّةِ للمجاهدين، كَلَّفت مُشاةُ البحريَّةِ الأمريكيَّةِ اثنينِ من المُحاربين القُدامى المُتقاعدين بهذه الدِّراسةِ وأرسلَتْهُما لمقابلةِ المجاهدين، فاستقبلَ العديدُ من المجاهدين المؤلِّفَين استقبالًا طيِّباً، وساعدوهما، وتحدَّثُوا لهما طواعيةً عن حربِهم المريرةِ الطَّويلة. ثمَّ أصدرَ

المؤلفان هذا الكتّابَ الفريدَ الذي يحكي قصَّةَ رجال العصابات بلغةٍ مِهنيةٍ عَسكريَّة. ويتكلَّمُ هذا الكتّابُ عن قتالِ وحدات العصابات الصَّغيرة، كذلك يتحدَّثُ عن الموتِ والبقاءِ والتَّكيُّفِ والمُثابرة.

يَصلُحُ الكتّابُ لسريَّةِ الأسلحةِ القتاليَّةِ والضبَّاطِ القادةِ وضباط الصَّف. إنَّه يوفِّرُ فهماً للحِرَف الميدانية والتَّكتيكاتِ والأساليبِ والإجراءاتِ التي يستخدمُها الثوار، وله تطبيقاتٌ في دورات الضُّباط الأساسيَّة والمُتقدمة وضبَّاط الصَّف، وكذلك دوراتِ الحروبِ الخاصَّة. كما يُسلّط الضوءَ أيضاً أمامَ القادةِ الأمراء -من لواء وعميد فما فوق- تجاهَ كيفيَّةِ تدريبِ قوَّاتِ العصابات ودعمِها، وكيفيَّةِ الدِّفاع ضدَّ قوَّاتِ العصابات.



وهذا الكتّاب قرينٌ لكتّاب:

(The Bear Went Over the Mountain: Soviet combat tactics in Afghanistan)

الذي نَشَرته جامعةُ الدِّفاع الوطني عام 1996م.

تمهيد

أفغانستان دولةٌ متعددةُ الأعراق في جنوبِ غربِ آسيا، وموطنٌ لمجتمعاتٍ بشريَّةٍ متنوعةٍ، ولها تاريخٌ مُشتركٌ من التَّفاعلات مع قُوى الاحتلال والإمبراطورياتِ والجيوشِ الغازيةِ والحركاتِ التِّجاريَّةِ والثَّقافيَّةِ التي مرَّت من خلالها عبرَ آلافِ السِّنين من تاريخها. وتقعُ المجموعاتُ العرقيَّةُ المختلفةُ في أفغانستان الحديثة (البشتون، والطاجيك،[3] والأوزبك،[4] والتُّركمان، والهزارة النَّاطقين بالفارسية والبلوشية...إلخ) [5] على جانبي حُدودِ هذه الدَّولة.

ومع ذلك، يَتِم تحديدُ اختلافِ هويَّتِهم في الغالبِ بربطِهم مع قرابتِهم العرقيَّة عبرَ الحدود بدلاً من توحيدِهم عبرَ قواسمهم الوطنيَّةِ المشتركة. وحوالي 99 % من سكانِ أفغانستانَ البالغ عددُهم 17 مليونَ نسمة مسلمون، 85 % منهم من أتباعِ المذهبِ السُّني بينما الباقي شيعة. ويعيشُ حوالي 85 % من الأفغان في مجتمعاتٍ ريفيَّةٍ في أرضٍ تغلبُ على تضاريسِها الجبالُ والصَّحاري. ويعتمدُ معظمُ المسافرينَ في الوقتِ الحاليّ على الطَّريقِ السَّريع (الأوسترادِ) الدَّائريِّ الذي يربطُ بينَ مختلفِ المدن، كما لا توجدُ أيُّ شبكةٍ للسِّكك الحديديَّة.

كانت أفغانستانُ في الغالبِ مجموعةً مفكَّكةً من القبائلِ والقَوميَّات، واستطاعت الحكوماتُ المركزيَّةُ فرضَ درجاتٍ متفاوتةٍ من النُّفوذِ والسَّيطرةَ عليها عبرَ مختلفِ الفتراتِ التَّاريخيَّة. وقد عُرِفَت تلكَ البلادُ تاريخيَّاً بالتَّسامحِ الإسلاميِّ والعرقِيِّ المُمَيَّز. ومعَ ذلك، فإنَّ التَّنافسَ القبليَّ والثَّاراتِ الدَّمويَّة، وطموحاتِ زعماءِ القبائلِ المحليَّة، والتَّحدي القبلي للتَّدخل الواسع النِّطاقِ من جانبِ الحكومةِ المركزيَّةِ

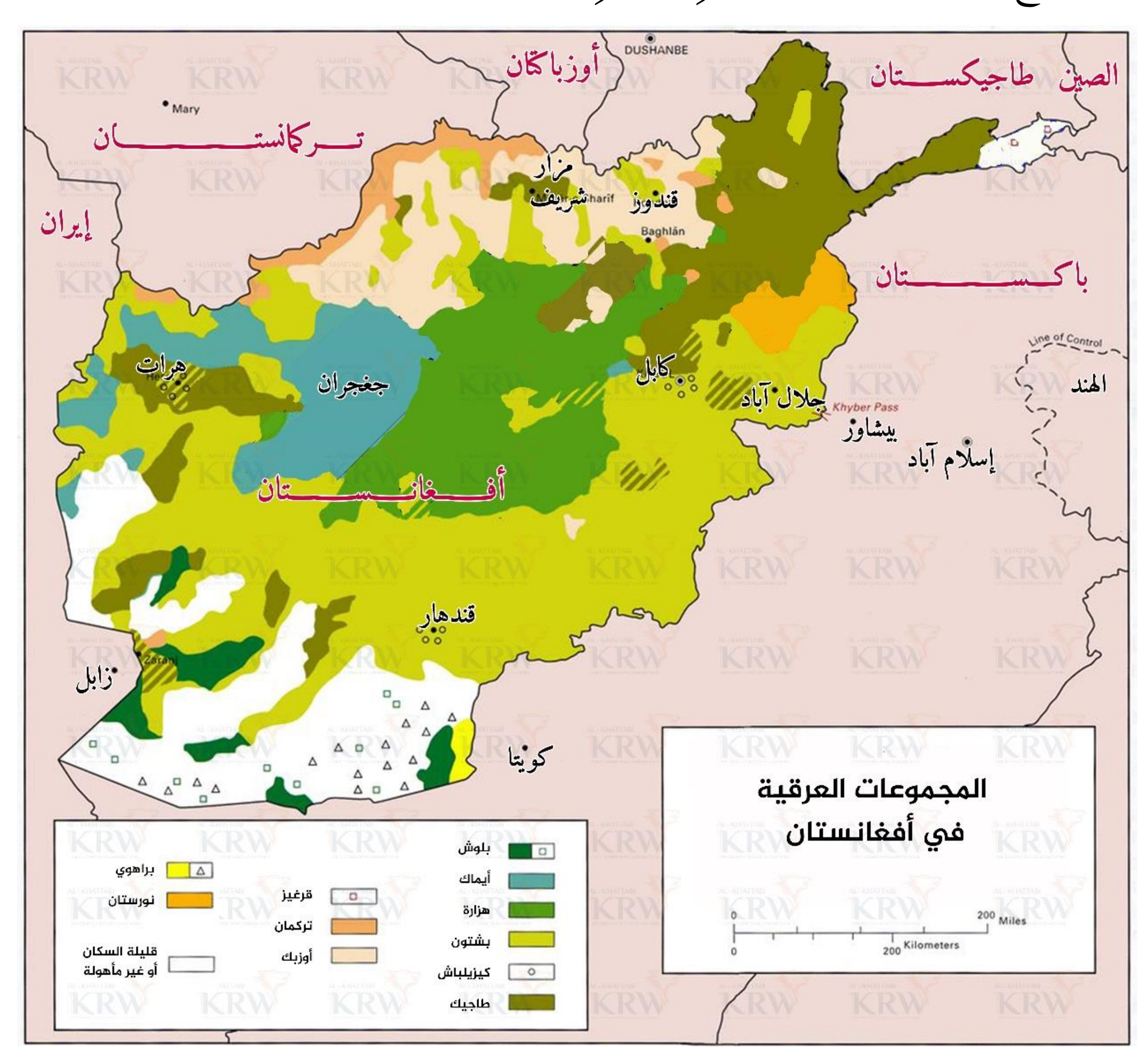
---

[3] عرقيةٌ أفغانيةٌ تشكلُ ربعَ سكانِ أفغانستان وتنتشرُ في أجزائِها الشَّمالية الشَّرقية.

[4] عرقية أفغانية تتركزُ معظمُها في وسطِ شمال أفغانستان وتشكلُ 10% من سكانها وتتحدَّثُ بإحدى اللغات التركية.

[5] الهزارة إحدى القوميات المعترف بها في أفغانستان، يتكلمون الفارسية، يسكنون وسط أفغانستان في المرتفعات الوسطى، ويشتغلون في الزراعة والصناعة، ويدين أغلبهم بالمذهب الشيعي.

قد أبقى أجزاءً مُختلفةً من الأرضِ في حالةِ حربٍ عبر فتراتٍ مختلفة. وفي مثل هذه الحالات، كانت الهُويَّةُ القائمةُ على القَرابةِ هي الوسيلةُ الرَّئيسيَّةُ للحشدِ والتَّعبئةِ السِّياسيَّةِ والعسكريَّةِ للمجتمع. وهذه الهُويَّةُ تضعُ أهميةً كبرى للقرابة والجذورِ الأسريَّةِ أكثرَ من الأيديولوجيَّة.



تقفُ أفغانستانُ على مفترقِ طرقٍ جغرافيَّةٍ شهِدَتْ مرورَ العديدِ من الشُّعوب المُتحاربة. وتركَ كُلُّ واحدٍ منها بصمتَه على هذهِ الأرضِ عبَرَ التَّاريخ، كما دخلَ العديدُ منها في صِراعاتٍ مع الشَّعب الأفغاني. وفي كثيرٍ من الأحيان، أعاقَ هذا الصِّراعُ التَّنمية الاقتصادية، ممَّا أنتجَ بَلَداً مكوَّناً من (وِلاياتٍ قُرويةٍ) عمَّت البلاد، وتمتَّعت بالحكم الذَّاتي إلى حدٍّ ما.[6] يُعرِّفُ الأفغانُ بعضهم البعض

[6] Ali A. Jalali, "Clashes of Ideas and Interests in Afghanistan", paper given at the Institute of World Politics, Washington, D.C., July 1995, page 4.

(بالأقوام)، وهي الهُويَّةُ الأساسيَّة -دون الوطنية- القائمةُ على القرابةِ ومَوطِنِ الإقامة وأحياناً الحِرفة. وقد يستخدمُ الغربيون كلمةَ (القبيلة) بَدَلَ هذا المصطلح، لكنَّ هذا النَّسيجَ الاجتماعيَّ الغريزيَّ (القوم) يشمل: العشائرَ القبليَّة، والمجموعاتِ الفرعيَّةَ العرقيَّةَ، والطَّوائفَ الدِّينيَّة، والمجموعاتِ المستوطنةَ في النَّواحي، والمجموعاتِ التي جمعتْها المَصالح.[7] فالقوم يُعَدُّونَ الوحدةَ الأساسيَّةَ للمجتمع هناك، لا أفغانستان، ويركِّزُ الأفرادُ ولاءَهم خارجَ إطارِ الأسرةِ على القوم.

من ناحيةٍ أخرى، تُعرَفُ أفغانستانُ في بعضِ الأحيان، بأنَّها أرضٌ تمزِّقُها الثَّارات. وتتركَّزُ هذه الثَّاراتُ ضمنَ الأسرةِ والقوم. ومعَ ذلك، فقد قامَ الكثيرُ من وجهاءِ الأقوامِ وشيوخِهم بحلِّها وحافظُوا على وحدةِ تلكَ الكيانات. ويمكنُ لهؤلاءِ الوجهاءِ والشُّيوخِ تجميدُ الثَّاراتِ لمدَّةِ عشرِ سنواتٍ أو أكثر ثمَّ السَّماحُ للقريةِ باستئنافِها بمجرَّدِ انتهاءِ الوقتِ المتَّفقِ عليه، بحيثُ تبقى المسألةُ من دونِ حل. إنَّ الجذورَ التَّاريخيَّةَ لأفغانستان ومتانةَ أواصرِ القرابة ضمنَها تمثِّلانِ عائقين دونَ التَّقدم، إلا أنَّها توفِّرُ أيضاً وسيلةً للتَّعاملِ مع انهيارِ السُّلطة المركزية. فتاريخيَّاً، لم يسفرِ انهيارُ الحكومة المركزيَّةِ لأفغانستان أو تدميرُ جيوشِ الدَّولةِ عن هزيمةِ الأمَّةِ الأفغانية -بأكملها-على يدِ الغزاة. فقد اعتادَ النَّاسُ على مقاومةِ الغُزاة، بالاعتماد على إمكاناتِهم السِّياسيَّةِ والاقتصاديةِ والعسكريَّةِ اللامركزيَّة.[8] وكان هذا هو الحال في الحربينِ اللتينِ خاضتهما أفغانستانُ مع بريطانيا في القرنِ التَّاسع عشر (1842-1839، 1880-1878م)، كما حَدَثَ هذا مَرةً أخرى في الحربِ الأفغانيَّةِ السُّوفييتيَّة.

حتَّى أنَّ تكتيكاتِ المجاهدين عكَست هذا النَّقص في التَّماسكِ المركزي. فلم تكنْ تكتيكاتُهم موحَّدةً، بل اختلفَت من وادٍ إلى وادٍ، ومن قبيلةٍ إلى قبيلة. ولم تتعدَّ نسبةُ الخبراءِ العسكريين من قادةِ العِصابات ال 15 %، ومعَ ذلك، فَرَضت أفغانستان التَّجنيدَ الإلزاميَّ على الشَّعب، وكلُّ رجلٍ فيها لا يبلغُ من العمر حوالي 22 عاماً إلا وقد أتمَّ الخدمةَ الإلزاميَّةَ التي تستمرُّ لمدَّةِ عامين. فَمَنحَ هذا الأمرُ التَّعليمَ العسكريَّ الأساسيَّ للأفراد، ممَّا سهَّل التَّعاون بين مختلفِ جماعاتِ المجاهدين.

[7] المصدر السابق نفسه، ص3

[8] المصدر السابق نفسه، ص4

كان المجاهدونَ متطوعينَ حقيقيين، فهم محاربونَ غيرُ مدفوعي الأجر، يحاربونَ لحماية دينِهم ومجتمعِهم أولاً وأمَّتِهم ثانياً. وكمتطوعين حقيقيين يقاتلونَ من أجلِ قومِهم ودينِهم، نظرَ المجاهدون إلى العسكريِّ المُحترف بازدراءٍ قياساً على المجاهدِ المؤمنِ المتطوِّع، لا بل قياساً على التَّاجر وصاحب الحرفة. ونظروا إلى العسكريِّ على أنَّه مجرَّدُ مرتزقٍ، فهو إمَّا ضحيَّة التَّجنيدِ الإجباري وإمَّا أنَّه رجلٌ غبي، لا بل أغبى من أنْ يجدَ مِهنةً أخرى.[9] إلا أنَّ الضباط المُحترفين الذي يتمتَّعونَ بقدْرٍ كبيرٍ من المكانةَ والهيبةِ لم ينلْهم هذا الازدراء.

لم تكنْ أفغانستانُ مَسرحاً لحربِ عصاباتٍ على غِرارِ نموذجِ ماو تسي تونغ[10] أو فو نجوين جياب[11]. ولم يحاولِ المجاهدونَ فرض أيديولوجيَّةٍ جديدةٍ وحكومةٍ على الأرض. بدلاً من ذلك، حاربوا للدِّفاع عن أقوامِهم ودينِهم ضدَّ أيديولوجيَّةٍ مُعاديةٍ، ومنظومةِ قيمٍ إلحاديةٍ، وحكومةٍ مركزيَّةٍ قمعيةٍ، وغُزاةٍ أجانب. لقد كان دفاعاً عفوياً عن قيمِ المجتمع وطريقةِ حياتِه التَّقليديَّةِ من قِبَلِ مجموعاتٍ فرديةٍ لم ترتبط في بدايةِ الحربِ بالمنظَّماتِ السِّياسيَّةِ الوطنيَّة أو الدُّوليَّة.[12]

---

[9] تجربة الإسلام السياسي لأوليفيه روا، ص151.

[10] ماوتسي تونغ (1983-1976) هو ثوريٌّ شيوعي ومؤسِّسٌ ورئيسُ جمهوريَّةِ الصِّينِ الشَّعبيَّة، ومنظِّرٌ إستراتيجيٌّ صينيٌّ مشهورٌ لحرب العصابات.

[11] فو نجين جياب (1911-2013)، هو عسكريٌّ وسياسيٌّ فيتنامي وضابطٌ سابقٌ في الجيشِ الشَّعبيِّ الفيتنامي، ويُعدُّ أحدَ أهمِّ شخصيَّاتِ حرب فيتنام.

[12] جلالي، ص1

اللعبةُ الكبرى[13]

بدأ التَّوسعُ الرُّوسيُّ وبناءُ الإمبراطوريَّةِ في آسيا الوسطى عام 1734م، وكان اهتمامُ موسكو بأفغانستان واضحاً في أواخرِ ثلاثيناتِ القرنِ التَّاسع عَشَر. وتصفُ اللعبةُ الكبرى الصَّراعَ البريطاني والرُّوسيَّ من أجلِ توسيعِ النُّفوذِ على الحدودِ الشَّماليةِ المضطربةِ للهندِ البريطانيَّة وفي المنطقةِ الواقعةِ بين روسيا والهند، حيثُ تقعُ أفغانستان مباشرةً في هذه المنطقةِ المُتنازَع عليها بين إمبراطوريتين. وَوَصفت روسيا دوافعَها في اللُّعبةِ الكبرى بأنَّها مجرَّدُ إلغاء تجارةِ الرَّقيقِ وإقامةِ النِّظامِ والسَّيطرةِ على طولِ حدودِها الجنوبيَّة. ومع ذلك، فإنَّ البريطانيين -الذين كانوا ينظرونَ إلى الابتلاعِ الرُّوسيِّ لأراضي القُوقاز وجُورجيا وقِيرغيزستَان وتُركمانستان وخيفا وبُخَارى- زعمُوا بأنَّهم شَعَرُوا بالتَّهديدِ من وجودِ إمبراطوريَّةٍ كبيرةٍ متوسّعةٍ بالقربِ من الهند، وَعَزُوا التَّوسع الرُّوسي لدوافعَ أخرى مُختلفةٍ عمَّا صرَّحَ به الرُّوس. حيثُ صرَّحَ البريطانيون بأنَّ الدَّوافع الرُّوسية تمثَّلُ في إضعافِ القوَّةِ البريطانية والوصولِ إلى منافذِ المياهِ الدافئة. وادَّعت بريطانيا أنَّ تصرفاتِها كانت لحمايةِ حدودِ الهند البريطانية.

امتدَّتِ اللُّعبةُ الكبرى إلى أفغانستانَ عندما غَزَتِ القوَّاتُ البريطانيَّةُ أفغانستانَ في الحربِ الأفغانيَّة الإنجليزية الأولى (1839-1842م). وادَّعت بريطانيا أنَّ الغزوَ كانَ من المُفترضِ أنْ يواجهَ النُّفوذَ الرُّوسي. وبعدَ قتالٍ عنيفٍ، انسحبَ البريطانيون. وبحلولِ عام 1869م، وصلَتِ الإمبراطوريَّةُ الرُّوسيَّةُ إلى ضفافِ نهرِ جيحون، وهي الحدودُ الشَّماليَّةُ لأفغانستان. وتسبَّبَ هذا بزيادةِ القلقِ البريطاني. وفي عام 1878م، أدَّى وصولُ بعثةٍ دبلوماسيَّةٍ روسيَّةٍ خاصَّةٍ إلى كابول إلى غزوٍ بريطانيٍ آخرَ وحدوثِ الحربِ الأفغانيَّةِ الإنجليزيَّةِ الثانيَّة. وقد انسحبَ الجيشُ البريطاني مَرَّةً أخرى. وفي المعاهدة البريطانيَّةِ الرُّوسيَّةِ لعام 1907م، وافقَ الرُّوسُ على جعلِ أفغانستانَ خارجَ نطاقِ الاهتمام

[13] أُخذَ هذا القسمُ من كتاب:

Richard F. Nyrop and Donald M. Seekins (editors), Afghanistan: A Country Study, Fifth edition, Washington: US Government Printing Office, 1986, 22-73 and Peter Hopkirk, The Great Game, New York: Kodansha International, 1994.

الرُّوسي، كما وافقُوا على التَّشاورِ مع بريطانيا بشأنِ جميعِ المسائلِ المتعلّقةِ بالعلاقات الرُّوسيَّةِ الأفغانية. وبالمقابلِ، وافقتْ بريطانيا على عدمِ احتلالِ (ضمّ)أيّ جزءٍ من أفغانستان أو التَّدخلِ في الشؤونِ الدَّاخليَّةِ لذلك البلد. وعلى الرُّغمِ من رفضِ أميرِ أفغانستانَ الاعترافَ بالمعاهدة، إلا أنَّ روسيا وبريطانيا وافقَتَا على شروطِها وصانتَّاها حتى عام 1919م، عندما عَبَرَت القوَّاتُ الأفغانيَّةُ إلى الهند البريطانيَّة، واستولَت على قريةٍ وحاولت إشعالَ ثورةٍ شعبيَّةٍ في المنطقة. فَرَدَّ البريطانيون بغزوٍ آخرٍ عُرِف بالحربِ الأفغانيَّة الإنجليزيَّة الثَّالثة. وأسفَرَتِ التَّسويةُ السِّياسيَّةُ عن استقلالِ أفغانستانَ التَّام عن بريطانيا.

كانت السِّياسةُ الخارجيَّةُ لأفغانستان من عام 1919 حتى عام 1978م متوازنةً بين مطالبِ جيرانها القريبين، وبينَ القُوى الخارجيَّةِ مثلَ الولايات المتحدةِ وألمانيا وبريطانيا. وأدَّت العلاقاتُ الطَّبيعيَّةُ مع جارتِها الشَّمالية (الاتِّحادِ السُّوفييتي) إلى زيادةِ الاستثمارِ وانتقالِ الوجودِ السُّوفييتيّ إلى داخلِ أفغانستان.

في أبريل 1978م، سيطرَت جماعةٌ يساريةٌ صغيرةٌ من الضبَّاط الأفغان -الذين تلقوا تدريباتِهم لدى الاتِّحادِ السُّوفييتي- على الحكومةِ وأسَّسوا جمهوريةَ أفغانستان الدِّيمقراطيَّة، وكانت دولةً عميلةً تابعةً للاتِّحادِ السُّوفييتي، فاندلَعَتِ الحربُ الأهليَّةُ في أفغانستان إثرَ ذلك. فقد قام الانقلابُ بتنصيبِ الرَّئيسِ نور محمد تراقي، الماركسي الذي أعلنَ عن برامجَ شاملةٍ لتوزيع الأراضي، وتغييرِ وضع المرأة (الاجتماعي) وتقويضِ البُنيةِ الاجتماعيَّةِ القديمة لأفغانستان.

لم يحظَ التَّدخلُ السُّوفييتيُّ المتمثِّلُ بالحكومةِ الجديدة بدعمٍ شعبيّ واسعٍ، نتيجةَ تجاهلِه للتَّركيبةِ والأعراف الاجتماعيَّةِ الأفغانية. فَقُوبِلت حكومةُ تراقي المتقلّبةُ على الفورِ بمقاومةٍ مسلَّحةٍ متزايدةٍ مع مرورِ الوقت وزيادةِ صفوفِ المُجاهدين. وفي عام 1978م، أصدرَ علماءُ الدِّين -تأييداً للانتفاضات الشَّعبيَّةِ في جميعِ أنحاءِ أفغانستان- بياناتِ إعلانِ الجهادِ ضدَّ النِّظامِ الشُّيوعي. وكانَ هذا نداءً للهُويَّة فوقَ الوطنيَّةِ لجميع الأفغان؛ بأنَّ المعركةَ معركةُ دفاعٍ عن عقيدةِ الإسلام.

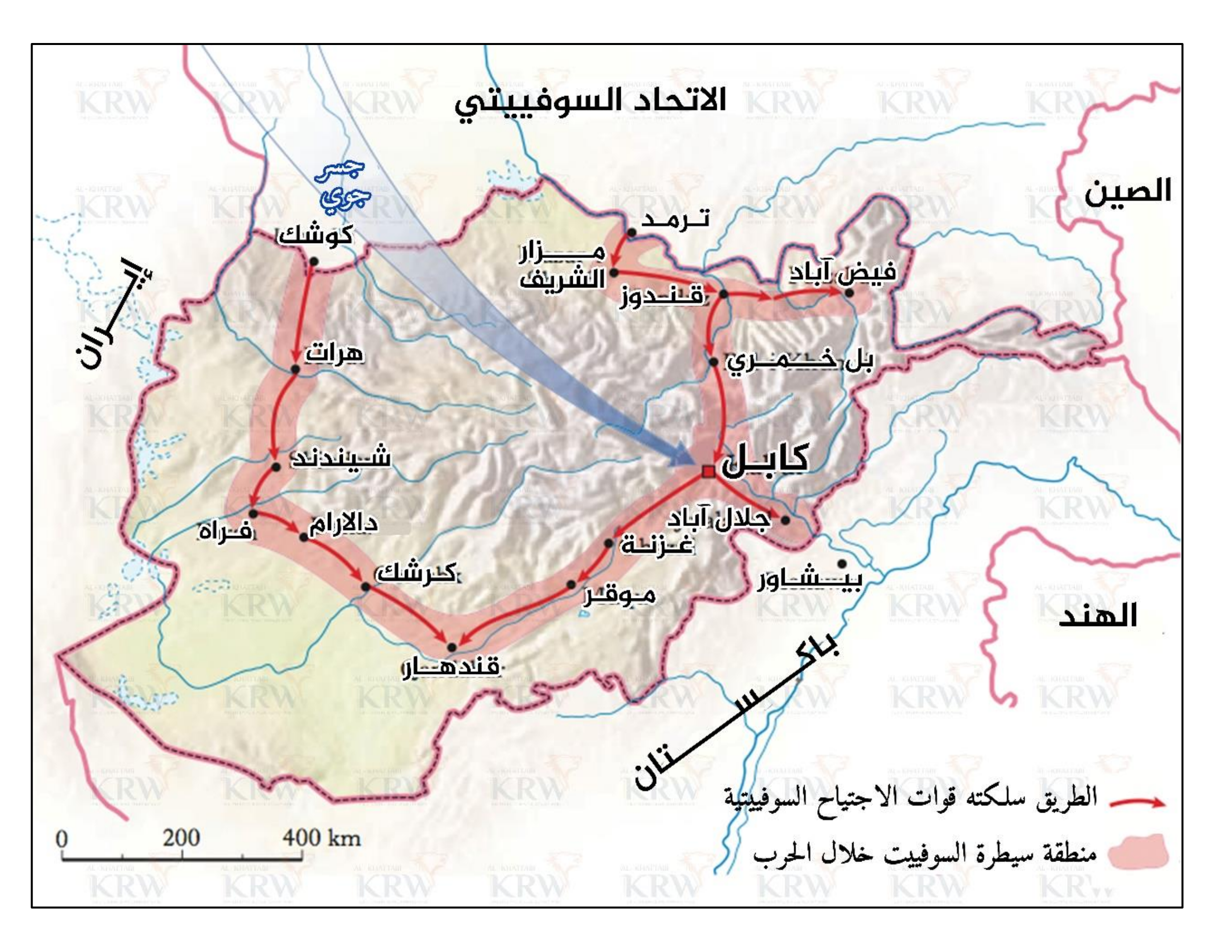
وفي ذلكَ الوقت، كانَ الاستعدادُ القتاليُّ لجيشِ جمهوريَّةِ أفغانستان الدِّيمقراطية قد تراجعَ مع تطهيرِ الحكومةِ للجيشِ من الضبَّاطِ (غير الموالين للحكومة الانقلابيَّة). واستطاعَ جنودٌ ووحداتٌ وأفواجٌ بأكملِها الهربَ (الانشقاقَ) إلى المقاومةِ، وبحلولِ نهايةِ عام 1979م، كانت القُوَّةُ الفعليَّةُ للجيشِ الأفغاني أقلَّ من نصفِ عددِ القوَّاتِ المُعلَنِ عنها والبالغةِ 90.000 جندي. وفي مارس 1979م، ثارَت مدينةُ هيرات ومعظمُ الفرقةِ 17 للمُشاة الأفغانية وانضمُّوا إلى الثَّورة، فاحتلَّتِ القوَّاتُ الموالية لتراقي المدينةَ بعدَ أنْ قَصفتِ القوَّاتُ الجويَّةُ الأفغانية المدينةَ والفرقةَ 17. وأفادَت الأنباءُ بأنَّ آلافَ الأشخاصِ قد قُتلوا، بمن فيهم بعضُ المواطنين السُّوفييت.

التَّدخُّلُ السُّوفييتي

بَدَأتِ الحربُ الأفغانيَّةُ السُّوفييتيَّةُ حولَ مسألةِ السَّيطرة (على الحكم). فقد كانت جمهوريَّةُ أفغانستانَ الدِّيمقراطيَّة من النَّاحيةِ الرَّسمية دولةً اشتراكية يَحكمُها حزبٌ شيوعي. ومعَ ذلك، كانت الدَّولةُ تسيطرُ على بعضِ المدنِ فقط، بينما يسيطرُ شيوخُ القبائلِ وزعماءُ العشائرِ على الرِّيف. وعلاوةً على ذلك، فقد كانَ الحزبُ الشُّيوعي في أفغانستان منقسماً إلى فصيلين مُتخاصمين. وأَمضى الطَّرفانِ وقتاً طويلاً في قتالِ بعضِهما البعضِ بدلاً من مُحاولةِ تأسيسِ الاشتراكيَّةِ وترسيخِها في أفغانستان. وفي سبتمبر 1979م، استولَى رئيسُ الوزراء - حفيظ الله أمين - على السُّلطةِ وَقَتَلَ الرئيسَ (تراقي). ولَم يكن حكمُ أمين أحسنَ حالاً، والاتِّحادُ السُّوفييتيُّ يشاهدُ هذهِ الدَّولةَ الشُّيوعيَّةَ الجديدةَ تخرجُ عن نطاقِ سيطرته. وفي الوقتِ نفسِه، تمرَّدَت وحداتٌ من الجيش، واندلَعَت حربٌ أهليةٌ، وثارَت المدنُ والقُرى، وبدأَت أفغانستان تفْلِتُ من سيطرةِ موسكو ونفوذِها. فرأى الأمينُ العام السُّوفييتيُّ العجوزُ "ليونيد بريجنيف" بأنَّ التَّدخلَ العسكريَّ المباشرَ كان السَّبيلَ الوحيدَ لمنع تفكُّكِ الدَّولةِ العميلةِ نحوَ الفوضى الكاملة؛ فقرَّرَ التَّدخل.



كانت نماذجُ التَّدخلِ التي تخطرُ على بالِ القيادةِ السُّوفييتيَّةِ هي النَّموذجُ المَجَريُّ عامَ 1956م والتشيكوسلوفاكيُّ عام 1968م. وقد خَطَّطت هيئةَ الأركانِ العامَّةِ السُّوفييتيَّة لغزوِ أفغانستانَ على أساسِ هذينِ النَّموذجين. ومع ذلك، كانَ هناكَ فرقٌ كبيرٌ غابَ عن بالِ المخطّطينَ السُّوفييت. فقد كانت أفغانستانُ متورطةً في حربٍ أهليةٍ، والانقلابُ لم يساعد في السَّيطرةِ إلا على الحكومة المركزيَّة، لا الرِّيف. وعلى الرُّغمِ من أنَّه تم إطلاعُ الوحداتِ العسكريَّةِ المشاركةِ في اللحظة الأخيرة (على العمل)، إلا أنَّ الغزوَ السُّوفييتيَّ عشيَّةَ رأس سنة 1979م قد خُطِّطَ له ببراعةٍ، ونُفِّذ تنفيذاً مُتقناً.



واستولى السُّوفييتُ على الحكومةِ وقتلُوا الرئيسَ ووضعُوا آخَرًا بدلاً منه. وَوفقاً لبعضِ المصادرِ الرُّوسية، فقد خطَّطُوا لتحقيقِ الاستقرار، وتعزيزِ الجيشِ ثمَّ سحبِ غالبيَّةِ القوَّاتِ السُّوفييتيَّةِ في غُضون ثلاثِ سنوات. وخَطَّطَت هيئةُ الأركانِ العامَّةِ السُّوفييتيَّةِ لتركِ كلِّ القتالِ في يدِ جيشِ الجمهوريَّةِ الدِّيمقراطيِّة. إلا أنَّ أفغانستان كانت في تمرُّدٍ كاملٍ، ولم يتمكَّنِ الجيشُ الأفغانيُّ البائسُ من التَّغلب عليه، وكانَ شبحُ الهزيمةِ الذي سيعقُبُ انسحابَ الاتِّحادِ السُّوفييتيّ يطاردُ المكتبَ السِّياسيَّ للحزبِ الشِّيوعيِّ السُّوفييتي. وثبَتَ أنَّ الغزوَ والإطاحةَ بالحكومةِ أسهلُ بكثيرٍ من قتالِ المئاتِ من مجموعاتِ العصاباتِ المنتشرةِ في كلِّ مكان. فقد دُرِّبَ الجيشُ السُّوفييتيُّ على القيامِ بعملياتٍ صاعقةٍ على نطاقٍ واسع، ولم يتدرَّب على خوضِ القتالِ على مُستوى قيادة الفصيلة (Platoon) لإيجادِ قواتٍ صغيرةٍ من السُّكان الأصليين والاقترابِ منها، في ظلِّ ظروفٍ تميلُ لصالحِ هذه القوَّات، وفي أراضٍ تَمنحُهم التَّفوُّقَ والقدرةَ على الثَّباتِ في القتال.

بالعودةِ إلى الاتّحادِ السُّوفييتي، كان هناكَ فراغٌ رئاسيٌّ من النَّاحيةِ العمليَّة لا الرَّسميَّة، وجميعُ القراراتِ كانت صادرةً من لجانِ القيادةِ التي اتَّخذَتها القيادةُ الجماعيَّة. فالأمينُ بريجنيف أصبحَ عاجزاً عام 1980م، لكنَّهُ لم يمت حتى نوفمبر/تشرين الثاني 1982م. وخَلَفَه يوري أندروبوف المريض. واستمرَّ الأمينُ العام أندروبوف لأقلَّ من عامين، ثمَّ خلفَه قسطنطين تشيرنينكو المترنِّحُ في فبراير 1984م. وتُوُفِّيَ تشيرنينكو في مارس 1985م.

وعلى الرُّغم من أنَّ القيادةَ العسكريَّةَ استمرَّت في تقديمِ التَّوصيةِ بالانسحاب، إلا أنَّه عبرَ (مومياواتِ الأمناءِ العامين) لم يكن هناكَ أحدٌ منهم يصدرُ قراراتٍ رئيسيةً فيما يتعلَّقُ بمجرياتِ الحربِ في أفغانستانَ ونتائجِها، فيما تصاعَدَت وتيرةُ الحرب. وفي النهاية، وَصَل ميخائيل غورباتشوف إلى السُّلطة. وكانت فكرتُه الأولى هي تحقيقُ النَّصرِ العسكريِّ في أفغانستان في فترةِ عام.


يوري أندروبوف


قسطنطين تشيرنينكو


ميخائيل غورباتشوف

وبعد خوضِ تلك السَّنةِ الأكثرِ دمويَّةً في الحرب، أدركَ غورباتشوف أنَّ السُّوفييت لن يتمكنُوا من الانتصارِ في أفغانستان دونَ تداعياتٍ دوليَّةٍ ومحليةٍ غير مقبولةٍ، فبدأ بالبحثِ عن وسيلةٍ للانسحابِ مع الحفاظِ على ماءِ الوجه. وقدَّمَ مفاوضو الأممِ المتَّحدةِ هذا الطريق. وبحلول 15 أكتوبر 1988م، كان النِّصفُ الأوَّلُ من الانسحابِ السُّوفييتيِّ قد اكتمل. وفي 15 فبراير 1989م، انسحبَت آخرُ القوَّاتِ السُّوفييتيَّةِ من أفغانستان.

لقد استمرَّ التزامُ القوَّاتِ السُّوفيتيَّةِ -الذي تم تقييمُهُ في البداية على أنَّه يتطلَّبُ عدَّةَ أشهرٍ فقط- لمدَّةِ تسعِ سنواتٍ، وتطلَّبَ أعداداً متزايدةً من القوَّات. وقِيلَ بأنَّ الاتِّحادَ السُّوفييتيَّ قتل 1.3 مِليونَ شخصٍ، كما أجبرَ 5.5 مِليونَ أفغاني (ثُلُثَ سكانِ ما قبلَ الحربِ) على مغادرةِ البلادِ كلاجئين.

وأجبرَ مليوني أفغانيٍّ آخرَ على الهِجرةِ داخل البلاد (نزوح داخلي)، حيثُ لم تَتعافَ البلادُ من هذا إلى الآن.

في البدايةِ، كانَ المجاهدون جميعُهم من السُّكانِ المحليينَ الذينَ حملُوا السّلاحَ وتجمَّعُوا في قوَّاتٍ كبيرةٍ مُترهلةٍ إلى حدٍ ما، وذلك بهدفِ الاستيلاءِ على مباني المديريَّاتِ المحليَّة ونهبِ مستودعاتِ الأسلحةِ فيها. وقد واجَهَت الحكومةُ الأفغانيَّةُ هذهِ الجهودَ قَدرَ إمكاناتِها، فبدأ المجاهدونَ بتنظيمِ أنفسِهِم في مجموعاتٍ أصغرَ بكثيرٍ تتمركزُ حولَ القُرى الرِّيفيَّة. وكانت هذه المجموعاتُ الصَّغيرةُ مسلَّحةً بمجموعةٍ متنوعةٍ من الأسلحةِ بدايةً من السُّيوفِ والمسكيت ذاتِ الزَّندِ الصَّواني، وصولاً إلى بنادقِ (المكنظمة) البريطانية وأسلحةِ الكتلةِ السُّوفييتيَّةِ القديمةِ التي وصلَت إلى أفغانستانَ على مرِّ السِّنين. عادةً ما كانَ قادةُ الثُّوارِ قرويين مؤثِّرين ولهم بالفعلِ دورٌ قيادي في المنطقةِ المحلية. وقليلٌ منهم من كان يمتلِكُ خبرةً عسكريةً احترافيَّة. وكان التَّمرُّدُ واسعَ الانتشار، لكنَّهُ يفتقدُ إلى التَّنسيقِ نتيجةَ تشكيلِه على أُسُسٍ قبليَّةٍ وعرقيَّة.



لقد غيَّر الغزوُ السُّوفييتيُّ من طبيعةِ المقاومةِ الأفغانية. وقد قلقت الدُّولُ الجارةُ لأفغانستان (باكستان وإيران) من قدومِ الجيشِ السُّوفييتيّ إلى حدودِهما، فبدأت بتقديمِ التَّدريبِ والدَّعمِ الماديِّ للمجاهدين. وبدأت الولاياتُ المتَّحدةُ وجمهوريَّةُ الصِّينِ الشَّعبيَّةِ وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا والمملكةُ العربيَّةُ السعوديَّةُ ومصرُ والإماراتُ العربيَّةُ المتَّحدةُ في نقلِ المُساعداتِ العسكريَّةِ والإنسانيَّةِ والماليَّةِ للمجاهدين عبرَ باكستان.

لقد كانت باكستان ترى بأنَّ الاتِّحادَ السُّوفييتي قد جاءَ إلى أفغانستان ليبقى، فكانَ من مصلحتِها دعمُ المجاهدينَ الذينَ لن يَقبلُوا الوجودَ السوفييتي أبدًا. وبدأت وكالةُ الاستخبارات الباكستانية[14]

[14] الاستخبارات الباكستانية للأمن الداخلي والخارجي والأمن السِّياسيّ والعسكريّ ومكافحةِ التجسس. وكانت هذه الوكالة مسؤولةً عن إيصالِ المساعداتِ إلى المجاهدين وتوفيرِ التَّدريبِ للمقاتلين وموظفي الدَّعم.

(ISI) في نقلِ المساعداتِ عَبرَ مختلف الفصائلِ السِّياسيَّةِ الأفغانيَّةِ المتمركزة في باكستان. وفي النِّهاية كانت هناك سبعةُ فصائلٍ أفغانيَّةٍ رئيسيَّةٍ تَتَلقى المساعدات. وتمَّ تحديدُ سياسةِ هذه الفصائل من خلال المُعتقداتِ الدِّينية لزعمائِها، ثلاثةٌ منهم من المُعتدلين الإسلاميين، بينما الأربعةُ البقيَّة من الأصوليين الإسلاميين. وطالبَت باكستان أنْ تنضمَّ مُختلف جماعاتِ المُجاهدين العرقيَّةِ والقبليَّةِ إلى أيِّ فصيلٍ من أجلِ الحُصولِ على المُساعدات. ومع مرورِ الوقت، قَدَّم هذا لقادةِ هذه الفصائل سلطةً سياسيَّةً استخدموها للسَّيطرةِ على الحياةِ السِّياسيَّةِ في أفغانستان ما بعد الشُّيوعيَّة.

كانت السُّلطات الباكستانية تُفضِّلُ الجماعات الأصولية أكثرَ وتكافئُهم وفقاً لذلك. وأعطى توزيعُ المُساعدات هذا الزَّعماءَ الدِّينيين الأفغان سلطةً غير مسبوقة في إدارةِ الحرب، في حين قَوَّضت السُّلطةَ التَّقليديَّة للزعماءِ القبليين والقرويين.

كان المجاهدونَ متطوِّعين بلا أجور، ولديهم مسؤولياتٌ أسرية. وهذا يعني بأنَّهم كانوا محاربين بدوامٍ جزئيٍ وأنَّ غنائمَ الحرب لعبت دوراً رئيسيَّاً في الأعمال العسكريَّة. فقد كان المجاهدون يبيعونَ معظمَ الأسلحة والمُعَدَّات التي يغتنمونها في الأسواقِ للإنفاقِ على أسرهم. ومع تطوُّرِ الحرب، ظهرت مجموعاتُ المجاهدين المُتنقلة. وكانت هذه المجموعاتُ أكبرَ حجماً، وتتكوَّنُ من شباب (دون سن 25) من المُحاربين غيرِ المُتزوجين والمُدرَّبين تدريباً أفضل. وفي بعضِ الأحيان يتمُّ دفعُ رواتبٍ لهم. وكانَ المجاهدون المُتنقلون يتحرَّكون عبرَ منطقةِ عملياتٍ أكبرَ بكثير من المُجاهدين المَحليين، كما كانُوا أكثرَ استجابةً لخططِ الفصائلِ ورغباتِها.

كانَ الصِّراعُ الإستراتيجي في أفغانستان معركةً حولَ اللوجستيات، بحيثُ كانَ كلُّ طرفٍ يسعى إلى خنقِ عدوِّهِ لوجستيَّاً. كان المجاهدونَ يستهدفونَ خطوطَ الاتِّصال (الإمداد) السُّوفييتيَّة، وهي شبكة الطُّرق الحيويَّة التي كانت الإمداداتُ السُّوفييتيَّة تُسافر عليها. بينما تجلَّى أسلوبُ الهجومِ السُّوفييتي على لوجستيَّاتِ المجاهدين في مرحلتين، الأولى: من 1980م إلى 1985م، حيثُ سعى السُّوفييت إلى القضاءِ على مصادرِ دعمِ المُجاهدين المتمركزةِ في الرِّيف، فَقَصفُوا صوامعَ الحبوب وقرى

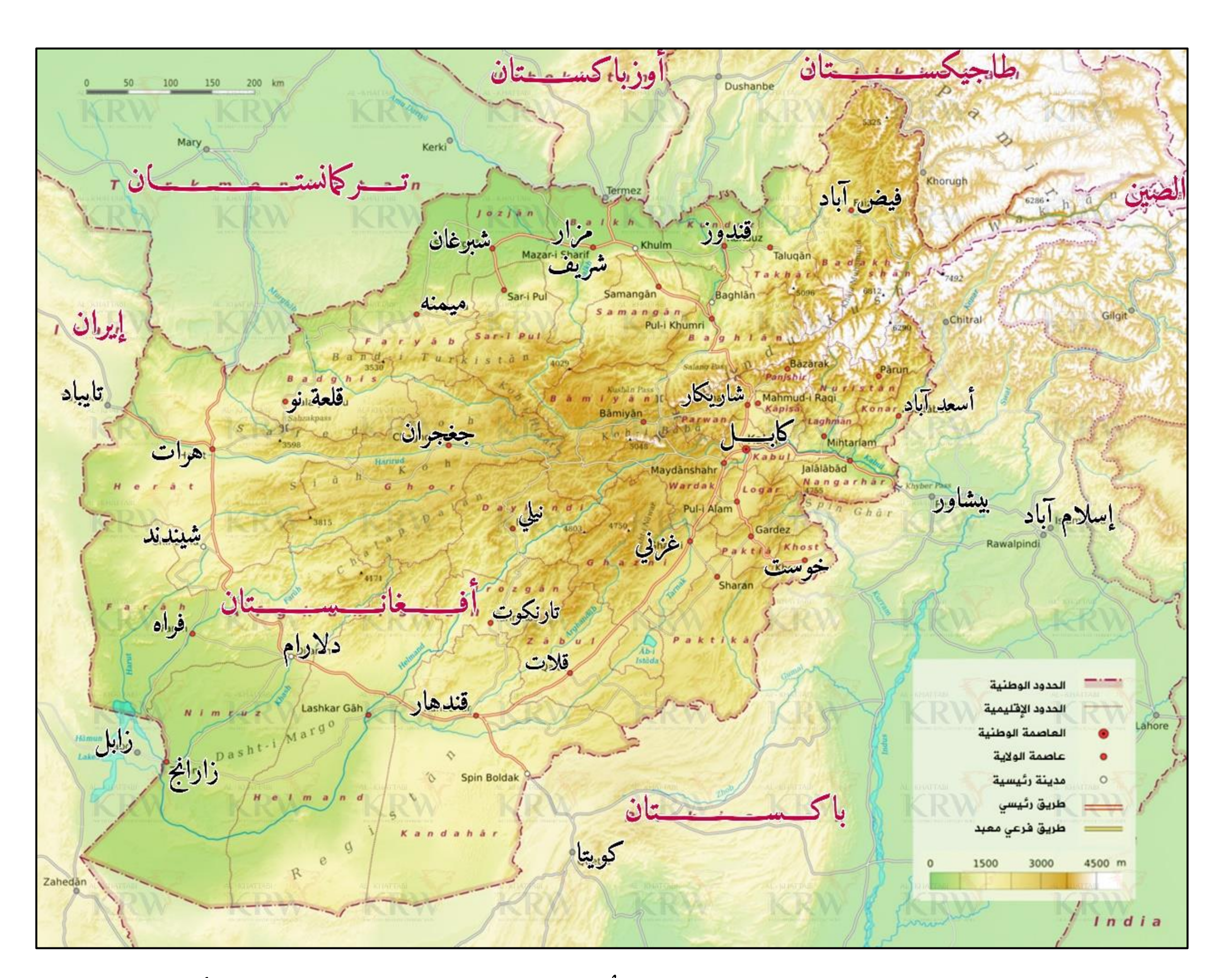
الأرياف، ودمَّرُوا المحاصيلَ وأنظمةَ الرَّي، وَلَغَّمُوا المراعي والحقول، وأبادُوا قطعانَ المواشي، ونفَّذُوا عملياتِ تمشيطٍ واسعةٍ للمناطقِ الرِّيفيَّة، وذلك بهدفِ تجنيدِ الشَّباب وتدمير البُنيةِ التَّحتيَّة.

وبالاستنادِ على ما قاله ماو تسي تونغ بأنَّ العصاباتِ تعيشُ بينِ الشَّعب مثلَ السَّمكة في الماء، قرَّرت القيادةُ السُّوفييتيَّة بأنْ تقتلَ السَّمكةَ عن طريقِ تجفيفِ المياه.[15] ونتيجةً لذلك، أصبحت أفغانستانُ دولةَ لاجئين، حيث فرَّ أكثرُ من سبعةِ ملايينِ ريفيٍّ إلى الأمانِ النِّسبي في باكستان وإيران المجاورتين أو إلى مُدنِ أفغانستان. فَحَرَمَ هذا الجهدُ السُّوفييتيُّ المجاهدينَ من الدَّعم الذي كانوا يحصلونَ عليه من الأرياف، حيثُ غادرَ القرويون، فأصبحَ لزاماً على المجاهدين أن يحملُوا معظمَ طعامِهِم معهم إلى جانبِ الأسلحةِ والذَّخيرةِ والموادِ الحربية. ومن ثَمَّ، ردَّ المجاهدون على هذه السياسةِ بإنشاءِ قواعدَ لوجستيةٍ داخلَ أفغانستان. أمَّا المرحلةُ الثَّانية، فقد تجلَّت في المعركة التي خاضَها السُّوفييت ابتداءً من عام 1985م، وحتى تاريخ الانسحابِ بحثاً عن هذهِ القواعدِ اللوجستية وتدميرِها.

مثلما يعلمُ أيُّ جنديٍ من المُشاة، فالتَّضاريس هي المُشكِّل الأساسيُّ لساحةِ المعركة. وتتميَّزُ تضاريسُ أفغانستان بالتَّنوعِ والوعورة. وتسيطرُ عليها الجبالُ الشَّاهقةُ والصَّحاري القاحلة. ومع ذلك، فهناكَ غاباتٌ خصبةٌ من الأرْز والحور الرَّجراج والعَرعَر. وهناك مناطقُ خضراء مُتشابكةٌ، وهي مناطقٌ مَرويَّةٌ كثيفةٌ بالأشجار والكروم والمَحاصيلِ وخنادقِ الرَّي والنَّباتات المُتشابكة، ولها سهولٌ مُسطَّحةٌ مليئةٌ بالقمحِ والمدرَّجات المستنْقعيَّة التي يُزرَعُ فيها الأرُز اللَّذيذ طويلُ الحبَّة.

إنَّها تضاريسٌ لا تصلحُ للقوَّاتِ الميكانيكية المُعتمدة على قوَّةِ النِّيران، وخطوطِ الاتِّصال الآمنة والتِّقنيات المتقدِّمة. بل هي أرضٌ يمكن للمحاربِ الجبليِّ فيها -باستخدامِ مواقع الكمائنِ التي تعلَّمها من أسلافه- أن يتسبَّب لأعدائِه في "موتٍ بألفِ جُرح". فالتَّضاريسُ تفرضُ على القوَّات تكتيكاتٍ مختلفةً، وهياكلَ ومُعَداتٍ خاصَّةٍ في الحرب التَّقليدية.

[15] Claude Malhauret, Afghan Alternative Seminar, Monterey, California, November 1993.



هذا الكتّابُ ليسَ تاريخاً كاملاً للحرب الأفغانيَّة السُّوفييتيَّة. فبدلاً من ذلك، هو سلسلةٌ من المَقالاتِ القصيرة القتاليَّة كما يرويها المجاهدون الذين شاركُوا في صنع أحداثِها. إنَّه ليسَ كتّاباً في الحُكمِ على صِحَّةِ أمورٍ من خطئِها. بل، هو كتّابٌ عن البقاءِ على قيدِ الحياةِ أمامَ القوَّةِ النَّاريَّةِ السَّاحقةِ والقوَّة التّقنية لدولةٍ عظمى. هذا الكتّابُ هو قصةُ القتالِ من مَنظورِ ثُوَّار العصابات. إنَّها قصَّةُ أناسٍ شجعان قاتلُوا لا عن أملٍ بالنَّصر، بل لأنَّه كان الخيارُ الشَّرعيُّ الواجبُ عليهم اتِّباعُه.

من عادةِ المؤلفِ (لِيس غراو) السَّفرُ بانتظامٍ ذهاباً وإياباً لروسيا. وقد حَصَل (في إحدى رحلاته) على كتّابٍ من قسمِ تاريخ الفَنِّ العسكري في أكاديميَّة فرونز للأسلحةِ المشتركةِ في موسكو. كانَ الكتّابُ مُخصَّصاً للاستخدامِ الدِّراسيِّ للطُّلابِ فقط، وعلى هذا النَّحوِ، تظهرُ (بحياديةٍ) أخطاءُ العمليَّات السوفييتية في أفغانستان ونجاحاتُها. وبإذنٍ من أكاديميَّة فرونزي، قام "لِيس" بترجمةِ هذا الكتّابِ وإضافةِ تعليقاتٍ عليه ثمَّ نشرَهُ عبر مطبعة (NDU) تحتَ عُنوان:

The Bear Went Over the Mountain: soviet combat tactics.[16]

وقد ساعدَ المؤلف "علي جلالي" في عملية التَّحرير. أظهرَ كتاب (الدُّبّ) تكتيكاتِ السُّوفييت، لكن تكتيكات المجاهدين كانت غائبة. فاتفق "تشارلي كوثبيرتون" و"ديك فولتز" من المارينز في "كوانتيكو" على ضرورةِ تقديمِ كلا الجانبين، وإرسالِ "علي جلالي" و"لِيس" إلى باكستان وأفغانستان لمقابلةِ قادةِ المجاهدين وتأليفِ كتابٍ قرينٍ (يوضح تكتيكاتِ المُجاهدين).

المؤلف علي جلالي لديهِ مؤهلاتٌ مثاليةٌ لتأليفِ هذا الكتاب. فقد كانَ عقيداً في الجيشِ الأفغاني وقامَ بالتَّدريسِ في الأكاديميَّةِ العسكريَّةِ الأفغانيَّةِ وكلية أركانِ الجيش. وشمَل تعليمُه الخارجيُّ دورةَ ضبَّاطِ مشاةٍ متقدِّمة في فورت بيننج في جُورجيا، وكليَّةَ أركانِ الجيشِ البريطاني في كامبرلي، وأكاديميَّةَ فرونزي السُّوفييتيَّة. وكان العديدُ من طلابِهِ الضبَّاط رموزاً شامخةً للمقاومةِ الأفغانية. وانضمَّ عليٌّ أيضاً إلى المقاومة، وكان صَحَفياً معتمداً أثناء النِّزاع. ويعمل الآنَ كصحفيٍّ على تغطيةِ أفغانستان ووسطِ آسيا على مدارِ الخمسةَ عَشَرَ عاماً الماضية. ويحترمُ جميعَ الفصائل، وله قُبولٌ واسعٌ لدى المجاهدين.

وَصَلَ علي جلالي و"لِيس" إلى باكستان في سبتمبر عام 1996م، وكانا يستعدان للذَّهابِ إلى أفغانستان عندما أغلق تَقَدُّمُ حركةِ طالبان نحوَ كابول الحدودَ أمامَ المواطنين الأمريكيين. فأجرى عليٌّ مقابلاتٍ مع حوالي 40 مجاهداً خلالَ شهرٍ واحدٍ في بيشاور وكويتا وإسلام أباد بباكستان. وأجرى زميلُنا، الرَّائد نصر الله صافي، مقابلاتٍ لمدَّة شهرينِ آخرين داخلَ أفغانستان من أجلِ هذا الكتاب. لتكونَ هذه المقابلات هيَ أساسُ الكتاب.

قمنا بكتابةِ المَقالةِ بصيغةِ الغائبِ في المقابلاتِ التي لدينا فيها العديدُ من المصادرِ للمقالةِ الواحدة أو حيثُ يتوفَّرُ لدينا الكثيرُ من التَّقاريرِ والموادِّ المكتوبةِ الدَّاعمة، بينما في المقابلات التي يكون فيها الشَّخصُ (الوحيد) الذي تمَّت مقابلته هو المصدرُ الأساسي، فقد كتبنا المقالةَ بصيغةِ المتكلِّم. ورتبنا

[16] المركز: العنوان يعني الدُّب يعبرُ الجبل/ تكتيكات السُّوفييت القتاليَّة في أفغانستان.

المقالاتِ ترتيباً زمنياً حسب نوعِ العمل. إلا أنَّه في بعضِ الأحيان، عندما تحدثُ الأعمال في المكانِ نفسهِ على مدى وقتٍ طويل، فإنَّنا نجمعُ هذه الأعمالَ معاً بدلاً من اعتماد التسلسلِ الزَّمني. ولقد حاولنا أنْ نجعلَ الكتابَ دقيقاً قدر الإمكان، لكنَّنا ندركُ بأنَّه من المحتمل أنَّ الوقتَ وإعادةَ الرِّواية ربما قد غيرتَا بعضاً من متونِ الروايات. ورُغم أنَّ الحربَ قد بدأت قبلَ الغزو السُّوفييتي واستمرَّت لفترةٍ طويلةٍ بعدَ مغادرتِهم، إلا أنَّنا قد حصرْنا نِطاقَ الكتاب من الاجتياح السُّوفييتي حتَّى انسحابِه. ولكنَّنا نخطِّطُ للكتابةِ عن هذه المعارك في كتابٍ مستقبلي.

استخدمنا إصدار (2-)DMA من سلسلةِ خرائط (U611 1: 100،000) من وكالةِ خرائطِ وَزارة الدِّفاع الأمريكيَّةِ في الإعدادِ النِّهائي للمادة. بالنِّسبة لأولئك الذين يرغبون في الرُّجوعِ إلى الخرائط، توجدُ أرقامُ صفحاتِ الخرائطِ مع كلِّ مقالة. لقد قمنا بترقيمِ كلِّ مقالةٍ في الفصل، وبدأنا كلَّ فصلٍ بخريطةٍ للبلد توضِّحُ الموقعَ التَّقريبيَّ لكلِّ مقالة.

كانت المقابلاتُ طويلةً ومُفصَّلةً، فتوفَّرت لدينا الكثيرُ من التَّفاصيل. وتمَّ إجراءُ العديدِ من المُقابلات في أوقاتٍ وأماكنَ مختلفةٍ مع أشخاصٍ مُختلفين كانوا جزءاً من المعركة أو العملية نفسها. وهو ما سمحَ لنا بالتَّحقُّقِ من التَّفاصيلِ وتسلسلِ الأحداث ومقارنتها. وسجَّلنا ارتفاعاتِ الخرائط بالأمتار، مع العلمِ أنَّ فواصلَ الكنتور ليست متسقةً وتظهرُ فقط الارتفاع. وبذلَ علي جلالي أقصى جهوده في تهجئةِ أسماءِ الأشخاصِ والأماكنِ وترجمتِها حرفيًّا، إلا أنَّ الاتِّساقَ في الإملاء أمرٌ صعبٌ عندما يتعلَّقُ الأمر بأبجديتين للغتينِ مختلفتين، مع العلمِ أنَّ التَّهجئةَ في الكتبِ عن أفغانستان قد تختلفُ عن بعضِها البعض. مع التَّنويهِ أنَّه بالرُّغمِ من أنَّ المجاهدين يستخدمون دائماً كلمة "الرُّوس" بدلاً من "السُّوفييت"، فقد استخدمنا كلمة "السُّوفييت" عبر الكتاب ما لم نقتبسْ اقتباساً مباشراً.

استخدمْنا رسوماتِ رموزِ الخرائطِ الرُّوسية في خرائط الكتاب. فقد استخدمَ الجيشُ الأفغانيُّ نظامَ الرُّموزِ السُّوفييتيَّة، وكان معظمُ المجاهدين على دِراية بها. فالرموز الرُّوسية أكثرُ سهولةً في الاستخدام (مرنةً وتوضيحيةً) من الرُّموز الغربية. يمكن للرموزِ الرُّوسية إظهارُ التَّطويرِ المتسلسلِ للأعمال بإضافة أزمنةٍ أو خطوطِ تحديدٍ للرموز. ويتمُّ توضيحُ هذه الخطوط في مفاتيح الخرائط. ويوجدُ جدولٌ لرموزِ

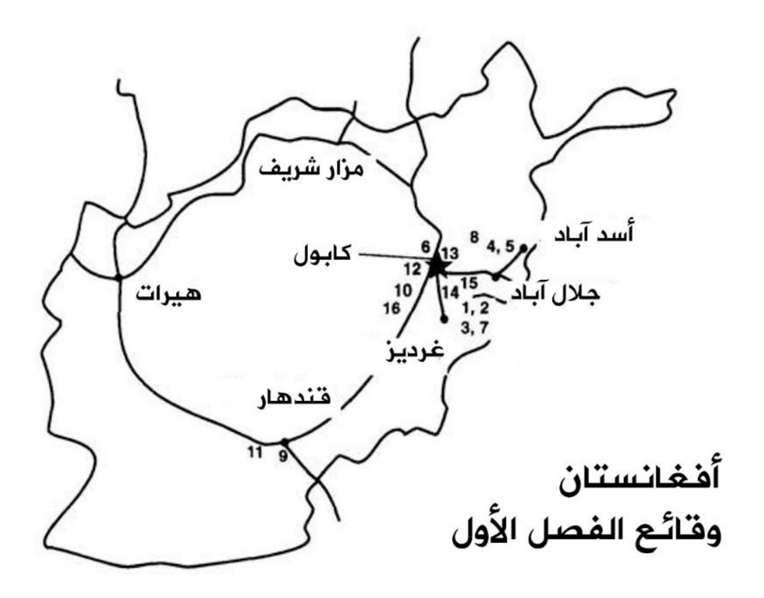
الخرائط الرُّوسية في نهاية الكتاب. تظهرُ قوَّات المجاهدين باللون الأزرق، وتظهرُ القوات السُّوفييتية / والجيش الجمهوري الدِّيمقراطي الأفغاني[17] باللونِ الأحمر.

[17] المركز: اختصاراً سنسميه عبر الكتاب بالجيش الأفغاني.

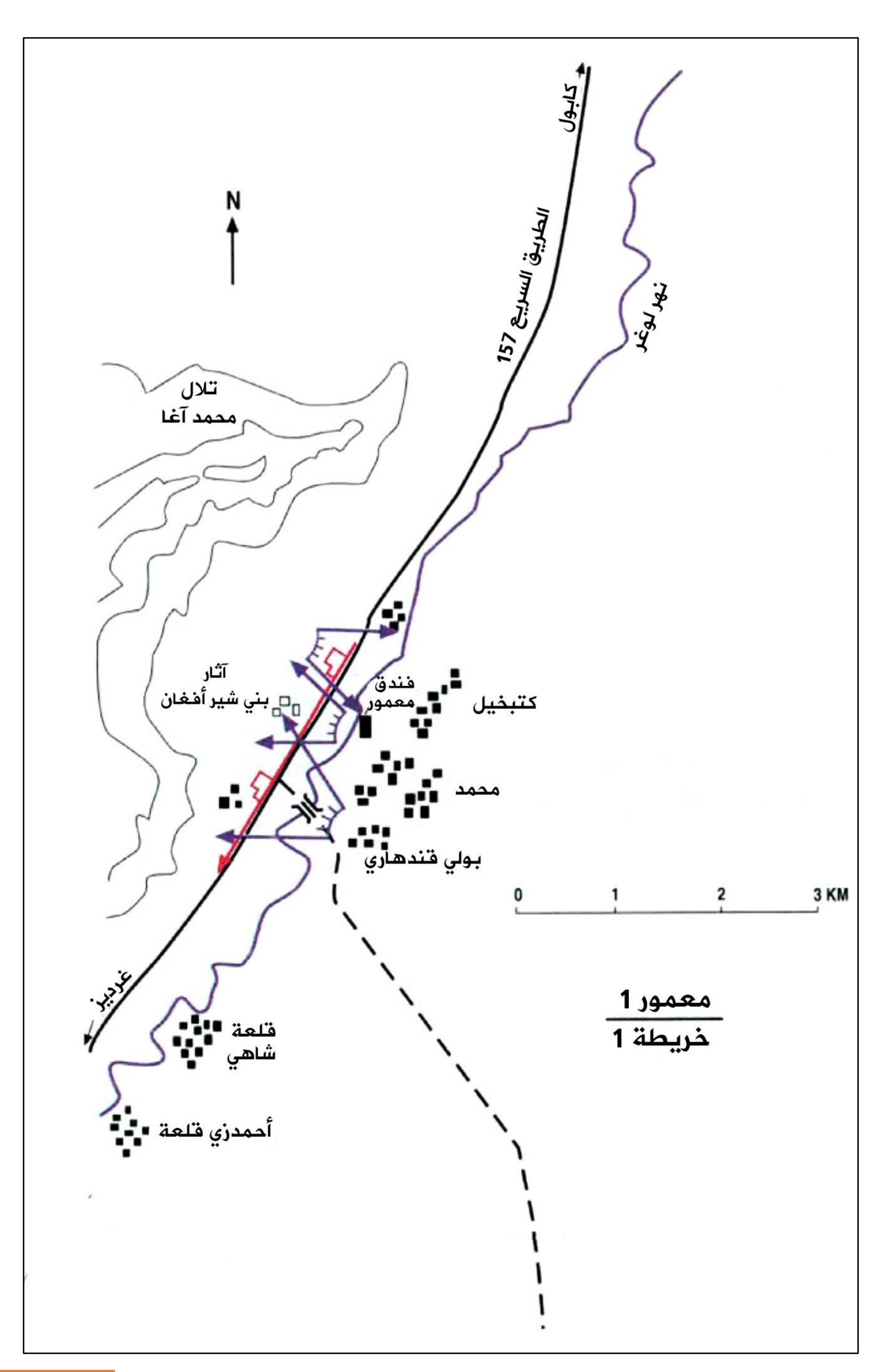
الفصلُ الأوَّل: الكَمائِن

تُعدُّ الكمائنُ التَّكتيكَ المفضَّل لدى الثُّوار، وذلك لأنَّها تسمحُ لهم بحشدَ القوَّات سراً، ومهاجمةِ العدو، والاستيلاءِ على الإمداداتِ اللَّازمة، والانسحابِ قبلَ أنْ يتمكنَ العدوُّ من الردِّ على نحوٍ فَعَّال. لقد كانت الكمائنُ لفترةٍ طويلةٍ جزءاً من تقاليدِ المحاربينَ الأفغان، وكانت سِمَةً رئيسيةً للحروبِ الأفغانيَّة التَّاريخيَّة، سواءً الداخليَّة بين القبائل أو ضدَّ البريطانيين أو ضدَّ الحكومة. حيثُ عملت كمائنُ المجاهدين على مهاجمةِ خطوطِ إمدادِ القوَّاتِ السُّوفييتيَّة والجيش الأفغاني، وتوفيرِ الإمداداتِ اللَّازمةِ للمجاهدين، وأجبَرت الجزءَ الأكبرَ من قوَّات المناورة السُّوفييتيَّة والجيشِ الأفغاني على القيامِ بعملياتٍ أمنية.

لقد كانت اللُّوجستياتُ أساسيةً في إدارةِ الحربِ الأفغانية السُّوفييتيَّة، وهدَّدت كمائنُ المجاهدين إعادةَ إمدادِ قوَّاتِ السُّوفييت والجيشِ الأفغاني وَقَيَّدت عددَ القوَّاتِ السُّوفييتية التي يُمكنُ نشرها في البلاد. وكان تكتيكُ الكمائن هو الأكثرُ فاعليةً في مواجهةِ النَّشاطِ العسكري السُّوفييتي، وهدَّدت قدرةَ الجيشِ السُّوفييتي والأفغاني على مُواصلةِ الحَرب.



أفغانستان
وقائع الفصل الأول


N
كابول
الطريق السريع 157
نهر لوغر
تلال
محمد آغا
آثار
بني شير أفغان
فندق
معمور
كتبخيل
محمد
بولي قندهاري
0 1 2 3 KM
غرديز
قلعة
شاهي
أحمدزي قلعة
معمور 1
خريطة 1

المقالة الأولى: كمينٌ قُربَ فندق معمور

رواية: القائد محمد أكبر[18]

نادراً ما كان يمرُّ يومٌ دونَ حدوثِ اشتباكٍ بين المجاهدين والجيشِ السُّوفييتي أو الجيشِ الأفغاني في ولايةِ لوغر. في صيفِ عامِ 1980م، وَضَعَت مجموعَتِي كميناً لمهاجمةِ رتلِ إمدادٍ سوفييتي وأفغاني كانَ يتحرّكُ من كابول إلى غرديز على الطَّريقِ السَّريع 157. وفي ذلك الوقت، لم يكنْ السُّكان قد هاجرُوا من البلدات، فكانت المنطقةُ مُكتظةً بالنَّاس. وكان للمجاهدين اتّصالاتٌ مع عناصرَ داخلِ الحكومة (الأفغانية الشُّيوعية) ممن تحدَّثوا عن حركة أرتالٍ على طولِ الطَّريقِ السَّريع الرَّئيسي. وكان هذا هوَ أولُ هجومٍ لنا على رتلٍ رئيسيٍ على هذا الطَّريقِ السَّريع في أَعْقَابِ الغزو السُّوفييتي.



وكان موقعُ الكمين حولَ تقاطع "بول قندهاري" مع الطَّريقِ السَّريع الرئيسي. عند هذه النقطة، يجري نهرُ لوغر على بُعدِ 200 متر شرقَ الطَّريقِ السَّريع، وتعلو تلالُ محمد آغا بارتفاع 700 مترٍ فوقَ

---

[18] محمد أكبر من قريةِ شاهي قلعة في مديرية محمد آغا ولاية لوغر، تخرَّج من المدرسةِ الثانوية في منطقته، وانضمَّ للمقاومة الأفغانية عام 1979م، ثم قاتلَ في ولاية لوغر إلى حينِ انهيارِ جمهورية أفغانستان الديمقراطيَّة (الشُّيوعيَّة). وكان عضواً في الحزبِ الإسلامي (التابع لقلب الدِّين حكمتيار)

[Map sheet 2885, vie grid 1086]

الطَّريق السَّريع إلى الغربِ منه. وعلى بُعدِ عَشْرةِ كيلومترات جنوباً، يمرُّ الطَّريقُ عبر مضيقٍ شديدِ الانحدار حيثُ لا يمكنُ للسَّيارات المارَّةِ فيه العودةُ بسهولةٍ (الخريطة 1 - معمور 1).

كان لدينا 50 مجاهداً مُسلحين ببنادق مَكنظمة قصيرةٍ موسن [19](Mosin-Nagant) وبنادقِ إنفيلد (Enfield)[20] وقَاذفتي آر بي جي-7. وقامَ قائدُنا المدعو (حياة) بتقسيمِ رجالنا إلى ثلاثِ مجموعات، وَوَضع مجموعةً واحدةً في موقع آثار بني شير أفغان على بعدِ حوالي 70 متراً غربَ الطَّريق، فيما وضعَ المجموعةَ الثَّانيةَ شرقَ الطَّريقِ حولَ فندقِ معمور، ووضعَ المجموعةَ الثَّالثةَ شرقاً في بولي قندهاري مقابلَ مدرسةِ محمد آغا الثَّانوية. وامتدَّ الكمينُ لمسافةِ كيلومترين. وفي هذا الوقت، كنتُ نائبَ القائدِ الرَّاحل (حياة)، متولياً قيادةَ مواقعِ بولي قندهار.



بندقية موسن

بندقية إنفيلد

[19] هي بنادق طويلة أو قصيرة من طراز M1891/30 مكنظمة روسية/سوفييتية عيار رصاصها 7.62*54. استخدمت في الحرب الروسية اليابانية والحربين العالميتين الأولى والثانية. ومعظمُ طرازاتها مزودةٌ بحربةٍ قابلةٍ للطي. والمدى الأقصى للبندقية 2000 متر، بينما المدى الفعال 400 متر. وكان المجاهدون في أفغانستان يسمونها راميات الخمسة.

[20] هي بنادق مكنظمة بريطانية 303. وكانت البندقية المعتمدة للمشاة البريطانية من عام 1895م حتى الحرب الكورية. وخدمت على نطاقٍ واسعٍ في الجبهة الشمالية الغربية (في أوروبا)، وكانت البندقيةَ المفضَّلةَ في الهند وأفغانستان نظراً لمداها البعيد وعيارِها العالي. يبلغُ المدى الأقصى للبندقية 2240 متر، بينما المدى الفعَّال 800 متر. ولها مخزنٌ يحملُ 10 رصاصات، ومن الممكن أن تحملَ رصاصةً إضافيةً في بيتِ النَّار، فسمَّاها المجاهدون في أفغانستان راميات ال 11.

أَمَرَ القائدُ (حياة) أنْ تكونَ بدايةَ الهجومِ عندَ وصولِ نهاية الرَّتل إلى آثارِ بني شير أفغان، ثمَّ جاء رتل الجيش الأفغاني المؤلَّف من حوالي 100 عربةٍ تحملُ الأطعمةَ والذَّخائرَ والوقود. وكان من بينها عددٌ غيرُ قليلٍ من صَهاريجِ المشتقات النفطية (POL)، فتَركناها تمُرُّ، ومع وصولِ نهايةِ الرَّتل إلى الآثار، بدأنا الهجومَ على نهايةِ الرتل. وفي تلكَ الأيام، كانت حمايةُ القوافلِ ضَعيفةً جداً، وكان الإسنادُ الجويُّ غيرَ كافٍ. ولم يكن هناك أيُّ مقاومةٍ أو ردُّ فعلٍ على هجومِنا من قِبَلِ الرَّتل. حتى أنَّ ناقلاتِ الجنودِ المُدرَّعة (APC)[21] التي كانت ترافقُ الرَّتل كان ردُّها سلبيّاً. فتركنا مواقعَنا وبدأنا في الاقترابِ من الرَّتل، وإطلاقِ النيرانِ أثناءَ تحرُّكِنا، فدمَّرنا معظمَ العربات أو أصبْناها، ولم يكنْ لدينا قتلى، ولا أعرِفُ عددَ قتلى الجيشِ الأفغاني، إلا أنَّنا جَرحْنا العديدَ من السَّائقين الذين أجْلَتْهم الحكومةُ لاحقا. وغادرْنا المنطقةَ فوراً بعد الكمين.

كانت المنطقةُ المحيطةُ بفندقِ معمور مثاليةً للكمين، فاستخدمْناها نحنُ وغيرُنا من مجموعاتِ المجاهدين كثيراً. وفي سبتمبر 1981م، نَصَبْنا كميناً في فندق معمور في بولي قندهاري مقابل المدرسةِ الثَّانوية. وهذه المرَّة، كان يقودُ مجموعةَ فندق معمور القياديُّ الشُّهير في الحزبِ الإسلامي (حكمتيار)[22] الدُّكتور عبد الولي خياط، وكان قائدُ منطقةِ "بولي قندهاري" قائدُنا الرَّاحل (حياة). وكان لدينا حوالي 35 مجاهداً مُسلحينَ ببنادق AK-47 وثلاثِ قاذفات آر بي جي -7، وامتدَّ موقعُ الكمين حوالي كيلومتراً واحداً من الطَّريق. ولدى وصولِ الرَّتل، دمَّرنا اثنتي عَشْرَةَ شاحنةً وتمكَّنَّا من اغتنامِ ثلاثٍ أخرى. وكانت الشَّاحنات الثَّلاث كبيرةً وذاتَ أداءٍ عالٍ وذاتَ محركات من ثماني أسطوانات، وكانت محمَّلةً بالفاصوليا والأرز والأحذيةِ العسكريَّة، ولقد كنَّا بحاجةٍ إلى كلِّ هذه المواد

---

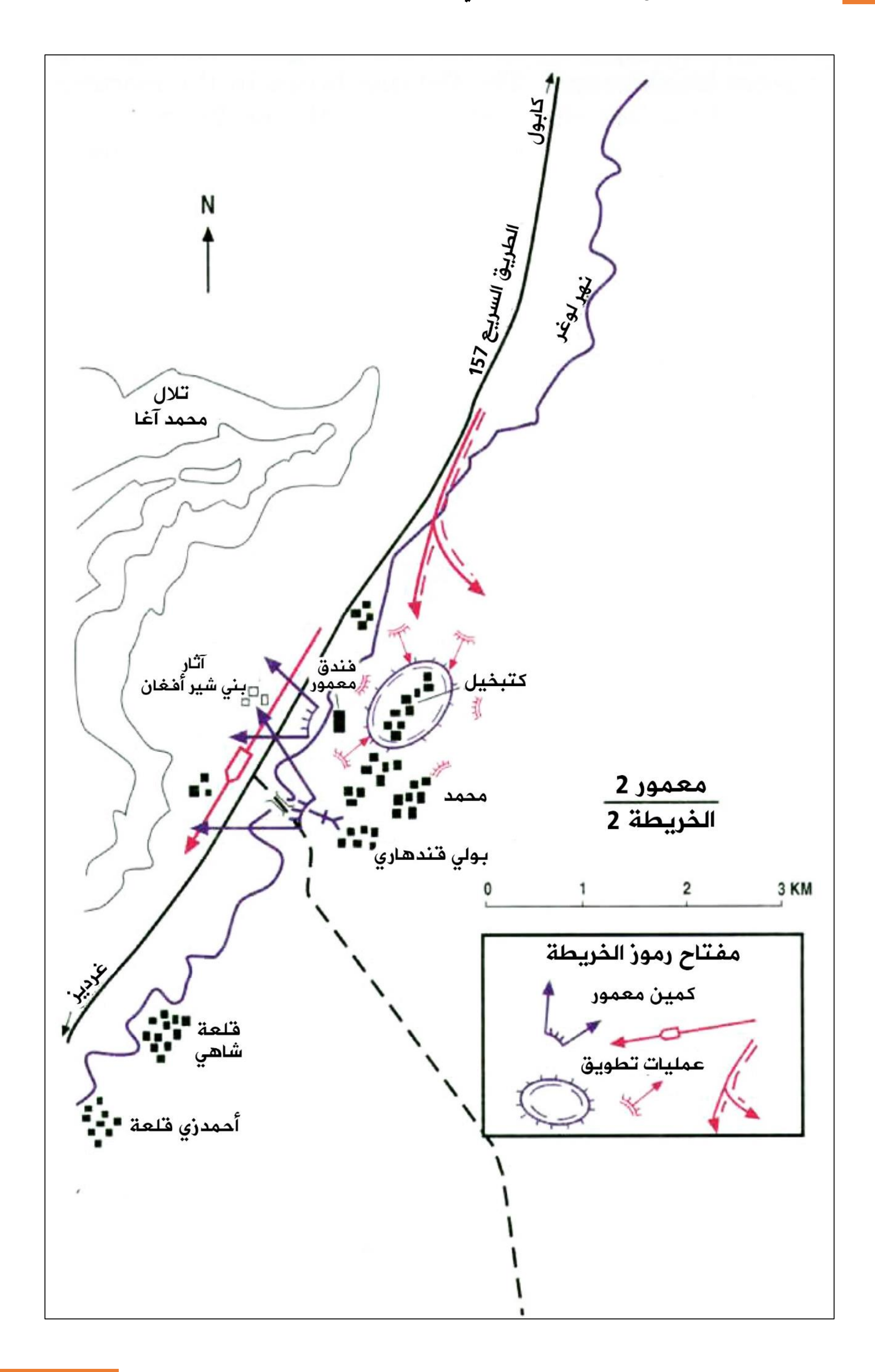
[21] ناقلة الجنود المدرعة هي أيُّ عربةٍ (مجنزرة أو مُدَوْلبة) قتاليةٍ لنقلِ الجنود، وهي سوفييتية المنشأ.

[22] الحزب الإسلامي التابع لقلب الدين حكمتيار، تأسس عام 1974م لقتالِ حكومةِ داوود. وانقسم الحزب بين رباني وخالص مع تأسيسِ كلِّ واحدٍ منهما لفصيله الخاص. ويُعدُّ قائده قلب الدين حكمتيار أصولياً عالمياً. وكان حزبه يتلقى الدَّعمَ من باكستان والولاياتِ المتَّحدةِ والسعودية أكثرَ من أيِّ حزبٍ آخر.

في تلك الأيام. استولينا أيضاً على مدفعين ميدانيين عيار 76 ملم، ومدفعٍ أثقل لا أذكرُ نوعَه أو عيارَه، ولم يكن لدينا أيُّ قتلى من المجاهدين.

في يوليو 1982م، قامَ الطَّبيب الرَّاحل عبد الولي خيَّاط بنصبِ كمينٍ بالقرب من فندق معمور، فدخل رتلٌ سوفييتيٌ - ينقلُ الإمدادات من كابول إلى غرديز - إلى منطقةِ القتلِ في الكمين. وأثناءَ الهجوم، أطلقَ أحدُ المجاهدين قذيفةَ آر بي جي-7 على ناقلةِ جنودٍ مُدرَّعة مُرافقة للرَّتل، فأصابَها وَقفزَ منها ضابطٌ سوفييتيٌ أُصيبَ من القذيفة ثمَّ اختبأ. وأثناءَ الاشتباك، انطلقَ الرَّتل وغادرَ منطقةَ الكمين وتركَ الضَّابط وراءَه. فأطلقَ الدُّكتور عبدُ الولي خيَّاط النَّار على الموقع الذي كان فيهِ الضَّابط السُّوفييتي، ليُرُدَّ الضَّابطُ بإطلاقِ النَّار من بندقية AK-47. ثم واصلَ الطَّبيبُ خيَّاط إطلاقَ النَّارِ وأصابَ الضَّابطَ السُّوفييتي مرةً أخرى؛ هذه المَرَّةُ في يده. فألقى الضَّابط بندقية AK-47 وأخرجَ مُسدَّسه. فألقى الطَّبيبُ خيَّاط قنبلةً يدويةً على الضَّابط فقتلَه. ثمَّ عَبَرَ الطَّريق واغتنمَ بندقيَّةَ AK-47 ومُسدَّسَ الماكروف. وتركَ الجثَّةَ حيثُ كانت ترقدُ وغادرَ المجاهدون موقعَ الكمين.

في اليوم التَّالي، عادَ السُّوفييت في رتلٍ من كابول، ليطوِّقُوا المنطقة ويفتِّشوا المنازلَ المحيطة بمقرِّ مديريَّة محمد آغا وبلدةِ كتب خيل. فتنقَّلُوا من منزلٍ إلى آخر يبحثونَ عن ضابطهم المفقود. وكانَ القائدُ سامح جان (من الحزب الإسلامي) في "كتبخيل" في ذلك الوقت، وهو مَن قامَ بالتَّنسيقِ والتَّنظيمِ لأعمالِ جميع فصائلِ المجاهدين العالقين في الطَّوق، وكانوا قُرابةَ 150 مجاهداً. فبدأَ المجاهدون بالهجومِ على السُّوفييت أثناءَ بحثِهم. وشنُّوا هجماتٍ مباغتةٍ في شوارعِ القرى وأزقّتِها وفي المساحات بين القرى. وكان القتالُ في كثيرٍ من الأحيان من مسافاتٍ قريبة. وبدأَ القتالُ في الصَّباح واستمرَّ لوقتٍ متأخّرٍ بعد الظهر (الخريطة 2 - المعمور 2).


N
كابول
الطريق السريع 157
نهر لوغر
تلال
محمد آغا
آثار
بني شير أفغان
فندق
معمور
كتبخيل
محمد
بولي قندهاري
معمور 2
الخريطة 2
0
1
2
3 KM
مفتاح رموز الخريطة
كمين معمور
عمليات تطويق
غرديز
قلعة
شاهي
أحمدزي قلعة

وقد كانت الخسائرُ السُّوفييتيَّة غيرَ معروفة، لكنَّنا نعتقدُ بأنَّها كانت فَادحة. واستطاعَ المجاهدون اغتنامَ أربع بنادق AK-47. وكانت خسائرُ المجاهدين سبعةَ قتلى، بمن فيهم سامح جان. ومعظمُ القتلى من المجاهدين قد نَفِدَت منهم الذَّخيرة.

واستولى السُّوفييت على أسلحة المجاهدين القتلى بما في ذلك بعضُ بنادقِ AK-47، ومدفعٌ رشَّاش (غوريونوف)[23]، وقاذفُ آر بي جي -7، وعددٌ قليل من بنادق AK-47 التي تمَّ اغتنامُها من السُّوفييت في الماضي.

وعندما انخرطَ السُّوفييت في القتال، توقَّفُوا عن عمليَّة البحث. ومع حلول الظَّلام، انسحبَ السُّوفييت إلى كابول حاملينَ قتلاهم. وقد عثرُوا على جثَّةِ ضابطهم الذي قتلَه الطَّبيبُ خيَّاط في اليوم السَّابق. وكان لا يزال يرقدُ حيثُ قُتِلْ.

[23] الغوريونوف Goryunov SGM M-49 رشاشٌ ثقيل استعملَه الجيشُ السُّوفييتي منذ الحرب العالمية الثانية، وتخدم طرازاتٌ مطورةٌ منها إلى الآن في الجيش الروسي. ويعملُ الرشاشُ بالغاز ويتم تبريده بالهواء، ويُوظَّف على مستوى السرية، عياره 7.62 ملم، وله قواعدُ ثابتة ومدولبة. وسرعةُ إطلاقه 650 طلقةً في الدقيقة ومداه الأقصى 2500 مترٍ بينما المدى الفعَّال 1000 متر.

المقالة الثَّانية: كمينٌ آخرٌ قرب فندق معمور

رواية: "تورِيالاي همة"[24]

قاتلَ الفوجُ المتنقّلُ الذي كنتُ أعمل فيه في العديدِ من ولاياتِ أفغانستان أثناءَ الحرب. وإحدى معارِكنا كانت في مديريَّة محمد آغا في ولايةِ لوغر، حيثُ كانَ قد بدأَ الجهادُ فيها بالهجومِ على الأرتالِ بين غرديز وكابول، وَوَقعت هذه المعركة في 8 يوليو 1986م. وكانت عملاً مشتركاً مع مجاهدي الحزبِ الإسلامي تحتَ قيادةِ الدكتور عبد الولي خياط، وتمَّ نشرُ هذا العمل على وسائلِ الإعلام. وكان كميناً صغيراً تضمَّن 13 مجاهداً مسلَّحين بقاذِفيَ آر بي جي -7 ومدفعٍ رشاشٍ من طراز PK وعشرةِ بنادق AK-47. وكان سبعةٌ من المجاهدين من رجالي وستةٌ منهم كانوا يَتبَعون للحزبِ الإسلامي.

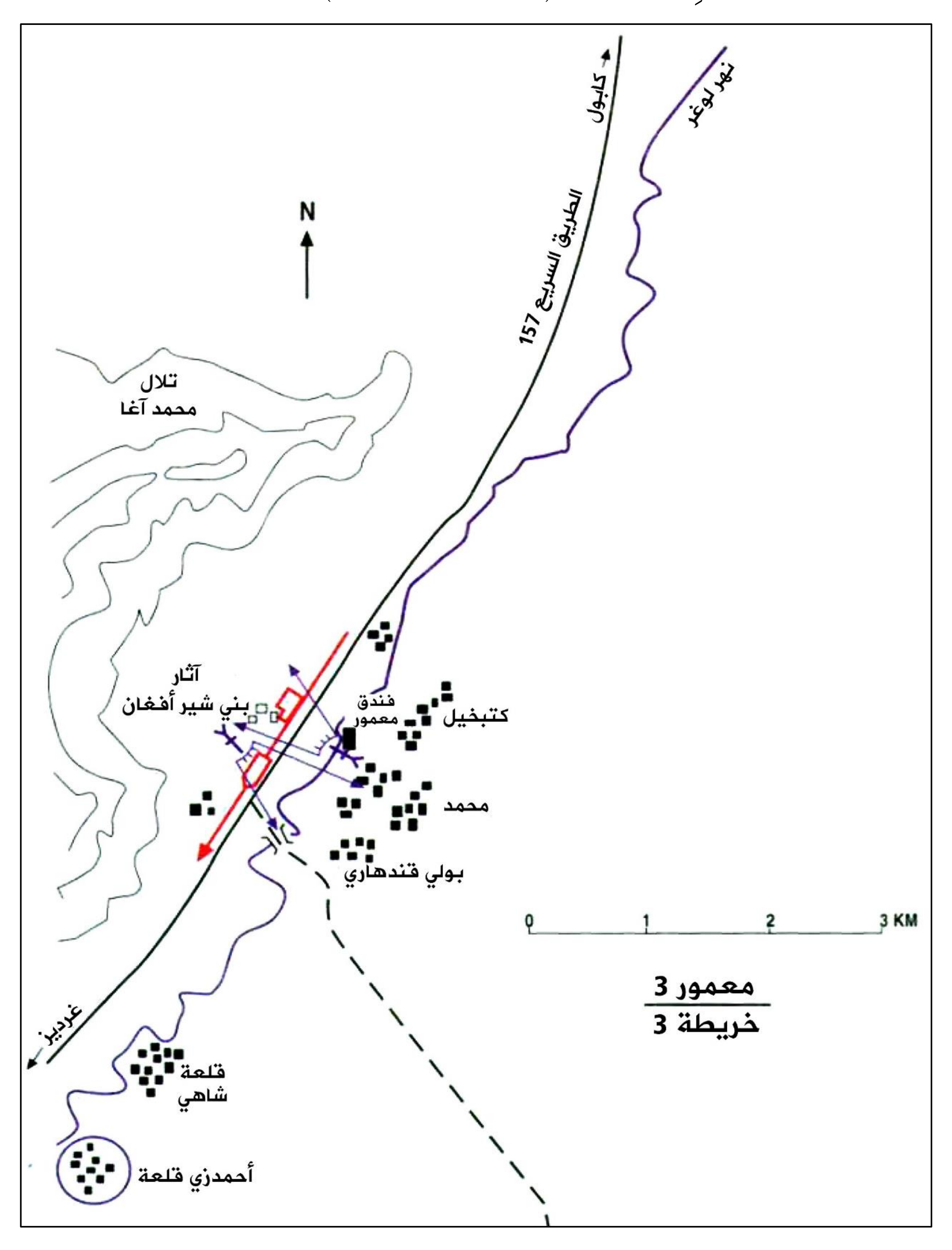
ونَصَبْنا الكمين في "كتب خيل" بالقربِ من فندق معمور الذي يقعُ بجوارِ الطَّريق السَّريع الرَّئيسي، وقسمتُ القوَّةَ إلى مجموعتين، فوضعْتُ مجموعةً من ستةِ رجالٍ على الجانبِ الشَّرقي من الطَّريق على طولِ ضِفَّةِ نهرِ لوغر. وعند هذه النُّقطة، يَبعدُ النَّهر حوالي 40 متراً عن الطَّريق وينخفضُ بنحو مترين عن الأرض المحيطة، وكانَ هذا الموقعُ بجوارِ الفندق. وَوَضَعت مَجُوعتي المكوَّنة من سبعةِ رجالٍ على الجانبِ الغربيِّ للطَّريقِ على أرضٍ مرتفعة. ويقعُ هذا الموقعُ إلى الجنوبِ من الموقع الأوَّل بمسافةٍ قريبة، على بُعد حوالي 150 متراً من الفندق. وَتُعرَفُ الأراضي المُرتفعة بين السُّكان المحليين باسم غومبازو مازغوني. وكانَ هناكَ قاذفَ آر بي جي-7 في كِلا الموقعين. ولقد أَوعَزْنا للمجموعةِ أنَّه إذا جاءَ رتلٌ من كابول، فإنَّ المجموعة الأبعد (المجموعةُ الغربيَّة على الأرض المرتفعة) تطلقُ النَّارَ أولاً لاستدراجِ الرَّتلِ إلى منطقةِ القتل. وستكونُ هذه إشارةً إلى الموقع النَّهري (الشَّرقي) لبدءِ إطلاقِ

---

[24] "توريالاي همة" هو قائد فوج متنقلٍ تابعٍ للاتِّحاد الإسلامي التابع لسيَّاف. وقاتلَ في العديد من الولايات الأفغانية عبر الحرب. [Map sheet 2885, vic grid 10861

أما الاتحاد الإسلامي لتحريرِ أفغانستان (IUA)، فقد أسَّسَه "عبد رب الرسول سياف" وهو حزبٌ أصولي.

النَّار. وكُنَّا قد أعدَدْنا مواقِعَنا الأرضيَّة المرتفعة في خندقٍ غير مُشاهدٍ من جِهة الطَّريق، ويبعدُ حوالي 200 متراً عنه. وقُمْنا بتمويهِ مواقعنا جيداً (الخريطة 3 - المعمور 3).



كانت قاعدتُنا على بُعدِ ثلاثِ كيلومترات جنوبَ شرقَ "محمد آغا" وجنوبَ قريةِ "قلعة شاهي" بالقربِ من "أحمدزي كالا". تحركنا من أحمدزي كالا في مُنتصفِ الليل. واستغرقنا ساعةً واحدةً للوصولِ إلى موقع الكمين، حيثُ كنت مع المجموعةِ الغربية، وأخذْنا مواقعَنا في الخندق. وفي ذلك الوقت، كان هناك قتالٌ في ولاية "بكتيا" مديرية "جاجي" وكان العدوُّ قد أرسلَ تعزيزاتٍ إلى المنطقة. وفي الصَّباح، جاءَ رتلُ التَّعزيزات هذا، ففتحْنا النِّيران لدى وصولِه إلينا ثمَّ فتحَ موقعُ الكمينِ الشرقي النِّيرانَ أيضاً، فتمَّ تدمير/إصابة عربتين مدرَّعتين وثلاثَ سياراتِ جيب وثماني شاحنات. وقد عادت بعض الشَّاحنات إلى كابول بينما تُرِكَت شاحناتٌ أخرى. وكانت بعضُ الشَّاحنات المهجورة سليمةً خارجَ منطقة القتل، وكان القَتلى والجَرحى ممدَّدينَ على الأرض، ولم تُتْرَك سوى المركباتِ المتضرِّرة في منطقةِ القتل، ولم يكن لدينا قتلى.

عَثرنا في إحدى سيَّارات الجيب على عددٍ من أجهزةِ الإسقاط. واغتنمْنا أيضاً 11 بندقيةً من طراز AK، ومُسدسين، ومِدفعَ رشاشٍ ثقيلٍ (كان مُثبَّتاً على عربةٍ مدرعة). وحملنا ما في وُسعنا من الغنائم ثم قَسمْناها فيما بيننا. فأخذ الحزبُ الإسلامي جميعَ أجهزةِ الإسقاط. ثمَّ غادرْنا وذهبْنا إلى "وزير قلعة" على بعدِ أربعةِ كيلومترات. ثمَّ جاءت المِروحيَّاتُ الهجومية وأطلقَتِ النِّيران على مواقعنا القديمة. كما جاءت أربعُ مروحياتٍ سوفييتيَّةٍ وأخلَت القتلى والجرحى. وبقينا في "وزير قلعة" لمدَّةِ ساعتين أو ثلاث. وكانت المروحيات تقصفُ وتضربُ المواقع كلَّ هذا الوقت. وفي وقتٍ متأخرٍ بعدَ الظهر، عندما هدأ الجو، عُدنا إلى المنطقةِ للبحثِ ومعرفةِ ما تبقى. فأزلنا المدافعَ الرَّشاشة الثَّقيلة وأجهزةَ الإسقاط وقتَها. وأوقفْنا حافلةً عابرةً وطلبْنا من ركابِها أعوادَ ثِقاب. في البدايةِ رفضُوا لعدمِ رغبتِهم في مساعدتِنا، لذا فتَّشنا جيوبَهم (قسراً) وحصلْنا على بعضِ أعوادِ الثِّقاب وأضرمْنا النِّيران في العربات المتضرِّرة. وبعد يومين، أرسل السُّوفييت قوةً لتفتيشِ مواقعِنا القديمة. من بينِ الرِّجالِ 13 الذين نفَّذُوا الكمين، لم ينجُ من الحرب إلا أنا وباريالي وآصف من الحزب الإسلامي.

التَّعليق:

وضعَ كلٌّ من السُّوفييت والمجاهدين أنماطاً (في العمل). فالمجاهدون كانوا يستخدمون فندق معمور كموقعٍ للكمين مِراراً وتكراراً، ولكن يبدو أنَّ السُّوفييت أو الجيشَ الأفغاني نادراً ما كانوا يترجَّلون لتفتيشِ المنطقة لإفسادِ الكمين أو القيامِ بكمينٍ مضاد. وهذا المثالُ الأخير هو من عام 1986م، ومع ذلك يبدو أنَّ السُّوفييت لا يتعلَّمون ولا يكتسبونَ الخِبرة. فالإسنادُ الجويُّ بطيء، ونيرانُ المِدفعيَّة غيرُ متاحةٍ، ولا توجدُ قواتٌ احتياطيةٍ للتحرك ضدَّ الكمين. ويفتقر السُّوفييت أيضاً إلى الدَّوريات الهجوميَّة، والقوَّاتِ المدرَّبة خصيصاً لمكافحةِ الكمائن، كما يفتقدونَ أيضاً للمعلومات الاستخباراتية السَّريعة لمكافحةِ الكمائن. وتشتملُ الإجراءات التشغيليَّةُ القياسيَّةُ للجيشِ السُّوفييتي والأفغاني لمكافحةِ الكمائن على دوريَّاتٍ جويةٍ تسبقُ الأرتال، ومهندسينَ يمسحونَ الأرضَ أمامَ الأرتال ويبحثونَ عن الألغام، وفي بعض الأحيان، يستخدمونَ العرباتِ المدرَّعة في مُقدمة الأرتالِ والمركباتِ المدرَّعة المتوزِّعة في جميع أنحاء الرَّتل، وقد يستخدمون أيضاً قواتٍ كبيرةٍ لحمايةِ مؤخراتِ الأرتال. وبمجرَّدِ وقوع الكمين، تردُّ المركباتُ المُدرَّعة الموجودةُ في الرَّتل على النِّيران، بينما تحاول العرباتُ ذات التَّدريع الخفيفِ الخروجَ من منطقةِ القتل. ونادراً ما تقومُ قوات الكمين بالتَّرجل لتطهيرِ موقعِ الكمين ومطاردةِ مجموعاتِ الكمين.

قامَ المجاهدون بتغييرِ موقعِ المكمَن ضمنَ موقعِ الكمينِ نفسِه. وكان شغلهم الرَّئيسي هو ضربُ الرَّتلِ في أضعفِ نقطةٍ له -عادةً في الوسط أو المؤخّرة- إلا إذا كانَ الغرضُ هو حصرُ الرتل. وفي معظمِ الكمائن، تمكن عددٌ صغيرٌ من المجاهدين الذين يتمتعون بقدرةٍ كبيرةٍ على الحركةِ من التَّنقلِ والهجومِ مع دعمٍ لوجستيٍ قليل، لكنَّهم لم يتمكنوا من خوضِ قتالٍ طويلِ الأمد. وكانت قذائف آر بي جي -7 هي السِّلاحُ الأكثرُ فعالية للمجاهدين. وعند استخدامِها من مسافاتٍ قريبةٍ مع تحقيقِ عنصر المفاجأة، كان أثرُها مدمّراً.

في هذه المنطقة، احتلَّت كمائنُ المجاهدين جبهةً عريضةً جداً. وكان ذلك نتيجةً للتَّضاريسِ المفتوحةِ والمباعدة بين عرباتِ النَّقل. فقد كانت الإجراءاتُ التَّشغيليَّةُ القياسيَّةُ للأرتال SOP تفرضُ مباعدةً

في المسافات بين العربات مقدارُها 100 مترٍ أو أكثر. فكان على المجاهدين أنْ يشكِّلُوا منطقةَ قتلٍ أكبرَ بكثيرٍ من تلك التي تستخدمُها معظمُ الجيوشِ الغربية، لغرضِ إدخال عددٍ كافٍ من عرباتِ العدوِّ إلى منطقةِ القتلِ بحيث يكونُ الكمينُ مُجدياً ومُستحقاً للجهود.



المقالة الثَّالثة: كمينٌ في جنوب مضيق "تانغي واغجان"

رواية "الحاج سيد محمد حنيف"25

في مايو 1981م، انضمَمْنا إلى مجاهدين آخرين في كمينٍ في مديرية كلنغار بولاية لوغر (الخريطة 4 - لوغر). كنَّا مجموعةً من 11 مجاهداً مسلَّحةً بقاذف آر بي جي -7، وسبع بنادق كلاشينكوف، وبُندقيَّتي إنفيلد. وصلْنا إلى المنطقةِ في اللَّيلةِ السَّابقةِ للكمين، وبتْنا في إحدى القرى، ثم قمنا في صباح اليوم التالي بإنشاء موقعٍ لكمينٍ شمال مقر مديرية كلنغار. وقد بُلغَنا مسبقاً أنَّ هناك رتلٌ قادمٌ من كابول إلى غرديز، فكانَ لدينا وقتٌ كافٍ للإعداد خلال النَّهار قبلَ وصولِ الرَّتل، لأنَّ القوافلَ كانت تغادرُ كابول دائماً في الصَّباح بعد الفجر بفترةٍ طويلة. تقعُ كابول على بعدِ حوالي 50 كيلومتراً شمالَ موقعِ الكمين. وقد وضعْنا موقعَ الكمين جنوب مضيقِ تانغي رغجان مباشرةً. وهناكَ، يجري النَّهر "ليجري" بموازاةِ الطَّريق، ويتوجَّبُ على المسافرين المناورة، في الوقت الذي يتوفَّرُ فيه للثوار مواقعُ جيدةٍ لإطلاق النَّار.



[25] الحاج سيد محمد حنيف من ولاية لوغر. Map sheet 2885, vic grid 06741

كان لدينا عمودٌ كهربائيٌّ مُحطمٌ، فقمْنا بوضعِه كحاجزٍ على عرضِ الطَّريق. ووضعْنا موقعاً للملا لطيف[26] رامي الآر بي جي، ووضعْنا أيضاً مجاهدَيْن آخرَيْن على حافةِ النَّهر في موقعَيْن مختلفَين، وأنشأْنا بقيَّةَ مواقعِنا، ثمَّ ذهبْنا إلى بعضِ المنازلِ القريبةِ لتناولِ الإفطار. وفي ذلك الوقت، كنَّا نتمتَّع بشعبيةٍ كبيرةٍ بين السَّكان لدرجةِ أنَّه لم يكن لدينا ما يدعو للقلق بشأنِ الإمدادات، فقد كان النَّاس دائماً يطعمونَنا في منازِلهم أو يرسلون لنا طعاماً جاهزاً، حتى أنَّ الملا لطيف كان يتركُ القاذف في موقع الكمين لثقتِه بأمانةِ النَّاس الذين كانوا يتحرَّكون حولَه دونَ التعرُّضِ له.

بينما كنَّا نستمتعُ بوجبةِ الإفطار، هرعَ بعضُ الأشخاصِ إلى منزلِنا ليبلغونا بقدومِ القافلة من الشَّمال. وكان هذا حوالي السَّاعة 10 صباحاً. وبينما كنَّا نركضُ إلى مواقعنا، وصلت دبَّابةُ الرتلِ الرَّائدة إلى حاجز الطَّريق، فأوقف سائق الدَّبابة عربَتَه، وخرجَ منها وأماطَ الحاجز عن الطَّريق، ثمَّ عاد مرةً أخرى إلى دبَّابته ومرَّ بجانب الحاجز في الوقت الذي وصلنا فيه إلى مواقعنا للتو. وكان الملا لطيف يتنفَّس بصعوبةٍ لدى التقاطِه قاذف الآر بي جي-7، فأطلق قذيفةً على الدَّبابةِ التَّالية، ليخطئ في هذه الرَّمية. ثمَّ أعادَ تلقيمَ القاذف، وأطلق قذيفةً أخرى ليخطئ من جديد، فقد كانَ لا يزالُ يتنفَّسُ بصعوبةٍ مما يمنعه من الإصابة بدقَّة. ثمَّ لقَّم القاذف مرةً ثالثة، وقفزَ من موقعِه وهرعَ إلى الطَّريق وقعد في منتصفِ الطَّريق، ثمَّ رمى قذيفةً على الدَّبابة هذه المرَّة من مسافةٍ قريبة، ليصيب الدبَّابة، وتشتعلُ فيها النيران. في تلك اللَّحظة كان الرَّتل يحاولُ الخروج من مضيق تانغي أرغجان، إلا أنَّ الدَّبابة المحترقة منعت هذا الأمر وأوقفت الرَّتل، لأنَّه لم يكن هناك مجالٌ للمناورة أو المرور. فهرعت أعدادٌ أخرى من المجاهدين من مناطقَ ومجموعاتٍ أخرى إلى مكان الكمين، وصعدُوا جانبي المضيق حتَّى وصلُوا قربَ الرَّتل المُحاصَر وبدؤوا في إطلاق النِّيران على العربات.

لم تكن هناك مقاومةٌ كبيرةٌ من قِبَلِ قافلةِ الإمداد. وكان الرَّتلُ يضمُّ ما بين 150 إلى 200 شاحنةٍ مليئةٍ بالعديدِ من الموادِ مثلَ الأطعمة والأثاث. فأخذنا كلَّ ما استطعْنا حملَه. وجاءَ مئاتُ المجاهدين لينهبُوا الرَّتل. واستولت مجموعتُنا على 15 شاحنةً، لننحازَ أخيراً إلى قاعدتِنا في وادي دورو، بعد أنْ

[26] قُتِل الملا لطيف فيما بعد خلال الحرب.

أحرقنا العربات التي لم نتمكن من نقلِها، ثمَّ غادرنا المنطقةَ في حوالي الساعة 1 بعد الظهر. وبعد أنْ انتهينا، جاءَت المروحيات والطَّائرات وقصفَت بعضَ المناطقِ المحيطة بموقع الكمين. وعلى الرُّغم من أنَّنا قد غفلْنا عن العربة الرائدة لدى وصولِها لموقع الكمين، فقد انتهى الأمرُ على نحوٍ طيب.



هناك سببٌ لعدمِ وجودِنا في مواقعِنا لدى مجيءِ الرَّتل. فقبل أيِّ كمينٍ، كنَّا نختارُ مواقعَ الكمائن الخاصَّة بنا ونعدُّها، لكنَّنا لا نجلسُ فيها وننتظر، لأنَّ المروحيات تحلِّق دائماً فوق الطَّريق سابقةً القافلة بحثاً عن الكمائنِ وحواجزِ الطُّرق. وفي العادة، لا نقومُ بوضع الحواجزِ إلا بعدَ انتهائِها من التَّحليق المنخفض، لكن لسببٍ مَا فعلنا هذه المرَّة. وكان تَحليقُ المروحيَّات بشكلٍ منخفضٍ يُمثّلُ الإنذارَ المعتاد بالنسبة لنا بأنَّ القافلة قادمةٌ، ويمثِّلُ إشارةً لنا لوضع حواجزِ الطَّريقِ واتِّخاذِ مواقعنا. لكن في هذه المرَّة بالتَّحديد، لم تقم المروحيات بمسح الطَّريق أمام القافلة. وعلِمتُ فيما بعد لماذا غابت المروحيات. لقد كان رئيسُ جمهوريَّةِ أفغانستان الدَّيمقراطية بابراك كرمال، متجهاً إلى موسكو في ذلك اليوم، ولهذا السَّبب فَرضت الدَّولة "منطقةَ حظرٍ للطَّيران" فوق كابول. وكان هذا يعني بأنَّ المروحيات إما كانت رابضةً في المطار أو مضطرةً للتَّزودِ بالوقود في غزني. ولم تكن المِروحيَّات متاحةً في ذلك الوقت للقيام بعملية المسح.

التَّعليق:

كان المجاهدون يُسارعون في مراقبةِ الأنماطِ والإجراءاتِ التَّكتيكيَّة التي يستخدمُها السُّوفييت والجيشُ الأفغاني، ثم يعتمدونَ على دراستِها كأساسٍ للتعاملِ مع العدو. ونتيجةً لذلك، كانت ردودُ فعلِ المجاهدين على هذه الأنماط في كثيرٍ من الأحيان نمطيَّةً أيضاً، ولكن من الواضح بأنَّ العساكر السُّوفييت والأفغان لم يلاحظوا دائماً أنماطَ المجاهدين أو يضمنُوا بأنَّ القادة التَّكتيكيين ذوي الصِّلة قد حصلوا على المعرفةِ اللازمة. وفي هذه الحالة، يُعدُّ المضيقُ المذكور نقطةَ خنقٍ واضحةٍ ومنطقةَ كمينٍ معروفة. وكانَ من المُفترضِ على قائدِ القافلة أنْ يرسلَ عناصرَ الاستطلاع/التَّأمين أمامَ القافلة لتأمينِ مدخلِ المضيق والأرضِ العالية والمخرجِ قبلَ مجيءِ القافلة إلى المضيق، لكنَّه لم يفعل ذلك. بل إنَّ الدَّبابة الرائدة قد رصدَت حاجزَ الطَّريق وأزالته، وقد كان من المفترضِ أن يمثِّلَ هذا تحذيراً كافياً، لكنَّ قائدَ القافلة كان قد أدخلَ جزءاً كبيراً من القافلة في المضيق.

اعتماداً على الفاصلِ بين العربةِ الأولى والرَّتل، وقدرةِ القائدِ على منع القافلة من الاكتظاظ، ربما كانت ستعلق 70 إلى 150 عربةٍ في المضيق الذي يبلغُ طولُه ثلاثُ كيلومترات. إلا أنَّ السَّائقين كانوا معتمدين على القوَّةِ النَّارية لإنقاذِهم، لكنَّ القافلة لم تمكن من استخدامِ القوَّة النَّاريَّة لإنقاذِ نفسِها.

للمروحيَّات دورٌ مهمٌ في أمنِ القوافل، ليس فقط كطليعةٍ، ولكن كقوّةِ ردٍ سريعةٍ وكقوَّة نقلٍ لتحريكِ العناصرِ الأمنية من قطعةِ أرضٍ مرتفعةٍ حاكمةٍ إلى أخرى. فعدمُ وجودِ المِروحيات حَرَمَ القافلةَ من التَّحذيرِ وقوة النِّيران اللازمة. بينما احتاجَ المجاهدون إلى أجهزةِ الراديو وحارسٍ لإنذارِ قوَّاتِ الكمين على اقترابِ القوافل والطَّائرات. وفي هذه المرحلةِ من الحرب، كان عددٌ قليلٌ من المجاهدين لديهم اتصالاتٌ لاسلكيةٌ تكتيكيَّة.

المقالة الرَّابعة: كمينٌ في "كانداي"

رواية: الدَّكتور محمد صادق27

لقد حاربنا الأفغان الشُّيوعيين والسُّوفييت من أجل السَّيطرة على وادي "كُنَر". تقع هذه المنطقةُ على الحدودِ مع باكستان، وهي مليئةٌ بالجبال والغابات. يبلغُ ارتفاعُ العديدِ من هذه الجبالِ أكثرَ من 5000 مترٍ، كما أنَّها تُغطَّى بالثُّلوج طوالَ العام. عمِلنا على طولِ نهر كنُر ضمنَ مديرية "شِيوَه". فهناك لم تكن الجبالُ مرتفعةً مثلَ باقي المناطق، والتُّضاريسُ الرَّئيسيَّةُ فيها هي نهر كنر والطُّريق السَّريع الذي يوازيها. في سبتمبر 1982م، نصبْنا كميناً لرتلِ إمدادٍ كانَ يسافرُ من جلال آباد إلى كنر (الخريطة 5 - كانداي). كان طولُ الرَّتلِ حوالي ثمانيةَ كيلومترات. وكان لديَّ مجموعةٌ من 22 مجاهداً، والمجموعةُ ككلٍّ مسلحةٌ بقاذفي آر بي جي -7، وأربع بنادق كلاشنكوف، و16 بندقية من طراز إنفيلد.

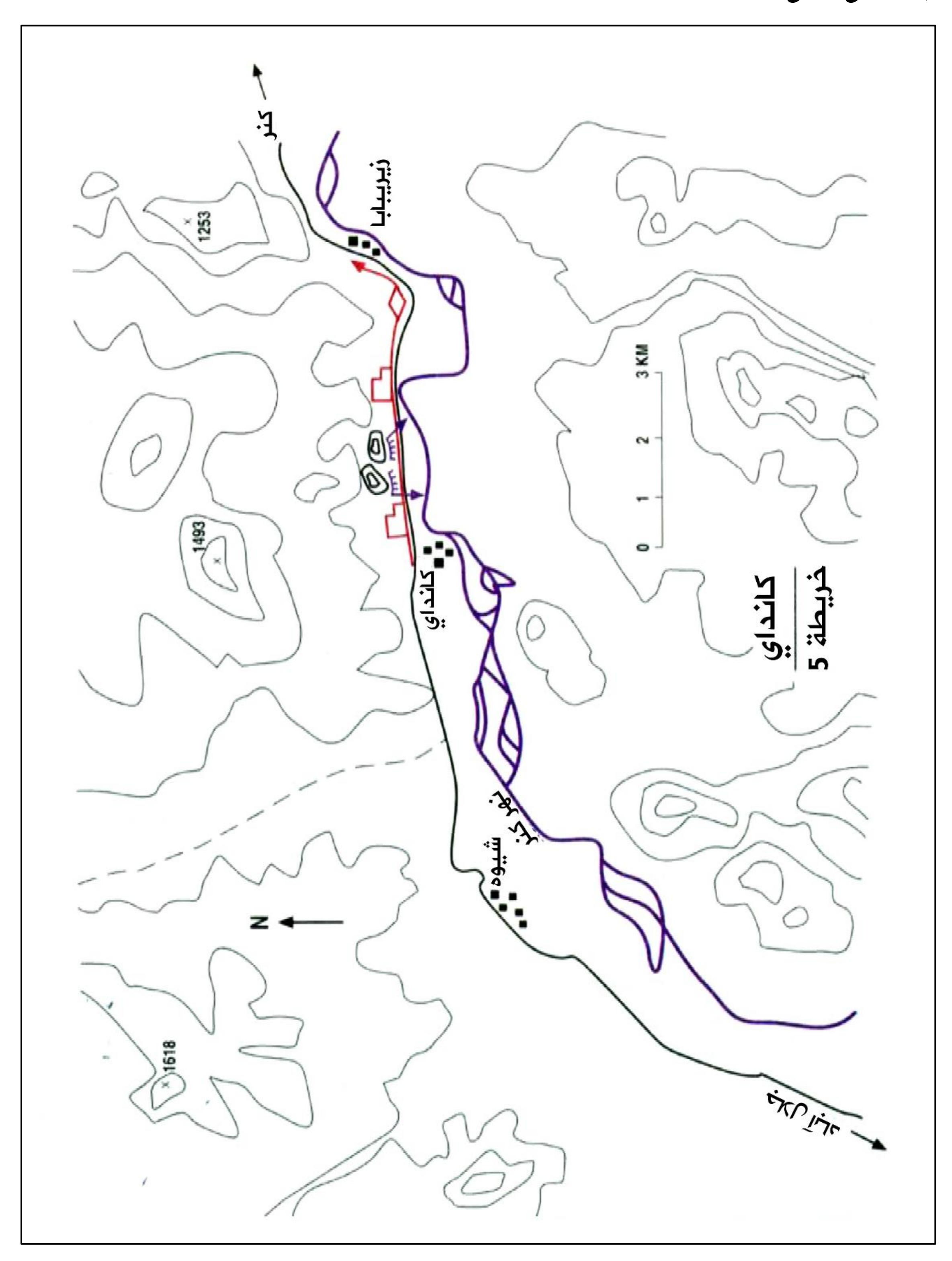


قمتُ بإعدادِ الكمين ووضعِه على الأرضِ المرتفعة شمالَ نهرِ كنر في كانداي. وقسَّمت قوَّتي إلى مجموعةِ إسنادٍ ومجموعةِ كمينٍ وهجوم. كانت مجموعةُ الإسناد تتركزُ على أرضٍ مرتفعةٍ، بينما كانت مجموعةُ الكمينِ

27 الدكتور محمد صادق كان قياديَّاً في الحزب الإسلامي لولاية كنر.

[Map sheet 3186, vie grid 5328]

والهجومِ تمركزُ تحتها بجوار الطَّريق. وعندما جاءَ الرَّتل، تركَاه يَمر، فقد كنتُ أرغبُ بالهجومِ قبل نهاية الرَّتل بقليل.



وعندما وصلَ رأسُ الرَّتل إلى "زيريبابا"، التي تبعدُ ستَّ كيلومترات شمالَ شرقَ كانداي، أشارَ لنا أحدُ عناصرِ التماس بوصولهم. ففتحْنا النِّيرانَ على الرَّتلِ باستخدامِ قذائفِ الآر بي جي. فانحرفَتْ عربةٌ مدرعةٌ وتركَتِ الطَّريقَ لترميَ النَّار علينا. فاصطدَمت بلغمٍ مضادٍ للدبابات كنَّا قد زرعْناهُ هناك. فأتبعْناها أيضاً بقذيفة آر بي جي-7. وأصبْنا أيضاً شاحنةَ زيل. فكانت النَّتيجة أن انقسمَت القافلة، ليذهبَ نصفُها إلى كنر ويرجعَ الباقي إلى جلال أباد. لم يكن لدينا ما يكفي مِن القوَّةِ النَّاريَّةِ لمواصلة القتال، لذلك انسحبْنا. وبالإضافةِ إلى العربةِ المدرَّعة والشَّاحنة، قتلْنا ستَّةً من الأعداء. وكان لديَّ جريحٌ واحدٌ من المجاهدين.



التَّعليق:

عادةً ما كان يتمُّ اختيارُ المكانِ الذي سيتمُّ نصبُ الكمينِ فيه لقافلةٍ طويلةٍ انطلاقاً من ثلاثةِ عوامل، وهي:

1. التَّضاريس.
2. والغاية من الكمين.
3. وطرق الهروب.

كان قادةُ قوافلِ السُّوفييت والجيشِ الأفغاني يهتمون في المقامِ الأوَّلِ بعدمِ السَّير في الطُّرقات ليلاً، وبتسليمِ الجزءِ الأكبر من شحنتِهم في الوقت المحدَّد، فلم يكونوا يحبون خوضَ معاركَ طويلةٍ مع العصابات. وبالنِّسبة للعصابات، إذا كانت الأرضُ في موقعِ الكمينِ ضيِّقة جداً، فقد تميلُ العصابات لمهاجمةِ رأسِ القافلةِ وإغلاقِ الطَّريقِ بمزيجٍ من حواجزِ الطُّرق والعربات المحترقة. وإذا كانت القافلة تحتوي على عرباتٍ مُدرعةٍ وعرباتٍ هندسيةٍ مركزةٍ في مقدمة القافلة، فقد تميلُ العصاباتُ لمهاجمةِ منتصفِ القافلة أو مؤخّرتِها على أملِ أنَّ قائدَ القافلة لن يحوِّلَ قدراً كبيراً من قوَّته القتاليَّةِ نحو الخلف للتَّعاملِ مع الهجوم. وإذا كانت العصابةُ غايتُها الإمدادات، فوسط القافلة هو أفضل مكانٍ لمهاجمته في حالِ كان بإمكانه عزلُ قطعةٍ منها لأنَّ معظمَ القوافلَ لديها حرسٌ خلفي. وفي هذه الحالة، كانَ الغرضُ من الكمين هو المضايقةُ والإزعاج، وليسَ الاستيلاءَ على الإمدادات. كان موقعُ الكمين ضيقاً إلى حدٍ ما بسببِ قربِ النَّهرِ والطَّريقِ المشكل من المرتفعات، لكنَّه كان لا يزال يسمحُ للعربات المدرَّعة بالالتفافِ في المنطقة. فقرَّر قائدُ الكمين الهجومَ على موضعٍ قبلَ مؤخرةِ القافلة قليلاً، ليتجنَّبَ الحرسَ الخلفي.

المقالة الخامسة: كمين على طريق جلال آباد - أسعد آباد

رواية المقدَّم الحاج محمد رحيم[28]

يمتدُّ طريقُ جلال آباد-أسد أباد بجوارِ مَصبِّ وادي "بابور" (الذي أطلقنا عليه اسم إسلام دره - وادي الإسلام). كان لديَّ قاعدةٌ في الوادي مع قوَّةٍ قوامُها 150 مجاهداً، وتسليحٍ من مدفعٍ عيار 82 ملم عديمَ الارتداد،[29] وثلاثةِ مدافعِ رشَّاشةٍ ثقيلةٍ من طِراز دوشكا،[30] ومدفعٍ رشاشٍ متوسطٍ من طراز غوريونوف، وخمسِ قاذفاتٍ صاروخيَّةٍ من طراز آر بي جي-7، وبعضِ بنادق كلاشنكوف وإنفيلد.



مدفع بي – 10

قَرَّرتُ في إحدى أيام ديسمبر ١٩٨٤م نَصْبَ كمينٍ عندَ مصب الوادي. فالمنطقةُ مثاليةٌ للكمائن (خريطة 6 - بابور). ويسمحُ مصبُّ الوادي بنصبِ كمينٍ على شكل حرف (U) بمنطقة قتلٍ مساحتُها 1000 متر. ويسمحُ الوادي المشجَّرُ بالهروبِ السريعِ إلى غاباتِ الجبال. وضعتُ المدافعَ الرَّشاشةَ الدُّوشكا على الأرضِ المرتفعة، ووضعْتُ رماةَ الآر بي جي الخمسةَ والمدفعَ عديمَ الارتداد

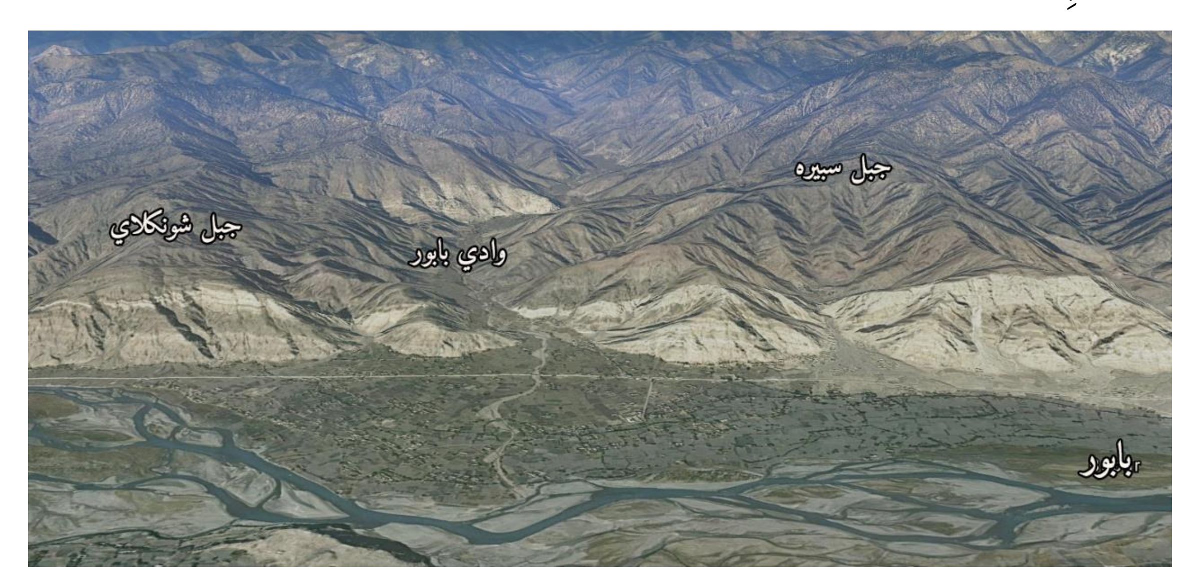
---

[28] كان الحاج محمد رحيم ضابطاً برتبة مقدمٍ في الجيش الأفغاني، وأصبح فيما بعد أحد المجاهدين في ولاية كنر، وقاد مجموعةً من المقاومة الأفغانية فيها. [Map sheet 3186, vie grid 7842]

[29] المركز: الغالب أنَّ هذا المدفع هو مدفع 10 -B.

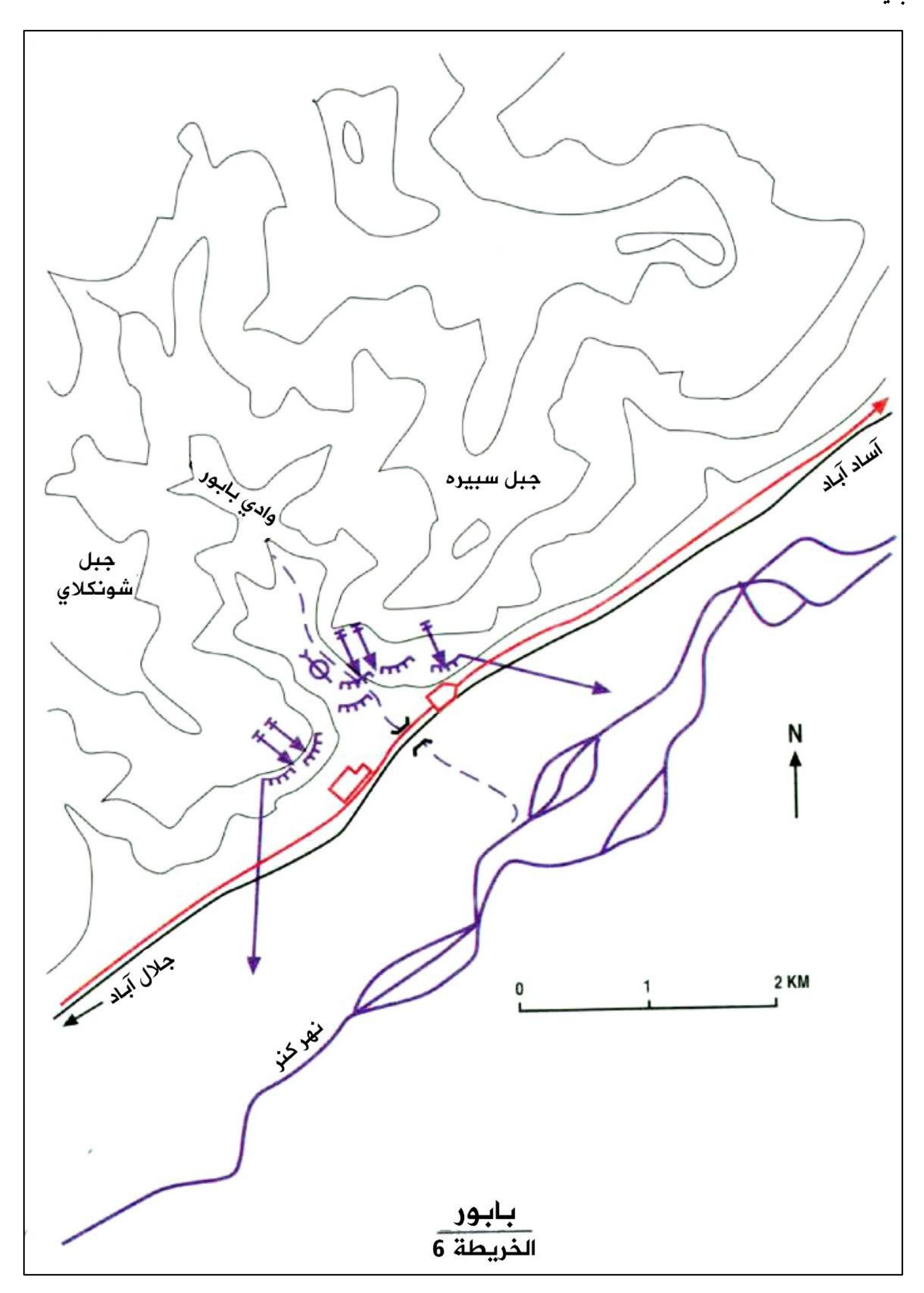
[30] الدوشكا رشاشٌ ثقيل ذو عيار 12.7 ملم سوفييتي المنشأ. وقد كان التسليحَ الرئيسي للعربات المدرعة السُّوفيتية، وهو رشاشٌ فعالٌ ضدَّ الأهدافِ الأرضية والجويَّة. وله دواليب نقل وحوامل ثلاثية الأرجل وحوامل للاستخدام على الجبال للرمايات على الأهداف الأرضية والجوية. وسرعة رميه 540-600 طلقة في الدقيقة، ومداهُ الأقصى 7000 متراً، بينما مداهُ الفعَّال 1500 مترا ضدَّ الأهداف الأرضية، و1000 متر ضد الأهداف الجوية.

بالقربِ من الطريق. وكانت لديَّ ثلاثةُ مواقعَ لقواتي؛ أسفلَ (قُدَّام) جبل "سبيره" المواجهِ للجنوب الغربي، وفي بطنِ الوادي، وفي حافةِ جبل شونكولاي المواجهةِ للجنوب والجنوبِ الشرقي. وضعتُ نفسي بالوسطِ في بطنِ الوادي، حيثُ كان بوسعي التَّحكُّمُ على نحوٍ أفضل في الكمين. وكانت لديَّ حقولٌ جيدةٌ للرمايةِ على جانبي موقعِ الكمين، وقد كانت التَّضاريسُ ضيقةً بحيثُ تمنعُ العدوَّ من تركيزِ النّيران ضدَّ الكمين. كما يمنعُ النَّهرُ العدوَّ من المُناورةِ بفعاليةٍ ضدَّ الموقع، وكانت أيضاً طُرُقُ الانسحابِ مغطاة.



أتت قافلةُ إمدادٍ من جلال آباد، فتركْنا جزءاً منها يمرُّ لنهاجمَ منتصفَ القافلة. ومن ثمَّ، فتحْنا النَّارَ على العدوّ من ثلاثِ اتجاهات. فدمَّرْنا ثلاثَ عرباتٍ مدرَّعةٍ وشاحنةً معبَّأةً بالبطيخ والفواكهِ الأخرى وشاحنةً مليئةً بصناديقِ النقود. وحاولَ بعضُ الأعداءِ الهروب، لكنَّهم حُوصِروا قربَ النَّهرِ الذي يحتوي على العديدِ من القنواتِ في هذه المنطقة. واشتعلت النّيرانُ في شاحنةِ النُّقود واحترقَت بعضُ الأموال، لكنَّنا أخذْنا منها ما بوسعنا، وصرفتُها بعد ذلك رواتباً لجميع عناصري. كما لا يزالُ لديَّ بعضٌ من تلكَ الورقاتِ النَّقدية التي تعرَّضَ جزءٌ منها للاحتراق، ولعلي في يومٍ من الأيَّام سأقومُ بصرفِها مقابلَ بعضِ البضائع المفيدة. حاولَ العدوُّ القتالَ والرَّدَّ والمُناورة علينا، لكنَّه لم يجد أيَّ مواقعَ مواتية. وفي النّهاية، جاءت مِروحياتٌ هجوميةٌ وأرغمتْنا على الخروج من مواقعنا. وكانت طُرقُنا المخفيَّةُ للانسحاب عبرَ الأشجارِ تحمينا من المروحيات. وقد قُتِل "سامح جان هجران" من شكدارة. حيثُ كانَ يعملُ معلماً في المدرسة، كما جُرِح أيضاً أحدُ عناصري. ولم نعرفْ بالتَّحديد خسائرَ العدو،

لأنَّهم قامُوا بإخلاءِ قتلاهم. وفي اليوم التَّالي، جاءَ الجيشُ الأفغاني وسحبَ العربات المدرَّعة المدمَّرة بعيداً.



بابور
الخريطة 6

التَّعليق:

كان المجاهدونَ يعملونَ كمتطوعين دونَ أيِّ أجر، لذلك فقد كانت شاحنةُ الأموالِ نعمةً حقيقية. ولأنَّه قد كانَ يتعيَّنُ على المجاهدين أن يعيلوا أُسَرَهم، كان عادةً ما يتمُّ إعطاءُ جميعِ الأسلحةِ الثَّقيلةِ وخُمسَ غنائمِ الكمين أو الإغارةِ إلى القائد، بينما تُقسمُ البقيَّةُ (الأربعةُ أخماس من الأسلحةِ الخفيفة) بين المجاهدين. كانَ بعضُهم يأخذُ غنائمَ الكلاشنكوف إلى باكستان حيثُ يبيعُها وينفقُ المالَ لمعاشِ عائلته. وقد كانت الحكوماتُ التي تدعمُ المجاهدين تشتري الأسلحةَ من الأسواقِ الباكستانية ثمَّ تعطيها لقادةِ فصائلِ المجاهدين لتوزيعها.

في هذه المقالة، يظهَرُ الاحترافُ العسكري لدى المقدَّمِ رحيم. حيثُ كانَ الكمين الذي نصبَهُ مطابقاً للقواعدِ المَرعيَّة في الكتبِ العسكرية وفعَّالاً للغاية. كما كان باستطاعتِه نسفُ الجسرِ في قلبِ منطقةِ القتل، لكن ذلك كانَ يعني أنَّ طاقماً محيَّاً لإصلاحِ الجسرِ سيكونُ بالقربِ من معسكرِه لفترةٍ غيرِ محدَّدَة من الزَّمن، ممَّا سيعرقلُ حريَّةَ حركتِه.

المقالة السَّادسة: كمين "نوبولا"

رواية القائد "صوفي لال غول"[31]

في ديسمبر 1980م، قُدْتُ مجموعةً من 12 مجاهداً لتنفيذِ كمينٍ على طريقِ كابول-تشاريكار السَّريع في "نو بولا"، بالقربِ من "قرَّه باغ". وكنَّا مسلَّحين ببنادق كلاشنكوف وقاذفتي آر بي جي -7. وقد اخترتُ موقعَ الكمين في مكانٍ توفَّرت فيهِ العديد من البساتين والنَّباتات الأخرى المُتشابكة والمُغطاةِ والواصلةِ إلى الطريق، بحيث توفِّر مواقعَ مموَّهةً لفريقِ الكمين.[32] ارتحلْنا من قاعدتنا في فرزا -الواقعة على بعد حوالي 10 كلم غرب الكمين- قبل وقتٍ طويلٍ من الفجر للوصولِ إلى موقعِ الكمينِ قبلَ شروقِ الشَّمس. ثمَّ نشرْتُ قوَّتي في مكمَنين بالقربِ من الطَّريق، ووضعتُ فريقَ تأمينٍ مكوَّنٍ من ثلاثةِ أفراد على الطَّريقِ الذي يتقاطعُ مع الخطِّ السَّريع الرَّئيسي (الخريطة 7 - نو بولا).

حوالي الساعةِ التَّاسعة صباحاً، وصلَ رتلُ العدوِّ المؤلَّفِ من شاحناتٍ كبيرة وسياراتِ جيب وعرباتٍ مدرَّعة. وبعد مرورِ رأسِ الرَّتل عبرَ منطقةِ قتل الكمين، فتحْنا النِّيرانَ على القافلةِ ودمَّرنا

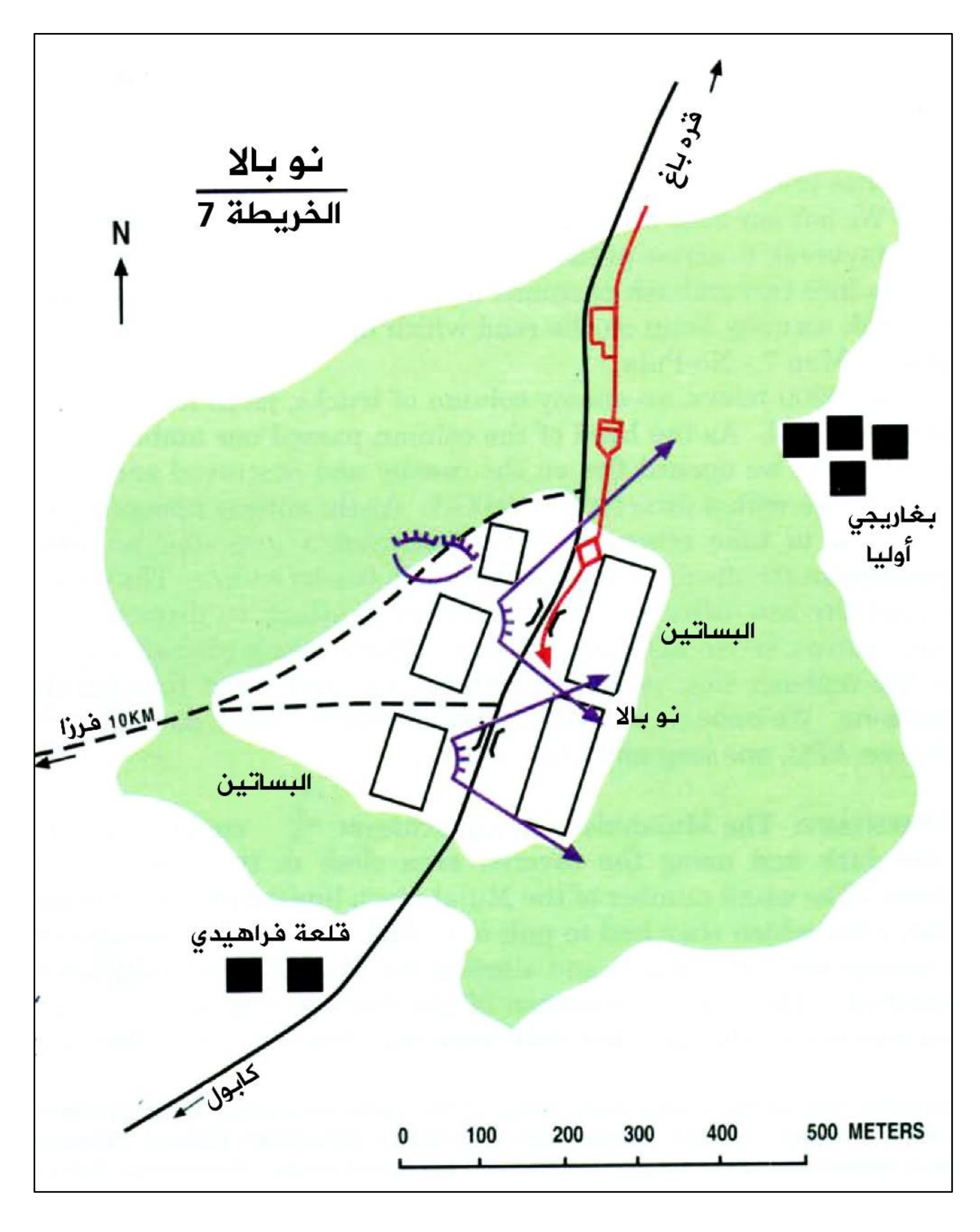
---

[31] كان القائد صوفي لال غول من قرية "فرزا" التابعة لمدينة "مير باشا كوت"، الواقعة على بعد 25 كيلومتراً شمال كابول. وكان تابعاً لفصيل صبغة الله المجددي، والتي كانت تُعرف بجبهة التحرير الوطني الأفغاني خلال الحرب ضدَّ السُّوفييت. ركَّز القائد صوفي جهوده على الطريق السريع بين شاريكار وكابول. [Map sheet 2886, vie grid1356]

جبهة التحرير الوطني الأفغاني (ANLF) أسسها صبغة الله مجددي ويُعد فصيلاً معتدلاً.

[32] المنطقةُ الخضراء: عبارةٌ عن منطقةٍ مرويةٍ سميكةٍ بالأشجار والمحاصيل وقنوات الرّي والنَّباتات المتشابكة. عادةً ما تنمو المناطق الخضراء بالتوازي مع الأنهار وأجزاء من الطرق السريعة، وعادةً ما تكون مانعةً لعبور السَّيارات.

إحدى الدَّبابات الرَّائدة بقذيفةِ آر بي جي-7. وعندما سارعَتِ القافلةُ دونَ جدوى للاحتماء، دمَّرنا سيارةَ جيب وناقلةَ جنودٍ مدرَّعة. وأشعلتِ الانفجاراتُ في العربات المعطوبة النِّيران في بعض الشَّاحنات.



وردَّ العدوُّ بالنِّيران لكنَّه فشلَ في استخدامِ قوَّاتِ المُشاة لمهاجمتِنا مباشرة. واستمرَّ العملُ لمدَّةٍ أقلَّ من ساعة. ثمَّ وصلت طائرةُ العدو فوقَ موقعِ الكمين، فقطعْنا الاشتباكَ وانسحبْنا عبرَ البساتين. ولم تقعْ أيَّةُ إصاباتٍ في صفوفُنا، بينما استطعْنا تدميرَ أو إعطابَ عدَّة آلياتٍ؛ وهي كالتَّالي: دبابةٌ واحدةٌ وناقلةُ جنودٍ مدرَّعة وسيَّارةَ جيب وثماني شاحنات.

التَّعليق:

حقَّقت مجموعةُ المجاهدين عنصرَ المفاجأة عبرَ انتشارِها في آخرِ اللَّيل واستخدامِ المنطقة المغطَّاةِ بالقرب من الطَّريق لنصبِ الكمين. واقتصرَ عملُ المجاهدين نتيجةَ قلَّةِ عددِهم على القيامِ بضربةٍ واحدةٍ، وبعدَ ذلك اضطروا إلى الانسحاب. فيما كلَّفَ الفشلُ في القيامِ بتصرُّفٍ حاسمٍ القافلةَ عدَّةَ عرباتٍ وسمحَ للمجاهدين بالهروب بعيداً عن الأنظار. وكان الرَّدُّ السَّلبيُّ للسُّوفييتيين الذين وقعُوا في الكمائن في كثيرٍ من الأحيان ناتجاً من حملِهم أعداداً قليلةً جداً من المُشاة في ناقلاتِ الجُنود المرافقةِ لهم.

ساعدَ الغطاء الذي توفِّرُه البساتين والنَّباتات التي تحيطُ بجانبي طريقِ كابول تشاريكار السَّريع المجاهدين على وضع كمائنَ ناجحة. وفي وقتٍ لاحقٍ من الحرب، اجتَثَّ السُّوفييت البساتينَ والقرى على جانبِ الطَّريقِ لمنعِ المجاهدين من استخدامِها في كمائنِهم.

المقالة السَّابعة: قافلتان في منطقة القتل

رواية "توريالاي همة"[33]

في صيف 1986م، كانت القوّاتُ السُّوفييتية والأفغانية تنقلُ الكثيرَ من التَّعزيزات والإمدادات إلى ولاية باكتيا. فوضعْنا كميناً على الطَّريق السَّريع ١٥٧ جنوبَ مقر مديرية محمد أغا في ١٢ يوليو. وكان هذا بعدَ أربعةِ أيامٍ من تنفيذِ الكمين في فندقِ معمور. قمتُ بتحديدِ امتدادِ الكمينِ على مسافةِ كيلومترين بينَ قلعةِ شيخاك ودهي ناو. تقعُ قلعةُ شيخاك على بُعْدِ ستةِ كيلومترات جنوبَ محمد آغا، وتقعُ دهي ناو على بُعْدِ ثلاثةِ كيلومترات جنوبَ قلعة شيخاك. وكان هناك موقعٌ للجيش الأفغاني في قلعة شيخاك، لذلك وضعْنا الكمينَ على بُعْدِ كيلومتر واحدٍ جنوبَ الموقع. كانت النُّقطة الأفغانية محاطةً بالألغام ونادراً ما غادرَ الجنودُ الأفغان النُّقطة. وفكَّرت بأنَّهم قد يطلقون النَّار علينا، لكنَّني لم أتوقعْ أن يهاجمونَنا انطلاقاً من النُّقطة (الخريطة 8 - قافلتان).

كان لديَّ 35 مجاهداً. فقسَّمتُهم إلى أربعِ مجموعاتٍ: مجموعةِ احتواءٍ شماليةٍ، ومجموعةِ كمينٍ، ومجموعةِ تأمينٍ جنوبيةٍ، ومجموعةِ إسناد. مجموعةُ الاحتواءِ الشَّمالية تطلقُ النَّار على موقعِ الجيشِ الأفغاني لمنعِهم من التَّدخل في كمينِنَا. بينما تهاجمُ مجموعةُ الكمينِ القافلةَ من مَسافةٍ قريبة. وتحتلُّ المجموعةُ التَّأمينيَّةُ الجنوبيَّةُ موقعاً في "دهي ناو" لحمايةِ الجناح الجنوبي ومنع وصولِ التَّعزيزاتِ من الجنوب. كانت هذه المجموعاتُ الثلاث مسلحةً ببنادق AK-47، ومدافعِ بيكا PK رشَّاشة،[34] وقاذفاتِ الآر بي جي.

---

[33] كان "توريالاي" قائدُ فوجِ القوَّةِ المتنقلة التابع للاتحاد الإسلامي الأفغاني. وقاتل في العديد من الولايات الأفغانية. [Map sheet 3185, vie grid 0680]

[34] البيكا مدفع رشاش سوفييتي على مستوى السرية، وحلَّ محلَّ الغوريونوف. وزنه 16.5 كيلوغراماً، ومداه الفعال 1000 مترٍ. ويسميه المجاهدون رامي 100 لأن مخزنه يضمُّ 100 طلقة.

وكان لدى مجموعةِ الإسنادِ هاون عيار 82 ملم، ومدفعٌ رشاشٌ من طِراز غوريونوف.[35] فقمتُ بوضع مجموعةِ الإسناد على الضِّفة الشَّرقية لنهر لوغر خلف مجموعة الكمين، بينما كانت كلُّ المجموعاتِ على الجانبِ الشَّرقي من الطَّريق. تحرّكنا من "أحمدزي قلعة" قبلُ الفجر واتَّخذْنا مكامِننَا.

لم يكن لدينا أيُّ معلوماتٍ مُسبقةٍ عن حركةِ الأرتال، ولكن كانت هناكَ أرتالٌ كثيرةٌ تتحرَّكُ نحو باكتيا. وفي هذا الوقت، كان هناك رتلٌ يوميٌ يمرُّ بشكلٍ دوري، وقد مَثَّلَ بالنِّسبة لنا صيداً بارداً. وقد كانت هذه الأرتالُ تحوي العديدَ من ناقلاتِ البنزين، فكانَ من السَّهلِ بالنِّسبةِ لنا إشعالُ النيران فيها، وكان مجرَّدُ إطلاقِ النَّارِ عليها يفي بالغرض. وبمجرَّدِ قيامِكَ بإضرامِ النَّارِ فيها، سيؤدي ذلك إلى هلعِ الرَّتلِ بأكمِله، فقد كانَ بإمكانِ الجميع رؤيةُ الدخان.

وكنَّا نرغبُ دائماً في ضربِ الأرتال الأفغانية لأنّها لا تعمد إلى الرَّدِّ والقتال، في حين أنَّ الأرتال السُّوفييتية ستفعلُ ذلك. وفي العادة، عندما يصلُ رتلُ العدو لمواقع يشتَبِهُ بوجودِ كمينٍ فيها، كان يُنشِئ قوَّاتٍ أمنيةً ويحتلُّ هذهِ المواقعَ حتى يمرَّ الرَّتلُ أو حتى يتأكَّدَ من أنَّه لن يحدثَ شيء. لذلك اضطررنا في كثيرٍ من الأحيان إلى عدمِ تدميرِ الرَّتلِ بأكمله لكيلا نعرِّضَ أرواحنا للخطر، وكنا نكتفي بمهاجمةِ مؤخّرَتِه لعلمنا بأنَّ العدوَّ لن يعودَ إلى الخلفِ لإنقاذ ناقلات النِّفط. وغالباً ما كانَ الرَّتل يَصِلُ إلى غرديز، لكن بعد أن يفقدَ جزءاً منه على طولِ الطَّريق. لقد كانت مهاجمة الرَّتلِ من الخلف أقلَّ خطورةً بالنِّسبة لنا، على الرَّغمِ من وجودِ ناقلات جندٍ مُدرَّعةٍ في بعضِ الأحيان آخرَ الأرتال.

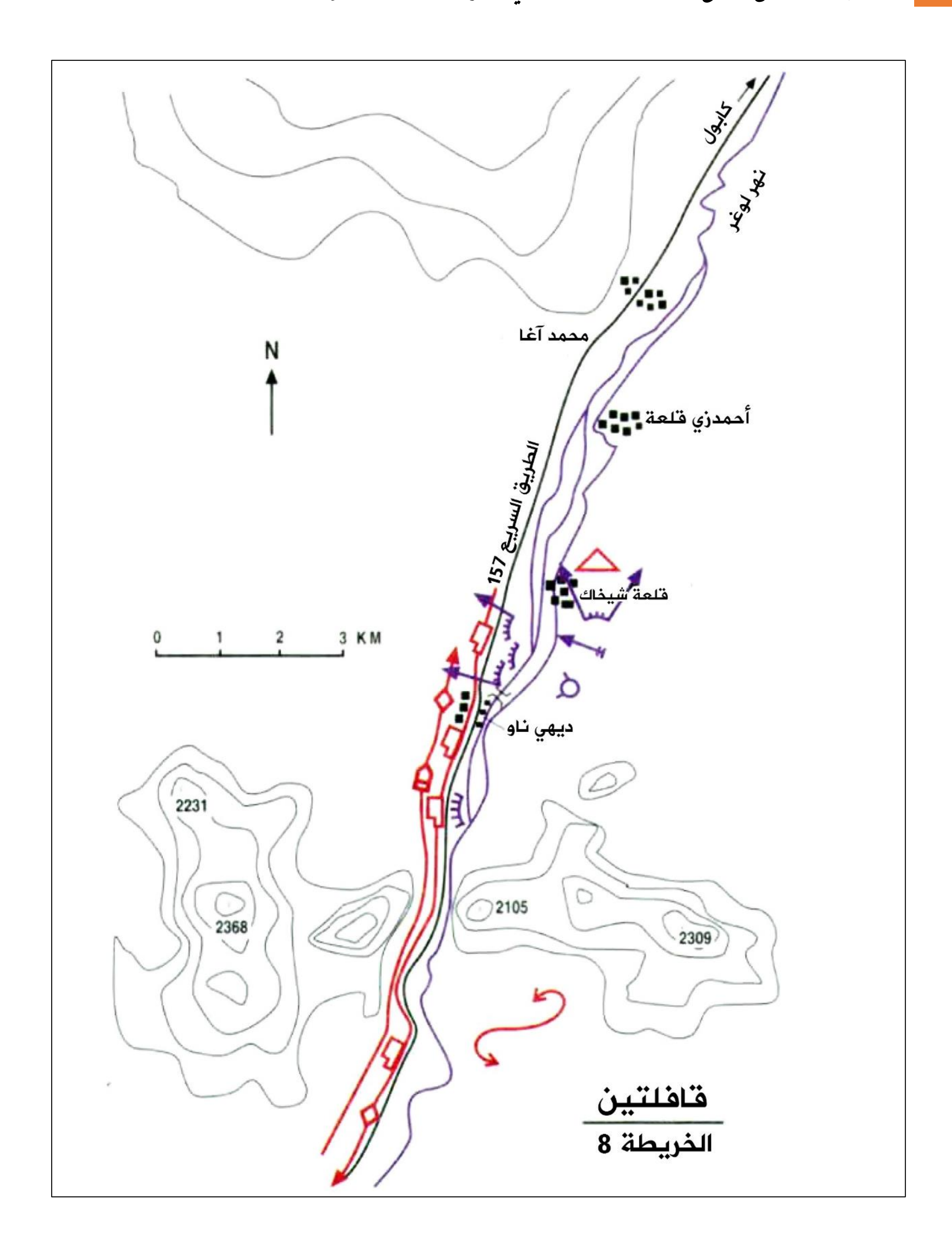
عندما كان العدوُّ يدخلُ في منطقة القتل لم يكنْ ردُّهُ فَعَّالًا في الغالب. فقد كانت قواته تتوقَّفُ وتترجَّلُ ثمَّ تتسترّ، ولا تقاتلُ إلا عندَ وصولِ التَّعزيزات. وهذا ما جعلَنا نتعلمُ أنْ نضربَ الرَّتلَ ونغادرَ فوراً. فلم نكن نريدُ مواجهةَ التَّعزيزات أو المروحيَّات لافتقارِنا إلى القوَّةِ القتاليَّةِ المطلوبةِ لمواجهتِها، وكان من الصَّعبِ للغاية نقلُ جرحانا من منطقةِ العمليَّات في حالِ تعرضنا للاستهدافِ النَّاري.

[35] اغتنمَ المجاهدون الكثير من المواد من الجيش الأفغاني والنظام الأفغاني. فوفقاً للائحة التنظيم والمعدات لكتيبة المشاة الأفغانية، كانت الكتيبة تمتلك 9 مدافع غوريونوف عيار 7.62 و9 مدافع هاون عيار 82 ملم.

في وقت لاحقٍ من صباح اليوم، تحرَّكت قوّاتُ التّأمين السُّوفييتيَّة المتمثّلة بالعربات المدرَّعة بالقرب منَّا واحتلَّت موقِعاً، ثم جاءَ الرَّتل من الشَّمال، فعادت قوة التَّأمين منضمَّةً إلى الرَّتل قبل أنْ يمرَّ بأكمله. فترَكَت هذه الحركةُ ناقلاتِ الوقودِ في مؤخّرةِ الرَّتلِ مكشوفةً لنا! فضربْناها على حينِ غِرَّة على نحوٍ فعَّال. وكانت حصيلةُ الخسائر: سيارةُ جيب وتسعةُ صهاريجٍ مدمرةً أو معطوبة. ودمَّر محمد هاشم عربةً أمنيَّةً مدرعةً بقذيفة آر بي جي. وعلمنا فيما بعد أن اثنين من الروس هربُوا من الرَّتل المتَّجِه جنوباً عندما نصبنا كميناً له. وتمَّ القبضُ عليهم بعدَ ذلك من قِبَلِ مجاهدي الحزب الإسلامي التَّابع لحكمتيار.

بينما كنَّا نستعدُّ لمغادرةِ موقع الكمين، جاءَ رتلٌ من المدرَّعات السُّوفييتيَّة من الجنوب. وكانت مجموعة التَّأمين الجنوبية قد انسحبَت للتو، فلذلك فُوجِئنا تماماً وأُخِذنا على حينِ غِرَّة. وبدأوا بإطلاقِ النَّار علينا، وحلَّقت أربعُ مروحيَّاتٍ أثناءَ إطلاقِ النَّار علينا. فأصابَ محمد هاشم إحدى المِروحيَّات بقذيفةِ آر بي جي، إلا أنَّ المعركة بقيت غيرَ مُتكافئة. وجُرِحَت كُلُّ مجموعتي، إلا أنا وإحسان، حيث أُصيب مُعظمُهم أثناءَ الانسحاب. ولِحُسنِ الحظ كانت مُعظم الإصاباتِ طفيفةً، إلا اثنين من المقاتلين مازالا مَشلولين حتَّى يومنا هذا.

ما حدث هو أنَّنا عندما هجمْنا على آخرِ الرَّتل المتَّجِهِ جنوباً، كانَ هناكَ رتلٌ آخرُ متجهٌ نحو الشَّمال، يسافرُ على الجهةِ نفسِها من الطَّريق. فوصلت الطَّليعةُ المدرَّعةُ الثَّقيلة لهذا الرَّتلِ إلى منطقةِ القتل بينما كنَّا ننسحب. وكان لهذا الرَّتل أيضاً غطاءٌ جويٌّ من المِروحيَّات. وبما أنَّ مجموعة التَّأمين الجنوبيَّةِ انسحبت، فلم نعلمْ بوصولِ الرَّتل حتى أطلقُوا النَّار علينا.


كابول
نهر لوغر
محمد آغا
N
أحمدزي قلعة
الطريق السريع 157
قلعة شيخاك
0 1 2 3 KM
ديهي ناو
2231
2368
2105
2309
قافلتين
الخريطة 8

التَّعليق:

يمتدُّ الطريقُ المذكور في الكمين عبرَ مضيقٍ على بعدِ ثلاثِ كيلومترات جنوبَ دهي ناو. ربما كان السُّوفييت يتوقعُون حدوثَ مشاكل في هذهِ المنطقة، فأرسلَت مسبقاً قوَّاتٍ للتَّأمين هناك تغطِّيهم المِروحيَّات للتَّعامل مع الكمائن المحتملة. إلا أنَّ عناصر التَّأمين كان عليها أنْ تكونَ آخرَ المغادرين لا أوَّلَهم. كذلك الأمرُ بالنسبةِ للمجاهدين كانَ يجبُ عليهم أنْ يضعُوا عناصرَ التَّأمين الجنوبيَّة على الأرضِ المُرتفعةِ إلى الجنوب حيثُ يمكنُ أن يروا بوضوحٍ، وبأجهزةِ الراديو اللاسلكيَّة المحمولةِ باليد، ممَّا كانَ سيساعدُ في تفادي وقوعِ كارثةٍ بالنِّسبةِ لقائدِ المُجاهدين هذا.

يمكنُ أن يكونَ سلاحُ الآر بي جي -7 سلاحاً فعَّالًا مضادّاً للمِروحيَّات، لاسيما في حالِ إطلاقِ عِدَّة قذائفَ آر بي جي في وقتٍ واحدٍ على مِروحيَّاتٍ حائمةٍ أو على مِروحيَّاتٍ رابضةٍ على الأرض.

المقالة الثَّامنة: كمينٌ بالقرب من عبد الله بورج

رواية الحاج عبد القادر والحاج قصب[36]

في أكتوبر 1980م، غادَرَ رتلٌ سوفييتي قاعدَتَه في باغرام، للقيامِ بعمليةٍ استمرَّت أربعةَ أيامٍ ضدَّ المُجاهدين في مُديريَّة نيجراو بولاية كابيسا. وللوصولِ إلى هناك، عَبَرَت القافلةُ جسرَ عبد الله بورج فوقَ نهرِ بانجشير. ويقعُ الجسرُ على الطَّريقِ السَّريعِ الرَّئيسي الذي يربطُ باغرام بعاصمةِ الولاية (محمود الراقي) وبلدةِ "ده بابا علي" وغيرِها من البلداتِ الرَّئيسيَّة بما في ذلك "غُلبهار" في الشَّمال و"ساروبي" في الجنوب. ونظراً لكون هذا الجسرِ هو الوحيدُ فوقَ نهر بانجشير في هذهِ المنطقة، فقد غلبَ على ظَنِّ المجاهدين بأنَّ القوَّاتِ السُّوفييتيَّة ستعودُ إلى قاعدتِها من الطريقِ ذاتِه.

قَرَّر المجاهدون المتمركزونَ حولَ "عبد الله بورج" القيامَ بكمينٍ للرَّتل في رحلةِ عودته، حيثُ من المتوقَّعِ أن تكونَ القوَّاتُ منهكةً وأكثرَ ضعفاً. وعزمُوا على ضربِ الرَّتل أثناءَ عبورِه الجسر من كابيسا إلى ولاية بروان، حيثُ يكون السُّوفيت في أضعفِ حالاتِهم عندما يعبرُ نصفُ الرَّتلِ النَّهر، بينما يبقى النِّصفُ الآخر منتظراً دورَه، فتنقسمُ قواتُهم بين ضِفَّتي النَّهر (الخريطة 9 - بورج).

قامَ كلٌّ من الحاج عبد القادر والحاج قصب بالتَّخطيطِ والتَّنفيذِ للكمين. وقرَّرا السَّماح للقوَّاتِ السُّوفييتيَّة بالتَّحرك دونَ إبداءِ أيِّ مقاومةٍ حتَّى وصول رأسُ الرَّتلِ إلى قلعةِ ناو الواقعةِ على بُعْدِ

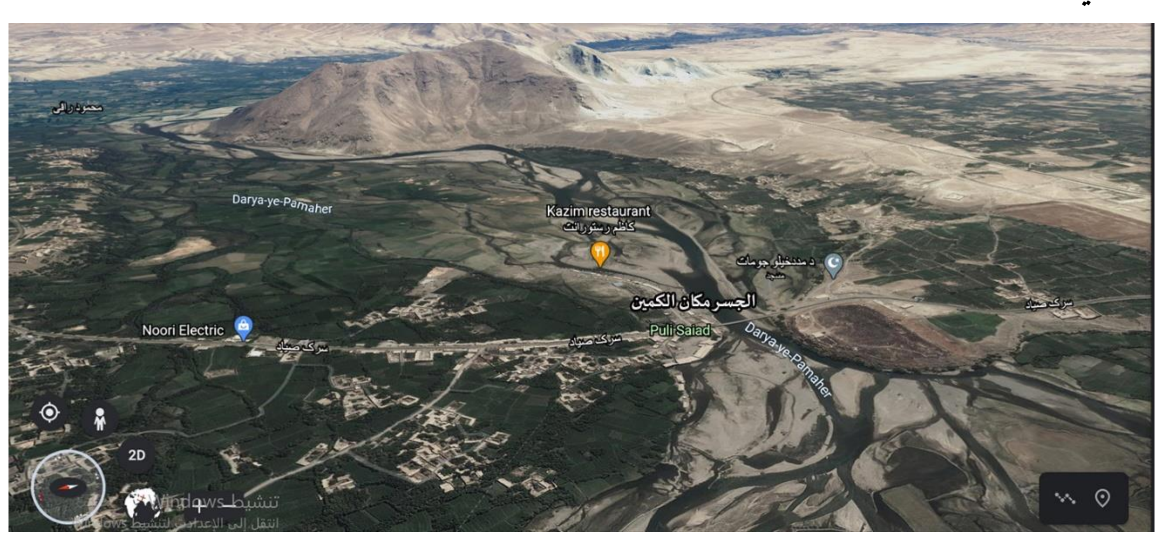
---

[36] الحاج عبد القادر قيادي في الحزب الإسلامي التابع لمولوي يونس خالص في منطقة باغرام. بينما الحاج قصب قائد في الجمعية الإسلامية التابعة لرباني في منطقة ده بابا علي. [Map sheets 2886 and 2887].

الحزب الإسلامي التابع لمولوي يونس خالص (HIK) أسَّسهُ المولوي خالص الذي غادرَ أفغانستان إلى باكستان عام 1973م بعدَ انقلابِ داود. والمولوي خالص من ولاية ننغرهار، ومن أشهرِ قياداتِ حزبه عبد الحق في كابول والمولوي جلال الدِّين حَقاني في ولاية بكتيا. والحزب فكره أصولي.

الجمعية الإسلامية أسَّسها برهاني الدِّين رباني، الهارب إلى باكستان عام 1974م. ومن أشهرِ قادة حزبه أحمد شاه مسعود وإسماعيل خان. ويغلب على هذا الحزب الفكر الأصولي، كما تحكمه القومية الطاجكية.

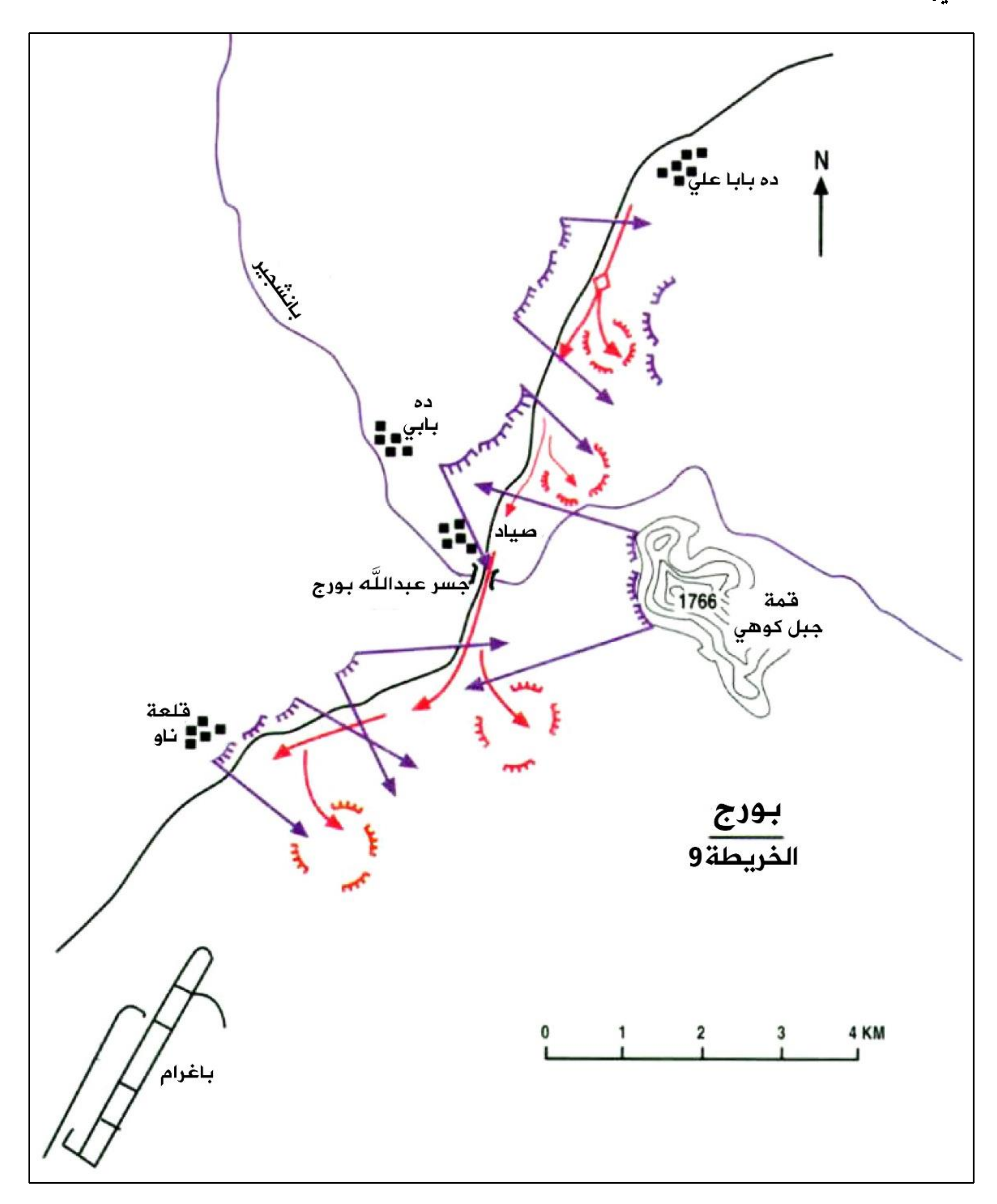
حوالي 3.5 كلم جنوبَ غربَ الجسر. راقبَ المجاهدون الرَّتلَ وهو يغادرُ فعرفُوا طولَه، ثمَّ حسَبوا بأنَّ الرتل سينْتصِف على جانبي النَّهرِ لدى وصولِ أوَّلِه إلى قلعةِ ناو بحيثُ يكونُ آخرُهُ جنوبَ "ده بابا علي".



كانت مجموعةُ الحاج عبد القادر (حوالي 150 مقاتلاً) قد نَصَبت كميناً جنوبَ النَّهرِ على طولِ طريقِ باغرام-كابيسا. وكانت كامنةً في البَساتينِ والتِّلالِ بينَ قلعةِ ناو وعبد الله بورج. بينما كانَ الحاج قصب -مُعزَّزاً بمجاهدين محليين من مجموعةِ القائد شاهين (حوالي 200 مقاتلاً)- قد نصبَ كميناً شمالَ النَّهرِ بين عبد الله بورج وده بابا علي. وكانَ هذانِ المَوقِعان جزءاً من منطقتي العمليَّاتِ العسكريَّةِ التي تعوَّدَ عليها كلٌّ من القائدين. وفي كلا الموقعين، وَضعَ المجاهدون رماة آر بي جي -7 على مقربةٍ من الطَّريق، إضافةً إلى تمركزِ الرَّشاشاتِ الثَّقيلةِ على النِّقاطِ الحاكمة. كما أسندَ المجاهدونَ كمائنَهم أيضاً ببعضِ المدافع عديمةِ الارتداد ومدافعِ الهاون عيارِ 82 ملم.

في 5 أكتوبر، تَسلَّلَ المجاهدون إلى مواقعِهم المُحدَّدة، وأعدُّوا مواقعَ مُموَّهةً لأسلحتِهم المُضادَّة للدبابات. فيما عادَ الرَّتل السُّوفييتيُّ بَعْدَ ظهرِ ذلك اليوم. وَعَبَرَ الجسرَ في "عبد الله بورج" دونَ أيِّ مقاومةٍ، ليصلَ رأسُ الرَّتلِ إلى قلعة ناو حوالي الساعة 16:00. ومن ثمَّ وبإشارةِ الحاج عبد القادر، فتحَت الكمائنُ النِّيرانَ على الدبَّاباتِ وناقلاتِ الجنود المدرَّعة والشَّاحنات على طولِ الرَّتل بأكمله، فأُخذ السُّوفييتُ على حِين غِرَّة. وفي جنوبِ النَّهر، حادَت القوَّاتُ السُّوفييتيَّةُ عن الطَّريقِ محاولةً الهربَ إلى السَّهلِ المفتوح. ومعَ ذلك، تعرَّضت العديدُ من العرباتِ للتَّدمير بقذائفِ الآر بي جي-7.

فاحترَقَت العربات، وتعرَّضت قوَّاتُ المُشاةِ السُّوفييتيَّة التي ترجَّلت من العرباتِ لنيرانِ الرشَّاشات الثَّقيلة.



على الجانبِ الشَّماليِّ من النَّهر، لا يوجدُ مجالٌ كبيرٌ لمناورةِ العربات في المنطقةِ الخضراءِ المحيطةِ المؤلَّفةِ من البساتينِ ومزارعِ الكروم. فتخلَّى الكثيرُ من الجنودِ عن عرباتِهم وهرعُوا نحوَ النَّهرِ ليحاولُوا مجاوزَتَه

سباحةً.[37] فجرفَ النَّهر بعضَ الجنودِ بعيداً، بينما وصلَ آخرونَ إلى الجانبِ الآخرِ منه وتوجَّهُوا إلى باغرام عبرَ السَّهلِ المفتوح. وكان العديدُ من الجنودِ السُّوفييت في حالةٍ من الذُّعر، فانهارَت القيادةُ والسَّيطرةُ كليَّاً. إلا أنَّ بعضَ القوَّاتِ صَمَدَت حولَ عرباتِها منشئةً دفاعاً محيطيَّاً منتظرةً مجيءَ المُساعدة، فيما تخلى الآخرون عن عرباتِهم هَرِعين نحوَ باغرام. فاحترقَت ما بين 20 و30 عربة.

بحلول الليل، قَامت المِدفعيَّةُ السُّوفييتيَّةُ بقصفِ مواقع المجاهدين حولَ قلعة ناو، غيرَ أنَّ القصفَ لم يكن فَعَّالاً للغاية. وتحرَّك المجاهدون بينَ العرباتِ المُحترقةِ والمهجورةِ ينهبونَ الإمداداتِ وعَشَرَاتِ قطعِ الأسلحة. وفي الصَّباح، أرسلَ السُّوفييت رتلَ إنقاذٍ من باغرام للرَّتل المُحَاصر، بينما انسَحب المجاهدون من ساحةِ المعركة. وفي السَّاعة 08:00، تحرَّكَ ما تبقَّى من الرَّتل إلى قاعدة باغرام. كانت خسائرُ المجاهدين خفيفة. فقد قُتِل من مجموعة الحاج عبد القادر اثنانِ وأُصيبَ سبعةٌ آخرون. بينما إجماليُّ خسائرِ العدو غيرُ معروفة.

التَّعليق:

كانَ هناكَ العديدُ من العواملِ التي ساهمت في نجاح المجاهدين:

أولاً: كانَ الاختيارُ الصَّحيحُ لموقع الكمين هو مِفتاحُ نجاحه، فقد أوقعَ المجاهدونَ الرَّتلَ وهو متوزِّعٌ على جانبي النَّهر، وأجبرُوه على خوضِ معركتين مُنفصلتين من دونِ تبادلِ الإسنادِ بينهما. ولم يكن هناك مجالٌ مُتاحٌ للمناورةِ إلا عبرَ طريقِ الهروب.

ثانياً: كانَ وقتُ الكمين هو الأمثل، فقد أعطى الوصولُ بَعدَ الظُّهرِ للمجاهدين الوقتَ الكافيَ لإلحاقِ أكبرِ قدرٍ من الضَّررِ بينما حَرَمَ القوَّاتِ الجويَّةَ السُّوفييتيَّةَ من ذلك. كذلك لم يكنْ بإمكانِ المِدفعيَّةِ

[37] عبور نهرِ بانجشير أو أيِّ نهرٍ كبيرٍ في أفغانستان أمرٌ في غايةِ الخطورة دائماً. فقد تظهرُ هذه الأنهار عادةً بأنَّها ساكنةٌ وضحلةٌ، إلا أنَّها في الحقيقة مخادعة. وعلى ما يبدو فالجنود السُّوفييت في الأصل كانوا سيعبرون النَّهر على الجسر راكبين عرباتِهم، ولم تكن لديهم فكرة عن خطورة الأنهار.

السُّوفييتيَّةِ أنْ تغطي سوى جزءٍ من ساحةِ المعركة، ويبدو أنَّهم لم يُرسلُوا مراقبينَ أمامَهم لتصحيحِ نيرانِ المدفعيةِ أثناءَ اللَّيل.

ثالثاً: حقَّق المجاهدون المُباغتة، فقد عَبَرَ الرَّتلُ على هذا الطريق سالماً، وكان من المتوقَّعِ أنْ يعودَ كذلك أيضاً، حتَّى أنَّ أوَّلَ الرَّتلِ قد أصبحَ يَرى قاعدةَ باغرام الجويَّةَ في اللَّحظةِ التي نفَّذَ فيها الكمين، كما كانَ الجنودُ في حالة غفلةٍ بعد أن نالَ منهم التَّعبُ والبرد.

رابعاً: أفقدَ الهجومُ المتزامنُ على طولِ الرَّتلِ بأكملِه قائدَ القافلةِ كُلَّ قوَّةٍ غيرِ مستخدمةٍ يمكنُ استعمالُها كاحتياطيٍ للطَّوارئ. فقد احتلَّ المجاهدون واجهاتِ كمائنَ واسعةٍ للغاية بالنِّسبة لتعدادِهم، وهو ما سَمَحَ لهم بمهاجمةِ القافلةِ بأكملِها في وقتٍ واحد. ولو عُدْنا للماضي، فلا يوجدُ ما نضيفُه على عملِ المجاهدين سوى استخدامِ الألغامِ وقذائفِ الهاون على طريقِ الهُروبِ الجنوبي.

جَنَى القائدُ السُّوفييتيُّ على نفسِه. فقد كانت لديهِ استخباراتٌ ضعيفةٌ في المنطقةِ التي كان يَمرُّ بها، ولم يستخدمْ قوَّاتِ الاستطلاعِ بفعالية. كذلك لم يَستخدمْ المفارزَ الأماميَّةَ مقدَّمةً على الرَّتلِ للسَّيطرةِ على النِّقاطِ الحاكمة ونقاطِ الخوانقِ البديهيَّة، مثلَ جسرِ عبد الله بورج. وكانَ أسلوبُهُ مُتوقَّعاً ومعلوماً إلى حدٍ كبيرٍ. واستخدمَ الطَّريقَ ذاته للعودة، لكنَّهُ فَشِلَ في نشرِ عناصرِ التَّأمين على طولِه لإسنادِ تحركاتِه. وأيضاً، فشلِ في نشرِ مجموعات المِدفعيَّةِ على طولِ الرَّتلِ بحيثُ تكونُ التَّغطيةُ بإسنادِ نيرانِ المِدفعية مُتاحةً على الفور. ويبدو أنَّه لم تكن لديه مِروحيَّاتٌ هجوميَّةٌ على أُهبةِ الاستعداد للردِّ على الكمين. ويبدو أنَّهُ لم يدرِّب قوَّاتِه على الإجراءات القياسيَّةِ لمكافحة الكمائن. ويبدو أنَّه فقدَ السَّيطرةَ على الرَّتلِ من الدَّقيقة الأولى.

كانت القوَّاتُ السُّوفييتيَّةُ في باغرام متردِّدَةً في الذَّهابِ لمساعدةِ الرَّتل المُحاصَر ليلاً. ويبدو أنَّهم كانوا خائفين من التَّعرضِ لكمينٍ أيضاً. وكانَ هذا الإحجامُ عن مُغادرةِ الأمانِ النِّسبيِّ للقاعدة في الليلِ لصالحِ المجاهدين.

المقالة التَّاسعة: كمينٌ في "ده خواجه"

روايةُ القائدِ "الملا مالانغ"[38]

عام 1982م، قامَ اللّواءُ السُّوفييتي المستقل (70) للبنادقِ الآلية،[39] المسنودُ من قبلِ القُوَّات الأفغانية، بشنّ عملية تطويقٍ وتطهيرٍ ضدَّ قوَّاتِ المجاهدين في وسط مديرية بانجوايي. وتقعُ المديريَّةُ على بعدِ حوالي 25 كم جنوبَ غربَ مدينةِ قندهار. وَقَدَّرت مصادرُ المجاهدين وقتَها بأنَّ المئاتِ من دبَّابات العدو وناقلاتِ جنده المدرَّعة وعرباتِ البي أم بي[40] وغيرِها قد شارَكت في العملية التي استمرَّت 25 يوماً. وكان هدفُها هو تأديبُ مجموعاتِ المجاهدين التي كانت تقومُ باستمرارٍ بمضايقةِ أرتالِ القوَّاتِ السُّوفييتيّةِ والأفغانيَّة وقوافلِ الإمدادِ على طريقِ قندهار-هيرات السَّريع الرَّئيسي. وكانت العمليَّةُ تهدفُ أيضاً إلى تدميرِ قواعدِ المقاومةِ في المنطقة، وتوسيعِ المنطقةِ الأمنيَّة حولَ مركزِ مديرية بانجوايي الذي تسيطرُ عليه الحكومة.

تطلبت العمليَّةُ السُّوفييتيَّةُ في بانجوايي إمداداً مستمراً من مُعسكر السُّوفييت الرَّئيسي الموجودِ في قاعدةِ قندهار الجوية. وكانَ على أرتالِ الإمداد أنْ تُسافرَ على طولِ طريقِ شامان-قندهار الرئيسي ليصلَ

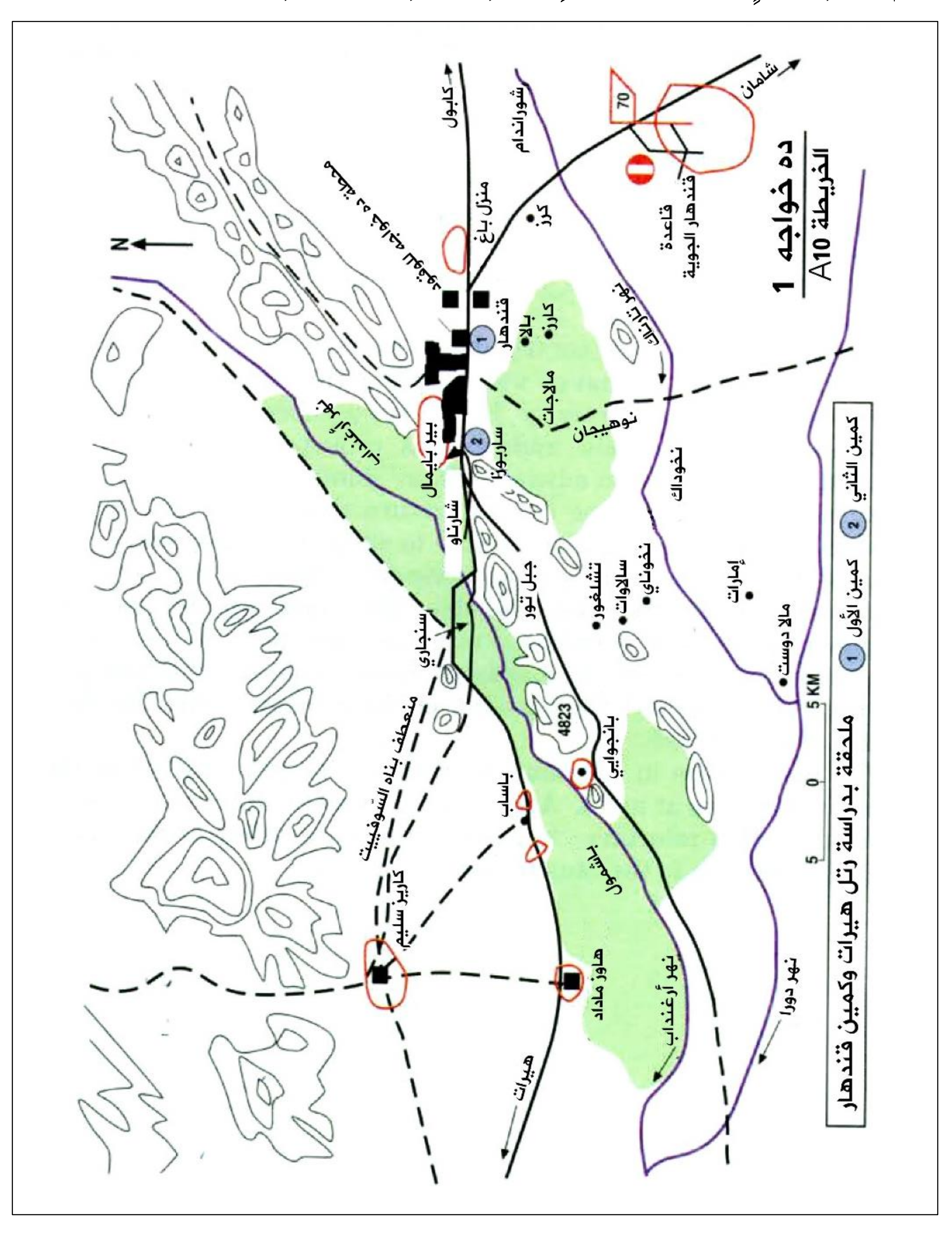
[38] كان "الملا مالانغ" أحدُ أشهرِ القادة في منطقة قندهار. وكانَ من أتباعِ الحزبِ الإسلامي بقيادة مولوي محمد يونس خالص. Map sheet 21801

[39] تم إنشاءُ اللواء 70 للبنادقِ الآلية المستقل باستخدامِ فوجٍ من الفرقةِ الخامسة للبنادق الآلية بعد فترةٍ وجيزةٍ من بدأ الغزو السُّوفييتي لأفغانستان. ونُظّم اللّواء 70 خصيصاً لمكافحة التمرد، وكان لديه ثلاثُ كتائب بنادق آليةٍ، وكتيبةُ اقتحامٍ جوي، وكتيبةُ هاوتزر مدفعية، وكتيبةُ استطلاعٍ، وكتيبةُ دباباتٍ، وقوَّاتُ الدَّعم. هناك أيضاً بعض الدلائل على أنَّ كتيبة الراجمات المتعدّدة السبطانات قد تكون تابعة لهذا التنظيم.

المركز: البنادق الآلية هي التسمية النظيرة للمشاة الميكانيكية في الجيوش الشرقية السُّوفييتية.

[40] عربة البي أم بي هي عربة مشاةٍ قتالية تحمل طاقماً من ثلاثة رجال ومجموعة من ثمانية جنود. وللبي أم بي-1 مدفعٌ واحدٌ من عيار 73 ملم، ورشاشٌ من عيار 7.62 وصاروخٌ مضادٌّ للدبابات. بينما تحملُ بي أم بي -2 رشاشاً آلياً عيار 30 ملم مع صاروخٍ مضادٍ للدبابات مختلف ومنصةَ إطلاقه.

بها إلى طريقِ كابول-هيرات السَّريع ثم تَتّجهَ عبر ده خواجه ومدينةِ قندهار إلى ساربوزا حيثُ طريقُ الدُّخولِ إلى بانجوايي. (الخريطة 10 أ - ده خواجه 1) فقرَّرت مجموعاتُ المجاهدين حولَ قندهار القيامَ بعمليَّةٍ مشاغلةٍ ضدَّ العدو من أجلِ تخفيفِ الضَّغطِ على المقاومةِ في بانجوايي.



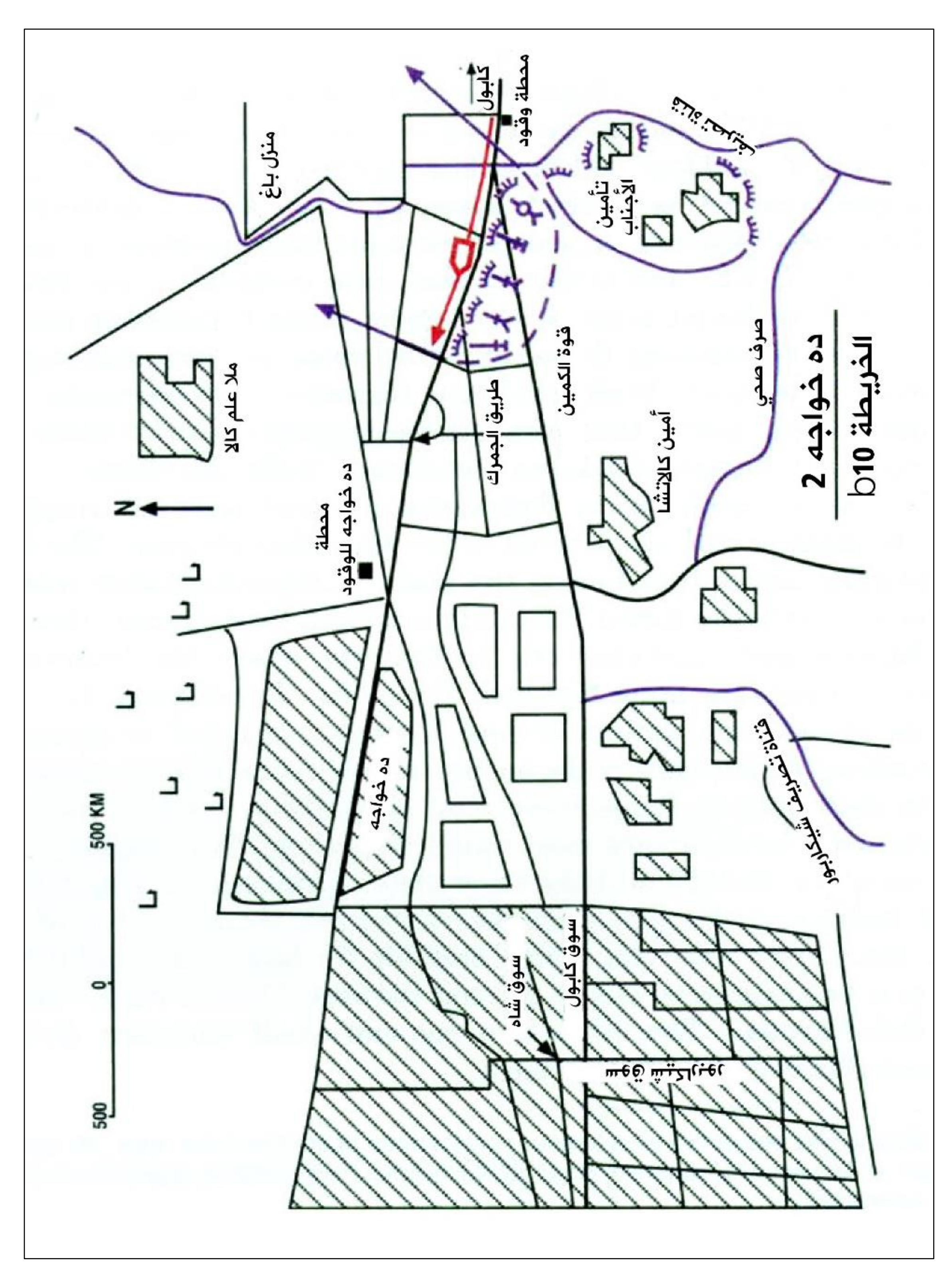
وأدركَ المجاهدون أنَّ السُّوفييت أضعفُ ما يكونون على طولِ طريقِ الإمداد، ومن ثمَّ قرَّرُوا ضربَهم هناك. وعلى الرُّغمِ من قدرةِ المجاهدين على نصبِ كمائنَ صغيرةٍ على امتدادِ الطِّريقِ، إلا أنَّه لم يكن هناكَ سوى مكانينِ يَصلحانِ للكمائنِ الكبيرة، أحدُهما طريقٌ بطول كيلومترين بينَ منزلِ باغ تشوك وده خواجه، والآخرُ طريقٌ طولُه كيلومتر ونصفُ بينَ شهر ناو وساربوزا.



عَقَدَت مجموعاتُ المجاهدين المَحلِّيَّةُ في مالاجات[41] مَجلساً حربيّاً وقرَّرت إغلاقَ الطَّريقِ وتنفيذَ كمينين كبيرينِ في هذينِ المَوقعين. وبالإضافةِ لقوّاتِ الكمين، قامَ المجاهدون أيضاً بتخصيصِ مجموعاتِ إسنادٍ لكلا الكمينين لحمايةِ الأجنحةِ والمؤخّراتِ من مفارزِ الكمائنِ المُضادَّةِ والتَّطويق. وتم تقسيمُ حوالي 150 مجاهداً في مجموعاتٍ صغيرةٍ، وتحرَّكُوا من منطقة "مالاجات" أثناءَ الليلِ واتَّخذُوا مواقعَهم في البساتين والمباني والخنادق على طول الطَّريقِ الرئيسي بينَ منزل باغ تشاوك ومحطة ده خواجه للوقود. وتمَّ أيضاً نشرُ المجموعةِ الاحتياطيَّةِ للمفرزة جنوبَ المدينة. (الخريطة 10 ب - ده خواجة 2) وَسَدَّت مفرزةٌ أخرى مُماثلةٌ الطَّريقَ بين شهر ناو وساربوزا.

---

[41] وهي المنطقة الخضراء الكبيرة الواقعة جنوب قندهار.



في وقتٍ مبكرٍ من الصَّباح، تحرَّكت قافلةُ شاحناتٍ سُوفييتيةٍ تحملُ الذَّخائر والصَّواريخ والبنزين من قاعدة قندهار الجويَّة باتجاهِ بانجوايي. وعندما وصل الرَّتلُ إلى أولِ حاجزٍ على الطَّريقِ، فتحَ المجاهدونَ النِّيرانَ عليه في وقتٍ واحدٍ باستخدامِ قاذفاتِ الآر بي جي والبنادقِ والرَّشاشات والمدافع عديمةِ

الارتداد. ونتيجةَ المُباغتة، توقَّفَ الرَّتل بينما ردَّت قواتُ التَّأمين السُّوفييتيَّة بإطلاقِ النَّار، وأصابت نيرانُهم مناطقَ ده خواجه السَّكنية وتسبَّبت بدمارٍ هائل. ومع ذلك أصابت نيرانُ المجاهدين شاحناتِ الذخيرة. واشتعلَت النِّيرانُ فيها وبدأَت مئاتُ الصَّواريخ وصناديقِ الذَّخيرةِ الأخرى بالانفجار.

وكانت الانفجاراتُ قويةً للغايةِ لدرجةِ أنَّ الإطاراتِ المحترقةَ من ناقلاتِ الجنودِ المدرَّعة تطايَرَت حتَّى سقطَت في مكانٍ بعيدٍ مثل "بالا كارز"، على بُعدِ كيلومترين من موقعِ الكمين. ودمَّرَ الكمينُ حوالي 30 شاحنةَ إمدادٍ للعدوِ وألحقَ أضراراً كثيرةً أخرى. وعادَت بقيَّةُ القافلةِ السُّوفييتيَّة، بينما لم يلقَ حاجزُ المجاهدين في شهر ناو وساربوزا أيَّ عدو.

كان تأثيرُ هذا الكمينِ للمجاهدين حاسماً على عمليَّةِ العدو، حيثُ أجبرَ القوَّاتِ السُّوفييتيَّة على إنهاءِ حصارِها لقوَّاتِ المجاهدين في بانجوايي والعودةِ إلى قندهار. ومع ذلك، قامَت القوَّاتُ السُّوفييتيَّةُ بتجريفِ منازلِ ده خواجه على طولِ الطَّريقِ السَّريع الرَّئيسي بِعَرض 300 مترٍ لمنع الكمائنِ المستقبليَّة في المنطقة.

التَّعليق:

كانَ أمنُ خطوطِ الاتِّصالِ (الإمداد) تَحدياً مستمرَّاً يواجهُ القوات السُّوفييتية في أفغانستان. فقد حدَّدَ أمنُها كميَّةَ القوَّاتِ التي يمكنُ للسُّوفييت نشرَها في أفغانستان، كما حَدَّدت هذهِ الطُّرقُ الهجماتِ الموجَّهةَ ضدَّ المقاومةِ الأفغانيَّةِ من ناحية الحجمِ والتَّكرار.

في هذا المثال، كان على السُّوفييت نقلُ الإمداداتِ إلى مجموعةٍ كبيرةٍ من القوَّاتِ على بعد حوالي 50 كيلومتر. وعلى الرُّغمِ من كونِه طريقاً سريعاً رئيسيَّاً صالحاً للاستخدام في جميع الفصول، إلا أنَّه كان عُرضةً لكمائن المجاهدين في كُلِّ نقطةٍ منه تقريباً، إضافةً لذلك فقد حاربَ السُّوفييت والمجاهدون من أجل السِّيطرةِ على قندهار طيلةَ الحربِ بأكملها. وبالرُّغمِ من معرفةِ السُّوفييت بأنَّ الطَّريقَ غيرُ آمن، فإنَّ قائدَ القافلةِ لم يفعلْ سوى القليلَ لضمانِ أمنِ الحركةِ على طولِ طريقِ الإمداد. فَمَن

الممكنِ لدوريَّةٍ أوليةٍ لتطهيرِ الطَّريقِ أنْ تستبقَ كمينَ المجاهدين. بدلاً من ذلك، تعطَّلت العمليَّةُ بالكامل بسببِ فشلِها في نقلِ الإمدادات إلى بانجوايي.

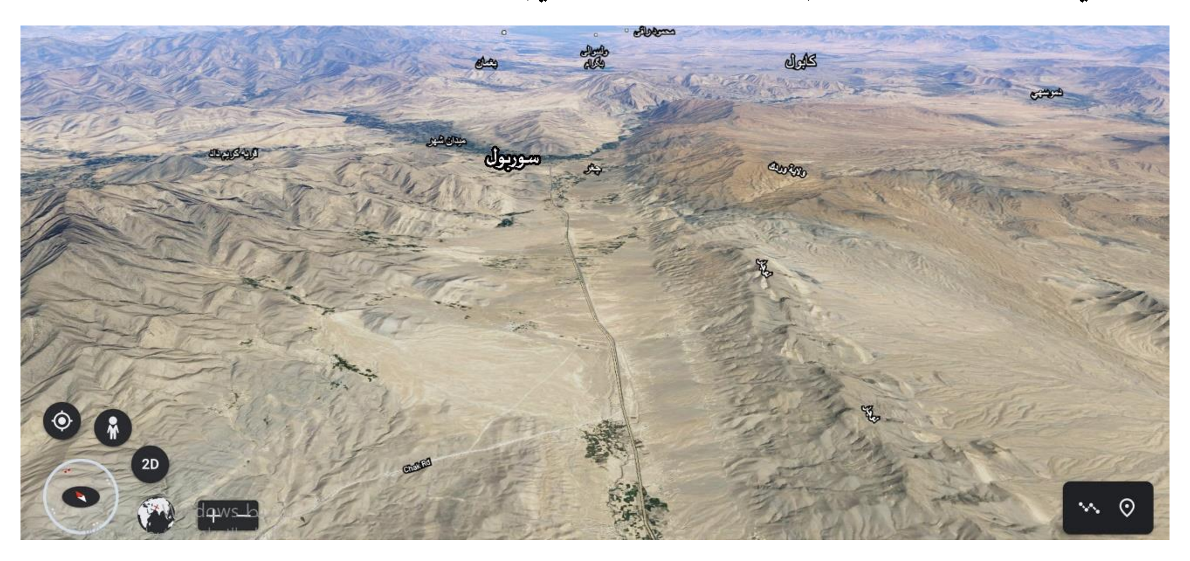
في العادة، يُباعِد السُّوفييت ناقلاتِ الجنودِ المدرَّعة عبرَ القافلة للعمل كعربات تأمين. وفي حالةِ الكمين، تتوقَّفُ هذه النَّاقلات في منطقةِ القتلِ وتردُّ النِّيرانَ بينما تقومُ بقيَّةُ القافلة التي عَلِقَت بمنطقةِ القتل بالخروج. أمَّا جزء القافلة الذي لم يتعرضْ للهجوم فيقومُ بالتوقُّفِ والانتظارِ لتدفعَ ناقلاتُ الجنودِ الكمين. وبعدَ القضاءِ على الكمين، تجتمعُ القافلةُ من جديد لتُكمِلَ المسير. دفعَ هذا الأسلوبُ السُّوفييتي المجاهدين إلى إنشاءِ منطقتين للكمين. ولم يخطرْ لهم على بال بأنَّهم سيقدرون على إيقافِ القافلةِ من الكمينِ الأوَّل، لذا فقد كان الكمينُ الثَّاني جاهزاً لضربِ القافلة السُّوفييتيَّةِ مرةً أخرى.

من ناحيةٍ أخرى، استغرقَ المجاهدونَ حوالي ثلاثةَ أسابيعٍ لاتخاذِ قرارِ مساعدةِ قوَّاتِ المقاومةِ في بانجوايي بضربِ السُّوفييت في أماكنَ أخرى. ولو أنَّهم شنُّوا هجومَهُم في وقتٍ سابق، لأجبرُوا العدوَّ على إنهاءِ عمليَّتِه ضدَّ مجموعاتِ المجاهدين في بانجوايي في وقتٍ أبكر.

المقالة العاشرة: كمين "دوراناي"

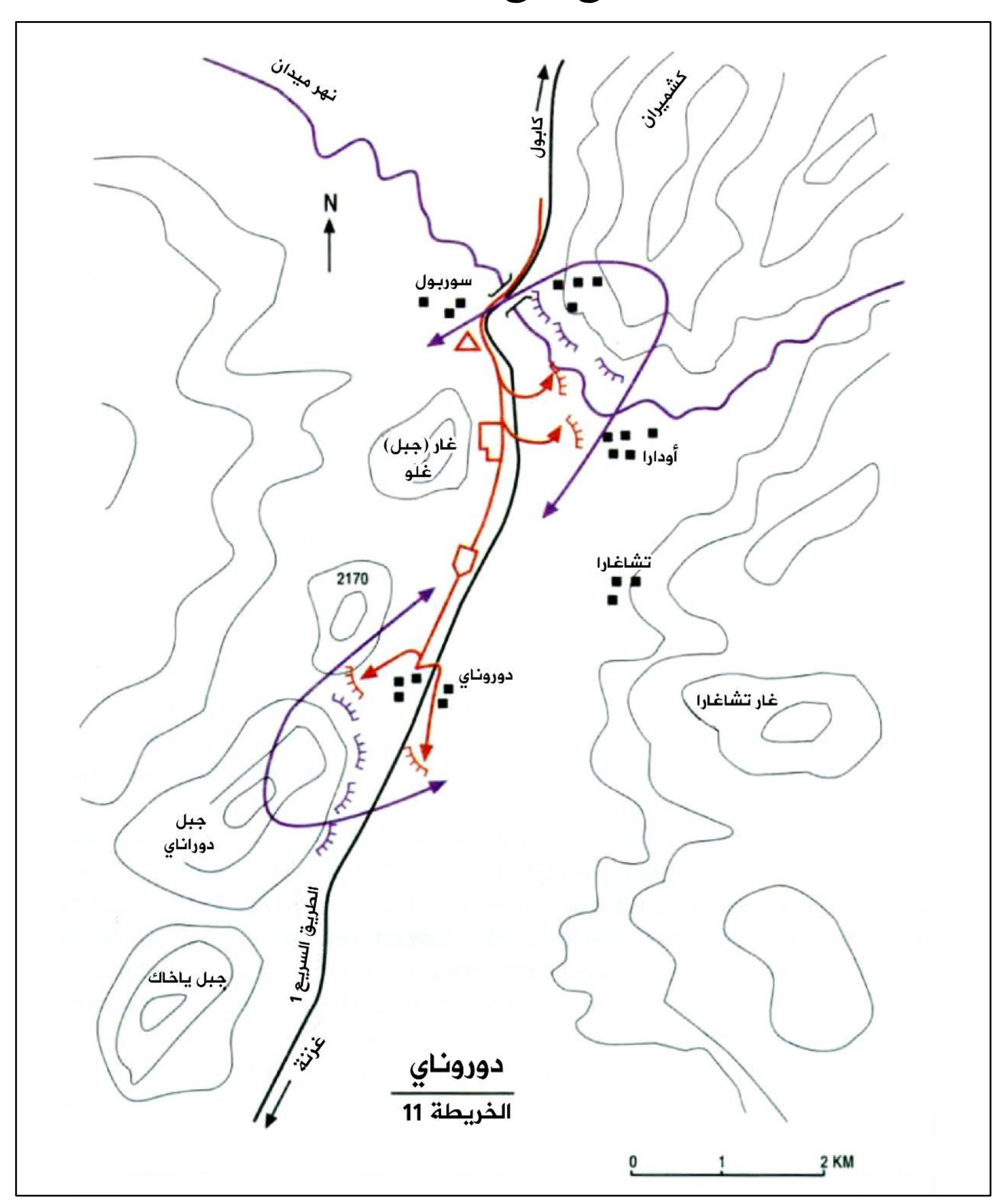
رواية القائد الحاج محمد صديق[42]

في سبتمبر عام 1983، كنت أنا ومجموعتي أزور منطقة ميدان. وكان مجاهدي ميدان قد سمعوا عن قافلةٍ قادمةٍ تتجه من كابول إلى غزني، فكانوا يخطّطون لكمينٍ لها. فانضممت إلى قادة الحزب الإسلامي التّابع لحكمتيار -وهم "غلام سَخي" والنّقيب "أمان الله ومولوي حليم" و"ضابط ولّي"- في إعداد كمينٍ على بعد حوالي 30 كم جنوب غرب كابول. لدى اجتماعنا، كان لدينا حوالي 60 مجاهداً مسلحين ببنادق AK-47، ومدافع هاون 60 ملم، وقاذفات آر بي جي -7، ومدفع عيار 82 ملم عديمة الارتداد. وخطّطنا لوضع موقعين للكمين، بحيث ننشر مجموعةً واحدة شرق الطّريق بين سوق دوراناي وسوربول، بينما ننشر المجموعة الأخرى غرب الطريق على المنحدر الأمامي لجبل دوراناي بالقرب من الطريق (الخريطة 11 - دوراناي). وقد أحسن المجاهدون إعداد الموقعين.



[42] الحاج محمد صديق من قرية نوبورجا في ولاية لوغر. وتقع هذه القرية في منطقة تانغي وردك الرابطة بين مديرية سيد آباد في ولاية وردك وبين مديرية بركي برك في ولاية لوغر. وتقع قرية القائد صديق في الحدود بين الولايتين. ولذا خاض القتال بجنده في الولايتين مع التنسيق مع بقية المجاهدين. وكان الحاج محمد صديق ينتمي إلى الحزب الإسلامي (حكمتيار). [Map sheet 2785, vie grid 8494]

شغلنا مواقعنا عند الفجر وانتظرنا الرّتل. وفي حوالي الساعة ٠٩:٠٠، جاءت القافلة من كابول، وكانت مؤلفةً من الشّاحنات والعربات المدرّعة. سبقت عناصر التّأمين القافلة، ومرّت عبر منطقة الكمين، لكنها فشلت في اكتشاف قواتنا. ثمّ دخلت القافلة منطقة الكمين. فسمحنا لها بالمرور حتى وصل أوّلها إلى موقع الكمين الثاني في جبل دوراناي. والآن، كان الرّتل داخل منطقة قتلٍ طولها حوالي خمس كيلومترات. ففتحنا من جميع المواقع على طول الرّتل المكشوف بأكمله.



نشبت معركةٌ حاميةٌ، حيث أطلقنا النّيران على جميع العربات. وكان لدى العدو مركزٌ أمنيٌ في سوربول انضم إلى المعركة وأطلق النار على مواقعنا. وعلى الرغم من نيران هذا المركز، ونيران العربات المدرّعة، إلا أن الرّد السوفييتي كان سلبياً إلى حد ما. فقد حمتْنا مواقعنا المُعدّة، ولم يكن للسّوفييت على ما يبدو أيّ مشاةٍ يرافقون القافلة، لذا لم يتمكّنوا من التّرجل والمناورة ضدّنا. كانت مواقعنا عرضةً للهجوم من الجناحين عبر كشميران أو جبل غلو، لكن النّقص الواضح في إسناد قوات المشاة السّوفييتية أبقى مركباتهم مثبتةً على الأرض المنخفضة، حيث واصلنا إطلاق النار عليهم بأسلحتنا المضادة للدبابات.

في وقتٍ لاحقٍ من اليوم، جلب العدو تعزيزاتٍ إلى ساحة المعركة وبدأ في قصف مواقع المجاهدين بالمدفعية والغارات الجوية. فبدأنا نسحب قواتنا تدريجياً. وبحلول الساعة 15:00، لم يتبقَ أحدٌ من المجاهدين في المنطقة. وقد قُتل قائد المجاهدين غلام سخي، والعديد من المجاهدين الآخرين، بينما جُرح الكثيرون. فيما استطعنا تدمير وإعطاب العديد من الآليات، التي قُدّرت أعدادها ب 33 عربةً مدرعةً و27 شاحنةً. واستطعنا اغتنام حوالي 40 قطعة سلاحٍ من مختلف الأنواع.

التّعليق:

أظهرَ المجاهدون تخطيطاً وانضباطاً جيدين في هذا الكمين، لكنَّهم استخدمُوا مواقع معدَّة سبق لهم استخدامُها من قبل. وكانوا يعلمون أيضاً أنَّ هذه المواقعَ أجنحتُها مكشوفةٌ، لكنَّهم لم يتخذُوا أيَّ احتياطات. فقد شعرُوا أن السُّوفييت لن يترجَّلوا للتَّحقق من مواقع الكمائن المعروفة، ولن تلتفَ الأعمال المضادة السُّوفييتية الفوريَّة على أجنحتِهم. وفي الواقع كانوا على حق. فقد كان المجاهدون يميلون لتنميطِ أعمالهم، إلا أنَّ السُّوفييت فشلُوا في الرَّدِ عليها. وقامَ المجاهدون بتخزينِ الذَّخيرةِ الكافيةِ للقتال لعدَّة ساعاتٍ في مواقعهم. وفيما يبدو أنَّ أغلبَ خسائرِهم تَلَقَّوها من المدفعيَّةِ والغارات الجويَّةِ أثناءَ تحركاتِهم نحو المركباتِ المُحترقة لغرضِ نهبِها أو عندَ الانسحاب.

لم تكن حركةُ القافلة السُّوفييتيَّة سرِّيَّة، فقد كان للمجاهدين اتصالاتٌ داخلَ الجيشِ الأفغاني وعملاءُ بالقربِ من مناطقِ التَّجمع، كما كانَ من المعروفِ أنَّ السُّوفييت يغادرونَ عادةً بعد الشُّروق، فمن المتوَّقع أن يصلُوا إلى المنطقة بين 08:30 و 09:30. وهذا ما جعلَ الأمرَ مناسباً للمجاهدين الذين لم يضطروا إلى البقاءِ في موقعِهم طوالَ اليوم. وكان السُّوفييت يعلمونَ مُسبقاً أنَّ هذا الموقعَ قد حوى كميناً من قبل، لكنَّهم لم يدمِّرُوا مواقعَ الكمين، أو يضعُوا عناصرَ تأمينٍ على أرضٍ مرتفعةٍ عبر المِروحيَّات، أو يضعُوا قوَّةً راجلةً عبرَ المنطقة للبحثِ عن الكمائن. علاوةً على ذلك، لم يكن لديهم مِروحيَّاتٌ هجوميَّةٌ تحلِّقُ في سماءِ المنطقةِ أو في حالة تأهب. ولم ينقلُوا قوَّة ردٍ سريعةٍ يمكن أنْ تصلَ إلى الجبالِ وتلتفَّ على أطرافِ مواقع الكمين. بدلاً من ذلك، اعتمدُوا على القوَّةِ القتالية لعرباتهم المدرَّعة والإسنادِ المتأخِّرِ للمدفعية والجويَّة.

كانَ لدى قائدِ المجاهدين 60 مقاتلاً مُوزَّعينَ على امتدادِ خمسةِ كيلومترات في كمينٍ على جانبي الطريق. ولم يكن لديه اتِّصالاتٌ لاسلكيةٌ مع جميع جنودِه. بدلاً من ذلك، كانت الإشارةُ لإطلاقِ النَّارِ هي رصاصةُ القائدِ الأولى. فيما تمَّ إعطاءُ الأوامر الأخرى بواسطةِ المُراسلين أو الإشاراتِ البصريَّة، مثل المرايا والمَشاعل وقنابلِ الدُّخانِ والتَّلويح. وقد اعتمدَتِ القيادةُ والسَّيطرةُ إلى حدٍ كبيرٍ على شرحِ القائدِ للكمينِ قبلَ العملِ والإجراءاتِ التَّشغيليَّةِ القياسيَّة.

المقالة 11: كمائن قندهار

رواية القائد "الملا مالانغ"[43]

على الرُّغمِ من بذلِهم قُصارى جهودِهم، لم يتَمكَّنِ السُّوفييت مُطلقاً من تحقيقِ السَّيطرةِ الكاملةِ على مدينةِ قندهارَ البشتونيَّةِ الكبيرة. ما ميَّزَ معاركَ قندهار عن غيرها من المناطق هوَ أنَّ جميعَ الفصائل تعاوَنَت فيما بينَها وناوَبت قوَّاتُها بانتظامٍ في المعركةِ بغرضِ إدامةِ الضَّغطِ على الحاميات السُّوفييتيَّةِ والأفغانيَّة. وكانت ضواحي قندهار مَسرحاً رئيسيّاً لعمليَّاتِ المجاهدين وغلقِ الطُّرقاتِ وتنفيذِ الكمائنِ أثناءَ الحرب. فلم يكن يمضي فيها يومٌ واحد دونَ وقوعِ هجومٍ للمجاهدين على أرتالِ العدو على طولِ الطَّريقِ السَّريعِ الرَّئيسي الذي يربطُ المدينة بغزني من شمالِها الشَّرقي وغيريشك من غربِها.

كانت أرتالُ العدو أكثرَ عُرضةً للخطرِ على امتدادِ الطَّريقِ بين الضَّواحي الغربية للمدينة و"هاوز ماداد"، الواقعةِ على بُعدِ حوالي 40 كم غربَ قندهار. وفي هذه المنطقة، تمكَّنَ المجاهدون من نصبِ الكمائنِ لأرتالِ العدوّ مُختبئين في البساتين والقرى. وبينما يمتدُّ الطَّريقُ من سانجاري حتَّى نهرِ أرغنداب، فإنَّ المنطقةَ الخضراء تسيرُ بموازاةِ الطَّريقِ السَّريع من جنوبِه، ويرتفعُ سهلٌ قاحلٌ تدريجيّاً نحو الجبالِ ويحيطُ بالطَّريقِ من شَمالِه. (انظر الخريطة 10 أ - ده خواجه 1 في المقالة التاسعة.)

---

[43] الملا مالانغ، عمره الآن 38 عاماً (وقت إصدار الكتّاب عام 1998م)، بشتونيٌّ من ولايةِ بادغيس الشمالية الغربية. كان طالباً في مدرسةٍ دينيةٍ في قندهار عندما وصل الشُّيوعيُّون إلى السُّلطةِ بانقلابٍ دموي في كابول عام 1978م. فانضمَّ الملا مالانغ إلى خليَّةِ مقاومة في الضواحي الجنوبية لقندهار (مالاجات) وبدأ قتالَ النِّظامِ الشيوعي. قُبِضَ عليه في خريف عام 1979م لتوزيعِه منشوراتٍ معاديةٍ للحكومة، ثم أُطلق سراحُه بعد ذلك بعفوٍ عام بعد الغزو السُّوفييتي في يناير/كانون الثاني 1980م. فرَّ الملا مالانغ على الفور إلى باكستان ثم انضمَّ إلى فصيل مولوي محمد نبي محمدي. وعاد بعدها إلى قندهار للقتال. انضمَّ الملا مالانغ لاحقًا إلى الحزب الإسلامي بقيادة محمد يونس خالص وأصبحَ قائداً رئيسيّاً للفصيل في الولاية مع وجود قواعدِه في أرغستان ومالاجات وباشمول وخاكرين.

(Map sheet 21801)



رتل هيرات:

في واحدةٍ من أولى الكمائنِ الكبرى، خطَّطَت مجموعاتُ المجاهدين التَّابعةُ لأحزابٍ مختلفةٍ سلسلةً من الكمائنِ على طولِ الطّريقِ السَّريعِ الرَّئيسي من غيريشك إلى قندهار (الخريطة 12 - قندهار). وفي سبتمبر 1984م، تحرَّك رتلُ إمدادٍ سوفييتي/أفغانيٍ من تورغوندي على حدودِ تركمانستان السُّوفييتية (في ذلك الوقت) مروراً بقاعدةِ شيندَند الجويَّةِ غربَ أفغانستان إلى الحاميةِ السُّوفييتية في قندهار. وتألَّفَ الرَّتلُ من عدَّةِ مئاتٍ من الشَّاحنات ترافقُها الدَّباباتُ وناقلاتُ الجنود المدرَّعة. تم تحميلُ معظمِ الشَّاحنات بالبنزين الذي جُلِبَ من شيندَند، حيثُ كانت الأخيرةُ يأتيها البنزين عبرَ خطِّ أنبوبٍ من حقلٍ سوفييتي.

قُمْنا أنا وسارانوال عبد الولي من الجبهةِ الإسلاميَّةِ الوطنيَّةِ الأفغانية [44] بتنسيقِ خطةٍ للمجاهدين. وخطَّطْنا لوضعِ العديدِ من الكمائنِ المترابطةِ التي تشغلُها مجموعاتٌ صغيرةٌ من المجاهدين، بهدفِ مفاجأةِ الرَّتلِ وتدميرِه بالكامل عبرَ تسليطِ نيرانٍ متزامنةٍ عليه. يتطلَّبُ هذا الأمرُ اختيارَ امتدادٍ مناسبٍ من الطَّريقِ يمكنُه استيعابُ جميعِ الكمائنِ المطلوبةِ لمهاجمةِ الرَّتلِ بأكمله. فاخترنا منطقةَ القتلِ التي تمتدُّ

---

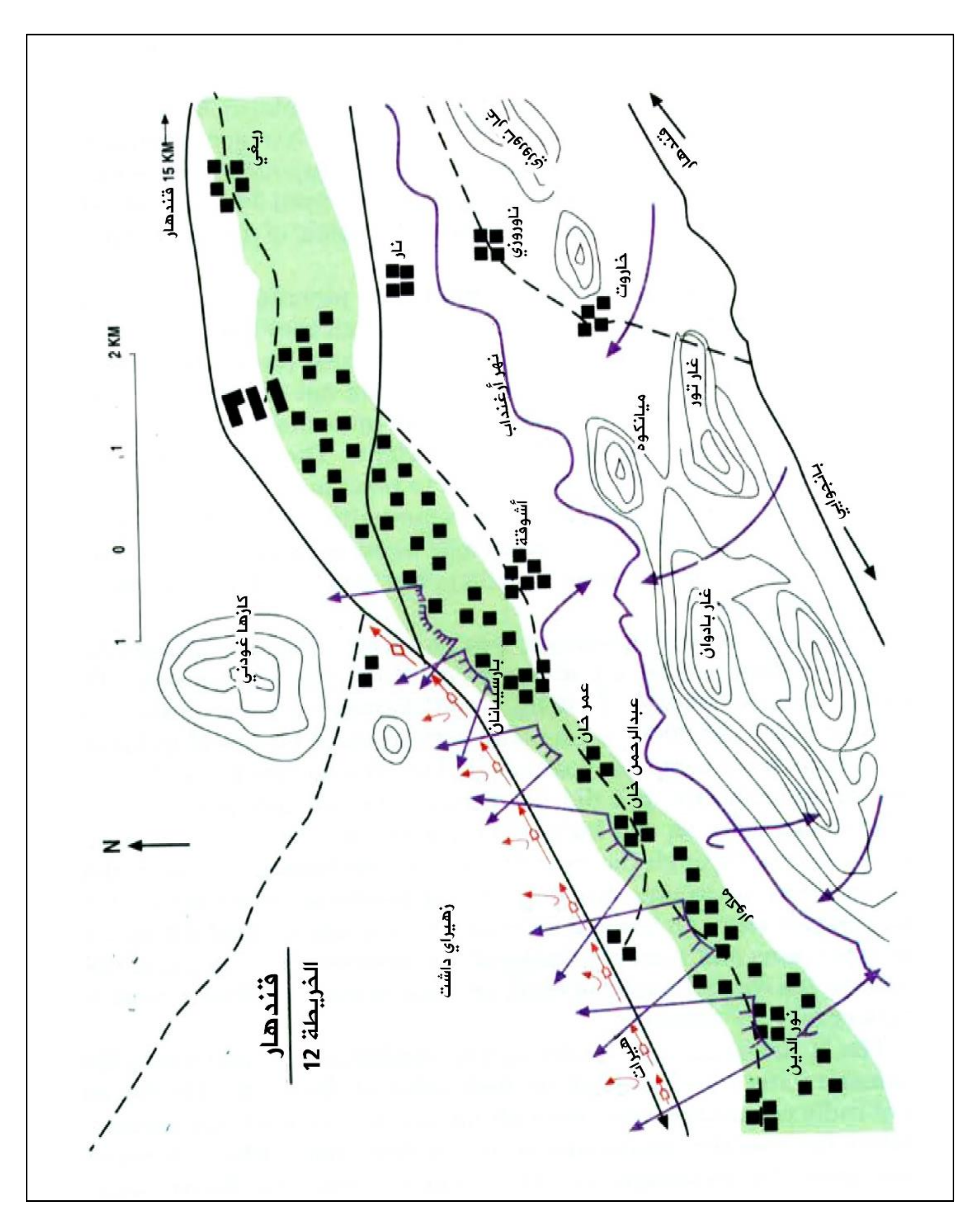
[44] الجبهة الإسلامية الوطنية الأفغانية (NIFA) أسَّسها بير سيد أحمد جيلاني، وضمَّ هذا الفصيل المعتدل عدداً من ضباط الجيش الأفغاني السابقين والفنيين المعتدلين.

لمسافةٍ تُقارِبُ سبعةَ كيلومترات بين نقطةٍ في نهاية سانجاري (ببداية قرى أشوقة) ونقطةٍ مباشرةً إلى الشَّرق من باشمول. وقدَّرنا أنَّ امتدادَ الطَّريقِ السَّريع هذا يتوافقُ مع طولِ رتل العدو.

قرَّرنا تقسيمَ العددِ المُتاح من المجاهدين البالغ 250 إلى عدَّةِ مجموعات. وكانت المجموعاتُ مسلَّحةً بقاذفات الآر بي جي -7 المضادَّةِ للدروع وأربعةِ مدافعَ عديمةِ الارتداد من عيار 82 ملم أو خمسة. وكانت جميعُ الكمائنِ موجودةً في المنطقةِ الخضراءِ جنوبَ الطريق. كانَ لكلِّ مجموعةِ كمينٍ قطَّاعٌ معينٌ من منطقةِ القتل. وصدَرَت تعليماتٌ لجميع المجموعاتِ بفتح النِّيران في وقتٍ واحدٍ لدى وصولِ أوَّلِ الرَّتلِ إلى قرى أشوقة. وكان المجاهدون قد توقَّعُوا أنَّ هذا الوصولَ يتزامنُ مع خروجِ آخرِ الرَّتلِ من قرى باشمول.

في ذلك الوقت، كان معظمُ السُّكانِ المحليين لا يزالون يَعيشون في منازلِهم على طول الطَّريق. والقليلُ منهم هاجرُوا إلى باكستان، حيثُ لم تقع هناك أيَّةُ أعمالٍ عسكريةٍ سوفييتيَّةٍ كبيرةٍ. تحرَّكت مجموعاتُ المجاهدينَ القادمينَ من مالاجات (الضَّواحي الجنوبيَّةِ والجنوبيَّةِ الغربيَّةِ لقندهار) وغيرِها من القواعدِ المجاورةِ أثناءَ الليل إلى المكامنِ المخصَّصةِ لهم، وتمَّ إخفاءُ خطَّةِ الكمينِ عن السُّكان المحليين ووحداتِ المجاهدين المحليَّة لأنَّ جماعاتِ المقاومةِ المتمركزةِ في منطقةِ الكمين كانت مُتردِّدةً في المُشاركة، خوفاً من الانتقام عبرَ استهدافِ منازلِهم وأسرِهم التي لا تزالُ تعيشُ هناك.

تحرَّكت مجموعاتُ الكمين إلى مواقعِها أثناءَ الليل، ونشرَت دورياتٍ لتأمينِ المنطقة. مع بزوغِ الصَّباح وبَدْءِ حركةِ السُّكان المحليين، احتجزَت دوريَّاتُ المجاهدين القرويين مؤقتاً لضمانِ السِّريَّة. ووصلَت القافلةُ السُّوفييتيَّةُ إلى منطقةِ القتل في الساعة 09:00. ووفقاً للتَّعليمات، فتحَت مجموعاتُ المجاهدين النِّيرانَ على نحوٍ متزامنٍ لتفاجئَ العدو. توقَّفَ الرَّتلُ وبدأَت العديدُ من العرباتِ تتحركُ شمالًا على السَّهلِ المفتوح. وردَّتِ الدَّباباتُ وناقلاتُ الجنودِ المدرَّعةِ المرافقة برماياتٍ عشوائيَّةٍ مذعورةٍ على الطريق دونَ محاولةِ المناورةِ أو الاقترابِ من مواقعِ الكمائن. وكانت عرباتُ العدوِّ التي تحرَّكُ شمالًا بعيداً عن الطَّريقِ السَّريع قد خرجَت عن نطاقِ العديدِ من أسلحةِ المجاهدين.



في غُضونِ ذلك، اشتعلَتِ النّيرانُ في العديدِ من شاحناتِ البنزين وانتشرَ الحريقُ بسرعةٍ نحوَ عرباتٍ أخرى، فتسبَّبَت سلسلةُ الحرائقِ بعدَّةِ انفجاراتٍ ألقت حُطاماً مُشتعلاً على جانبي الطَّريق. واستطعْنا تسجيلَ ضرباتٍ مباشرةٍ للأهداف، وكانت حوالي 50 عربةً، فيما تضرَّرَت عرباتٌ أخرى كثيرةٌ بالانفجاراتِ التي تسبَّبَت بها الشَّاحناتُ وناقلاتُ الغاز. واستغرقَ العملُ 30 دقيقةً، ثمَّ انسحبْنا قبل أنْ تقلعَ طائراتُ العدو، ولم يتبعْنا العدو.

مَثَّلَ هذا الكمينُ بدايةَ معركةٍ طويلةٍ للسَّيطرةِ على الطَّريقِ الغربي إلى قندهار. وحتى تاريخ الانسحابِ السُّوفييتيّ عام 1989م، كان هذا الطَّريق تحتَ التَّهديدِ الدَّائمِ من قبلِ المجاهدين الذين أقامُوا حواجزَ على الطُّرُقِ ونفَّذُوا الكمائنَ عليها ولغَّمُوا أجزاءً منها وهدمُوا الجسورَ والأنفاقَ والقناطرَ باستخدامِ مخلفاتِ القنابلِ الجويَّةِ غيرِ المُنفجرة. وفي مواجهةِ الكمائنِ المستمرَّةِ للمجاهدين والهجماتِ على القوافلِ على طولِ الطّريقِ السَّريع، أنشأتِ القوَّاتُ السُّوفييتيَّةُ عدَّةَ مراكزَ أمنيَّةٍ وقواعدَ ناريَّةٍ في المنطقة. وبنوا قاعدةَ نيرانٍ كبيرةً في صَومَعَةِ قندهار وقاعدةً أخرى في "كاريز سليم" في السَّهلِ الشَّمالي المطلِّ على الطَّريقِ السَّريعِ الغربيّ في قندهار.

وضعَ السُّوفييت ثلاثةَ مراكزَ أمنيَّةٍ عندَ النِّقاط التي امتدَّت فيها البساتين والمنطقةُ الخضراءُ إلى الطريقِ والتي وفَّرت تمويهاً لكمائنِ المجاهدين، وتمَّ تأسيسُ المراكزِ على جانبي باساب وفي هاوز ماداد (الخريطة 10 أ 1 ده خواجه في المقالة التاسعة). كانت المواقعُ محميَّةً بواسطةِ سواترَ أرضيَّة. وتمَّ ربطُ المراكزِ الأمنيَّةِ على جانبِ الطَّريقِ بقاعدةِ النِّيرانِ الرَّئيسيَّةِ في كاريز سليم عبرَ خنادقِ الاتِّصالِ التي سَمَحت بالتَّعزيزِ الآمنِ والسَّريع. كان كلٌّ من موقِعَي باساب يديرهُما 10-15 رجلًا، وكان لكلٍّ منهُما دبابةٌ ومدفعُ هاوتزر ومدفع هاون. بينما كانَ مركزُ هاوز ماداد الأمنيُّ أكبرَ مرَّتين من مركزَيْ باساب مُجتمعين.

أعاقَ التَّرتيبُ الأمنيُّ الجديدُ حركةَ المجاهدين في المنطقة. وفشلَت المحاولاتُ المتكرِّرة من قبلِ المجاهدين في تدميرِ المواقعِ السُّوفييتيَّة. فأرسل "لاله مالانغ"[45] إليَّ وطلبَ مني المُشاركةَ في هجومٍ مُنَسَّقٍ على المراكزِ الأمنيَّةِ السُّوفييتيَّة في نوفمبر 1985م. إلا أنَّ قوَّاتِ المجاهدين كانت تفتقرُ إلى القُدرةِ على ضربِ المواقعِ الأمنية، لأنَّهم اضطرُّوا للقتالِ من مواقعَ مكشوفةٍ مع القليلِ من الغطاء، كذلك كانُوا يفتقرونَ إلى المُعَدَّاتِ الهندسيَّةِ المطلوبةِ لتحييدِ حقولِ الألغامِ حولَ مواقعِ العدو. لذلك، لم يتمكَّن المجاهدونَ من الضَّغطِ على حامياتِ المراكزِ الأمنية.

[45] كان "لاله مالانغ" قياديَّاً معروفاً للمجاهدين، يتمركزُ في باشمول، وقد قُتِل أثناءَ الاجتياح السُّوفييتيّ الكبير لوادي أرغنداب عام 1987م.

قرَّرْنا نحن مجاهدي قندهار أنْ نقومَ في الأوَّلِ بتعزيزِ قدراتنا التَّكتيكيَّة على النَّجاة، ومن ثمَّ تجديدِ محاولاتِ تدميرِ مراكزِ العدوِّ الأمنيَّة. فبدأنا وواظبنا على تحسينِ التَّحصينِ الميداني لمناطقِنا حولَ قندهار. وحَفَرْنا الخنادقَ المسقوفةَ المُطلَّة على مراكزِ العدو الأمنية. وبنيْنا ملاجئَ قتاليَّةً وملاجئ ليليةً تحتَ الأرضِ (للإيواءِ والنَّوم) وغطَّينا الخنادقَ الواصلةَ بين النِّقاطِ الدِّفاعيَّة، وقمنا بتخزينِ الذَّخائرَ والمؤنَ في هذهِ المواقعِ المُعدَّة. وحيثما أمكن، قُمنا بسقفِ الملاجئِ مستخدمينَ الأخشاب المغطَّاة بطبقةٍ سميكةٍ من التُّرابِ لحمايةٍ من المدفعيَّةِ والطَّيران. وأعدَدْنا مواقعَ رمايةٍ لراجماتِ الصَّواريخ متعدِّدَةِ السَّبطانات (MRL). وكان لكلِّ موقعٍ من هذه المواقع بِركةُ ماءٍ حتَّى يتمكَّنَ طاقمُ الرِّمايةِ من رَشِّ الماءِ على الموقعِ قبلَ إطلاقِ النَّارِ لامتصاصِ اللهيبِ والأدخنةِ النَّاتجةِ عن إطلاقِ الصَّواريخ.

هذه المواقعُ عزَّزَت على نحوٍ كبيرٍ من استدامةِ المجاهدين الميدانيَّة، ومكَّنتهُم من إطلاقِ النَّارِ على مواقعِ العدوِّ على مدارِ الساعة. ففشلت محاولاتُ العدوِّ لطردِ المجاهدين بالهجمات الجويَّة ونيرانِ المدفعيَّةِ مِراراً وتكراراً. كما لم تتمكنْ دبَّاباتُ العدوِّ وقوَّاتُ البنادقِ الآليَّة من اختراقِ المناطقِ الخضراءِ للقضاءِ على المَوَاقع.

أخيراً، أُجبِر العدوُّ على التَّخلي عن مواقعِه في باساب وهوز ماداد ونقَلَ قوَّاتِه إلى كاريز سليم. فكثَّفَ قائدُ المجاهدين المحليين الملا نايك محمد وآخرين المضايقاتِ اليوميَّةَ لحركاتِ العدوِّ في المنطقةِ القريبةِ من المنطقةِ الخضراء. فكانُ السُّوفييت كلَّ صباح ينشرونَ دوريَّاتٍ أمنيةٍ من قاعدتِهم في صَومَعَة قندهار لتأمينِ الطَّريقِ السَّريع من المدينةِ إلى سانجاري. بينما غَطَّت قاعدةُ كُريز سليم للنِّيرانِ المنطقةَ غربَ سانجاري.

وحينَ تزايدت تهديداتُ هجماتِ المجاهدين لأمنِ قوافلِ العدوِّ على الطَّريق السَّريع، قرَّرَ السُّوفييت تجنبَ الجزء من الطَّريقِ الذي لم يتمكنُوا من السَّيطرة عليه، وقامُوا ببناء منعطفٍ إلى الشَّمالِ من الطَّريقِ السَّريع. فتمَّ بناءُ هذا المنعطف عام 1985م، وقد ربطَ بين سانجاري وكاريز سليم (انظر الخريطة 10 أ – ده خواجه 1 في مقالة 9).

التَّعليق:

عدمُ كفايةِ الاستطلاعِ كلَّفَ السُّوفييت ثمناً باهظاً. وغالباً ما تسبَّبَ تحرُّك قوافلِ الإمداد ضمنَ أراضٍ ضيّقة، دونَ ترتيباتٍ أمنيَّةٍ فعالة، بانتكاساتٍ تكتيكيَّةٍ فادحة. كذلك فَشِلَ السُّوفييت في تغطيةِ حركةِ القافلةِ بمروحياتٍ استطلاعيَّةٍ وأخرى هجوميَّة. وكان المجاهدونَ قد حسبُوا زمنَ الرَّدِّ اللَّازمِ لوصولِ المروحيَّات الهجوميَّة من قاعدةِ قندهار الجويَّة. وكانَ من المُمكنِ أنْ تنقذَ المروحيَّاتُ الهجوميَّةُ موقفَ القافلةِ السُّوفييتيَّة لو أنَّها وصلت في الوقتِ المناسب، لكن من الواضحِ بأنَّها لم تكنْ ضمنَ خطَّةِ حمايةِ القافلة، كما أنَّها لم تكنْ تحتَ الطلب.

عادةً، ينشرُ السُّوفييت ناقلاتِ الجنودِ المدرَّعةِ عبرَ القافلةِ بشكلٍ مُتباعد على مسافةٍ معينةٍ كعرباتِ تأمين. وفي حالةِ وجودِ كمين، تتوقَّفُ ناقلات الجنود المدرعة في منطقةِ القتل وتردُّ بإطلاقِ النَّار، بينما تتمكَّنُ بقيَّةُ القافلة التي علِقَت في منطقةِ القتلِ من الخروج. وهكذا فإنَّ جميعَ المفارزِ الأمنيَّة كانت تتَّبعُ هذه الإجراءاتِ التشغيليَّةِ القياسيَّة. أي أنَّها بدلاً من تركيزِ الجهودِ للاستفادة من صلابةِ التَّدريعِ والقوَّةِ النَّاريَّةِ للالتفافِ على مجموعاتِ الكمائن وقطعِ انسحابِهم، بقيَت عرباتُ التَّأمينِ السُّوفييتيَّة بكلِّ سلبيَّةٍ مع الرَّتلِ العالقِ لتطلقَ النِّيرانَ على مواقعِ المجاهدين المشتبهِ بها. والحقيقةُ أنَّ هذهِ الإجراءاتِ لم يكنْ لها أيُّ تأثيرٍ يُذكر.

وفي وقتٍ لاحقٍ، عندما أنشأتِ القوَّاتُ السُّوفييتيَّةُ مراكزاً أمنيَّةً ثابتةً في المناطقِ الرَّئيسيةِ على طولِ الطَّريقِ السَّريع، فشلَت في إسنادِها وإدامة إمدادها عند مواجهةِ هجماتِ المجاهدِينَ المستمرَّة. وقد قادَهم هذا فيما بعد إلى بناءِ منعطفٍ إلى الشَّمال بعيداً عن المنطقةِ الخضراءِ الخَطِرة. وأسلمَ السُّوفييت المبادرةَ للمجاهدين في السَّيطرةِ على الحركةِ ولم يستعيدوها أبداً. ومن ثمَّ كانت معظمُ الإجراءاتِ السُّوفييتيَّة في المنطقةِ مبنيَّةً على ردودِ الأفعال. وفي حربِ العصابات، يصبحُ فقدانُ المبادرةِ حاسماً في نتيجةِ القتالِ التَّكتيكي.

أكثرُ العواملِ التي ساهمت في نجاحِ المجاهدين وإلحاقِهم خسائرَ فادحةٍ بالعدو كانت:

1. تخطيطُهم المُتقن

2. وسريَّةُ تحركاتِهم
3. والعملُ المنسَّق.

وقد أصبحَت هذهِ العواملُ متوفرةً عبرَ المعلوماتِ المفصَّلة عن العدو، بما في ذلك: حجمُ القافلة، واتجاهُ حركتِها، والوقتُ المقدَّرُ لوصولها إلى موقعِ الكمين. وربما كانَ الهجومُ على نحوٍ متزامنٍ على رتلِ العدوِّ على كاملِ عمقهِ أكثرَ العناصرِ حَسماً في هذا الكمين. ففي هذهِ الحالةِ، كانَ للمجاهدينَ حوالي 40 مقاتلًا لكلِّ كيلومترٍ واحدٍ من الكمين. وهذهِ الكثافةُ أكثرُ إشباعاً للهدف من كمائنِ المجاهدين المُعتادة، ويَعكِسُ ذلك كونُهم يقاتلونَ انطلاقاً من المنطقةِ الخضراء التي يُمكنُ أنْ تستوعبَ المزيدَ من المُقاتلين.

ومع ذلك، عَجِزَ المجاهدون عن استغلالِ المُبادرة التي حَقَّقوها عبرَ المفاجأة بالانتقالِ إلى الطَّريقِ لاستكمالِ تدميرِ العدوِّ المَذعورِ والمنهارِ معنويًّاً. فبدلاً من ذلك انسحبُوا بعدَ نجاحِهم مباشرةً. وقد أصبحَ هذا الأمرُ -عجزُهُم عن استغلالِ الانتصارِ في الكمينِ على نحوٍ كامل- السِّمةَ المميَّزةَ لتكتيكاتِ الكرِّ والفرِّ للمجاهدين طِيلةَ الحرب.

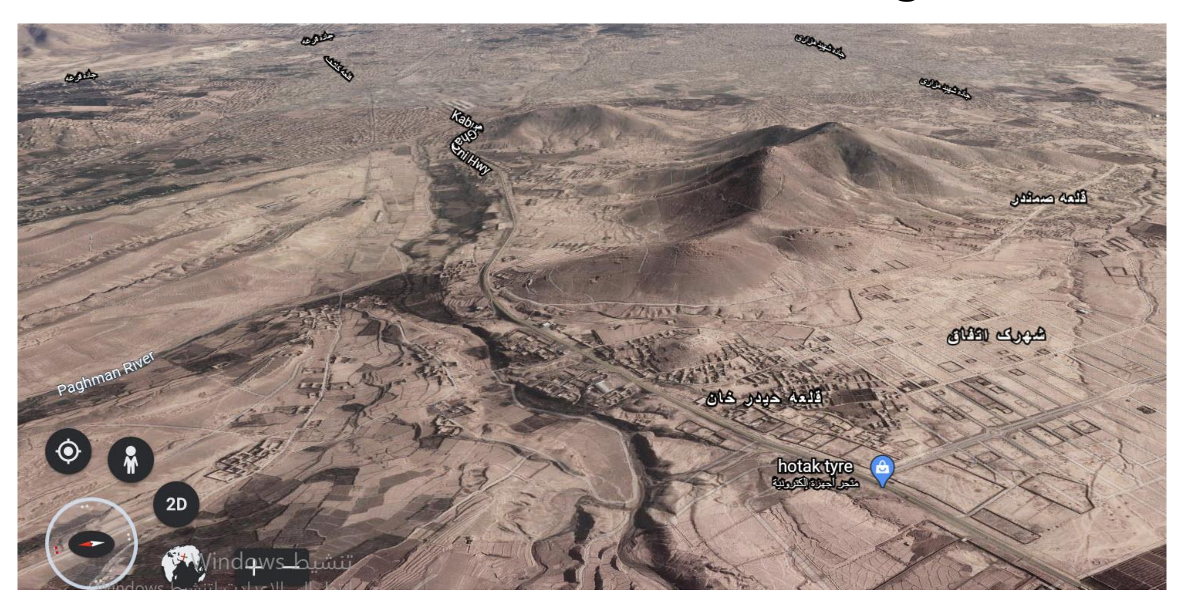
أثبتَت القتالاتُ التي حدثَت فيما بَعد، أهميَّةَ التَّحصيناتِ الميدانيَّة والتَّضاريسِ لزيادةِ قابليَّةِ النَّجاةِ في ساحةِ المعركةِ وإدامةِ القِتال، على الرُّغمِ من تفوُّقِ العدوِّ المِدفعيِّ والجوي. وكانَ هذا النجاحُ درساً تعلَّمَهُ المجاهدونَ فوراً، وطبَّقُوه بأسلوبٍ فعالٍ طوالَ الحرب. ومن ناحيةٍ أخرى، لم يَبذُلِ السُّوفييت والجيشُ الأفغانيُّ جهوداً موحَّدةً للعثورِ على مواقعِ المجاهدين الحَصينةِ وتدميرِها.

لطالما أثَّرت الطَّبيعةُ الضيِّقةُ (المناطقية) للمقاومةِ على اختيارِ مكانِ/زمانِ تنفيذِ الإجراءاتِ التَّكتيكيَّةِ ضدَّ العدو. ففي المناطقِ التي بقيَ فيها السُّكانُ المحليون في منازلِهم ولم يهاجرُوا، فضَّلت وحداتُ المقاومة المحليَّة أنْ تحتفظَ لنفسِها باختيارِ الوقتِ والمكانِ وطريقةِ العمل ضدَّ العدوِّ وعدمِ السَّماحِ لمجموعاتِ المجاهدين الخارجيَّة بالمخاطرةِ بأمنِهم وخططِهم عبرَ شنِّ القتالِ في منطقتِهم دونَ موافقتِهم. لقد كانت الطَّبيعةُ اللامركزيَّة للمقاومةِ والفصائليَّةُ وانعدامُ القيادةِ الموحَّدةِ نقطةَ قوَّةٍ وضعفٍ في آنٍ واحدٍ للمجاهدين.

المقالة 12: كمينٌ في "قلعة حيدر"

رواية "أصيل خان"[46]

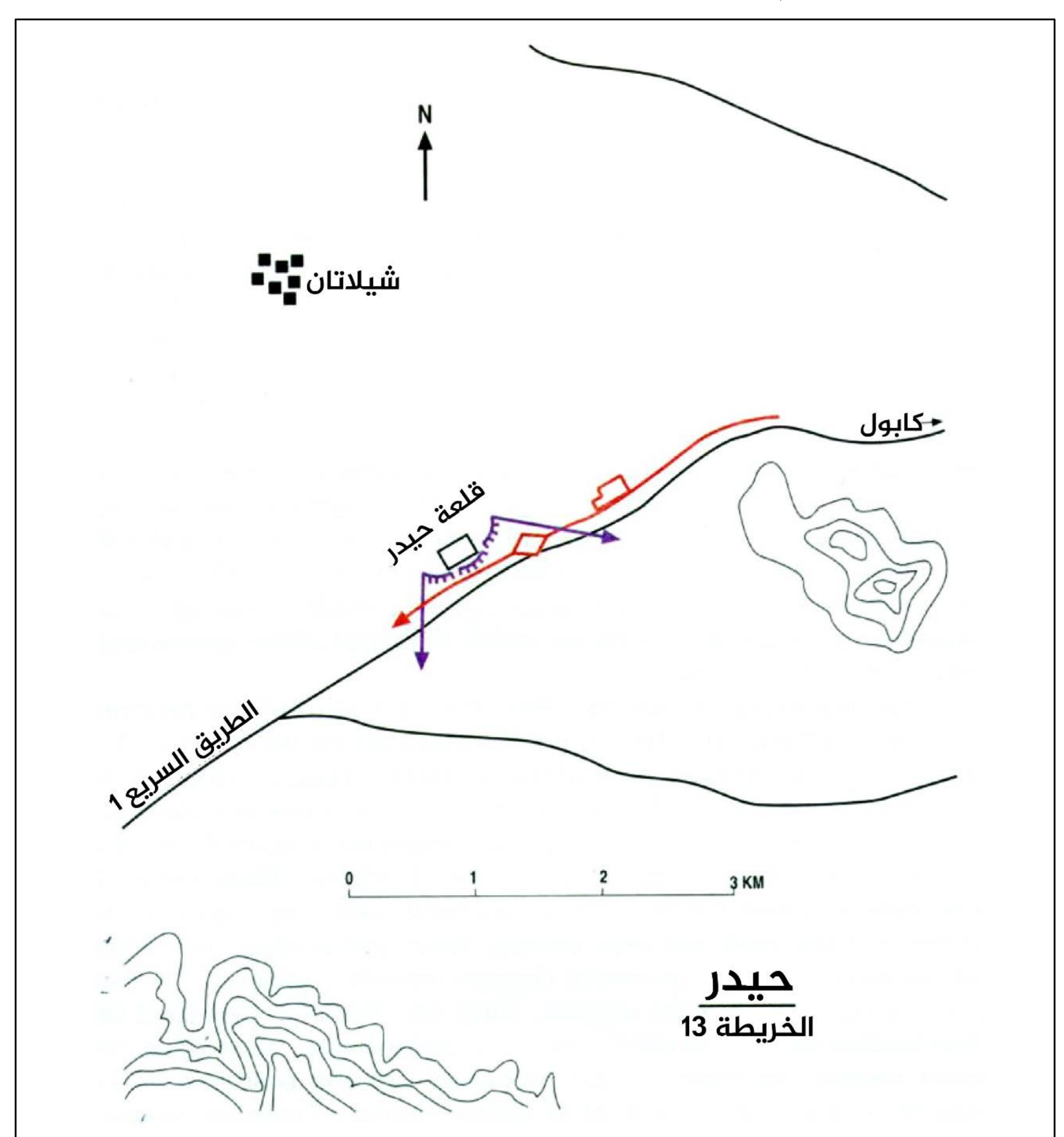
بَدَأَ المجاهدون مبكراً منذُ عامِ 1980م بمهاجمةِ الأرتالِ السُّوفييتيَّةِ على طولِ الطَّريقِ السَّريعِ الجنوبيِّ الغربيِّ الرئيسيِّ الذي يربطُ العاصمةَ الأفغانيَّةَ كابول بغزني وقندهار. وكان هذا الطَّريقُ البالغُ طولُه 480 كيلومتر يَسْهُل استهدافُهُ في العديدِ من المناطق. وكانَ الطَّريقُ -بين شيلتان وميدانِ خارج كابول مباشرةً- يتعرَّضُ لهجماتٍ مستمرةٍ من قبلِ المجاهدينَ الذينَ كانُوا ينطلقُون من قواعِدِهم في ضواحي كابول وبغمان وكوروغ وأرغنداب وميدان.



في البدايةِ، أنشأَتِ القوَّاتُ السُّوفييتيَّةُ والأفغانيَّةُ مراكزَ أمنيَّةً في النِّقاطِ الرَّئيسيَّةِ على طولِ الطَّريقِ في كلِّ مرةٍ يتحرَّكُ فيها رتلٌ على الطَّريق السَّريع. وَوفقاً للخطَّةِ الأمنيَّةِ الأفغانيَّة، كانت العديدُ من الوحداتِ العسكريَّةِ هي من تحمَّلُ مسؤوليةَ حمايةِ أجزاءٍ من الطُّرُقِ وإدارةِ المراكزِ الأمنيَّةِ بينما كانت القوافلُ السُّوفيتيَّةُ والأفغانيَّةُ تحرَّكُ في منطقتِهم. وفي وقتٍ لاحقٍ ومع زيادةِ التَّحرُّكاتِ

[46] أصيل خان: عَمِلَ في كابول والضَّواحي كأحدِ أفرادِ العِصاباتِ الحضرية. وينتمي للجبهة الإسلامية الوطنيَّة الأفغانيَّة. تم مناقشة الخطة الأمنيَّة الأفغانيَّة والملاحظات الأخرى في المقالة. [Map sheets 2785, 2786, 2885 and 28861

العسكريَّةِ على طولِ الطَّريقِ السَّريع، كانت الوحداتُ تقومُ على نحوٍ مُنتَظَمٍ بنشرِ المفارزِ الأمنيَّةِ في المراكزِ الأمنيَّةِ صباحاً وسحبِها عندَ الغَسَق (ظلمة الليل). كانت إحدى هذهِ المراكزِ تقعُ في قلعةِ حيدر الأثريَّة، على بُعدِ حوالي 15 كم غربَ كابول. وكانت عُرضَةً لهجماتِ المجاهدين الذين كانُوا يتسلَّلون إليها من القُرى المجاورة التي لم تكنْ خاضعةَ لسيطرةِ الحكومة (الخريطة 13 - حيدر).



في بداية أكتوبر/تشرين الأول عام 1984م، سَئِمَ الجيشُ الأفغانيُّ من تَكرارِ هجماتِ المجاهدين مِمَّا أَجبَرَه على إخلاءِ المراكزِ الأمنيَّةِ لعدَّة أيام. فقرَّرَ أصيل خان إجراءَ كمينٍ في قلعةِ حيدر، على الرَّغم من علمِه بعدمِ استطاعتِهِ الاحتفاظَ بالموقعِ لأكثرَ من بضعِ دقائقَ بعد الكمين، نظراً لأنَّ القوَّاتِ

الأفغانيَّةَ يمكنُ أنْ تَصِلَ بسرعةٍ من مراكزَ أخرى. وفي ليلة 18 أكتوبر/تشرين الأول 1984م، قادَ أصيل خان فريقاً من 15 مقاتلاً إلى قلعةِ حيدر. وكانتْ هناكَ بعضُ عمليَّات الإصلاح للطَّريقِ قُربَ المركز، وقدْ تمَّ كشطُ الطَّريقِ وتدريجُه. فأمر أصيل خان رجالَه بدفنِ ثلاثةِ ألغامٍ شديدةِ الانفجار يكونُ التَّحكمُ فيها عن بُعْدٍ في الطَّريق أمامَ المخفرِ مباشرة، كما قامُوا بدفنِ أسلاكِ الألغامِ وتمويهِهَا قدْرَ الإمكان. وأمضَوا ليلتينِ في تلغيمِ الطَّريقِ السَّريع وإعدادِ المواقع القتاليةِ في البساتينِ وفي الخندقِ أمامَ قلعةِ حيدر، ثم قاموا برصدِ الطَّريقِ انتظاراً للأرتالِ القادمة.

في صباح يوم 20 من أكتوبر/تشرين الأوَّل، حَلَّقَت في السَّماءِ عددٌ من المروحيَّات أكثرَ من المُعتادِ فوقَ المنطقة، فشَعَرَ أصيل خان بأنَّ القافلةَ كانت تغادرُ كابول، فأسرعَ ورجالُه إلى الموقعِ وكمَنُوا لها. وفي حوالي السَّاعةِ 10:00، اقتربَت قافلةٌ كبيرةٌ للإمدادِ من موقعِ المجاهدين، ترافقُها دبَّاباتٌ وناقلاتُ جنودٍ مدرَّعةٍ، بينما كانت المروحيَّاتُ تحومُ فوقَها. ومعَ وصولِ الدَّبَّاباتِ والنَّاقلاتِ الرَّائدةِ لمنطقةِ القتل، فجَّرَ المجاهدون الألغامَ فدمَّرُوا إحدى الدَّبَّاباتِ وتوقَّفتِ القافلةُ فوراً. ثمَّ فتحَ المجاهدونَ النِّيرانَ على القافلةِ، إلا أنَّ همهم الأول كان هو الفرارِ بسرعةٍ إلى الحدِّ الذي أضعفَ من فعاليَّةِ النِّيرانِ ضدَّ القافلةِ الضَّعيفة. فلم يدمِّرُوا سوى شاحنةً واحدةً بقذائفِ الآر بي جي-7 قبلَ إنهاءِ الاشتباكِ ليفرُّوا سالمين إلى المناطقِ الصَّديقةِ إلى الغرب.

التَّعليق:

حَقَّقَ المجاهدون عاملَ المفاجأة، إلا أنَّهم فشلُوا في استغلالِه مع توقُّفِ القافلة. فقد مَنَعَت رغبةُ القائدِ في تأمينِ قوَّاتِه من إحداثِ نكايةٍ أكبرَ في القافلة. ومع ذلك، لا بأسَ بدبابةٍ وشاحنةٍ كحصادٍ لجهودِ 15 مقاتلاً في كمينٍ واحد. إنَّ الاختيارَ الصَّحيحَ لموقعِ الكمين من الأهميَّة بمكانٍ، وهذهِ المنطقةُ مشكلتُها أنَّها مكشوفةٌ جداً، إلى الحدِّ الذي لا تُوفِّرُ فيه الحمايةَ المطلوبةَ للقوَّات. بينما يقعُ معبرُ "تَخْت" على بعدِ حوالي 12 كيلومتراً جنوباً، وهو أفضلُ بكثيرٍ كموقعِ كمين، وتُتيحُ تضاريسه أيضاً عاملَ المفاجأة، وتوفِّرُ حمايةً أفضَلَ وطرقَ خروجٍ مَخفيَّةٍ لقوَّةِ الكمين. ويمكنُ أن تقاتلَ قوَّةُ الكمين لفترةٍ أطوَلَ في هذه المنطقة، وتُحدثَ أضراراً أكبرَ بالأرتال. ومعَ ذلك، هناكَ بعضُ القيودِ في اختيارِ موقعِ كمينٍ في المنطقة. فبادِئ ذي بِدء، تعملُ مجموعاتُ المجاهدين عموماً على أراضيها. أمَّا العملُ خارجَ مواطنِ المجاهدين قد يكونُ له تداعياتٌ سياسيَّةٌ غيرُ مواتية، وقد يؤدِّي إلى عواقبَ (وخيمة).

ثانياً: أرادَ المجاهدون مُضايقةَ عدوِّهم بالقربِ من العاصمةِ لأسبابٍ سياسيَّةٍ ودعائيَّة. فقد كانت الهجماتُ على أبوابِ كابول أكثرَ أهميَّةً من أيِّ هجماتٍ أخرى بعيدة. وأخيراً، نظراً لأنَّ المنطقةَ مكشوفةٌ جداً، فقد حَظِيت بفرصةٍ جيدةٍ لتحقيقِ المباغتةِ بما أنَّ الموقعَ في الظَّاهرِ لا يَصْلُحُ ككمين.

المقالة 13: كمينٌ في تلة الصدر الأعظم

رواية الدكتور محمد وكيل[47]

في أغسطس 1984، وردتْنا معلوماتٌ بأنّ رتل إمدادٍ سوفييتيٍّ سيصل إلى كابول عبر الطّريق القادم من الشّمال. وتوجد تلةٌ صغيرةٌ مطلةٌ على هذا الطّريق جنوب قلعة مراد بك. (خريطة 14-مراد) وتُدعى التّلة بتلة الصّدر الأعظم، وهي موقعٌ مثاليٌّ للكمائن، فنصبنا عليها كميناً إلى الشّرق من الطّريق السّريع.[48] وكان لدي 30 مجاهداً مسلّحين بأربع قاذفات آر بي جي-7. وقد كان على هذه المنطقة مراقبةٌ كثيفةٌ من قبل العدو، ولذلك لم نكن نستطيع بعثرة قواتنا. فقمت بتركيز قواتي على التّلة مع تقديم رماة البنادق إلى الأمام، بينما وضعت رماة الآر بي جي على التّلة إلى الأعلى. وكنّا نظنّ بأنّ القافلة ستصل إلينا في الساعة 16:00، فتمركزنا في مواقعنا قبل هذا الوقت.

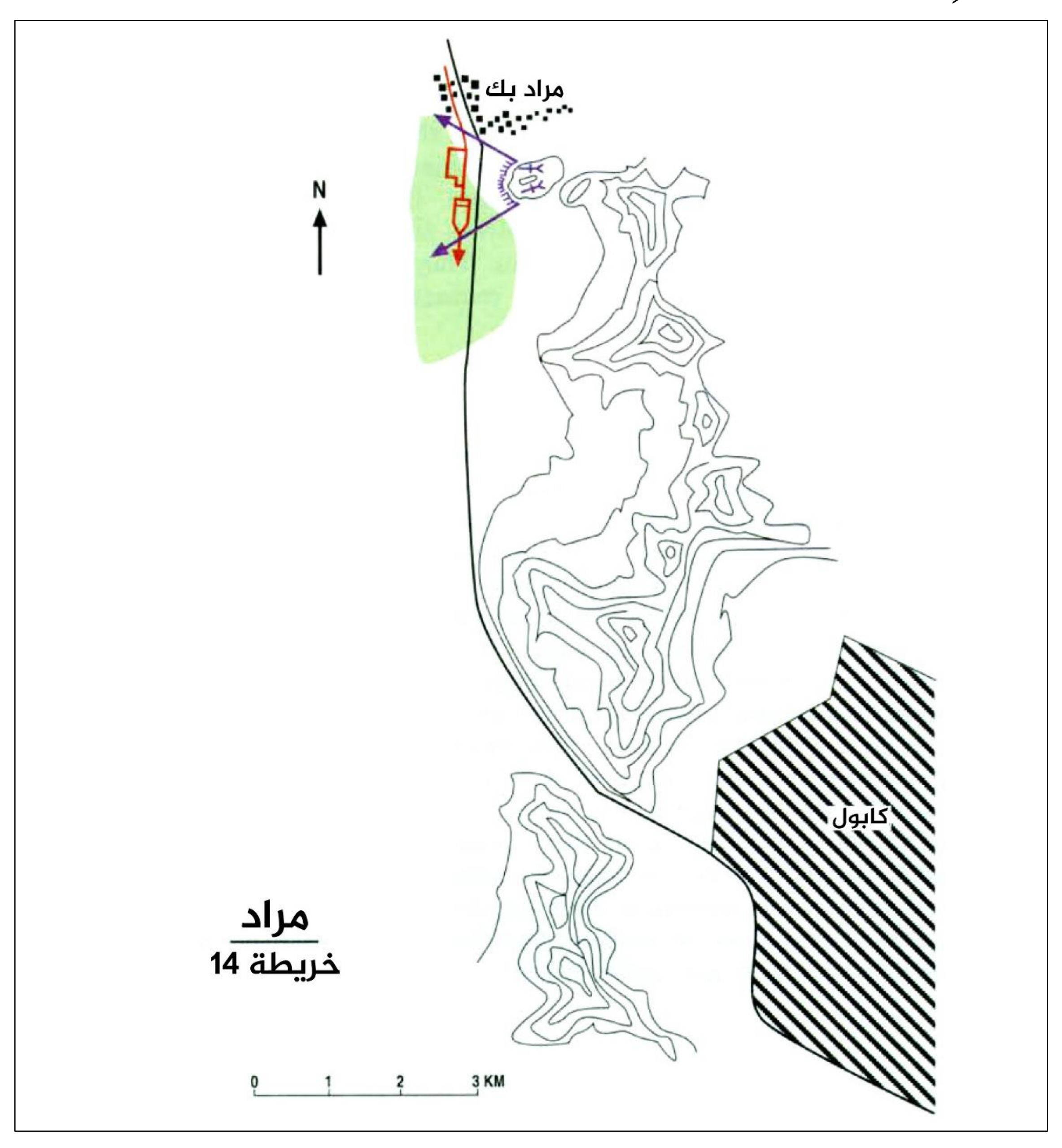


وفي الساعة 16:00، جاءت القافلة بالفعل، وكانت طليعتها عربةٌ من طراز بي أم بي، يعتليها جنودٌ سوفييت. وكنّا عادةً لا نستهدف أوّل الرّتل، إلا أنّ العربة الرّائدة مثّلت هدفاً سهلاً، ففتحنا النيران

[47] الدكتور محمد وكيل من مديرية شاكردارا شمال كابول. تخرج من المدرسة الثانوية قبل الحرب، واشترك في المقاومة وتلقّى تدريباً طبياً في باكستان. [Map sheet 2886, vie grid 0734].

[48] أجرى المؤلف علي جلالي دروساً تكتيكيةً على هذه الأرض خلال تدريسه ضباط الجيش الأفغاني في كلية الدراسات العليا العسكرية. إنّها فعلاً موقعٌ ممتاز للكمائن.

عليها ودمّرناها، وأخذنا الرّتل على حين غرّة. فتوقف الرّتل وترّجل منه بعض الجنود الذين اتخذوا مواقع للردّ على النّيران. فتبادلنا الرّمايات النّارية لفترة ساعةٍ لحين وصول رتل إنقاذٍ من كابول لإنقاذ القافلة، فآثرنا الانسحاب. وخسر العدو عربة بي أم بي وأربعة صهاريج وقود، ومن الرّاجح أنّنا أصبنا 10 جنودٍ بين قتيل وجريح. كما قُتِل منّا مجاهد يدعى مالك محمد من كاريز مير.



التّعليق:

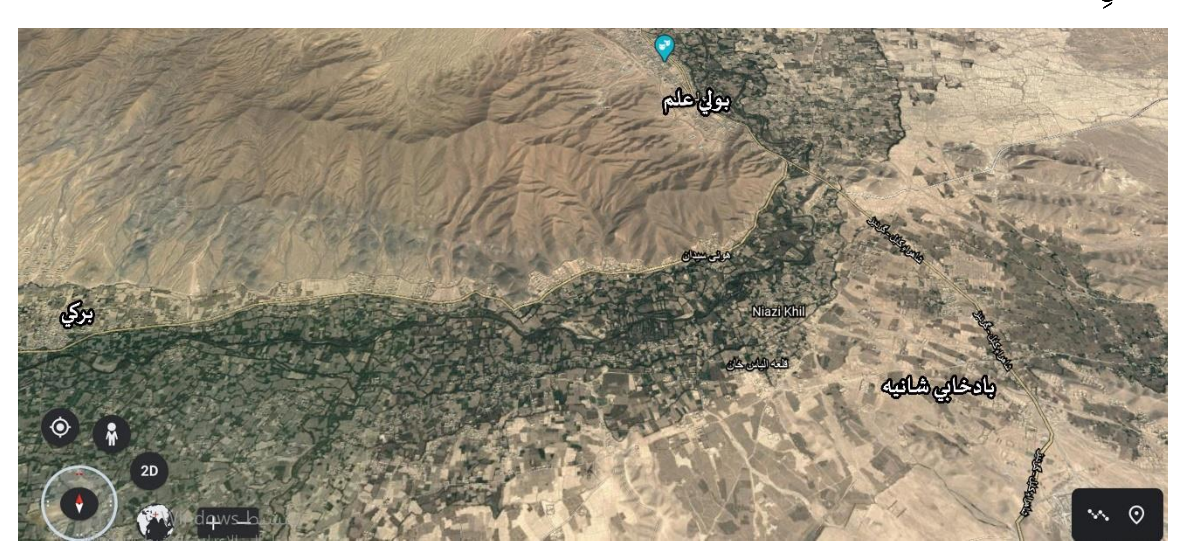
هذا الكمين نموذجٌ عن الكمائن الصّغيرة، التي نفذها المجاهدون على نحوٍ منتظم. وكانت الخسائر قليلةً لدى الطّرفين، إلا أنّها مع مرور الوقت كانت تتراكم. اعتاد الجنود السّوفييت اعتلاء ناقلات الجنود المدرّعة، لأنّ ذلك آمَن على حياة الجنود في حال انفجار لغمٍ عليها، فإن مثل هذا الانفجار قد يرمي الجنود من أعلى العربة بعيداً فقط، بينما كلّ من داخل العربة سيهلك بالتّأكيد. وعلاوةً على ذلك فإنّ داخل الناقلة مكتظٌّ، ومن الصّعب النّظر إلى الخارج، وأيضاً الحرارة في أغسطس لا تُطاق.

كانت القافلة السّوفييتية موجودةً في وسط قرية "مراد بك"، مما صعب على السّوفييت المناورة على العربات المدرّعة الأمامية للرّماية في موقع الكمين. وبما أنّ الهدف من هذا الكمين كان تدمير العربات، فقد كان من الحكمة ضرب أوّل الرتل، بينما في حال كان الهدف اغتنام أسلحةٍ، فمن الأصوب ضرب وسط القافلة أو آخرها. حافظت التّضاريس القائمة على قوات الكمين مركزةً، وهذا ما لم يفضله المجاهدون. فهو أشبه ما يكون بأسلوب الجيوش الغربية في الكمين. وبعد الرّمايات الأولى، تحول الكمين إلى مجرد تمارين قنصٍ عشوائيةٍ متباعدةٍ، أشبه ما يكون برحلة صيدٍ استجماميةٍ بعد الظهر، من كونها قتالاً حاسما.

المقالة 14: كمينٌ في نُهيْر مزار

رواية القائد "قاضي غولجان طيب"[49]

تقعُ بلدةُ "بادخابي شانيه" إلى الشَّرقِ من قاعدتي الكائنةِ في "بركي برك"، على بُعدِ 1.5 كيلومترٍ من طريقِ كابول-غرديز، وكانَ السُّوفييت قد وضعُوا مراكزَ أمنيَّةَ في الأراضي المُرتفعةِ حولَ البلدةِ لحمايةِ الطَّريقِ من هجماتِ المجاهدينَ التي كانت تنطلقُ من مديريَّةِ بركي برك، فقرَّرتُ مهاجمةَ هذه المراكزِ في يوليو/تموز 1985م. وفي ذلك الوقت، كنتُ قد انتقلْتُ من فصيلِ قلبِ الدِّين حكمتيار إلى فصيلِ سيَّاف.

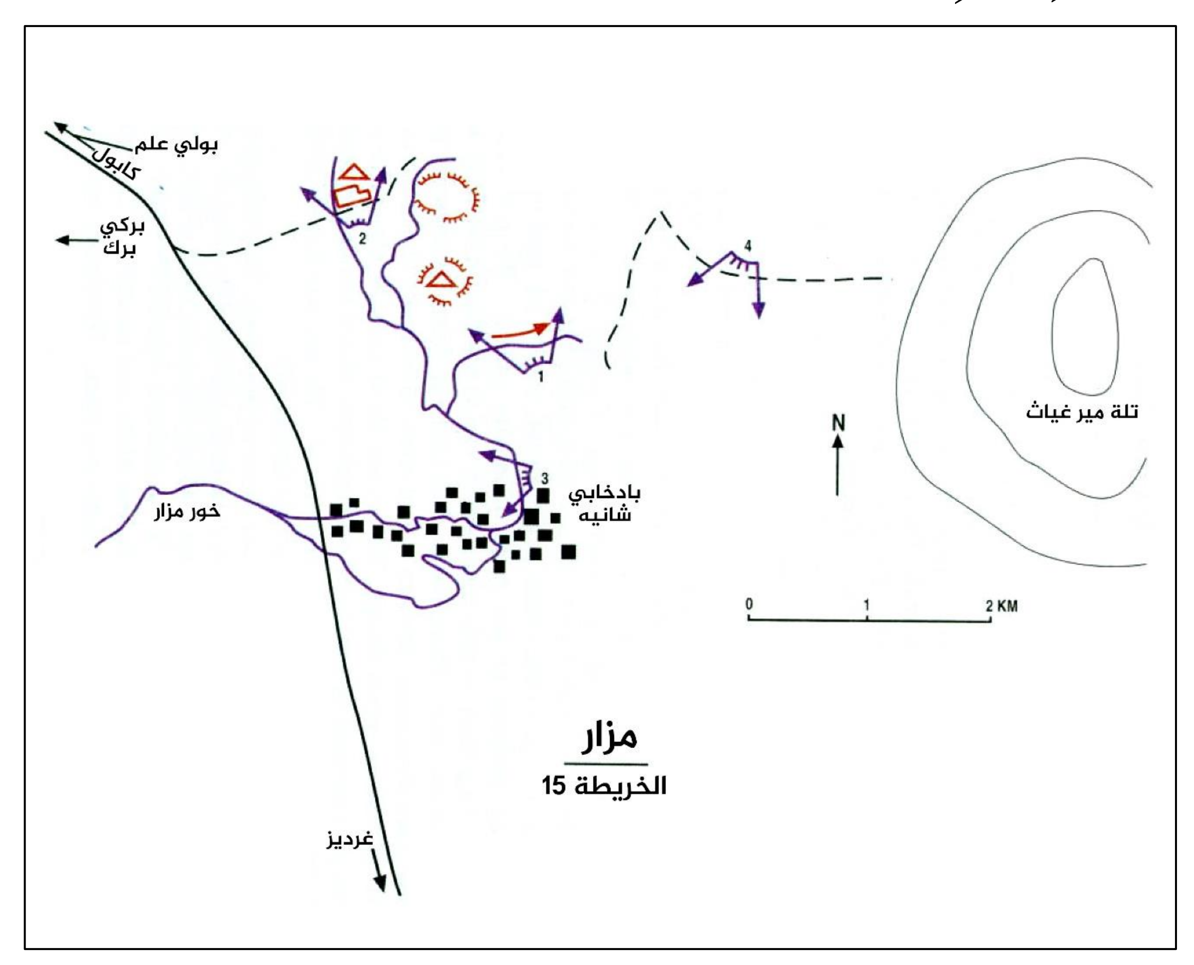


تحرَّكْنا مع 100 مجاهدٍ من "بركي بك" أثناءَ غروبِ الشَّمس، وعَبَرْنا الطَّريقَ السَّريعَ لندخلَ بلدةَ "بادخابي شانيه"، وهي بلدةٌ كبيرةٌ تحتلُّ مساحةَ كيلومترٍ مربعٍ وتحتوي حوالي ألفَ بيت. نزلْنَا في البلدةِ وبِتْنا في منازلِ سكانِها حتَّى اليومِ التَّالي. وفي تلكَ اللَّيلةِ وبالاستعانةِ بأدلاءَ محليين، نصبْنا الكمائنَ على الطُّرُق المؤدِّيةِ إلى القرية. تمتازُ المنطقةُ المحيطةُ بالبلدةِ بوجودِ منطقةٍ خضراء مؤلفةٍ من العديدِ من البساتينِ والغابات (خريطة 15- مزار). ويعبر نُهَير "مزار" البلدةَ قريباً من سُوقِها، وكان

---

[49] القائدُ قاضي غولجان طيب: هو خريج سنة ثالثة في كليَّة الشريعة في كابل، وقد أتمَّ دراستَه أثناء سيطرةِ الشُّيوعيين عام 1987م. وانضمَّ لفصيل حكمتيار، ومن ثمَّ انتقلَ إلى فصيلِ سيَّاف في منتصفِ الثمانينات. وكان قائدَ مديرية بركي برك في ولاية لوغر. [Map sheet 2884, vie 0657]

يفيضُ من يُنبوعِ ماءٍ عذب، كما كانَ الجنودُ السُّوفييت يذهبونَ إلى هذا النهير للحصولِ على المياهِ والاستحمامِ والغسلِ وصيدِ السَّمكِ والسِّباحة. فنصبْنا كميناً على النهيرِ قربَ اليُنبوع، ووضعْنا آخرَ على طريقِ إمدادِهم الذي يصلُ بينَ مراكزِهم الأمنيَّة والطَّريقَ الرَّئيسي. وكان هناكَ طريقٌ يصلُ بينَ المراكزِ الأمنيَّةِ وبيوتِ البلدة. وكان السُّوفييت ينزلونَ عبرَ الطَّريقِ إلى البلدة لسرقةِ الأموالِ وغصبِ الممتلكات، فنصبْنا الكمينَ الثَّالثَ على طولِ هذا الطَّريقِ في منطقةٍ مُغطَّاةٍ بالمباني والبساتين، حيثُ يضيقُ مجالُ المناورةِ على السُّوفييت، ويقيِّدُ المكانُ من حريَّةِ حركتِهم. ونصبْنا الكمينَ الرَّابعَ على الطَّريقِ الواصلِ بين النهير وتلَّة مير غياث.



مزار

الخريطة 15

وفي الصَّباح، جاءَ عددٌ من الجنودِ السُّوفييت إلى النهير، ليتفاجؤوا بنيرانِ الكمين قد فُتِحت عليهم وأردَت بعضاً منهم قتلى، ثمَّ فرَّت قوَّةُ الكمينِ هاربة. وفي الوقتِ نفسه تقريباً، كانت هناكَ سيَّارةُ جيبٍ سوفييتيَّةٌ تتحرَّكُ عبرَ طريقِ الإمداد، ففتحَ عليها الكمينُ الثَّاني النِّيران وأصابَ سيَّارةَ الجيب، ثمَّ جاءتْ دبَّاباتُ السُّوفييت من "بولي علم" لتحيطَ بالبلدة، فقمْنا بتخبئةِ أسلحتِنا واختفينا بينَ السُّكان

المحليين، وبالتَّدريجِ غادرْنا المنطقةَ متنكّرين كمدنيين، وانقسمْنا مُتجهينَ شمالاً وغرباً. كانت خسائرُنا مجاهدَيْنِ جريحَين، فيما قتلْنا من السُّوفييت 12 جندياً ودمَّرْنا عربةَ جيب، واغتنمْنا أربعَ قطعِ سلاح.

التَّعليق:

وضعَ السُّوفييت نمطاً من السُّلوكيات سهَّل على المجاهدين نصبَ الكمائن. فقد كانُوا يستخدمونَ الطُّرُقَ ذاتَها والمساراتِ بانتظام. كما جعلَت ممارساتُهم القرويينَ متواطئينَ في نصبِ الكمائنِ وإخفاءِ المجاهدين وأسلحتِهم طواعيَّة. وكانَ لدى الجيشِ الأفغانيّ فِرَقُ دعايةٍ/شؤونٍ مدنيَّةٍ مُتنقلةٍ تقدّمُ التَّرفيهَ والعلاجَ الطبيَّ والدّعايةَ المُوالية للنِّظامِ في جميع أنحاءِ أفغانستان.[50] ومع ذلك، فإنَّ خدماتِهم هذه لم تعوّضْ آثارَ السُّلوكِ السَّيّئ الذي كانت تمارسُه القوّاتُ السُّوفييتيَّةُ المقاتلة.

[50] يقدم المصدر التالي نظرةً فاحصةً عن مكونات هذه الفرق وتوظيفها.

N. I. Pikov,' "Vidy spetspropagandistskoy deyatel'nosti Armii Respubliki Afganistan" [Methods of Special Propaganda Activity of the Army of the Republic of Afghanistan], Opyt primeneniya Sovetskikh voysk v Respublike Afganistan [Experience applied by Soviet Forces in the Republic of Afghanistan], Moscow: Institute of Military History, 1990,151-184

المقالة 15: كمينٌ في مضيق قافوس

رواية الرائد "شير آقا كوشاي"[51]

في 13 أغسطس 1985م، تحرَّكَت قوَّاتُ المجاهدينَ المكوَّنةُ من 40 مقاتلاً من قاعدتِها في "سيواك" (الواقعةِ على بُعْدِ 20 كيلومتراً جنوبَ شرقَ كابول) لإقامةِ كمين في مضيقِ قافوس (يقعُ على بُعدِ حوالي 25 كيلومتراً شرقَ كابول).



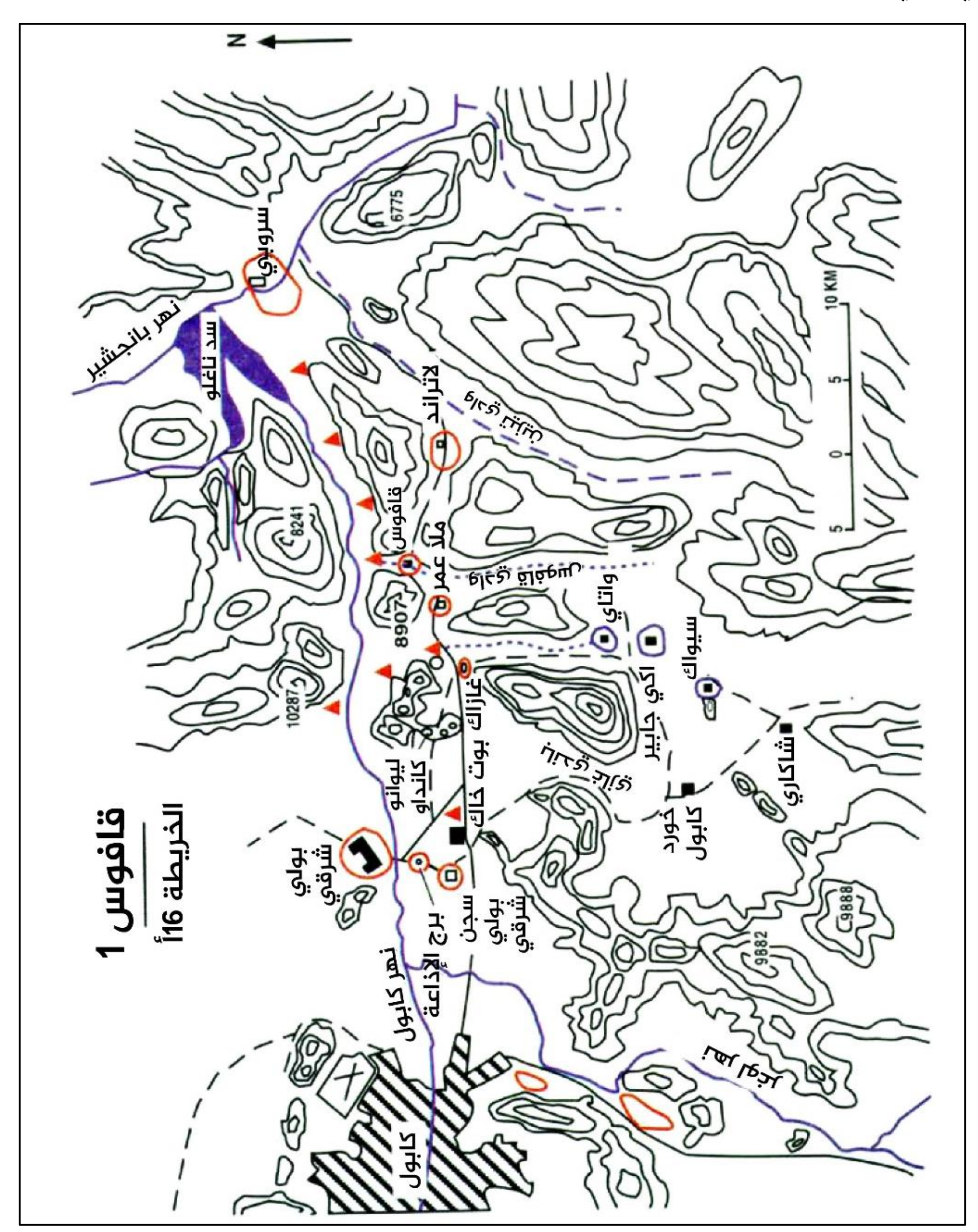
كانت المنطقةُ محميَّةً من قِبَلِ فوج "ساراندوي" (وهي قوَّاتُ وزارة الداخليَّة وتعني "ساراندوي": حُماةُ الثَّورة).[52] وكانت هذه المنطقة محميَّةً في السَّابقِ من قِبَلِ الميليشياتِ القبليَّة، ولكن قبلَ عامٍ واحدٍ

---

[51] تخرَّج الرائد "شير آقا كوشاي" من الأكاديمية العسكرية الأفغانية في كابول، وتلقّى تدريباتٍ على تكتيكات المغاوير في الإتحاد السوفييتي. وخدم في لواء المغاوير 37، وشارك في عمليات الجيش الأفغاني في وادي بانجشير ضدّ المجاهدين. انشق عن الجيش وانضم إلى المجاهدين عام 1982 مصطحباً كمياتٍ كبيرةٍ من الأسلحة، وأصبح بعدها قائداً في الجبهة الإسلامية الوطنية الأفغانية. وقام بتنظيم قاعدةٍ جديدةٍ للمجاهدين في منطقة خورد كابول، الواقعة على بعد 20 كيلومتراً جنوب العاصمة الأفغانية.

[52] هي قوَّةُ شرطةٍ تابعة لوزارة داخليَّة النِّظام الأفغاني الشيُّوعي ذاتُ تسليحٍ عالٍ. وتمَّ تنظيمهم في ستِّ ألوية أو أفواج، ليصلَ تعدادُهم حوالي 60000 شرطي. تمركزوا في ولايات قندهار وبداخستان وبغلان وبروان في الوقتِ الذي يتركزُ فيه فَوجان في كابول. ولهذا التشكيلِ قواتٌ إضافيةٌ مثلَ العديدِ من الكتائبِ الجبليَّةِ والعمليَّاتيةِ التي يقدَّرُ عددُها بـ 6000 شرطي.

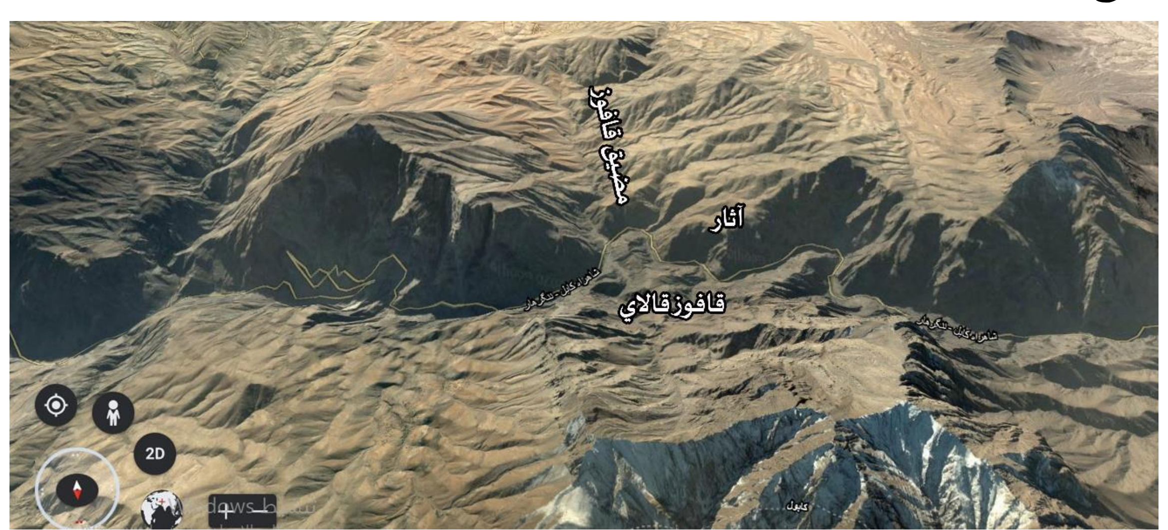
بالضَّبط، انشقَّت ميليشيا حسن خان كاروخيل المحلِّيَّةُ وانضمَّت إلى المجاهدين. ومن ثمَّ، نُشِر الفوجُ شرقَ كابول بين غزك وسروبي لحمايةِ خطوطِ الطَّاقةِ التي توفِّرُ الكهرباء من سدِّي ناغلو وسروبي الكهرومائيَّة إلى كابول. وكانَ مقرُّ الفوج في سور كندو وتمَّ نشرُ تشكيلاتِه على طولِ طريقِ بوتخاك سروبي[53] في مراكز أمنية. (الخريطة 16 أ - قافوس1).



[53] وهو الطَّريق الجنوبي المار من الشَّرقِ إلى الغرب على الخريطة.

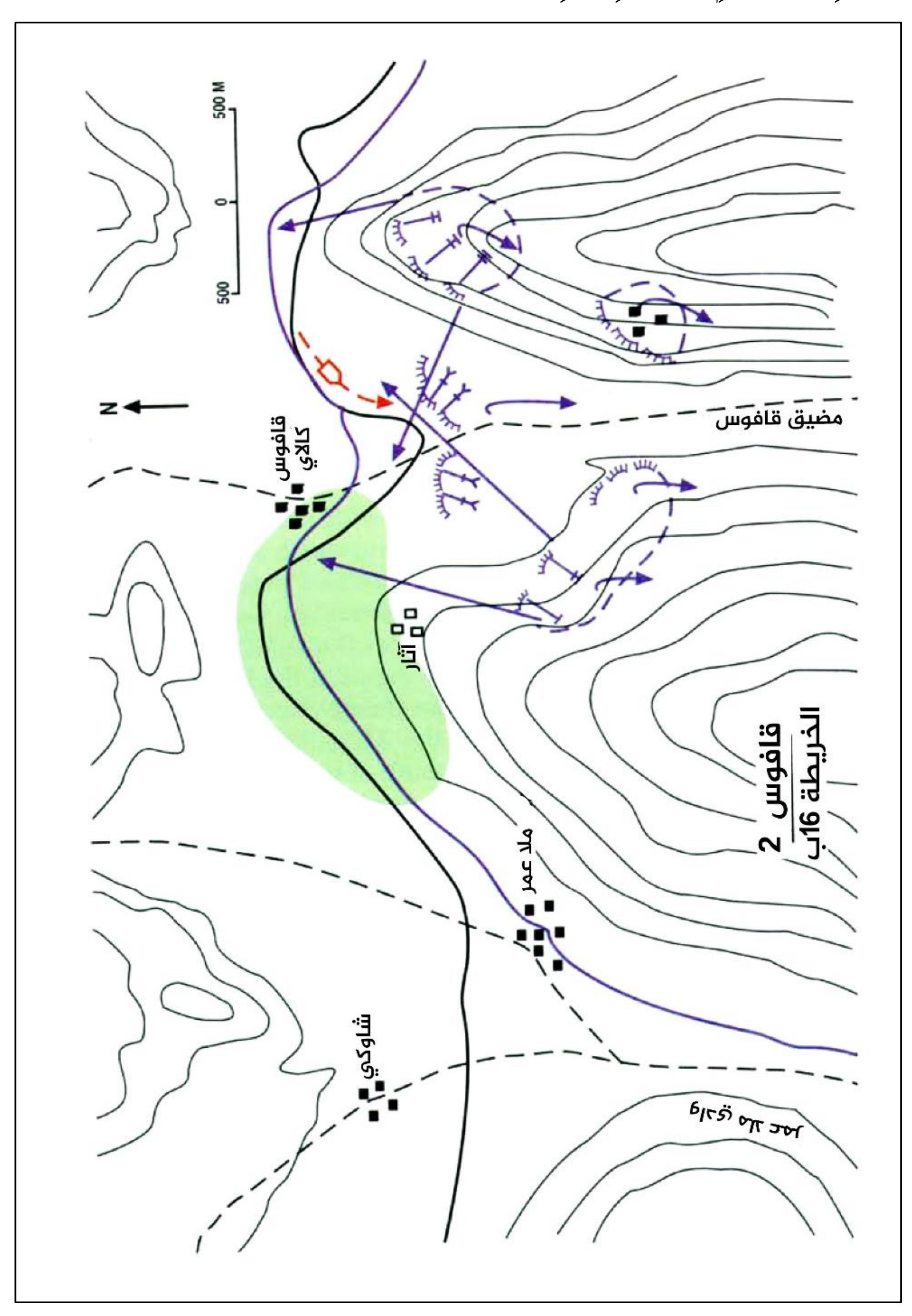
في كلِّ يومٍ، كانَ يقومُ الفوجُ بإرسالِ شاحناتِ الإمداد من مقرِّهِ العام إلى كتائبِه. وفي المقابلِ كانت الكتائبُ ترسلُ شاحناتِها لحملِ الإمدادات إلى مراكزِها الأمنيَّة. وعلى بُعدِ كيلومترين من قاعدةِ الملا عمر للجيشِ الأفغاني، يمرُّ الطَّريقُ عبرَ نهايةِ وادٍ ضيِّقٍ يُدعى "مضيق قافوس". وهذا الوادي بدورِه يبدأُ من ممَرٍّ "خاكيجبار" في الجنوب، ويمتدُّ شمالاً حتَّى يصلَ طريقَ غزك-سروبي. وقد وَفَّرَ هذا الوادي طريقاً مخفيّاً للمجاهدين الخارجينَ من قاعدةِ خورد كابول الواقعةِ جنوباً. ويمرُّ الطريقُ من خلالِ مصبِّ الوادي عبرَ تضاريسٍ في غايةِ الوعورة، مِمَّا كانَ يجبرُ الأرتالَ المارَّةَ على السَّيرِ ببطءٍ شديد. وهو ما جعلَ هذهِ النُّقطةَ صالحةً للكمائن.

قُمْتُ بنقلِ مفرزتي ليلاً إلى موقعِ الكمين في وقتٍ مُبكرٍ من صباحِ يومِ 13 أغسطس. وكانت المفرزةُ مزوَّدةً بأربعِ قاذفات آر بي جي-7 ومدافعَ رشاشةٍ خفيفةٍ وبنادقَ كلاشينكوف الآلية. ثمَّ قَسَّمتُ رجالي في ثلاثِ مجموعات. وقمْتُ بوضعِ مجموعةٍ مؤلَّفةٍ من 10 مقاتلين مع القاذفاتِ الأربعِ في بطنِ الوادي بالقربِ من الطَّريق. وقمْتُ بوضعِ مجموعتين مكوَّنتين من 15 رجلًا، حيثُ كانت كلٌّ منهُما في جانبي الوادي على التِّلالِ الحاكمةِ على الطَّريقِ نحو الشَّمال. وقد كانت كلتا المجموعتين تمتلكانِ مدافعَ رشَّاشة من طرازِ بي كا PK. (الخريطة 16 ب - قافوس 2)



كانت الخطَّةُ تقتضي الانتظارَ حتَّى تصلَ عرباتُ إمدادِ العدوِّ إلى الطَّريقِ الوعرِ الذي يقابلُ مضيقَ قافوس مباشرة. وكانَ من ضِمنِ الخطَّةِ تعيينُ أهدافٍ لرُماةِ الآر بي جي أثناءَ تحرُّكِ الشَّاحنات إلى منطقةِ القتل (على سبيل المثال رقم واحد يرمي على الشَّاحنةِ الرَّائدة). وكنتُ آملُ من ذلك أنْ

أشتبكَ مع أربع شاحنات في وقتٍ واحدٍ، ممَّا سيزيدُ من قوَّةِ المُباغتةِ والنّيران. وكان على المجموعتين المُتمركزتين على التّلالِ تغطيةُ الوادي بحقولٍ ناريَّةٍ مُتقاطعةٍ، إضافةَ إلى إسنادِ انسحابِ مجموعةِ الآر بي جي، وصَدِّ أيِّ مُشاةٍ للعدو. كما كانَ عليهم أيضاً أن يسعوا إلى أسرِ الجنودِ وحملِ الأسلحةِ والإمداداتِ من الغنائمِ بعدَ تدميرِ قافلةِ العدو.



وأخيراً، سَمِعَتِ المجموعةُ سيَّارةً تقتربُ من الشَّرق، وسُرعانَ ما ظهرتْ سيَّارةُ جيبٍ للعدوّ من خلفِ منعطفِ الطَّريق، وعندما تحرَّكت الجيبُ ببطءٍ على الطَّريقِ الصَّخري إلى موقعِ الكمين، فتحَ رامي المِدفعِ الرَّشاشَ انطلاقاً من التَّلة على السَّيَّارةِ على حينِ غِرَّة.

امتلأتُ غيظاً لأنَّ الكمين كانَ قد انكشفَ، فأمرتُ راميَ الآر بي جي-7 بتدميرِ الجيبِ فوراً قبلَ أنْ تهرب. وبعدَ ثوانٍ قليلةٍ، اشتعلَتِ النِّيرانُ في السَّيَّارةِ وخرجَ السَّائقُ المُصاب منها. وكانَ هو الرَّاكبُ الوحيدُ فيها. فقد كانَ عائداً من مقرِّ الكتيبةِ في لاتاباند بعدَ أنْ قامَ بتوصيلِ الضَّابطِ السِّياسيِّ للفوج. فقدَّمنا له الإسعافاتِ الأوَّليَّةَ وأطلقْنا سرَاحَه بعدَ ذلك. وكانَ الجنديُّ من وادي بانجشير قد تمَّ سحبُه للتجنيدِ بالإكراه.

أرسلَ "السَّاراندوي" دورياتٍ من نقطتي "سبينا تانا" و"نعمانك" القريبتَين. ونظراً لخطورةِ البقاءِ في موقعِ الكمين، فقد انسحبْنا عبرَ وادي مضيقِ قافوس إلى قاعدتِنا.

التَّعليق:

فَشِلَ كمينُ المجاهدين بسببِ الافتقادِ للانضباطِ النَّاري، فقد أدَّى إطلاقُ النَّارِ غيرَ المُصرَّح به إلى انكشافِ كمينٍ أُعِدَّ له بعنايةٍ ودقَّة. إنَّ عمليَّةَ تدريبِ القوَّاتِ المتطوِّعةِ والسَّيطرةِ عليها في مواجهةِ قوَّةٍ عسكريَّةٍ نظاميَّةٍ مثَّلَت تحدٍ دائمٍ لقادةِ المجاهدين. وعلاوةً على ذلك، فقد تجاهلَ بعضُ قادةِ المجاهدين بعضَ تدابيرِ السَّيطرةِ الأساسيَّة. وفي حالةِ الرَّائد آقا، ليسَ من الواضحِ إذا ما كانَ قد اتَّخذَ تدابيرَ لتحقيقِ السَّيطرةِ النَّاريَّة على المجاهدين المنتشرين على حرفِ الجبال. فلو القائدَ كلَّفَ قادةَ المجموعاتِ على كُلِّ حرفِ جبلٍ بتعليماتٍ واضحةٍ للسَّيطرةِ على النِّيران لكانت نتيجةُ الكمينِ مختلفةً تماماً.

يفتقرُ الكمينُ أيضاً لأمرٍ مهمٍ آخر، وهو الإنذارُ المبكِّرُ الكفؤ الذي يُبلِّغ عن حجمِ قوافلِ العدوِّ المقتربةِ وتشكيلاته ونشاطاته. فلو امتلكَ القائدُ نظامَ إنذارٍ مبكرٍ مع تسلسلٍ هرمي (سليم) للقيادةِ لكانَ قد أُبلِغ بوصولِ القافلةِ باستخدامِ وسيلةٍ أخرى غيرِ الصُّراخ، ولقرَّرَ ما إذا كانَ سيهاجمُ القافلةَ أم لا، ولتمكَّنَ من إصدارِ أوامرَ جديدةٍ إلى رجالِه في الوقتِ المناسب.

المقالة 16: كمينٌ في "سيسي"

رواية القائد الحاج محمد صدِّيق

في أكتوبر/تشرين الأول عام 1985م، تضافَرَت عِدَّة مجموعاتٍ من المجاهدين لنصبِ كمينٍ في بلدةِ سيسي الواقعةِ على بُعدِ خمسةِ كيلومتراتٍ شمالَ مقرِّ مديريَّةِ سيد آباد في ولايةِ وردك. ويوجدُ موقعُ الكمينِ على طولِ الطَّريقِ السَّريعِ الرئيسيِّ بينَ كابول وغزني، على مَصَبِّ الوادي المُمتدِّ إلى لوغر، موفِّراً طرق اقتراب وطرقَ انسحابٍ أتاحَت إخفاءَ وتمويهَ قوَّاتِ الكمين، في الوقتِ الذي تقيِّدُ فيه من حريَّةِ المناورةِ للقوَّاتِ العالقةِ في منطقةِ القتل.



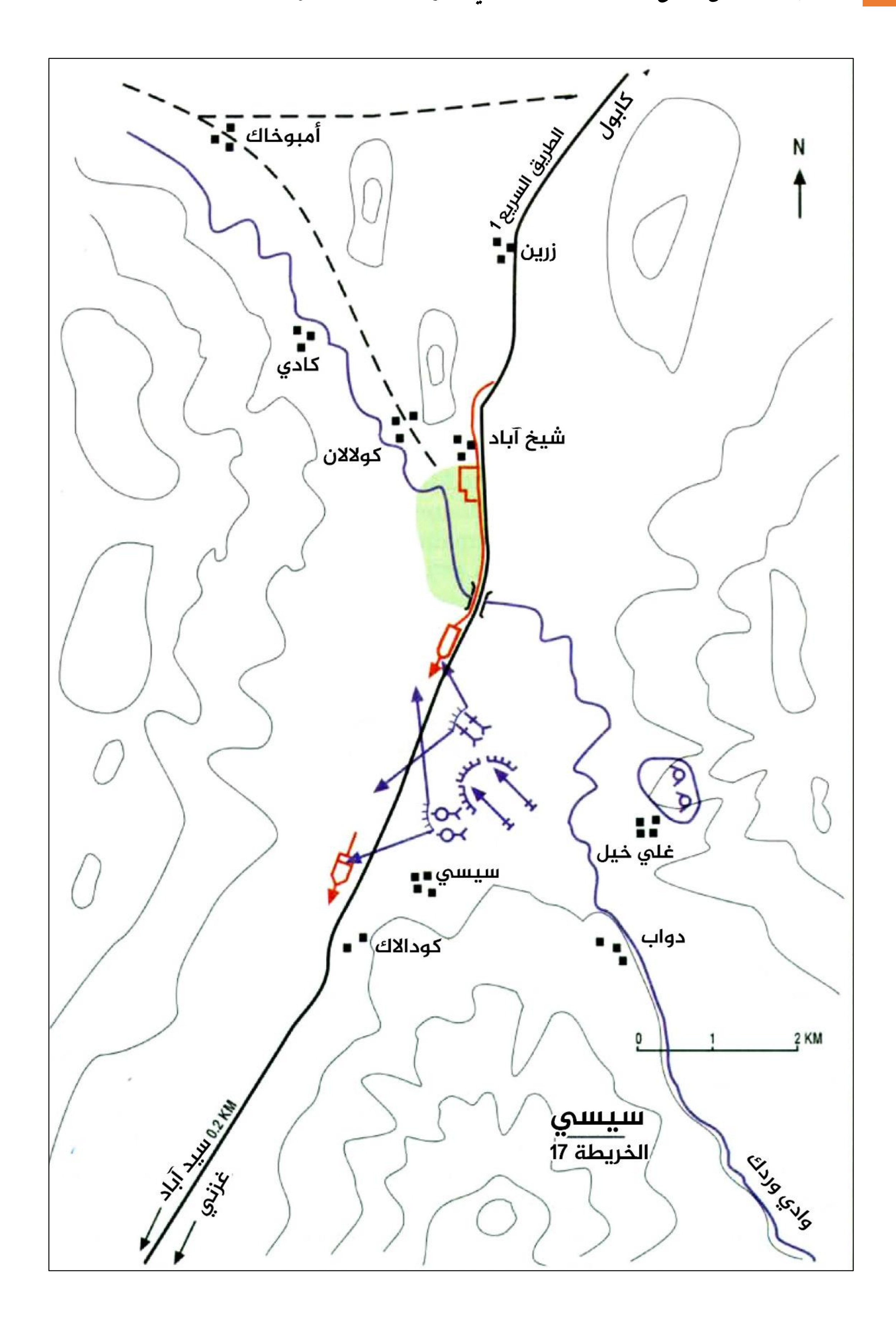
كان القائدُ "مولوي فايزان" هو المسؤولُ عن الكمينِ المُشتركِ في سيسي، وهو قائدُ الحزبِ الإسلاميِّ التابع لحكمتيار في ولايةِ وردك. وكانت قد توفَّرَت لديه معلوماتٌ من مصادِرِه عن قدومِ رتلٍ سوفييتيٍّ/أفغانيٍّ من كابول مُتَّجهاً نحوَ غزني، فخطَّط مولوي فايزان للكمينِ في سيسي وَدَعَا العديدَ من مجموعاتِ المجاهدين المحليَّةِ للمشاركةِ في العمل (الخريطة 17 - سيسي). وقامَ بتجميع قوَّةٍ مشتركةٍ من 80 مجاهداً مسلَّحين بأربعةِ مدافع هاون عيار 82 ملم، وستَّةِ مدافعَ عديمةِ الارتدادِ عيار 82 ملم، وأربعةِ مدافع هاون عيار 60 ملم، و11 قاذفة آر بي جي-7، ومجموعةٍ متنوِّعةٍ من مدافع غوريونوف الرَّشاشة، وبنادقَ اقتحاميَّةٍ من طراز AK-47، وبنادقَ مَكَنظمة من طرازِ إنفيلد.

أحضرْتُ مجموعتين من ولايةِ لوغر، واستغرَقَت رحلتُنَا ثلاثَ ساعاتٍ للوصولِ إلى موقعِ الكمين، وكُنَّا في العادةِ ننظِّمُ قواتِنا في فرقٍ مكوَّنةٍ من ستَّةِ أفراد، ولكن نظراً للقوَّةِ المتوقَّعةِ في رتلِ العدوِّ، قُمْنا بتنظيمْ قوَّاتْنا في فرقٍ مكوَّنةٍ من 10 أفراد. وكانَ الكمينُ مؤلَّفاً من ثلاثِ مجموعاتٍ؛ مجموعةِ اقتحامٍ ومجموعةِ إسنادٍ ومجموعةِ أسلحةٍ ثقيلة. وكان لدى المجموعةِ المهاجمةِ أربعُ فرقٍ (40 مقاتلاً) مسلحةً بأسلحةٍ مضادَّةٍ للدبَّابات. وتمَّ نشرُهُم على تلَّة "غُلَي" بالقربِ من الطَّريق.

وكانت مجموعةُ الإسنادِ موجودةً خلفَ مجموعةِ الاقتحام، كما كانت تضمُّ ثلاثةَ فرقٍ (30 مقاتلاً) مسلَّحةً بمدافعَ رشَّاشة. وكانت مهامُهم هي إسنادُ المجموعةِ المقتحمةِ بنيرانِ الرَّشاشات، وإخلاءُ الجرحى والإمدادُ بالذَّخيرة. بينما كانت مجموعةُ الأسلحةِ الثَّقيلةِ عبارةً عن فريقٍ مكوَّنٍ من 10 أفرادٍ مسلَّحين بمدافعِ الهاون. وأنشأَتُ مرابضَ للرِّماية عبرَ نهر وردك، وكانت "تلة خديبوتش" تحجبُ المرابضَ عن المراقبة.

جهَّزْنا مواقعَنا المُعدَّةَ في اللَّيل. وفي حوالي الساعة 09:00، قَدِمَتْ عناصرُ التَّأمينِ الأماميَّة للقافلةِ السُّوفييتيَّةِ إلى منطقةِ القتلِ من الشَّمال. وكانت مُؤلَّفةً من عَرَبَتَي بي أم بي وناقلةِ جنودٍ مدرَّعةٍ أخرى، فتركْنَاهم يَمُرُّون في وقتِها. ثمَّ قامَت عناصرُ التَّأمينِ بتمشيطِ منطقةِ القتلِ ومن بعدَها توقَّفت. لا بدَّ أنَّهم افترضُوا أنَّ الطَّريقَ آمن، لأنَّهم أشارُوا بعدَ ذلك إلى القافلةِ الرئيسيَّةِ بأنْ تتقدَّم. وبقيت عناصرُ التَّأمينِ الأماميَّة منتظرةً، بينما تحرَّكَت الكتلةُ الرئيسيَّة -المؤلَّفةُ من شاحناتِ GAZ-66 وعرباتٍ مدرَّعة- من المنطقةِ الخضراءِ جنوبَ قريةِ شيخ آباد إلى منطقةِ القتل. وفي الوقتِ الذي دخلَ فيهِ الرَّتلُ إلى منطقةِ القتل، فتحْنا النِّيرانَ على عناصرِ التَّأمينِ الأماميَّةِ باستخدامِ أسلحتِنا المضادَّةِ للدَّبَّابات، فدمَّرْنا عَرَبَتَي البي أم بي وناقلةَ الجنودِ المدرَّعة الأخرى. ثم حوَّلنا نيرانَنَا تجاهَ القافلةِ الرَّئيسيَّة، واستمرَّ القتالُ لمدَّةِ ساعتين.

ردَّ العدوُّ بإطلاقِ النَّارِ انطلاقاً من ناقلاتِ الجنودِ والعرباتِ المدرَّعة الأخرى، لكنَّ نيرانَهم كانت محدودةَ التَّأثيرِ ضدَّ مواقعِنا المُعدَّةِ (المُحصَّنة) جيداً.



أمبوخاك
كابول
الطريق السريع 1
N
زرين
كادي
كولالان
شيخ آباد
غلي خيل
سيسي
كودالاك
دواب
0
1
2 KM
سيسي
الخريطة 17
سيد آباد 0.2 KM
غزني
وادي وردك

لقد أثخنَّا بالعدوِّ إثخاناً شديداً مُستخدمين الأسلحةَ المُضَادَّةَ للدَّبَّاباتِ وقذائفَ الهاون. ولم يفعلِ العدوُّ الكثيرَ لتغييرِ الوضع أو محاولةِ كسبِ المبادرة، بل اكتفى بالرَّدِّ على النّيرانِ وهلكَ من بقيَ منهم في منطقةِ القتل. قدتُ أنا الفريقَ الأوَّلَ من مجموعةِ الاقتحام (نحو الرَّتل). وبحلولِ السَّاعة 11:00، دمَّرْنا جميعَ العرباتِ في منطقةِ القتل، وقمْنا بالانتشارِ في المنطقةِ لأخذِ أيِّ أسلحةٍ أو معداتٍ يمكنُ أنْ نحملَها، ثمَّ انسحبْنا. واستطعْنا إحراقَ 17 عربةً مدرَّعةً و45 شاحنةَ GAZ-66 وصهاريجَ غازٍ في منطقةِ القتل. واغتنمْنا أربعَ بنادقَ اقتحاميَّةٍ من طراز AK-47؛ وهو سلاحٌ حصريٌّ للقوَّات السُّوفييتيَّة. وكانت خسائرُ المجاهدين 10 قتلى وجريحينِ فقط.



شاحنة GAZ-66

التَّعليق:

ساهمَ التَّخطيطُ الشَّاملُ للعمل، والمعلوماتُ الاستخباراتيَّةُ الوافيَّةُ، والتَّعليماتُ التَّفصيليَّةُ للعناصرِ المقاتلةِ، وبساطةُ تنظيمِ المهام، كلُّها ساهَمَت في نجاحِ هذا الكمين. وتمتَّعَ المجاهدون المدجَّجون بالسِّلاحِ بحسنِ الانضباطِ والسَّيطرة، فأوقعُوا في العدوِّ الحدَّ الأقصى من الخسائرِ قبلَ توجُّهِهِم لنهبِ الغنائم. وقد زادَ هذا العاملُ (الانضباط) من فاعليَّتِهم، لكونِهِ ضاعفَ من تفوُّقِهِم في القتالِ انطلاقاً من مواقعَ جيدةِ التَّحصينِ ضدَّ عدوٍ استطاعُوا مباغتَتَه وحصرَه في منطقةٍ مَكشوفة.

كان ينبغي على الكمينِ أن يضمَّ أربعةَ عناصرٍ من المجموعات. فقد كلَّفُوا مجموعةَ الإسنادِ بمهمةٍ قتاليةٍ (إسنادِ المدفعِ الرَّشَّاشِ لمجموعةِ الاقتحام، بالإضافةِ لمهمةٍ لوجستيَّةٍ من الإمدادِ بالذخائرِ والإخلاءِ الطِّبي). فكانَ ينبغي عليهم تكليفُ مجموعاتٍ أخرى بهذه المهام. علاوةً على ذلك، تحتاجُ مجموعةُ الأسلحةِ الثَّقيلةِ إلى عددٍ أكثرَ من المقاتلين، فمجموعةٌ من 10 مقاتلين لا تكفي لمسكِ أربعةِ مدافعِ هاون، ناهيكَ عن ثمانية.

ساهمَ السُّوفييت في إلقاءِ أنفسهم بالتَّهلكة. فقد كانت عمليَّةُ التَّمشيطِ لدى عناصرِ التَّأمينِ الأماميَّةِ عبارةً عن قيادةٍ مجردةٍ لعرباتِهِم في المنطقةِ المرادِ تمشيطُها، وبما أنَّهم لم يتعرَّضُوا للنِّيران، فقد افترضُوا بأنَّهَا آمنة. لقد كانَ هذا الموقعُ هو الموقعُ المفضَّلُ لدى المجاهدين لتنفيذِ الكمائن، كما أنَّهُ كانَ مكمَّلاً بمواقعَ جيِّدةِ الإعداد. وكانَ المجاهدون قد أجروا في الماضي عدَّةَ كمائنَ في هذا الموقع تحديداً. لذا، كانَ ينبغي على السُّوفييت على الأقلِّ إرسالُ قوةٍ لتدميرِ المواقعِ قبلَ دخولِ القافلة. ومن ثمَّ، كانَ يجبُ أن تقومَ عناصرُ التَّأمينِ بإرسالِ بعضِ القوَّاتِ الرَّاجلةِ لتفتيشِ المنطقةِ بحثاً عن كمينٍ محتملٍ، والثَّباتِ فيها حتَّى تمرَّ القافلة.

ساهمت هذهِ العناصرُ الأمنيَّةُ في الكارثةِ أيضاً عندما وقفَت تنتظرُ القافلةَ في مدى الأسلحةِ المضادَّةِ للدَّبَّابات (300-800 متر)؛ في منطقةٍ تقيِّدُ التَّضاريسُ فيها حركةَ العربات. فعندما أطلقَ المجاهدون النِّيرانَ على هذه الأهدافِ الثَّابتةِ، تحوَّلت عرباتُ عناصرِ التَّأمين لعوائقَ محترقةٍ حبست القافلة. فلو كانت عناصرُ التَّأمينِ قد تقدَّمَت أمامَ القافلة لمسافةٍ معقولةٍ، لسمحَ ذلكَ لجزءٍ من القافلةِ بالهروب

جنوباً، ولتمكَّنَت عناصرُ التَّأمينِ الأماميَّةِ من العودةِ لتوفيرِ القوَّةِ النَّاريَّةِ والمساعدةِ في تخليصِ العربات المُحاصرة. ولو تحرَّكت عناصرُ التَّأمينِ على الطَّريق غرباً، واتَّخذَت مواقعَ مغطاةً خارجَ مدى الأسلحةِ المضادَّةِ للدَّبابات، لكانَ من المُمكنِ توفيرُ قوَّةٍ ناريَّةٍ فوريةٍ كبيرةٍ للقافلة.

التَّعليق على الفصل

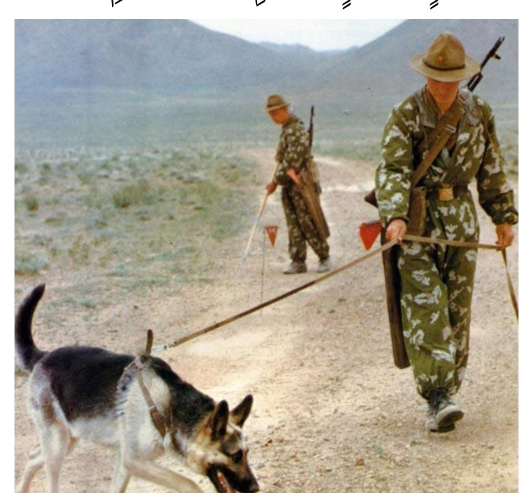
نفَّذَ المجاهدون العديدَ من الكمائن بهدفِ مضايقةِ العدوّ أو للاغتنام منه. وفي كثيرٍ من الأحيان، كانت كمائنُ المضايقةِ صغيرةَ الحجم، بحيثُ كان يكتفي المقاتلونَ بإطلاقِ بعضِ الرَّماياتِ على القافلةِ لتدميرِ بعضِ العربَاتِ أو إعطابِها، ثمَّ الانسحابِ دونَ نهبِ الرَّتل، وقبل أنْ يتمكَّنَ قائدُ القافلةِ من الرَّد. أما كمائنُ الاغتنام (للحصولِ على الأسلحةِ والذَّخائرِ والموادِ الغذائية والملابسِ وغيرِها من الإمداداتِ العسكريَّة) فعادةً ما كانَ يتمّ تنفيذُها من قِبَلِ قوَّاتٍ أكبر تستطيعُ الثَّباتَ في مواقعِها لمدَّةٍ تصلُ إلى ساعة. ومعَ ذلك، فإنَّ الكمينَ كانَ عمليَّةً قصيرةَ الأجل، ومُصممةً للاستفادةِ من عاملِ المفاجأة ووُعورةِ التَّضاريس. كما صُمِّمَت حواجزُ الطُّرُق التي نُوقِشت في فصلٍ لاحقٍ لمحاربةِ العدوّ حتَّى التَّوقُّفِ التَّام، ومنعِهِ من العُبور لفترةٍ طويلةٍ من الزَّمن.

كانت الكمائنُ عاملاً أساسيَّاً لتوفيرِ الإمدادِ للمجاهدين من الميدان. فقد كانَ المجاهدونَ مقاتلين متطوعين غيرَ مأجورين. ومعظمُهم كانَ يحملُ على عاتقِهِ مسؤولياتٍ عائلية. وقد كانَ من المُعتاد أن تُعطى جميعُ الأسلحةِ الثَّقيلة وخُمْسُ الغنائمِ للقائد، بينما تُقسَّمُ بقيَّةُ الغنائمِ بينَ المجاهدين، ثمَّ تُباعُ العديدُ من الغنائمِ في باكستان، لينفقُوا عوائدَهَا المالية في معيشةِ أسرِهم.

رغمَ أنَّ الصَّورة النَّمطيَّةَ عن المجاهدِ أنَّه "مقاتلٌ متمرسٌ قابضٌ على بندقيَّةِ كلاشنكوف"، إلا أنَّ قاذف الآر بي جي-7 المضاد للدَّبَّابات كانَ السَّلاحَ الأهمَّ في الصِّراعِ الأفغاني. وقد مكَّنَ هذا السِّلاحُ قصيرُ المدى والمنتَجُ سوفييتيّاً المجاهدينَ من تدميرِ الدَّبَّابات والشَّاحنات، بل والمروحيَّاتِ في بعضِ الأحيان. ومثَّلَ هذا السِّلاحُ عاملَ توازنٍ وسلاحَ الكمين الأقوى.

بالرُّغمِ من أنَّ قوَّاتِ المجاهدين كانت تُعدُّ من صنفِ المُشاةِ الخفيفة، إلا أنَّ أسلحةَ الطواقمِ الثَّقيلةِ سَاعدت المجاهدينَ على زيادةِ مدى رماياتِهم وقدرتِهم على الثَّبات والاستمرارِ في القتال. ومثَّلَت أسلحةُ الهاونِ والصَّواريخ والمدافع عديمةِ الارتدادِ والرَّشَّاشاتِ الثَّقيلةِ متطلباتٍ أساسيَّةً للقوَّاتِ التي تعتزمُ الثَّباتَ في مكانٍ ما لفترةٍ معيَّنةٍ ضدَّ القوَّاتِ السُّوفييتيَّة والأفغانيَّة الميكانيكيَّة.

احتوَت القافلةُ السُّوفييتيَّة/الأفغانيَّة مجموعةً من العرباتِ المدرَّعة في مقدّمةِ القافلة، وعرباتٍ أخرى موزَّعةً عبرَ القافلة تفصلُ بينَها مسافاتٌ متساويةٌ، ومجموعةٌ أخرى من العرباتِ المدرَّعة مثَّلت حرَسَ مؤخّرةِ القافلة. وقد تتضَمَّنُ القافلةُ مروحيَّةً أو حرَسَ طليعةٍ بريَّةٍ أو دوريَّةً تمسحُ الطَّريقَ قبلَ قدومِ القافلة. وفي بعضِ الأحيانِ كانت تتقدَّمُ على القافلةِ قوةُ كشفٍ/ إزالةٍ للألغام، على الرُّغمِ من أنَّ عمليَّةَ إزالةِ الألغامِ كانت في العادةِ مهمَّةَ الوحداتِ التي تحرسُ الطَّريق، ولا تبدأُ القافلةُ في العبورِ حتَّى تستلمَ من الحُرَّاس إشارةَ "تمَّ التَّمشيط". وفي بعضِ الأحيانِ قد تتضمَّنُ القافلةُ مجموعاتِ مدفعيَّة، تحرَّكُ ضمنَ القافلة (وعند الحاجة لها) تتنحَّى جانباً لتقدُّمِ الإسنادِ النَّاري السَّريع في حالِ تمَّ طلبه.



عندما يتمُّ ضربُ قافلةٍ (سوفييتيَّة/أفغانيَّة)، فإنَّ الإجراءاتِ القيَّاسيَّة المُتَّبعةَ للقافلةِ هي بقاءُ العرباتِ المدرَّعةِ داخلَ منطقةِ القتلِ لتردَّ على النّيران، بينما تحاولُ الشَّاحناتُ الخروجَ من منطقةِ القتل. وفي حال تمكَّنت العرباتُ من طردِ قوَّةِ الكمين بعيداً، تكمِلُ القافلةُ المسيرَ، وفي حالِ فشلَت العرباتُ في التَّعاملِ مع الكمين تتدخَّلُ المروحيَّاتُ الهجوميَّةُ وتنجحُ عادةً في طردِ قوَّةَ الكمينِ من موقعِها. وفي تلكَ الأثناء، يحاولُ قائدُ القافلةِ إبقاءَ قافلتِه متحرِّكة، ولا يحاولُ في الغالبِ إعادةَ القوَّاتِ للتَّعاملِ مع الكمين. وهذا يعني في بعضِ الأحيان، أنَّ الكمائنَ تنجحُ في تجزئةِ القافلة. ومن النَّادرِ ما يحدثُ أنْ يرسلَ السُّوفييت أو الجيشُ الأفغاني قوةً راجلةً لمطاردةِ قوَّةِ الكمين، نظراً لكونِ تحرُّكِ القافلة يمثّلُ أولويَّةً، وأيضاً، لأنَّه من النَّادرِ توفُّرُ العددِ الكافي من المُشاة المرافقينَ للقوافلِ لمطاردةِ المجاهدين إلى مناطقِهم والقضاءِ عليهم.

كانَ من النَّادرِ أن يقومَ المجاهدون بضربِ أوَّلِ الرَّتلِ، ما لم تساعدْهم التَّضاريس في ذلك، لغرضِ محاصرةِ القافلة. أمَّا خيارُهم المفضَّلُ فقد كانَ ضربَ وسطِ الرَّتل، حيثُ كانت العرباتُ المدرَّعةُ قليلة. وبقدْرِ الاستطاعة، حاولَ المجاهدونَ محاصرةَ جزءٍ من القافلةِ المُهاجمةِ طمعاً في الغنائم. وعادةً

ما حوَّلَ المجاهدون مكامنَهم إلى مواقعَ قتاليَّةٍ محصَّنةٍ ساعدَتهم على تحمُّلِ نيرانِ مدرَّعات العدو وفي بعضِ الأحيان مروحيَّاتِهِ الهجوميَّة.

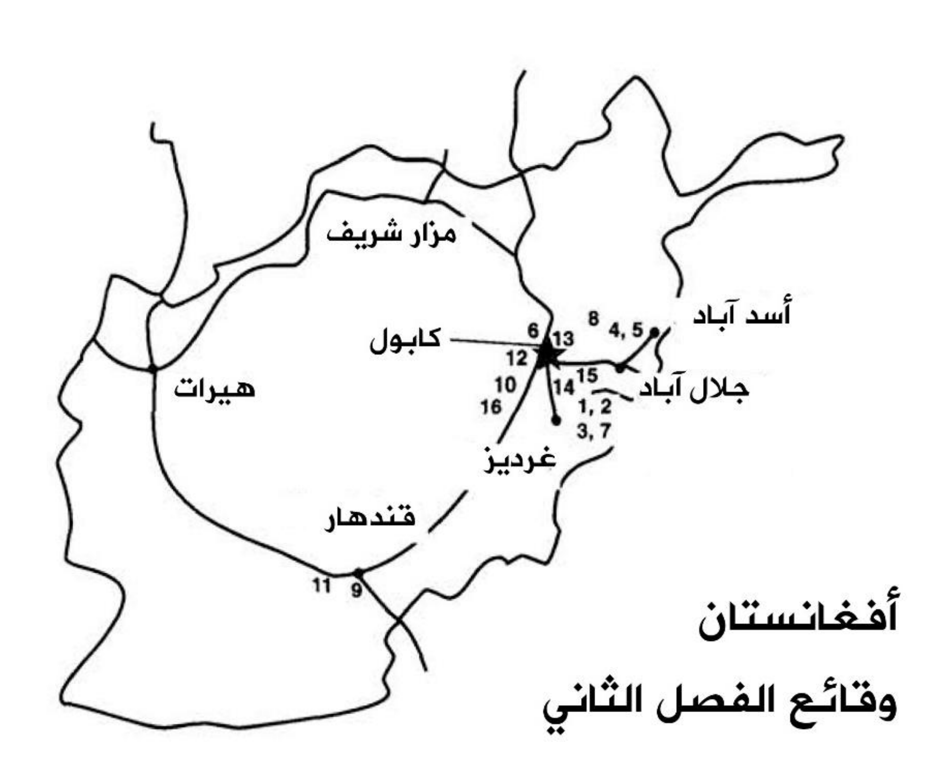
كانت أنجحُ كمائنِ المجاهدين تلكَ التي ينظِّمونَ فيها قوَّاتِهم كالتَّالي:

1. مجموعةُ الإسنادِ بالأسلحةِ الثَّقيلة.
2. ومجموعاتُ تأمينِ الجنبات.
3. ومجموعةُ الاقتحام.
4. ومجموعةُ الدَّعمِ اللُّوجستي وجمع الغنائم.

وتمتازُ أفضلُ الكمائنِ بامتلاكِها هيكليَّةَ قيادةٍ هرميَّةٍ واضحةٍ ومفهومةٍ، مع توفُّرِ اتصالاتٍ لاسلكيةٍ بينَ المجموعات. وبعدَ الكمين، تعملُ مجموعاتُ تأمينِ الجنبات (مع عناصرِ الدِّفاعِ الجويِّ) على تأمينِ انسحابِ المجموعاتِ الأخرى عبرَ طُرُقِ انسحابٍ آمِنة.

الفصل الثاني: الإغارات

تُعرَّف الإغارةُ بأنَّها هجومٌ مباغتٌ بهدفِ السَّيطرة على نقطةٍ معيَّنةٍ واستغلالِ نجاحٍ عسكريّ (سياسيَّاً ودعائيَّاً) ومن ثمَّ الانسحاب. وهي اندفاعٌ مؤقتٌ، بغرضِ الاستيلاءِ على المُعدَّات، أو تدميرِ المُنشآت، أو استدراجِ ردودِ أفعالِ العدوّ نحوَ الفِخاخ المُعدَّةِ مُسبقاً، أو التَّأثيرِ على معنوياتِه. ومثَّلَتِ الإغاراتُ بالنِّسبةِ للمجاهدين الأفغان وسيلةً رئيسيَّةً للحصولِ على الأسلحةِ والذَّخائر، وقد كانوا يفضلونَ الإغارةَ على مراكزِ الجيشِ الأفغانيّ الأمنيَّة، كما وظَّف المجاهدون الإغاراتِ لإثباتِ قُدرتِهم على مهاجمةِ مُنشآتِ الجيشين السُّوفييتي والأفغاني بأقلِّ قدرٍ ممكنٍ منَ الخسائر. وبالعموم، فإنَّ الإغاراتِ تتطلَّبُ القليلَ من الإمداداتِ مقارنةً مع الهجماتِ على النِّقاطِ الحَصينةِ، لأنَّها لا تتضمَّنُ السَّيطرةَ على الهدفِ بعدَ انتهاءِ الإغارة.



المقالة الأولى: إغارةٌ على مركز "وادي توتوم" الأمني

رواية القائد "سارشار"[54]

كان السُّوفييت قد نشرُوا مجموعةً من المراكزِ الأمنيَّة، لحمايةِ الطَّريقِ السَّريعِ بين سالانغ وكابول. كان موقعُ أحدِ هذه المراكز موجوداً في وادي "توتوم" على بعد 8 كلم شمال تشاريكار[55] (خريطة 2-1-وادي توتوم)، ويحوي خمسَ عرباتٍ مدرَّعة، وقد نفَّذْنا عليه هذه الإغارةَ في سبتمبر 1981م. كانت قاعدتي تقعُ في وادي غوربند الضَّيِّق، ويبلغُ تعدادُ مجموعتي المتمركِزةِ فيها 60 مجاهداً، مسلحين بأربعةِ مدافعِ غوريونوف رشاشةٍ ثقيلةٍ، ورشَّاشَي بي كا من النَّوعِ المتوسِّط، وأربع قاذفات آر بي جي-7، بالإضافةِ لعددٍ من بنادقِ الكلاشنكوف. وتمتازُ المنطقةُ حولَ القاعدة بكونِها وَعِرَةً، إلا أنَّ العدوَّ كانَ يُسيِّرُ فيها دوريَّاتٍ مُكثَّفةً، ممَّا اضطرَّنا لجعلِ تحرُّكاتَنا ليلاً.

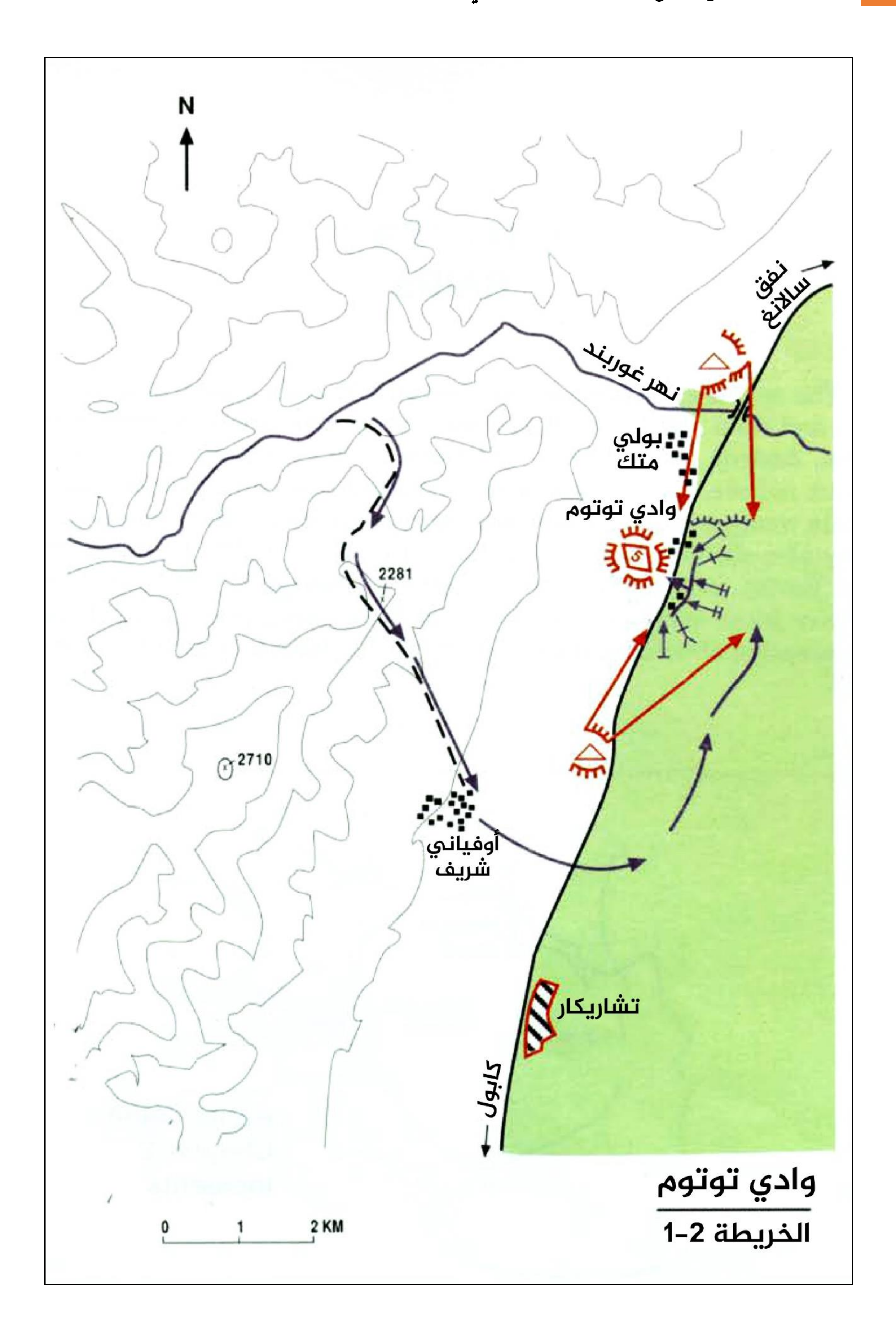
سِرْنَا من القاعدة عبرَ ممرٍ جبليٍ نحوَ منطقةِ التَّجمُّع في "أوفياني شريف"، التي تقعُ على بُعدِ ثلاثةِ كيلومترات جنوبَ الهدف، واستغرقَ منَّا ذلك ستَّ ساعاتٍ. وكان لزاماً علينا أنْ نحملَ جميعَ مُعدَّاتنا على ظهورِنا. بقينا في أوفياني شريف أثناءَ النَّهار، لنستريحَ ونعدَّ خطَّة العمل. وفي ليلةِ التَّنفيذ عبرْنَا الطَّريقَ نحوَ الشَّرقِ حيثُ المنطقةُ الخضراء، ودخلْنا إلى القرى القريبةِ من الهدف.

---

[54] كان القائدُ سارشار ضابطَ شرطةٍ في باروان، عملَ سراً مع المجاهدين. وحين افتُضِح أمرُه (هرب) وأصبحَ قائداً للمجاهدين في غوربند. وقاد مجموعةً متنقلةً في جبهة غوربند قرب تشاريكار

[Map sheet 2887, vie grid 1680]

[55] كان هذا المركزُ تابعاً لمنطقةِ عمل الفرقة 108 للبنادق الآليَّة. وفي وقت عملنا كان الفوج 285 للدبابات التَّابع للفرقة متمركزاً في تشاريكار، بينما الفوج 177 للبنادق الآليَّة تمركز شمالاً في جبل السَّراي على بعد 13 كيلومتراً. وكان هذا المركزُ تابعاً لأحد هذين الفوجين.



وادي توتوم

الخريطة 2-1

عيَّنتُ 40 مجاهداً لتأمينِ طريقِ عودتِنا إلى الجبالِ وللمساعدةِ في حملِ المعدَّات، بينما تمَّ تكليفُ العشرين الباقين بمهمةِ الإغارة. وقد قسَّمتُهم إلى مجموعتين من عَشَرةِ رجال، بحيثُ تقومُ الأولى بالتَّأمينِ السَّريعِ الفوري، وبينما تقومُ الثَّانيةُ بتنفيذِ الاقتحامِ وبحوزتِها رشَّاشُ جوريونوف، ورشَّاشُ بي كا، وقاذفا آر بي جي -7، وعددٌ من بنادق الكلاشنكوف.

بدأنا الهجومَ في تلكَ اللَّيلة، فاستطعْنا تدميرَ دبَابتين بقذائفِ الآر بي جي - 7، وقد أُصيبَ جنودُ العدوِّ بالهلعِ جرَّاء رماياتِ سلاح "الغوريونوف". ومع ذلك، لم نستطعْ الوصولَ إلى المركزِ الأمني بسببِ حقولِ الألغامِ الكثيفةِ المحيطةِ به. بالإضافةِ إلى ذلك، فإنَّ مركزَ وادي توتوم الأمني كانَ محميًّاً من جنباته بمركزينِ سُوفييتيين، وهما مركزُ "بولي متك" ومركزُ "المشروع" - سُمِّيَ بالمشروعِ نسبةً إلى مشروعِ الرَّي الصَّيني (بالقرب منه). فقامَ المركزان بفتحِ النِّيران علينا، مِمَّا اضطرَّنا للانسحابِ إلى قاعدتِنا في غوربند من الطَّريقِ ذاتِهِ الذي أتيْنا منه. ومن حُسنِ حظِّنا أنَّنا لم نُصبْ بأيَّة خسائر.

التَّعليق:

استخدمَ السُّوفييت الملايينَ من الألغامِ في أفغانستان، بغرضِ تأمينِ المنشآتِ وخطوطِ الإمداد وفرضِ الحظرِ على مناطقَ معينة. فمثَّلت عمليَّةُ إزالةِ الألغامِ مشكلةً هائلةً لكلِّ هجومٍ للمجاهدين على موقعٍ مُحصَّنٍ، ومنعتْهم هذه الألغامُ في كثيرٍ من الأحيان من كسبِ المعركة. ولحلِّ هذه المشكلة، كانَ ينبغي تزويدُ المجاهدين بمعدات خفيفةٍ ومتينة لكشفِ الألغام، وعِدَّةٍ تُعينُهُم على إزالتِها بسرعةٍ تحتَ ضربِ النّيران، إلا أنَّ المجاهدين في الواقع كانوا غالباً ما يلجؤون إلى حملِ الصُّخورِ الكبيرة ورميِها أو دحرجتِها لفتحِ طريقٍ عبرَ حقولِ الألغام.

يبدو أنَّ السُّوفييت لم يكلِّفُوا أنفسَهم عناءَ تحصينِ دبَّابَاتِهم الرابضةِ بجدرانٍ من الأكياسِ الرَّملية، وذلك على الرُّغمِ من قدرةِ قذيفةِ الآر بي جي – 7 على اختراقِ أبراجِ دبَّاباتَهم القديمة، إضافةً إلى أنَّ الهجومَ على عرباتٍ متوقّفةٍ أسهلُ بكثيرٍ من الهجومِ على عرباتٍ متحركةٍ بمقدورِ الجنودِ استخدامَ أسلحتِها.

(ومن الأخطاءِ التي وقعَ فيها المجاهدون) أنَّهم اختارُوا هدفاً محميَّاً من الجنبات بنقطتين أمنيتين سلَّطتا النّيرانَ على أجنابِ قوَّتِهم المُهاجمة. فيما اكتفَت عناصرُ تأمينِ المجاهدين بحمايةِ الجنبات من الالتفافِ بدلاً من مشاغلةِ النُّقطتينِ وتثبيتِهما. وكانَ من الأسهلِ والأفضلِ مردوداً على المجاهدين الهجومُ على المركزِ الأمني على الجسر. وكانَ منَ المُمكنِ لهذا الهجومِ أنْ ينجحَ لو حُشِدَت له قوةٌ أكبر ووُظِّفَ على مرحلتين، الأولى العملُ على تحييدِ نقطتي الجنبات، والثانيةُ الهجومُ على مركزِ وادي توتوم. إلا أنَّ مثلَ هذا الهجومِ يتطلَّبُ تنسيقاً وانضباطاً ناريَّاً أفضلَ مِمَّا أظهرَهُ المجاهدون في هذا العمل.

المقالة الثانية: إغارة "تشامتالا"

رواية "اتسارانوال (أتورناي) شير حبيب"[56]

في يونيو/حزيران 1982م. نفَّذَ القائدُ "شيراغاي" عمليَّةً ناجحةً، بعد أن قادَ مجموعتي المؤلَّفة من عَشَرَةِ مجاهدين في إغارةٍ ناجحةٍ على مركزٍ أمنيّ للجيش الأفغاني، وكانَ هذا المركزُ يقعُ على سهلِ تشامتالا قربَ الطَّريقِ السَّريع 2، إلى الشَّمالِ من كابول مباشرةً. وينتمي القائدُ شيراغاي إلى قبيلةِ كوخي[57] التي تقعُ مصايفها في "بغمان" والمناطقِ المحيطة بكابول. حيثُ كانت بعضُ عوائلِ الكوخي تنصبُ خيامَها على سهلِ تشامتالا، وتُسرِّحُ خرافَها ومعزَها في المراعي إلى الشَّمالِ من كابول مباشرةً. وكانت هذه المراعي قريبةً من المركزِ الأمنيِّ التابع للجيشِ الأفغاني الذي أعاقَ تحرُّكاتِ المجاهدين عبر المنطقة (خريطة 2-2-تشامتالا).

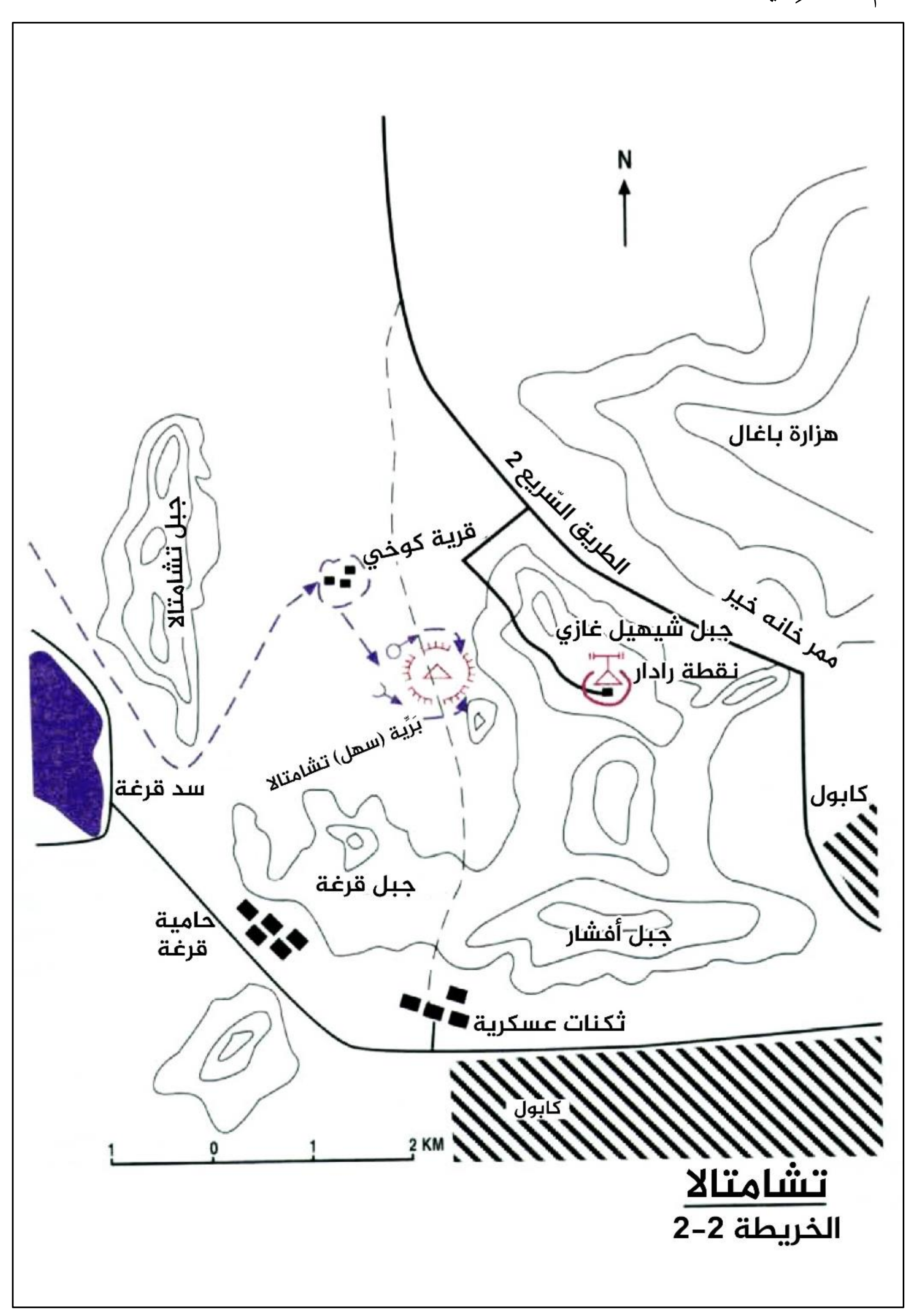


[56] قاد تسارانوال (أتورني) شير حبيب جبهةَ إبراهيم خيل (آل إبراهيم) شمالَ مدينة بغمان. وكانت منطقةُ مسؤوليته تشملُ شرقَ بغمان نحو كابل، وشمالَ شرقِها أيضاً (لمسافة 20 كم)

Map sheet 2886, vic grid 2369

[57] هي قبيلةٌ من البدو الرُحَّل في أفغانستان، يعيشونَ أساساً على الرَّعيِ وتجارةِ الخِرفان والمعز والجمال.

قرَّرنا تنفيذَ إغارةٍ على هذا المركزِ الأمني، واخترتُ شيراغاي لقيادةِ هذهِ المهمَّةِ لقدرتِه على استقطابِ التَّعاونُ الكاملِ من قبيلتِه، وكانت مجموعتُهُ مسلحةً بأسلحةٍ صغيرةٍ، فانطلقُوا من قاعدتِنا في "قلعة حكيم" الواقعةِ في بلدة بغمان، وساروا حتى بلغُوا سهلَ تشامتالا.



الخريطة 2-2

وحينَ وصولِهم، استقبلتْهم العوائلُ الكوخية، واستضافتْهم في خيمِهم، وقدَّمُوا لهم الرِّعايةَ اللّازمة. وأقامتْ مجموعةُ الإغارةِ عندَ البدو عدَّةَ أيام، كانُوا أثناءَها يدرسونَ المركزَ الأمني ويقدِّرُون القوَّاتِ المتواجدةَ فيه، ويجرُونَ التَّرتيباتِ والاستعداداتِ اللَّازمةِ للإغارة. حاولَ القائدُ شيراغاي إيجادَ مُقتَرَبٍ من الهدف خالٍ من الألغام، ومن أجل ذلك، طلبَ من أقربائِه أن يسرَحُوا بقطعانِ مواشيهم نحوَ مواقع مختلفةٍ حولَ المركزِ الأمني، بغرضِ جسِّ المقتربات نحوَ الهدف. واستغرقَ هذا الأمرُ ثلاثةَ أيامٍ حتَّى وجدَ شيراغاي مُقترباً آمناً من المركز، حيثُ تُيَسِّرُ فيه الأرضُ تسلُّلَ المجاهدين. ومباشرةً قامُوا بإزالةِ الألغام منه.

في صباحِ يومِ الإغارة، انطلقَ المجاهدون المُغيرونَ نحوَ الهدف، ولكنْ ضمنَ قطيعٍ من الخرفان. فتظاهرَ بعضُ المجاهدين بأنَّهم كانُوا رعاة، بينما زحفَ الباقون وسطَ الخرافِ في المراعي. ثمَّ تحرَّكَ القطيعُ نحوَ المركزِ الأمني، ولم يلحظْ أحدٌ من الجنودِ الأفغان أيّاً من المجاهدين أو يشكَّ في وجودِهم. وأمضتْ مجموعةُ الإغارة وقتَها بين الخرفانِ طوالَ اليوم، واتخذُوا أماكنَ للاختباء. ولدى غروبِ الشَّمسِ عادَ الرُّعاةُ بقطعانِهم من حيثُ أتوا بينما بقيَ المجاهدونَ مختبئين.

كان المجاهدونَ قد اكتشفُوا من قبلُ أمراً هامَّاً فيما يخصُّ وجبةَ عشاءِ الحرسِ في المركزِ الأمني. وهي أنَّ الحُرَّاسَ كانُوا يتركونَ واحداً فقط ليبقى في الحراسةِ بينما يأكلُ السَّبعةُ الباقون. وفي اللَّحظةِ التي حضرَ فيها طعامُ العشاء، تسلَّلَ ثلاثةٌ من المجاهدين إلى المركز وهرعُوا إلى الحارس الذي بقيَ وحيداً لينزعُوا سلاحَه. وأغلقَ أحدُ المجاهدين فمَ الحارسِ بيدِه ليمنعَه من الصُّراخ. بعد ذلك، تدفَّقت بقيَّةُ مجموعةِ الإغارةِ إلى المركزِ الأمني، وباغتُوا بقيَّة أفرادِ الجيشِ الأفغاني وأسروهم جميعَهم من دونِ إطلاقِ رصاصةٍ واحدة، وكانَ من بين الأسرى ضابطٌ برتبةِ ملازم. وحملَ المجاهدون كلَّ ما استطاعُوا حملَهُ من المركزِ وعادُوا إلى قاعدتِهم مع جميع الأسرى.

التَّعليق:

كانت كابول والمناطقُ المحيطةُ بها شديدةَ الحِراسة، حيثُ كانت تتمركزُ فيها الفرقةُ السُّوفييتيَّةُ 103 المحمولةُ جوّاً، وفوجا 180 و181 للبنادقِ الآليَّةِ التابعَيْن للفرقةِ 108 للبنادقِ الآليَّةِ السُّوفييتيَّة، والفرقةُ الثَّامنةُ للمُشاةِ الأفغانية، واللواءُ 37 للمغاوير الأفغاني، واللواءُ 15 للدَّبابات الأفغاني. بالرُّغمِ من ذلك، تضافرَت عدَّةُ عوامل على إنجاح هذهِ الإغارة وهي: الاستطلاعُ الدَّقيقُ المُفصَّل، والانضباطُ الصَّارمُ في التَّمويه، وخطَّةُ الخداعِ الماكرة، بالإضافة إلى الدَّورِ الجوهريّ للمساعدةِ المحلِّيَّةِ من قبيلةِ الكوخي. فقد حقَّقَ اختيارُ القائدِ الكوخي وجهودُه في التَّعاونِ مع أقاربِه نتائجَ مُرضية. وكانَ المجاهدونَ يعتمدونَ على السُّكان المحليين في التَّخفي وجلبِ الإمداداتِ من الطَّعامِ والمياه والمعلوماتِ الاستخباراتيَّة والمأوى والإنذارِ المبكّر. وقدَّمتِ الجهودُ والأوقاتُ التي بذلَها المدنيون دوراً أساسيَّاً في إنجاح عملِ المجاهدين.

من النَّاحيةِ الأخرى، تركَ قائدُ المركزِ الأمنيّ الأفغانيّ أعمالَ المركزِ الأمنيّ اليوميَّةِ لتتحوَّلَ إلى روتين. خطَّطَ المجاهدون للهجومِ أثناءَ فترةِ راحةِ الحرَّاس، واستولَوا على المركزِ من دونِ إطلاقِ أيَّةِ طلقةٍ ومن دونِ إنذارِ النِّقاطِ المجاورة.

المقالة الثالثة: الإغارة على مقر مديرية باغرامي[58]

رواية القائد شهاب الدّين[59]

في يوليو/تموز 1983م، اجتمعَت وحداتٌ محليَّةٌ (من مديريَّة باغرامي) تابعةٌ للفصائلِ السَّبعةِ الرَّئيسيَّة، للإغارةِ على مَقَرِّ مديريَّةِ باغرامي جنوبَ شرقَ كابول. (لا توجد خريطة) واستطعْنا حشدَ 250 مجاهداً، مسلَّحين بستةِ مدافعِ هاون عيار 82 ملم، وتسعةِ مدافعَ عديمةِ الارتداد، وثماني قاذفات آر بي جي -7. وتمَّ هذا الحشدُ في قاعدتي الواقعة في ياخضرا، ورسمْنَا الخططَ، ومن ثمَّ وزَّعْنا القوَّاتِ في القرى. وكلَّفْنا 100 مجاهدٍ لتأمينِ الطَّريقِ، وأرسلناهُم للتمركزِ قبلَ تحريكِ قوَّاتِ الإغارةِ الرَّئيسيَّة نحوَ باغرامي وقلعةِ أحمد خان.

وهاتانِ البلدتانِ تقعانِ في ضواحي كابول، وهما جُزءٌ من الحزامِ الأمنيِّ الدَّاخليِّ للعاصمة. وكانَ بحوزةِ مجموعةِ اقتحامِ باغرامي المؤلَّفةِ من 40 رجلاً: سبعُ قاذفات آر بي جي، وثلاثةُ مدافعَ عديمةِ الارتداد ومدفعا هاون. وقد كُلِّفُوا بالهجومِ على مقرِّ المديريَّة من ثلاثةِ محاور. بينما قُدْتُ أنا مجموعةَ اقتحامِ قلعةِ أحمد خان المؤلّفةِ من 50 رجلاً، عَشْرَةٌ منهم لحمايةِ الجنبات، بينما كُلّف الـ 40 الباقون بتنفيذِ الإغارة. ومثلَ المجموعةِ السَّابقة، كان من المفترضِ أن يهاجمَ الاقتحاميون الهدفَ من ثلاثةِ محاور. ولدى اقترابِنا من قلعةِ أحمد خان، أوقفَنَا مركزٌ أمنيٌّ صغيرٌ، فقمْنا بالاستيلاءِ عليه. ثمَّ هاجمْنا إحدى المراكزِ الأمنيَّةِ الرَّئيسيَّةِ في القرية، واستولينا عليهِ بعدَ قتل 25 جنديَّاً أفغانيَّاً وأسرِ ثمانيةِ آخرين. وقد اغتنمْنا 14 بندقيةَ كلاشنكوف وجهازَ هاتف، إلا أنَّ مجموعةَ اقتحامِ باغرامي لم تستطعِ الاقتراب من هدفِها بما يسمحُ لها بتوجيهِ النِّيرانَ المباشرةَ عليه، فاكتفَت بدلاً من ذلك بقصفِ الهدفِ مِن بَعيد.

---

[58] المركز: تقعُ هذه المديريَّةُ في ضواحي كابول، وتختلفُ عن باغرام الواقعةِ شمال كابول.

[59] القائدُ شهابُ الدين من قريةِ شيوا كي جنوبَ كابول. لا توجد خريطةٌ في هذا المقال.

[Map sheets 2885 and 2886]

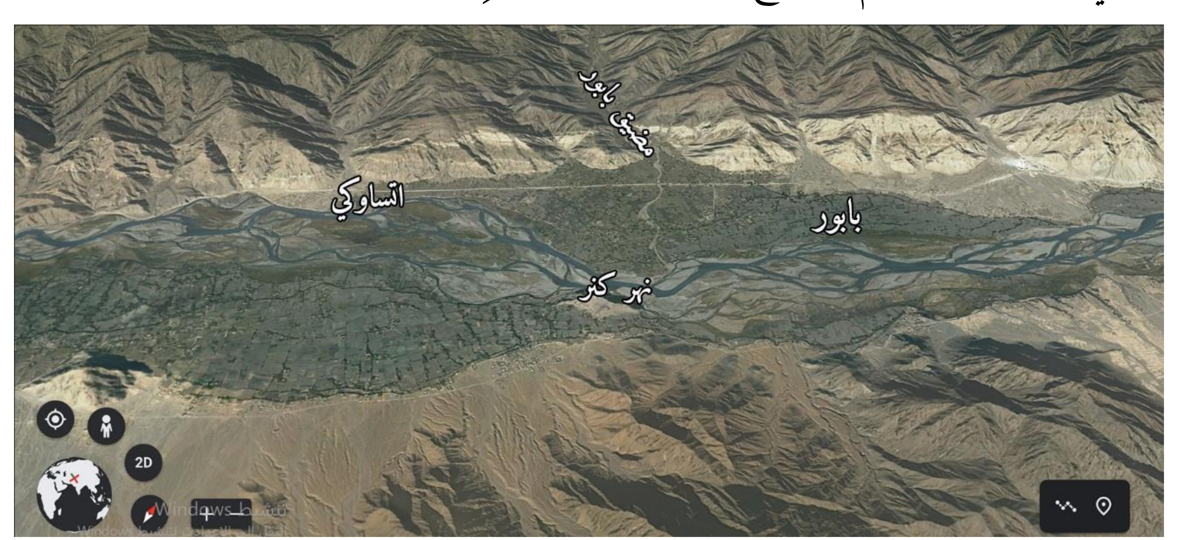
التَّعليق:

قامَتِ القوَّاتُ الأفغانيَّةُ والسُّوفييتيَّةُ بتطويقِ كابول بثلاثةِ أحزمةٍ أمنيَّةٍ، يتخَلَّلُ كلَّ واحدٍ منها العديدُ من المراكزِ الأمنيَّةِ وحقولِ الألغامِ والعوائق، وذلك بغرضِ منع عمليَّاتِ التَّسلُّلِ والقصفِ التي كانَ يشنُّها المجاهدون. وغالباً ما هاجمَ المجاهدون هذهِ المواقعَ، إلا أنَّهم عَجَزُوا عن الثَّبات فيها. **فكانت الفوائدُ الرَّئيسيَّةُ لنظامِ الأحزمةِ الأمنيَّةِ بالنِّسبةِ للمجاهدين هي تقييدُ عددٍ كبيرٍ من العساكرِ بأدوارٍ أمنيةٍ سلبيةٍ، وتوفيرُ كمياتٍ من الأسلحةِ والذخائرِ عبرَ الاغتنامِ، وتحطيمِ معنويَّاتِ العدوِّ عبرَ الهَجماتِ المُتكرِّرة.**

المقالة الرابعة: الهجوم على مركز "اتساوكي" الأمني

رواية المقدم الحاج محمد رحيم[60]

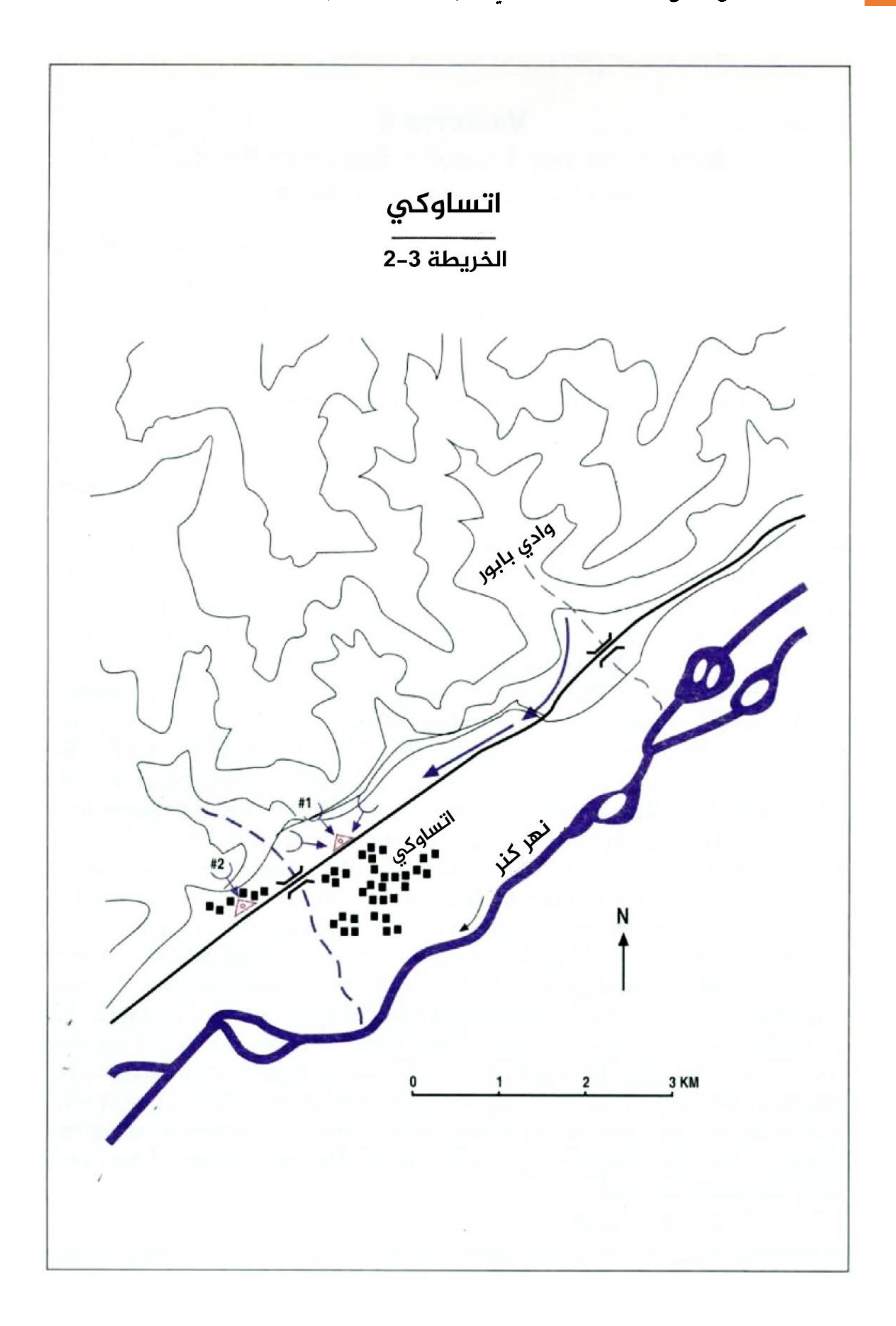
تقعُ مديريَّةُ اتساوكي في ولاية "كنر"، وقد قامَ الجيشُ الأفغانيُّ فيها بإنشاءِ مركزٍ أمنيٍّ في مدرسةِ اتساوكي الثَّانويَّةِ لتأمينِ جزءٍ من الطَّريقِ السَّريعِ بينَ جلال آباد وأسد آباد. (خريطة 2-3- اتساوكي) وكانَ من المُعتادِ للجيشِ تحويلُ مثلُ هذه المباني العامَّةِ لغرضِ الاستخداماتِ العسكريَّة. وفي أكتوبر 1983م، اتَّخذتُ قراراً بالسَّيطرةِ على هذا المركزِ الأمني. وكان لديَّ ما يُقارب 70 مجاهداً مسلَّحين: بمدفعَي هَاون عيار 82 ملم، وبمدفعٍ دوشكا، وبعض بنادقِ إنفيلد.



وفي قاعدتِنا قربَ مضيقِ باربور، خطَّطنا للقيامِ بالهجومِ، وانضمَّ إلى العمل معنا مجاهدون من دواغال. وكانت الخطةُ تتمثَّلُ بالهجومِ من ثلاثةِ محاور، الأولُّ من الشَّمال حيثُ الأرضُ المرتفعة، والثَّاني على امتدادِ الطَّريقِ من جهةِ الشَّمالِ الشَّرقي، والثَّالث من الغرب. وبعدَ التَّخطيطِ والتَّحضير، سرنْا من قاعدتنا ليلاً، ولدى وُصولنا قُمْنا بالانتشارِ حولَ الهدف، ثمَّ هَجَمْنا على الهدف، واستغرقَ مِنَّا العملُ نصفَ ساعة، حتَّى استطعْنا اجتياحَ المركز، إلا أنَّنا لمْ نستطعْ الثَّبات فيه فخَرجْنا منه.

---

[60] كان المقدَّمُ حاج محمد رحيم ضابطاً في الجيش الأفغاني، ثمَّ أصبحَ مجاهداً، وقادَ إحدى مجموعات المجاهدين في ولاية كنر. [Map sheet 3186, vie grid 7640].


اتساوكي
الخريطة 3-2
وادي بابور
#1
#2
اتساوكي
نهر كنر
N
0
1
2
3 KM

وقد كانت حصيلةُ عملِنا: قتلَ 11 جندياً أفغانيّاً، وأَسْرَ واحد، واغتنامَ رشَّاشِ ZGU-1[61] (سبطانة 14.5 على قاعدةٍ ثابتة)، ورشَّاش دوشكا، وبعضَ بنادقِ الكلاشنكوف. بينما قُتِلَ مِنَّا ثلاثةُ مجاهدين وأُصِيب واحد.

كانَ هذا المركزُ الأمنيُّ قربَ مقرِّ مديريَّةِ اتساوكي، كما كانَ يوجدُ مركزٌ أمنيٌّ ثانٍ قريبٌ من الجسر. وكان لدينا عميلٌ داخلَ ذلك المركزِ يُدعى موسى خان. وفي يونيو/حزيران 1985م، قدَّمَ لنا هذا العميلُ العونَ في الاستيلاءِ على مركزِهِ الأمني. وكنتُ قد جمعْتُ 50 مجاهداً، وقد تسلَّحُوا ببنادقِ كلاشنكوف وإنفيلد وقاذفات آر بي جي-7. فانطلقْنا ليلاً من قاعدتِنا في مضيقِ بابور محاذاةَ ضفةِ النَّهرِ نحوَ الجنوبِ الغربي. واقتربْنا من المركزِ فجراً من ناحيةِ الأرضِ المرتفعةِ إلى الشَّمال منها، ثمَّ أدخلَنا عميلُنا إلى داخلِ المركز، بينما كانَ معظمُ الجنودِ نائمين، حيثُ كُنَّا نرغبُ في أسرِهم جميعاً. إلا أنَّ بعضَ المجاهدين لم يتقيَّدُوا بالهدوءِ التَّام، ممَّا أيقظَ المفرزةَ الأمنيَّةَ فبدؤُوا بقتالِنا.

قتلْنا منهم سبعةَ جنودٍ وأسرْنا واحداً، واغتنمْنا رشَّاشاً مُتوسطاً مِن طِرازِ بي كا و12 بندقيةَ كلاشنكوف وذخائر. وأوقظَ صوتُ الرَّصاصِ بقيَّةَ وحداتِ العدو في المدرسة. فأرسلُوا مفرزةً إلى المدرسةِ الثَّانوية، إلا أنَّني كنتُ قد نشرْتُ عناصرَ تأمينٍ على الطَّريق، فاستطاعُوا منعَ المفرزةِ من الوصول، وتغطيةَ انسحابِنا إلى قواعدِنا في الجبال، ولم يُصَبْ مِنَّا إلا مجاهدٌ واحد.

[61] هو الرَّشَّاشُ المعروف ب 14.5 ملم KPV، له سرعةُ رميٍ افتراضيَّةٍ مقدارُها 600 طلقة في الدَّقيقة وعملية 150 طلقة في الدقيقة. والسِّلاحُ يلُقم بشريطٍ من مخزنٍ يحوي 150 طلقة، مداهُ الأقصى أفقياً يبلغُ 7000 مترٍ، بينما يبلغُ أقصى مدىً فعَّال ضدَّ الأهدافِ الجويَّة إلى 1400 متر. يزنُ السِّلاحُ 581 كيلوغراماً، ويُرمَز له بـ ZGU في حال تثبيتِه على قاعدةٍ ثابتةٍ خاصةٍ بالرمي من الجبال، بينما يُرمز له بـ ZPU في حالِ تثبيتِه على عربةٍ مدولبة خفيفة. والترقيمُ حسبَ عددِ السَّبطانات في قاعدةِ الرماية.

التَّعليق:

لم تتجاوز نسبةُ قياداتِ المجاهدين من أصحابِ الخبرةِ العسكريَّة السَّابقة الـ 15 %. ورغمَ ذلك، كانَ للقليل من العساكرِ الذين انضمُّوا إلى المجاهدين تأثيرٌ كبيرٌ في العمليَّاتِ العسكريَّة. فقد عملُوا على توفيرِ ما يضمنُ سلاسةَ العملِ العسكري، بدايةً من تقديمِ المعرفةِ بالمسائلِ العسكريَّة والخططِ الحربيَّة، وصولاً إلى تقديمِ القليلِ من البرامجِ التَّدريبيَّة الموحَّدة، والتوسُّطِ بين المجاهدينَ وبينَ الدَّاعمين الخارجيين في عمليَّاتِ تقديمِ المُساعدات.

في هذا العمل، كانت مثلُ هذهِ الأهداف في غايةِ السُّهولة، فقد أُقيمت هذه المراكزُ الأمنيَّةُ في أبنيةٍ مُحاطةٍ بأراضٍ مُرتفعةٍ مغطَّاةٍ بالغابات، فامتلَكَ المجاهدون مقتربات نحوَ الهدفِ ومخارجَ مخفيةً، بالإضافةِ إلى ذلك كانَ لديهم دعمٌ من داخلِ صفوفِ أعدائِهم.

المقالة الخامسة: إغارة على محطة البثِّ الإذاعي في "بولي شرخي"

رواية الرائد "شير آقا كوشاي" وآخرون[62]

في يونيو/حزيران عام 1984م، قامَ قائدُ الجبهةِ الإسلاميَّةِ الوطنيَّةِ الأفغانيَّة لولاية كابول -المدعو ولي خان- بإصدارِ أوامرَ للقيامِ بإغارةٍ على محطَّةِ الإذاعةِ إلى الرائدِ "شير آقا كوشاي"، قائدِ قاعدةِ الجبهةِ في سيواك (الواقعة على بعد 20 كيلومتراً جنوبَ شرقَ كابول). فانضمَّ القائدُ شير آقا في هذهِ الإغارةِ مع قائدينِ محليين آخرين، وَهُما سيد حسن خان قائدُ مديريَّةِ "خاكي جبار"، والحاج حسين جان قائدُ مديريَّةِ "ناري أوبا". وكانت محطةُ البَثِّ الإذاعيِّ تقعُ بالقربِ من بولي شرخي (على بعد 20 كيلومتراً شرقَ مدينة كابول)، وتمَّ التَّخطيطُ للقيامِ بالإغارةِ في ليلة 26 يونيو/حزيران.

كانت الحكومةُ الأفغانيَّةُ المدعومةُ من قبل السُّوفييت تعملُ على تقوية أجهزةِ البثِّ الإذاعي بغرضِ الوُصولِ إلى عددٍ أكبرَ من المُستمعين داخلَ البلاد وخارجَها. وكانت هذه المَحطَّاتُ تَبُثُّ برامجَ محلِّية، بالإضافةِ إلى برامجَ أُنتِجَتْ في الاتِّحادِ السُّوفييتي.[63]

تقعُ محطةُ البثِّ الإذاعيِّ في بولي شرخي بالقربِ من مجمَّعٍ عسكريٍّ، حيثُ كان يتركزُ فيه اللواء 15 للدَّبَّابات، والفوجُ العاشرُ لهندسةِ الميدان، ووحداتٌ أخرى كلُّها تابعةٌ للجيشِ الأفغاني. (انظر

[62] متن الرواية مبنيٌّ على مقابلةٍ مع الرائدِ شير آقا كوخاي في 14 من سبتمبر 1996م. وتضمَّنت المصادر الأخرى عن المعركة وثائقَ الجبهة الإسلامية الوطنية الأفغانية، ومناقشاتِ علي جلالي مع حسن خان كاروخيل عام 1986م في بيشاور، ومقابلاته مع القائدِ الراحل ولي خان كاروخيل (القائدِ العسكري للجبهة في كابول) في بيشاور وإسلام آباد عامي 1984 و1986م، ومقابلاته مع الجنرال عبد الرحيم وردك.

Map sheet 2886, vic grid 3221

[63] قام الاتِّحاد السُّوفييتي وعملاؤه في كابول بعملياتٍ تشويشٍ على بثِّ الإذاعات الدُّولية لأفغانستان. وقد كان الأفغان يعدُّون الإذاعات الدُّولية المصدرَ الوحيد للأخبارِ الموضوعية غير الخاضعة للرقابة في البلاد. كذلك كانت عملياتُ التَّشويشِ تتمُّ من أماكن أخرى.

الخريطة 16 أ- قافوس 1 من الفصل الأول، والخريطة 2-4 بولي شرخي). وإلى الشَّرق، كانت تقومُ ميليشياتٌ مُموَّلةٌ من الحكومةِ بدورِيَّاتٍ بين "بوتخاك" و"سروبي" لحماية خطوطِ الطَّاقةِ وأبراجِها التي كانت تَصِلُ الكهرباءَ من سَدِّ "ناغلو" عبرَ سروبي إلى كابول. وكانت هذه المليشياتُ مجنَّدةً من عشيرةِ الكاروخيل التي تنتمي لقبيلةِ أحمدزي البشتونية، وكان شيخُهم هو حسن خان كاروخيل. وفي الظَّاهر، كان الشيخُ داعماً للحكومة، أمَّا في الحقيقةِ فقد كانَ متواطئاً بدرجةٍ كبيرةٍ مع المجاهدين، ويقدِّم لهم الدَّعم اللُّوجستي، ويأويهم، بل حتى يوفِّرُ الرِّعايةَ الطِّبيَّةَ لجرحاهُم في المُؤسّساتِ الطِّبيَّة الحكوميَّة.[64] [65]

---

[64] في الواقع، ولي خان كاروخيل، قائدُ الجبهةِ الوطنيَّةِ الإسلاميَّة في ولاية كابول، كانَ أخاً لحسن خان كاروخيل. وكان مقرُّ حسن كاروخيل في بلدةِ ملا عمر، وهي منزلُ شيوخ عشيرة الكاروخيل.

[65] تعاون حسن خان فيما بعد مع المجاهدين في عملٍ عسكريٍ كبير عام 1984م. فقدَّمَ المأوى والأدلاء والدَّعمَ لقوَّاتِ الجبهةِ الإسلاميَّةِ الوطنيَّة، فاستطاعوا تدميرَ أبراجِ الكهرباءِ بين بوتخاك وسروبي، فأدَّى ذلك لقطع التيَّارِ الكهربائي عن كابول لفترةٍ طويلةٍ، وذلك ضمن عمليةٍ كبيرةٍ وشهيرةٍ عُرِفت بعملية إطفاء الأنوار Black-out، والتي مثَّلت نهايةَ عمل حسن خان، كقائد مليشيا حكوميَّة، ممَّا أدى لنزوحهِ هو وعائلتُهُ و400 من أتباعه إلى باكستان، واستمرَّ في الكِفاح ضدَّ النِّظامِ المدعومِ سوفييتيَّاً من الخارج. من تقرير هازير تيموريان لجريدة التايمز اللندنية، 31 من أغسطس عام 1984م.

المركز: رابط مرئي للعملية:

https://danratherjournalist.org/ground/foreign-affairs/inside-afghanistan/video-%E2%80%9Cafghanistan-operation-blackout%E2%80%9D

بقي ولي خان (أخو حسن خان) قائدُ ولاية كابول للجبهة الإسلاميَّة الوطنيَّة الأفغانيَّة حتى عام 1986م. وبعدَها عملَ على نحوٍ مستقلٍ ضمن الحركة السِّياسية المضادَّة للشيوعيَّة في الخارج. وبعد الانسحاب السُّوفييتي، انضمَّ إلى مجلسِ الوحدة والحوار، وهي حركةٌ للمثقفين الأفغان عملت على تشكيل حملةٍ سياسيةٍ بهدف إقامة حكومة معتدلةٍ في أفغانستان. ودعمت هذه الحركة إعادةَ تنصيبِ الملك كرمزٍ للوحدة بين فصائلِ المقاومةِ الأفغانية المتناحرة، وكان ولي خان تحديداً هو من دعمَ هذه الفكرةَ. واغتيلَ خان عام 1994 م في الطريقِ بين بيشاور وإسلام

وفقاً للخطَّة، كانَ على المجاهدين أنْ يحتشدُوا في بلدةِ الملا عمر انطلاقاً من ثلاثِ قواعد، وذلك بغرضِ تلقِّي التَّعليماتِ النِّهائية قبلَ العمل. وفي يوم 26 يونيو/حزيران بعد الظُّهر، اجتمعَتِ المجموعاتُ الثلاثُ في بلدةِ الملا عمر. وكان القائدانِ الرائدُ شير آقا والحاج حسين جان قد جلبَ كلٌّ منهما 30 رجلاً من قاعدتيهما في سيواك وناري أوبا، بينما جلبَ سيد حسن خان 50 رجلاً من خاكي جبار.

أصدرَ ولي خان كاروخيل التَّعليماتِ النّهائية، وتضمَّنت تعيينَ الرائد شير آقا القائدَ العام لمجموعةِ الإغارة وتقسيمَ القوَّاتِ إلى أربع فرق، الفريقِ الأول: فرقةُ اقتحامٍ مؤلَّفةٌ من 20 مقاتلاً، يقودُهم الحاج حسين جان، ويحملُون بنادقَ آليَّة ومدافعَ رشَّاشةً خفيفةً وقاذفاتِ آر بي جي-7. وكانت مهمتُهم: الهجومَ على محطَّةِ البثِّ من جهةِ الجنوبِ الغربي وتدميرَها، ثمَّ الانسحابَ تحتَ تغطيةٍ ناريَّةٍ من فريقِ الإسناد.

يعملُ فريقُ الإسنادِ المُؤلَّفِ من 20 مقاتلاً على تغطيةِ فريقِ الاقتحامِ انطلاقاً من مواقعَ متمركزة في خندقٍ إلى الشَّرقِ مباشرةً من الهدف، وكانَ هذا الفريقُ مسلَّحاً بمدفعِ هاون عيار 82 ملم، وراجمةِ صواريخ (بسبطانةٍ واحدةٍ) عيارِ 107 ملم (بي أم – 1)، ورشَّاشِ بي كا، وعددٍ من قاذفاتِ الآر بي جي – 7، وبنادقِ الكلاشنكوف. وقرَّرَ الرَّائدُ شير آقا البقاءَ مع هذا الفريقِ، لكونِهِ ضمنَ الخطَّة (آخر فريقٍ سينسحب).

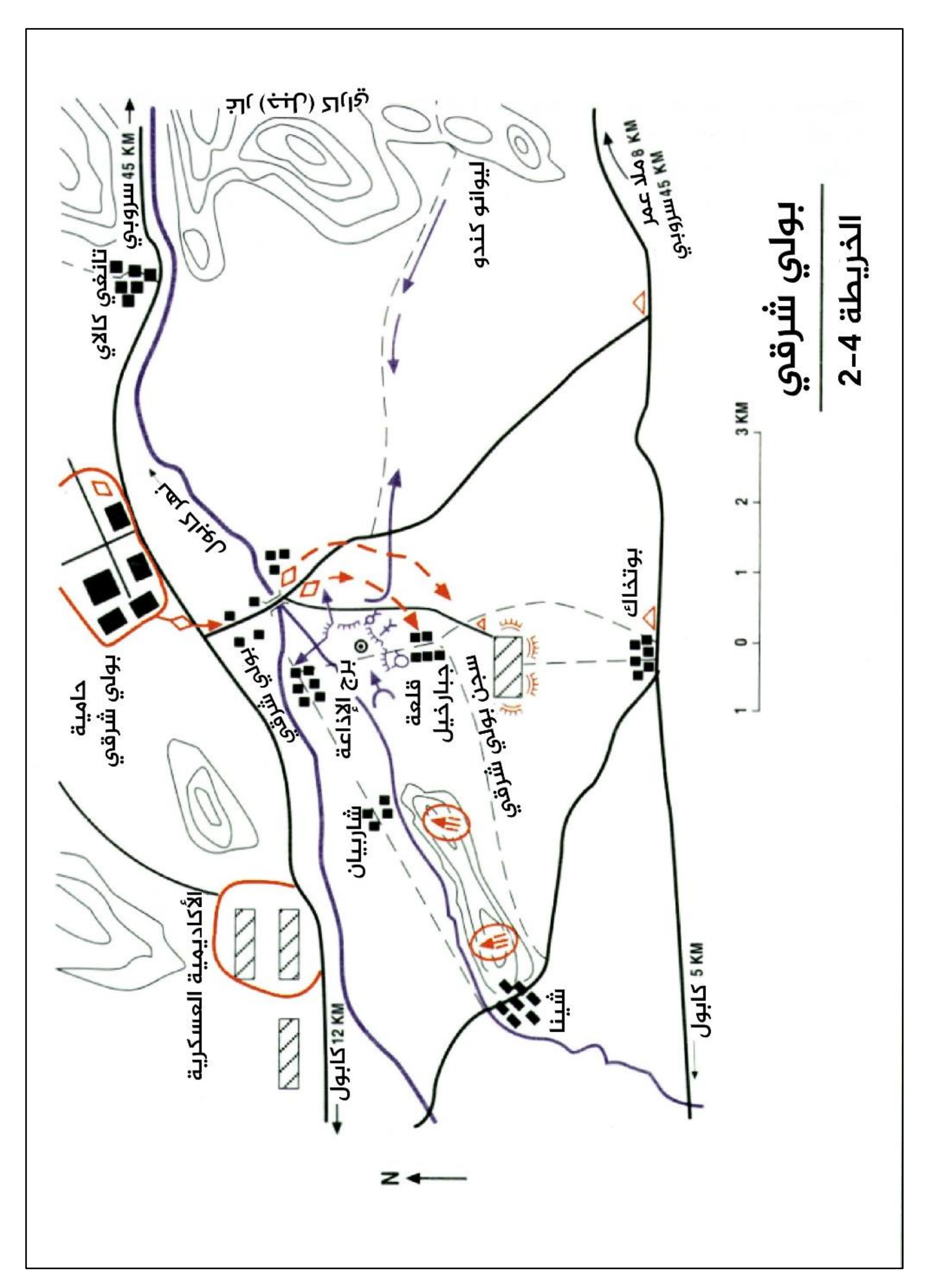
آباد من قِبَلِ مسلحين مجهولين. وأشارت بعض التكهُّنات بأن عمليَّةَ الاغتيال يقفُ وراءَها خصومُه السِّياسيين من الجماعاتِ الإسلامية المتطرِّفة.



راجمة بي أم -1

تمَّ تكليفُ سيد حسن خان بقيادةِ فريقِ الاحتواء (التَّثبيت) المؤلَّفِ من 25 إلى 30 رجلاً. وكانُوا مسلَّحين بأسلحةٍ صغيرةٍ وقاذفاتِ آر بي جي – 7. ونصَّت مهمَّتُهم على إغلاقِ الطَّريقِ بين بولي شرخي وبوتخاك على الضِّفَّةِ الشَّرقيَّة لنهرِ كابول ومنع قوَّاتِ العدوِّ من الوصولِ إلى الهدف، بينما كُلِّفَ بقيَّةُ المجاهدين كعناصرِ إمدادٍ وإخلاءٍ لدعمِ المجموعاتِ الأخرى.

قرَّرَ الرَّائدُ شير آقا البدءَ بالهجومِ في مُنتصفِ اللَّيل. وكانَ الوقتُ المقدَّرُ للمغادرة هو السَّاعة 20:00 في الغَسق، لكونِ موقعِ الهدفِ يبعدُ عن بلدةِ ملا عمر مسافةَ 15 كيلومتراً، وكانَ على مجموعةِ الإغارةِ تجاوزُ وحدةٍ سوفييتيَّةٍ مُنتشرةٍ في "غزك" على طريقِها. فنفرَ المجاهدون من ملا عمر عبرَ غزك ثُباتٍ (مجموعاتٍ صغيرة) تِباعاً على طريقٍ واحدٍ لتتجمَّعَ من جديدٍ لفترةٍ وجيزةٍ في ليواناو كندو. وكانت هناكَ دوريَّتَا استطلاعٍ تحرَّكا عند الجنبات، ودوريةٌ أخرى أمامَ الرَّتل، ضمنَ مدى الصَّوت. ولدى وصولِ القوَّاتِ إلى نبع ماءٍ في "ليواناو كندو"، أصدرَ الرَّائدُ شير آقا آخرَ أوامرَ تنسيقٍ بينَ الوحداتِ، وأعطى الأمرَ بإطلاقِ النَّارِ لدى بدئِه هو بالرَّمي، كإشارةٍ لبدءِ الإغارة. فتحرَّكت الفرقُ المختلفةُ لمجموعةِ الإغارة ثُباتٍ من مِنطقةِ التَّجمُّع في ليواناو كندو إلى مناطقِها المحدَّدة.



وقبلَ منتصفِ اللّيلِ بقليلٍ، وصلَت كلُّ الفرقِ إلى أماكنِها. وكانَ الهدوءُ مخيّماً حولَ موقعِ المحطّة. وبإشارةٍ من الرّائدِ شير آقا، بدأَ فريقُ الاقتحامِ بإطلاقِ النّيرانِ، وغطّى فريقُ الإسنادِ على تقدُّمِه. وأحرَقَت قذائفُ الآر بي جي المبانيَ الخشبية، ممّا أدّى لاندلاعِ النّيرانِ في أرجاءِ الموقع، ممّا تسبَّبَ

بهلع الجنود وفشلِهم في تنظيمِ أيِّ مقاومةٍ. واستطاعَ فريقُ الاقتحامِ اجتياحَ الموقع، وقتلَ عدَّةِ جنودٍ، واغتنامَ خمسةِ بنادقَ كلاشنكوف، وتفجيرَ محطَّةِ الإرسال الإذاعي.

وردَّ الجيشُ الأفغاني فوراً بإرسالِ رتلِ دبَّاباتٍ من حاميةِ بولي شرخي إلى المحطة. وعبَرَ الرَّتلُ الجسرَ فوقَ نهرِ كابول، إلا أنَّهُ وفجأةً تركَ الرَّتلُ الطَّريقَ الرئيسي وتجاوزَ الطَّريقَ الذي كانَ قد أغلقتْهُ مجموعةُ الاحتواءِ التَّابعةِ لسيد حسن خان. وعبرَت الدَّبَّابات -وأضواؤُها الأماميَّةُ مُطفأةٌ - السَّهلَ الواقعَ شرقَ المجاهدين، قاطعين بذلكَ طريقَ انسحابِهم. فقامَ مجاهدٌ شابٌّ يُدعَى بابراك بضربِ إحدى الدَّبَّاباتِ بقذيفةِ آر بي جي وأحرقَها. إلا أنَّ بقيَّةَ الدّباباتِ اندفعَت نحوَ الجنوبِ الغربي. فاضطرَّ فريقا الاحتواءِ والاقتحامِ إلى قطعِ الاشتباكِ فوراً مخافةَ تطويقِهم من قبلِ العدو، دونَ إخبارِ الرائدِ شير آقا بذلك، فانسحبُوا نحو ليواناو كندو، تاركينَ خلفَهم فريقَ الإسناد. وبينما كانَ القائدُ شير آقا يحاولُ بكلِّ ما أُوتِيَ من طاقةٍ إنشاءَ اتصالٍ مع بقيَّةِ الفرق، إذ سمعَ هديرَ الدَّبابات من خلفِ موقعه. وفي ذلك الوقت، كانت الأضواءُ الكهربائيَّة كلُّها مطفأةً، إلا أنَّ محطَّة البثّ كانت تَسْطَعُ بالنّيران. فكانَ كُلٌّ من المجاهدين والجيشِ الأفغانيّ يستخدمونَ النّيران ليهتدُوا طريقَهم عبرَ الظَّلام.

ولمواجهةِ هذا الموقفِ الخطير، أمرَ شير آقا الجنودَ بألا يُذْعَرُوا، وأن يتملَّصُوا هاربين عبرَ المسافات بين الدّبابات فرادى. وبالاستفادةِ من التَّضاريس التي وفرَّت لهم الغطاء، وقد استطاعُوا فعلاً الهروبَ نحو منطقة التَّجمّع المزمَع في ليناو كندو. ولدى وصولِهم تباعاً، وجدُوا أنَّ فرقَ الاقتحامِ والاحتواءِ والإمدادِ والإخلاءِ قد سبقوهُم إلى هناك. وعلمَ شير آقا بأنَّ جميعَ الفرقِ ما عدا الإسناد، كانُوا قد انسحبُوا لدى وصولِ رتلِ الدّبابات. وكانَ وصولُ جميع قوَّاتِ المُجاهدين إلى ليواناو كندو في الساعة 02:00.

بلغَ عددُ إصاباتِ المجاهدين ستَّة جرحى، واحدٌ من فريقِ الإسناد وتُوفي فيما بعد في طريقِ العَودة، واثنانِ من فريقِ الاقتحام، وواحدٌ من فريقِ الاحتوَاء. ولأنَّ الفجرَ سيبزغُ بعدَ ساعتين، لم يكنْ من الآمنِ المُضيّ قُدماً، لاسيما وأنَّ عليهم تجاوزُ القُوَّات السُّوفييتيَّة في غزك من جديد. فمِن الواضحِ بداهةً، بأنَّ الإغارةَ على بولي شرخي قدْ أنذرَت السُّوفييت بوجودِ المُجاهدين في المنطقة.

فقرَّرَ فريقَا الحاج حسين جان والسَّيِّد حسن خان البقاءَ إلى اليومِ التَّالي في ليوانو كندو، لأنَّهما لا يستطيعانِ الوصولَ إلى قاعدتيهما أثناءَ ساعاتِ اللَّيلِ المتبقية. وبالنِّسبةِ لمجموعةِ شير آقا، فقد أرسلَ لهم حسن خان كاروخيل شاحناتٍ لنقلِهم مع الجرحى إلى برِّ الأمان في بلدةِ الملا عمر قبلَ الفجر. وتظاهرَتِ الشَّاحنات على أنَّها دوريَّاتُ الميليشيا القبليَّة تبحثُ عن قوَّاتِ الإغارة، حتى أوصلَت المجاهدين إلى البلدة، حيثُ تلقَّوا الرِّعايةَ، وأُحضِرت لهم فرق طبية من كابول لعلاجِ الجرحى. وفي اللَّيلةِ التَّالية، عادَت مجموعاتُ المجاهدين إلى قواعدِها، وأرسلُوا جثَّةَ قتيلهم الوحيدِ إلى عائلتِه لدفنه.

التَّعليق:

ساهمَت مساعداتُ مليشيا الكاروخيل في إنجاح عمليَّاتِ المجاهدين إلى حدٍ كبير، ومثَّلت معونةً جوهريَّةً في تنفيذِ أعمالٍ حولَ مدينةٍ محصَّنةٍ مثلَ كابول. وما بين عامي 1980 و1984م، يسَّرَت هذه المليشيا تسلُّلَ أعدادٍ كبيرةٍ من المجاهدين إلى داخلِ كابول، قبلَ أن تنشقَّ بأكملِها إلى المقاومة الأفغانيَّة. وتختصُّ أهميَّة هذهِ المساعدةِ في تأمينِ انسحابِ مجموعاتِ التَّعرُّضِ بعد تنفيذِها الإغارة. حتَّى أنَّ هذه التَّسهيلات يسَّرَت دخولَ أكثَرَ من 100 مجاهدٍ لشنِّ غارةٍ واحدةٍ في قلبِ معاقلِ العدو.

من وجهةِ نظرِنا ربَّما كانَ من الأفضلِ إرسالُ مجموعةٍ أصغرَ بكثيرٍ -ممَّا أرسلَ المجاهدون- لتنفيذِ مثل هذهِ المهمَّة، مثل فريقٍ مؤلفٍ من 15 رجلاً فقط. إلا أنَّ المجاهدين الأفغان كانوا يفضّلُون التَّحرُّكَ بأعدادٍ كبيرةٍ، فهذا سيسمحُ لهم بنقلِ الأحمالِ الثَّقيلة، وتوفيرِ اليدِ العاملةِ للأعمالِ الميدانيَّة كبناءِ التَّحصينات، ونقلِ الجرحى والقتلى ومرافقتِهم. كذلك كانَ معظمُ المجاهدين يشعرونَ بالمزيدِ منَ الرَّاحةِ في العملِ مع أقربائِهم وأصدقائِهم المقرَّبين.

كان غيابُ أجهزةِ الاتّصالِ داخلية التي يُعتمَدُ عليها بينَ فرقِ المجاهدين السببَ الأبرزَ لهذا الوضع الذي كانَ على وشكِ أن يتحوَّلَ إلى كارثةٍ. كذلكَ فشلُ فريقِ الاحتواءِ في مهمتهِ المتمثّلة في تثبيتِ دباباتِ الجيشِ الأفغاني، وانسحابِه على الفورِ لدى التفافِ الدَّبابات على موقعِه.

ساعدَ فريقُ الاحتواءِ فريقَ الاقتحامِ خلالَ تعرّضِه، بالرُّغم من أنَّه لم يُكلَّف بهذه المهمة. ولو أنَّهم عملُوا على زرعِ ألغامٍ مضادَّةٍ للدَّبَّاباتِ في مناطقِ عبورها -تحديداً في محيطِ جسرِ نهرِ كابول ومخاضاتِ النَّهر- لاستطاعُوا تأخيرَ الرَّتلِ والاشتباكَ معه على نحوٍ أكثرَ فعالية، ولَمنْعَ العدوُّ من القيامِ بحركةِ تطويقٍ كادَت أن تحاصرَ جميعَ المجاهدين.

على ما يبدو، فإنَّ ممَّا أنقذَ المجاهدين من تكبُّدِ خسائرَ هائلةٍ؛ هوَ إهمالُ الجيش الأفغاني رسمَ خطَّةِ طوارئٍ ومراجعتَها في حالِ تعرِّضِهم لإغارة. وبالإضافةِ إلى ذلك، فقد أنقذَهم أيضاً الحظُّ! فلو أنَّ ردَّ فعلِ الجيشِ الأفغاني كان أكثرَ فعاليَّةً، لاستطاعَ إهلاكَ حشدِ المجاهدين الكبيرِ بسهولةٍ، لاسيما وأنَّهم كانُوا في قلبِ مناطقِ سيطرةِ الجيشينِ الأفغانيّ والسُّوفييتي. ونتيجةً لاعتماد الجيشِ على الدَّباباتِ بصورةٍ مُبالغة، فقد فَشِلَ في نشرِ المُشاة مع الدَّبابات. إنَّ المشاةَ أكثرُ فعاليَّةً في الظَّلامِ ضدَّ العصابات، وتوِّفرُ حمايةً للدَّبابات ضدَّ رُماة مُضادَّاتِ الدبابات. في الوقتِ نفسِه، فَشِلَ المجاهدون في الاستفادةِ من ضعفِ رتلِ الدَّبَّابات، واستخدامِ أسلحةِ الآر بي جي على مسافاتٍ قريبةٍ ضدَّ الدَّبابات غيرِ المحميَّةِ بالمُشاة.

لقد كانَ للمجاهدين فرصةٌ في تدميرِ عددٍ كبيرٍ من الدَّبابات بدلَ تدميرِ دبابةٍ واحدةٍ فقط. فقدْ أوهنَ تطويقُ العدوِّ لهم من عزيمتِهم في القِتال، بعد تدميرِهم لمحطَّة البثّْ. مع ذلك، فقد كانَ لقيادةِ الرَّائد شير آقا الحكيمةِ الدَّورُ الأكبرُ في السَّيطرة على الوضعِ التَّكتيكِيِّ الخطير، والنَّجاح في سحبِ رجالِه إلى برِّ الأمانِ عبرَ رتلِ الدَّبَّابات.

المقالة السادسة: إغارة من "تشيلتان" على مراكز أمنيةٍ في ضواحي كابول

رواية القائد أصيل خان[66]

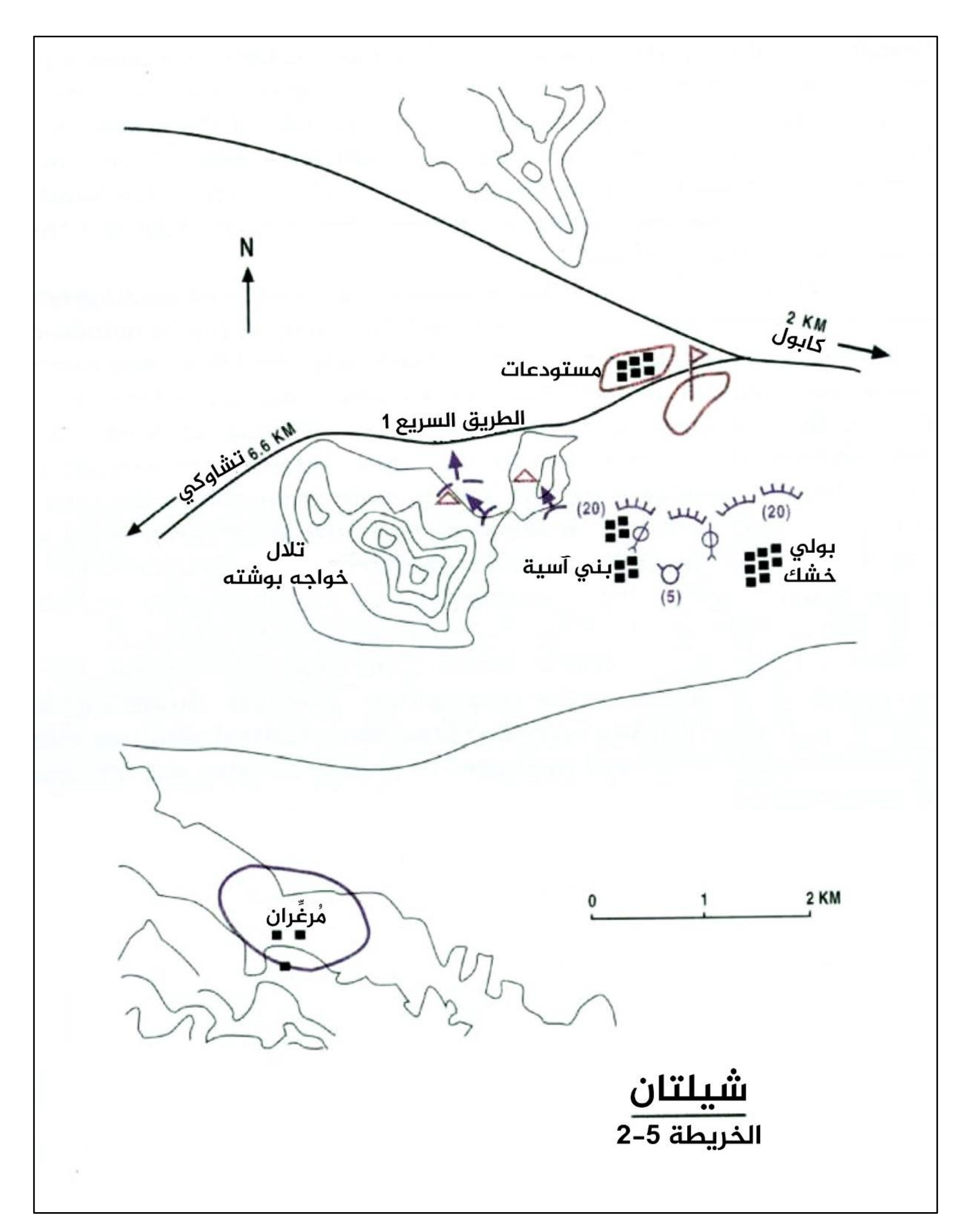
كانت كابول محاطةً بثلاثِ أحزمةٍ أمنيَّةٍ، يحتوي كلُّ واحدٍ منها على العديدِ من المراكزِ الأمنيَّةِ التي كانت تشغلُها القُوَّاتُ السُّوفييتيَّةُ والأفغانية. وكانت كتيبةٌ من الفرقةِ الثَّامنةِ للمشاة التَّابعةِ للجيش الأفغاني تتحصَّنُ في مقرِّ بناء الطَّريقِ السَّريع القديم، والذي كان يُعرَف محلِّيّاً باسمِ الشَّركة، ويقعُ في الضَّواحي الغربيَّة لكابول. وقد كانت هذه الكتيبةُ تحرسُ عدداً من مستودعاتِ الإمدادِ التَّابعةِ للجيشِ التي كانت تقعُ على الجهةِ المقابلةِ من الطَّريقِ السَّريع غرباً. وقد بنَت الكتيبةُ عدداً من المراكزِ الأمنيَّة على تلالِ خواجه بوشته جنوباً، كما حَصَّنَت جميعَ منشآتِها بحقولِ الألغام، ما عدا المراكز التي كانت تعلو التَّلة. وهذا ما جعلَ الهجومَ عليها جميعِها أثناءَ اللَّيل أمراً في غايةِ الصُّعوبة.

قدْتُ قوةً مشتركةً يبلغُ تعدادُها 200 مجاهداً، مؤلفةً من عدَّةِ وَحَدات مقاومةٍ محلِّيَّةٍ تنتمي للجبهةِ الإسلاميَّةِ الوطنيَّةِ الأفغانيَّةِ والحزبِ الإسلامي بقيادةِ مولوي يونس خالص والاتِّحادِ الإسلامي، وذلك للقيامِ بعملٍ عسكريٍّ وفقاً لخطَّةٍ اتَّفقْنا عليها. حيثُ كانَ من المُخَطَّطْ أن ننطلقَ من قواعدِنا حولَ تشيلتان لنجتمعَ في منطقةِ الهدفِ ليلاً، ثمَّ تهجمُ مجموعاتُ الاقتحام على مراكزِ تلَّةِ خواجه بوشته، بينما تقصفُ بقيَّةُ المجموعاتِ معسكرَ الكتيبةِ الرَّئيسيَّ والمستودعاتِ على نحوٍ مستمر. (الخريطة 2-5- تشيلتان).

---

[66] كان أصيل قيادياً في الجبهة الإسلامية الوطنية الأفغانية، وقائد عصاباتٍ بارز في منطقة كابول.

[Map sheets 2885 and 2886]



في وقتٍ متأخرٍ من بعد ظهر يوم 1 يونيو/حزيران 1985م، قُدتُ أنا مجاهدي الجبهةِ الإسلاميَّةِ الوطنيَّةِ الأفغانيَّة، وانطلقْنَا من قاعدتِنا في مرغّران. ووصلْنا قربَ الهدفِ في السَّاعةِ 20:00، فقمْنَا بنشرِ قوَّاتِنا وفقاً لخطَّة المعركة. أنشأتُ موقعين لإغلاقِ الطُّرُق المؤدّيةِ إلى بني آسية وبولي خشك، ونشرْتُ في كلٍّ منهما 20 مجاهداً، بينما نصبْتُ في بني آسية مدفعَ هاونٍ من عيار 82 ملم مع طاقمِه

المؤلَّفِ من خمسةِ رجال، ومدفعين عَديمي الارتدادِ من عيار 82 ملم مع طاقمٍ مؤلَّفٍ من خمسةِ رجالٍ لكلٍّ منهما، وكانَ ذلك لقصفِ كتيبةِ العدو.

بدأت الإغارةُ حوالي السَّاعة 21:00، واستمرَّت حتى السَّاعة 23:00. واستطاعَت أسلحتُنا الثَّقيلةُ تثبيتَ قوَّاتِ العدوِّ في الكتيبةِ والمُستودعات. واكتفى العدوُّ بالرَّدِّ بنيرانِ المدفعية، ولم يرسلْ أيَّ مشاةٍ أو دباباتٍ للقيامِ بهجومٍ مضاد، كما لم تردَّ المروحيَّاتُ طوالَ فترةِ الإغارة. فأبقى غيابُ الرَّدِّ هذا زمامَ المبادرةِ التَّكتيكيَّة في أيدينا. واستطاعَت مجموعاتُ الاقتحامِ اكتساحَ مراكزِ العدوِّ على تلَّةِ خواجه بوشته بسهولةٍ، فاغتنمْتُ أسلحتَهُ وأجهزةَ اتصالٍ لاسلكي (راديو)، بينما هربَ معظمُ الجنودِ الأفغان. وفي مركزٍ واحدٍ قتلْنا جنديَّينِ من الأعداء وجرحْنا ثالث، ولم نتكبَّد أيَّةَ خسائرَ في الأرواح. ثم انسحبْنا قبلَ منتصفِ اللَّيل، وتفرَّقْنا وقفلْنا عائدين إلى قواعِدنا.

التَّعليق:

طوالَ الحرب، لم تسعَ القُوَّات السُّوفييتيَّة والأفغانيَّة إلى الردِّ بعنفٍ وشراسةٍ على هجماتِ المُجاهدين اللَّيلية. وما لم يكونوا قد وضعُوا خطَّةً مُسبقةً لهجومٍ مضادٍ قد تدرَّبوا عليها من قبل، كان من النَّادرِ أن يخرجَ السُّوفييت من مواقعِهم المحصَّنة ذاتِ الأمان النِّسبي للتَّعاملِ مع الهجماتِ اللَّيلية التي يشنُّها المجاهدون. وهذا ما شجَّعَ المجاهدين على الاستمرارِ في مضايقةِ أعدائِهم ليلاً، والهجومِ على أضعفِ نقاطٍ في دفاعاتِهم. وقد اعتادَ المجاهدون الهجومَ بكلِّ جُرأةٍ على مناطقَ مجاورةٍ لقوَّاتٍ كبيرةٍ. وهذه المراكزُ الأمنيَّةُ التي ذُكِرْت في المقالة كانت واقعةً خارجَ مدى إسنادِ المراكزِ الأخرى، فكانَ رفضُ الجيشِ الأفغاني الردَّ على الهجومِ -في الواقعِ- تسليماً لهذهِ المراكز للمجاهدين.

بالرُّغمِ من ذلك، لم يتمكَّنِ المجاهدونَ من تحقيقِ الاستغلالِ الكاملِ لامتناعِ عدوِّهم عن الرَّدِّ ليلاً، لكسبِ انتصاراتٍ تكتيكيَّةٍ حاسمة. وذلك لأنَّهم لم يستطيعُوا اختراقَ حقولِ الألغامِ الكثيفةِ المُحيطة بالمواقعِ السُّوفييتيَّة والأفغانيَّة. ومالم تشعرِ القُوَّاتُ السُّوفييتيَّةُ والأفغانيَّةُ بالتهديدِ الجاد من هجومٍ ليليٍّ معزولٍ للمجاهدين، فقد فضَّلوا الاكتفاءَ بالرَّدِّ بالمدفعية على المخاطرةِ بالوقوعِ في كمائنَ ليليَّةٍ. وفي الوقتِ الذي كانُوا يقرِّرُونَ الرَّدَّ فيه، كان ردُّهُم يأتي على شكلِ عمليَّاتِ تطويقٍ وتفتيشٍ كبيرةٍ تمَّ التَّخطيطُ لها بعنايةٍ، تتمُّ في مناطقِ سيطرةِ المجاهدين.

المقالة السابعة: إغارة على مراكز "ماهيبار "

رواية القائد "وزير غول"[67]

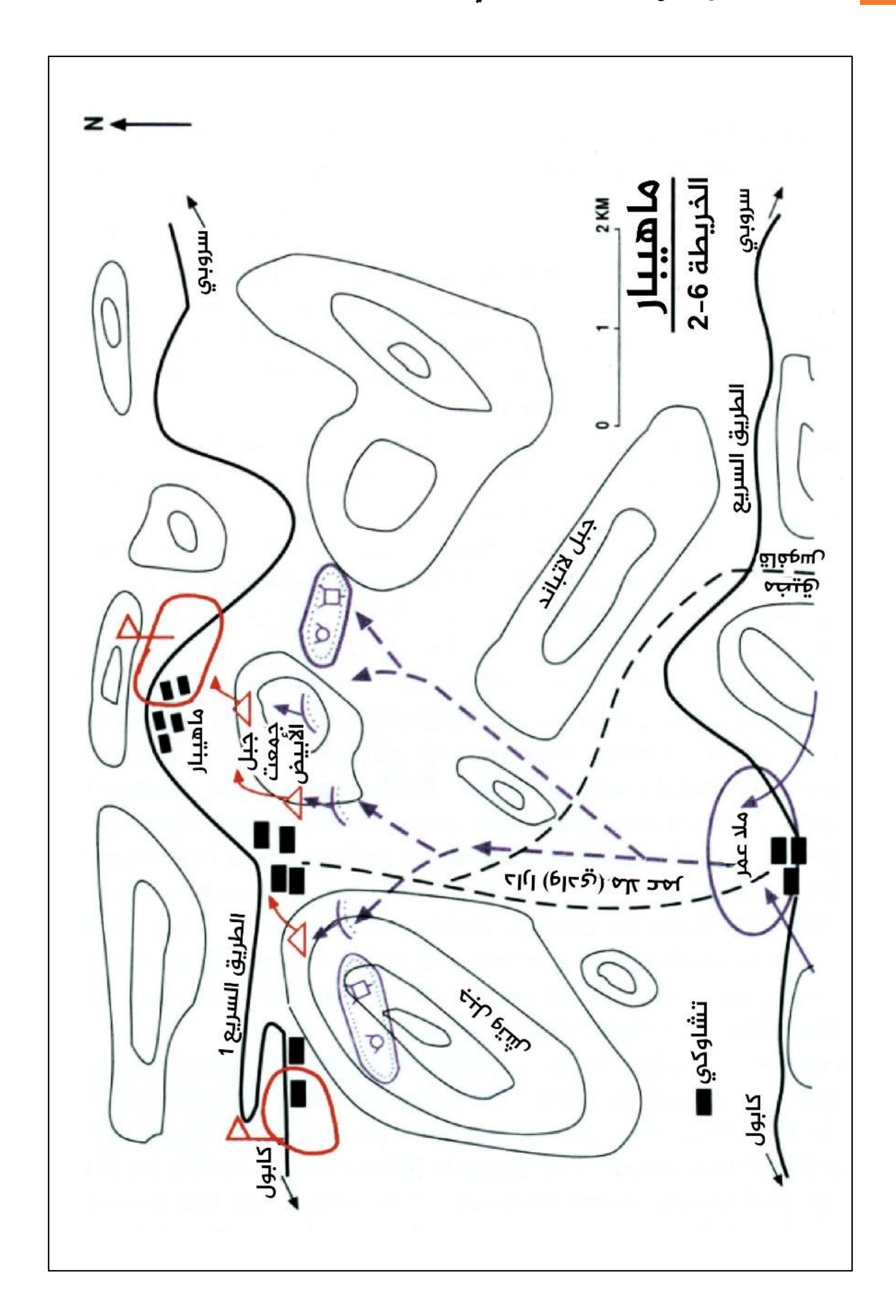
في يوليو/تموز عام 1984م، اجتمعَت ثلاثُ مجموعاتٍ من المجاهدين للإغارةِ على المراكزِ الأمنيَّةِ الواقعةِ على طريقِ كابول-جلال آباد. (خريطة 2-6 ماهيبار) يمرُّ الطَّريقُ السَّريع 1 (الطريقُ الدَّائري) في "ماهيبار" عبر مضيقٍ عميقٍ، ويجري النَّهرُ إلى الشَّمالِ منه مباشرةً، وترتفعُ إلى الجنوبِ منه سلسلةٌ من المرتفعاتِ شديدةِ الانحدار. يوجدُ طريقٌ آخرُ للدُّخولِ على ماهيبار غيرَ الطَّريقِ السَّريع، وهو وادي ملا عمر الجبليّ الذي كانَ يربطُ بينَ قرية ملا عمر والطَّريقِ السَّريع 1. وفي ذلك الوقت، كانت ميليشياتٌ رديفةٌ للجيشِ الأفغانيّ متواجدةً في المنطقة، وكان قائدُها حسن خان كاروخيل متعاوناً في السِّرِ معَ المجاهدين، حيثُ كانَ يُيَسِّرُ لهم تحرُّكاتِهم وقتالَهم للقُوَّاتِ السُّوفييتيَّةِ والأفغانيَّةِ في المنطقة.

بعدَ مَسيرِ يومين، انطلاقاً من قاعدتنا في مضيقِ تيزين، وصلَت مَجْمُوعتي لقرية ملا عمر في المساء. وانضمَّ إلينا قائدانِ من الجبهةِ الإسلاميَّةِ الوطنيَّةِ الأفغانيَّة، وهما النقيبُ "أفغان" من مديرية "ده سبز" وسيد حسن خان من مديرية "خاكي جبار". وكان مجموعُنا 80 مجاهداً، مسلَّحين ببنادقِ كلاشنكوف وإنفيلد، وخمسِ راجمات بي أم – 1، وأربعةِ مدافعَ عديمةِ الارتداد، وأربعةِ مدافعَ هاون عيار 82 ملم، وَمِدفَعي دوشكا رشَّاش، و13 قاذفة آر بي جي–7.

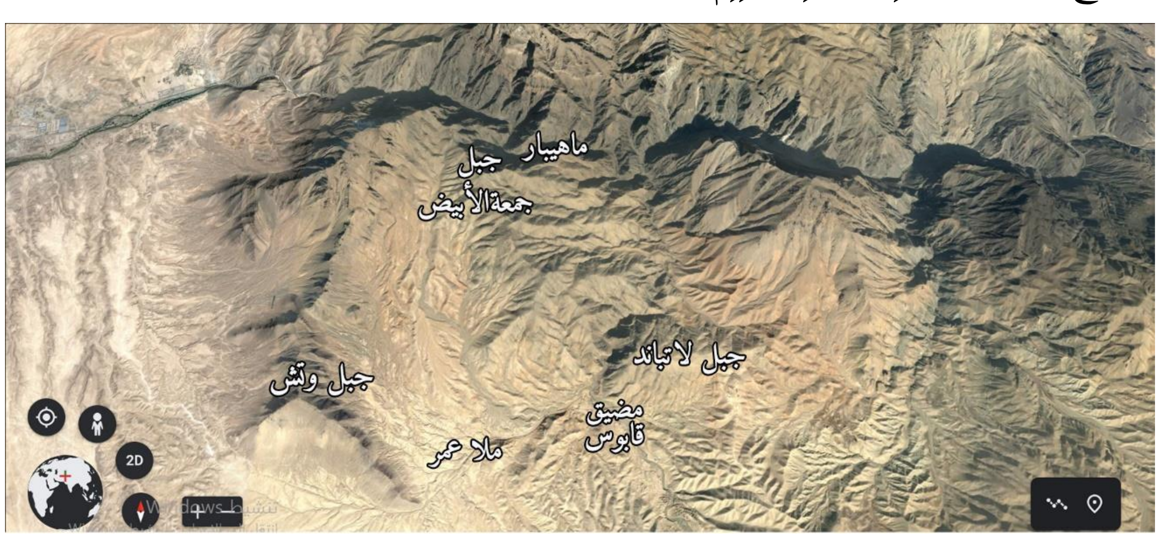
---

[67] ينتمي القائدُ وزير غول إلى الجمعيَّةِ الإسلاميَّةِ الأفغانيَّة بقيادةِ برهان الدِّين رباني. وكانت قاعدتُه في تيزين جنوب غرب سروبي. وقاتلَ في مناطق سروبي ولاتباند ماهيبار.

[Map sheet 2986, vie grid 4723]


ماهيبار
الخريطة 2-6
N
0
1
2 KM
سروبي
سروبي
جبل لاتاباند
الطريق السريع
ماهيبار
جبل جمعت الأبيض
ملا عمر
الطريق السريع 1
تشاوكي
كابول
كابول

وَضَعنا خطةً لعملٍ مشتركٍ في ملا عمر، وتحرَّكنا في صباح اليومِ التَّالي نحوَ ماهيبار عبرَ جبلِ لا تباند، وقمْنا بحملِ أسلحتِنا الثَّقيلةِ على البِغال. وكنَّا قد قسمْنا قوتَنا المشتركة إلى ثلاثِ مَجموعات رئيسيَّةٍ؛ اثنتانِ للإسنادٍ ناري، ومجموعةٍ واحدةٍ للاقتحام. وتضمَّنَت كلَّ مجموعةِ إسنادٍ ناريٍ على مدافع هاون 82 ملم وراجماتِ صواريخ بي أم – 1. وكانت مهمةُ هاتين المَجموعتين تتَمثَّلُ في الهجومِ على قاعدةٍ أفغانيَّةٍ في المَيسرةِ، والهجومِ على قاعدةٍ سوفييتيَّةٍ في الميمنة وتثبيتِهما. بينما قُسِّمت مجموعةُ الاقتحام إلى ثلاثِ فرقٍ. وتمَّ تحديدُ مراكزَ أمنيةٍ كأهدافٍ لكلِّ فريق، وكانَ لكلِّ واحدٍ منهم قاذفاتُ آر بي جي ومدافعُ عديمةُ الارتدادِ لإسنادِ هجومِهم.



بدأنَا الهجومَ السَّاعة 16:00، وذلك كي لا يُتَاحُ لطيرانِ العدوّ زمنٌ طويلٌ في ضوءِ النَّهار، وقد علمْنا مُسبقَاً أنَّ العدوَّ سيحتاجُ لعدَّةِ ساعاتٍ حتَّى يقومَ بالرَّدِّ الجوي. قصفَت أسلحتُنا الثَّقيلةُ القواعدَ الواقعةَ على الجنبات لعزلِ منطقةِ الهجوم. وبدأَتْ فرقُ الاقتحامِ بإطلاقِ النّيرانِ على المراكزِ الأمنيَّةِ تزامناً مع التَّقدُّمِ البطيءِ إلى الأمام. إلا أنَّ ألغامَ العدوِّ قد عرقلَت هذا الاقتحام، ممَّا أدَّى إلى إطالةِ الهجومِ لعدَّةِ ساعاتٍ حتَّى تمكَّن المجاهدونَ من السَّيطرةِ على المراكزِ بعدَ اشتباكاتٍ عنيفةٍ. وَبِحُلولِ السَّاعة 21:00، لم يبقَ من عساكرِ المراكزِ الأمنيَّةِ أحدٌ إلا أصبحَ بينَ قتيلٍ أو هارب، واستطعْنا أسرَ طاقمِ إحدى الدَّبابات.

لم تستطع المراكزُ الأمنيَّةُ والقواعدُ السُّوفييتيَّةُ أسفلَ الطَّريقِ إنجادَ المراكزِ الأمنيَّةِ الأفغانيَّةِ المُخرَّبة. ولكن معَ انسحابِنا، بدأت القواعدُ السُّوفييتيَّةُ بإطلاقِ النّيرانِ الكثيفةِ على مجموعاتِ المجاهدين

المُنسحِبة. ولحسنِ الحظّ كان تأثيرُ هذهِ النّيرانِ على المجاهدين لا يُذكَرُ بسببِ الظلام. كانت حصيلة العملِ تدميرَ دبابتين، وقتلَ تسعةِ جنودٍ، واغتنامَ ثلاثةِ رشّاشاتِ دوشكا، وستَّ بنادق AK-47، وكمِّيَّاتٍ كبيرةٍ من الذَّخائر. كما أُصيبَ مجاهدان في المعركة، وأمضينا اللَّيلَ في قريةِ ملا عمر، ثمَّ عدْنا إلى قواعدِنا في اليوم التَّالي.

التَّعليق:

كانت تضاريسُ المنطقةِ في غايةِ الوعورةِ والضِّيق، وكانت جميعُ المراكزِ والقواعدِ السُّوفييتيَّةِ والأفغانيَّةِ داخلَ الوادي الضَّيِّق (الطَّريق الضيق). وهو ما جعلَ الجيشين السُّوفييتيَّ والأفغانيَّ يعتمدُ على التَّضاريسِ الوعرةِ لمنع تسلُّلِ المجاهدين، بالإضافةِ إلى أنَّهم ركنُوا للتَّحصيناتِ الميدانيَّةِ والملاجئ القتاليَّةِ التي ظنُّوا أنَّها ستحميهم، ممَّا أعطى زمامَ المُبادرةِ للمجاهدين. كانت هناك مجموعةٌ من ثلاثةِ مراكزَ أمنيَّةٍ مُمتدَّةٌ على الطَّريق: كانت اثنتانِ منها تقعُ في المرتفعاتِ على جانبي المَضيق، بينما يقعُ الآخرُ على الطَّريقِ. وكانت هذه المراكزُ مكلَّفةً بحمايةِ الجسورِ والمُنشآتِ الكهرومائيَّة والسُّدودِ وإغلاقِ الأوديةِ الجانبيَّة. إلا أنَّ المراكزَ التي كانت على المرتفعاتُ لم تكنْ من العلوِّ بما يكفي لتقييدِ حرِّيَّةِ عملِ المجاهدين. كما كانت هناكَ القليلُ من نقاطِ المُراقبة على القممِ العالية، إلا أنَّها لم تكنْ فعَّالةً خاصةً باللَّيل. وكانت معظمُ المراكزِ الأمنيَّةِ على الأراضي المُرتفعة يشغلُها عناصرُ الجيشِ الأفغانيِّ أو الميليشيات التي تفتقدُ إلى التَّدريب، وكانُوا في الواقع محبوسين داخلَ جيوبٍ محاطةٍ بالألغام. بينما كانَ المجاهدونَ يستطيعونَ تجاوزَهم والالتفافَ عليهم بسهولةٍ، لاسيما في اللَّيل. وكان الجيشانِ السُّوفييتيُّ والأفغانيُّ قد لغَّمُوا المقتربات نحوَ المضيق، إلا أنَّ طبيعةَ الأرضِ الانحداريَّةِ الشَّديدة كانت تتسبَّبُ بانزلاقِ الألغامِ لدى سقوطِ الأمطار. وكانَ المجاهدونَ في الغالبِ يستخدمونَ مثلَ هذهِ الطُّرُقَ لدى نزولِهم إلى الطَّريقِ السَّريع.

من النَّاحية الأخرى، رأى المجاهدون بأنَّ هذا الوضعَ يمثِّلُ فرصةً مثاليَّةً للتَّنكيلِ بأعدائِهم واغتنامِ بعضِ الأسلحةِ والذَّخائر. وأوجدُوا نمطاً ثابتاً خلال الهجومِ على المراكزِ المُمتدَّةِ على الطَّريق. فقد كانُوا يؤجِّلونَ الهجومَ إلى فترةٍ متأخِّرة من بعدِ الظُّهر، للتَّقليلِ من فعاليَّةِ الضَّرباتِ الجويَّةِ والمدفعيَّة.

وكانوا يرمُون بالصَّواريخ والهاون على القواعدِ الرَّئيسيَّة على أجنابِ منطقةِ الهدفِ لعزلِها وتشتيتِها، حتى لا تتدخَّلَ في الهجومِ الرَّئيسي، ثمَّ ينفِّذون الهجومَ ضدَّ المراكزِ الأمنيةِ التي يشغلُ معظمَها مجنَّدونَ أفغان سيِّئو التَّدريب وواهِنو العزيمةِ ويفتقدونَ الجلادةَ على القتال. فقد كانَ بمجرَّدِ اختراقِ المجاهدين لحقولِ الألغامِ المُحيطةِ بالمراكز، كانُوا ينتزعونَ كلَّ ما يستطيعونَ حملَه من المراكز، ومن ثمَّ يتلاشونَ في ظلامِ اللَّيل. ويعرضُ المجاهدونَ عادةً على الأسرى الأفغان فرصةَ تقديمِ خدمات عملٍ للمجاهدين، أو يطلقونَ سراحهم مَنّاً. فقد كانَ المجاهدون يَشعرونَ بأنَّ الجنودَ الأفغان مُجبرونَ على القتال. بينما الضُّباطُ يبقونَ في الأسرِ حتَّى يتمَّ عرضُهم على محكمةٍ ميدانيةٍ. وأخيرًا، فقد أَمِن المجاهدون تماماً من قيامِ أعدائِهم الأفغان والسُّوفييت باندفاعاتٍ دفاعيةٍ من قواعدِهم أثناءَ اللَّيل، حيثُ كانُوا يكتفونَ بقصفِ المنطقةِ فقط.

المقالة الثامنة: إغارة على مراكز "لاتباند" الأمنية

رواية القائد "وزير غول"[68]

هناكَ طريقانِ سريعانِ بين كابول وسروبي. غيرَ أنَّ الطَّريقَ الشَّماليَّ منهما هوَ الأحدث، وهو جزءٌ من الطَّريقِ الدَّائريّ السَّريع (1) الذي يمرُّ عبرَ أفغانستان كلّها، بينما يمرُّ الطَّريقُ الأقدمُ بموازاةِ الأوَّل، على بُعدِ أربعةِ كيلومترات من جنوبِه. وكانت توجدُ بالقربِ منهما مجموعةٌ من القواعدِ والمراكزِ الأمنيَّة السُّوفييتيَّة والأفغانيَّة لحمايةِ الطَّريقين. وفي سبتمبر 1985م، اجتمعَت عدَّةُ مجموعاتٍ للمجاهدين لتنفيذِ إغارةٍ على المراكزِ الأمنيَّة السُّوفييتيَّة والأفغانيَّة في مَمَرِّ "لاتباند" شرقَ كابول. (خريطة 2-7- لاتباند). وتقعُ لاتباند على الطَّريقِ السَّريع القديم بين كابول وسروبي. وكانَ مَمَرُّ لاتباند محميَّاً بقاعدةٍ سُوفييتيَّةٍ في قريَّةِ ملا عمر غربَ المَمَرِ وقاعدةِ ساراندوي الأفغانيَّةِ في لاتباند شرقَ المَمَر. كما كانت المنطقةُ بين القاعدتين مَحميةً من قبلِ بعضِ المراكزِ الأمنيةِ التي كانت تشغلُها مفارزُ عسكريَّةٌ أفغانية.

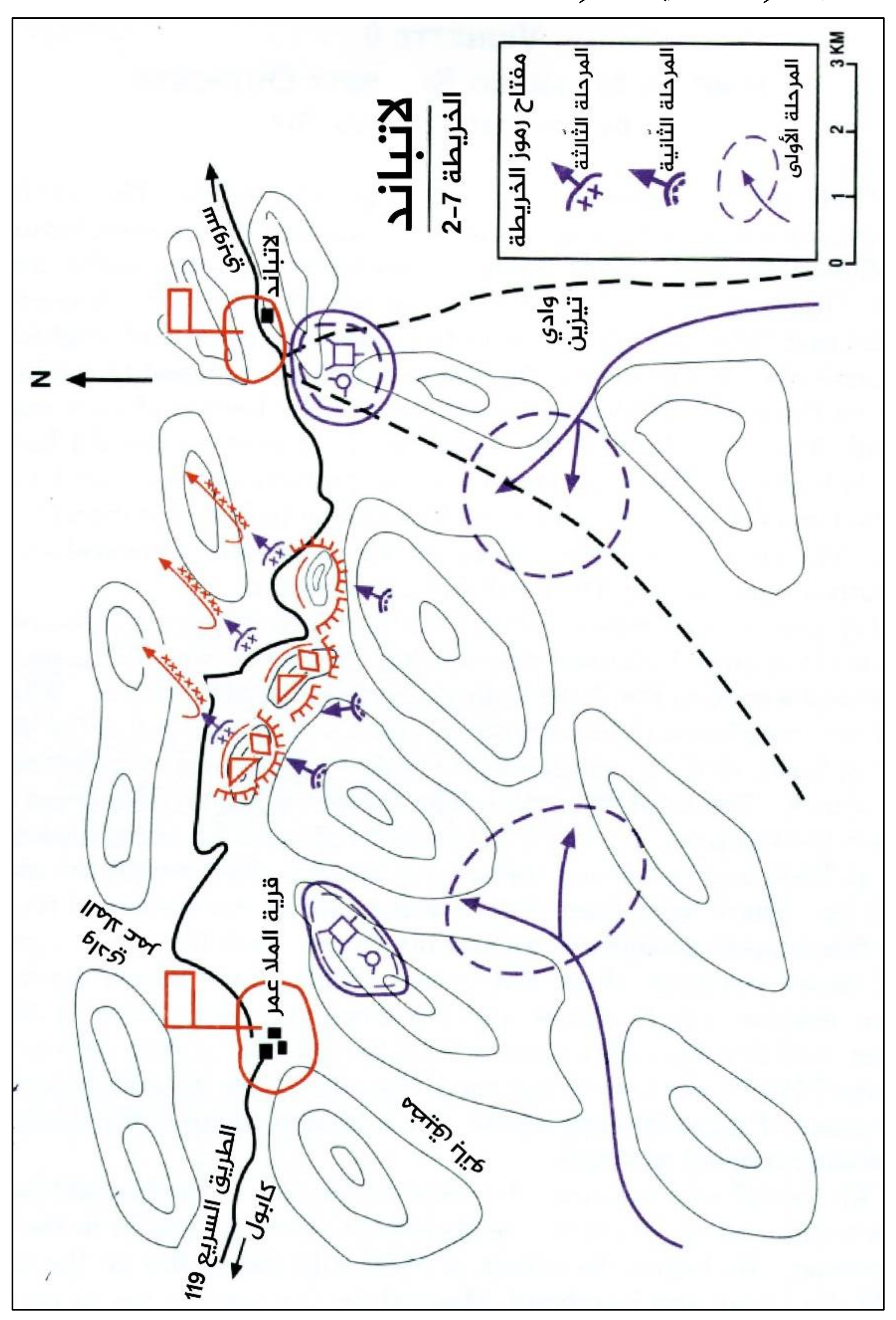
كانت تقعُ قاعدةُ مجموعتي في "زانده كالاي" على بعدِ حوالي 25 كيلومتراً جنوبَ المَمَر. وقد وُضِعَت خطَّةُ الهجومِ في القاعدة، وغادرْنا في السَّاعة15:00، وتحرَّكنا نحوَ وادي تيزين، حيثُ أمضينا اللَّيلَ هناك، وأرفقْنا مَعَنا ذخائِرَنا ومؤنَنَا على البغال. وبمجرَّدِ وصولنا للوادي، التقيتُ مع قادةِ المجموعاتِ الأخرى لتنسيقِ الهجوم. وقد بلغَ تعدادُ مجموعِ قوَّاتِ المجموعات 150 مقاتلاً.

وسريعاً، تركْنا ما لم نكن نحتاجه في القتالِ في تيزين، وانطلقْنا نحوَ أهدافِنا، وأحضرْنا معنا البِغال. قُسّمت القوَّةُ القتاليَّةُ إلى ثلاثِ مجاميع؛ اثنينِ للإسناد وواحدةٍ للاقتحام. لكلِّ مجموعةِ إسنادٍ أسلحةٌ ثقيلةٌ على النَّحو التَّالي: (ثلاثُ راجمات بي أم – 1، وأربعةُ مدافع رشاشةٍ دوشكا، وثلاثةُ مدافع

[68] ينتمي القائدُ وزير غول إلى الجمعيَّةِ الإسلاميَّةِ في أفغانستان بقيادة برهان الدِّين رباني. وكانت قاعدةُ في تيزين جنوب غرب سروبي. وقاتلَ في مناطق سروبي ولاتباند ماهيبار.

[Map sheets 2985 and 2986vic grid 5618]

هاون عِيار 82 ملم). وقد كلّفتُهما بمهمَّةِ الهُجومِ على قاعدةِ السُّوفييت في الملا عمر، وقاعدةِ ساراندوي في لاتباند وتثبيتِهما. وبالنِّسبَة لمجموعةِ الاقتحام، فقد كان بحوزتِها 12 قاذف آر بي جي – 7، وأربعةُ مدافعَ عديمةِ الارتداد عيار 82 ملم. كما قُمْتُ بتقسيمِها إلى ثلاثةِ فرقٍ مؤلَّفةٍ من 20 مقاتلاً، لكلِّ فريقٍ مركزٌ أمنيٌّ كهدفٍ للهجوم.



تحرَّكْنا إلى موقعِنا، وكالمعتاد، قرَّرنا تأخيرَ الهجومِ إلى وقتٍ مُتأخرٍ من بعدِ الظُّهر، لغرضِ تقليلِ زمنَ الضَّوءِ المُتاحِ لطيرانِ العدو. ثمَّ بدأْنا بإطلاقِ النِّيرانِ بكثافةٍ على قاعدتي الملا عمر ولاتباند. وفي الوقت نفسِهِ بدأَت فرقُ الاقتحامِ بإطلاقِ النِّيرانِ على النِّقاطِ التي تحتَها انطلاقاً من مواقعِها التي كانت تحتلُّها على الأراضي المرتفعةِ جنوبَ ممرِّ لاتباند، فأثارَ قصفُنا ارتباكَهم، بينما كانت فرقُ الاقتحامِ الثَّلاثةِ تتقدَّمُ نحوَ مراكزِهم وتقومُ بتنفيذِ عمليَّةِ الهُجوم.

استمرَّت المعركةُ إلى المساءِ واستولت فرقُ الاقتحامِ على مراكزِ العدو، وبمجرَّدِ اقترابِ المجاهدين من المراكز، كان معظمُ جنودِ العدوِّ يَهربون تاركين وراءَهم كميَّاتٍ هائلةً من الذَّخائرِ والمعدَّات، فقمْنا بحملِ هذه الغنائمَ على البغالِ وأخذْناها بعيداً. وقامَ العدوُّ بالردِّ علينا بإمطارِ المراكزِ والمناطقِ المحيطة بها بنيرانِ المِدفعيَّة والجويَّة، فتسبَّبت إحدى قذائفُ المدفعيَّة بقتلِ اثنينِ من بِغَالِنا، فاضطُررنا إلى الانسحابِ في السَّاعةِ 21:00. وتكبَّدْنا خسائرَ في الأفرادِ، حيثُ قُتِل من مجموعتي مجاهدٌ وأُصيب ستةٌ آخرون، فيما أَسرْنا جنديين أفغانيين واغتنمْنا كميَّاتٍ كبيرةٍ من الذَّخائرِ والمُؤن.

التَّعليق:

كانت المراكزُ الأمنيَّةُ المعزولةُ الممتدَّةُ على الطَّريقِ السَّريعِ في غايةِ الضَّعفِ أمامَ هجماتِ المجاهدين انطلاقاً من الأراضي المُرتفعةِ المُحيطةِ بها. وقد قَصَّرَت القُوَّاتُ السُّوفييتيَّة والأفغانيَّة في جَمعِ المعلوماتِ الاستخباراتيَّة وتنفيذِ عمليَّاتِ المُراقبة في المناطقِ المحيطةِ بها مُباشرةً. وفوقَ ذلكَ كله، لقد افتقدُوا إلى خططِ طوارئٍ يعزِّزُون بها المراكزَ الأمنيَّةَ أو يردُّونَ بها على هجماتِ المجاهدين بسرعةٍ، وإن كانت هناكَ خططٌ فقد نفَّذُوها على نحوٍ سيء. وقد بَدَا أنَّ القُوَّاتِ في هذه القواعدِ تمسَّكُ على نحوٍ مُبالَغٍ فيه بعقليَّةِ التَّقوقعُ في المَلجأ، وبالجلوسِ على نحوٍ سلبيٍّ تحتَ قصفِ المجاهدين وهجومِهم على مراكزِهم الأمنية. كذلك امتنعَت تلكَ القُوَّاتُ عن التَّحَرُّكِ والقتالِ ليلاً بالتَّحديد، فاستغلَّ المجاهدون هذا الأمر. ويبدو أيضاً بأنَّ الإسنادَ الجويَّ كانَ لا يأتي إلا مُتأخِّراً، وحتَّى معَ قدومِه فإنَّ رماياتِه لم تكنْ دقيقةً في الليل.

في هذا المثال، اكتفَتِ القُوَّاتُ السُّوفييتيَّةُ والأفغانيَّةُ بتنفيذِ ضرباتٍ جويَّةٍ، والمدفعيَّةُ للرَّدِّ على هجومِ المجاهدين، غيرَ أنَّهم لم ينفِّذُوا هذه الضَّرباتِ إلا بعد استيلاءِ المجاهدين على المراكزِ الأمنيَّةِ وشروعِهم في الانسحاب، كما أنَّ الرَّدَّ لم يتخلَّلْهُ أيَّةُ قوَّاتٍ بريَّةٍ تقومُ بتنفيذِ عمليَّاتِ المُناورة. وتركَ السُّوفييت المراكزَ الأمنيَّةَ لقُوَّاتِ الجيشِ الأفغاني ليواجهوُا مصيرَهُم بمفردِهم على ما هم عليه من سوءِ التَّدريبِ وضعفِ المَعنويَّات، حيثُ كانُوا قد جنَّدُوهم رُغماً عنهم ولم يكنْ لهم رغبةٌ في قتالِ أبناءِ وطنِهم. ولذلك، كانَ هَمُّ الجنودِ الأفغان مصروفاً على النَّفاذِ بجلودِهم بدلَ الصُّمودِ دفاعاً عن مواقعِهِم، وكانُوا على أتمِّ استعدادٍ لتركِ ذخائرِهم ومؤنِهم في المركزِ للمجاهدين المُهاجمين. وعلى هذا الأساسِ كانَ المجاهدونَ يفضِّلُونَ الهجومَ على المراكزِ الأمنيَّةِ الأفغانيَّة.

إنَّ اعتمادَ المجاهدين على مثلِ هذا النَّوعِ من الإغاراتِ للحصولِ على الذَّخائرِ والسَّلاحِ كلَّفَهم الدِّماء والأرواح. صحيحٌ أنَّ القُوَّاتِ السُّوفييتيَّةَ والأفغانيَّةَ لم تقم بقصفِ المجاهدين طوالَ اللَّيل، إلا أنَّهم كانُوا يردُّون عليهم بالقصفِ المدفعيِّ والجويِّ ما استطاعُوا ذلك. ممَّا ضيَّقَ على المجاهدين الخياراتِ المُطروحةَ إلى خيارينِ لا ثالثَ لهما: إمَّا الإسراعُ في الدُّخولِ إلى المراكزِ وحملِ ما يستطيعونَ من الموادِ قبلَ بزوغِ الفجر، أو البقاءُ حتَّى تتوقَّفَ الرِّماياتُ عليهم، ثمَّ المغادرةُ بأقصرِ وقتٍ قبلَ الصَّباح. وكلا المسارينِ تضمَّنَ خَطراً مُحدقاً.

المقالة التاسعة: إغارةٌ على مراكز في مضيق وريشمين

رواية القائد "وزير غول"[69]



أثناءَ أكتوبر 1985م، تناوَبَت فصائلُ المجاهدين على إغلاقِ طريقِ كابول-جلال آباد السَّريع، في مضيقِ وريشمين بينَ جسري دابلي ودارغو (خريطة 2-8-وريشمين). وقد تمثَّلت مُهمتي في إغلاقِ هذا الطَّريقِ لمدَّة ثمانيةِ أيامٍ. وفي ذلكَ الوقت، كانَ لديَّ 70 مجاهداً مسلَّحين بخمسِ راجمات بي أم - 1، وراجمتي بي أم -12[70]، وأربعةِ مدافع عديمةِ الارتداد عيار 82 ملم، ومِدفعي 14.5 بسبطانةٍ واحدة مُثبَّتين على قاعدةٍ ثابتة، وثلاثةِ مدافعَ هاون عيار 82.

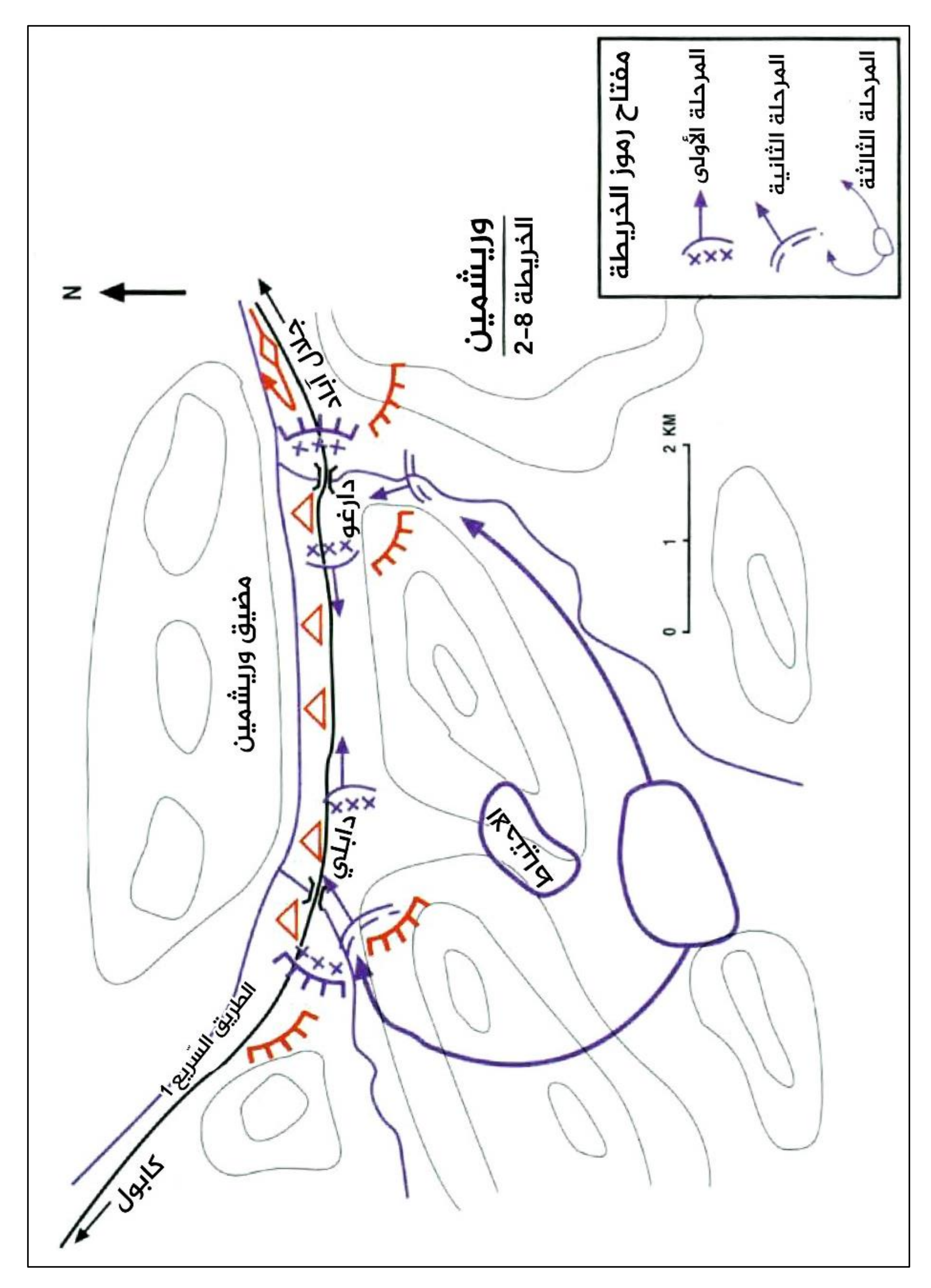


راجمة بي أم -12

[69] القائد وزير غول: كان ينتمي إلى الجمعيَّة الإسلاميَّةِ الأفغانيَّة التي يقودُها برهان الدِّين رباني. وكانت قواعدُه تتمركزُ في تيزين جنوبَ غربَ سروبي. وقاتلَ في مناطق سروبي ولاتباند وماهيبار.

[Map sheets 2985, 2986, vie grid 7617 to 8317]

[70] هي راجمةٌ سوفييتيَّةٌ قديمةٌ قامَت الصين بتصنيعِها وتحسينِها باسم Type 63، ومعظمُ ما هو بأيدي المجاهدين هو في الحقيقةِ من المنشأ الصيني. عند الرِّمايةِ كانت الرَّاجمة تُثبَّتُ على الأرض، ولها 12 سبطانة وترمي صواريخ عيار 107 ملم إلى مدى 8500 متر ووزنُها 611 كغ.



ولإغلاقِ هذا الطَّريقِ، كانَ عليَّ إزالةُ مراكزِ العدوِّ الأمنيَّةِ التي على امتدادِه. فتحرَّكتُ بقوَّاتي من ماناي الواقعةِ في مديريَّة "حصارك" إلى جبلِ تسبر، حيثُ عملتُ هناكَ على بلورةِ خطةٍ للمعركة.

وقرَّرْتُ شَنَّ الهجومِ الأوليّ نحو مجنباتِ المنطقةِ التي نريدُ أن نغلقَها بدلَ الهجومِ المُباشرِ عليها، وكانَ ذلك لسببين، وهما: قلّةُ الطُّرُقِ المُوصِلَةِ للمنطقة، وامتلاءُ المنطقةِ قربَ الطَّريقِ بالألغام، فكانت خطَّةُ الهجومِ على جسرِ دابلي غرباً، وجسرِ دارغو شرقاً. وكانَ الوصولُ إلى الجسرينِ أسهلَ نسبيّاً من الوصولِ إلى الجبالِ جنوبَ الطَّريق. وبعدَ تدميرِ الجسرين، خطَّطت لعزلِ المنطقةِ والاستمرارِ في الهجومِ نزولاً عبرَ الطَّريق السَّريع نفسِه نحوَ المراكزِ الأمنيَّة، حيثُ أنَّ الطَّريقَ السَّريعَ كانَ هو الشيءَ الوحيدَ غيرَ الملغَّمِ في المنطقة، فكانَ الخيارَ الأفضل.

قُمْتُ بتقسيمِ مفرزتي إلى مجموعتين، ووجَّهتُهم نحوَ دابلي ودارغو، واحتفظْت باحتياطيٍ في موقعٍ مركزيٍ في المؤخّرةِ بينَ المجموعتين المهاجمتين. واقتربَتِ المجموعَتان من الجسرين ليلاً. وفي اليومِ التَّالي، هَجَمَتَا على الجسرين بسرعةٍ وخفَّةٍ واستولتَا عليهما، ثمَّ قامتَا بتفخيخِ الجسرينِ وتفجيرِهما بسرعة، ممَّا عزلَ المنطقةَ تماماً. ثمَّ نزلتِ المجموعتان إلى الطَّريقِ تجنُّباً لحقولِ الألغامِ التي زرَعَها الجيشُ الأفغاني، وتوجَّهَتا من طرفي الجسرِ نحوَ الدَّاخل. وانتهى الأمرُ بالاستيلاء على 16-17 مركزاً أمنيَّاً سوفييتيَّاً وأفغانيَّاً ممتدَّاً على الطَّريق. ثمَّ التفَّ المجاهدون لاستغلالِ نجاحِهم وتعزيزِ دفاعاتِهم في المجنبتين الشَّرقيَّة والغربيَّة للمنطقةِ المُطوَّقة.

وفي الأيَّامِ الثَّمانية التَّالية، حاولَ الجيشان السُّوفييتي والأفغاني إعادةَ فتح الطَّريق، لكنَّ جميعَ المحاولاتِ باءَت بالفشل. وكانت ضرباتُ العدوّ الجويَّة والمدفعيَّة غيرَ فعالةٍ عموماً، بسببِ ضيقِ الوادي. وأرسلَ العدوُّ رتلاً من جلال آباد ليحاول فتحَ الطَّريقَ، إلا أنَّنا استطعْنا إيقافَه على تخومِ جسرِ دارغو، فاضطرَّ العدوُّ للانسحاب.

أَمضينا الأيَّامَ الثَّمانيةَ في سحبِ الغنائمِ من الذَّخائرِ والأسلحةِ والمُؤَنِ من قواعدِ العدوِّ ومراكزِه في الطَّريقِ إلى الجبال. واغتنمْنا 100 قطعةِ سلاحٍ، وكميَّاتٍ هائلةً من الذَّخائر. وفي نهايةِ اليومِ الثَّامن، سحبْتُ مفرزتي وعدْنا إلى قواعدِنا. كانت خسائرُنا مقتلَ ستَّةِ مجاهدين، وإصابةَ 18 آخرين، أيْ ما يعادلُ 30 % من قوَّتِنا. بينما كانت خسائرُ العدوِّ أكثرَ بكثير، وتضمَّنت مقتلَ وإصابة 50 جندياً، وأسر 24 آخرين.

التَّعليق:

لَعبتِ التَّضاريسُ دوراً كبيراً في تشكيلِ مجرى المعركة. فالقوَّاتُ السُّوفييتيَّةُ والأفغانيَّةُ لم تُحكمِ السَّيطرةَ إلا على الجزءِ من الطَّريقِ المار عبرَ المَمَرِّ الضَّيِّق، بينما سيطرَ المجاهدونَ على الجبالِ المُحيطةِ متى شاؤوا. فكانَ للمجاهدين حرِّيَّةُ اختيارِ الزَّمانِ والمكانِ للإغارةِ على عشراتِ المراكزِ الأمنيَّةِ المتناثرة على طولِ الطَّريقِ الخطيرِ المُمْتَدّ عبرَ الوادي الضَّيِّق في ماهيبار ووريشمين. وفي وريشمين، هجمَ المجاهدونَ كلُّهم على نحوٍ متوقَّعٍ على الجسرين الرَّئيسين دابلي ودارغو أولاً. ثمَّ بعد تدميرِهما، هجَمُوا على بقيَّةِ المراكزِ الأمنيَّةِ انطلاقاً من نهايتي المَمَرِّ الضَّيِّق. وأثبتَت هذهِ الطَّريقةُ بأنَّها الأنجعُ إذا أخذْنا بالاعتبارِ التَّضاريسَ وحقولَ الألغام وانتشارَ العدوِّ وقدراتِ المجاهدين.

المقالة العاشرة: إغارةٌ على مركز جسر ألينغار

روى أحداثه الدكتور عبد القدُّوس والقائد الحاج صدِّيق الله[71]

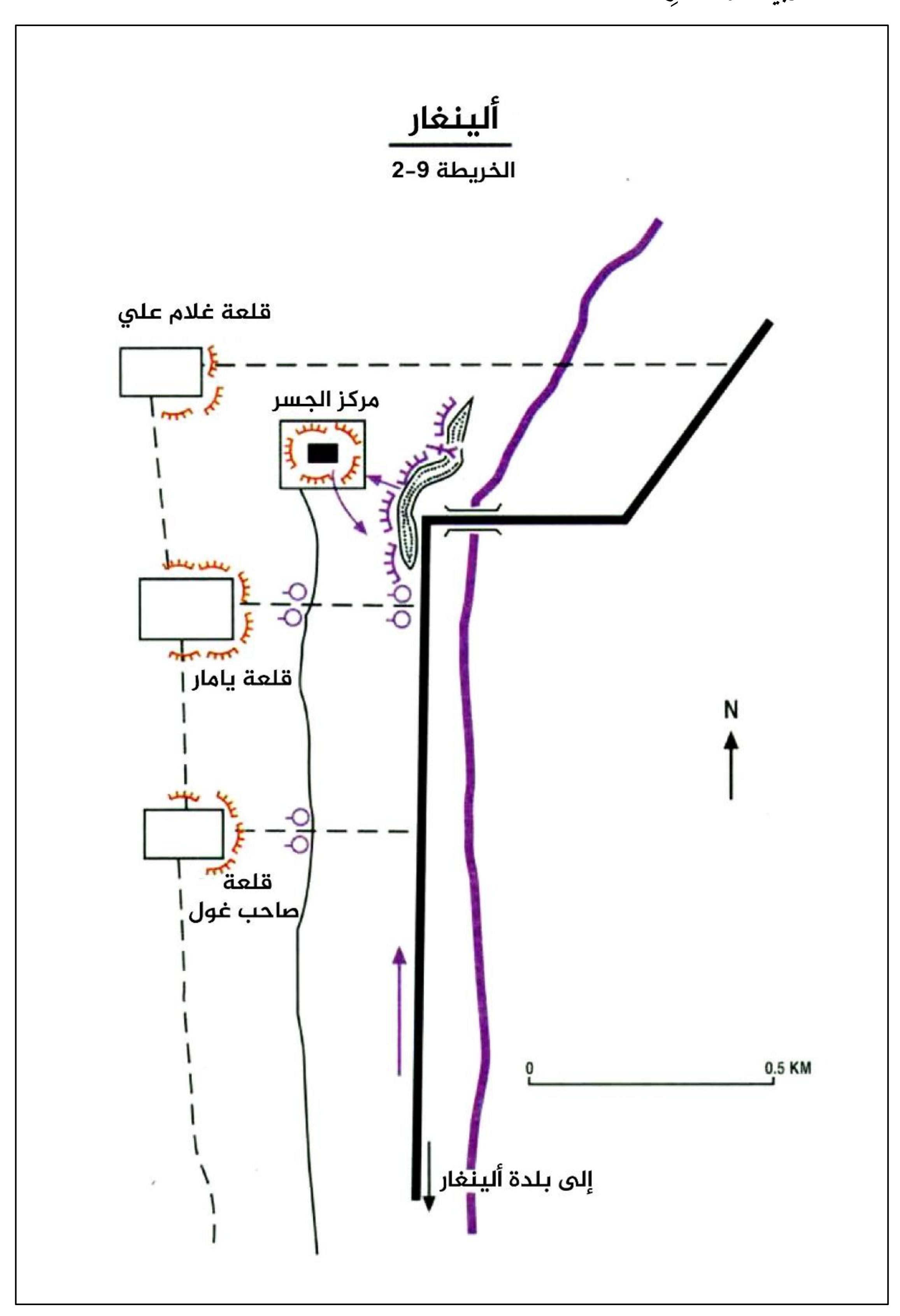
في فبراير/شباط 1986م، قادَ القائدُ عبدُ القدُّوس الكوزاي مجموعةً من 15 مجاهداً، في إغارةٍ على مركزٍ حكوميّ أفغانيّ قربَ مركزِ مديريَّةِ ألينغار في ولاية لغمان. كانَ المركزُ مطلّاً على الجسرِ العابرِ فوقَ نهرِ ألينغار قربَ قريةِ باروايي، على بعدِ حوالي 4 كلم شمال ألينغار. وكانَ يُحيط بهذا المركزِ سُورٌ قد اشتملَ بناؤُه على مواقعَ لإطلاقِ النّيرانِ ومجموعةً من المتَاريس، كما كانَ يحوي غرفةَ حرسٍ بسعةِ ستَّةِ جنود. كانَ هذا المركزُ جزءاً من الحزامِ الأمنيّ الذي كانَ يحمي مركزَ المديريَّةِ ضدَّ هجماتِ المجاهدين، إضافةً إلى وجودِ عدَّةِ مراكزَ أخرى في المنطقةِ متوزِّعةً في بيوتٍ مُتفرِّقةٍ وهيا كلَ شبيهةٍ بالحصون، منها قلعةُ غلام علي شمالَ المركز، وقلعةُ ياوار، وقلعةُ صاحب غول جنوبَ المركز. وكانت هذهِ القلاعُ متباعدةً بمسافةٍ تتراوحُ ما بين 150-200 مترٍ (الخريطة 2-9 ألينغار).

في السَّاعة 22:00 ليلاً، تحرَّكت مجموعَتي من قاعدتِها الواقعةِ في قريةٍ قريبة، وذلك في ليلةٍ حالكةِ الظَّلامِ شاتيةٍ مُطرةٍ بَاردة. واتَّجهنا شمالاً نحوَ الهدف، وعيَّنتُ ستةً من جنودي كربيئةٍ (طليعة مراقبة/تأمين)، اثنين منهما مقابلَ "قلعة صاحب غول"، واثنينِ مقابل "قلعة ياوار"، واثنينِ على طولِ الطَّريقِ الواصلِ إلى الجسر. وقد كانت مهمتُهم تثبيتَ قوَّاتِ التَّعزيزِ التي قد تَأتي من هذه المراكزِ لإنقاذِ مركزِ الجسر. بينما تحرَّك باقي المجاهدين التِّسعةِ -بما فيهم أنا- نحوَ الجسرِ حاملينَ ثمانيَ بنادقَ

[71] كان الحاج صدّيق الله القائدَ العسكري لولاية لغمان في الحزب الإسلامي التَّابع لحكمتيار. كان قد انضمَّ إلى حكمتيار منذُ قتالِه لداوود قبلَ حدوثِ الثَّورةِ الشُّيوعية. وكان قد تلقى تعليماً عسكرياً نظامياً. بينما كانَ الدُّكتور عبد القدُّوس قائدَ عصاباتٍ تحتَ قيادة صدّيق الله. تطوَّع صدّيق أيضاً كطبِّيِ المجموعة، لكونه تلقى تدريباً طبياً في باكستان.

[Map sheet 3086, vie grid 2455]

آليَّةٍ وقاذفَ آر بي جي – 7، وانتشرُوا مُسترين داخلَ خندقٍ على جانبِ الطَّريق، مُغلقين بذلكَ المقترب الغربي نحوَ الجسرِ تماماً.



كانت خطَّتي تتلخَّصُ بالبقاء في الخندقِ لحينِ قيامِ جنودِ المركزِ بفتح بابِ بيتِ الحرسِ بغرضِ تبديلِ مناوَبَتِهم. ثمَّ بالاستفادةِ من الضوءِ الخارجِ من البابِ للاهتداءِ نحوَ المحرس، كانَ المُخَطَّطُ أن نقفزَ فوقَ السُّورِ المُنخفضِ الذي كانَ يبلغُ ارتفاعُه متراً واحداً فقط، ثمَّ نقتحمُ المركزَ ونقتلُ كُلَّ من فيه.

انتظرنا لساعتينِ طوال كأنَّها سنتين تحتَ بردِ المَطر، ولم يحدثْ أيُّ شيءٍ داخلَ المركز. وفي الأخير، قرَّرتُ أن نأخذَ بزمامِ المبادرة كاملاً، فوجَّهتُ ثلاثةً من رجالي ليتسلَّلُوا بهدوءٍ نحوَ المركز، ويقفزُوا من فوقِ السُّورِ ويهجمُوا على الحارس، وبمجرَّدِ خروجِ الحرسِ الباقين من بيتِ الحرسِ سنسرعُ إلى البيت ونطالبُهم بالاستسلام.

وضعتُ رامي الآر بي جي - 7 حيثُ يستطيعُ إصابةَ بيتِ الحرسِ، وأمرْتُ الراميَ بألَّا يرميَ حتَّى يسمعَ رفاقَه الثَّلاثةَ يأمرونَ الجنودَ بالاستسلام (كانت الكلمة المُتَّفقُ عليها هي "استسلم"). ففي حال ردَّ العدوُّ على طلبِنا بإطلاقِ النَّارِ يقومُ الرَّامي بإطلاقِ قذيفةٍ عليهم.

في السَّاعة 01:00، اقتربَ رجالي الثَّلاثةُ (مجموعة الاقتراب) من الموقع، وقامَ أحدُهم بالتَّغطيةِ على الاثنين الباقين ليقفزُوا فوقَ السُّور. ولسوءِ حظِّ أحدِهما وقعَ بالضَّبطِ على ظهرِ جنديٍّ كان ملتحفاً يغطُّ في نومٍ عميقٍ، فاستيقظ الجنديُّ صَارخاً، مما أذْعرَ المجاهدين، ففتحُوا النِّيرانَ عليه وقتلُوه في الحال. وألقى أحدُ المجاهدين قنبلةً يدويَّةً إلى مدخلِ غرفةِ الحرس، متوقّعاً قدومَ باقي الحراس. وبعدَ انفجارِ القنبلةِ، اندفعَ المجاهدونَ نحو الباب. لدى سماعِ رامي الآر بي جي - 7 للضوضاء، في الوقتِ الذي لم يسمعْ رفاقَه يطالبون جنودَ العدوِّ بالاستسلام، افترضَ الرَّامي بأنَّ العدوَّ قضى على مجموعةِ المجاهدين، ولذا رَمَى قذيفةً نحوَ بيتِ الحرس. واستطاعت القذيفةُ خرقَ جدارِ المَحرس وقتلَت جنديين أفغانيين، إلا أنَّها أصابَت أحدَ المجاهدين إصابةً بالغةً، مما قلَب الوضعَ تماماً نحوَ التَّراجع، فالمُجاهد الجريحُ صرخَ لطلبِ النَّجدة من رفاقِه فأوقفُوا اقتحامَهم لإخلائه، ولمَّا رأى بقيَّةُ المجاهدين تَوَقُّفَ المجموعةِ لإخلاءِ رفيقِهم، أوقفُوا هجومَهم أيضاً. ومن ثمَّ، ألغيتُ الإغارة وأمرتُهم بالانسحاب. ولدى انسحابِنا انضمَّت إلينا بقيَّةُ فرقِ المراقبةِ والتَّأمين، وعدْنا إلى قاعدتِنا.

التَّعليق:

كان توقيتُ إغارةِ المجاهدين هو الأمثل. فقد غَطَّتِ الأجواءُ الماطرةُ والظَّلامُ الدَّامسُ على تحرُّكَات المجاهدين للاقترابِ من الموقع. حتَّى أنَّ جنودَ العدوِّ كانوا نائمين، وكانت مثلُ هذه الغفلاتِ للعدوِّ أمراً مُعتاداً يحدث كثيراً. وأخفقَ الجيشانِ السُّوفييتي والأفغاني طوالَ فترةِ انتشارِهم في أفغانستان في نشرِ دوريَّاتٍ راجلةٍ بينَ المَراكزِ ليلاً. بالإضافةِ إلى غيابِ التَّنسيقِ التَّكتيكيّ والنَّاري بينَ المراكز. وكانت هذه السَّلبيَّةُ في الأداءِ ليلاً لجنودِ العدو قد ولَّدَت لديهم عقليَّةَ التَّقوقع في ملاجئِهم، ممَّا عزلَ المراكزَ الأمنيَّةَ ومنحَ المجاهدين حرِّيَّةَ الحركةِ وتنفيذَ إغاراتِ الكرِّ والفر، وملكَ العدوُّ المنطقةَ نهاراً بينما ملكَها المجاهدون ليلاً.

لقد أفسدَ ضعفُ السَّيطرة على مجموعةِ الإغارةِ عملاً كانَ منَ المُمكنِ أن يكونَ إغارةً محكمَةَ التَّخطيط. كانت الأخطاءُ مزيجاً من قانونِ ميرفي[72]، وقلَّةِ المراجعات للخطَّة قبلَ بدءِ العمل، وضعفِ التَّسلسلِ القيادي. صحيحٌ أنَّ الوقوعَ على جنديٍّ نائمٍ كانَ حظَّاً سيئاً عاثراً، إلا أنَّه كانَ منَ المُمكن للتَّدريباتِ الجافة[73] منحُ المجاهدين فرصةَ التَّمرُّنِ على خيارِ اكتشافِ العدو للتَّسلل، ومن ثمَّ التَّمرن على إخلاءِ الجرحى وإكمالِ الهجوم. كانَ القائدُ يفتقدُ الاتِّصالَ مع رامي الآر بي جي، فيجبُ عليه

[72] المركز: ولد هذا القانون في قاعدة إدواردز الجوية في الولايات المتحدة عام 1949م. تمت تسميته نسبة إلى الكابتن إدوارد ميرفي والذي كان يعمل مهندساً آنذاك في مشروعِ قياسِ مدى احتمال الجسم البشري للتباطؤ المفاجئ في السرعة. جاءت بعد أن قامَ أحدُ الفنيين بغلطة في التوصيلات الكهربية فنهره مورفي قائلاً له "أن لو هناك احتمال حدوث خطأ ما فسوف يحدث".... وسمعه المسؤول عن المشروع وسرعان ما تحولت هذه العبارة إلى قانون مورفي بين العاملين. ثم حدث أن تحدث أحد العاملين في المشروع في مؤتمر صحفي وقال أن السبب الرئيسي في ارتفاع معدل السلامة في المشروع يرجع إلى قانون ميرفي. ومن ثم أصبح قانوناً تشاؤمياً لقياس مستوى الفشل والأخطاء المتوقعة وغير المتوقعة عبر الأعمال في جميع مناحي الحياة، والاستفادة الصحيحة من هذا القانون يحثُّك على أخذِ الاحتياطات ووضع خطط الطوارئ.

[73] المركز: يُقصَد بالتَّدريبات الجافة: التدريب على أعمالٍ عسكريةٍ من دون استخدام الذخائر، وتوفِّرُ هذه التَّدريباتُ السهولةَ والمرونة في تنفيذِ المناوراتِ التَّدريبية.

توفيرُ قيادةٍ ثانويَّة مرؤوسة، تعملُ على تحقيقِ سيطرةٍ فعَّالةٍ وثابتة، ونتواجدُ قربَ رامي الآر بي جي -7. وبالمجمل، فانعدامُ الاتِّصالات والقيادةِ الثَّانويَّة والتَّنسيقِ النَّاري عندَ الهدف أفقدَ المجاهدين فرصةَ تحقيقِ انتصارٍ تكتيكي.

التَّعليق على الفصل

اعتمَدَت إغاراتُ المجاهدين على عُنصري المفاجأةِ والسُّرعة في التَّنفيذ. وَوَفَّرت هذهِ الإغاراتُ الأسلحةَ والذَّخائرَ والمعدَّات للمجاهدين. واستطاعَت تدميرَ العديدِ من المواقعِ والمراكزِ الأمنيَّة السُّوفييتيَّة والأفغانية. وتشتملُ مجموعةُ الإغارةِ حسنةُ التَّنظيمِ على ثلاثِ مفارز:

1. قوة الاقتحام
2. ومجموعة الإسناد النَّاري
3. وعناصر التَّأمين.

وبالنِّسبة للاتِّصالات، كانَ المجاهدون في حاجةٍ لأجهزةِ الاتِّصالِ اللاسلكية للتَّنسيقِ بينَ عناصرِ الإغارة، إلا أنَّه في معظمِ الأحيان افتقدَ المجاهدون لهذهِ الأجهزة.

كان العائقُ الرَّئيسي بوجهِ المجاهدين في الإغارات هي حقولُ الألغامِ التي زرعَها الجيشُ السُّوفييتيُّ والأفغانيُّ حولَ مواقعِهم ومراكزِهم الأمنية. وشَّن المجاهدون معظمَ عمليَّاتِ الإغارة ليلاً. وقد فعلُوا ذلك بغرضِ التَّقليلِ من فعاليَّةِ الضرباتِ الجويَّة والمدفعيَّة، ومنعِ المزيدِ من الاحتكاكِ والقتالِ مع القُوَّات السُّوفييتيَّة والأفغانيَّة، التي كانت تمتنعُ عن مغادرةِ حامياتِها ليلاً.

الفصل الثالث: الهجومُ من خلالِ القصف

كانَ المجاهدونَ يَهجمونَ بالقصفِ على الحامياتِ والمراكزِ الأمنيَّةِ والمطاراتِ والمُدُنِ على نحوٍ يومي. وكانوا يستخدمُون في هذه العمليَّات مدافعَ الهاون وراجماتِ الصَّواريخ والمدافعَ عديمة الارتداد، كما استخدمُوا في بعض الأحيانِ مدافعَ جبليةٍ ومدافعَ هاوتزر. وكانَ الهدفُ من هذه الهجماتِ إزعاجَ الأعداءِ وتدميرَ معدَّاتِهم الحربيَّة. وتعلَّمَ المجاهدونَ بمرورِ الوقتِ أنْ يُنشئوا عِدَّة مرابضَ للرِّماية، وأن يرمُوا ثمَّ ينتقلُوا بسرعةٍ إلى المربضِ الثَاني قبلَ وصولِ الردِّ المِدفعِيِّ والجوي من قبلِ القوَّاتِ السُّوفييتيَّة والأفغانيَّة. وكانُوا يُحضِرونَ المياهَ قربَ المرابضِ كلَّما أمكن، لترطيبِ الأرضِ خلفَ راجماتِ الصَّواريخ والمدافع عديمةِ الارتداد، فقد كانَ هذا يساعدُ على كبحِ الأتربةِ النَّاتجةِ عن الهباتِ الخلفيَّةِ لإطلاقِ الذَّخائر. وكانت القُوَّاتُ السُّوفييتيَّةُ والأفغانيَّةُ تحاولُ قمعَ هذهِ الهجماتِ بالرِّماياتِ المدفعيَّة المضادَّةِ وقوَّاتِ الردِّ السَّريع والكمائن.

نظراً للطَّابع الرُّوتيني الذي اكتسبتهُ هجماتُ المجاهدين من خلالِ القصف، لم يكن المجاهدونَ ليتحدَّثُوا عنها ما لم نبالغ في الاستقصاءِ والبحثِ فيها. فقد كانَ المجاهدون يعدُّونَ هذه العمليَّاتِ أحداثاً عاديَّةً رتيبةً لا تجذبُ الكثيرَ من تركيزِهم، بحيثُ كانت لا تستحقُّ الروايةَ وإعادةَ سردِها. إلا أنَّ هذه الهجماتِ كما رأيناها أبعدُ ما تكون عن أحداثٍ عاديةٍ.



المقالة الأولى: عمليةُ قصفٍ انتهت بفاجعةٍ

روى أحداث العملية: المولوي شُكُر ياسيني[74]

في ربيع 1981م، نشطَت القُوَّاتُ السُّوفييتيَّةُ والأفغانيَّةُ بقوَّةٍ في منطقتِنا. ونتيجةً لذلك، اضطُرِرْتُ للتَّخلي عن قاعدتِنا الدَّائمةِ والتَّحوُّلِ إلى قواعد متنقلةٍ موزعةٍ عبر المنطقة. كنتُ أطمحُ من هذا التَّحوُّلِ إلى شَنِّ استعراضٍ هائلٍ للقوة ضدَّ القوَّاتِ السُّوفييتيَّة. وكان لديَّ مِدفعي هاون، عيارُ أحدِهما 60 ملم والآخر 82 ملم. وقد كانَ المِدفعُ الأوَّلُ يعاني من مُشكلة، وهي: قصر مداه إلى 1400 مترٍ ممَّا يجبرُ راميه على الاقترابِ الشَّديدِ من أهدافِه. وكانَ لديَّ أيضاً: مِدفع دوشكا رشَّاش، وخمسُ قاذفاتِ آر بي جي -7. فاحتفظْتُ بهذه الأسلحةِ الثَّقيلةِ في قاعدتي الواقعةِ في غرداب، بينما احتفظَ رجالي بالأسلحةِ الصَّغيرةِ لديهم.

[74] مولوي شُكُر ياسيني، هو زعيمٌ دينيٌّ بارزٌ في ولاية ننغرهار. يحدرُ من قريةِ غرداب الواقعةِ في مديريَّة كامه شمالَ غربَ جلال آباد. وفي الحرب كان قيادياً مرموقاً في الحزب الإسلامي التَّابع لمولوي يونس خالص. وفي وقتٍ لاحقٍ، التحقَ بالجبهة الإسلامية الوطنية الأفغانية. وأثناء الحرب، اصطحب الصَّحفي دان راثر إلى قاعدته في أفغانستان، ورافق نائب الكونغرس عن ولاية تكساس تشارلز ويلسن إلى أفغانستان عدَّة مرات. وفي معظم فترة الحرب، كان ينشط في منطقته، ويقاتل الجيش الأفغاني في جلال آباد، بينما يقاتل اللواء 66 السُّوفييتي في سَمَرخيل. أصبح فيما بعد عضواً في مجلس حكم ولاية ننغرهار بعد انهيار النِّظام الشُّيوعي، وبقي في منصبه لحين تقدُّم طالبان على الولاية في سبتمبر 1996م. [Map sheet 3185]

في إحدى الأيام أثناء الحرب، عبر ثلاثة جنودٍ سوفييتيين نهر كابول وجلسوا هنالك لغرض التَّنزه والمسامرة. فشربوا خمر الفودكا وطبخوا الشيشلك على النَّار، فباغتهم المولوي شُكُر ياسيني وأسرهم. أحد هؤلاء الأسرى ويُدعى ناوموف اعتنق الإسلام وقاتل في صفِّ المجاهدين لثلاث سنواتٍ. فيما بعد، قابل علي جلالي ناوموف في لقاءٍ جمعهما في العاصمة واشنطن برعاية منظمة بيت الحرية. وكان ناوموف يتقن التَّكلم بلغة الباشتو في ذلك الوقت. ودعا المجاهدين إلى التَّوقف عن الاقتتال، والتَّوحد لمجابهة أعدائهم. ويقيم الآن ناوموف في كندا.

في أبريل/نيسان 1981م، شَنَنتُ عمليَّة قصفٍ ضدَّ اللواءِ 66 المستقلِّ للبنادق الآلية السُّوفييتيَّة المتمركز في سَمَرخيل. أخذتُ فقط 42 من رجالي في هذا العمل، لأنَّنا لم نكن مُسلَّحين على نحوٍ جيدٍ، ولم نكن مُستعدِّين لخوض مواجهةٍ كبيرةٍ مع قُوَّاتٍ متفوقةٍ علينا. بالإضافةِ لذلك، كانت مديريَّةُ (كامه) -الواقعةُ عبرَ النَّهرِ مباشرةً إلى جوارِ حاميةِ اللواء- تحتَ المراقبة المستمرَّةِ من قبل السُّوفييت، فلم أشأ أنْ أحرِّكَ مجموعةً كبيرةً من رجالي عبرَ المنطقة وأنذرَ العدوَّ بقدومِنا. وللتملُّصِ من مراقبةِ العدو، توجَّهنا شمالاً من غرداب إلى الجبال، ثمَّ عبرْنا الجبالَ غرباً، حتَّى وصلْنا إلى قريةِ "ماماخيل" في منطقةِ كامه (خريطة 3-1- دارغو). وبتْنا فيها لثلاثِ ليالٍ، فيما كُنَّا نمضي النَّهارَ في الجبالِ عندَ يُنبوعِ (دارغو الصِّين) على بعدِ ثلاثِ كيلومترات. ثمَّ انطلقْنا من ماماخيل نحوَ قريةِ كامه، وعلى الرَّغمِ من نزوحِ الكثيرين من سكانِها نحوَ باكستان، إلا أنَّه بقيَ القليلُ من الأفراد.



في كامه، عيَّنتُ ابنَ أخي كمسؤولٍ عن مجموعةِ القصف، وأمرتُهُ بأخذِ مدفعي الهاون و38 رجلاً من رجالي، والتَّوجهِ لقصفِ معسكرِ اللواء 66[75]، بينما احتفظتُ أنا بأربعةٍ من رجالي. فانطلقَتْ مجموعةُ القصفِ عندَ الغَسق، ونصبُوا مدفعَ الهاون من عيارِ 82 ملم على الضِّفَّة الشَّماليَّة من النَّهرِ في

[75] أنشأ السُّوفييت اللواءَ 66 واللواءَ 70 للبنادق الآلية المستقلين بغرض مكافحةِ التَّمرد. وكانا يحويان ثلاث كتائب بنادق آلية، وكتيبة اقتحامٍ جوي، وكتيبة مدفعية هاوتزر، وكتيبة راجمات صواريخ، وكتيبة استطلاع، وكتيبة دبابات، وقوات إسناد. وكان اللواء 70 يتمركز في قندهار، بينما تمركز الكتيبة الثانية من لواء 66 في أسد آباد. وقد كانت كلُّ سرية بنادق آلية تتضمَّنُ أربعَ فصائل بنادق آلية بدلاً من ثلاث كما هو معتاد.

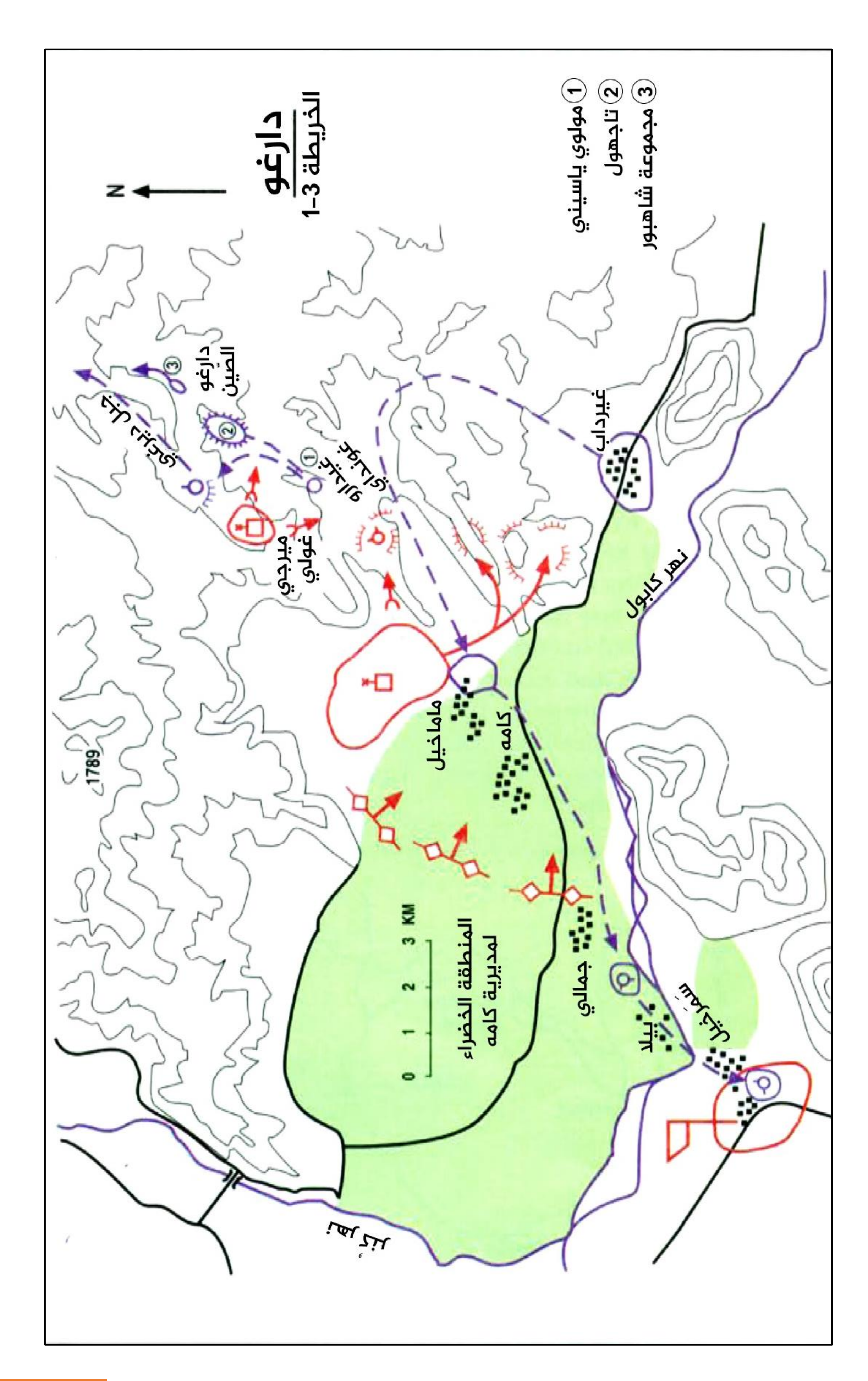
بيتِ (خاني ملا) الواقعِ في قرية (جمالي)، واختارُوا هذا الموقعَ لكونِ الهدفِ ضمنَ المدى المطلوبِ بالنِّسبة لهذا المدفع، ثمَّ انطلقَ الباقون ليعبرُوا النَّهرَ عند بيلا، واقتربُوا من المعسكرِ عبرَ قرية سَمَرخيل، ونصبُوا مدفعَ الهاون من عيارِ 60 ملم، واستعدَّ رماةُ الآر بي جي للرِّمايةِ انطلاقاً من هذا الموقع. ثمَّ فتحَ جميعُ الرُّماةِ النِّيرانَ في السَّاعةِ 22:00 ليلاً بقذائفِ الهاونِ والآر بي جي على المعسكر، حيثُ كانَ جنودُ العدوِّ نائمين، فدبَّت الفَوضى في صفوفِ العدو.

استمرَّت مجموعةُ القصفِ في الرَّمي على دفعاتٍ لمدَّة ساعتين كنتُ أثناءها في كامه، ثمَّ أنهوا القصفَ وانسحبُوا. وكان من المقرَّرِ حسبَ أوامري الالتقاءُ بهم مرةً أخرى في ينبوع (دارغو الصَّين) في اليوم التَّالي. فذهبتُ إلى مكان اللقاء، ووصلتُ فجراً وكانُوا قد سبقوني إلى المكان. إلا أنَّنا تفاجأنا بغيابِ اثنين من رجالِنا، لكونِهم نَسِيا مدفعَ الهاون من عيار 60 ملم وآلةَ التَّصوير، فعادَا لاسترجاعِهما.[76]

بينما كنتُ في كامه، أبلغني المخبرون بأنَّ العدوَّ سيشنُّ عمليَّةَ بحثٍ وتدميرٍ في مديريَّة كامه في غضونِ خمسةِ أيام. فاعتقدتُ في تلكَ اللَّحظة بأنَّ العدوَّ سيستعجلُ في تنفيذِ العمليَّة لكونِنَا قصفناهُم، فقرَّرت بأنَّ علينا مغادرةَ المنطقة. وبعدَ بزوغِ الصُّبح، وجَّهتُ رجالي بأن يتحرَّكوا بعمقٍ في الجبال. ونال مني التَّعب نتيجةَ إصابتي بنزلةِ بردٍ، فقرَّرتُ العودةَ إلى منزلي في غرداب، إلا أنَّه لدى مغادرتي، شاهدتُ مِروحيتين تُقلعان من المَطارِ وتطيران على ارتفاعٍ مُنخفضٍ فوقَ مديرِّية كامه، فانبطحْتُ على الأرضِ فوراً واختبأتُ، ولم يكن أحدٌ معي سوى الحاج شاهباز. وقد لحقَتْ بالمَروحيتين عدّةُ مروحياتٍ أخرى.

---

[76] كانت آلة التصوير من الملحقاتِ المهمَّة في المعارك. فقد كانَ المجاهدون يستخدمُونها لتوثيقِ أعمالِهم، حتى يبرهنُوا على أنَّ الأسلحةَ والذَّخائرَ والمؤنَ تُنفَقُ في وجهها وتأتي بنتائج. وكانت الأشرطةُ المرئية تبرر إرسالَ المزيدِ من الإمداداتِ للفصائل.


دارغو
الخريطة 1-3
N
1 مولوي ياسيني
2 تاجهول
3 مجموعة شاهبور
دارغو الصين
غيرداب
ميرجي غولي
نهر كابول
ماماخيل
كامه
1789
المنطقة الخضراء لمديرية كامه
0 1 2 3 KM
جمالي

في البداية، ظنَنْتُ أنَّ المِروحيَّات في طريقِها نحو ولاية كُنر، لكنَّ مروحيتين منها بدأت بإنزالِ قوَّاتٍ في نقطة غولي ميرجي ضِمنَ جبلِ ديرغي، على بُعدِ كيلومترٍ واحدٍ. وأنزلُوا أيضاً قُوَّاتٍ شمال "ماماخيل" على السَّهل وعلى تلة غونداي غيدارو. فشاهدَ رجالي المِروحيات وهي تُنزِل الجنود، وأيقنُوا بأنَّهم سيُكشَفون في حالِ استمرُّوا بالتَّسلُّقِ إلى الجبال. فعادُوا أدراجَهم نحوَ الوادي الفسيح مُتَّجهين نحوي، حيثُ كنتُ أنا في قناةٍ بين ميرجي غولي ودارغو الصِّين، وكانت ظلالُ الجبالِ في الصَّباح الباكر تُخفيني. وحينَ رفعتُ رأسي، استطعتُ مشاهدةَ 25 جنديَّاً سوفييتيَّاً مع بضعةِ أفرادٍ يرتدون التشادر[77] ويتحرَّكون نحوَ الجنوبِ الشَّرقيِّ من مرتفعِ ميرجي غولي نحوَ غيدارو غونداي. وشاهدتُ أيضاً مجموعةً أخرى منهم ينصبونَ مدافعَ الهاون على قِمَّة غيدارو غونداي. فزحفتُ مسافةَ حوالي 50 متراً في القناة. ولم يستطعِ السُّوفييت مُشاهدتي لأنَّهم كانُوا يواجهونَ الشَّمس، فيما كنتُ أنا في الظِّل. وبينما كنتُ أزحف، تخلَّصتُ من كلِّ ما كان يثقلُ جيوبي من رُزَمِ النُّقودِ والكماشات، وتوَجَّهتُ شمالاً نحو حرف الجبل. وفي تلكَ اللَّحظة، كانَ ظَفَار ونور (ابن عمِّي) يحملانِ مدفعَ الهاون من عيارِ 60 ملم (المنسي) وآلةَ التَّصوير، وكانُوا يسيرونَ نحوَ مجموعةِ السُّوفييت التي نصبتَ الهاون في غيدارو غونداي، فوقعَا في الأسر فوراً.

تسلَّقتُ جبل ديرغي، وحاولتُ معرفةَ ما حصل. فرأيتُ رجالي قد انقسمُوا إلى مجموعتين، 13 منهم كانوا يعودون إلى دارغو الصِّين يقودُهم (تاجاهول)، بينما كانَ (شاهبور) يقودُ الباقين ويعودُ إلى الجبال. وشاهدْتُ مجموعةً من السُّوفييت يتَّجهون نحو مجموعة (تاجاهول)، وقامُوا برمِي مشاعلَ عليها للتَّنبيهِ على موقعِهم. فأطلقَتِ المِروحيَّات الهجوميَّةُ سيلاً من النِّيرانِ من مدافعِها الرَّشاشة، بينما انحدرَ عددٌ من الجنودِ السُّوفييت نحوَهم من جبلِ ديرغي. وبعدَ الهجوم الجويِّ بدأَ الجنودُ السُّوفييت بالهجومِ على مجموعةِ تاجاهول. وكنتُ أنا بمحاذاةِ منتصفِ المَسافة بينَ السُّوفييت ورجالي، على بعد حوالي 500 مترٍ. وشاهدْتُ عبرَ مِنظاري مجموعةً أخرى من السُّوفييت أسفلَ الوادي تلتقطُ الكماشات

[77] هو وشاحٌ غليظٌ متعدد الاستخدامات يحملُه الأفغان ويلبسونَه. فيجعلونَ منه بساطاً أو مخدة أو غطاءً للتمويه أو حزاماً أو كفناً.

وحقائبَ الإسعافِ الأولية والنُّقودَ التي ألقيتها. كانت المجموعةُ التي تتفحَّصُ أمتعتي تبدو مختلفةً عن الآخرين، فظنَنْتُ أنَّهم من الضُّباط. فقرَّرتُ إطلاقَ النَّار عليهم أثناءَ انقضاضِ المروحيَّةِ برشقةِ نيرانٍ أخرى، بغرضِ إخفاءِ صوتِ سلاحي. وبينما انقضَّت المروحيَّة برشقةِ ناريةٍ أخرى، أطلقتُ النَّارَ على المجموعةِ في الوادي وأصبْتُ أحدَهم، ثمَّ استترتُ لأرفعَ بعدَها رأسي مرةً ثانيةً لأصيبَ الثَّاني. ممَّا لفتَ انتباه السُّوفييت إلى مكاني فأطلقُوا النِّيرانَ عليَّ، وبدأتْ قذائفُ المِدفعيَّة تتساقطُ من حولي. فهرعتُ من موقعي نحوَ موقعٍ آخر على بعدِ 100 مترٍ. وكنتُ أحملُ أنا وعددٌ من رجالي رشاشةً خفيفةً تشيكوسلوفاكيَّة من طرازِ أم -26[78]. فبينما كنتُ أهرعُ لتغييرِ مكاني، سمعتُ صوت رماياتِ الرَّشاش أم -26 من مجموعتي، فقد كانوا في اشتباكٍ عنيفٍ معَ جُنودِ العدو.



رشاش أم – 26

فيما بعد، سمعْتُ ضجيجاً من اتِّجاهِ الشَّمال، فظننتُ أنَّ السُّوفييت قادمون من هذا الاتجاه أيضاً، لكنَّ المفاجأةَ أنَّني رأيتُ شاهبور وأحدَ رجالي، فقد قَدِمُوا لإنقاذي. وأبلغني شاهبور بأنَّ الدَّبابات قد اجتاحَت "كامه" وأغلقَت جميعَ مخارجِها وشنَّت حملةَ اعتقالاتٍ عمَّت جميعَ أنحاءِ المديريَّةِ. فقرَّرنا مغادرةَ المنطقة شمالاً. وكانَ شاهبور قد أرسلَ من قبلُ إلى مجموعةِ تاجهول ليخبرَهم بالتَّوجه شمالاً، إلا أنَّ نيرانَ المِدفعيَّة والنِّيرانَ المباشرة ثبَّتَتهم، فلم يستطيعُوا قطعَ الاشتباك، فقاتلُوا حتَّى آخرِ رمقٍ

[78] هو رشاش خفيف تشيكوسلوفاكي يرمي من مخزن تلقيمٍ علويٍ يحمل 20 طلقة ويسمى (بيرناو Bernau). وهذا السلاح المميز ذو العيار 7.9 ملم قد تم تطويره بين الحرب العالمية الأولى والثانية وبيع للخارج باسم (M-30) للصين ويوغسلافيا ورومانيا. واستند تصميم سلاح (البرن Bren) عليه، وسمَّاه المجاهدون الأفغان باسم رامي العشرين.

لآخرِ رجلٍ منهم. وبينما كنَّا نغادرُ المنطقة، رمى أحدُ مجاهدينا قذيفةَ آر بي جي على إحدى المِروحيات. واشتعَلت النِّيران في المِروحيَّة وهي تحلّق مبتعدةً، ثمَّ سقطت على الأرض قرب "كامه" وانفجرَت. ولا أعلمُ هل احترقَت بسببِ القذيفة أم بسببِ نيرانٍ أرضيَّة.

تحرَّكنا نحوَ قريةِ غارا ماماخيل على بعدِ أربع ساعاتٍ في عمقِ الجبال، حيثُ التقينا باثنينِ آخرينِ من رجالي. وفي الصَّباح، وصلَ 12 آخرين من رجالي. وعلمتُ بمصيرِ مجموعة تاجهول. بقي السُّوفييت لمدَّةِ يَومين في كامه. وبعدها حينما غادرُوا، عدنا لاستعادةِ جُثثِ أصحابِنا. فوجدتُ جثثَ مجموعةِ تاجهول وجُثَّتي نور وظفار وخمسةِ آخرين. وكانَ السُّوفييت قد قامُوا بتلغيمِ بعضِ هذه الجثث، ورشُّوا موادَ كيميائيةٍ على أخرى ممَّا أدَّى لتحلُّلِها، فعجزنا عن إخلاءِ هذه الجثث، ولذا قمْنا ببناءِ القبورِ فوقَهم بالصُّخور، ولا تزال جُثثُهم هناك. ولا أعلمُ مقدارَ خسائرِ السُّوفييت تحديداً، إلا أنَّني أعلمُ بأنِّي أصبتُ اثنينِ منهم وأسقطْنا مروحيَّةً لهم ودُمِّرتُ ثلاثَ عرباتٍ مدرعةٍ لهم بواسطة الألغام أثناء العمل.

عبر الحربِ واجهتُ مثلَ هؤلاءِ السُّوفييت أثناءَ سبعِ عمليَّاتِ تمشيط. قمتُ بنقلِ عائلاتِ الشُّهداء إلى مخيَّمات اللُّجوء في بيشاور باكستان، لكونِنا لا نستطيعُ إيصالَ الدَّعم لهم في منطقةِ كامه. وعلمتُ فيما بعد أنَّ السُّوفييت يبحثونَ عني شخصياً، حتَّى أنَّهم شبَّهوا بي شخصاً آخرَ يشبِهُني فاعتقلُوه (الرَّاوي لديه أنفٌ بارزةٌ) بينما كانَ يحصدُ البرسيم. وفي ذلك الوقتِ كانت لحيتي أقصَرَ من ذي قبل. فأخذُوا شبيهي إلى جلال آباد وشهَّروا به في أرجائِها قائلين: (ألقينا القبضَ على ابن الزَّانية). وفي الأخيرِ تعرَّف عليه أحدُ الأشخاص، فأخبرَهم بأنَّه ليسَ المطلوبَ فأطلقُوا سراحَه. بل الأعجبُ من ذلك ما حدثَ في وقتٍ قريبٍ من هذه الحادثة، حيثُ كان حاكمُ مديريَّة كامه يسكنُ قرية ميرزاخيل، فذهبَ إليه السُّوفييت وألقوا القبضَ عليه ووضعُوه في الأشغالِ الشَّاقة، حيثُ لم يتعرَّفُوا عليه بأنَّه حاكمُ المديريَّةِ الموالي لهم. وأجبرُوه على حملِ المياهِ إلى جنودِهم المتمركزين في المُرتفعات.

لقد كان السُّوفييت مستهترين بأرواح الأفغان. وقتلُوا الكثيرَ من القرويين قتلاً عشوائياً. وقتلُوا أحدَ رجالي بالرُّغم من أنَّه لم يكن يحملُ سلاحاً في لحظتِها. أنا مسرورٌ لأنَّنا استطعنا طردَ السُّوفييتيين، إلا

أنَّ أفعالَ المجاهدين بعدها شوَّهت من انتصارِهم. حتَّى أنَّني كتبتُ الكثيرَ من الأشعارِ هجاءً لممارساتِهم الحاليَّة.

التَّعليق:

استطاعَ المجاهدون قصفَ الحاميةِ طوالَ السَّاعتين، لكونِهم يعملونَ على تبديلِ مرابضِهم على نحوٍ دوريٍ، حتَّى ينجوا من نيرانِ المدفعيَّةِ المضادَّة. ولم يُرسلِ السُّوفييت أيَّةَ دوريَّاتٍ ليليَّةٍ لاكتشافِ مواقعِ المرابض، بل اكتفَوا بالرَّدِّ المدفعيّ الذي لم يجدِ شيئاً. ويبدو أنَّ قائدَ الحاميةِ لم يعاين مواقعَ المرابضِ المُحتملةِ والفعليَّةِ في سبيلِ تجهيزِ ردٍّ مِدفعيٍ فعَّال على نيرانِ المجاهدين.

كانت مُشكلةُ المجاهدين بأنَّ لديهم نقطةُ تجمّعٍ واحدةٌ وَوَاقعةٌ في إحدى منافذِ الهُروبِ الثَّلاثةِ من مديريَّة كامه إلى الجبال. وفوقَ ذلك، كانت مُتاخمةً لموقعِ عرقلةٍ سوفييتيَّةٍ يستخدمُه العدوُّ في عمليَّاتِ إغلاقِ المنطقةِ وتمشيطِها على نحوٍ دوري، فَعَلِقَ المجاهدون تحتَ تلٍ تعلوهُ قوةٌ سوفييتيَّةٌ قامَت بمحاصرتِهم، فلم يستطيعُوا الهروب. وكالمعتادِ وممَّا زادَ الطِّين لديهم بِلةً، الافتقادُ إلى أجهزةِ اتِّصالٍ لاسلكيةٍ محمولةٍ ذاتِ مدىً قصير، وهذا الأمرُ لو وُجِدَ لَسَمَحَ لهم بتنسيقِ أعمالِهم.

المقالة الثانية: هدية رأس السّنة للسّوفييت

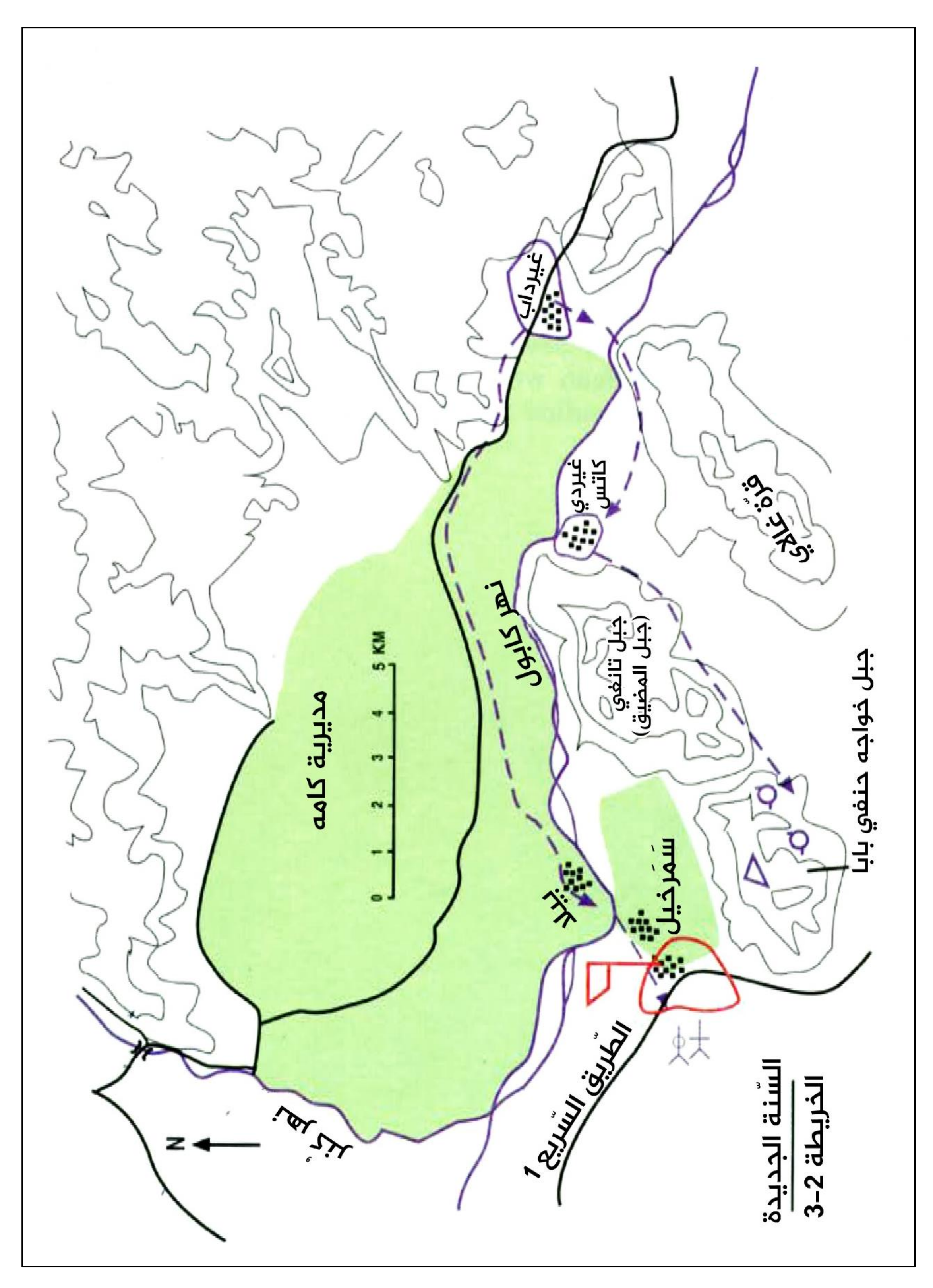
روى أحداث العملية: المولوي شُكُر ياسيني[79]

غزا السُّوفييت أفغانستان في 27 ديسمبر عام 1979م. فقرَّرْتُ أن نقيمَ نحن لهم ذكرى سنويةٍ بمناسبة هذا الغزو، وأن نهديَهم هديَّةَ رأسِ السَّنة يومَ 29 ديسمبر 1983م.وقد تمثَّلت هذه الهديَّةُ في قصفِ اللّواء 66 المستقلِّ للبنادقِ الآليَّةِ في "سَمَرخيل". فجمعتُ 150 مجاهداً مسلَّحينَ بمدفَعَي هاون عيار 82 ملمٍ، وقاذِفَي آر بي جي – 7، ومدفعٍ عديمِ الارتداد، وخمسةَ (أو ستَّةَ) ألغامٍ مضادَّةٍ للدَّبابات. وخصَّصْنا 250 قذيفةَ هاونٍ لهذا الهجوم، وعيَّنت ابنَ أخي شاهبور قائداً للعمليَّة. فقامَ الأخيرُ بتشكيلِ أربعِ مجموعاتٍ كالتَّالي:

1. مجموعةُ الهاون الأولى بقيادة أعوذ بالله.
2. ومجموعةُ الهاون الثَّانية بقيادة عبد البصير، وهو ابني.
3. ونقطةُ المراقبة وتصحيحُ النِّيران بقيادته هو شخصيَّاً (شاهبور).
4. والمجموعةُ الخفيفة (خفيفة التَّسليح).

بدأنا بنقلِ الذَّخائرِ والمؤنِ على الحميرِ والبغال قبلَ يومينِ من الهجومِ عبرَ نهرِ كابول، وقُمْنَا بتخزينِها في قرية غيردي كاتس، لحينِ نقلِها إلى جبل "خواجه حنفي بابا"، المُطِلّ على قريةِ سَمَرخيل (خريطة 3-2 السَّنة الجديدة). أكملْنا نقلَ الذَّخائرِ والمؤنِ إلى الجبلِ في فترةِ يومين من دونِ أنْ يكتشفَنَا العدو. وبعدَها قُمْنا بنصبِ مِدْفَعَي الهاون خلفَ الجبل، وثبَّتْنا نقطةَ المراقبةِ فوقَ قمَّةِ الجبل.

[79] هو نفسه راوي المقالة السّابقة. [Map sheet 3185]



بينما عبرتْ المجموعةُ الخفيفةُ النَّهرَ من "بيلا" ليلاً، وتوجَّهَت عبرَ سَمَرخيل نحو الغرب. وكانتْ بحوزَتِها المدفعُ عديمُ الارتداد، وقاذفا الآر بي جي -7، والألغامُ المضادَّةُ للدبابات. وبالتَّعاونِ مع المجاهدين المحلِّيين استطاعُوا الاستدلالَ على الطَّريق نحوَ الهدف، ونصبَ الألغامِ في الطَّريق قربَ البوَّابةِ

الرَّئيسية للمجمع بجوارِ أحدِ المساجد. كانت خطَّتُنا تتمَّثلُ بابتداءِ الهجومِ عبر توجيهِ ضربةٍ خاطفةٍ من المجموعةِ الخفيفةِ نحوَ الهدف، ثمَّ نتبعُها بالقصفِ بقذائفِ الهاون. وكانَ اللِّواءُ 66 مُعَسْكَراً من الثَّكنات والخيم، فتوقَّعنا تأثيراً فعَّالاً لقذائفِ الهاونِ ضدَّ العدو. وكانت تلك اللَّيلة ممطرةً ومبرقةً ومُرعدة.

وفي السَّاعة 22:00، ابتدأت المجموعةُ الخفيفةُ الهجومَ برمي قذائفِ الآر بي جي والمدفع عديمِ الارتداد نحوَ البوَّابةِ الرَّئيسية لمجُمَّع العدو، فَرَدَّ العدو بإرسالِ الدَّبَّاباتِ والعرباتِ المدرَّعة الناقلة للجنود، والتي خرجت تُزَمجِر عبر البوابة، لتنفجرَ اثنتانِ منها بالألغامِ المضادَّة للدَّبابات، فانسحبَتِ المجموعةُ الخفيفةُ. وفي الوقت نفسهِ بدأنا بدكِّ الهدفِ بقذائفِ الهاون، فقدَّمنا للواء 66 هديةَ رأسِ السَّنة، المتمثِّلة ب 250 قذيفةٍ ساخنة نحوَ مُجمَّع العدو. وقد ردَّ اللِّواءُ علينا بصواريخِ البي أم -21[80] وقذائفِ الهاون والمدفعيَّة.



ووقعتِ القذائفُ السُّوفييتيَّةُ الواحدةُ تلوَ الأُخرى على الجبل، بينما كانَ المجاهدونَ بكلِّ أمان يُمطرونَ العدوَّ بقذائفِ الهاون انطلاقاً من مربضِهم في الوادي بن الجبلين. ونتيجةً لنيرانِ السُّوفييت ولنيرانِ المجاهدين وللبرق، فقد أصبحَ اللَّيلُ نهاراً، وكانت تلك اللَّيلةُ بصراحةٍ عَرضَاً مُبهراً للألعاب النَّاريَّة.

في ذلك الوقت، بقيتُ أنا في غيرداب لأذبحَ بقرةً وأشويَها، فقد قرَّرْتُ أن أُولِمَ رجالي الأبطال لدى عودتِهم. وكان من المفترضِ أن يعودُوا فجراً، فأعدَدْت جميعَ التَّرتيبات للوليمة، بينما كانت السَّماءُ الشَّرقيَّةُ ملبَّدةً بالغيومِ التي تبرق. إلا أنَّ الفجرَ كانَ قد أتى ولم يَعُد رجالي. فقد ثبَّتتهم نيرانُ الرَّدِ الكثيفةِ للسُّوفييت. ومع بزوغِ الصَّباحِ بدأت المِروحيَّاتُ والطائرةُ الحربيَّةُ السُّوفييتيَّةُ بالتَّحليقِ فوقَ المنطقةِ والقصفِ في جميعِ أرجائِها. فيئستُ من نجاة رجالي، فنذرتُ لله نذراً بأن أتصدَّقَ بمبلغٍ هائلٍ من المالِ في حالِ نجى ولو نصفُ رجالي. وفي السَّاعةِ 8:00 صباحاً، غادرْتُ أنا وحارسي

[80] هي راجمةُ صواريخٍ محمولةٌ على شاحنة لها 40 سبطانة من عيار 122 ملم بمدى 20.5 كيلومترٍ. وكان المجاهدونَ في الغالبِ يسمونها بي أم – 40.

الشَّخصي "جمعة خان" من غيرداب، فتسلقْنا الجبلَ المطلَّ على غيرداب. وراقبتُ بمنظاري، وشاهدت راعٍ يركض باتجاهِنا، وكانَ الجوُّ قد هَدَأ من حولِنا. وعادتْ الطَّائرة الحربيَّة للمطار، وسكتَتِ المدافع. فانحدَرْتُ من المرتفعِ لأكلِّمَ الرَّاعي، فجلبَ ليَ الخبرَ السَّعيدَ بأنَّ رجالي قد نجَوا وهم عائِدُون إلى غيرداب. ولم يصبْ أحدٌ من المجاهدين بأيِّ أذى! فجاءوا وتناولْنا وليمةً فاخرة.

نتيجةَ القصفِ الكثيفِ السُّوفييتي للمنطقةِ غادرَ العديدُ من المجاهدين المنطقة. وأبلغَنا مخبرونا من داخلِ المعسكرِ السُّوفييتي، بأنَّ المِروحيات أخلَت القتلى والجَرحى من سَمَرخيل إلى مطارِ جلال آباد، وقامَتِ المِروحيات بتنفيذِ 12 طلعةً للإخلاء. وأخبرَنا المخبرونَ بأنَّ أعدادَ القتلى والجَرحى لا تقلُّ عن 200 جندي. وزادَت هذه الهجمةُ من نشاطِ السُّوفييت في المنطقة، وحلَّقتِ المِروحيَّاتُ السُّوفييتيَّةُ على نحوٍ يوميٍ بحثاً عن المجاهدين.

التَّعليق:

كانت معظمُ نيرانِ الهوان التي يطلقُها المجاهدون من الوادي في السُّفوح الخلفية للجبال، يتمُّ تصحيحُها من قبل نقاطٍ مراقبةٍ متمركزةٍ على السُّفوح الأماميَّةِ لهذه الجبال. لأنَّه لم تكنْ للرُّماة فرصةٌ للنجاة إذا ما رمَوا من السُّفوح الأماميَّة، بينما حمتْهُم الأوديةُ في السُّفوح الخلفيَّةِ من نيرانِ المدفعية المضادة للسُّوفييت. ويدلُّ استخدامُ المراقبين الأماميين لتصحيح الرِّمايات على تطوُّرِ قدراتِ المجاهدين.

بالنِّسبةِ للسُّوفييت، كان ينبغي على ضُبَّاطِ مدفعيَّتِهم دراسةُ مرابضِ المجاهدين المحتملة، ومعرفتُها بزمنٍ طويلٍ قبلَ هجومِ المجاهدين. إلا أنَّه على ما يبدو لم يقومُوا بذلك. فهذه خطوةٌ كانَ يجبُ أن يقومَ بها ضُبَّاط الإسنادِ النَّاري أينما توقَّفت قوَّاتُهم. ولأنَّ الحامية كانت تمثِّلُ موقعاً ثابتاً ودائماً، فمثلُ هذه الخطوةِ كانَ عليهم القيامُ بها منذُ سنين. أما بالنِّسبةِ لرقمِ 200 قتيلٍ وجريحٍ، فيبدو رقماً هائلاً وقد يكونُ مُبالغاً في، إلا أنَّ الخطَّة كانت حَسَنَةَ الإعدادِ والتَّنفيذ.

يبدو أنَّ الجهودَ الاستخباراتيَّةَ السُّوفييتيَّة والأفغانيَّةَ في منطقةِ "كامه" لم تكن كافيةً. فقد انطلقَ قادةٌ من أمثال "مولوي شكر ياسيني" للعملِ من المكان نفسهِ طوالَ الحرب، وبكلِّ أريحيةٍ، ومع ذلك، لم يستطعِ الجيشُ الأفغانيُّ تحقيقَ الرَّدِّ بمساعدةِ معلوماتٍ استخباراتيَّةٍ في الوقتِ المناسب. بل كانَ السُّوفييت والنِّظامُ الأفغاني يعرفونَ ياسيني وشكلَه وأصلَه، إلا أنَّهم لم يقدروا أبداً على قتلِه أو أسرِه.

التعليق على الفصل

استخدمَ المجاهدون في عمليَّاتِ القصفِ قواعدَ ناريَّةٍ ثابتةٍ ومتنقلةٍ بعدَ دراسةِ مواقعها. وكانوا يقومُون بنشرِ قواعدِ النِّيران المتنقِّلةِ على مرحلتين:

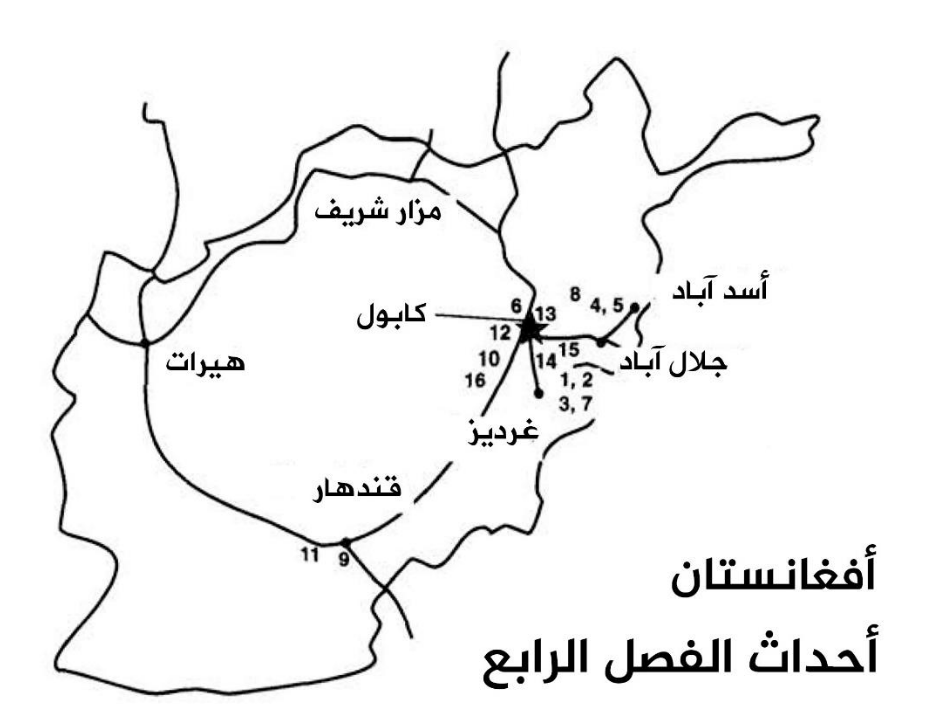
- **الأولى** أثناءَ النَّهار، حيثُ تقومُ مجموعةُ دراسةِ النِّيران بالدُّخولِ إلى المنطقة، وتحديدِ مواقع الأسلحة، والمواقعِ المعيَّنة على الخريطة، والاتجاهات، والمواقعِ المزمعةِ لوضع عِصيّ توجيهِ الرِّمايات، وبياناتِ النِّيران.
- **والثَّانية** أثناءَ اللَّيل، حيثُ تصلُ مجموعةُ الرِّمايةِ في عربةِ جيب لتلتقيَ بمجموعةِ الدِّراسةِ وتنصبَ أسلحتَها، ثمَّ تنفِّذَ رمايةً سريعةً وتنسحبَ بعدها.

استخدمَ المجاهدون أيضاً تكتيكَ "القواعدُ النَّاريَّةُ غيرَ المأهولةِ". وذلك عندَ الرَّمي على أهدافٍ معيَّنةٍ انطلاقاً من مناطقَ تخلو من الغطاءِ والتَّمويه. فيُعاينُ المجاهدونَ هذه المواقعَ نهاراً، ثمَّ ينصبونَ فيها الصَّواريخَ ليلاً على منصَّاتٍ بدائيَّةٍ مؤقتةٍ أو تُستعملُ لمرَّةٍ واحدة، مع ربطِ الصَّواريخ بدائرة الإطلاق تحتوي آليةَ تأخيرٍ، ممَّا كانَ يساعدُ على خروجِ المجاهدين من المنطقةِ قبلَ بدءِ السُّوفييت والنِّظامِ الأفغاني حملةَ بحثٍ عن الرُّماة.

حقَّقت عمليَّاتُ القصفِ نتائجَ مختلطة. فعندما كانت تُشَنُّ على أهدافٍ عسكريةٍ مثل المطاراتِ العسكريَّةِ والحاميات، فإنَّها كانت تُدمِّر أحياناً أهدافاً عسكريةً قيِّمة. وفوقَ ذلك، كانت تمنعُ القُوَّات السُّوفييتيَّةَ والأفغانيَّةَ من النَّومِ والطمأنينة، ممَّا ساهمَ في تحطيمِ معنويَّاتهم. ولكن عندما كانت هذه العمليات تُشنُّ ضدَّ المدن، فإنَّها على الأغلبِ كانت تتسبَّب في قتلِ المدنيين الأبرياء، مِمَّا ضيَّع على المجاهدين كسبَ الأنصارِ داخل المدن. حتى أنَّ بعض المدنيين عبَّروا قائلين: "كانت الحكومةُ تؤذينا في النَّهار، والمجاهدون يقصفونَنا في اللَّيل ".

الفصل الرَّابع: الهجوم على النقاط الحصينة

تَتَشابهُ عادةً عمليَّةُ الهجوم على نقطةٍ حصينةٍ مع الإغارةِ في كثيرٍ من الاعتباراتِ التَّكتيكية والأساليب. إلا أنَّ الفارقَ الواضحَ هو: أنَّه في الإغارةِ كان المهاجمون يُخلونَ الهدفَ بسرعةٍ بعدَ السَّيطرة عليه مباشرةً، بينما يكون الهجومُ على النُّقطة الحصينة بهدفِ السَّيطرة عليها لبعضِ الوقت. وفي أغلب الأحيان يكونُ الغرضُ من وراءِ ذلك دعائيَّاً لكونِ الموقعِ مهمَّاً سياسيَّاً. وعلى هذا الأساس، تحتاجُ هذه العمليَّاتُ لتسليحٍ ومُؤنٍ أكثر.



المقالة الأولى: السَّيطرة على عاصمة مديرية ألينغار

رواية: "نواز خان" و "د عبدالقدُّوس الكوزاي" و"الحاج محمد صديق الله"[81]

في يوليو 1980م، تمَّ توحيدُ مركزِ ناحية "نينغراش" معَ مركزِ مديريَّةِ "ألينغار" في بلدةِ ألينغار. وذلك لأنَّ المجاهدين قد استطاعُوا طردَ النِّظامِ الأفغاني من حصنِ نينغراش الجبلي، كما كانت حكومةُ مديريَّةُ "لنورستان" موجودةً أيضاً في ألينغار. وكانَ هذا الأمرُ شائعاً، بأن يحتفظَ النِّظامُ الأفغانيُّ بحكوماتِ المديريَّات والنواحي التي لا يُسيطَرُ على مناطِقِها، بحيثُ تعقد المجالسُ النِّيابيَّة في المنفى مُمثلةً بنوابٍ نازحين ليكونُوا مندوبينَ عن هذه المناطقِ غيرِ المُسيطرِ عليها. والجديرُ بالذِّكرِ أنَّ النِّظامَ طوالَ الحربِ لم يسيطرْ على أكثرَ من 15 % من الرِّيفِ الأفغاني. وقد قرَّرْنا القضاءَ على جميع هذه الحكوماتِ بالسَّيطرةِ على بلدةِ ألينغار، فحقَّقنا انتصاراً ضخماً فيها.

كانت الكتيبةُ التَّابعةُ للفوج 81 من الجيشِ الأفغاني موجودةً في ألينغار برفقةِ بعضِ الميليشيات.[82] (خريطة 4-1- ألينغار 2) وكانَ لدينا مُخبران من داخلِ الحاميةِ الأفغانيَّة، أحدُهما النَّقيبُ يار محمد الذي كانَ أخاً لأحدِ المجاهدين من مجمُوعتنا، وهوَ من جبلِ صافي، وكانَ يقدِّمُ لنا المعلوماتِ عن خططِ النِّظامِ الأفغاني أولاً بأول. ففتحْنا مع النَّقيب موضوعَ السَّيطرةِ على ألينغار، فوافقَ على تقديمِ

---

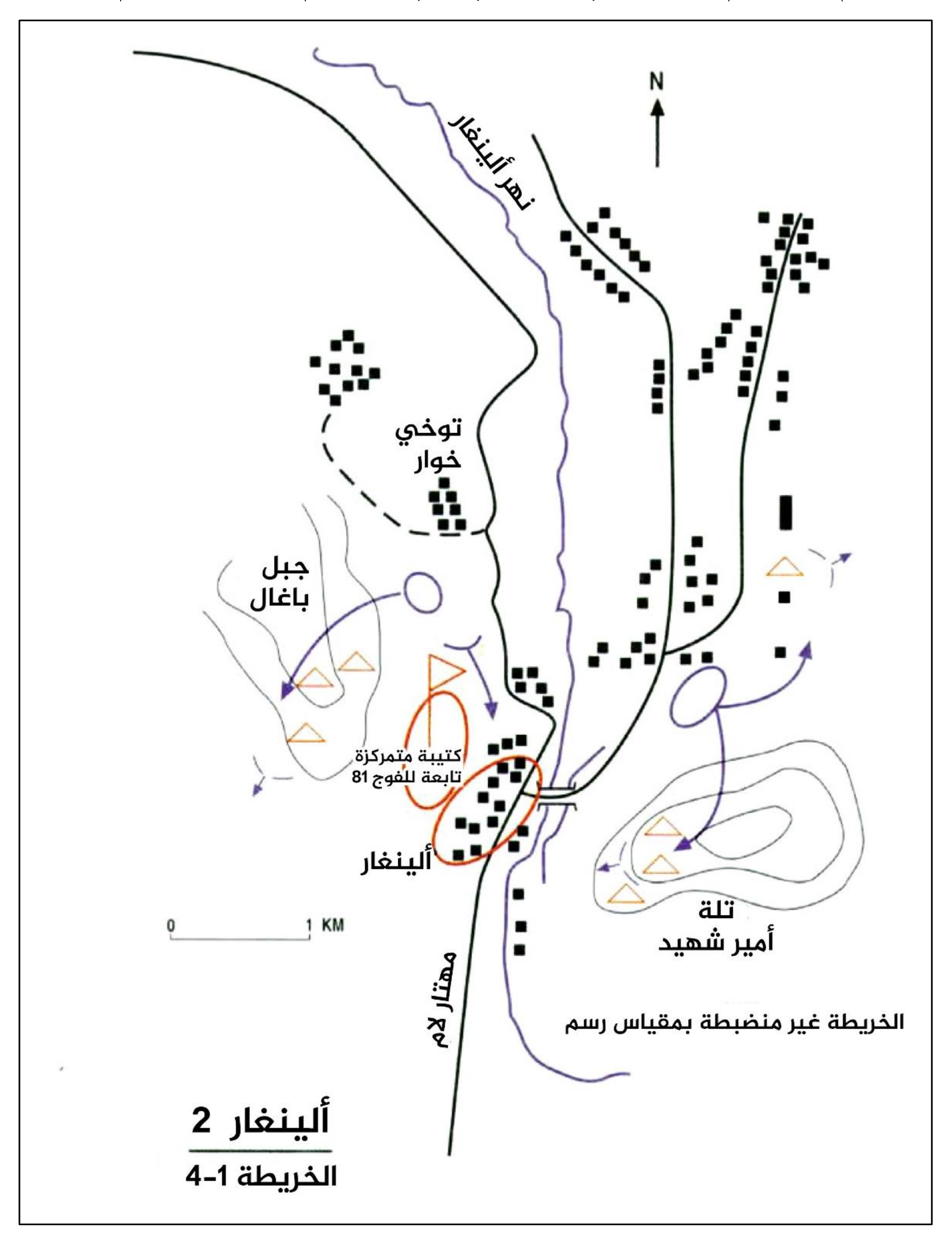
[81] كان "نواز خان" طالباً في الأكاديمية العسكرية الأفغانية قبل انضمامه للمجاهدين. وكان قائداً لهم في "مهتار لام" عاصمة ولاية لغمان. أما الحاج صدّيق الله فقد كان القائد العسكري في ولاية لغمان للحزب الإسلامي التّابع لحكمتيار. وانضم للحزب في القتال ضدّ داوود قبل الثّورة الشّيوعية في أفغانستان. بينما كان الدّكتور عبد القدّوس قيادياً تحت أمرة صدّيق الله، وتطوّع كذلك كطبّي.

[Map sheet 3086, vie grid 2455]

[82] وفقاً للمصادر السُّوفييتية، فإنَّ الفوجَ 71 للمشاة الأفغاني كان متحصِّناً في "مهتار لام"، مع وجود بعضِ قوَّاتِهِ في منطقة ألينغار. بينما تمركزَ الفوجُ 81 للمشاة الميكانيكية جنوباً في ولاية ننغرهار.

General Alexandr Mayorov, Pravda ob Afganskoy voyne [Truth about the war in Afghanistan], Moscow: Prava Chiloveka, 1996, Map set.

المُساعدة لنا. ونتيجةً لذلك، قمْنا بتعريفِهِ على مُخبِرِنا الثَّاني المدعو بيروز، وهوَ طبَّاخُ الحاميةِ الأفغانيَّة. أعطَيْنا بيروز مادةً مخدرةً، واتَّفقَ النقيبُ وبيروز على أنَّ الأخيرَ يقومُ بخلطِ المخدّراتِ مع الطعامِ قبلَ الهجوم، بينما يقومُ الأوَّلُ بإبلاغِنا بعدَ تناولِ العدوِّ لهذا الطَّعام، حتَّى نَشُنَّ الهجوم.



الخريطة 1-4



سألنا الطَّباخَ كم منَ المفترضِ أن يَحضرَ من المجاهدين لاحتلالِ البلدة، فردَّ علينا: "يجبُ ألا يكونَ عددُهم كبيراً جداً فيُشْكِلوا، كما لا يجبُ أن يكونَ قليلاً جداً فيفشلوا"، فقلنا مازحين: "حَسناً، حوالي 70 ألف؟!". فردَّ مَازحاً: "لا، تكفي 10 آلاف". على أيَّة حالٍ، فقد توقَّعنا بأنَّ المُتعاطفين مَعَنا من الجيش الأفغاني سيقومونَ بقتلِ الضُّباط الشُّيوعيين. واتَّفقنا على إشارةِ بدءِ الهجوم، وهي رميُ النَّقيبِ لمخزنٍ كاملٍ من الرَّصاصِ الخطَّاط.

شَكَّلْنا 300 مجاهدٍ في أربعةِ أقسام، ثم فرَّعنا منها مجموعاتٍ ثانويَّةٍ مؤلَّفةٍ من 30 مقاتلاً. اجتمعْنا بقادةِ المجموعات، وأبلغْناهُم بأنْ يحشدُوا رجالَهُم في "توخي خوار" الواقعةِ على بعدِ كيلومترٍ واحدٍ من بلدةِ أليغار، وأن يتمَّ ذلك ليلاً، كما أخبرْنَاهم بأنَّ لدينا مُخبرينَ في الدَّاخلِ من دونِ ذكرِ تفاصيلٍ عنهم. وقمْنا أيضاً بتشكيلِ مجموعةٍ من المَلالي (جمع مُلَّا) وزوَّدناهُم بمكبِّرات صوتٍ، على أن يبدؤوا بعدَ الهجومِ بتوجيهِ نداءاتٍ عبرَ المكبِّراتِ لأفرادِ الجيشِ الأفغانيِّ المُحاصَرِ تطالبُهم بالاستسلام. وقد كانت ساعةُ بدءِ العملِ مُقرَّرةً في مُنتصفِ اللَّيل.

كانَ تعدادُ مجموعةِ نواز خان يبلغُ 150 مجاهداً، مسلَّحين بثلاثةِ رشَّاشات دوشكا، ومدفعين عديمي الارتداد من عيارِ 82 ملم، وكميَّاتٍ من بنادقِ الكلاشنكوف ومدافعِ الهاون. بينما كانت مجموعةُ عبدِ القدُّوس مسلَّحةً بغدارةٍ من طراز PPSH)) السُّوفييتي[83]، وعدداً من بنادقِ المكنظمة

[83] المركز: هو مسدس رشاش سوفيتي، صمَّمه مصمِّمُ الأسلحةِ السوفيتي جورجي شباجن. استخدمَه االجيشُ لأحمر بشكلٍ كبيرٍ خلال الحربِ العالميَّةِ الثَّانية والحربِ الكورية، حيثُ كانَ عددُ الـPPSh-41 الذي صُنعَ

والأسلحةِ الأخرى، مع وجودِ بعضِ المُجاهدينَ غيرِ المسلحينَ فيها. أمَّا بقيَّةُ المجموعات فقد كانَ تسليحُها على نحوٍ مُشابهٍ لمجموعةِ عبدِ القدُّوس.

جاءَت إشارةُ بدءِ الهجومِ قبلَ الموعدِ المُتَّفَقِ عليه بعشرِ دقائق، حيثُ انطلَقَت الرصَّاصاتُ الخطَّاطةُ في الهواء. وعلى الرُّغم من أنَّ الطعامَ المخدّرَ لم يعطِ التَّأثيرَ المطلوب، فقد تمكَّن بيروز مع عَشَرَةِ جنودٍ أفغانٍ مُتعاطفين مَعَنا من قتلِ الضُّبَّاطِ الشُّيوعيين. واستسلَمَت الكتيبةُ الأفغانيَّةُ بمجرَّدِ اقتحامنا لمجمَّعِهم. وكانَ أوَّلُ من دخلَ هو الدُّكتور نصَّار، والذي قد أتمَّ في تلكَ السَّنة دراسَتَه في مصر.



غدارة PPSH

كانَ ذلكَ في الأوَّلِ من يوليو/حزيران 1980م. وكانَ المجاهدون قد نَشَرُوا قوَّاتِهم شمالَ مركزِ المُديريَّةِ وجنوبَها وغربَها. حيثُ قامَت إحدى المجموعاتِ بالهجومِ على مركزٍ أمنيّ أفغانيّ يقعُ على جبلِ باغال شمالَ غربَ أليناغار. وقامت مجموعةٌ ثانيةٌ بالهجومِ على طولِ الطَّريقِ الرَّئيسي الذي كانَ يمتدُّ شرقَ النَّهر. كما قامَت مجموعةٌ ثالثةٌ بالهجومِ على الجسرِ للاستيلاءِ عليه والعبورِ منه. بينما قامَت مجموعةٌ رابعةٌ بالهجومِ على مركزٍ أمنيّ أفغانيّ على تلَّة "أمير شهيد" الواقعة جنوبَ غربَ أليناغار.

لم يكنْ أفرادُ الجيشِ الأفغانيّ يرغبُون في قتالِنا، لكنَّ الميليشياتِ المحلِّيَّةَ قد كانت على العكس من ذلك، حيثُ امتنعَت عن الاستسلامِ لنا، واستمرَّت في قتالِنا، وكانت هذهِ الميليشياتُ لا تزالُ تحمي عِدَّةَ جيوبٍ حُكوميةٍ في أليناغار ونورستان ونينغراش. فتعاوَنَ الجيشُ الأفغانيُّ معنا ووجَّهُوا أسلحتَهُم نحوَ الميليشيات. قُتِلَ في تلكَ المعاركِ حاكمُ مديريَّة أليناغار، بينما تمكَّن ثمانيةٌ أو تسعةٌ من معاونيهِ

أكثرَ من 6 ملايين خلال الحربِ العالمية الثانية .كما استُخدم في حرب فيتنام، والحرب الأهلية الصينية، والحرب الأهلية الكمبودية، وفي غزو خليج الخنازير وغيرها.

من الهربِ نحوَ "مهار لام". ومعَ ذلك، استطعْنا السَّيطرةَ على ألينغار وَقَضَينا على حكومةِ "نينغراش" و"ألينغار" المحلِّيَّة.

في البدايةِ تمكَّن 30 مسؤولاً حكوميَّاً لولاية نورستان من الهربِ، إلا أنَّنا استطعْنا إبادَتَهم بتقاطعٍ ناريٍّ حقَّقناه. وأخذَ أحدُ المجاهدين بثأرِه من محافظ نورستان الذي كانَ قد قتلَ أخاهُ من قبل، حيثُ استطاعَ تصفيَتَهُ. وفي لحظةٍ ما.شاهدَ صدّيقُ الله مجموعةً مجهولةً تَجُرُّ "سيدغول"، وهوَ أمينُ سرِّ الحزبِ الشُّيوعي في ألينغار، فظنَّها من الأعداء. في تلكَ اللَّحظة لم يكن لدى صدّيق الله بندقيةٌ، حيثُ كانَ قد أعارَها لأحدِ أصدقائه، فقامَ بِطَرقِ حجرين مع بعضٍ كي يقلّدَ صوتَ بندقيَّةِ المَكَنظمة وواجَهَهم. ولكن عندما علِمَ أنَّ هذه المجموعةَ تابعةٌ للمجاهدين، وبقيادةِ "مولوي رحيم" الذي أخبرَه بأنَّه أسرَ مَن ظنُّوه مجرَّدَ جنديٍ أفغانيٍ، قامَ صديق الله بإظهارِ الهُوِيَّةِ الحقيقيَّةِ للسجين وعرَّفَه بأنَّه سيدغول وأخبَرَهُم بأهميَّة شخصِه. استمرَّ المجاهدون عبرَ اللَّيلِ في محاصرةِ المسؤولين الأفغان الهَاربين ومطارَدَتِهم. وانتهى القتالُ عندَ الفجر.

كانت إحدى المجموعاتِ المُشاركةِ في العملِ مجموعةً من المُراهقين تَتَراوحُ أعمارُهم بين 13 إلى 18 سنة، وكنَّا نسمّيهم "خندك يانو" (رجال الخنادق) (bull terriers). وأثناءَ القتال، كانَ أحدُهم فتىً بعمر 14 سنةٍ يقاتلُ قتالاً مُستميتاً في اشتباكٍ قريبٍ مع مُدرِّبٍ رياضيٍّ للجيش الأفغاني يُدعى شريف. ولِحُسْنِ حظِّه جاءَ مجاهدٌ آخر فقتلَ شريف.

كانت حصيلةُ العملِ قتلَ 285 من المسؤولين الحُكوميين والشُّرطةِ والجنودِ الأفغان والميليشيات والموظَّفين الحُكوميين المَدَنيين.[84] كما اغتنمْنا 80 قطعةَ سلاحٍ ثقيلٍ، وَعَربتين مُدَّرعتين، و1200 سلاحٍ صغير. وتضمَّنت الأسلحةُ الثَّقيلةُ مدفعاً جبليَّاً من عيار 76 ملم، ومدفعاً مَيدانيَّاً من عيار 76

[84] صرَّح صدّيق الله بأنَّ خسائرَ النِّظام الأفغاني قد وصلَت إلى 120.

ملم، ورشّاشات 14.5 بسبطانةٍ واحدةٍ مثبّتةٍ على قواعد، وهاون من عيار 107 ملم[85]، وعدّةَ مدافع دوشكا رشّاشة ثقيلة، وبعضاً من مدافع الهاونِ عيارِ 82 ملم. واستسلمَ كثيرٌ من الموظّفين الحُكوميين لنا. وقد كانَ هذا الفتحُ بمثابةِ منجمٍ من الذّهب بالنِّسبة لنا. بينما كانت خسائرُ مجموعةِ نواز خان ثلاثةَ قتلى وسبعةَ جرحى، أمَّا مجموعةُ صدّيق الله فقد خَسِرت قتيلين فقط.

الجديرُ بالذِّكر أنَّنا استطعْنا الإمساكَ ببلدةِ ألينغار لبعضِ الوقت إلى أنْ جاءَت حملةٌ مشتركةٌ بينَ الجيشِ السُّوفييتيّ والأفغاني، ودفعتْنا خارجَ البلدة، ثمَّ أعادَت تأسيسَ الحكومةِ المحلّيّة فيها.



هاون عيار 107 ملم

التَّعليق:

كانت ألينغار تبعدُ مسافةَ 30 كيلومتراً عن "مهتار لام" (عاصمةُ ولاية لغمان). وفي تلكَ الفترةِ من الحربِ كانَ المُجاهدون مُصَمّمينَ على السَّيطرةِ على المراكزِ السّياسية، حتّى يستطيعُوا إعلانَ حكومةٍ شرعيَّةٍ في أفغانستان. في المقابلِ كانَ النِّظامُ الأفغانيُّ مُصَمِّماً على منع ذلك.

---

[85] هي طرازٌ مصغَّرٌ من مدافع الهاون عيار 120 ملم صالحةٌ للحملِ على الدواب من أجلِ استخدامِها من قبلِ الوحداتِ الجبلية، وهو السّلاحُ القياسيُّ للأفواجِ الجبلية. ويمكنُ أن ترميَ 15 قذيفةٍ في الدَّقيقة، ومداها الأقصى 5150 متر للقذائفِ الثَّقيلة و6300 مترٍ للقذائفِ الخفيفة.

المقالة الثانية: معركة تحرير "بانجوايي"

الرواية مبنية على مقابلة مع "الملّا مالانغ"[86]

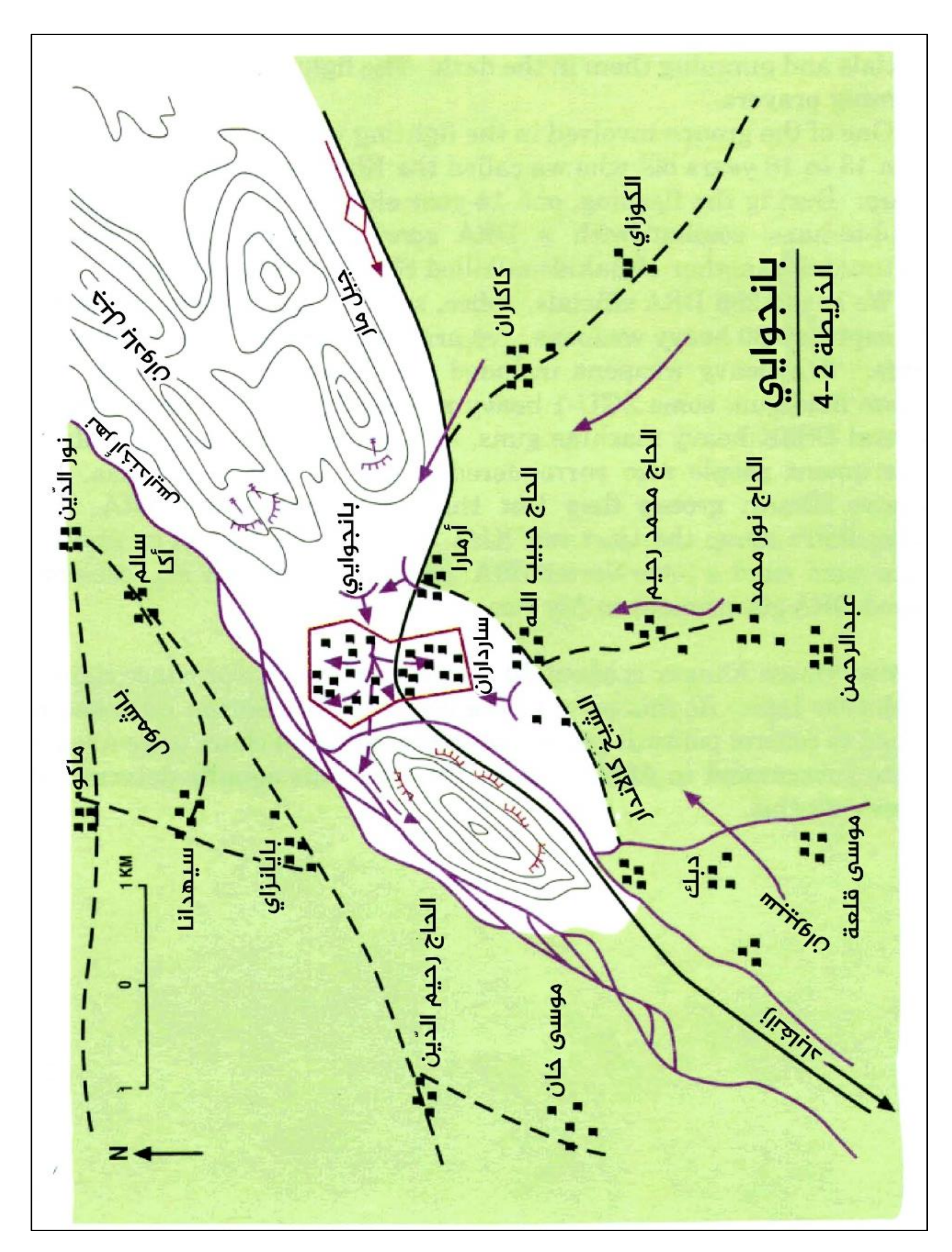
في سبتمبر 1982م، كانَ النّظامُ الأفغانيُّ -مدعوماً بالقُوّاتِ السُّوفييتيَّة- يحاولُ فرضَ السَّيطرةِ على بانجوايي مركزِ مديريَّة بانجوايي (خريطة 4-2-بانجوايي). وتقعُ بانجوايي على بُعدِ 25 كيلومتراً جنوبَ غربَ قندهار. وقد كانت هذه المديريَّةُ ذاتَ أهميَّةٍ عسكريَّةٍ لكلا الطَّرفين، لكونِ البلدةِ والتّلالِ المحيطةِ بها توفِّرُ قاعدةً مواتيَةً للعملِ العسكريّ في المنطقةِ الخضراءِ التي كانت تمتدُّ على طولِ الطَّريقِ إلى مدينةِ قندهار. كما كانت هذه المنطقةُ ساخنةً وتمثّلُ حاضنةً للمقاومة، وكانَ في صالحِ جميع المجاهدين المحلّيين السَّيطرة عليها. اجتمعَ قرابةُ 1000 مجاهدٍ قربَ بانجوايي لِغَرَضِ السَّيطرةِ عليها. وقد كانَ هذا العملُ تحتَ إدارةِ "الملَّا مالانغ" وبعضِ القادةِ الآخرين، وكانَ الملا مالانغ قائداً في الحزبِ الإسلاميّ التابع لمَولوي يونس خالص.

كانت البلدةُ محميَّةً من قِبَلِ ميليشياتٍ أفغانيَّة يزيدُ عَدُدَها عن 300 مقاتلاً، حيثُ كانُوا يقطنونَ فيها رفقةَ عوائلهم. وقد حولَّت أفرادُ هذهِ الميليشيات بيوتَهم وجميعَ المباني الأخرى إلى مواقعَ مُحصَّنة، كما أنشؤوا مواقعَ مُحصَّنة جاهزةً للرَّماية فوقَ أَسطحِ البنايات، واحتلُّوا المُرتفعاتِ الحاكمَةَ على البلدةِ والمقتربات المحيطة بها، وقامُوا بتحصينِها. بدأَ المجاهدونَ العملَ بحصارِ البلدةِ وقصفِها لمدَّةِ يومين، إلا أنَّ تأثيرَ القصفِ كانَ لا يُذكَر على المدافعين، بل إنَّ المجاهدين قد وجدُوا أنفسَهم في مَرمَى نيرانِ مدفعيَّةِ العدوِّ وقصفِه الجوي. فاضطرَّ معظمُهم للانسحابِ إلى القريتين المُجاورتين؛ "سبيروان" و"زانغاباد".

في اليومِ الثَّالث من العمل، قرَّر القائدُ ملا مالانغ اختراقَ البلدةِ بمجموعةٍ صغيرةٍ من 25 مجاهداً والسَّيطرةَ على عددٍ من المَواقعِ الحاكمةِ في مقترباتها. وفي الظَّهيرة قادَ مالانغ المجموعةَ، ودخلَ بها

[86] كانَ الملا مالانغ أحدَ أشهرِ القادةِ في منطقة قندهار. ويتبعُ الحزبَ الإسلاميَّ بقيادةِ المولوي يونس خالص.
Mapsheet 2180, vic grid 4794

من الجهةِ الجنوبيَّةِ للبلدةِ ومع أفرادِها العديدُ من المجارفِ والمَعَاول، فقامُوا -وبكلِّ هدوءٍ- بفتح ثغرةٍ عبرَ جدارِ اللَّبنِ إلى داخلِ أحدَ البيوت. وبمجرَّدِ دخولِهم، بدؤُوا التَّقدُّمَ من بيتٍ إلى بيتٍ من خلالِ فتح الثَّغراتِ عبرَ الجدران. ولم يلاحظْ أفرادُ الميليشيات الذين كانُوا على أسطح البنايات تسلُّلَ المجاهدين على الإطلاق، إلى أن فتحُوا ثغرةً في جدارٍ أدَّت بهم إلى باحةٍ مَكشوفة.



اندفعَ المجاهدون إلى الباحةِ شاهرين أسلحتَهم، فباغتُوا عناصرَ الميليشيات الذين ظنُّوا بأنَّ المجاهدين قد سيطرُوا على البلدة بأكملِها، فولَّوا الأدبارَ هاربين. واستطاعَت مجموعةُ الملا مالانغ تأمينَ منطقةٍ آمنةٍ، ثمَّ نادَوا على المجاهدين خارجَ البلدةِ بأن يتقدَّمُوا، فأتَت المئاتُ منهم وباشرَت بتمشيطِ البلدةِ

من جنوبِ شرقِها حتَّى شمالِ غربِها، ليصلوا إلى ضفَّةِ نهرِ أرغنداب. وعبرَ التَّسلل أيضاً من ثغراتِ الجُدرانِ وتجنب الشَّوارعِ، قامَت قُوَّاتُ المجاهدين بتطهيرِ كلِّ بناياتِ البلدة. وعلى الفورِ، تَسَلَّقَ مجاهدونَ آخرونَ الأسطحَ ليشغلُوا مواقعَ الرِّمايةِ المحصَّنة. ولم يبقَ تحتَ سيطرةِ الميليشيات إلا بناياتُ مركزِ المديرية. وفي تلك اللَّيلةِ عزَّزَ المجاهدون انتصارَهم بالهجومِ عليها، إلا أنَّهم لم يتمكنُوا من السيطرةِ عليها إلا في اليومِ التَّالي.

تكبَّدت الميليشياتُ خسائرَ فادحةً، وانسحبَت نحوَ تلَّةٍ مجاورةٍ، فبدأتِ القُوَّاتُ الحكوميَّةُ في البلدةِ بمفاوضةِ المجاهدين، إلا أنَّها على ما يبدو كانت تَسعى من ذلك لكسبِ الوقتِ لا غير. فبينما كانت المِفاوضاتُ جاريةً، وصلَ رتلٌ سُوفييتيٌّ وأفغانيٌّ من المدرَّعات إلى قندهار، فانسحبَ المجاهدون إلى داخل بانجوايي.

وفي اللَّيلة التَّالية، هجَمَ العدوُّ على بانجوايي وحدثَت معركةٌ رهيبةٌ عمَّت كلَّ بيوتِ البلدةِ وشوارعَها. واشتبكَ المجاهدون مع العدوِّ من المواقعِ المحصَّنةِ على أسطحِ البنايات. وفي النِّهاية، تعذَّرَ على المجاهدين الدِّفاعُ عن مواقعِهم نتيجةَ القُوَّةِ القتاليةِ الهائلةِ التي جاءَ بها العدو. فانسحبُوا في مجموعاتٍ صغيرةٍ تحتَ جنحِ الظَّلام. وأعادَ النِّظامُ فرضَ الحكومةِ في مديرية بانجوايي.

التَّعليق:

أدركَ المجاهدون شيئاً فشيئاً بأنَّ السَّيطرةَ على المراكزِ الإداريَّةِ للنِّظام الأفغاني أمرٌ سهلٌ للغاية، إلا أنَّ الاحتفاظَ بها كانَ مُتعذراً نتيجةَ الرَّدِّ السَّريع السُّوفييتيُّ أو الأفغانيُّ. فقد كانت القُوَّاتُ السُّوفييتيَّةُ والأفغانيَّة تؤمنُ بضرورةِ الحفاظِ على سيطرةِ الحكوماتِ المحَلّية على المناطق، فكانت تخوضُ المخاطرَ وتفعَلُ المستحيلَ في سبيلِ الحفاظِ على هذه المراكزِ الإداريَّة، حتى لو كانَ المجاهدون يضيّقون عليها الخناق. وقد كانت تقومُ بذلك لأنَّ السَّيطرةَ على مركزِ المديرية بنظرِها كانت ترمزُ للسَّيطرةِ على المديرية، وإن كانَ الواقعُ يخالفُ ذلك غالباً. ففي بعضِ المديريَّاتِ النَّائية، كانت الحكومةُ لا تسيطرُ إلا على مبانٍ قليلةٍ في قلبِ البلدة التي تمَثّلُ مركزَ المديرية. ومع ذلك، وبالرُّغم من كلِّ التَّكاليف في الأرواح والمعدَّات، وبالرُّغم من انعدامِ قيمةِ مراكزِ المديريَّات النَّائية هذه من النّاحية العسكرية، فإنّ الحكومةَ لم تؤلْ جهداً في الحفاظِ عليها. كانت هذهِ السّياسةُ تعزّزُها الأهمِيَّةُ السِّياسيةُ للحفاظِ على السَّيطرة -ولو كانت اسميةً- على جميع الولايات والمديريَّات والنَّواحي في البلاد التي تَمَرَّدُ على الحكومةِ المُنَصَّبة من قبلِ المحتلِّ الأجنبي.

تُظهرُ معركةُ بانجوايي سهولةَ السَّيطرةِ على مركزِ مديريَّةٍ معزولةٍ، إلا أنَّها تُظهر كذلك ضعفَ مقاومةِ المجاهدين خلالَ التَّصدي والدِّفاع عن البلدةِ في وجهِ قُوَّاتٍ سوفييتيَّةٍ وأفغانيَّةٍ متفوقة. ولهذا السَّبب، لم يستطعْ المجاهدون السَّيطرةَ على مراكزِ الولايات والمديريَّات الكبيرة إلا في نهايةِ الحرب، حيثُ أن مصدرَ قوَّةِ المقاومة لم يكن يكمُنُ في المُدن والبلدات، بل في المناطقِ الرِّيفيَّةِ والمئاتِ من طرقِ الإمدادِ عبرَ الحدودِ التي حافظُوا على سيطرتِهم عليها طيلةَ الحربِ كلِّها.

من النَّاحيةِ التَّكتيكيَّة، استطاعَت مفرزةٌ من 25 رجلاً فعلَ ما عَجَزَت عنه قوةٌ من ألفِ مقاتل. وقد تمكَّنُوا من تحقيقِ ذلك من خلالِ توظيفِ عاملِ المُباغتةِ واستخدامِ مقاربةٍ غيرِ مباشرة. إلا أنَّ افتقادَ السَّيطرةِ العمليَّاتيَّة المحكَمَةِ تركَت المجاهدين ضعفاءَ. فبعدَ السَّيطرةِ على بانجوايي، أصابَ الغرورُ المجاهدين، فتركُوا الاستعدادَ للعدو ولم يهتمُّوا بالتعاملِ مع الهجومِ المضاد. وفتحُوا مطمئنين بابَ المُحادثات مع الميليشيات، بينما كانَ عدوُّهُم يُشّكل قوةً عسكريةً ويتحرَّك للرَّدّ.

لقد فشلَ المجاهدون في تعزيزِ مكتسباتِهم التي حقَّقوها، حيثُ لم يقومُوا بإنشاءِ مواقعَ دفاعيَّةً على التِّلالِ شرقَ بانجوايي وغربَها، وعلى نهرِ أرغنداب شمالها. وفشلُوا أيضاً في نشرِ قُوَّات استطلاعٍ وقُوَّات كمينٍ على المقتربات المحتملَة للعدوِّ نحو بانجوايي. لذا، لم تواجِهْ قُوَّةُ الإنقاذِ السُّوفييتيَّةِ والأفغانيَّةِ أيَّ مقاومةٍ في طريقِها للمعركة، لا بسلسلةٍ من الكمائن ولا بمواقعَ محصَّنة للمجاهدين. واستطاعَت مباغتةَ المجاهدينَ المُنتصرين في بانجوايي.

ومن النَّاحيةِ التَّكتيكيَّةِ أيضاً، لقد استوعَب المجاهدون بسرعةٍ أنَّ التَّحرُّكَ عبرَ الشوارعِ كانَ عملاً مُستحيلاً وانتحاريَّاً في قتالِ المدن. مع ذلك، فإنَّ الطَّبيعةَ العفويَّةَ للمجاهدين المُتطوعين غيرَ المنتظمين جعلَ السَّيطرةَ عليهم أمراً صعباً. حيثُ كانُوا يشتركونَ في المعاركِ ويغادرون متى شاؤوا. بل غالباً ما كانُوا يغادرون دون أن يكلِّفُوا أنفسَهم إبلاغَ قائدِ التَّنسيق بذلك.

المقالة الثَّالثة: الهجوم على حامية بوديَّالاي

رواية الدُّكتور محمد صادق[87]

كانت في "بوديَّالاي" قرب مديرية شيوا[88] مراكزُ أمنيَّةٌ تابعةٌ لكتيبةِ حرسِ الحدود الأفغاني،[89] وكانت هذه المراكزُ واقعةً على المُرتفعاتِ الحاكمةِ على وادي نور الذي يمتدُّ نحوَ الشَّمالِ من بوديَّالاي. وقد قرَّرْنا الهجومَ عليها في مارس/آذار 1983م، (خريطة 4-3 بوديَّالاي). وكان لديَّ 65 مجاهداً، مسلَّحين برشَّاش دوشكا، ومدفع هاون عيار 82 ملم، وأربع قواذف آر بي جي – 7، و22 بندقيةِ كلاشنكوف، وأسلحةٍ صغيرةٍ أخرى.



وفي ذلك الوقت، لم نمتلكْ قاعدةً دائمةً، بل كُنَّا نتنقَّلُ من قريةٍ إلى أخرى في وادي نور. فنزلْنا من الجبالِ في الشَّمال عبرَ الوادي الجانبي، الذي ينفتحُ إلى "زيرايبابا"، وهي على بُعدِ ثماني كيلومتراتٍ

---

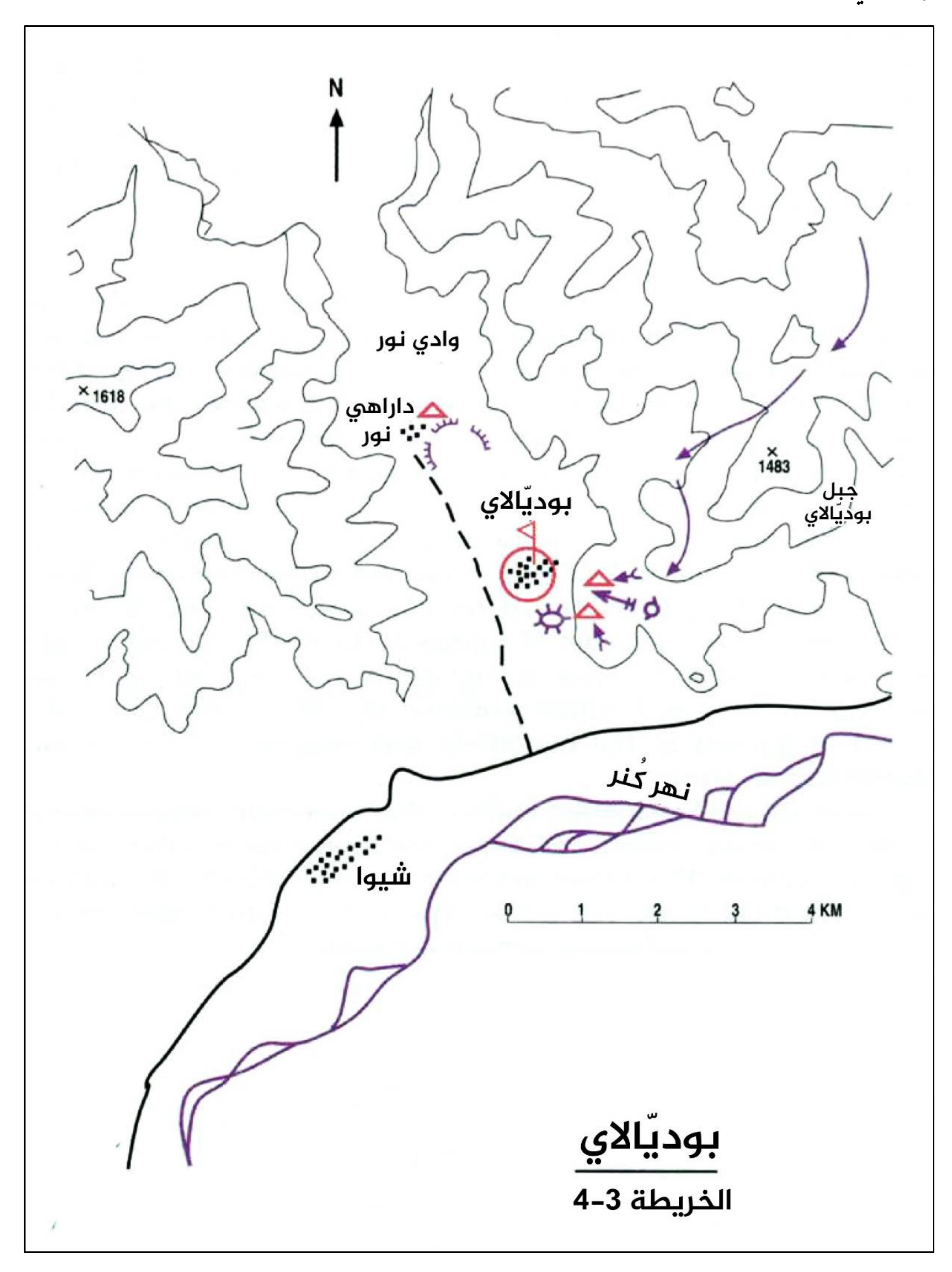
[87] الدكتور محمد صادق كان قائداً للحزب الإسلامي بقيادة حكمتيار في ولاية كنر.

Map sheet 3186, vie grid 4830

[88] المركز: تُدعى كذلك كوز كُنر (كنر السّفلى)

[89] على الأرجح هي تابعةٌ للكتيبة 902 لحرس الحدود.

شَرقاً. وتحرَّكنا من الوادي عبر ممرٍّ جبليٍّ حتَّى نصلَ إلى الجانبِ الشَّرقي من وادٍ رئيسيٍ في جبل بوديَّالاي.



بوديّالاي
الخريطة 3-4

نصبْنا رشَّاشَ دوشكا ومدفعَ هاونٍ قربَ قمَّةِ جبل بوديَّالاي. وقمْتُ بتقسيمِ قوَّاتي إلى أربعِ مجموعاتٍ. نشرْتُ الأولى على الجهةِ الجنوبيَّةِ من حامية الكتيبةِ لتثبيتِها، ومنعِ وصولِ أيِّ مساعداتٍ من الجنوب، ونشرتُ الثَّانية مقابلَ قاعدةٍ للجيشِ الأفغاني في قرية "داراهي نور" لتثبيتِها. بينما ثبَّتُّ الثَّالثةَ مقابلَ مركزَينِ أمنيين للكتيبةِ على جبلِ بوديَّالاي. وكانت الرَّابعةُ عبارةً عن مجموعةِ إسناد، وهي التي شغلَت موقعَ الدُّوشكا والهاون على قمَّةِ جبل بوديَّالاي.

بدأنا الهجومَ بعدَ منتصفِ اللَّيل. وحقَّقَت إحدى قذائفِ الهاون إصابةً مباشرةً على قاعدةِ عمليَّاتِ القُوَّات الأفغانيَّة، فتسبَّبَت في مقتلِ جنديٍ وإصابةِ خمسةٍ آخرين. واستمرَّ القتالُ لمدَّةِ ساعتين ونصف، إلا أنَّنا لم نستطعْ السَّيطرةَ على أيِّ من المَركزَيْن. ومع بزوغِ الصَّباح، كان علينا الانسحابُ لأنَّنا كنَّا مُحاطين بالأعداء، وكنَّا على وشكِ فقدِ التَّفوُّقِ اللَّيلي. فانسحبْنا عبرَ الممرَّاتِ الجبليَّةِ ذاتِها. وكان لديَّ مجاهدان جريحانِ جرَّاءَ العمل.

التَّعليق:

استطاعَ المجاهدون مضايقةَ الكتيبةِ الأفغانيَّة، إلا أنَّهم افتقرُوا للقوَّةِ القتالية الكافية لإسقاطِ أيٍّ من النُّقطتين، ويعودُ السَّببُ في ذلك إلى أنَّ معظمَ القُوَّاتِ كانت منشورةً لمنعِ القوَّاتِ الأفغانيَّةِ من إيصالِ التَّعزيزاتِ لهذه النِّقاط المُحَاصَرة. وحتى لو استطاعَ المجاهدون إسقاطَ النُّقطتين، فلن يبقى وقتٌ كافٍ إلا لجمعِ الغنائمِ والمُغادرة فوراً.

عادَ المجاهدون من الطُّرَقِ التي أتَوا منها. ولو كانت هناك شبكةٌ فعَّالةٌ من المخبرين الحكوميين، لاستطاعَ العدوُّ إيقاعَ المجاهدين في كمائنَ لدى عودتِهم. كما افتقرَ المجاهدون لأجهزةِ الاتِّصالِ السَّريعة واللاسلكية، وهو ما جعلَ السَّيطرة على المعاركِ في أحسنِ أحوالِها مليئةً بالمَشَاكل.

المقالة الرابعة: الهجوم على "سوروباي"

رواية "توريالاي همّة"[90]

كانَ هناكَ الكثيرُ من المُتعاطفين معَ النِّظامِ الأفغانيِّ في وادي نازيان. وهو ما جَعَلَنا نطلقُ على هذهِ المنطقة اسمَ "موسكو الصُّغرى" كما كانَ يسميها الكثيرُ من المهاجرين العرب الذي جاؤُوا للجهاد معنا.[91] وكانت مديريَّةُ وادي نازيان تقعُ في سوروباي، وكانَ جميعُ سكَّانِها من المُتعاطفين مع الشُّيوعيين. وفي يوليو/حزيران 1985م، قرَّرنا السَّيطرةَ على مركزِ المديريَّة (الخريطة 4-4-سوروباي).

فنظَّمنا عملاً مُشتركاً يجمعُ قُوَّاتِ كلٍّ من الحزبِ الإسلاميِّ (فصيل حكمتيار) والاتِّحادِ الإسلامي لتحريرِ أفغانستان بقيادةِ سيَّاف وحركةِ الانقلابِ الإسلامي[92] والحزبِ الإسلامي فصيل يونس خالص. وكانَ هناك حوالي 1000 مجاهدٍ في منطقةِ جبلِ مارو المنيعة، متوزِّعين على قواعدَ مختلفةٍ.



[90] كان "تورلاي همَّة" قائدَ فوجِ القوَّة المتنقلةِ المتحالفةِ مع الاتحاد الإسلامي لتحريرِ أفغانستان التَّابعة لسيَّاف. وقاتل في العديد من الولايات الأفغانية. [Map sheet 3185, vie grid 8299]

[91] أطلقَ المهاجرونَ العرب اسم موسكو الصُّغرى عليها. وكان قد قَدِمَ كثيرٌ من العرب إلى أفغانستان من أجل الجهاد. ولكن انطباعَ الأفغان تجاهَ العرب -هذا ما جمعناه من المقابلات- كان سلبيًّاً، حيثُ اعتقدُوا أنَّهم كانُوا أناساً مرائين، ومهتمِّين بالتقاطِ الفيديوهات أكثر من القتال.

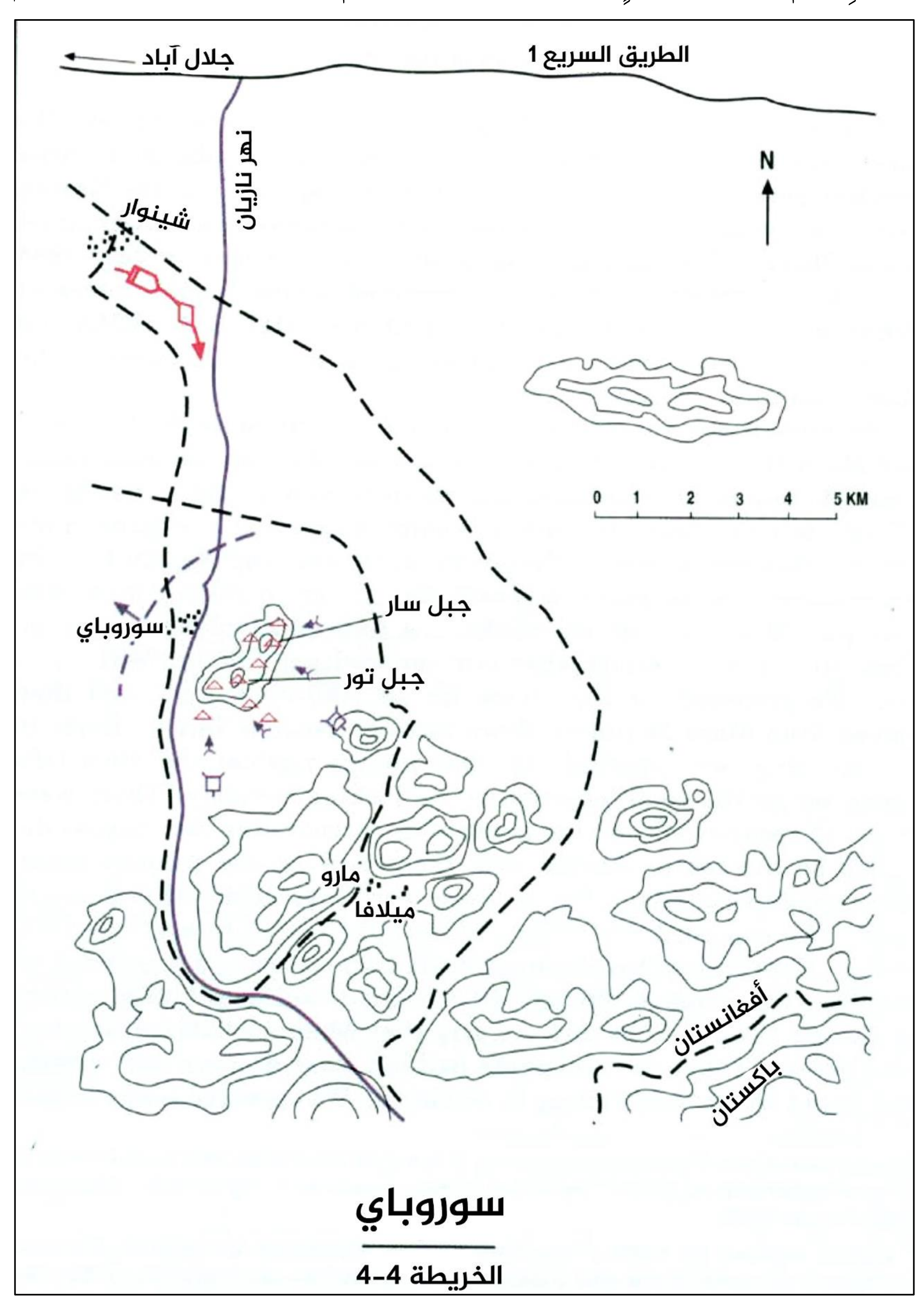
[92] حركة الانقلاب الإسلامي (IRMA): أسسها محمد نبي محمدي، وهو حزبٌ معتدل (إسلامي تقليدي).

كانت سوروباي تقعُ على بعدِ 12 كيلومتراً شمالَ قاعدة "ميلافا" وجبالَ "مارو"، وكان يستغرقُ السَّيرُ إليها على الأقدامِ عبرَ الجبالِ ستَّ ساعاتٍ. كانَ لديَّ 80 مجاهداً تحتَ قيادتي، وكانُوا مُدَجَّجين بالسِّلاح. حيثُ كانَ بحوزتِنا ثلاثُ راجمات بي أم - 12 وبعضُ مدافع الهاون المتوسّطة والكثيرُ من الرَّشاشاتِ الثَّقيلة. وقد قرَّرنا القيامَ بعملٍ هجوميّ للاستيلاءِ على مركزِ المديريَّةِ هو في الحقيقةِ أشبهُ بالحربِ النِّظاميَّةِ منه بحربِ العصابات. فاستقدمْنا على مَدى أسبوعين قوافلَ إعادةِ الإمدادِ لقاعدةِ ميلافا، لاستكمالِ ذخيرتِنا من الرَّصاص وصواريخ الرَّاجمات. واستغرقْنا أسبوعاً إضافياً للاستعدادِ للهجومِ، ثمَّ انطلقْنا من جبلِ مارو نزولاً نحوَ وادي نازيان.

وفي الصَّباح الباكر، نشرْنا مجموعاتِنا الأولى مقابلَ نقاطِ المراقبةِ الأفغانيَّة التي كانت تنتشرُ على التِّلالِ المُطلَّة على سوروباي. وقد كانَ هناكَ حوالي 12 نقطةِ مراقبةٍ أمنيَّةٍ متمركزةٍ على المُرتفعاتِ المُحيطة بسوروباي، وهو ما جعلَ عمليَّةَ مركزِ المديريَّةِ تبدأُ بالهجومِ على هذه النِّقاط. وبعدَ القيامِ بالتَّمهيدِ النَّاريِّ الكثيف على هذه المواقع، هاجمْناها بشكلٍ مباشر، وتمكَّنَّا من السَّيطرةِ عليها. وبحلول السَّاعة 10:00، كنَّا قد تمكَّنَّا من إسقاطِ جميع المراكزِ الأمنيَّة على جبلي "سار" و"تور"، ثم وجَّهنا القصفَ نحوَ مركزِ المديريَّة، ونزلْنا بعدها نحو سوروباي. وتزامناً مع تقدُّمنا على مركزِ المديريَّة، بدأَ المسؤولونَ الحكوميونَ وجنودُ الجيشِ الأفغاني وعائلاتُهم بالفِرار. فغادرُوا على عجلةٍ من أمرِهم. وعند دخولِنا البلدة، وجدنَاهم قد تركُوا طعامَ العشاء ولم ينضجْ بعد، وعجينةَ الخبزِ ولم تُخبز بعد. فاستولينا على الكثيرِ من الوثائقِ الحكوميَّةِ المُهمة، وأرسلنُاها إلى بيشاور. بينما أرسلْنا أسرى النِّظامِ الأفغانيِّ إلى "لانداي". وقد كانت خسائرُنا في هذه المعركةِ سبعةَ قتلى، كما بقينا في سوروباي طوالَ اللَّيل.

ردَّ العدوُّ بإرسالِ قوَّاتٍ من جلال آباد باتجاهِنا. وبدأت نيرانُ مدفعيَّةِ العدو تتساقطُ بكثافةٍ على مراكزِ المُراقبة فوقَ المُرتفعات التي احتلَلناها. كما بدَأَت الطائراتُ الحربيَّةُ بقصفِنا تزامناً مع اقترابِ عرباتِ العدوِّ المدرَّعة. لم نستطع الصُّمودَ في مركزِ المديريَّةِ أمامَ القصفِ المُدفعي والجوّي فأخليناَها سريعاً. وقد سقطَ العديدُ منَّا قتلى، فمن مجموعتي فقد خَسِرْتُ سبعةَ رجالٍ، وتركْنا جثَّةَ أحدِهم (وهو

المدعو أحمد سيد)، وقد كانَ يلبسُ بدلةً عسكريَّةً مُموهةً. وفي اليومِ التَّالي صرَّحَت إذاعةُ النِّظامِ الأفغانيِّ بأنَّهم تعرَّفُوا على مرتزقةٍ صينيين من بين القتلى، ولعلَّهم قصدُوا شهيدنا أحمد من هذا الكلام.



سوروباي

الخريطة 4-4

وبعدَ يومين، هَجَمْنا على سوروباي ثانيةً، وفي هذه المرة أيضاً خسرتُ سبعةً من رجالي. وبمجموع هذه الأعمال خسرتُ 21 من 80 مجاهداً، ولا أعلم ما هي خسائرُ العدو، إلا أنَّني رأيتُ بعيني 15 جثةً لجنودِهم عندما احتلَلنا سوروباي. وبعدَ هاتين العمليَّتين، عادَت قوَّاتُنا إلى قواعدِنا.

التَّعليق:

كانت السَّيطرةُ على مراكزِ المديريَّات تُحقّقُ للمجاهدين تفوَّقاً سياسيَّاً، وكانت تمنحُهم درجةً من الشَّرعيَّة السّياسية. إلا أنَّ هذه المراكزَ كانت تقعُ في أرضٍ سهلةِ الوصول، ولا تصلحُ للدِّفاع ضدَّ المِدفعيَّة الحديثة والقوَّةِ الجوية. وفي هذه المعركة، تحوَّلَ المجاهدون من حربِ العصابات إلى القيامِ بهجمةٍ منظَّمةٍ للسَّيطرة على سوروباي، وحقَّقُوا انتصاراً في بدايةِ الأمر. إلا أنَّ محاولتَهم في التَّمسكِ بالأرضِ انتهت بخسائرَ فادحةٍ، وعدمِ تحقيقِ أيّ مكسبٍ سياسي.

يبدو أنَّ نشرَ المراكزِ الأمنيَّةِ على المُرتفعات حولَ سوروباي كانَ عشوائياً، حيثُ لم تحقّق المواقعُ بينها إسناداً متبادلاً. وقد فرَّقتِ القُوَّاتُ الأفغانيَّة عناصرَها في هذه المراكز من دونِ فائدةٍ تُذكر.

المقالة الخامسة: اقتحام غولايي

رواية "الحاج مالانغيار"[93]

كانَ مشروعُ ننغرهار للرَّي الزِّراعي يقعُ ضمنَ مديريَّة "شنوار" التَّابعةِ لولايةِ "ننغرهار" جنوبَ شرقَ جلال آباد. وكانَ هذا المشروعُ جزءاً من مشروعِ ريّ ضخم بُني بمساعدةِ السُّوفييت وبحراسةِ الحامياتِ العسكريَّةِ الأفغانيَّة التي كانت تشغلُها كتيبةٌ عسكريَّةٌ من الجيشِ الأفغاني ووحداتٌ من الميليشيات (لا توجد خريطة). عَسكَرَتِ الحاميةُ عندَ مضخَّة المياهِ الرَّئيسية على بُعد حوالي 1.5 كلم شمال "غولايي" التي تبعدُ ثلاثَ كيلومتراتٍ شمالَ غربَ "غانيخيل". وكانت هناك قناةٌ مياه تجري بموازاة الطّريق الرّئيسي شمال غانيخيل، بينما كانت هناكَ وحداتٌ من الميليشيات تحرسُ الجسرَ الذي يعبرُ فوقَ هذا الطَّريق. كما كانت كتيبةٌ أخرى تحرسُ جسراً آخرَ في الشَّمالِ الغربي.

تبعدُ قاعدتُنا في "مارو الصِّين" سبعةَ كيلومترات غربَ بلدةِ غولايي التي كانَ قد هجرَهَا جميعُ سكَّانِها. وكانت لدي مجموعةٌ من 59 مجاهداً، مسلَّحين بمدفعِ هاون عيار 82 ملم، و12 قاذفة آر بي جي -7. كانَ يومُ التَّاسعِ من يوليو/حزيران 1985م، سيصادفُ أوَّلَ أيامِ عيدِ الفطر، فظنَّنا أنَّ الكثيرَ من جنودِ الجيشِ الأفغاني سينشغلونَ بالاحتفالِ بهذا العيدِ في منازلِهم، ممَّا سيمنحُنا فرصةً مناسبةً للهجوم. وكما اعتدْنا خلالَ تقاليدِنا، أدَّيْنا الصَّلاة، ثمَّ رفعنا وشاحاً غليظاً أفغانياً (تشادر) ووضعْنا فيه مُصحفاً، ومرَّ كلُّ المجاهدين من تحتِ الوشاح تَبَرُّكاً. سرْنا بعدَها إلى غولايي، وَأَمضَيْنا ليلةَ الثَّامنِ من يوليو في مَنزِلٍ مهجور.

قمْتُ بتخصيصِ أربعِ مجموعاتٍ. كانت كلَّ واحدةٍ منها مؤلفةً من ثمانيةِ إلى عشرة رجالٍ، وكانت مُهمتهم احتواءَ المراكزِ الأمنيَّةِ المُنتشرةِ على جسرِ "ناراي بول" وتلَّة "أوزدا" وتلَّة "سماتس" و"سبن خوار" والقيامَ بمشاغَلَتِها. وكانت لديَّ اتصالاتٌ لاسلكيةٌ مع جميعِ المجموعات، بينما قُدتُ أنا مجموعةً

[93] قاتل الحاج مألينغار في مديرية شينوار السَّاخنة التي عانَت من تنازعٍ شديدٍ في السَّيطرة مع قوات العدو. لا توجد خريطة في المقالة. [Map sheet 3185, vie grid 7910]

من 19 رجلاً في الهجومِ الرَّئيسي. سلَّحنا كلَّ مجموعةِ احتواءٍ بقاذفي آر بي جي، بينما تسلَّحت مجموعةُ الهجومِ بأربعِ قاذفات. وعيَّنتُ موقعَ الهاون قربَ مصلَّى العيد. وبدأنا الهجومَ في السَّاعة 16:00. وبعدَ ثلاثِ ساعاتٍ من بدءِ الهجومُ استطعْنا السَّيطرةِ على المركزِ الحكومي في غولايي، بينما مَنَعَتْ مجموعاتُ الاحتواءِ وصولَ أيِّ تعزيزاتٍ للمركز.

وبعدَ حلولِ الظَّلام، اجتمعْنا في منطقةِ التَّجمُّعِ المتَّفقِ عليها. كانت خسائرُنا جريحين فقط، بينما كانت خسائرُ العدوِّ ثلاثةَ قتلى وأسيرين. واغتنمْنا 11 بندقيَّةَ كلاشنكوف، وبعضاً من القنابل اليدوية، و100 صندوقٍ للذَّخيرة كنَّا بأمسِّ الحاجةِ إليها.

التَّعليق:

ساعدتِ العديدُ من العواملِ في نجاحِ الهجوم؛ لقد كانَ للاتِّصالاتِ اللاسلكيَّة دورٌ هام في تنسيقِ أعمالِ المجاهدين، ومن الواضحِ أيضاً بأنَّ توقيتَ الهجومِ في عيدِ الفطر ساعدَهم كذلك. وكانَ على الجيشِ الأفغانيِّ حمايةَ المنشآتِ العسكريَّةِ والسِّياسيَّةِ والاقتصادية، وهو ما جعلَه ينشرُ قوَّاته متسبِّباً لنفسهِ بالضعفِ في كلِّ حامية. وكانت المشروعاتُ الزِّراعيَّة أمراً أساسيَّاً لتحقيقِ المنفعةِ الاقتصاديَّة للمنطقة، إلا أنَّ المجاهدين لم يستهدفُوها، واكتفَوا باستهدافِ المواقعِ العسكريَّةِ القريبةِ منها.

المقالة السَّادسة: تدمير لواء "باغ ممتاز"

رواية الدكتور محمد وكيل[94]

نشرت القوات الأفغانية لواء تأمينِ شمال كابول عام 1988م، وذلك لتأمينِ طريقِ انسحابِ جيشِ الأربعين السُّوفييتي، الذي كانَ مُتمركزاً على طريقِ كابول-تشاريكار قرب تقاطع الطُّرُق مع الطَّريقِ المؤدي إلى بلدةِ "شكردره"، مركزِ مديريَّة شكردره. كانَ هذا اللّواءُ متمركزاً في بستان يدعى "ممتاز"، ومن هنا أُطلِقَ عليه تسمية لواء "باغ ممتاز"[95] (خريطة 4-5-شكردره).

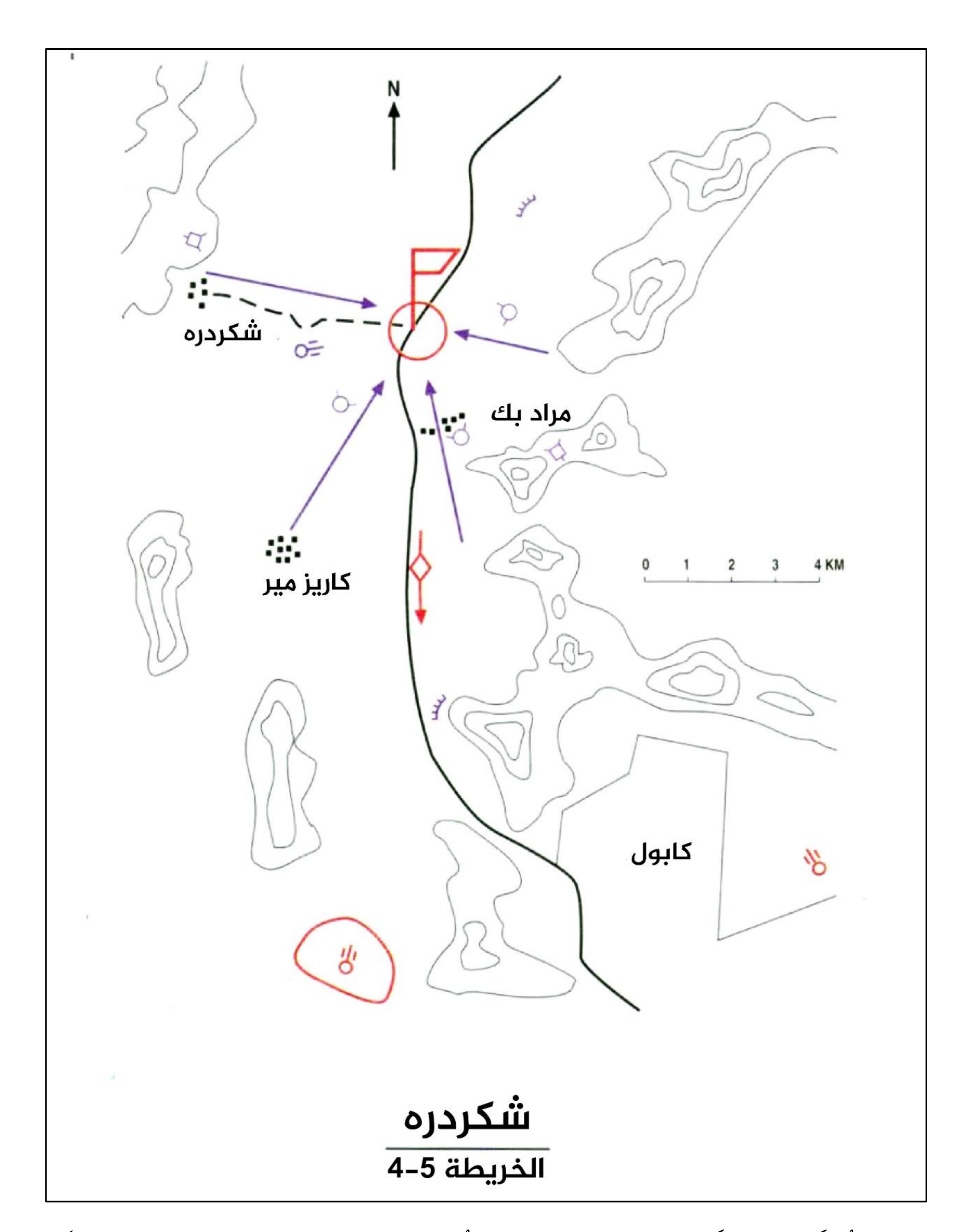
كان أخي الرَّاحل"واصل" هوُ القائدُ العام للعديدِ من الفصائلِ في هذه المعركة. وكانَ قد زارَ قواعدَ مختلفِ الفصائلِ بهدفِ عقدِ عدَّةِ جلساتٍ لوضع الخطَّة. قرَّرنا أن نبتدأَ الهجومَ على اللّواءِ في السَّاعة الثامنةِ من يوم 21 من يونيو/حزيران 1988م. وكانَ العملُ موزَّعاً على أربع مراحل، حيثُ تمثَّلُ المرحلةُ الأولى في عزلِ الحامياتِ وغلقِ الطريقين المؤديتين إليها من الشَّمال والجنوب، ثم قصفَها بشكلٍ مستمرّ بالمدفعيَّةِ طيلةَ سبعةِ أيامٍ، مُستخدمين راجمةَ بي أم -12، وراجمةَ صواريخ صقر[96]، ومدفعَ هاوتزر عيار 122 ملم، ومدافعَ هاون عيار 82 ملم، ومدافعَ عديمةِ الارتداد عيار 82 ملم. وقد كنَّا حدَّدنا مسبقاً أربعةَ محاورَ للرَّمي التَّمهيدي.

---

[94] الدكتور محمد وكيل من مديرية شكردره شمال كابول. تخرج من المدرسة الثانوية قبل الحرب. وانضم للمقاومة. كما تلقى تدريباً طبياً في باكستان. Map sheet 2886., vic grid 07371

[95] باغ تغني بستان. ومن المرجح أن اللواء 520 كان يتمركز هناك.

[96] صقر هي راجمةُ صواريخ مصريَّة عيار 107 ملم أو 122 ملم. توجدُ منها طرازات لمنصات خفيفة الوزن بسبطانتين وثلاث وأربع. يبلغُ مدى الصقر 20 ذو العيار 107 ملم كأقصى مدى 8000 متر، بينما يبلغ الصقر 30 ذو العيار 122 ملم كأقصى مدى 10800 متر. وكانَ العيار 107 ملم أكثرَ شيوعاً في أفغانستان. وقد صرَّح بعضُ المجاهدين بامتلاكِهم صواريخَ خاصَّة تؤهلُ الراجمة 20 لبلوغ إلى مدى 20 كيلومتراً، والصقر 30 إلى 30 كيلومتراً.



شكردره
الخريطة 5-4

أما المرحلةُ الثَّانية فقد تمثَّلت في الهجومِ البري، حيثُ كانَ من المفترضِ أن يهجمَ 100 مقاتلاً من كلِّ محورٍ من المحاورِ الأربعة، وكانَ من المخطَّطِ أن يقودَ أخي واصلُ المحورَ الجنوبيَّ من قريةِ "سيهاب قولي" إلى بلدةِ "مراد بك". بينما يقودُ القائدُ "تاج محمد" الهجومَ على المحورِ الغربيِّ الجنوبيّ "كاريز مير". كما كانَ من المفترضِ أن يقودَ القائدُ "ناصر" المحورَ الغربي، بينما يقودُ "أنور" المحورَ الشَّرقيَّ.

كانَ تسليحُ المجاهدين كالتَّالي: راجمةُ صقر، راجمةُ بي أم 12، مدفعُ هاوتزر عيار 122 ملم، وستَّةُ مدافعَ هاون عيار 82 ملم، وثمانيةُ مدافعَ عديمةِ الارتداد عيار 82 ملم، وقرابةَ 40 قاذفة آر بي جي – 7، بالإضافةِ لدفاعٍ جويٍ مؤلفٍ من رشَّاشات ZSU-23-2 [97] وبعضاً من صواريخ ستينغر.

بدأَ الهجومُ في الوقتِ المحدَّد، إلا أنَّ الحاميةَ لم تصمدْ طويلاً لسبعةِ أيام. بل انهارَت معنويَّاتُ اللِّواءُ وسقطَ بيدِنا في السَّاعةِ 14:00 من اليَّوم الأول. وهرَبَت دبَّاباتُ اللواء، وكانَ على متنِها قائدُ اللِّواءِ وبعضٌ من نوَّابِه. وحاولْنا إيقافَهم بنيرانِ الآر بي جي، إلا أنَّهم هربُوا إلى كابول.

لا أعرفَ كاملَ خسائرِ المجاهدين، لكن ممَّن أعرف: أربعةُ قتلى بمن فيهم أخي، بالإضافةِ لعَشَرَة جرحى. بينما قَتَلْنا من الأعداءِ 100 جنديّ، وأسرْنا 400-450 آخرين. واغتنمْنا 40 عربةً مدرَّعةً، إلا أنَّ بعضَها كانَ عاطلاً. واغتنمنا أيضاً عشْرَ شاحناتٍ و600 قطعةِ سلاحٍ صغيرةٍ، وكانَ ردُّ النِّظامِ الأفغاني على هجومِنا بطيئاً، فهم لم يتوقَّعُوا انهيارَ اللِّوَاء بهذه السُّرعة. وبعد السَّاعةِ 14:00 بدأَت مدفعيَّةُ الفرقةِ الثَّامنةِ للمُشاة الأفغانيَّة باستهدافِ الحامية من مرابضَ في قرغة ومطار كابول، إلا أنَّهم لم يستخدمُوا أيَّ طائراتٍ حربيَّةٍ ضدَّنا نظراً لوجودِ رشَّاشات 23 وصواريخَ ستينغر بحوزتِنا. إلا أنَّنا لم نكنْ نرغبُ في التَّمَسُّكِ بالحامية، ولا البقاءَ تحتَ القصفِ المدفعي، لذا غادرْنا وحملْنا ما قدرْنا على حمله. وبعدَها لم يَعُدِ العدوُّ إلى إنشاءِ أيِّ وحدةٍ عسكريَّةٍ في تلكَ الحامية.

---

[97] هو سلاحٌ رشاش مضاد للطيران مدولب له سبطانتان ترمي كلُّ واحدة منها بعيار 23 ملم. وهو المعروف باسم رشاش 23. وقد استخدمَ السُّوفييت هذا السَّلاحَ في التَّصدي للكمائنِ وتدميرِ الأهداف الأرضية.

التَّعليق:

لقد كانت فكرةُ القيامِ بحصارٍ على حاميةٍ على بُعدِ 15 كيلومتراً من كابول المحصَّنةِ خياراً خَطِراً للغاية، إلا أنَّ الحاميةَ انهارَت بمجرَّدِ تخلِّي قائدِها عنها وهروبِه مستخدماً الدبَّابة.

يبدو أنَّ الطَّوقَ المفروضَ على الحاميةِ لم يكن مُحكماً، وإلا لَمَا اخترقَ قائدُ اللّواء من خلالِه هارباً.

صحيحٌ أنَّ معنوياتِ الجيشِ الأفغاني لم تكن عاليةً قطُّ، إلا أنَّه في تلكَ الفترةِ من الحربِ كانت معنويَّاتُهم في أحطِّ مُستوياتها. فقد بدأَ السُّوفييت انسحابَهم على هذا الطَّريق نفسهِ في تاريخ 15 من مايو، ولم ينفِّذُوا إلا القليلَ من الأعمالِ الهجومية. وقد شعرَ عناصرُ اللّواءِ الأفغانيّ باليأس مثلَ قائدِهم لدى رؤيتِهم لهروبه. وقد كانَ السُّوفييت بوضوحٍ يستعدّون للتخلّي عن القُوَّاتِ الأفغانيَّة.

من النَّاحية الأخرى، كانَ المجاهدونَ في نَشوةِ الفرح بالانسحاب السُّوفييتيّ الكاملِ المُرتقب. إذ لم يكونُوا في السَّابق يتوقَّعون الفوزَ في هذه الحرب، ولكنَّهم الآن أصبحُوا يشعرُون باقترابِ النصر، فأصبحَت أعمالُهم أكثرَ جرأةً. إلا أنَّ الأقدارَ تغيَّرت، فبعدَ الانسحابِ السُّوفييتيّ عمَّ الاقتتالُ وانتشرَ بينَ المجاهدين أنفسهم، ممَّا أتاحَ فرصةً للنِّظامِ الأفغاني وجيشِه أن يستعيدَ قوَّتَه ويستمرَّ في الحرب.

كانَ عاملُ الخطورةِ الثَّاني في هذا العمل، القيامَ بهجومٍ منسَّقٍ بين عدّة فصائلَ على أربعةِ محاورَ من دونِ وجودِ اتِّصالاتٍ. حيثُ كانَ منَ المُمكنِ أن يتسبَّبَ بوقوعِ نيرانٍ صديقةٍ بين المحاور. إلا أنَّ الجرأةَ والإقدامَ كانت هي الغالبة، فدمَّرَ المجاهدون قوَّةً أكبرَ منهم بسرعة.

إنَّ إدخالَ صواريخ الستينغر الأمريكيَّة المحمولةِ على الكتفِ المُضادَّةِ للطائرات سَبَّبَ تغيُّراً في التَّكتيكاتِ الجويَّة السُّوفييتيَّة. فالسُّوفييت لم يكونُوا ليستطيعُوا تقديمَ أيِّ إسنادٍ جويٍّ قريبٍ لقوَّاتِهم في حالِ وجودِ الستينغر. وبالإضافةِ لذلك، فقد وَرَدت تقاريرُ بأنَّ قصفَ المجاهدين بالصَّواريخ على مطارِ كابول دَمَّرَ خمسَ طائراتٍ من طِراز سيخوي - 25 وأصابَ ثلاثاً منها بأضرار، وقد كانت تمثِّلُ هذه الطَّائرات الإسنادَ الجويَّ القريب. ومن الرَّاجح بأنَّ توفُّرَ قدراتٍ دفاعيَّةٍ ضدَّ الطَّيران بحوزةِ المجاهدين قد أخَّرَ من ردِّ العدوِّ السُّوفييتي والأفغانيِّ على نيرانِ المدفعيَّة.

التَّعليق على الفصل

عندما تقرِّرُ العصاباتُ الاستيلاءَ على نقطةٍ حصينةٍ وإمساكَها، فإنَّ المهام المتوجِّبَة عليها حينئذٍ هي:

1. تشكيلُ سلسلةِ إعادةِ إمدادٍ لوجستيَّةٍ نظاميةٍ
2. وإدارةٌ مستمرَّةٌ للقوَّات التي تشغل النُّقطة
3. مع القدرةِ على مقاومةِ الغاراتِ الجويَّةِ والمدفعيَّة.

ولا شيء من هذا يُعدُّ سهلاً بالنِّسبة للعصابات التي تعتمدُ على أفرادٍ يعملون بدوامٍ جزئي. علاوةً على ذلك، فإنَّ هذا الأمرَ يتطلَّبُ الالتزامَ والحضورَ الدَّائمَ لأسلحةِ الطَّواقمِ مع وجودِ ذخيرةٍ كافيةٍ لهذه الأسلحة؛ وكلُّ هذه عبارةٌ عن موادٍ يصعبُ حملُها أثناءَ الانسحابِ التَّقهقري. فالعصاباتُ في هذه الحالات، تقايضُ قابليَّتها على الحركةِ وسريَّتها مقابلَ القيامِ بهجمةٍ تقليديةٍ منظَّمةٍ. وفي كثيرٍ من الأحيان، فإنَّ العصاباتِ تعجزُ عن القيامِ بهذا الانتقال.

الفصل الخامس: حربُ الألغام

حربُ الألغام هي الأسلوبُ المفضَّلُ للعصابات. وهي وسيلةٌ غيرُ مكلفةٍ نسبيّاً تُستخدَمُ في استهدافِ الأفرادِ والمَركبات. وقد كانت مُعظمُ ألغامِ المجاهدين مضادَّةً للدَّبَّابات والمَركبات. وعند استخدامِ المجاهدين للألغامِ المُضادَّة للأفراد، كانوا يفضّلون أن يزرعُوا ألغاماً ذاتَ تأثيرٍ مُوجَّهٍ (على غرارِ ألغام كلايمور الأمريكية). فيما كانت الألغامُ السُّوفييتيَّةُ في معظمِها مضادَّةً للأفراد. وطوالَ الحرب، تم إمدادُ المجاهدين بأنواعٍ كثيرةٍ من الألغامِ المضادَّةِ للدَّبابات الأجنبية. وفي الكثيرِ من الأحيان، عمدَ المجاهدون إلى تكديسِ ثلاثةِ ألغامٍ مضادَّة للدبابات فوقَ بعضِها البعض، حتَّى يضمَنوا تأثيراً مُدمِّراً. وفضَّلَ المجاهدون صناعةَ ألغامٍ محلّيةٍ مضادَّةٍ للدبَّابات بأنفسِهم، ولاسيما أنَّ الكثيرَ منهم مبدعون في ذلكَ بالفطرة، وقد نجحُوا فعلاً في صنعِ مثلِ هذه الألغام انطلاقاً من الذَّخائرِ غيرِ المُنفجرة وانطلاقاً من أنواعٍ أخرى من الألغامِ المُضادَّةِ للدَّبَّابات.



المقالة الأولى: أساليب التَّفجير لدى المجاهدين

رواية القائد "الملا مالانغ"[98]

يقومُ المجاهدون بنقلِ القنابلِ التي ألقاها العدوُّ ولم تنفجرْ (زنة 250-500 كغم) ليلاً عبرَ الجرَّاراتِ الزَّراعيَّة إلى الطُّرق، ثمَّ يتم دفنُها أسفلَ الجسور، أو في الأنفاقِ الصَّغيرةِ تحتَ الطُّرق أو في القناطر. وكنَّا نتحكَّمُ بالقنابلِ عن بُعد (لاسلكيّاً)، وعادةً ما كنَّا نضعُ لها صواعقَ محلِّيَّةَ الصنع، كما كانَ يتمُّ التَّحكُّمُ بالتَّفجيرِ على بعدِ حوالي 500 متر منَ الطَّريق. وكنَّا نُفجِّر أكثرَ من لغمٍ واحد تحتَ القافلةِ العابرة، وذلكَ بهدفِ إلحاقِ أكبرَ قدرٍ ممكنٍ من الأضرارِ بعرباتِ العدوّ. وكانت الدَّباباتُ وغيرُها من عرباتِ الحراسةِ المدرَّعة تمثِّلُ الأهدافَ الرَّئيسيَّةَ لألغامنا التي نتحكَّمُ بها عن بُعد.

في الحالاتِ التي يتعذَّرُ فيها التَّفجيرُ عن بعدٍ، كانَ المجاهدونَ يَستخدمونَ أسلوباً آخرَ لتفجيرِ الألغامِ على العرباتِ المدرَّعةِ المجُنزرة على نحوٍ انتقائي. فيمدُّون سلكين مَعدنيين عبرَ الطَّريق المُعبَّد، ويفصلونَ بينهُما بمسافةٍ معينةٍ، ثمّ يربطونَهما ببطاريَّةٍ كهربائيَّة، فكانت الإطاراتُ المطاطيَّةُ للمركباتِ المدنيَّة والعسكريَّة تمرُّ من فوقِ الأسلاك بسلامٍ، بينما تُغلقُ المجنزراتُ المعدنيَّةُ للدَّباباتِ وعرباتِ البي أم بي الدَّائرةَ الكهربائيَّة لدى مرورِها على الأسلاكِ وتُحدِثُ الانفجار. (انظر الرسمة)

الرسم الأول اللّغم وبطارية التّفجير



[98] الملا مالانغ أحدُ أبرزِ قادة المجاهدين في منطقة قندهار، وكان ينتمي للحزبِ الإسلاميِّ التَّابع للمولوي يونس خالص.

كان "عبد الولي" مجاهداً معروفاً من قندهار، وقد اشتهرَ بعقليَّته الابتكاريَّةِ والإبداعيَّةِ في صناعةِ القنابل. في إحدى العمليَّاتِ عام 1986م، استخدمَ قنبلةً عائمةً على الماءِ أسفلَ خور نوشي جان الذي يجري في ضواحي قندهار الغربيَّة من الشَّمال الشرقيِّ حتَّى الجنوبِ الغربي. وقد استخدمَ هذه القنبلةَ لتفجيرِ مركزٍ أمنيّ في أحدِ الفنادق.[99] حيثُ حَشَى قنبلةً زنتُها 250 كغم في الأنبوبِ الدَّاخليّ لإطارِ شاحنةٍ تشبهُ الطَّوَّافة. ثمَّ قاسَ المسافةَ بينَ المركزَ الأمنيَّ حتَّى نقطةِ إلقاءِ القنبلةِ أعلى مجرى المِياه. ثمَّ علَّقَ القُنبلةَ بسلكٍ يبلُغُ طولُه المسافةَ بين نقطةِ انطلاقِ القنبلةِ حتى المركزِ الأمنيّ نفسها. وبمجرَّدِ شدِّ السِّلك لأقصى حدٍ كانت القنبلةُ قد وصلَت أسفلَ المركزِ في الجدولِ فقامَ عبدُ الولي بتفجيرِ القنبلة لا سلكيّاً ودمَّرَ المركز.

امتازَت مناطقُ العدوِّ المحصَّنةِ جيّداً بوجودِ مجموعةٍ من حقولِ الألغامِ والعوائقِ التي كانت تحميهم من إغاراتِ المجاهدين. وفي هذه الحالات، استخدمَ المجاهدون الصَّواريخَ المزوَّدَة بآليَّةِ تأخيرٍ للإطلاق بغرضِ قصفِ مواقعِ العدو. وقد كانت قاعدةُ قندهار الجوية -التي أصبحَت قاعدةً عسكريَّةً سوفييتيَّةً كبرى- إحدى الأهدافِ الصعبةِ لعمليَّاتِ القصفِ هذه. كان المجاهدون يستخدمُون هذا الأسلوبَ حتَّى يتمكَّنُوا من مغادرةِ المنطقةِ قبلَ إطلاقِ الصَّواريخِ وقبلَ أن يبدأَ السُّوفييت بإطلاقِ نيرانِهم المُضادَّة. وفي البداية، أُتيحَت للمجاهدين فقط بعضُ الآليَّات البدائيَّة والمحليَّة الصُّنع لتأخيرِ إطلاقِ الصَّواريخ. ولكن في وقتٍ لاحقٍ من الحرب، حصلَ المجاهدون على آليَّاتٍ مُصنَّعةٍ لا سلكيَّةٍ لإطلاقِ الصَّواريخ عَن بعدٍ، إلا أنَّهم استمرُّوا في استعمالِ آليَّاتِ التَّأخيرِ البدائيَّة.

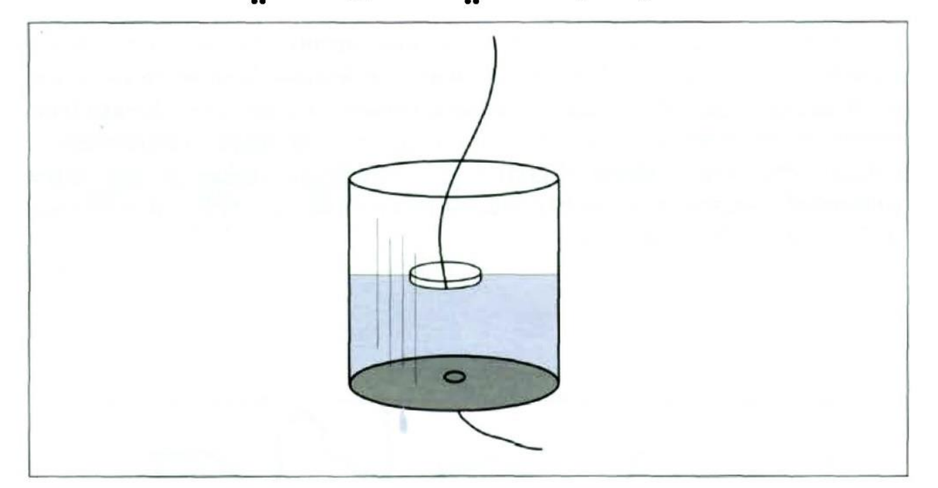
كانت إحدى طرقِ تصنيعِ آليَّات التأخيرِ البدائيَّة هي استخدامُ حاويةِ تسرّب المياه. وذلك بخرقِ أسفلِ خزانٍ معدنيٍ فارغٍ بسعة 3 غالونات[100]، ثمَّ يملؤونَها بالماء. ويربطونَ سلكَ الزّنادِ بخشبةٍ طافيةٍ ويدخلونَ السِّلكَ من خلالِ الحاوية، بينما تُربَطُ النِّهايةُ الأخرى للسِّلكِ ببطارية. وتكونُ هذه البطاريَّة من الضَّعف بحيثُ لا تستطيعُ إغلاقَ الدَّائرةِ خلالَ المياه. ثمَّ تُربَط الحاوية بسلكٍ إلى

[99] فندق غول سردار قرب ساربوزا.

[100] المركز: بسعة 11 لتر تقريباً.

الصَّاروخ. فعندما تَتَسرَّبُ المياه من الحاوية ينزلُ السِّلكُ الطَّافي إلى أن يصلَ قاعَ الحاوية. وبمجرَّدِ حدوثِ الاتِّصالِ تُغلَقُ الدَّائرةُ وتنطلقُ الصَّواريخ (انظر الرَّسمة)

الرسم الثاني صاعق مائي



المقالة الثانية: هجماتٌ باستخدام الألغام قرب "مهتار لام"

رواية القائد "شير بادشاه" و"شيراغاه"[101]

بَعدَ معركةِ تحريرِ مركزِ مديريَّة "عليشنغ"، جمعَ القائدُ بادشاه 30 مجاهداً وتحرَّكَ بهم نحوَ الجنوب إلى قريةِ "مندرور". وتقعُ هذهِ القريةُ على بعد 11 كيلومتراً جنوبَ "مهتار لام" عاصمةَ ولاية "لغمان"، وعلى بُعدِ خمسِ كيلومتراتٍ شمالَ طريقِ كابول-جلال آباد. تلقَّينا معلوماتٍ عن تحرُّكِ رتلٍ مدرَّعٍ من جلال آباد إلى "مهتار لام" في نهايةِ أغسطس/آب 1981م (خريطة 5-1-مهتار)، فقرَّرْنا الإيقاعَ به مُستخدمين الألغامَ والكمائن.

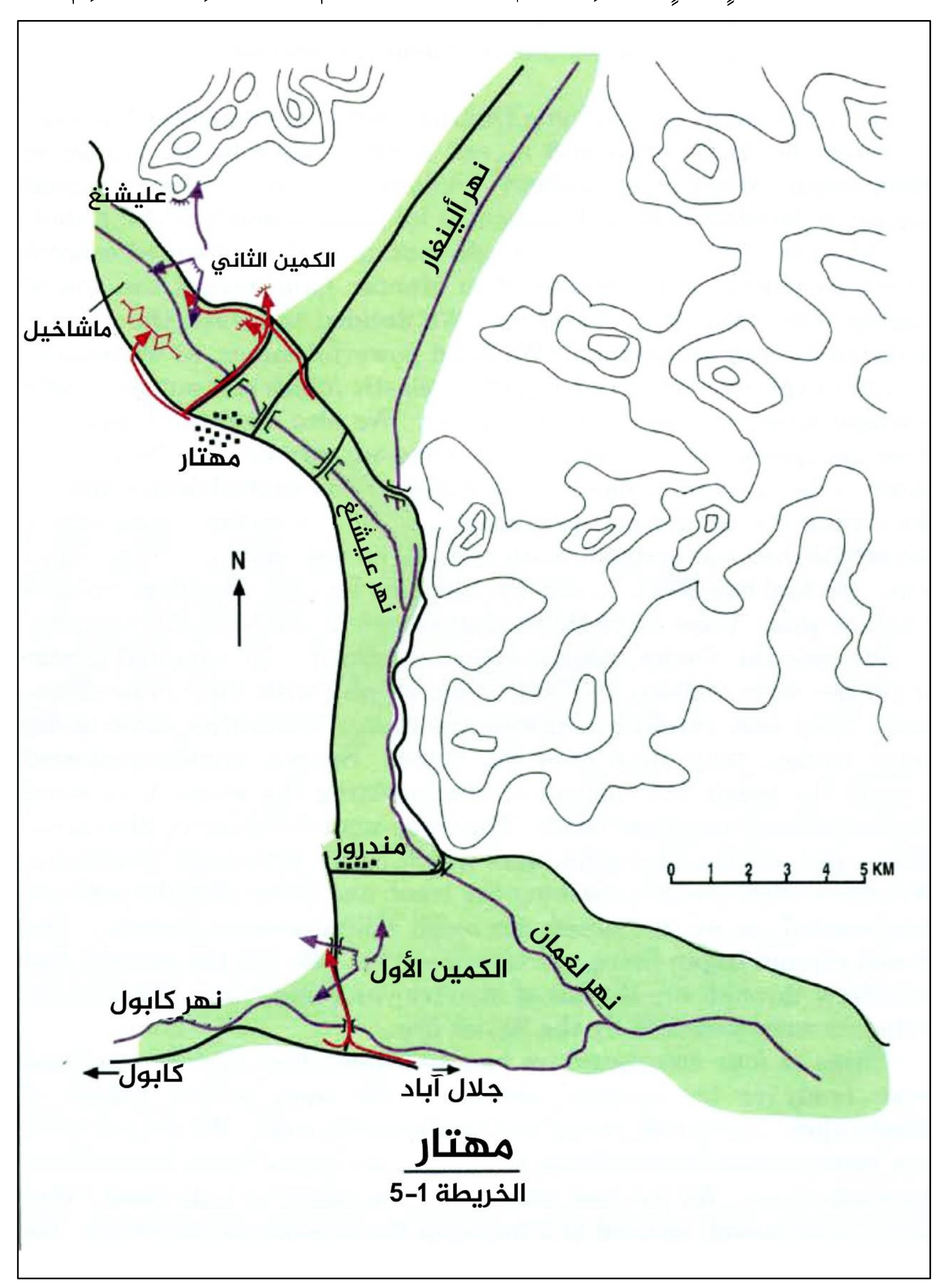


كنَّا نفضِّلُ استخدامَ ألغامٍ شديدةِ الانفجار، وكنَّا نأخذُ لغمين بلاستيكيين مِصرِيَّين، ونضعُهما في حاويةِ زيتِ طبخٍ كبيرةٍ. بالإضافةِ إلى ذلك، كُنَّا نصنعُ قنابِلَنا الخاصَّة من الذَّخائرِ السُّوفييتيَّة غيرِ المنفجرة. وضعْنا قنبلةً تحتَ جسرٍ صغيرٍ وعلَّقنا عليها جهازَ تحكُّمٍ عن بعد. ومددْنا سلكَ التَّفجيرِ 100 مترٍ نحوَ الجنوب حيثُ قُمْنا بنصبِ كمينٍ في البستان شرقَ الطَّريق السَّريع. وكانَ لدينا قاذفا آر بي جي – 7، ورشَّاش بي كا، ورشَّاش بيرناو الخفيف. وكانت مجموعةُ الرِّمايةِ والتَّفجيرِ مؤلفةً من ثلاثةِ مجاهدين.

---

[101] القائد شير بادشاه وشيراغاه من ولاية لغمان. [Map sheet 3086].

شاهدْنا الرَّتل السُّوفييتيَّ وهو يقترب. وقد تقدَّمتهُ مجموعةٌ راجلةٌ من المهندسين السُّوفييت، يَمسحونَ الأرضَ أمامَه على نحوٍ دقيقٍ بكاشفِ الألغام. وقد اكتشفُوا اللُّغم تحتَ الجسرِ لدى وصولِهم إليه.



مهتار

الخريطة 1-5

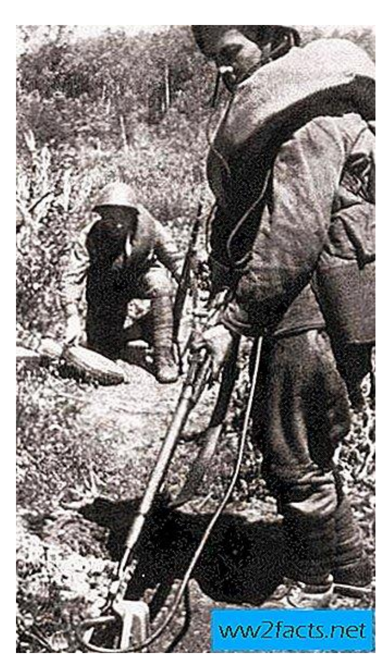
ولكن بدلَ أنْ يحاولُوا قطعَ أسلاكِ التَّفجير، تجمَّعَ السُّوفييت على القنبلةِ وهم يتحدَّثونَ فيما بينهم، بينما كانَ المجاهدون الثَّلاثةُ "شيراغه" و"متين" و"شيراغه الثّاني" يراقبونَهم عبرَ المنظار. ولدى مشاهدتِنا للسُّوفييت وهم يتجمَّعون على القنبلة علمنا بأنَّ الكمينَ قد انكشف، فقرَّرنا التَّفجيرَ (على أيَّة حال). وبتفجيرِنا القنبلة، قتلْنا عدَّةَ جنودٍ سوفييت، فبدأ الرَّتلُ السُّوفييتيُّ بإطلاق النَّارِ في جميع الاتجاهات، حتى أنَّهم جرحُوا بعضَ القرويين. فغادَرْنا البستانَ مُنسحبين عبرَ سوق "مندرور" شمالاً.

بعد ثلاثةِ أيَّامٍ أو أربعةٍ، قرَّرنا إعادةَ الكرَّةِ عليهم بكمينٍ آخر، وهذه المرَّة بمجموعةٍ من 40 مجاهداً. فانطلقْنا نحوَ قريةِ "ماشاخيل"، ودفنَّا قُنبلتين بالطَّريق، ولم يكن لدينا أجهزةُ تحكمٍ عن بعد، فركَّبْنا في القنابلِ آليَّاتِ تفجيرٍ بالضَّغط، وقمْنا بتغطيةِ هذه الألغامِ بروثِ البقر، وكانَ "متين" رحمَهُ الله قد اعتادَ دائماً على تغطيةِ الألغامِ بهذه الطَّريقة. ثمَّ نصبنْا الكمينَ بحيثُ يغطِّي موقعَ الألغام.

رصدْنا الرَّتلَ وهو يقتربُ ببطءٍ. وكانت تتقدَّمُ الرَّتلَ مجموعةٌ من الجنود، ومعهم كلابٌ لكشفِ الألغام. انطلَقت هذه الكلابُ شاردةً، فاكتَشَفَت قنابلَنا بسرعةٍ، ثم أشارَت إليها. اقتربَ شيراغه وشاوالي إلى الأمامِ عندما رأيَا الكلاب، وظَلَّا يرقبانِ الكلابَ وهي واقفةٌ إلى جنبِ الألغام. ونزلَ جُنديَّان من ناقلةِ الجنودِ المدرَّعة وهما يَحملانِ مجسَّاتٍ طويلةً لكشفِ للألغام. ثمَّ بدآ بمسحِ أكوامِ الرَّوث في الطَّريق إلى أن وجدَا اللُّغمَ في الكومةِ الثَّالثة. فتجمَّعَ أربعةٌ من السُّوفييت، أحدُهم ضابطٌ، لمشاهدةِ اللُّغم. فقامَ "شيراغه" و"اوالي" بفتحِ النِّيرانِ على الجنودِ وقتلِهم، بينما انسحبَ باقي السُّوفييت خارجَ منطقةِ القتل.

بدأ السُّوفييت بالرَّد ناريَّاً. فأمرَ القائدُ "بادشاه" أربعةَ مجاهدين بالتَّحرُّكِ شمالاً نحوَ تلَّةِ "تاراخيل" لتوفيرِ غطاءٍ ناريّ للمجموعةِ المُنسحبة. وفي محاولةٍ لإرباكِ العدوّ وخداعه صاح "بادشاه" بمكبِّرِ الصَّوت قائلاً: "ابقوا في مواقعِكم، فالتَّعزيزات قد أتَت للتو." ثم أتَى رتلٌ أفغانيٌّ من "مهتار لام"، فاتَّخذَ مَوقعاً دفاعيَّاً، وبدأَ بإطلاقِ النِّيرانِ علينا. كما قامَت دباباتٌ بالمناورةِ علينا على سهلٍ مهتار لام غربَ الطَّريق، فانسحبْنا بحلولِ ظلامِ اللَّيل. ثمَّ علمْنا بمقتلِ أربعةِ جنودٍ من السُّوفييت، وعلى الأغلبِ أرديْنا 18 جندياً أفغانيَّاً وسوفييتيَّاً بين قتيلٍ وجريحٍ. ودمَّرنا دبابةً واحدةً وشاحنتين.

التعليق على الفصل



إن تفضيلَ المجاهدين للألغامِ المحلَّية الصُّنع المُعبَّأةِ في علبٍ معدنيةٍ جعلَ من السَّهلِ على أجهزةِ كشفِ الألغامِ السُّوفييتيَّةِ العثورِ عليها. من جهةٍ أخرى، دفعَ الشُّعور الفضولي القُوَّاتِ السُّوفييتيَّة إلى التُّجمُّع حولَ الألغامِ المُكتشفةِ حديثاً، إلا أنَّ مثلَ هذه التَّصرفات لا تنحصرُ فيهم (فهي شائعةُ في الجيوشِ دائماً)، فقامَ السُّوفييت بعدَها بتدريبِ مهندسيهم على عدمِ التَّجَمُّع حولَ الألغام.

كما اعتادَ المجاهدون على مزجِ عمليَّاتِ التَّفجير والتَّلغيم مع أشكالٍ أخرى من الأعمالِ الهجوميَّة والدِّفاعيَّة. فكانوا يُغَطُّون مواقعَ ألغامِهِم بنطاقاتٍ مباشرةٍ للأسلحةِ النَّاريَّة. ونادراً ما كانَ يترك المجاهدون ألغامَهَم دونَ مراقبةٍ، لاسيما إذا كانُوا بعيدين عن الحدودِ الباكستانيَّة التي كانت توفِّرُ لهم الإمدادَ السَّريعَ بالألغام. حتَّى أنَّهُم في كثيرٍ من الأحيان كانُوا بعدَ الكمائنِ والقتالِ يقومُون باستخراجِ ألغامِهم التي لم تنفجرْ وينقلونَها بعيداً ليوفِّروهَا لعملٍ آخر.

الفصل السادس: قطعُ خطوطِ اتِّصالِ (إمداد) الأعداء



كادَتْ أن تكونَ الحربُ في أفغانستان مُنحصرة في: "**محاولةِ كُلِّ طرفٍ السَّيطرةَ على لوجستيَّاتِ (خطوط إمداد) الطَّرف الآخر**". حيثُ كانَ السُّوفييت يقومُون بتنفيذِ عمليَّاتِ القصفِ الجويِّ والألغامِ القابلةِ للنَّثرِ وحرقِ المحاصيل الزَّراعيَّة واقتحامِ القُرى الريفيَّة لدفعِ سكانِ الرَّيفِ نحوَ النُّزوحِ للمنفى أو المدن. **وقد كانَ غرضُهم من ذلك: "تجفيفَ منابعِ إمدادِ الثُّوارِ من حيثُ الطَّعامُ والمأوى، وحرمانَهم من الرَّاحة".**

كانت خطوطُ الاتِّصالِ (الإمداد) السُّوفيتيَّة (LOC) متمثِّلةً في شبكةِ الطُّرُقِ السَّريعةِ المزدوجةِ التي لا تحوي منصِّفات، والتي تخترقُ جبالَ الهندو كوش التي تعدُّ من أشدِّ التَّضاريس وعورةً في العالم. وكانَ المجاهدون يَقطعون هذه الطُّرُقَ باستمرار، ويكمُنونَ لقوافلِ الإمدادِ المارَّة عليها والتي كانت تحملُ الموادَّ اللوجستيَّة القَادمةَ من الاتِّحادِ السُّوفييتي. وقد اعتمدَ بقاءُ الجيشَ السُّوفييتيِّ في أفغانستان على قدرتِه في إبقاءِ هذه الطُّرُقِ مفتوحة. وكانت معظمُ معاركِ السُّوفييت في أفغانستان

مُوجَّهةً للسيطرةِ على شبكةِ الطُّرُقِ هذه، حيثُ تطلّب منهم تأمينُ خطوطِ الإمدادِ الشَّرقية: 26 كتيبةً، تشغلُ 199 مركزاً ثابتاً أو تقومُ بدوريَّاتِ تَفقُّدٍ أو تعملُ على مرافقةِ القوافلِ من أجلِ حمايتِها. بينما تطلَّبت طرقُ الإمدادِ الغربيَّة التي تمرُّ بتضاريسَ أقلَّ وعورةٍ ثلاثَ كتائبَ فقط. وقد تمَّ تكليفُ أكثرَ من ثلاثةِ أرباعِ القُوَّاتِ القتاليَّةِ السُّوفييتيَّةِ على نحوٍ منتظمٍ في مهمَّاتِ التَّأمين هذه. كما أُشغِلَت القُوَّاتِ الأفغانيَّة أيضاً في مهامِ تأمينِ طُرُقِ الإمدادِ وتأمينِ المناطق.

لقد استطاعَت المقاومةُ الأفغانيَّةُ تدميرَ أكثرَ من 11 ألف شاحنةٍ سُوفييتيَّةٍ للإمداد، كما وردَت تقاريرٌ تفيدُ بأنَّ خسائرَ النِّظامِ الأفغانيّ من الشَّاحنات كانت أعلى. ومثَّلت قدرةَ المجاهدين على اعتراضِ طرقِ الإمدادِ هاجساً مستمرّاً للسُّوفييت، كما مَنَعَتهم من إدامةِ قوَّةِ احتلالٍ أكبرَ في أفغانستان.

المقالة الأولى: تطويق الأفواج على مقترب "وازي"

رواية الحاج "بادشاه خان"[102]

في أبريل 1980م، انطلقْنا في عملٍ للاستيلاءِ على مقرِّ مديريَّةِ وازي الواقع على جَانبي الطَّريق الرَّئيسي بين غرديز وخوست. وكانَ لديَّ حوالي 400 مجاهدٍ من وادي داري خيل. كانَ هناك مَمَرَّان يؤدِّيانِ إلى طريقَينِ بين غرديز وخوست، أوَّلُهما مَمَرٌّ "ستو كندو" وهو رئيسيٌ، إلا أنَّه تحتَ سيطرةِ المجاهدين، ولا يستطيع جيشُ النِّظامِ الأفغانيِّ العبورَ منه، بينما يقعُ المَمَرُّ الثَّاني المُسمَّى "ساروتي" في الطَّرفِ الشَّمالي لوادي داري خيل، وهو الطَّريق الوحيدُ بين خوست وغرديز الذي كانَ مُتاحاً وقتَها للجيشِ الأفغاني. وفي تلكَ الأيَّام، لم تكن لدينا قواعدُ عسكريةٍ، بل كنَّا نعيشُ في قُرانا ونستخدمُ في المعارك أيَّ أسلحةٍ تكون في متناولِ أيدينا، وفي ذلكَ الوقتِ، كانت لدينا مجموعةٌ من البنادقِ بالإضافةِ إلى بعضِ المدافعِ الرَّشَّاشة المُصَنَّعة في باكستان.

كنت قد وضعْتُ خطَّتي للهجوم، وأثناءَ اللَّيل، تحرَّكنا إلى وازي القريبة من وادي داري خيل (الخريطة 6-1 - وازي). قسَّمتُ رجالي إلى عدَّةِ مجموعاتٍ، فحاصَرْنا مقرَّ المديريَّةِ من جميع جوانبها الأربعة، وأمرتُ قادةَ المجموعات بانتظارِ إشارتي للهجوم. وفي الصَّباح، تمكَّنَّا من اعتراضِ اتِّصالاتٍ لاسلكيةٍ بين قوَّةِ حامية وازي ومقرِّ قيادتها. حيثُ كانَ قائدُ الحامية يطلبُ المساعدة من قيادته، ويذكر بأنَّ المجاهدين يُحاصرونه. وبعدَ ذلك بفترةٍ وجيزةٍ، جاءَت طائرتانِ مروحيَّتانِ وحلَّقتا حولَ المنطقة ثمَّ عادتا. وكانَ قائدُ الحامية المدعو محمد هاشم من قبيلة جاجي، وكنَّا نعرفُ بعضَنا البعضَ معرفَةً شخصيَّةً. فأرسلَ لي رسولاً يخبرني بأنَّ الحامية مُستعدَّةٌ للاستسلام. فأبلغته بوجوبِ نزعِ سلاح

---

[102] كان الحاج بادشاه من عشيرة "داري خيل" المحاربةِ التي تنتمي لقبيلة زادران. وكان يسكن في طريق "ممر ساروتي" نحوَ خوست. وعندما حدثَ الانقلاب الشُّيوعي نزحَ بعائلته نحوَ باكستان، ثمَّ عادَ لتشكيل حركة مقاومةٍ في المنطقة. [Map sheets 2883 and 2983]

رجالِه أولاً حتَّى نتفاوض. فَفَعل ذلك، وبعدَها استسلَمَتِ الحامية. واغتنمْنا الكثيرَ من الأسلحةِ في هذا العمل، ممَّا شجَّعَ بَقِيَّةَ المجاهدين على مُحاصرةِ مواقعَ أخرى لاغتنامِ أسلحتِهم.

ردَّ الجيشُ الأفغاني على سقوطِ وازي بإرسالِ رتلينِ مُتَّجهين نحوَها، وذلكَ بغرَضِ إعادةِ تأسيسِ الحكومة فيها. وتحرَّكت القوَّاتُ الحكوميَّةُ على محورين، أحدُهما من خوست والآخَرُ من غرديز. فوصلَ رتلُ خوست إلى "سعيد خيل" وشَكَّل منطقةَ تجمعٍ فيها. بينما اقتربَ رتلُ غرديز من مَمَرِّ ساروتي. فبدأتُ في حشدِ النَّاسِ ضدَّ القُوَّاتِ الحكومية. وأرسلت "حربَكِي"[103] لحشدِ القبائل فلبَّت القبائلُ النِّداء، لمعرفتِهم المُسبقة بأنَّ الجيشَ الأفغانيَّ سينهبُ القرى إذا ما سمحُوا لهم بالدُّخول إلى مناطقِهم. قُمتُ بتعيينِ مجموعتين من "الحربكي" لتعزيزِ قُوَّاتِ المجاهدين المُخصَّصة لصدِّ العدوِّ في سعيد خيل في الوقتِ الذي أخذتُ فيه بقيَّةَ المجاهدين إلى مَمَرِّ ساروتي.

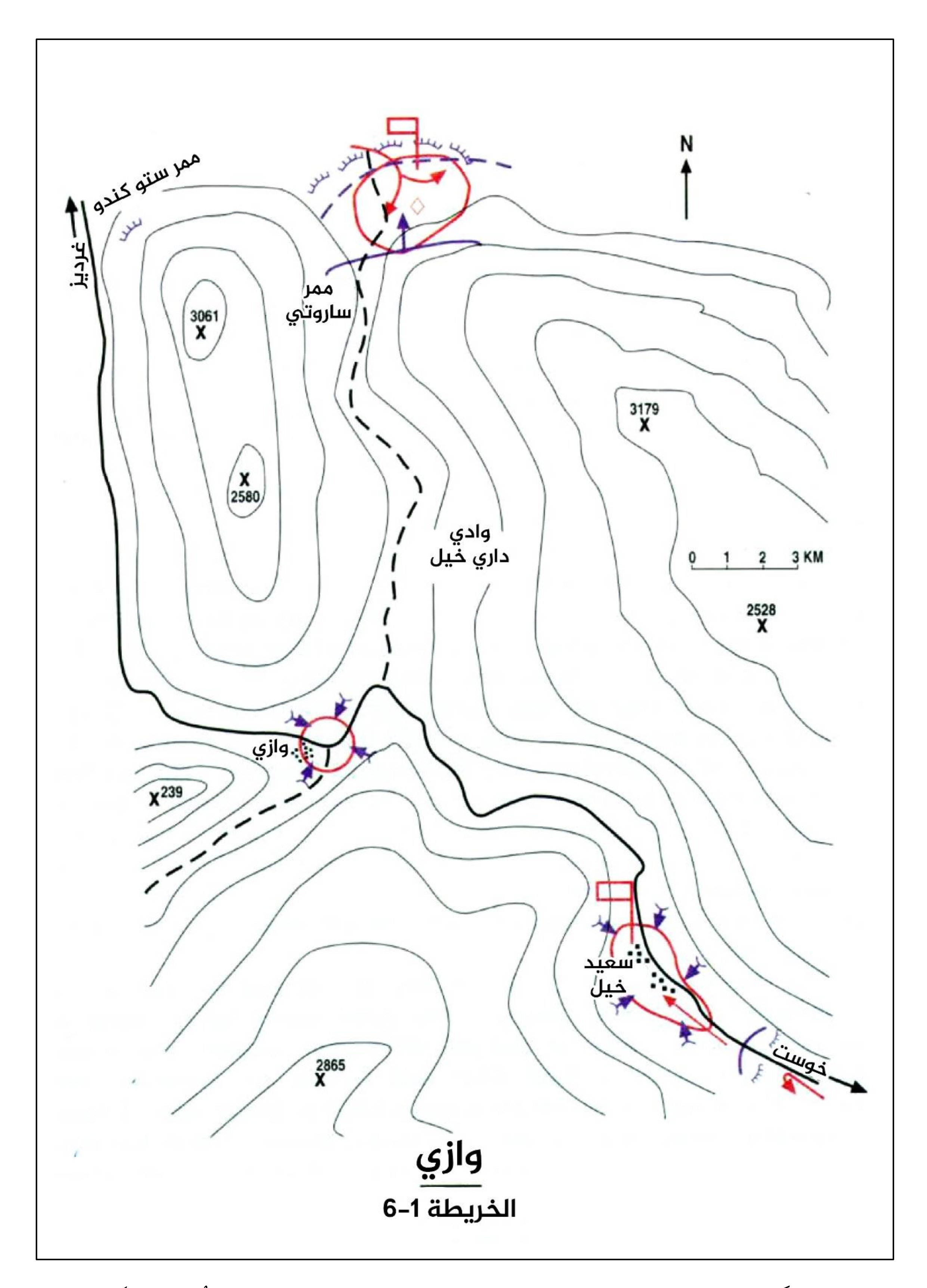
وَصَلْتُ إلى ساروتي في وقتٍ مُتأخرٍ من بعدِ الظُّهر واستطلَعتُ المنطقةَ، فحَدَّدتُ أعدادَ المجاهدين الذين أحتاجُهُم للتصدّي لرتلٍ يَقدُم من هناك، وأينَ أضعُ هذهِ القُوَّات، إلا أنَّ عددَ المجاهدين لدي لم يكن ليكفيَ لمثلِ هذا العمل. لذا قُمْتُ بتجميعِ بعضِ الحلَّاقين المَحليين (فعادةً ما يقومُ حَلَّاقو البشتون بضربِ الطبول) للَّعبِ على الطُّبول الخاصَّة بهم لجمعِ اللَّشكر.[104] فعلْتُ هذا لإثارةِ المنطقة بأكملِها ضدَّ العدو وتثبيطِ معنويَّاته. فقامَ الطَّبَّالون بعملِهِم على أتمِّ وجه، وجاءَ العديدُ من المُحاربين من قبائلَ عديدة إلى ساروتي، وسُرعانَ ما أصبحَ لديَّ جيشٌ كبير.

كنتُ سابقاً أخطّطُ للاكتفاء بالدِّفاعِ عن المَمَر، لكنْ وبعدَ أن رأيتُ حجمَ جيشي الجديد، قرَّرتُ الانتقالَ إلى موقفٍ هجومي. ووَعَدتُهم بغنائمِ الأسلحة التي يستولون عليها، وهاجمْنا الرَّتل، فَتَمكَّنَّا من الاستيلاءِ على الأسلحة والشَّاحنات والدَّبابات. وفي الوقتِ الذي تعاملْنا فيهِ مَعَ قوَّةِ ساروتي، كنتُ قد تركتُ قُوَّةَ صَدٍ للتَّعاملِ معَ أيِّ رتلٍ آخر، ثمَّ نقلتُ اللَّشكَرَ إلى سعيد خيل.

---

[103] هي جهةٌ أمنيةٌ قبليةٌ أو تنظيميةٌ تعمل على فرضِ القانونِ والنِّظامِ في تلك المناطق القبليَّة.

[104] كلمة لشكر تعني جيشاً قبليّاً، أو قوّةًمسلّحةً. ويتمُّ حشدُهم لفترةٍ قصيرة.



وازي

الخريطة 6-1

قمْنا بقطعِ الطَّريق إلى خوست خلفَ فوجِ الجيشِ الأفغاني الذي كانَ لا يزالُ متجمِّعاً في سعيد خيل. ثمَّ حاصَرْنا الفوجَ، واستمرَّ الحِصارُ لمدَّةِ 20 يوماً، أرسلَ فيها الجيشُ الأفغانيُّ رتلاً آخرَ من

خوست لفكّ الحِصارِ عن هذهِ القُوَّةِ ففشلُوا ورُدُّوا خائبين. وبعدَ القليلِ من القتال، استسلمتِ القُوَّةُ بأكملِها في سعيد خيل. وكان تَعدادُها 1300 فرداً، فأسرْنا 1200 منهم، بينما قتلْنا وأصبْنا المائة الباقين. واغتنمْنا جميعَ أسلحةِ هذا الفوجِ بما في ذلك 50-60 شاحنةً وعربةً مُدرَّعة. وبعدَ استسلامِ الفوج، قَصَفَتِ طائراتُ الجيشِ الأفغاني رتلها! ودمَّرَت بقيَّةَ العرباتِ الموجودةَ فيه، ولولا هذا القصفُ لكنَّا سنحصلُ على المزيدِ من الغنائم. وتمكَّنَت بعضُ العرباتِ من الهربِ مِنَّا. أُصيبَ والدُ وزيرِ الدَّاخليَّة الأفغاني "غولبزوي" بجروحٍ في القتالِ وتمكَّنَ من الفِرار في إحدى ناقلاتِ الجنودِ المدرَّعة. كان اسمُه غلاب شاه وكانَ أحدَ أفرادِ قبيلة زادران، فَرُبَّما ساعدَه بعضُ رجالِ قبيلتِه على الهروب.

التَّعليق:

في بداياتِ الحرب، كانت المقاومةُ الأفغانيَّةُ مرتكزةً في معظمِها على القبائلِ والحميَّةِ القبليَّة. فيما بعد، وبعدَ تلقِّي الدَّعمِ الأمريكيِّ والمصريِّ والسُّعودي عبرَ الفصائلِ الإسلامية، تحوَّل هذا الارتكازُ والولاءُ نحوَ الفصائلِ والفصائليَّة.

أمرٌ آخر، هيَ الطَّريقة التي تمَّ فيها حشدُ القوَّةِ المحلِّيَّة لمواجهةِ أرتالِ الجيشِ الأفغاني، فقد كانت تشبهُ إلى حدٍّ كبيرٍ الطريقةَ التي واجَهَتْها القُوَّاتُ البريطانية خلالَ قتالِ القبائلِ نفسِها على الجبهةِ الشَّماليَّةِ الغربيَّة، حيثُ كانَ المحاربون بعدَ حشدِ اللَّشكَر يُنشدون أهازيجَ حماسيَّةً ويقرعونَ الطُّبول، وهذا ما حدثَ في هذهِ المَقالةِ بالضَّبط.

المقالة الثَّانية: قطع طريق بغمان السَّريع

رواية القائد "الحاج عاقل شاه ساهك"[105]

خُضْتُ العديدَ من الأعمالِ العسكريَّة، إلا أنَّ هذه التي سأسرُدُها لن أنسَاها ما حَييت، لما لاقيتُ فيها من التَّعبِ الشديد. في يوميَ الرَّابع والخامسِ من يونيو/حزيران 1983م، كنَّا في مركزِ مديريَّة بغمان على بُعدِ 25 كيلومترٍ غرب كابول التي كانت تَتَمَركزُ فيه قُوَّاتُ الجيشِ الأفغاني[106]. فَوَرَدَت إلينا معلوماتٌ في إحدى اللَّيالي تفيدُ بأنَّ رتلاً ضَخمَاً من القُوَّاتِ السُّوفيتيَّة والأفغانيَّة قادمٌ لإمدادِ وتعزيزِ حاميةِ بغمان وقطاعِهَا الحكومي. وقد كانَ هناك طريقينِ سريعينِ متوازيينِ بينَ كابول وبغمان. (خريطة 6-2-بغمان)



قامَ القائدانِ الرَّاحلانِ حبيبُ الله ووحيدٌ معَ قادةٍ آخرين بوضع خُطَّةٍ لصدِّ القافلة. وكانَ لديهم مَا بين 250 إلى 300 مجاهداً مسلَّحينِ بِمدفَعي هاون وبمدفعٍ عديمِ الارتداد و12 قاذف آر بي جي – 7 والعديدِ من بنادقِ الكلاشينكوف والإنفيلد. وقد قامُوا بتكليفِ كُلِّ مجموعةٍ مُختلفةٍ بقطَّاعٍ جغرافي

---

[105] كانَ القائدُ "الحاج عاقل شاه" من مديريَّة "شارديهي" في كابول (وهي الضَّاحية الجنوبيَّة لمدينة كابول). وكان ينتمي للجبهةِ الإسلاميَّة الوطنيَّة في أفغانستان. Map sheets 2786 and 28861

[106] حسب ما ورد من المعلومات، كانت القوَّةُ المتمركزةُ فيها سريتانِ من الكتيبة 200 الاستطلاعيَّة المستقلة.

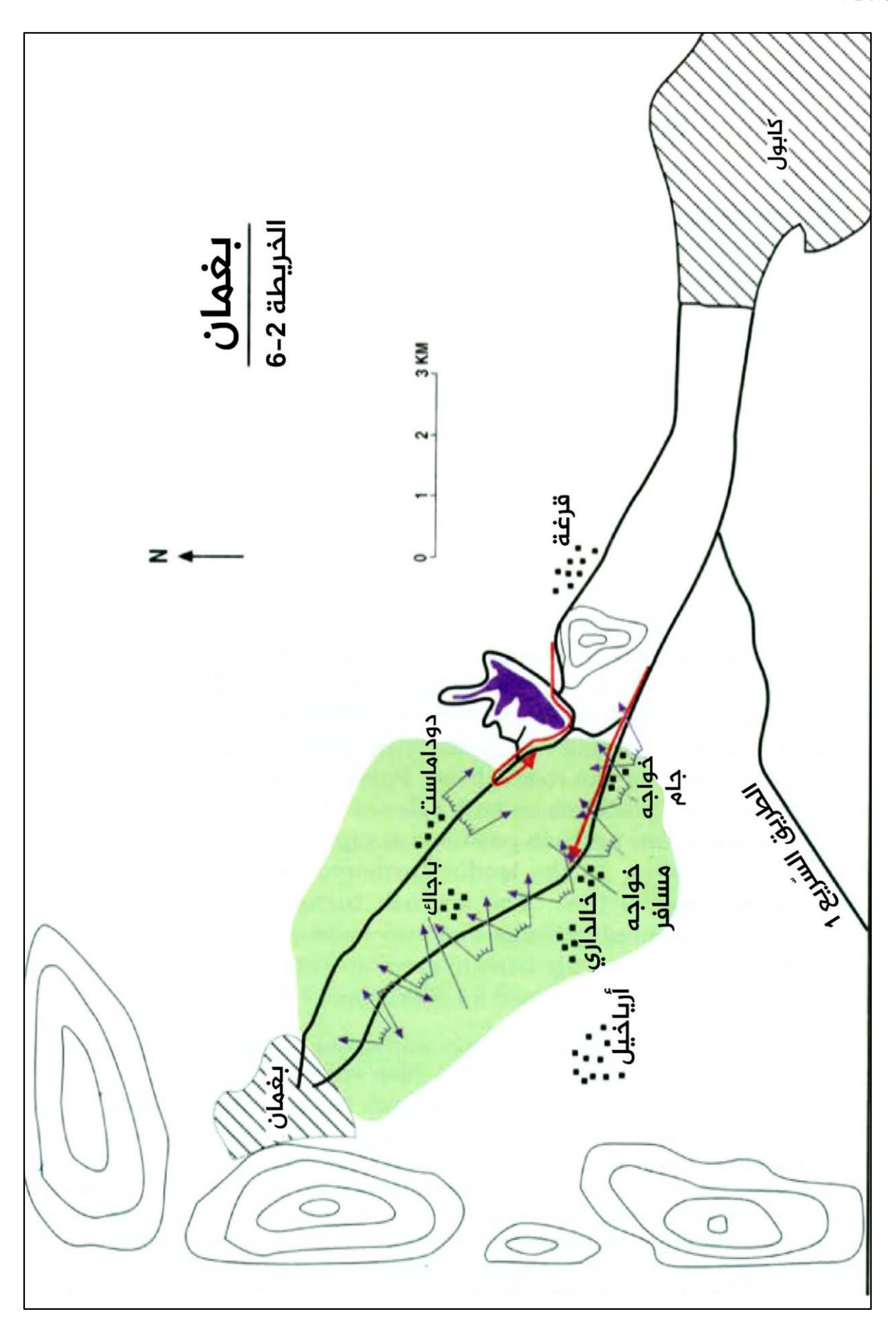
يتوَّلون مَسؤوليته، بحيثُ كانَ من المفترضِ أن تقومَ كُلُّ مجموعةٍ بإغلاقِ الطَّريقِ السَّريع في قطَّاعها باستخدامِ الكمائن. فتمَّ تكليفُ حبيبِ الله (من الحزبِ الإسلاميّ بقيادةِ مولوي يونس خالص) والقائدِ أمان (من الاتِّحادِ الإسلاميّ لتحريرِ أفغانستان) وأنا (من الجبهةِ الإسلاميَّةِ الوطنيَّةِ الأفغانيَّة) بالقطَّاعِ المُمتدِّ من "خواجه جم" إلى "خواجه مسافر".

كانت "خواجه جم" تَبعدُ مسافةَ كيلومترٍ واحدٍ عن مُفترقِ طرق "تشيلتان". فَشَغَلت معظمُ مجموعتِنا العديدَ من المواقعِ على الجانبِ الجنوبيِّ من الطَّريق. وكانَ القادةُ أجابغول ووحيدٌ وعبدُ الله جان وكوخسي مَوجودين في القَطَّاعِ المُمْتدِّ من خواجه مسافر إلى باجاك. حيثُ نَصَبُوا العديدَ من الكمائن، وكان معظمُها على الجانبِ الجنوبيِّ من الطَّريق. بينما نصبَ بقيَّةُ المجاهدين مجموعةً من الكمائن من باجاك إلى بغمان على جَانِبَي الطَّريق.

احتَلَّنا مواقعَ الكمين في اللَّيل، وفي صباحِ اليومِ التَّالي، غادرَ الرَّتلُ العاصمةَ كابول. وعندما وَصَلَتِ العربةُ المُدَرَّعةُ الرَّائدة إلى خواجه مسافر، قُمْنا بفتحِ النِّيرانِ عليها، ليتحوَّل ما كنَّا نريدُه كميناً إلى معركة، حيثُ دَمَّرنا 11 عربةً مُدرعةً ومروحيَّتين. حَاولت مروحيَّاتُ العدوّ وطائراتُه الحربيَّةُ طَردَنا من مَواقِعِنا، لكنَّنا صَمَدْنا ليستمرَّ القتالُ لمدَّةِ ثلاثةِ أيام.[107] ولحسنِ حَظِّنا فقد دَعَمَنا السُّكان المحليون جيداً، فقد كانَ سُكَّانُ باغمان وأريخيل وخلدري يُوصِلون الطَّعام لنا، حتَّى أنَّه أثناءَ القتال، كانتِ

[107] روى القائد في مجموعة عاقل شاه المدعو "زاكاري" الجزء التَّالي من المعركة: "كانت لدي بندقية إنفيلد (مكنظمة)، وكان في مخزنها 10 طلقات مع طلقةٍ في حجرة الإطلاق (بيت النَّار). وكان الرُّوس يعرفون صوت هذه البندقية، فكانوا يعدُّون 11 طلقةً ثمَّ ينقضُّون على الرَّامي بعدها بينما يحاول إعادة تعبئة البندقية. وفي هذه المعركة كنتُ أرمي ببندقية إنفيلد على جنديٍ روسيٍ، واستنفدتُ طلقاتي 11. وقد كان هذا الجندي يعدُّ الطلقات، فلما نفدت انقضَّ مسرعاً نحوي. فصرختُ طلباً للمساعدة من صديقي رامي الآر بي جي -7 وكان قد لقَّمها بقذيفة مضادَّة للدَّبابات. فردَّ عليَّ سائلاً: ماذا؟ أأرميه بهذا؟ فصرختُ مجاوباً: نعم، أسرع، فسوف يقتلني! فصرخ راداً: حسناً. ورمى القذيفة نحو الجندي، فأحاله مِزَقاً.

النِّساءُ من القرى يَجْلِبْنَ الخبزَ والحليبَ إلى مواقعنا. كما جَاءتنا تعزيزاتٌ من المجاهدين من خارجِ المنطقة.



نَقَلَ "مدير ظاهر" -وهو من خلدري- تسعةَ مُجاهدين مُصابين إلى منزلِه، وَقامَت زوجتُهُ بتطبيبِهم ولفَّت جروحَهم بالضّمادات. وحاولَ السُّوفييت تجاوزَ كَمِيننا عبرَ التَّحَرُّكِ على الطَّريق الشَّمالي المُؤَدّي إلى بغمان عبرَ قرغة. إلا أنَّ المجاهدينَ استطاعُوا إيقافَ هذا الرَّتل في "دوداماست" شمالَ غربَ قرغة. كذلك حاولَ العدوُّ تجاوزَ كمينِ خواجه مسافر عبرَ الالتفافِ حولَه، ولكنْ سُرعان ما سَقَطتْ قُوَّةُ الالتفافِ في كمائنَ أخرى للمجاهدين. تَرَكَّزَ معظمُ القتال في خواجه مسافر، واستطعْنا إيقافَ العدو وصدَّه هناك. وبعدَ ثلاثةِ أيَّامٍ من القتال، قطعَ العدوُّ الاشتباك وانسحبَ يَجُرُّ أذيالَ الخيبةِ إلى كابول.

في قَطَّاعي، قُتِل 13 من المجاهدين وأُصيبَ العديدُ منهم، وأذكرُ شخصيّاً 20 جريحاً، إلا أنَّ عددَهم كانَ أكثرَ بكثير. وَخَسِرَ العدوُّ في قطَّاعي 14 عربةً مُدرَّعة وشاحنة. وعلمتُ بأنَّ أكثرَ من 40 جندياً أفغانيّاً قد أُسِرُوا أو انشقوا. واغتنمْنا مئاتِ القطع من الأسلحةِ الصَّغيرة في هذهِ المعركة.

التَّعليق:

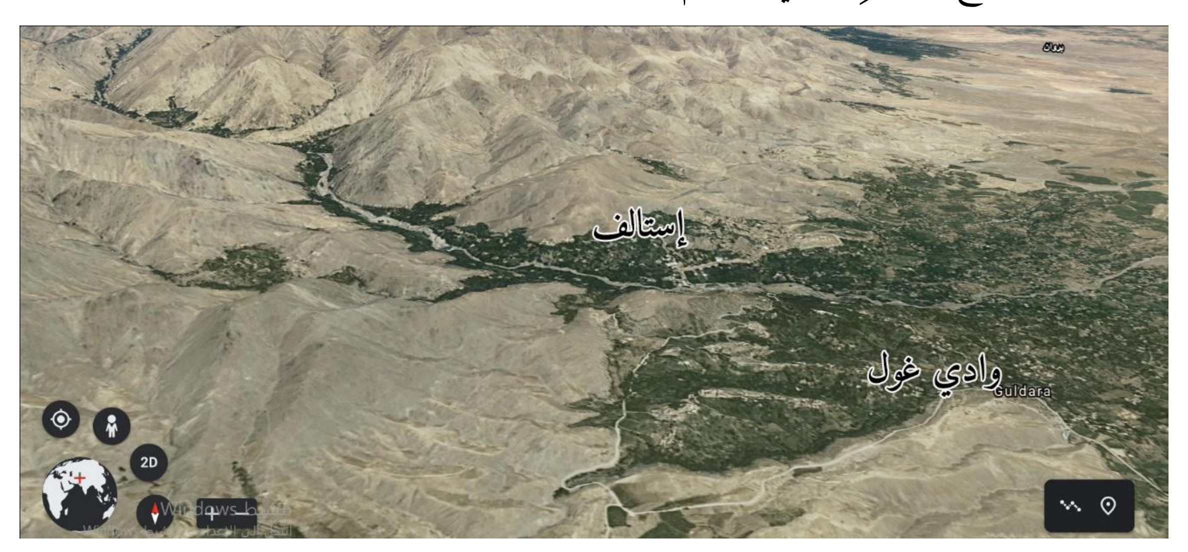
تمثّلُ هذه المقالةُ مثالاً عن التَّعاونِ الميدانيِّ النَّاجح بين المجاهدين، إلا أنَّها لم تكن سِمَةً مُستمِرّةً عبرَ الحرب. فقد تعاونَ المجاهدون وعزَّزُوا عمومَ تشكيلاتِهم مع استمرارِ المعركة، منذُ مجيءِ المجاهدين من جميعِ أنحاءِ المنطقةِ للانضمامِ إلى القتال. وقد لاحظَ البريطانيون بأنَّ القتالَ الحامي كانَ له تأثيرٌ أشبهُ بالمغناطيسِ الجاذبِ لرجالِ القبائلِ المُحاربين في أفغانستان، وقد عَلِمَ السُّوفييت بأنَّ هذهِ الطبيعةَ لم تتبدَّلْ لدى الأفغانِ عبرَ الزَّمن. وقطعَ السُّوفييتُ والجيشُ الأفغانيُّ الاشتباكَ بعدَ ثلاثةِ أيَّام، على الرُّغمِ من أنَّ خطوطَ إمدادِهم بقيَت سليمةً وقد ثبَتَ العدوُّ في مواقعَ معروفة. إلا أنَّ القُوَّةَ النَّاريَّةَ لم تستطعْ كسرَ المُجاهدين، ولم يرسلِ السُّوفييت والجيشُ الأفغانيُّ قوَّاتِ المُشاةِ اللّازمةَ للاقترابِ مِنَ المجاهدين.

يمرُّ الطَّريقُ المُؤدي إلى بغمان عبرَ منطقةٍ خضراءَ مُكتظَّةٍ بالسُّكان، مَكَّنت المجاهدين من العُثورِ على مواقعَ جيَّدةٍ للكمائنِ على طولِ الطَّريقِ وتحصينِها. وَوَفَّرتِ الأشجارُ والمزروعاتُ في فصلِ الصَّيف تَمويهاً جيِّداً للمجاهدين في هذا القتال.

المقالة الثَّالثة: قطع الطَّريق في إستالف

رواية القائد "صوفي لال غول"[108]

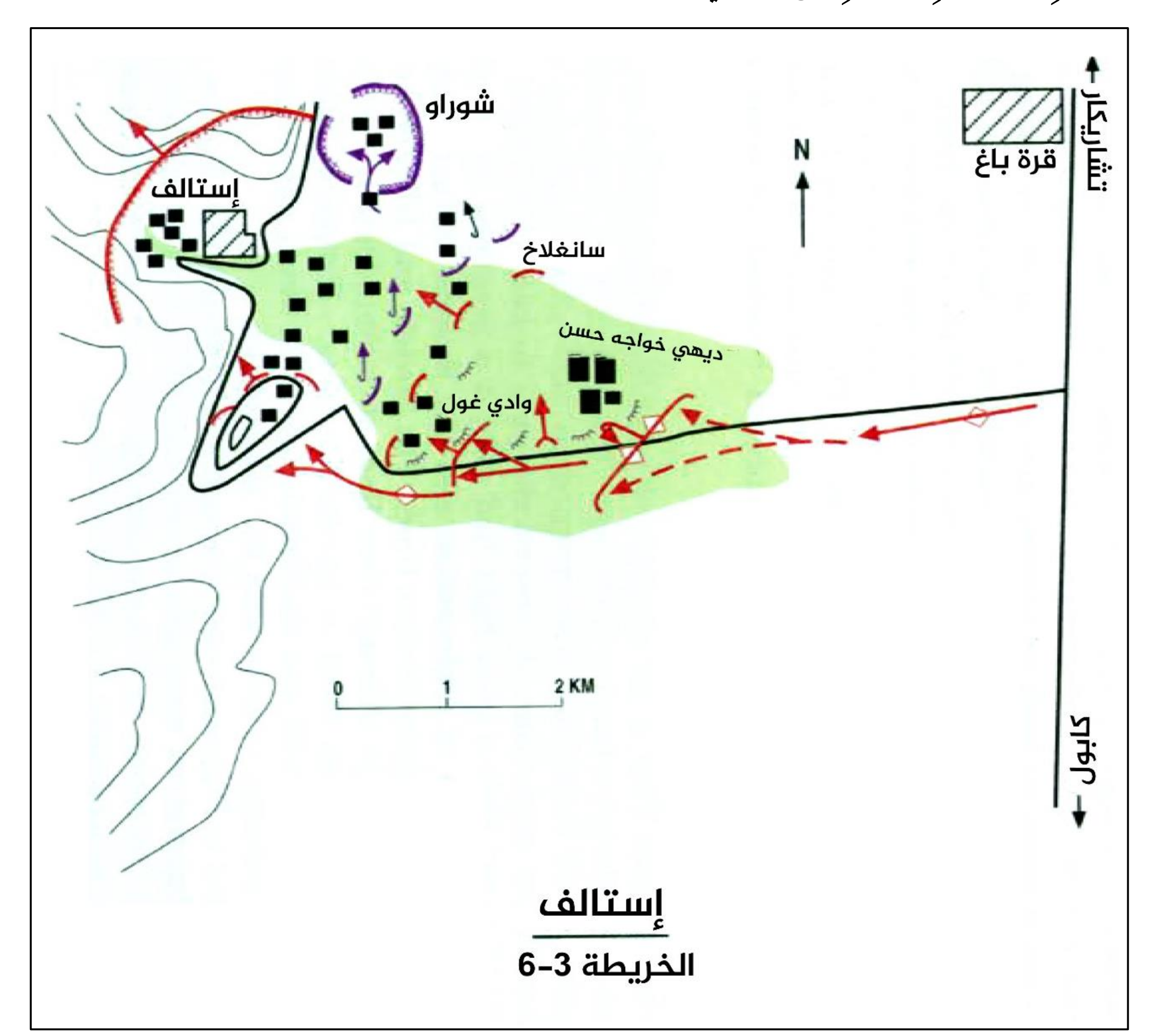
في أكتوبر/تشرين الأول عام 1983م، أُصِيبَ أحدُ رجالي في اقتِتَالٍ مع مجاهدٍ آخر من منطقةٍ أخرى. فأخذتُ مجموعةً من 20 مجاهداً من قاعدتي في فارزا وَسِرْنا خمسةَ كيلومتراتٍ شمالاً إلى إستالف. وكُنَّا سنلتقي بوجهاءَ إستالف لتسويةِ النِّزاعِ مع القادةِ المَحليين الآخرين. وتمتازُ إستالف بأنَّها مَصيفٌ شَهير، يَقعُ على بُعدِ حَوالي 40 كم شَمالَ كابول.



أَبْلَغَتْ عيونُ العدوِّ القُوَّاتِ السُّوفييتيَّةَ والأفغانيَّةَ عن اجتماعِنا، فقرَّرُوا التَّوجُّهَ لمهاجمتنا. فجاءَت القُوَّاتُ السُّوفييتيَّةُ من قاعدةِ باغرام القريبةِ، وجاءَتِ القُوَّاتُ الأفغانيَّةُ من كابول. وفي الليل، أبلغتْنا دورِيَّاتُ المجاهدين عند مفرقِ إستالف على طريقِ كابول تشاريكار السَّريع بأنَّ أرتالاً سُوفييتيَّةً وأفغانيَّةً قد تحرَّكت من كابول وباغرام وكانت مُتَّجهةً نحو إستالف، فأيقظْنا بقيَّةَ المجاهدين عندَ الفجر. فانضمَّت مجموعتي المؤلَّفةُ من 20 رجلاً إلى قُوَّةٍ قَوَامُها حوالي 100 فردٍ بقيادةِ نجلِ زعيمِ قبيلةِ إستالف (وكيل محمد أمين خان). واتَّخذْنا مواقعَ قتاليَّةً في بساتين ديهي خواجه حسن وقبرِ

[108] القائد صوفي لال غول من قرية فرزا في مديرية "مير باشا كوت" الواقعة على بعد 25 كيلومتراً شمال كابول. كان ينتمي إلى جبهة التحرير الوطني الأفغاني بقيادة مجددي أثناء الحرب مع السوفييت وركز جهوده على طريق تشاريكار- كابول. Map sheet 2886, vie grid 07541

مالك (الخريطة 6-3 - إستالف). كانت خطَّتُنا تَتَمَثَّلُ بإغلاقِ طريقِ إستالف ومنع العدوّ من الوصولِ إلى البلدةِ الحاكمةِ على الوادي الخَصب.



إستالف
الخريطة 3-6

قَسَمَ قادةُ المجاهدين رجالَهم إلى فِرقٍ صغيرةٍ من أربعةِ رجالٍ أو خمسةٍ، ونَشَرُوهم في البساتينِ المُمْتدَّةِ على الطَّريقِ لإيقاعِ رتلِ العدوّ في كمينٍ مُمتد. ووَجَّهنا رجالَنا بتركِ الرَّتل حتَّى يصلُ أوَّلُه إلى قبرِ مالك، ثمَّ يفتحُ الجميعُ النّيرانَ عليه. ومَعَ وصولِ العربةِ الرَّائدة إلى قبرِ مالك، تمَّ إيصالُ الأمرِ بإطلاقِ النّيرانِ من القائدِ إلى الجنودِ عبرَ مكبّراتِ الصَّوتِ المَحمولة. فَضَرَبْنا العَرَبةَ الرَّائدة وسيَّارةَ جيب، فَنَشَبَتِ المعركةُ على طولِ الرَّتلِ من قبرِ مالك إلى ديهي خواجه حسن. وترَّجلتِ المُشاةُ السُّوفييت وهاجمُوا مواقعَ المجاهدين وبدؤُوا بخوضِ اشتباكٍ عنيفٍ معنا. كانَ منَ الصَّعبِ بالنِّسبةِ للمُشاة السَّوفييت العملُ على تثبيتِ قُوَّاتنا، لكونِنَا مُنتشرينَ في البَساتين، ممَّا مَنَحَنا مجالاً للمناورة. غيرَ أنَّنا

عانّينا من شُحّ في الإمداداتِ لاسيما الذَّخائر، على عكس عدوِّنا الذي تفوَّقَ علينا بالقوَّةِ القتالية، لاستخدامِهِ المِروحيَّات الهُجوميَّة والطَّائراتِ الحربيَّة ضِدَّنا. بالإضافةِ إلى ذلك، عَانيْنَا من صعوبةِ القيادةِ والسَّيطرةِ على المعركة، وذلك لتفرُّقِ عناصرِ المُجاهدين في مجموعاتٍ صغيرةٍ على مَسَاحةٍ واسعةٍ، مِمَّا أعاقَ إلى حدٍّ كبيرٍ قدرةَ المجموعاتِ على تنسيقِ الأعمال فيما بينَهَا.

استمرَّ القتالُ في البساتين حتَّى السَّاعة 12:00، حيثُ نفدتِ الذَّخيرةُ، فانسَحَبَت مجموعاتُ المجاهدين في اتِّجاهاتٍ مختلفةٍ، ونقلُوا جرحَاهُم إلى مناطقَ آمنة. وعزَّزَ السوفييت من مكاسبِهم باختراقِ المنطقةِ الخضراء، فسيطرُوا على الأراضي المُرتفعةِ الحاكمةِ على المقتربات من إستالف. ولدى وُصولِ الرَّتلِ السُّوفييتيِّ/الأفغانيِّ إلى إستالف، بدؤُوا حملةَ تفتيشٍ مُكثَّفةٍ عبرَ البلدة. فنهبَ الجنودُ المنازل ودمَّرُوا الممتلكاتِ وأحرقُوا المنازلَ التي اشتبهُوا بأنَّها للمجاهدين.

بقي السُّوفييت في البلدةِ لثلاثةِ أيَّامٍ مُتتالية، ثمَّ قفلُوا عائدين إلى قواعدِهم. كانت خسائرُ المجاهدين في هذهِ المعركةِ قتيلينِ و18 جريحاً، معظمُهم نتيجةَ القصفِ الجويِّ السُّوفييتي.

التَّعليق:

مَثَّلَ تَحشُّد المجاهدين بأعدادٍ كبيرةٍ في إستالف قربَ القُوَّاتِ السُّوفييتيَّةِ والأفغانيَّة مجازفةً عظيمة. ولولا أنَّ دوريَّة المجاهدين لم تنذرْهُم مبكراً بقدومِ العدوِّ، لكانت خسائرُ المجاهدين أعلى بكثير. مع ذلك، فالمجاهدونَ قد أحسنُوا العملَ بردِّهم العاجلِ وانتشارِهم السَّريع على امتدادِ الطَّريقِ المؤدي إلى إستالف. فقد استفادُوا من معرفتِهم بالأرضِ في التَّعجيلِ باختيارِ المواقع القتاليَّةِ الفعَّالة، مستغلّين التَّضاريسَ والغطاءَ النَّباتيَّ لإخفاءِ أنفسِهم من القُوَّات الجويَّةِ والبريَّةِ السُّوفييتيَّة.

من جهةٍ أخرى، فقد عَانَى المجاهدونَ من ضَعفِ القيادة والسَّيطرة، مِمَّا مَنَعهم من تحقيقِ المُزامنة في الهجماتِ والتَّدابيرِ المُضادَّة. ولو كانت القيادةُ والسَّيطرةُ أقوى، لاستطاعَ المجاهدون الاحتفاظَ بالمرتفعاتِ الحاكمةِ على طريقِ إستالف، ولمَنعُوا دخولَ السُّوفييت، لكنَّ السُّوفييت تمكَّنُوا من الاختراقِ نحو إستالف. ويعودُ ذلك لكونِ المجاهدين يتجنَّبون خوضَ معاركَ حاسمة مُمتدة مع عدوٍّ أكثرَ قوةً ومؤناً، فقد كانوا مُقتنعين بأنَّ عليهم النَّجاةَ لمواجهةِ العدوِّ مرةً وأخرى. إنَّ افتقادَ المجاهدين لنظامِ إمدادٍ حيويٍّ أعاقَ قدراتِهم التَّكتيكيَّة إلى حَدٍّ كبير.

لقد أحسنتِ القُوَّاتُ السُّوفييتيَّةُ والأفغانيَّةُ صُنعاً، حين أحضرُوا معهم قُوَّاتٍ كافيةً للقتالِ كمشاةٍ واستخدمُوهم على نحوٍ فعَّال. فقد أدَّى الجمعُ بينَ القُوَّة النَّاريَّة السَّاحقةِ والمناورةِ الأرضيَّة إلى بلبلةِ دفاعاتِ المجاهدين، وأجبرَتِ الحركةُ الحاسمةُ التي نفَّذَها المشاةُ السُّوفييت المجاهدين الذين يفتقرون إلى الإمدادِ على قطعِ الاشتباك، تاركينَ الأرضَ الحاكمة، مِمَّا فتحَ الطَّريقَ إلى إستالف. ومع ذلك، فإنَّ القُوَّاتِ السُّوفييتيَّةَ والأفغانيَّةَ لم تستطعِ الالتفافَ على المجاهدين أو تطويقَهم، وكلَّما قدرُوا عليه هو مجرَّدُ الضَّغطُ عليهم. وهذا الأمرُ أفشلَ محاولتَهم في فرضِ معركةٍ حاسمةٍ وسَمَحَ للمجاهدين بالانسحابِ دونَ خسائرَ فادحة.

المقالة الرَّابعة: الدِّفاعُ على خطِّ النهر وقطعُ الطِّريق في "صياد"

رواية القائد الحاج عبد القادر[109]

في أواخرِ الصَّيف ومعَ بدايةِ خريف 1983م، زادَ المجاهدون في مُديرِيَّتي "نجراب" و"تغاب" بولاية "كابيسا" من هَجَماتِهم على المُنشآت الحكوميَّة. وتقعُ هذه المناطقُ في الجانبِ الشَّرقِيّ من نهرِ بانجشير، وَتُوصِلُ "ساروبي" -الواقعةَ على طريقِ كابول-جلال آباد السَّريع- إلى مواقعَ إستراتيجيَّة في كلٍّ من ولاية بروان وكابيسا ولغمان. وَتُتيحُ هاتان المُديريَّتان أيضاً الوصولَ إلى العديدِ من قواعدِ المُجاهدين في الجبال.



في هذه المنطقة أيضاً، يقعُ الجسرُ الدَّائمُ الوحيدُ عبرَ نهر بانجشير (عندَ عبد الله بورج)، والذي يؤدِّي مباشرةً إلى باغرام. كُنَّا نتوقَّعُ أن تقومَ القوَّاتُ السُّوفييتيَّةُ والأفغانيَّةُ في باغرام بِشَنِّ هجومٍ على المنطقة، بحيثُ يكونُ الغرضُ منه حمايةَ ساروبي والطَّريقَ الرئيسيَّ الذي يربطُ الأخيرةَ بعاصمةِ ولاية كابيسا (المعروفةِ بمحمود الراقي) و"جلبهار" الواقعةِ في الشَّمالِ عندَ مَصَبِّ وادي بانجشير.

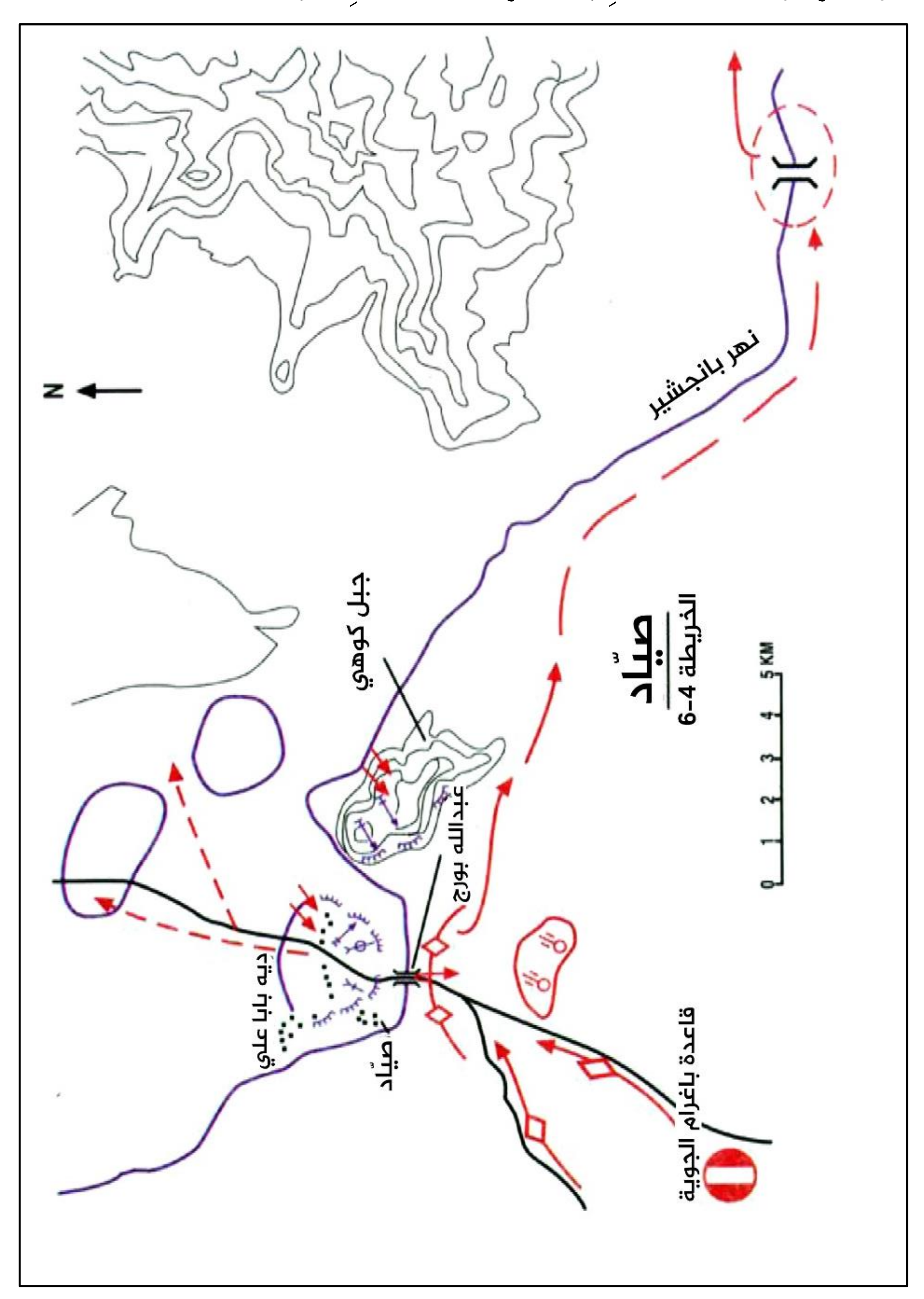
[109] كان الحاج عبد القادر قياديّاً في الحزبِ الإسلامي التَّابعِ لمولوي يونس خالص. وتمركزَت قُوَّاتُه حولَ منطقةِ باغرام الحيوية. Map sheet 2886, 2887, vie grid 28721

قَرَّرنا صَدَّ هذا التَّقدمَ المتوقَّعَ مُوظِّفينَ القُوَّاتَ التي بِحوزَتي وقُوَّاتِ القائدِ شاهين (المتمركزة حولَ محمود الراقي). فأعدَدْنا مواقعَ دفاعيَّةً على الضِّفَّةِ الشَّماليَّةِ لنهر بانجشير حَولَ الجسرِ في "عبد الله بورج" (الخريطة 6-4 - صيَّاد)، كما قُمْنا ببناءِ مواقع عرقلةٍ في خندقٍ عميقٍ يمرُّ عبرَ قريةِ الصَّيَّاد العليا ويُغطي الطَّريقَ لدى اقترابِه منَ الجِسر. وأعدَدنا أيضاً مواقعَ على الأرضِ المرتفعةِ جنوبَ النَّهرِ والتي تسيطرُ على الطَّريقِ وضفَّتي النَّهر. كما زَرَعنا ألغاماً وشيَّدنا ملاجئَ مسقوفةً لحمايةِ مُجاهدينا من نيرانِ المِدفعيَّة والجويَّة. ونقلْنا الإمداداتِ لتخزينِها في قاعدةِ إمدادٍ أماميَّة في قرية "ديه بابي" شمالَ غربَ قريةِ صيَّاد مباشرة. ثمَّ حَفَرْنا خنادقَ مسقوفةً انطلاقاً من هذه القاعدة وُصولا إلى المواقع الأماميَّة. وعرَّضْنا الخنادقَ بما يكفي لعبورِ الإمداداتِ المحمولةِ على الخيولِ والبغال والحَمَّالين.

كانَ لدى القائدِ شَاهين قرابةَ 600 رجلٍ وكان لديَّ قُرابَةَ 250 فرداً. إلا أنَّه لم تكن هناكَ مساحةٌ كافيةٌ لنشرِهم جميعاً، لذلك فقد احتلَّت ثلثُ القُوَّةِ فقط مواقعَ القتال، بينما كانَ الباقون يَشغلونَ الاحتياط أو في مَهام الدَّعم. كما شغلَ بعضُ المجاهدين مواقعَ على الأجنحة لاحتواءِ العدو. ونظراً لأنَّ جميعَ المجاهدين كانُوا من أبناءِ المنطقة، فقد تمكنَّا من نشرِ قوَّةِ الصَّدِّ في سِرِّيَّةٍ تامَّة. وقد ساعدَ ذلك في مباغتَةِ العدوِّ وضربِه في وقتٍ ومكانٍ لم يكنْ فيه مُستعدَّاً على الإطلاق للرَّدِّ بفعاليَّة.

في وقتٍ مبكرٍ من صباح يوم 31 أكتوبر 1983م، تَحَرَّكَتِ القُوَّاتُ السُّوفييتيَّةُ والأفغانيَّةُ من قاعدةِ باغرام عبرَ طولِ طريقينِ مُتوازيين مُتَّجهين نحوَ جسرِ عبدِ الله بورج. فقدَّرتُ أنا قُوَّةَ العدوِّ بعدَّة أفواجٍ مَدعومةٍ بإسنادٍ مَدفعيٍّ قوي ولوجستيَّاتٍ وَافرة، وكانَ في طليعةِ الرَّتل دباباتٌ وناقلاتُ جنودٍ مُدرَّعة. وبينما وصلَ أَوَّلُ الرَّتل لقريةِ صيَّاد السفلى كانَ آخرُ الرَّتلِ لا يزالُ داخلَ قاعدةِ باغرام على بُعدِ حوالَي عشرةِ كيلومتراتٍ جنوبَ غربَ أوَّلِ الرَّتل. وعندما عَبَرَت دبَّاباتُ العدوِّ وناقلاتُ الجنودِ المدرَّعة عَبْرَ قريةِ صياد السفلى باتِّجاهِ النَّهر، فتحْنا النِّيرانَ عليهم وأخذْنا العدوَّ على حينِ غرَّة. فاستغرقَ العدوُّ بعضَ الوقتِ ليكتشفَ مواقِعنا وَيَرُدَّ علينا. ولدى دخولِ المزيدِ من عرباتِ الرَّتل ضِمنَ مدى نيرانِ أسلحتِنا المضادَّةِ للدَّبابات قُمْنا بتكثيفِ النِّيرانِ عليها، فضربْنا العديدَ

منها فاحترَقَت. وبدلاً من أن يحاولَ العدوُّ تأمينَ الجسرِ بعناصرِ المُشاة، وَاصَلُوا دفعَ دبَّاباتِهم وناقلاتِهم نحوَ الجسر. فوصَلَت دبابةٌ وناقلتانِ إلى الجسر، لكنَّنا قُمْنا بتدميرِها فوقَه.



توقَّفَ العدوُّ وبدأَ بقصفِ مواقعِ المجاهدينَ المُشتبهِ فيها بنيرانِ المِدفعيَّة والجويَّة. وبدأ أيضاً في قصفِ المنطقةِ عَشوائيَّاً، بما في ذلك القُرى المحيطة. ومع ذلك، كانت لدينا قوَّةُ عرقلةٍ مُتحصِّنَةٍ جيداً، وَمَحميَّةٍ من نيرانِ العدو. وانتقل معظمُ مجاهدينا إلى الملاجئ المُغطَّاة طوالَ فترةِ التَّمهيدِ النَّاري للعدو. وبمجرَّدِ ما بدأ العدوُّ بتحويلِ نيرانِه حتَّى يتمكَّنَ من شنِّ الهجوم، أعادَ المجاهدون احتلالَ مواقعِهِمُ القتاليَّةِ واشتبكُوا مع مُشاةِ العدوِّ ودبَّاباتِه بقذائفِ الهاون والمدافعِ الرَّشَّاشة ومدافع عيار 82 ملم عديمةِ الارتِداد وقاذفاتِ الآر بي جي -7. وسرعانَ ما انتشرَ خبرُ صُمودِنا ضدَّ القُوَّاتِ السُّوفييتيَّة والأفغانيَّة في جميعِ أنحاءِ المنطقة، ووصلَت أخبارُنا حتَّى كابول وتشاريكار وبانجشير. فبدأَ المجاهدون من هذهِ المناطقِ بالمشاركةِ في القتال، ممَّا كانَ له الأثرَ المعنويَّ على العدو، لأنَّ هؤلاءِ المُجاهدين قد بدأُوا في شنِّ هجماتٍ على جناحِ الرَّتلِ ومُؤخِّرَتِه.

في وقتٍ مبكِّرٍ من بعدِ الظُّهر، عَزَّزَ العدوُّ جهودَه بإرسالِ القليلِ من القُوَّاتِ الأفغانية، فشنَّ بهم هُجوماً آخرَ لتطهيرِ الطَّريق. فنجحْنا في صَدِّ الهجوم، وكبَّدناهُم خسائرَ فادحةً. وفي وقتٍ مُتأخِّرٍ من بعدِ الظُّهر، قامَ العدوُّ مرَّةً أخرى بتوجيهِ قصفٍ مُستخدماً المِدفعيَّةَ والغاراتِ الجويَّةَ على مواقعنا. وتناوَبَت المِدفعيَّةُ والطَّائراتُ الحربيَّةُ والمِروحيَّاتُ في القصف، ثمَّ هَاجَمَتنا وحدةٌ سُوفييتيَّةٌ، وكان مصيرُها الهزيمةَ أيضاً. أثناءَ اللَّيل، حاولَ العدوُّ مهاجمةَ الجسرِ ثلاثَ مرَّاتٍ، ففشلَ في كلِّ هذهِ المُحاولات. ولم تكن مخاضةٌ[110] في النَّهرِ تُمَكِّنُ العرباتِ من المُرورِ عبرَ مكانٍ آخر، لذا، لم يحاولِ العدوُّ الالتفافَ علينا عبرَ نقطةٍ أخرى باستخدامِ قواربِ الاقتحامِ لنقلِ المُشاة. وقد يعودُ ذلك لكونِ حجمِ قوَّاتِ المجاهدين المُشاركةِ في القتالِ على جانبي النَّهرِ قد ثبَّطتِ العدوَّ عن المُجازفةِ بدفعِ المُشاةِ للاقتحامِ ليلاً.

في صباحِ يومِ 1 نوفمبر، استأنفَ العدوُّ القصفَ المِدفعيَّ والجويَّ الكثيف. وفي الوقتِ نفسه، رَصَدْنا نشاطاتٍ للعدوِّ باتِّجاهِ الجنوب. وفي حَوالي السَّاعةِ 10:00، قامَ العدوُّ الذي كانَ أمامَ الجسرِ بقطعِ الاشتباك. وتوجَّهتْ معظمُ قوَّاتِه جنوباً عبرَ سهلِ الضِّفَّةِ الجنوبيَّة لنهرِ بانجشير. واكتشفْنا لاحقاً بأنَّ

[110] المركز: منطقة تكون فيها المياه في النهر غير عميقة وتكون المساحة بين الضفتين مناسبة للعبور

العدوَّ قد بنى جِسراً هندسيّاً فوقَ النَّهرِ بالقربِ من شوخي، على بُعدِ حَوالي 20 كيلومتراً أسفلَ مجرى النَّهرِ وعَبَرَ هناك للتَّحرُّكِ نحوَ مِنطقتَي نجراب وتغاب. فلمَّا رأينا العدوَّ ينسحبُ، تركْنا مواقعَنا وجمعْنا ما تركَهُ العدو. وفي اليومِ التَّالي، ألقيْنا ببقايا دبَّاباتِهم وناقلاتِهم من الجِسر إلى النَّهر.

التَّعليق:

لم تُحسنِ القُوَّاتُ السُّوفييتيَّةُ والأفغانيَّةُ الاستطلاعَ مُقدَّماً، ولا احتلالَ الخوانقِ المحتملةِ بمفارزَ أماميَّةٍ قبلَ وصولِ الرَّتل. ومن الواضحِ أنَّ الرَّتلَ فوجِئَ بالمقاومةِ العنيفةِ التي واجَهها. ولو أنَّهم اكتشفُوا مُسبقاً حاجزَ العرقلة الذي أقامَه المجاهدون لأحسنُوا التَّعاملَ معه على نحوٍ أكثرَ فعاليَّة من محاولتِهم فرضَ العبورِ باستخدامِ الهجماتِ الأماميَّة المتكرِّرة.

كانَ من المتاحِ لدى القُوَّاتِ السُّوفييتيَّةِ والأفغانيَّةِ عدَّةُ خياراتٍ غيرَ الهجماتِ الأماميَّة:

أولاً: كانَ بإمكانِهم نقلُ قُوَّاتٍ أفغانيَّةٍ من جبلِ "السِّراج" و"غلبهار" في الشَّمال لمهاجمةِ مواقعِ المجاهدين من مجنَّبتِهم ومؤخّرتِهم، حيثُ كانت توجدُ حامياتٌ بالفعلِ في هذهِ المواقعِ عبرَ النَّهر.

ثانياً: كانَ بإمكانِهم دفعُ المُشاةِ للاقتحامِ عبرَ موقعٍ غيرِ محميٍ، ثمَّ الهجومُ على موقعِ المجاهدين من مُجنَّبَتِهم.

ثالثًا: لو كانت السُّرعةُ تُهِمُّهم فعلاً، لاختارُوا التَّبكيرَ بما فعلُوه لاحقاً من بناءِ جسرٍ هندسيٍّ بدلَ تكبُّدِهم الخسائرَ والكثيرَ من الوقتِ عندَ جسرِ عبد الله بورج.

حاولَ الرَّتلُ السُّوفييتيُّ والأفغانيُّ ببالغِ البطءِ كسبَ المبادرةِ لدى مجابهتِهِ بمقاومةٍ عنيفةٍ. ولم تكنِ الدَّبَّاباتُ فعَّالةً في محاولةِ الاستيلاءِ على الجسر. وبدلاً من ذلكَ كانَ الرَّتلُ بحاجةٍ لاستخدامِ مجموعاتٍ من المُشاةِ عاليةِ التَّدريبِ للاستيلاءِ على قمَّةِ جبلِ "كوهي" الحاكمةِ بسرعة. فقدْ كانَ هذا الجبلُ على جانبِهم، وكانَ من المُمكنِ أنْ يسهّلَ الاستيلاءَ على الجسر.

كانَ لتعطيلِ الرَّتلِ كلَّ هذا الوقتِ بالتَّوقُّفِ في منطقةِ المجاهدين، الأثرُ الواضحُ في تعرُّضِهِ للهجماتِ الجانبيَّةِ والخلفيَّةِ من قِبَلِ المجاهدين المحَلّيين. حيثُ لم يكنْ بالإمكانِ لقوَّةٍ عالقةٍ أن تحقّقَ النَّجاةَ بغيرِ عامليْ الحَسْمِ والسُّرعة.

حافظَ المجاهدون في هذا العملِ على السّرّيَّةِ في التخطيطِ والتَّنفيذ، وهو أمرٌ جديرٌ بالثَّناء. وقامَ القادةُ المحلّيونَ بتنسيقِ أعمالِهم، كما صَمَدَ المجاهدونَ خلالَ القتال، وقد مَكَّنتْهم مواقعُهُم الدِّفاعيَّةُ المُحَصَّنةُ جيداً من النَّجاةِ من نيرانِ المدفعيَّةِ والقصفِ الجوي. واستفادَ المجاهدون من القتالِ من على ترابِ أرضِهم مُستثمرينَ الدَّعمَ المَحَلي. ولو أنَّ المجاهدين طَوَّرُوا نظاماً أكثرَ فاعليَّةً للتَّعاونِ والتَّنسيقِ العمليَّاتي، لربَّما استطاعُوا منعَ رتلِ العدوِّ من الوصولِ إلى نجراب وتغاب. إنَّ الافتقادَ إلى نظامِ قيادةٍ وسيطرةٍ عملياتيَّةٍ فعَّالةٍ لمجاهدي مناطقِ عبد الله بورج وشوخي ونجراب وتغاب مَنَعَهُم من العملِ على نحوٍ مُشترك. كانَ من المُمكنِ أن يُحقّقَ التَّنسيقُ العملياتيُّ التفصيليُّ حشدَ قوَّاتِ المجاهدين في "شوخي" لمنعِ القَّواتِ السُّوفييتيَّةِ والأفغانيَّةِ من عبورِ النَّهرِ إلى ولاية كابيسا.

المقالة الخامسة: الدِّفاعُ في مواجهة عملية "الحزم" السُّوفييتية

رواية الجنرال "غول زرك"[111] والملازم عمر[112] والمولوي نظام الدِّين حقاني[113] والمولوي عبد الرحمن[114]

---

[111] كان الجنرال غول زرك ضابطاً في الجيش الأفغاني، ودرس في المعهد الأعلى لتدريب ضباط الجيش الأفغاني، حيث كان المؤلِّف علي جلال من أحدِ مدربيه. وشاركَ في المقاومة وفي معارك ولاية بكتيا. وقاتلَ في معركتي "زَوَر" الأولى والثانية وفي مَمَرِّ "ستو كندو". وكان ينتمي للاتِّحاد الإسلاميِّ لتحرير أفغانستان. وبعد سقوطِ النِّظام الأفغاني الشُّيوعي أصبحَ نائب (وكيل) وزيرِ الدِّفاع في الحكومةِ المؤقتة، والآن هو يعيش في بيشاور. [Map sheets 2883, 2884, 2983].

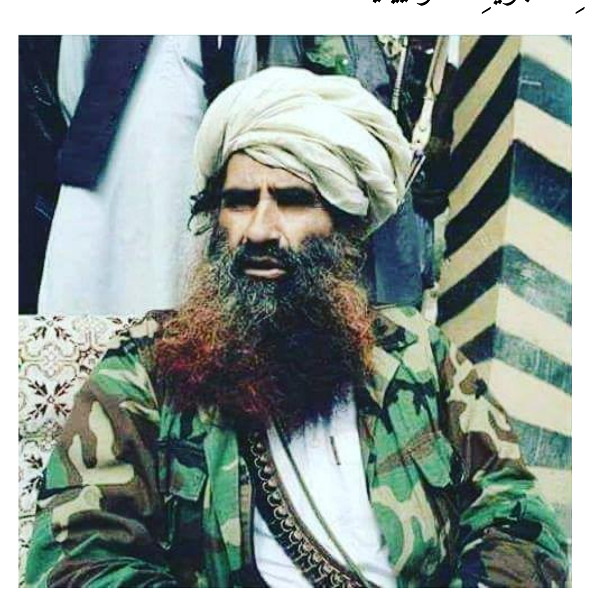
[112] تخرَّجَ الملازم عمر (الضَّابط عمر) من الأكاديمية العسكرية في كابول منذ السَّبعينات. وبعد الانقلابِ الشُّيوعي والغزوِ السُّوفييتي، انضمَّ عمر إلى الحزبِ الإسلامي بقيادةِ المولوي يونس خالص (الذي يُعرَفُ بأنَّه تنظيمٌ أصولي). وكان أحدَ المساعدين المقرَّبين من جلال الدين حقاني، وقاتلَ معه طوالَ الحرب. وقادَ حقاني المفصلَ العسكري للمجاهدين في ولاية بكتيا الحيوية. عمل الضابط عمر ك... (جزء من النص مفقود)

[113] كان نظام الدِّين قائد إحدى المجموعات ونائب جلال الدين حقاني، وكان عضواً في الحزب الإسلامي التابع لخالص المعروف بميوله الأصولية. وانضمَّ إلى المجاهدين إبان الانقلاب الشُّيوعي عام 1978م، وقاتل في ولاية بكتيا. وقبلَ الغزوِ السُّوفييتي، حَرَّرت مجموعتُهُ المناطق المحيطة بخوست، ولم تبقَ تحت سيطرة الحكومة إلا المدينة.

[114] المولوي عبد الرحمن زدران، هو ابن نور محمود من قرية كندو. وكان قائد مجموعة مجاهدين يتراوحُ تعدادُها بين 100-120 من سكانِ المنطقة، لدى هجوم السُّوفييت على مَمَرِّ ستو كندو. وكانت مجموعته تحتلُّ مواقعَ في غيلجوي. وكانوا مسلَّحين بمدافع 82 ملم عديمةِ الارتداد، ورشَّاشات 14.5 بسبطانة واحدة مُثبَّتة على قواعد ثابتة، ورشَّاشات دوشكا، ومدافع هاون عيار 82 ملم، وراجمة صواريخ متعدِّدة السبطانات، وقاذفةِ ستينغر. وفي هذه المعركة قاتلَ كحرس خلفيٍ عبر الممر حتى "سيواك" قبل أن ينحازُوا إلى الجبال. وقُتِلَ له 10 مقاتلين.

"كُنَّا مُستميتينَ في القتال رُغم فَقرنا من حيثُ العُدَّةِ والعتاد. وذاك أنَّنا كُنَّا أغنياءَ بإيماننا، محبينَ لأوطانِنا، مُشتاقينَ للحرِّيَّة، متوكِّلينَ على ربِّ البَرِيَّة. وقد واجهنا صعوباتٍ جَمَّة." الجنرال غول زرك زدران

حَذَّرَنا المخبرونَ من داخلِ الجيشِ الأفغانيِّ من اقترابِ وقوعِ عمليَّةٍ مُشتركةٍ سُوفييتيَّةٍ وأفغانيَّةٍ لفتح الطَّريقِ بين "غرديز" و"خوست". كُنَّا قد تَمَكَّنَّا من إغلاقِ هذا الطَّريق منذُ مارس/آذار 1979م، ومنذُ ذلك الحين كانَ النِّظامُ الأفغانيُّ يوصلُ الإمداداتِ إلى حامِيَتِهِ في خوست عبرَ الجَو. وحاولَ الجيشُ الأفغانيُّ عِدَّةَ مرَّاتٍ فتحَ الطَّريق، غيرَ أنَّه قد أُبيدَ له فوجانِ في سبيلِ ذلك، حتَّى أصبحَ هذا الطَّريقُ أسطورةَ الطُّرُقِ التي لا يمكنُ فتحُها. في نوفمبر عام 1987م، رَصَدْنا حشودَ العدوِّ وتكديسَه للإمداداتِ في غرديز. واتَّضَحَ لنا بأنَّ جيشَ الأربعين السُّوفييتيَّ سينفِّذُ عمليَّةً كبرى مُتضمِّناً العديدَ من التَّشكيلات، وهي عِدَّةُ فرقِ بنادقٍ آليَّةٍ سُوفييتيَّة، وفرقةٌ محمولةٌ جواً، ووحداتٌ من الجيشِ الأفغانيِّ، والقُوَّاتِ الخاصَّة السُّوفييتيَّة (السبيتسناز)[115]، وكميةٌ ضخمةٌ من المِدفعية، وصواريخ الأرض- أرض، والقُوَّاتِ الجويَّة السُّوفييتيَّة.



المولوي جلال الدين حقاني – رحمه الله – قائد المجاهدين في العملية

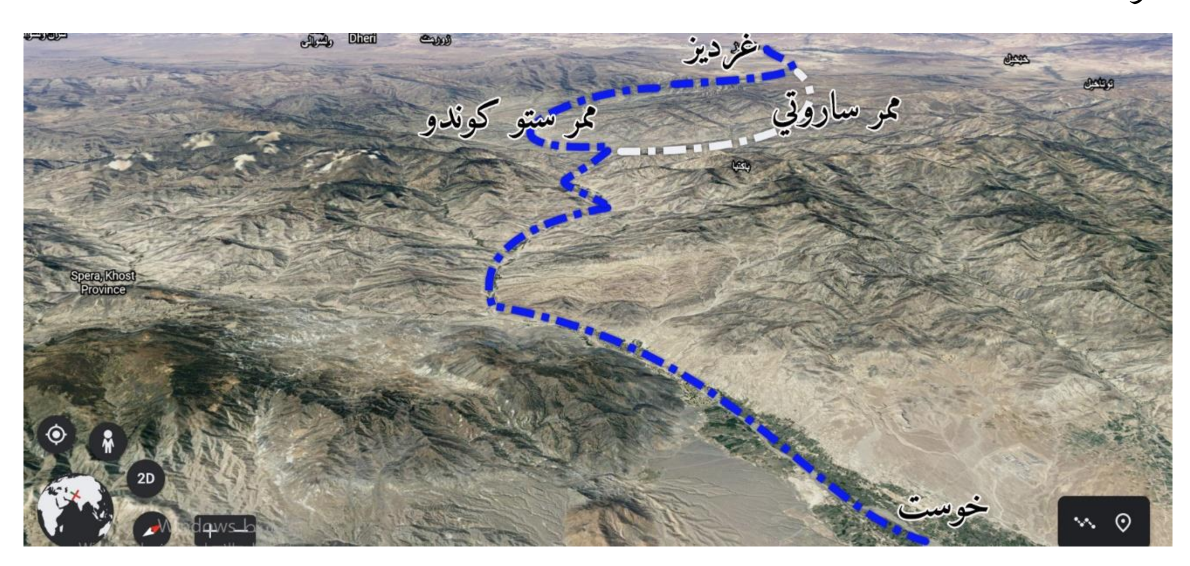
[115] هي قواتٌ سوفييتيةٌ لتنفيذ الاستطلاع بعيدِ المدى والعمليَّاتِ الخاصَّة وعمليَّاتِ المغاوير.



بوريس غورموف قائد الجيش الأربعين السُّوفييتي إبَّانَ العملية / شاه نواز تني (قائد القوات الأفغانية في العملية)

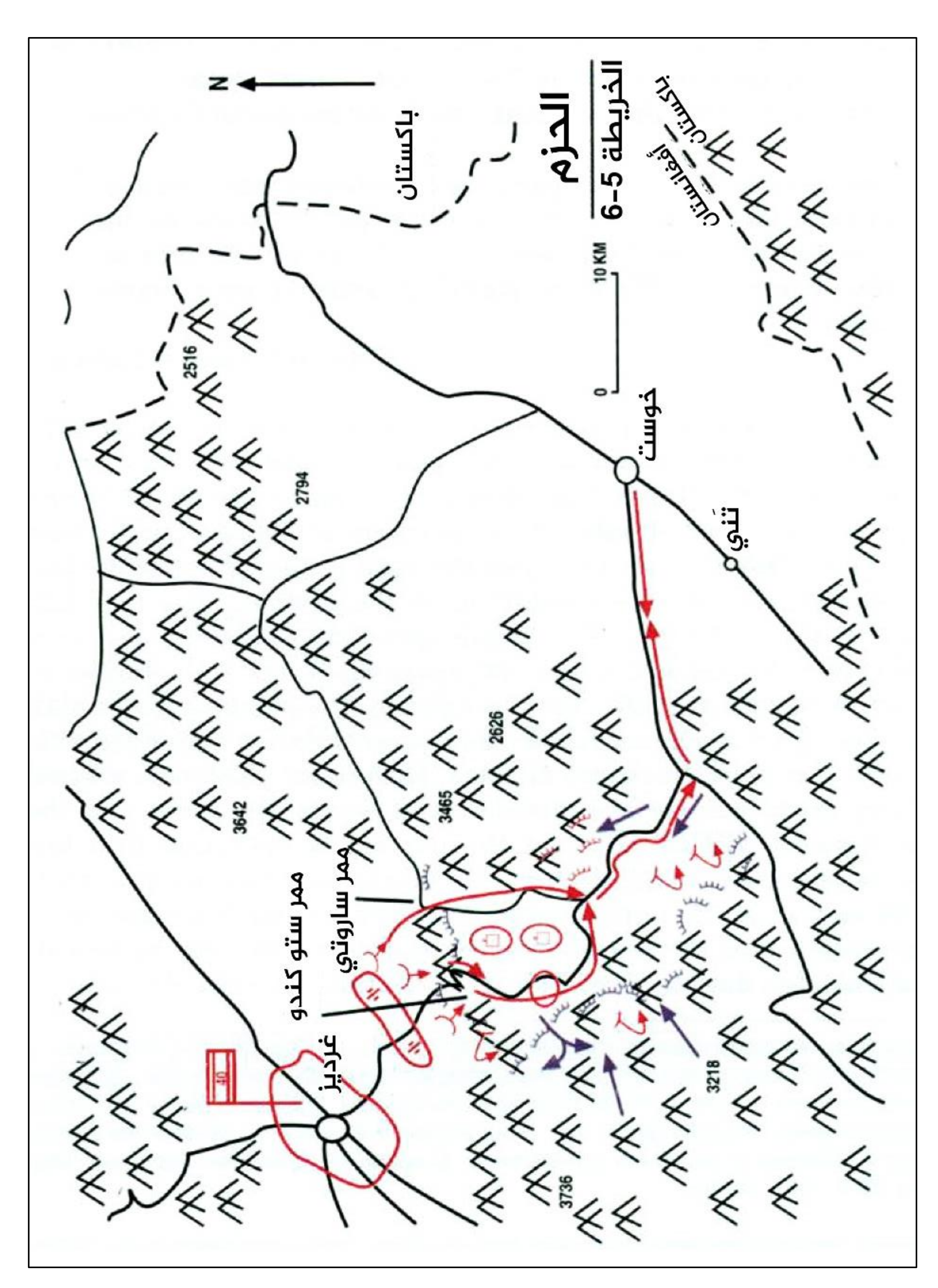
في وقتِها، حاولَ الجنرال "زدران" تحليلَ الأهميَّة العمليَّاتيَّةِ للحملةِ المُزمع تنفيذُها. فحدَّدَ احتماليَّةَ أحدِ الهدفينِ التَّاليين: إمَّا تصعيدُ الحربِ عن طريقِ تهديدِ باكستانَ مباشرةً من ولاية بكتيا، أو أنَّ السُّوفييت أرادُوا تحطيمَ أسطورةِ المجاهدين الذين لا يُمكن قَهرُهم، وذلكَ عن طريقِ فتح طريقِ خوست-غرديز المُستعصي. لو كانَ الاحتمالُ الأوَّلُ هو الواقعُ لكانَ السُّوفييت بحاجةٍ لإحضارِ المزيدِ منَ القُوَّاتِ إلى ولاية بكتيا بعدَ فتح الطَّريقِ إلى خوست. إلا أنَّ الجنرال زدران رأى أنَّ هذا الأمرَ يمثِّلُ مُقامرةً جَسيمةً يُحجِمُ عنها السّوفييت لما لها من تَداعياتٍ إقليميَّةٍ ودوليَّةٍ. فرَجَّحَ الجنرالُ الاحتمالَ الثَّاني، وذلك أنَّ السُّوفييت أرادُوا إظهارَ جبروتِهم العَسكري بفعلِ المُستحيلِ حتَّى يستطيعُوا بعدَها إنهاءَ الاحتلالِ والانسحابَ من أفغانستان بنصرٍ مُؤَزَّرٍ يحفظُ ماءَ الوجه. وليبرهنُوا قدرتَهم على تحقيقِ المُستحيل، كانَ على السُّوفييت اقتحامَ الطَّريقِ الرَّئيسي من غرديز نحوَ خوست بقوَّةٍ لا تقلُّ عن فرقةٍ واحدةٍ، حتَّى يتَّصلُوا بالفرقةِ 25 للمشاة الأفغانيَّةِ المُحاصرةِ داخلَ خوست، والتي ستحاولُ بدورِها فتحَ ثغرةٍ في الطَّوقِ المُحيطِ بها نحوَ الغرب. كانَ الجنرالُ زدران قد

خَلُصَ إلى أنَّ السُّوفييت أرادُوا فتحَ الطَّريقِ المغلقِ منذُ سنين فقط لاستعراضِ العَضلات وإبرازِ القوَّة.



بدأنا الاستعدادَ للتَّصدّي لهجومِ السُّوفييت على مَمَرِّ ستو كندو، وكانت أكتافُ المَمَرِّ ترتفعُ 400 مترٍ فوقَ الطَّريق. وبمجرَّدِ الدُّخولِ للممرِّ الجبليِّ فإنَّ الطّريق يتموَّجُ بزوايا حادَّة مُتراصَّة (زكزاك)، مما يجعلُها مَوقِعاً مِثاليَّاً للدِّفاع. فزَرَعنا ثلاثةَ نطاقاتٍ من الألغامِ بعرضِ ثلاثةِ كيلومترات أمامَ مَدخَل المَمَرِّ، مع مسافةٍ تَتَراوحُ ما بين 300 و400 مترٍ بين النِّطاقات. وحَصَنَّا مواقِعنا على مرتفعاتٍ حاكمةٍ على الطَّريقِ والمَمَر. وكانَ لدينا عَشْرُ راجماتٍ بي أم - 12 في المنطقة. كما احتلَّت رشَّاشاتُ الـ 14.5 الثَّابتُةُ المرتفعاتِ قربَ المَمر. كانَ هذانِ السّلاحانِ المَوقِعيَّانِ جَيِّدين، إلا أنَّه كانَ من الصَّعبِ جداً علينا نقلُهُما بسرعةٍ في حالِ تطلَّب الأمر. وكانَت لدينا أيضاً رشَّاشات دوشكا ومدافعُ عديمةُ الارتدادِ من عِيارَي 75 ملم و82 ملم والعديدُ من قاذفاتِ الآر بي جي - 7.

تَولَّى الحاج نواب خان قيادةَ المجاهدين في مَمَرِّ "ستو كندو"، بينما قادَ إسماعيل المجاهدينَ في مَمَرِّ "خاداي" الواقع على بُعدِ كيلومترين غربَ ستو كندو. ورُغمَ أنَّ مَمَرَّ خاداي هذا كانَ طريقاً ترابيَّاً ثانويَّاً، إلا أنَّنا لم نوفِّرْ جُهداً في تحصينِهِ كذلك (الخريطة 6-5 - الحزم).



كانَ معظمُ المجاهدين المُشاركين في العمليَّةِ مِن سكانِ المنطقة، وقدْ شاركُوا في هذا العملِ حمايةً لِقُراهم. وفي ذلكَ الوقت، لم يكنْ أهلُ المنطقةِ قد نزحُوا مثلَ باقي المناطقِ الأفغانيَّةِ التي نَزَحَت إلى مخيَّماتِ اللَّاجئين في باكستان. ينتمي مُعظمُ سكانِ المنطقةِ إلى قبيلة زدران، إلا أنَّ قبائلَ وفصائلَ

أخرى شاركَت في هذا العمل. وكانَ قرارُ الاستعدادِ والقتالِ بيدِ المَجلسِ القبلي، لا بِيَدِ الفصائل، فكانَ هذا القتالُ دِفاعاً عن الأرضِ والقرى. وكانَ القادةُ المحلّيونَ الكبار الذين شاركُوا في هذا العملِ هم: المولوي نظام الدِّين حقاني والملا إبراهيم والملا عبد الرحمن والنقيبُ خان زاماك وعزت خان وغاداي ودول خان وغانامكاي وسادات وحكيم وجنغ والدُّكتور خيَّالي وبادشاه وأليف.

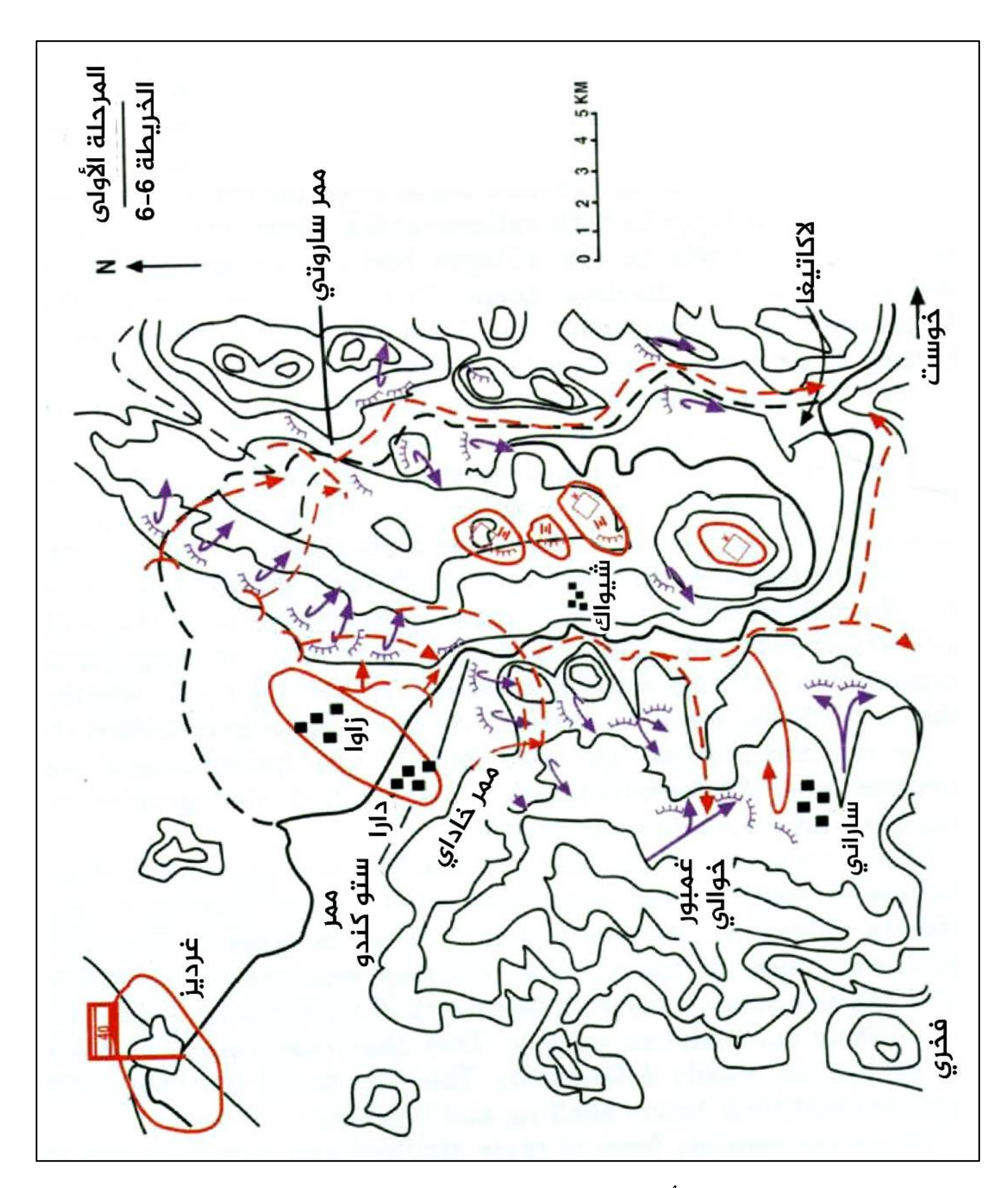
ركّزْنا جهودَنا على الطَّريقِ الرَّئيسي، حيثُ ينعطفُ عبرَ مَمَرِّ ستو كندو. ورُغمَ وجودِ طريقٍ يَمُرُّ عبرَ مَمَرِّ ساروتي على بُعدِ سبعةِ كيلومتراتٍ شرقاً، وينتهي إلى الطَّريقِ الرَّئيسيّ في بلدةِ لا كاتيغا[116] التي تقعُ على بُعدِ 25 كيلومتراً جنوبَ مَمَرِّ ستو كندو، إلا أنَّنا لم نقمْ بتلغيمِه، وذلك لأنَّهُ كانَ طريقاً سَيِّئاً يمرُّ من مناطقِ قبيلةِ داري خيل[117]، ولم نتوقَّعْ أن تأتِي العرباتُ السُّوفييتيَّةُ من خلاله. ومع ذلك، عزَّزَتِ القبائلُ مجاهدي المنطقة بإرسالِ الحرباكي إليهم، حتَّى أنَّنا أرسلْنا إليهم 300 مقاتلاً حرباكيًّا كتعزيزٍ لممرّ ساروتي في منطقةِ داري خيل، وقامَ القائدُ بادشاه بقيادةِ القُوَّات هناك.

قامَ السُّوفييت بإنشاءِ قواعدَ أماميَّةٍ في "دارا" و"زاوا"، ونشرُوا مدفعيَّتَهم على قسمين؛ مجموعاتِ مدفعيَّةٍ خاصَّةٍ بالفرق قربَ دارا، بينما نَشرُوا مجموعاتِ المدفعيَّةِ الخاصَّة بالجيشِ جنوبَ غرديز. بالإضافةِ إلى ذلك، قامُوا بتحريكِ قُوَّاتِ المناورةِ نحوَ زاوا. وفجْأةً وعلى حينِ غَفلةٍ تامةٍ مِنَّا، هجمُوا من زاوا نحو ساروتي. وبعدَ قتالٍ دامٍ استمرَّ ما بين أربعةِ أيَّامٍ أو خمسة، دَفَعَنا السُّوفييت نحوَ طريقِ ساروتي. وقُتِل بادشاه في هذا القِتال، وتَوَلَّى مكانه قادرشاه ليقاتلَ قتالاً تقهقريًّاً مُستعصٍ عبرَ مَمَرِّ ساروتي (خريطة 6-6 – المرحلة الأولى).

---

[116] تعني الصخرة البارزة.

[117] داري خيل قبيلة متفرعة من قبيلة زدران. ولها سمعةٌ معروفة بشدّةِ بأسِ رجالِها ومعرفتِهم بالحرب.



وفورَ سقوطِ مَمَرّ ساروتي بيدِ السُّوفييت، شَنَّت قَوَّاتُهم إنزالاتٍ جويَّةً اقتحاميَّةً على المرتفعاتِ بينَ الطَّريقِ الرَّئيسيِّ وبينَ طريقِ مَمَرّ ساروتي، فسيطرَت قَوَّاتَ الاقتحامِ الجَوِّيَّة -مُعزَّزةً بمدفعيةٍ صغيرةِ العيار[118]- على تضاريسَ حاكمةٍ في كلا المِحورين. وانطلاقاً من هذه القِمَمِ، استطاعَ السُّوفييت

[118] المدافع المحتملة هنا هي:

ضربَ مواقِعِنا وإسنادَ تقدُّمِهِم عبرَ ممَرِّ "ستو كندو" نحوَ الطَّريق الرَّئيسي، مَعَ التَّمكُّنِ من إسنادِ تَقَدُّمِهِم أيضاً عبرَ ممَرِّ ساروتي في الوقت نفسِهِ. لقد كانَ لاستيلائِهِمُ المفاجئِ على المُرتفعاتِ الواقعةِ بينَ المِحورين الأثرُ الكبيرُ في منحِهِم تفوُّقاً هائلاً. وقد بدأَ السُّوفييت بقصفِ مقرِّ قيادةِ المجاهدين في ساراني، مِمَّا أعاقَ القيادةَ والسَّيطرةَ إلى حَدٍّ كبيرٍ.



مدفع العنبرة　　　　　　　مدفع D-44

بدأ السُّوفييت انطلاقاً من المُرتفعات، بتوجيهِ القصفِ المِدفعِيِّ والصَّاروخيِّ نحوَ القُرى التي تقعُ بالواديينِ على امتدادِ ممَرِّ "ستو كندو" وممَرِّ "ساروتي". أرادَ السُّوفييت طردَ قبيلة زدران التي لم تكنْ قد نزَحَت من قبل، وقدْ نجحُوا في ذلك. حيثُ انشغلَ المجاهدونَ عن القتالِ بترحيلِ عوائِلِهِم إلى باكستان خوفاً عَلَيهِم من القَصف، مِمَّا تَسَبَّبَ بنزوحٍ كبيرٍ سَهَّلَ على السُّوفييت تقدُّمَهُم. كما كانُوا جاهزين لتنفيذِ الهجومِ الرَّئيسِيِّ على محورِ "ستو كندو".

استفتحَ السُّوفييت العملَ نحوَ ممَرِّ "ستو كندو" بقصفٍ جوِّيٍّ ومِدفعِيٍّ همجِيٍّ[119]، في الوقتِ الذي كانُوا يحرِّكُون فيه قُوَّاتِ المُناورةِ نحوَ "دارا". وبمجرَّدِ وصولِهِم نحوَ مواقعِهِم المُقرَّرةِ في دارا، ألقَت طائرةٌ سُوفييتيَّةٌ حلَّقَتْ فوقَ المَمَرِّ على ارتفاعٍ عالٍ مجموعةً من القُوَّات المِظَلِّيَّة. وخلفَ تلكَ الطَّائرة،

- مدفع- هاون آلي من طراز فازليك (العنبر) AM 2B9 عيار 82 ملم، ويستطيع هذا المدفع توجيه النيران بشكل مباشر وغير مباشرة.
- ومدفع D-44 من عيار 85 ملم (الموجود في القوات المحمولة جواً).
- أو مدفع M-69 الجبلي من عيار 85 ملم.

[119] تجدون تفاصيل معركةِ ممَرِّ ستو كندو من المنظور السُّوفييتي في المقالة 17 من كتاب عبور الدُّب للجبل.

كانت تُحلّقُ طائرةٌ استطلاعيةٌ على ارتفاعٍ أعلى. رمينا القُوَّاتِ المظلّيَّةَ بكلِّ ما لدينا من أسلحةٍ ورشّاشاتٍ مُضادَّة للطّائرات. وحينَ اقترَبَت المظلّات حائمةً منَّا، علمنا بأنَّ العدوَّ قد خدَعنْا، فقد كانَ ما ظننَّاهُ مجموعةً من المظلّيين ليسَ في الحقيقةِ إلا مجموعةً من الدُّمى، وبينما كُنَّا نقومُ برمايَتِها بشكلٍ مُكثَّف، قامَت طائرةُ الاستطلاعِ المذكورةِ آنفاً بتصويرِ مواقعِ الرِّمايةِ المضادَّةِ للطّائراتِ وتحديدِها بِدقَّة.

وعندها، بدأَ القصفُ الحقيقيُّ على مواقعِنا. حيثُ استُفتحَ بالقصفِ المِدفعيّ، وأعقبَه قصفٌ جويٌّ، ثمَّ تلاهُ قصفٌ مِدفعيٌّ مرَّة أخرى. فجُمُدْنا في مواقعِنا تحتَ القصفِ الذي استمرَّ لعدَّةِ ساعات. وكانت مواقعُنا عموماً ذاتَ مناعةٍ من القصفِ المِدفعيّ لا الجوي. بالإضافةِ إلى ذلك، كانت رماياتُهم في غايةِ الدِّقةِ نتيجةَ الاستطلاعِ المُسبق. وبعدَ كُلِّ هذا، بدأَ السُّوفييت بتنفيذِ الهجومِ البرّي، إلا أنَّنا تمكَّنّا من ردِّهم فوراً. وفي اليومِ التّالي الموافقِ لـ 1 ديسمبر 1987م، استكمَلُوا القصفَ المِدفعيَّ والجوي.

لم نكنِ مُعتادين على قتالِ السُّوفييت قبلَ هذهِ المعركة، حيثُ لم تكنْ هناك أيُّ حاميةٍ للسُّوفييت في ولاية بكتيا، وكنَّا مُعتادين على قتالِ الجيشِ الأفغانيّ فقط، ولم يكن لدى الأخيرِ مدفعٌ بعيارٍ أثقلَ من 130 ملم، ولهذا فقدْ كانَ للقصفِ المكثَّفِ علينا الأثرُ الكبير في فقدِنا للمبادرة. وكانَ السُّوفييت يقصفونَنا براجماتِ البي أم 21 والبي أم 27 (أورغان)[120].



راجمة أورغان

[120] راجمة صواريخ ب 16 سبطانة محمولة على شاحنة، ترمي صواريخ عيار 220 ملم إلى مسافة 40 كيلومتر. ومن أنواع رأسها الحربي: شديد الانفجار المتشظي والكيميائي والحارق والألغام القابلة للنثر. ويسميها السّوفييت أورغان وتعني إعصار. بينما يسميها المحللون الغربيون بي أم 27.

في دارا، كانَ السُّوفييت قد نصبُوا ثلاثةَ مدافعَ ثقيلةٍ بعيدةِ المدى ذاتِ أربع عجلات، وشَاهدْنا واحدةً منها تَرمي، حتَّى أنَّ قُوَّةَ ارتدادِ إحدى المدافعِ قلبتْ سيَّارَةَ الجيب[121]. وكانت الطَّائراتُ الحربيَّةُ تُلقي علينا قنابلَ عُنقوديَّة، ولم نكنْ لنستطيعَ النَّجاةَ في مواقِعِنا، ولهذا السَّببِ غادرْنا مواقعَنا، فتوجَّهنا إلى جبالٍ أعلى تقعُ في الغربِ تُدعى "غومبور خوالي ونخري"، فتقدَّم السُّوفييت بعدَ انسحابِنا نحوَ مواقِعِنا، وبعدَ خمسةِ أيامٍ سيطرُوا على مَمَرِّ ستو كندو.



مدفع خزامى 2A36

كُنَّا قد دَمَّرنا أجزاءً من طريقِ ستو كندو وقطَّعنَاها. وأثناءَ محاولةِ السُّوفييت إصلاحَ الطَّريق كُنَّا نضايقُهم بالنِّيرانِ الكثيفةِ من المُرتفعات، إلا أنَّ قوَّةَ الرَّدِّ النَّاريِّ للسُّوفييت أجبَرَتْنا على الانسحابِ قُدماً في الجِبال. ومن ثمَّ، نفَّذنا المزيدَ من التَّراجُع حينَ حاوَلَت قُوَّاتهم مُحاصرَةَ مُؤخِّراتِنا. فاستولَوا على قاعدةِ "غول زرك زدران" في "شواك". ونقل المجاهدون من المعدَّات ما خفَّ حملُه، ثمَّ تركُوا

[121] في الغالب هذا هو مدفع خزامى 2A36 من عيار 152 ملم، مداهُ الأقصى 28.5 كيلومتراً، ويرمي 5-6 قذائف في الدَّقيقة. وزن قذيفتِه 46 كيلوغراماً، وسرعتُه الابتدائية 942 متراً/ثا، ووزنُ المدفع 9800 كيلوغرام، وطول السَّبطانة 8.197 متر.

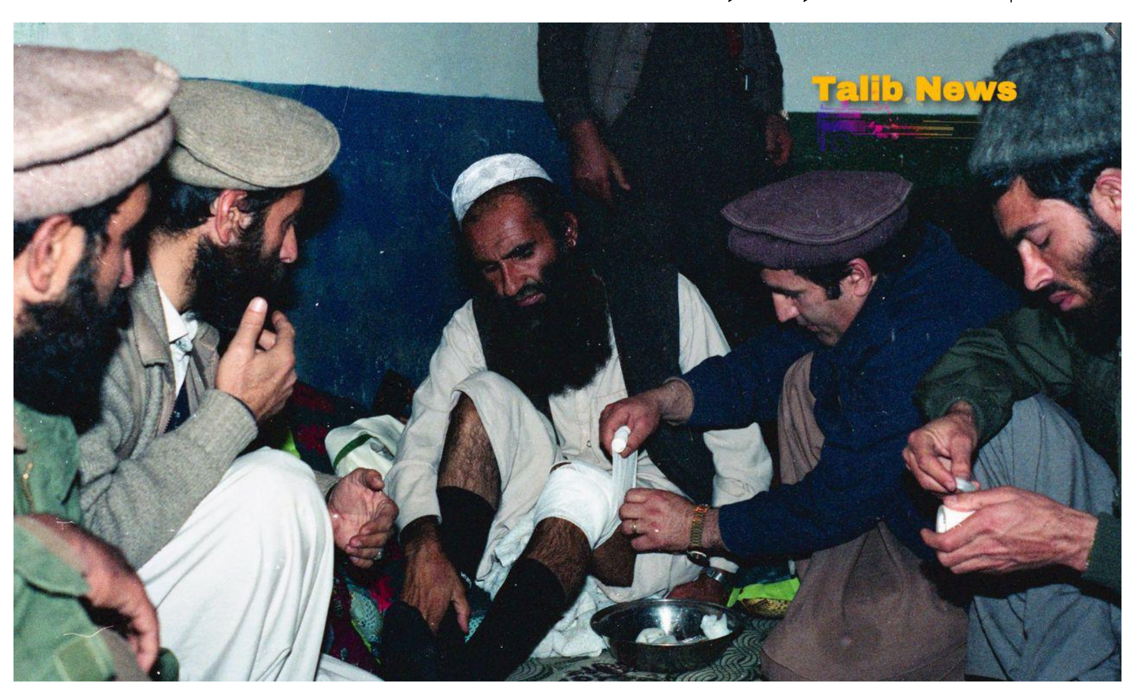
الباقيَ ليستوليَ عليهِ العدو. وانسحبُوا نحوَ الجبالِ باتِّجاه الجنوبِ الغربي، بينما تقدَّمَتِ القُوَّاتُ السُّوفييتيَّةُ والأفغانيَّةُ وأقامَت معسكراً للمبيتِ طِيلةَ يومين. ثمَّ استكملت بعدَها التَّقدُّمَ نحوَ "ساراني"، ليُدَمِّروا قاعدةَ المجاهدين فيها، مِمَّا أوحى لنا بأنَّ العدوَّ لا ينوي البقاءَ في الطَّريقِ على المَدى البعيد.

كانَت الأزمةُ التي يَمُرُّ بها المجاهدون خطيرةً للغاية، وقد باغَتَتْنا مُشكلةٌ جديدةٌ زيادةً ما نحن فيه، وهيَ عدمُ تَوفُّرِ مياه الشُّرب. فقد كانت كثافةُ القصفِ السُّوفييتيّ كبيرةً للغاية، لدرجةِ أنَّ البقايا الكيميائيَّةَ النَّاتجةَ عن الانفجاراتِ تَسبَّبَت في تلوُّث مياهِ الجداول. حتَّى أنَّ بعضَنا ظنَّ أنَّ السُّوفييت قد سَمَّمُوا المياه، فكوبٌ واحدٌ من الماءِ كانَ كافياً لخنقِك وجعلِك تتلوَّى من المَرَض. حاولْنا استخدامَ الثَّلجِ كمصدرٍ لمياهِ الشُّرب، لكنَّ الثَّلجَ أيضاً تأثَّرَ بالموادِ الكيميائيَّة. وقُطِعت إمداداتُنا وَشَحَّ عندنا الطَّعام، ولكنَّ بَقِيَت مُشكلتنا الرَّئيسيَّةُ متمثِّلَةً بالعطش، وعانى الرِّجال من الجَفاف، ولم نكن قد أعدَدْنا من قبلُ ترتيباتٍ لنقلِ المياه إلى المنطقة، فالمياهُ المحليَّةُ كانت دائماً تُغني احتياجاتِنا. وأغلقَ العدوُّ الطُّرُقَ حتَّى لا تتمكَّنَ شاحناتُ الإمداد من دخولِ المنطقة. ورغمَ امتلاكِنا لبعضِ البغال التي تمكَّنَّا من استخدامِها في بعضِ المناطق، إلا أنَّنا حملْنا معظمَ إمداداتِنا بواسطةِ المُشاة من المجاهدين.

واصلَ السُّوفييت تحرُّكَهم جنوبًا. وقد كانُوا يَسبِقون تَحرُّكهم هذا بعمليَّاتِ إنزالٍ جويَّةٍ اقتحاميَّةٍ للاستيلاءِ على الأراضي المرتفعةِ على جانبي الطَّريق، بينما تتقدَّمُ أرتالُهم تحتَ حماية قُوَّاتِ الإنزال والمُراقبة التي تمَّ إنزالُها. ومع تقدُّمِهم، قامَ السُّوفييت بتثبيتِ نقاطِ مُراقبةٍ خلفَهم لتأمينِ خطوطِ إمدادِهم. ووصلُوا إلى "لا كاتيغا"، فالتقَت هناكَ أرتالُ ستي كندو وساروتي. أمَّا ما بعد ذلك من المناطق، فقد كانَ دخولُها سهلاً ومَيسوراً عليهم. وترَكَ العدوُّ خلفَه مفرزةً أمنيَّةً في لاكتيغا، بينما تقدَّمَ نحو خوست. وفي الوقت نفسِه، انطلَقَت مفرزةٌ تابعةٌ للفرقة 25 للمُشاةِ الأفغانيَّة من خوست غرباً والتقَت برتلٍ فَكِّ الحصار. وبعدَ أنْ أمَّنَ العدوُّ الطَّريقَ المُؤدِّيَ إلى خوست، بدؤوا بنقلِ أرتالِ الإمدادِ عبرَ هذا الطَّريقِ لإعادةِ إمدادِ المدينةِ المُحاصرة.

إلا أنَّ الموازينَ بَدأَت تنقلُب لصالِحِنا، فقد عادَ المجاهدون من أهلِ المنطقةِ بعدَ أنْ نقلُوا عائلاتِهم إلى باكستان، ووصلَ مولوي جلال الدّين حقَّاني وغيره من القادة (مطيع الله، والملا عبد الغفور، وغول زرك زادران، وأمان الله، والملا صدّيق، وتوكل، وعبد الرحمن، ووكيل وزير محمد، وباري، وبادشاه خان، وسادات) وتحرَّكُوا إلى الجبالِ غربَ الطَّريقِ السَّريع. وأتى العقيدُ إمام من المُخابراتِ الباكستانيَّةِ ليحاولَ تنسيقَ العملِ بين المجاهدين. وَوَصَلَ أيضاً الحاج أمان الله خان وغيرُه من القادة. كذلك جاءَ عددٌ من المُجاهدين من مناطقَ أخرى من أفغانستانَ ومن باكستان، إضافةً لمجيءِ طالبان من باكستان. وكانُوا جميعاً مُتحرِّقينَ للقتال.

اختارَ المُجاهدون 12 قائداً، وعيَّنُوا لكلِّ قائدٍ موقعٍ عسكريٍّ محاورَ تُجاهَ العدوِّ بين وازي وستو كندو ليقومُوا بمواجهَتِها. وكانَ السُّوفييت قد انتقلُوا إلى الوديانِ الجانبيَّةِ للطَّريق، لكنَّ القادةَ الـ 12 أجبرُوهم على الخروجِ من الوُديانِ الجانبيَّةِ وحصرُوهم في محيطِ الطَّريق، ثمَّ بدأوا بمهاجمةِ الطَّريق. وكانَ جلالُ الدِّين حقَّاني وقتَها في "نخري". ومرَّةً أخرى، أُصيبَ حقاني أثناءَ المعركة، وهذهِ المرَّةَ بشظيَّةٍ في نخذه. وعلى الرُّغمِ من إصابتِه، إلا أنَّه بقي في منطقةِ العملِ لمدَّةِ أسبوع. ثمَّ أُخلِي على بَغلةٍ نحوَ "ميرام شاه" عَبرَ المَمَرَّاتِ الجَبَلِيَّة.



جلال الدين حقاني بعد إصابته

لم يَستطع السُّوفييت وعملاؤُهم الأفغانُ إبقاءَ الطَّريقِ مَفتوحاً إلا مدَّةَ 12 يوماً فقط، وَبعدَها اضطرُّوا للانسحاب، وتخلَّت قُوَّاتُ الإنزالِ الجويِّ السُّوفييتيَّةُ عن المُرتفعاتِ وَحَمَلَت أسلحتَها، إلا أنَّها تركَت جميعَ الذَّخائرِ خَلفَها. وتمكَّن المجاهدون من استعادةِ الطَّريقِ، ولم يستطع لا الجيشُ السُّوفييتي ولا الجيشُ الأفغاني إعادةَ فتح الطَّريقِ مَرَّةً أخرى.

على الرُّغمِ من شدَّةِ هذه المعركة، فقد كانت خَسائرُ المجاهدين قليلةً بالنِّسبةِ لمعركةٍ بهذا الحجمِ، وحَقَّقَ فيها العدوُّ هذا التَّقدُّمَ، حيثُ قُتِلَ 100 مجاهدٍ. بينما تكبَّد القُرويُّون خسائرَ جسيمةً، وتضرَّرَت 80 % من قُراهم أو دُمِّرَت بشدة. وبالنِّسبة للقُوَّاتِ السُّوفييتيَّةِ والأفغانيَّةِ فقد كانت الخسائرُ غيرَ معروفة. كما أسقطَ المجاهدون مِروحيَّةً واحدةً وثلاثَ طائراتٍ حربيَّة. وبعد انسحابِ السُّوفييت، استولينا على دبَّابتينِ سوفييتيَّتينِ سليمتينِ وأربعِ شاحنات. وانشَقَّ -أو أُسِرَ- ما يقارب 600 جُنديٍّ أفغانيٍّ، وانشقَّ مُعظمُ الجنودُ الأفغان بأسلحتِهم.

التَّعليق:

بعدَ المعركة، صَرَّحَ غول زرك زردان مُنتقداً الأداءَ السُّوفييتيَّ قائلاً: "من المهمّ أن أنوّهَ إلى أنَّ الجيشَ الرُّوسيَّ مؤسسةٌ عسكريَّةٌ لها جعجعةٌ بلا طحين، وأيُّ جنديٍّ محترفٍ لن يعطيَهم تقديراً عالياً في قياسِ الانضباطِ وإرادةِ القتال. كذلك أنوّهُ إلى أنَّ الرُّوسَ اعتمدُوا طيلةَ العملِ على الاستخدامِ الأقصى لنيرانِ المِدفعيَّة، فقد كان يكفي مجاهدٌ واحدٌ لأن يشغّلَ بطاريةَ مدفعيَّةٍ واحدةٍ أو أكثرَ لعدَّةِ دقائق. وقد ساعدَتهم القممُ العاليةُ التي احتلَّتها القُوَّات المحمولةُ بالمروحيَّات كثيراً. وحتَّى هنالك، فقد حَشرُوا أنفسَهم وسطَ كلِّ أنواعِ الألغام. وكانَ هؤلاءِ "الدببةُ الرُّوسيَّة" يجلسونَ حولَ نيرانِ المعسكرِ لتدفئةِ أنفسِهم في الشّتاء، لذلك كانت القممُ مُضيئةً طوالَ الليل. ولم تكنِ القوَّةُ الجويَّةُ السُّوفييتيَّةُ فعَّالةً للغاية لأنَّها حلَّقت على ارتفاعٍ كبيرٍ، ربما خوفاً من صواريخ ستينغر".

على الرُّغمِ من تصريحاتِ الجنرال زادران، فإنَّنا نرى التَّخطيطَ والتَّنفيذَ السُّوفييتيَّ لهذهِ العمليَّةِ مُمتازاً. ويشبهُ الغزوَ السُّوفييتيَّ بدايةَ الحربِ في تحقيقهِ المفاجأةَ التَّكتيكيَّة، واستخدامِ محاورَ مُتعددة، والزَّخمِ العمليَّاتي والابتكار. وكان الإسنادُ النَّاريُّ والدَّعمُ اللوجستي في غايةِ الامتياز، أمَّا استخدامُ المظلّيين الوَهميين فهي ضربة معلم. كذلك كانَ التَّخطيطُ والتَّنفيذُ لاستخدامِ قوَّاتِ الاقتحامِ الجوي. كانَ السُّوفييت بحاجةٍ إلى عمليَّةٍ "لحفظ ماءِ الوَجه" قبلَ الانسحاب، وكانَ ذلكَ هوَ الحالُ معَ عمليَّة الحزم.

المقالة السَّادسة: ملية "غاشي" (وتعني السهم في البشتو)

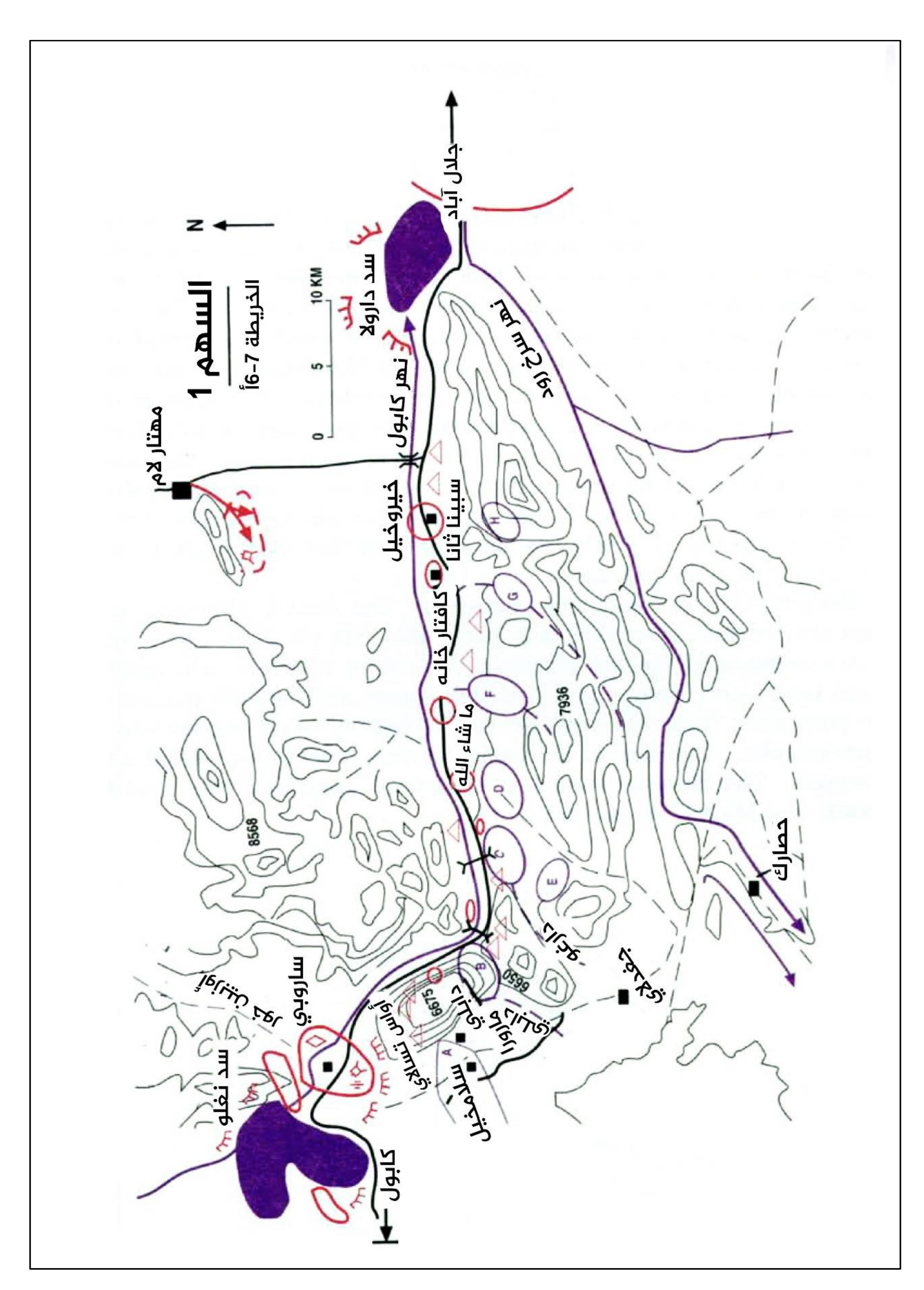
رواية الجنرال "عبد الرحيم وردك"[122]

في الفترةِ التي بينَ 23 أكتوبر إلى 7 نوفمبر 1988م، قُدْتُ قُوَّةً مؤلَّفةً من حَوالي ألفي مجاهدٍ من الجبهةِ الإسلاميَّةِ الوطنيَّةِ الأفغانيَّة (NIFA)، وقد استطعنا إغلاقَ طريقِ كابول-جلال آباد السَّريع المُمتدِّ بطول 70 كم بين ساروبي ولغمان. كانَ هذا العملُ جزءاً من عمليَّةٍ مُشتركةٍ لأربعةِ أحزابٍ مختلفة، وقد كانت هذهِ الأحزابُ هي: الجبهةُ الإسلاميَّةُ الوطنيَّةُ الأفغانيَّة، والحزبُ الإسلاميُّ التَّابعُ لخالص، والحزبُ الإسلاميُّ التَّابعُ لحكمتيار، والجمعيَّةُ الإسلاميَّة.



[122] كان الجنرال وردك ضابطًا في الجيش الأفغاني. تدرب في المدارس العسكرية الأمريكية قبل الحرب، وقد أدلى بشهادته أمام كونغرس الولايات المتحدة في عدة مناسبات خلال الحرب. كان واحداً من أبرز قادة المجاهدين. وفي ختام الحرب، أصيب بجروح خطيرة بصاروخ سكود وعولج في الولايات المتحدة من جروحه. أصبح أول رئيس للأركان العامة للقوات المسلحة في الحكومة الإسلامية في أفغانستان عام 1992 م بعد انتصار المجاهدين وسقوط النظام الشيوعي في كابول.

اعتمدنا في هذه المقالة على سجلات الجبهة الإسلامية والمقابلات الأخرى التي أجراها علي جلالي. كما رافق المراسل "أسكولد كروشيلنيكي" قوات الجبهة، وقدم تقريرًا عن عملية السهم Gashay في يوم الأحد من 6 نوفمبر 1988م. [أوراق الخريطة 2985 و29863085 و3086].



كانَ الهدفُ من العملِ إغلاقَ طريقِ الإمدادِ الشَّرقيّ المُوصلِ إلى العاصمةِ الأفغانيَّة لمدَّةِ شهرين (أكتوبر - نوفمبر). وكانَ كُلُّ حزبٍ مَسؤولاً عن نشرِ وحداتِه لإغلاقِ الطَّريقِ السَّريع لمدَّةِ 15 يوماً.

تمَّ التَّخطيطُ للعمليَّةِ في أعقابِ انسحابِ القُوَّاتِ السُّوفييتيَّةِ من ولايةِ ننغرهار، وكانَ الهدفُ منها منعَ الحكومةِ من تعزيزِ حاميةِ جلال آباد بينما كانَ المجاهدونَ يستعدّونَ للتَّقدُّمِ عليها من "تورخام".

وقد كانَ على امتدادِ هذا الطَّريق عناصرٌ من اللواءين 8 و18 من حرسِ الحدود، والفرقة 60 للمشاة، ووحداتِ دبَّاباتٍ من اللّواء 15 للدَّبَّابات، وكتيبةِ "ساراندوي" من قُوَّاتِ وَزَارةِ الدَّاخليَّة، وميليشياتٍ محلِّيَّة. وكانت جميعُ هذه الوحداتِ أفغانيَّةً، بحيثُ كانت تشغلُ ستَّ قواعدَ وحوالي 20 مركزاً أمنيَّاً على طولِ هذا الطَّريق. وكانَ الجيشُ الأفغانيُّ يأملُ أن يتمكَّنَ من حمايةِ الطَّريقِ السَّريع أمامَ هجماتِ المجاهدين للإبقاءِ على طريقِ الإمداد إلى جلال آباد مَفتوحاً (الخريطة 6-7 أ السّهم 1). وكانت تحرسُ كلَّ قاعدةٍ على الأقلِّ فصيلةٌ معززةٌ بدبَّابةٍ أو دبَّابتين، أو ناقلةٍ أو ناقِلَتين، ومدافعَ هاوتزر 122 ملم من طراز D30 بالإضافةِ إلى مدافعَ رشَّاشةٍ ثقيلةٍ، ومدافعَ هاون 82 ملم. وكانت المراكزُ الأمنيَّةُ تتألَّفُ من خمسةِ رجالٍ إلى عَشَرَةٍ معزَّزين بالرَّشاشات، ومدفع AGS-17[123]، ومدافع الهاون.[124]



قمتُ بتجميعِ قُوَّتي التي كانت عبارةً عن مجموعاتٍ من المجاهدين المُتمركزين في عِدَّةِ مناطقَ في ولايتي ننغرهار وكابول. وكانت بعضُ هذهِ المجموعاتِ مُتباعدةً بمسافةٍ تزيدُ عن 200 كيلومتر. كما جاءَت مجموعاتٌ أخرى وَمَفرزةٌ مكوَّنَةٌ من 70 ضابطاً سابقاً في الجيشِ الأفغاني، وكانُوا قد تدرَّبوا على

[123] قاذف قنابل آلي ذو حاملة ثلاثية الأرجل سوفييتية المنشأ، تطلق قنابل عيار 30 ملم من مخزنٍ أسطواني بسعة 30 قنبلة. مداه الأقصى يبلغ 1700 متر. ويُسمى أيضاً RGC.

[124] تم العثور على تخطيطٍ ومناقشةٍ للمراكز الأمنية التي تقع على امتداد هذا الطريق السريع في مقالة LTC Tubeev على الصفحات 129-133 من:

The Bear Went Over the Mountain: Soviet Combat Tactics in Afghanistan, edited by Lester W. Grau, Washington: NDU Press, 1996.

العملِ معَ قُوَّاتِ المهامِ القتاليَّة، وجاؤُوا من الاحتياطِ العسكريِّ المركزيِّ الموجودِ في باكستانَ للجبهةِ الإسلاميَّةِ الوطنيَّةِ الأفغانية.

قمتُ بتنظيمِ قُوَّتي على الشَّكلِ التَّالي:

1. خمسُ مجموعاتٍ هجوميَّة، وهي فِرَقُ المهام: برافو وتشارلي وفالكون والخليج والإعصار.
2. ومجموعَتَي احتواءٍ (تثبيت) وهما (فِرقَتَي ألفا ودلتا للمهام).
3. واحتياطيٍ واحدٍ (فرقةُ مهام إيكو).
4. ومجموعةٍ واحدةٍ للراجمةِ صقر.

وقد كانَ تكوينُ القُوَّاتِ يتَّبعُ التَّشكيلَ التَّالي:

- قوَّاتُ القطَّاعِ الشرقي لولاية كابول التَّابعةِ للجبهةِ الإسلاميَّةِ الوطنيَّة تحتَ القيادةِ العامَّةِ للدُّكتور "شاروخ غران"
- فرقةُ مهام ألفا
- منطقةُ العمليَّات: ماروا ومضيق سلامخيل
- عددُ المجاهدين: 350
- قادةُ الوحدة: صادق باتانغ والحاج سانجين ومير والي وخواني وميراجان ورخمين والحاج حبيب ومعلم كريم.
- فرقةُ مهام برافو
- منطقةُ العمليَّات: دابلي
- عددُ المجاهدين: 393
- قادةُ الوحدات: جنات غول والحاج مير وغلبات وسخي عثمانخيل وغلام رسول
- فرقةُ مهام تشارلي
- منطقةُ العمليَّات: كامكاي دارغو
- عددُ المجاهدين: 276
- قادةُ الوحدة: محمد علام وظاهر خان واسحاق وسخي جانيخيل ومجنون

- فرقةُ مهام دلتا
- منطقةُ العمليَّات: غاتا دارغو
- عددُ المجاهدين: 411
- قادةُ الوحدة: نور حسن وسيد عبد الرحمن والنَّقيب زلماي وأفريدي وغلاب ونور الرحمن وروح الله.
- فرقةُ مهام إيكو
- منطقةُ العمليَّات: دارغو
- عددُ المجاهدين: 343
- قادةُ الوَحدَات: حسن خان كايروخيل وسارتور وأصيل خان والنّقيب حشمت وخليل وإحسان
- فرقةُ المهام صواريخ الأرض-أرض (صقر)
- منطقةُ العمليَّات: تشاكاري مُستهدفةً مطار كابول
- عددُ المجاهدين: 100
- قادةُ الوحدة: النَّقيب صديق الله وظاهر خان وشينواري وحنان وغلام حيدر وعمر وحسن خان ومؤمن خان.
- قوَّاتُ الجبهةِ الإسلاميَّةِ الوطنيَّةِ في أفغانستان من ولاية ننغرهار، القَطَّاعُ الجنوبيُّ الغربي:
- فرقةُ مهام فالكون
- منطقةُ العمليَّات: جبل تور، مقابل قاعدة كافتارخانه
- عددُ المجاهدين: 250
- قادةُ الوحدات: الملازم ولي، وشريعتي، ومحمد أنور
- فرقةُ مهام الخليج
- منطقةُ العمليَّات: جبل تور مقابل قاعدة سبينا ثانا
- عددُ المجاهدين: 350
- قادةُ الوحدة: الحاج زمان غمشاريك، والضابط ظاهر

- فرقةُ مهام إعصار
- منطقةُ العمليَّات: جبل تور مقابل قاعدة كيروخيل
- عددُ المجاهدين: 130
- قادةُ الوحدة: آصف خان، وقاضي سميع الله

بينما كانت كلُّ هذه المجموعاتِ تَتَجَمَّعُ جنوبَ كابول، أمرْتُ مجموعةً من حوالي 50 مجاهداً بقيادةِ الملازم علي أحمد و"غونشه غول" بالتَّحرُّكِ من قواعدِهم الشَّماليَّةِ الواقعةِ في منطقةِ "أوزبين" واتِّخاذِ مواقعَ عندَ حرفِ الجبلِ الشَّماليِّ على طولِ طريقِ كابول جلال آباد السَّريع المُطلِّ على جسرِ دابلي. وكان عليهم مراقبةُ نشاطِ العدوِّ وتقديمُ الإسنادِ النَّاريِّ للعمل. فاحتلَّت هذه المجموعةُ المواقعَ المُحدَّدة، ولكنَّها لم تَتَمَكَّنْ من المُشاركةِ على نحوٍ فعَّالٍ وانسحبَت بعدَ بضعةِ أيام.

صحيحٌ أنَّ عددَ المجاهدين في كلِّ مجموعةٍ كانَ يَتَراوحُ بين 100 و350، إلا أنَّني استطعتُ استخدامَ ثلثِهِم فقط للقتال، وذلكَ لأنَّ بقيَّةِ الرِّجالِ كانُوا مُكلَّفين بمهامٍ لوجستيَّةٍ وتأمينيَّةٍ، وكانُوا في بعضِ الأحيان يقومُون بإراحةِ المقاتلين في الخطوطِ الأماميَّةِ وتبديلِهم.

كانت قوَّاتي مُسلَّحةً ببنادقَ آليَّةٍ من طراز (AK-47)، ومدافعَ رشَّاشةٍ خفيفةٍ من طراز (RPK)، ومدافعَ رشَّاشةٍ ثقيلةٍ من طِراز بيكا (PK)، وقاذفاتِ آر بي جي -7 (RPG-7)، وقاذفاتِ صواريخ ميلان الموجَّهة المضادَّةِ للدَّبَّابات، ومدافعَ عديمةِ الارتداد من طِرَازَي 82 ملم و75 ملم، ومدافعَ هاون عيار 82 ملم، وراجماتِ صواريخ مُتعدِّدَة السَّبطانات من عِيار 107 ملم (BM12)، وراجمات صواريخ صقر، وصواريخ ستينغر للدِّفاع الجوي.

أصدرتُ تعليماتي إلى مجموعاتِ الهُجوم الخمسة، لينطلقُوا باتِّجاهِ قواعدِ العدوِّ ومواقعه ويستولُوا عليها، وينشئُوا حواجزَ على الطُّرُق، ثمَّ ينصبُوا الكمائنَ ضدَّ أرتالِ العدو. وتمركزَت مجموعةُ الاحتواءِ (التَّثبيت) الغربيَّةِ - مجموعة مهام ألفا - في منطقةِ "مارورا" ومنطقةِ مضيقِ (وادي) "سلامخيل". فأمرتُهُم بصدِّ أرتالِ العدوِّ التي ستحاولُ الدُّخولَ إلى منطقةِ العمليَّات أو ستحاولُ الالتفافَ على قُوَّاتي على طولِ طريقِ ساروبي-جلال آباد القديم. حيثُ كانَ يمرُّ هذا الطَّريقُ "بجغدلاي"، حيثُ توجدُ إحدى

قواعدِ إمدادِ المجاهدينَ الرئيسية. وقد أعطيتُ فرقةَ مهام ألفا مهمةً يَتِمُّ تنفيذُها "بأمرٍ مباشرٍ مني" لتعطيلِ أيِّ حشودٍ للعدوِّ في ساروبي باستخدامِ النِّيران. وأعطيتُ مجموعةَ الاحتواءِ الشَّرقيَّةِ - قوة مهام دلتا- مهمةً مُماثلةً في الجهةِ الشَّرقيَّةِ من منطقةِ العمليَّات، حيثُ المدخلُ الشَّرقيُّ لمضيقِ "أبريشمين"، وتُنفِّذُ "بأمرٍ مباشرٍ مني" لتكونَ جاهزةً للعملِ كمجموعةِ هجوم. وكانَ لديَّ فريقُ الاحتياط (فرقةُ مهام إيكو) يحتشَّدُ في منطقةِ "دارغو"، وجاهزٌ للتَّصدي لأيِّ عمليَّاتِ إنزالٍ مِروحي قد يقومُ بها العدو، كما كانَ مِن مهامِ فرقةِ الاحتياط هذه تبديلُ فرقِ مهامِ ألفا وبرافو وتشارلي ودلتا، وشنُّ هجومٍ مضاد إذا لَزِمَ الأمر.

كما كانت لديَّ مفرزةٌ تتضمَّنُ راجمةَ صواريخ تعملُ على نحوٍ مستقل. وكانت مَهمَّتُهم تقتضي اتِّخاذَ مواقعَ للرِّمايةِ في منطقة "تشاكاري" (على بُعد حَوالي 80 كيلومتراً)، وقصفَ مطارِ كابول للفتِ انتباهِ العدوِّ عن بقيَّةِ العمليَّة.

تنفيذُ العمل

طوالَ أواخرِ سبتمبر والأسابيع الثَّلاثةِ الأولى من شهرِ أكتوبر عامِ 1988م، أشرفتُ بنفسي على استعداداتِ المجاهدين المُشاركين في العملِ وتجهيزِهم وتحرُّكاتِهم، وذلكَ أثناءَ نقلِهم إلى منطقةِ العمليَّات ونشرِهم للعمل. فقد أشرَفتُ على نقلِ ما مجموعُه 400 طن من الإمداداتِ المُختلفةِ من باكستان إلى منطقةِ العمليَّات حَملاً على البِغال وغيرِها من دَوابِ النَّقل. وتضمَّنت الإمداداتُ مجموعةً من الألغامِ وذخائرِ الأسلحةِ الصَّغيرة والصَّواريخ وقذائفِ الهاون والقذائفِ المُضادَّة للدَّبَّابات.

ومن أكبرِ التَّحدياتِ التي واجهتُها، نقلُ مجموعاتِ المجاهدين المختلفةِ سِرَّاً من مواقعَ مُتباعدةٍ عبرَ البلاد إلى مِنطقةِ الانتشار، معَ التَّخفي من مُراقبةِ العدوِّ وضرباتِه الجويَّة. وفوقَ ذلك، فقد تطلَّبَ نقلُ الذَّخائرِ والإمدادات والرِّجال من باكستان عبرَ الولاياتِ الثَّلاث: باكتيا ولوغر وكابول، تطلَّبَ تخطيطاً مفصَّلاً معَ التَّنفيذِ الدقيق.

كانَ المجاهدون جميعَهم من المتطوِّعين بلا أجر، وانضمُّوا إلى الجهادِ تحمُّساً ورغبةً في القتال. فكانَ أحدُ أهمِّ التَّحديات التي واجهتْها القيادةُ هي محاولةُ إقناع هؤلاءِ الأفرادِ بأداءِ مهامٍ حيويَّةٍ ـوإن كانُوا يستهجنونَهاـ مثلَ تأمينِ منطقةِ المؤخِّرةِ وتأمينِ خطِّ الإمدادِ بدلاً من المُشاركةِ في القتالِ الفعلي. كان هذا أمراً صعباً على الدَّوام، فهؤلاءِ المُتطوعون كانُوا يريدونَ القتالَ فقط.

كانَ هناكَ تحدٍّ آخر للقيادةِ يتمَّثلُ في القيادةِ والسَّيطرةِ على قُوَّةٍ مُتطوعةٍ من عدَّة مناطق، وإخضاعِها تحتَ قيادةٍ واحدة. فبعدَ العملِ، تبيَّن لنا أنَّ مجموعَتي الميمنةِ للهجوم (فرقتي فالكون وإعصار) انسحَبَتا من مواقعِهما دونَ سابقِ إنذار إلى قواعدِهما الدَّائمة لدى تعرُّضِها لتهديدِ العدو. علاوةً على ذلك، فمعَ استمرارِ عمليَّتنا لمدَّة أسبوع، تضجَّر الكثيرُ من المجاهدين وسئِموا من الإطالةِ وغادرُوا منطقةَ المعركة فُرادَى دونَ سابقِ إنذار. وعلى حَدِّ تعبيرِ علي جلالي السَّاخر فقد طوَّر المجاهدون ما أسماه "تكتيكات الكرِّ القصيرِ والفرِّ الطويل".

كانت هناك عدَّةُ أسبابٍ لما حَدث:

أولاً: كانَ المجاهدون يغلبُ عليهم الشُّعور بأنَّ هذه الحربَ حربُ "ألف معركة"، فلا توجدُ لديهم معركةٌ واحدةٌ حاسمةٌ فاصلة. وعلى هذا الأساسِ، كانوا يعتقدونَ أنَّه ممَّا يعزِّزُ بقاءَهم محدوديَّةُ قتالِهم من ناحيةِ الزَّمان والمكان.

ثانياً: عدمُ وجودِ نظامٍ لوجستيٍّ فعالٍ لتقديمِ وجباتِ الطَّعام والدَّعمِ الطِّبي والخدماتِ الأخرى المَطلوبة. فقد تمَّ إرسالُ جميعِ المُؤن المُتوفِّرةِ قبل المعركة للمقاتلين. وبعدَ ذلك، حدثَ تقصيرٌ في إعادةِ إمدادِهم، ممَّا أجبرَ المجاهدين على حملِ الأحمالِ الثَّقيلةِ والبحثِ عن الطَّعام. وكانت المواردُ الغذائيَّةُ المحليَّةُ شحيحةً لأنَّ السُّوفييت دمَّرُوا البنيةَ الاقتصاديةَ المحليَّة، وطردُوا السُّكانَ في المناطقِ الرِّيفية. ومن ثمَّ، كانَ لا بدَّ من نقلِ حصصِ المجاهدين الغذائيَّةِ الميدانيَّة من باكستان. وكانت هذه الوجباتُ رديئةً ورتيبةً (عادةً ما كانت تنحصرُ بالخبزِ مع الشَّاي أو الأرزِّ المَسلوق والحُمُّص).

ثالثا: قاتلُ المجاهدون ببسالةٍ، ولكن على أرضِهم فقط. ولم تكن منطقةُ العمليَّات هذه منازلَ معظمِهم. بل كانوا يقاتلونَ بعيداً عن قُراهم، وحينما كانوا يُقاتلون دفاعاً عن أوطانِهم، فقد كانت

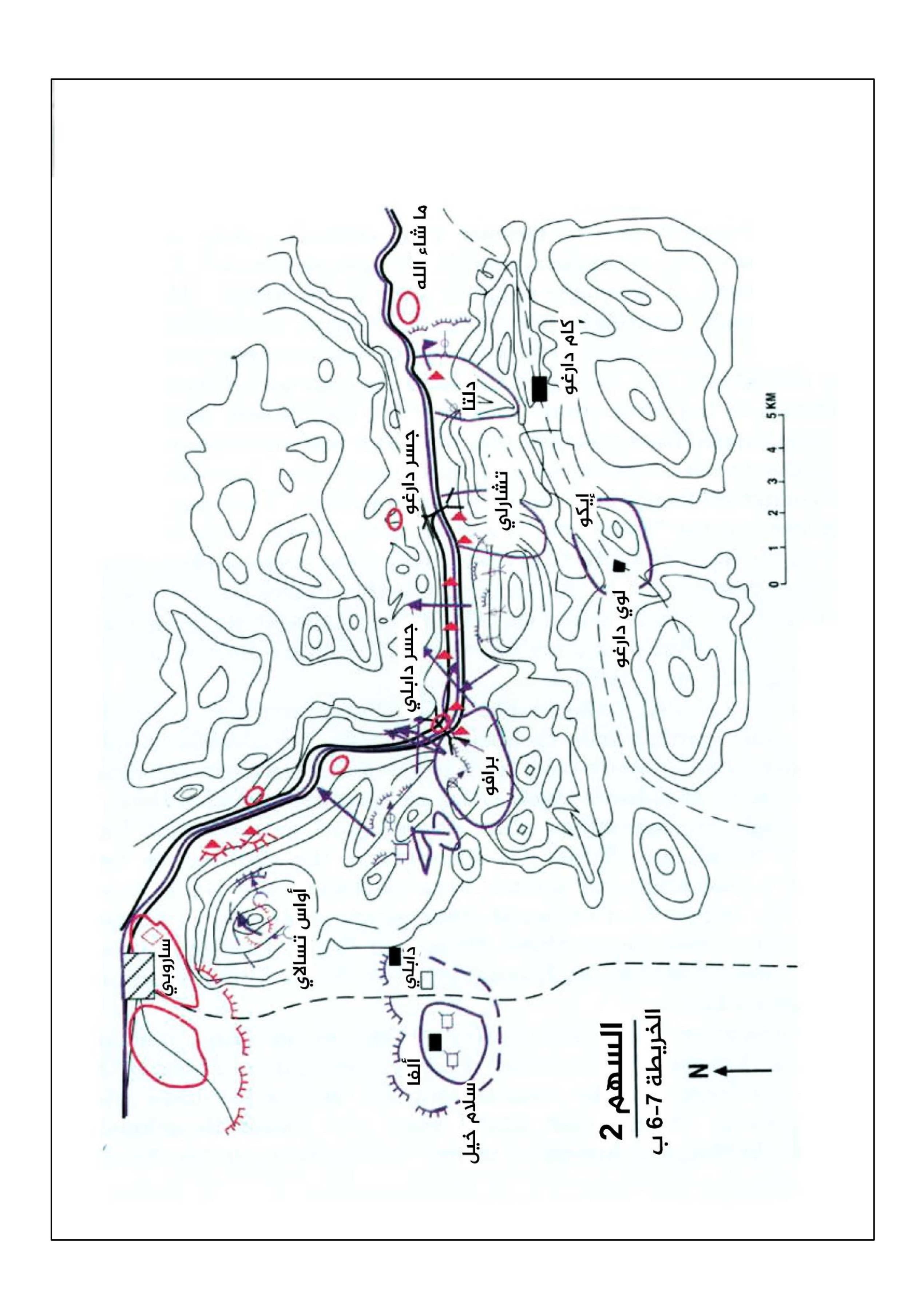
إمداداتُهم مُيسَّرةً ويستطيعونَ نيلَ الرَّاحة متى شاؤوا. ونظراً للتعلُّق التَّقليدي للأفغان بمواطنِهم فلم يُبدِ أغلبُ المجاهدينَ الحماسةَ القتاليَّة نفسها التي كانوا سيظهرونَها لو قاتَلُوا عن قُراهم.

أخيراً: استمرَّت الرِّحلاتُ الطويلةُ في الجبال أحياناً لأسابيع، مِمَّا أسهمَ في إرهاقِ المجاهدين قبلَ بدءِ المعركة. كما عانى قادةُ المجاهدين غايةَ المعاناة من حالةِ مقاتليهم الجائعين والمُجهدين لفترةٍ طويلةٍ من الزَّمن. وعلى الرُّغم من أنَّ خطَّة العمليَّاتِ الخاصَّة بي كانت تشملُ جبهةً واسعةً من ساروبي إلى جسر سورخاكان (70 كم)، إلا أنَّ العملَ الرئيسيَّ قد تمَّ على امتدادِ أربعةِ كيلومترات فقط بينَ قواعدِ "دابلي" و"دارغو" (الخريطة 6-7 ب - السهم 2). بينما كانَ القتالُ في نقاطٍ أخرى إمَّا إسناداً لهذا العمل (فرق مهام ألفا ودلتا وإيكو)، أو أعمالاً مُستقلَّةً (مثل الهجمات على مركز خيروخيل، وقاعدة "سبينا ثانا" وقاعدة "كافتارخانه").

بَدأتِ العمليَّةُ بهجماتٍ صاروخيَّةٍ على مطارِ كابول العسكري في 19 أكتوبر، فاستهدَفَت مفرزةُ إطلاقِ الصَّواريخ المطارَ وأبقتهُ تحتَ نيرانٍ مُتقطِّعةٍ، واستمرَّ القصفُ عدَّة أيامٍ قليلةٍ منذُ بدايةِ إغلاقِ الطَّريق، وبعدَها انتقلَت مَفرزةُ الصَّواريخ إلى "جغدلاي" لإطلاقِ النَّارِ على تمركزاتِ العدو في منطقةِ نغلو ساروبي.

كانت خطةُ العمليَّات مُعدَّةً على أربع مراحل:

1) الهجومُ لتدميرِ قواعدِ العدوِّ ومراكزِه أو الاستيلاءِ عليها.
2) قطعُ الطَّريق، وذلك بتدميرِ الجسورِ وزرعِ الألغام وقصفِ أرتالِ العدو التي قد تُحاولُ إعادةَ فتحِ الطَّريقِ السَّريع.
3) في حالِ تمكُّنَ العدوُّ من فتحِ الطِّريق ثانيةً، يتمُّ نصبُ كمينٍ ضَخمٍ لإيقاعِ خسائرَ فادحةٍ في صُفوفِه.
4) قطعُ الاشتباكِ والانسحاب.


ما شاء الله
كام دارغو
دلتا
جسر دارغو
تشارلي
إيكو
لوي دارغو
جسر دابلي
برافو
أواس تسالاي
ساروبي
دابلي
ألفا
سلام خيل
N
0 1 2 3 4 5 KM
السهم 2
الخريطة 7-6 ب

المرحلة الأولى: الهجومُ لتدميرِ قواعدِ العدو ومراكِزه أو الاستيلاءِ عليها.

في السَّاعة 10:00 من يوم 23 أكتوبر/تشرين الأول، بدأت المجموعاتُ بالهجومِ على طولِ جبهةِ القتالِ المُمْتدَّة. وسلَّطت كلٌّ من راجماتِ الصَّواريخ ومدافع الهاون والمدافع عديمةِ الارتداد والرَّشاشاتِ الثَّقيلة النّيرانَ انطلاقاً من المرتفعاتِ المشرفةِ على الطَّريق السَّريع. ونظراً لأنَّ المنطقةَ كانت مَليئةً بألغامِ العدو، فلم يستطعِ المجاهدونَ النزولَ على الطَّريقِ من جميع الأماكن. وبدلاً من ذلك، فقد نزلُوا عبرَ عددٍ مُحدودٍ من الجداولِ الجبليَّةِ الجافة. وكانت هذه الجداولُ آمنةً، حيثُ لم يكنْ من المُمكنِ لحقولِ الألغامِ أن تستقرَّ فيها بسببِ الفيضاناتِ المفاجئةِ التي تجتاحُها. وكانت معظمُ هذه الأخاديدِ في منطقتيْ دابلي ودارغو.

بمجرَّدِ أن تجاوزَ المجاهدون المنطقةَ الملغومة، انتشرُوا للقتال وهجمُوا على العدوّ عبرَ الطَّريقِ المعبَّد. وتمَّت تغطيتُهم بنيرانِ الإسنادِ انطلاقاً من أراضٍ مرتفعةٍ تسيطرُ على المضيق. واقتحَمت المجموعاتُ مراكزَ العدوّ ومواقعَه. وبعد قتالٍ ضارٍ، استولى المجاهدون على عدَّةِ مراكز، فيما عُزلِت مراكزُ أخرى عن قواعدِها والمواقع المجاورةِ لها بحلول السَّاعة 16:00.

وفي هجماتٍ لاحقة في 25 أكتوبر، استولَت قُوَّاتي على 14 مركزاً أمنيَّاً وأربع قواعدَ عسكريَّةٍ بعدَ أن أردَوا جنودَها بين قتيلٍ وجريحٍ فيما هربَ الباقون. وقد بلغَ عددُ الأسرى حوالي 100 جنديَّاً، واغتنمْنا 11 عربةً ما بين دبَّابةٍ وناقلةِ جندٍ و21 عربةً من أنواعٍ أخرى. كما قُمْنا بتدميرِ المنشآت الكهرومائيَّة في ساروبي و"نغلو" التي كانت تمدُّ كابول وجلال أباد بالكهرباء. بينما بلَغت خَسائِرُنا 10 قتلى و21 جريحاً.

المرحلة الثانية: قطعُ الطَّريق.

عندما قامَت مجموعاتُ الهجومِ بتأمينِ الطَّريقِ السَّريع، استطاعُوا تحقيقَ ذلكَ عبرَ تدميرِ ثلاثةِ جسورٍ على الطَّريق: جسرِ "خيروخيل" وجسرِ "استحكام (دارغو)" وجسرِ "دابلي"، ثمَّ قامُوا بتلغيمِ الطَّريقِ وإقامةِ الحواجزِ عليه. بالإضافةِ إلى ذلك، أقمْنا مواقعَ لإطلاقِ النَّارِ على المُرتفعات الجنوبيَّةِ الحاكمةِ للطَّريقِ السَّريع وحواجزِ الطُّرقِ والجسورِ المُدمَّرة. وبحلولِ 31 أكتوبر/تشرين الأول سقطَت أربعةُ مراكزَ أمنيَّةٍ أخرى والقواعدُ المُتبقِّية، باستثناءِ قاعدةِ "ما شاء الله".

أمَّا الجيشُ الأفغاني، فقد كانَ ردُّهُ بطيئاً وهامشيّاً لا يستحقُّ الذِّكر. حيثُ كانَ قد افتقدَ وقتَها للمراقبةِ الكافية وفقدَ المراكزَ الأمنيَّة التي كانت على المُرتفعات على جانبِ الطَّريق السَّريع. كما فشلَ الجيشُ في استعادةِ أيٍّ من المراكزِ الأمنيَّةِ التي كان قد خَسِرَها ما عدا مركزِ "أوا تسالي". وكانَ هذا المركزُ كاشفاً لساروبي، ويوفِّرُ المراقبةَ على مجموعتِنا ومرابضِ مِدفعيَّتنا لكونه واقعاً على أعلى قمَّة في المنطقة. ومعَ محاولتِنا لاستردادِه تبدَّلَت السَّيطرةُ عليه عدَّة مرَّات، إلى أن عادَ إلى أيدينا في النِّهاية. بينما بَقِيَت قاعدةُ "ما شاء الله" تحتَ سيطرةِ العدوِّ طوالَ العمليَّة.

مكنَّنا هذا الهجومُ منَ السَّيطرةِ على جزءٍ من الطَّريق السَّريع فقط، فيما كانَ ردُّ الجيشِ الأفغاني في غايةِ البطء والفَشل. فقد نفَّذَ الجيشُ رماياتٍ مِدفعيَّةً نحو قُوَّاتنا، بينما قصفَت طائراتُه الحربيَّةُ مواقعَ شكَّ بتواجدِ المجاهدين فيها على الحِرف (النتوء) الصَّخريِّ للجبال جنوبَ المَضيقِ وجنوبَ غربِه. ولم تحقِّقِ المِروحيَّاتُ الهجوميَّةُ الأفغانيَّةُ والسُّوفييتيَّةُ الكثيرَ، لكونها لم تجرُؤ على التَّحليقِ بارتفاعٍ مُنخفضٍ عبرَ المضيق، أو بالقربِ من مواقِعنا. ولم يحاولِ الجيشُ الأفغانيُّ القيامَ بالتفافٍ على مواقعِنا انطلاقاً من ساروبي أو من المدخلِ الشَّرقي للمضيقِ قربَ قاعدةِ "ما شاء الله"، ولا حتَّى القيامَ بإنزالٍ مِروحيٍّ لقطعِ طرقِ إمدادِنا وانسحابِنا.

ومن 25 أكتوبر حتَّى نهايةِ العملية، حشدَ العدوُّ قُوَّاتِه عندَ مدخلي المَضيق، وحاوَلَ باستمرارٍ نسفَ حواجزِنا المعرقلة، واستعادةَ السَّيطرةِ على الطَّريقِ السَّريع داخلَ المضيق (الوادي). كما شَنَّ الجيشُ الأفغانيُّ هجماتٍ جبهويَّةً باستخدامِ قُوَّاتِ المُشاة مَسنودةً بالدَّبَّابات التي تحرَّكت من قاعدةِ "ما شاء

الله" في الشَّرقِ ومن ساروبي في الغرب. وعزَّز أيضاً قاعدةَ "ما شاء الله" المحاصرةِ بعناصرَ من الفرقة 11 التي كانت تعملُ في منطقةِ "ألينغار" في ولاية لغمان.

كانَ حشدُ الجيشِ لقوَّاتٍ أفغانيَّةٍ من لغمان وجلال آباد مُمكناً بالنِّسبةِ له، وذلك لأنَّ مجموعاتِ المجاهدين الذين يَنحدرونَ من ولايةِ ننغرهار (فرق الإعصار والخليج والصقر للمهام) قد انسحبَت بعدَ أسبوعٍ من الاستيلاءِ على أهدافِها المُحدَّدة. حيثُ أرسلَ الجيشُ الأفغانيُّ تعزيزاتٍ إلى ولايةِ ننغرهار وشَنَّ هجماتٍ فيها، مِمَّا اضطرَّ المجاهدين إلى المُغادرَة من تلكِ المِنطقة للدِّفاع عن منازلِهم. ونتيجةً لذلك، تمكَّنَ الجيشُ الأفغانيُّ من دفعِ المزيدِ من القُوَّاتِ إلى المضيقِ من الشَّرقِ في محاولةٍ لاختراقِ العوائقِ الرَّئيسيَّةِ (بين دارغو ودبلي). وفي الفترةِ من 25 إلى 31 أكتوبر، شَنَّ عدَّةَ محاولاتٍ فاشلةٍ لفتحِ الطَّريقِ وعانى من خسائرَ على مُستوى الأرواحِ والعَرَبات.

عِندما انسحبَت فِرقُ الصَّقرِ والخليجِ والإعصارِ من قطَّاعَاتِهم، تحرَّكَ رتلانِ ميكانيكيَّان للجيشِ الأفغانيِّ إلى المنطقةِ من اتجاهين. حيثُ انطلَقَت عناصرُ من الفرقةِ الثَّامنةِ للجيشِ الأفغاني مُعزَّزَةً بعناصرَ سُوفييتيَّةٍ من كابول باتِّجاهِ الشَّرقِ إلى ساروبي، وحاولَت فتحَ الطَّريقِ السَّريع. بينما تحرَّكَ رتلٌ آخرُ غرباً من جلال آباد محاولًا احتلالَ مواقعِ المجاهدين المُعرقلة بين دارغو ودابلي. أجبرَني ضغطُ الهجومِ -الذي كانَ من محورين- على مجموعاتِ المجاهدين التي كانت مُبعثرةً على مساحةٍ واسعةٍ ومُفتقرةً للإمدادات، أَجبرني على تضييقِ جَبهتي والتَّركيزِ في امتدادِ أربعةِ كيلومترات بينَ دارغو ودابلي بينَ جسريْ الطَّريقِ السَّريعِ اللذينِ دمَّرَهما المجاهدونَ في وقتٍ سابق.

بين 1 و6 نوفمبر/تشرين الأول، حَرَّك العدوُّ عرباتِ بناءِ الجُسورِ مَسنودةً بالدَّبَّاباتِ والمُشاةِ الآليَّةِ لنصبِ الجسورِ عبرَ نهرِ كابول في دابلي ودارغو. فقمْنا مِرارًا وتكراراً بتعطيلِ هذه المحاولاتِ عَبرَ إطلاقِ النِّيرانِ انطلاقاً من الأراضي المرتفعة جنوبَ المضيق. وكذلك أوقَعنا أرتالَ الجيشِ الأفغانيِّ في تقاطعاتٍ ناريَّةٍ انطلاقاً من مواقعَ مُعدَّة جيداً. وفي هذه المُحاولات، فقدَ الجيشُ العديدَ من الدَّبَّابات وناقلاتِ الجنودِ المُدرَّعة ومجموعةً من مُعدَّات بناءِ الجسور.

المرحلةُ الثَّالثة: نصبُ الكمينِ لقوَّاتِ العدوِّ التي تمكَّنت من فتح الطريق.

كانت المرحلةُ الثَّالثةُ من العمليَّةِ المخطَّطِ لها تقتضي تنفيذَ كمينٍ مُمتدٍ على مساحةٍ واسعةٍ قبلَ الانسحاب. أَمَرْتُ جميعَ فرقِ مهامِ المجاهدين بالتزامِ الصَّمتِ التَّام لاسلكيًّا ووقفِ إطلاقِ النِّيرانِ اعتباراً من السَّاعة 20:00 في 6 نوفمبر. كما وجَّهتُ بعضَ عناصرِ المجاهدين للتَّظاهرِ بالانسحابِ من بابِ الخديعةِ للعدو. وفي صباحِ اليومِ التَّالي، كانت الجبهةُ بأكملِها هادئةً. فتحرَّكَ الجيشُ الأفغانيُّ على طولِ الطَّريقِ السَّريعِ من دونِ أن يَلقى مقاومةً، وقامَ باستبدالِ الجسورِ المدمَّرةِ. وفي السَّاعة 15:30، بدأَ الجيشُ الأفغانيُّ بالتَّحرُّكِ عبرَ أرتالٍ ميكانيكيَّةٍ كبيرةٍ عبرَ جسرِ دابلي باتِّجاهِ دارغو ليدخلَ "منطقة القتل".

دخلتْ أعدادٌ كبيرةٌ من العَرَبات إلى منطقةِ القتل، مِمَّا أدَّى لاكتظاظِ حركةِ المرورِ في المضيقِ من كلا الاتجاهين. وكانت الطُّرُق ثنائيَّةَ الاتِّجاه وبلا مُنصِّف ومليئةً بالعربات، فحَدَث اختناقٌ مروريٌّ حاد. ووصلَ أوَّلُ الرَّتلِ القادمِ من الشَّرقِ إلى الجسرِ الذي تمَّ إصلاحُه في دابلي، بينما وصلَ رأسُ الرَّتلِ القادمِ من الغربِ إلى الجسرِ الذي تمَّ إصلاحُه حديثاً في دارغو. وهذا ما جعلَ حركةَ المرورِ تمتدُّ لأربعةِ كيلومترات بينَ الجسرين اللذين تمَّ إصلاحهما، وفي تلكَ اللَّحظة، أعطيتُ إشارةَ فتح النِّيران،فَفتحَ المجاهدونَ النَّارَ على طولِ الجبهةِ بالكامل، وأخذُوا الجيشَ الأفغانيَّ على حينِ غِرَّة. وبدأَ المجاهدون بالاشتباكِ من السَّاعةِ 16:00 حتَّى السَّاعةِ 19:00 مساءً. وألحقْنا خسائرَ فادحةً بالأرتالِ المحاصرة. فتراجَعَت بعدَها الأرتالُ إلى ساروبي.

المرحلةُ الرابعة: الانسحاب.

بعدَها ومَعَ حلولِ الظَّلام، قطعَت عناصري الاشتباكَ وانسحَبَت سالمةً دونَ أيِّ عرقلةٍ من العدو، وقفلُوا عائدين إلى قواعدِهم.

خسائرُ القُوَّاتِ السُّوفييتيَّةِ والأفغانيَّةِ

تكبَّدَ العدوُّ الخسائرَ التَّاليةَ أثناءَ العملية:

- تمَّ تدميرُ الآليَّاتِ التَّاليةِ أو إعطابُها: 42 دبابةً وناقلةَ جندٍ مدرَّعةٍ، وستَّ عرباتِ بي أم بي، وتسعةَ مدافع، وراجمةَ بي أم -13، وجرافةً واحدة، ورافعتين، و65 عربةً غيرَ مُدرَّعة، وطائرتانِ حربيَّتان، ومِروحيَّةً هجوميَّة. وقد حدثَت معظمُ خسائرِ العرباتِ أثناءَ كمينِ المرحلةِ الثَّالثة.
- أَردَى المجاهدون 500 جنديٍّ بين قتيلٍ وجريحٍ، بينما أسرُوا 212 جنديَّاً، بينهم 11 ضابطاً.

حصيلةُ الغنائم كالتالي:

أربعةُ مسدَّساتٍ، و261 بندقيَّةً اقتحاميَّةً، ومُسدَّسا إشارة، وثلاثةُ رشَّاشاتٍ خفيفة، وأربعةُ رشَّاشات بيكا، وثلاثةُ رشَّاشاتٍ ثقيلةٍ عيار 7.62، وثلاثةُ رشَّاشات دوشكا، وسبعةُ رشَّاشات 14.5، وقاذِفا قنابلَ آلية AGS-17، و13 قاذفةُ آر بي جي 7، وسبعةُ مدافع هاون متوسِّطة عيار 82 ملم، و19 جهازاً لا سلكيَّاً تكتيكيَّاً.

خسائر المجاهدين

- 18 قتيلاً و53 جريحاً.

مراكزُ العدوِّ الأمنيَّةِ التي تمَّ الاستيلاءُ عليها في العملية:

1. أوا تسيلا
2. شيرخان الأعلى
3. غاراي
4. مَركزين بينَ قاعِدَتي بولي جسر استحكام ودابلي
5. ومَركزين حولَ قاعدةِ بولي استحكام
6. مركزٌ بينَ جسرِ بولي استحكام ودارغو

7. دارغو
8. كاليمة
9. غيرداب
10. توت
11. سوراي
12. لاكاي
13. تيكاس
14. جسر سورخاكان
15. خيروخيل
16. خيروخيل الأسفل

قواعدُ العدوِّ التي تمَّ الاستيلاءُ عليها أثناءَ العمليَّة:

1. دابلي
2. دارغو
3. بولي استحكام (قاعدة جسر هندسي)
4. توري ظوواري
5. كفتارخانه
6. سبينا ثانا

التَّعليق:

تُعَدُّ عمليَّةُ السَّهمِ واحدةً من العمليَّاتِ الكبرى القليلةِ التي نفَّذَها المجاهدون، وقد امتازَت بالتَّخطيطِ الشَّامل، وإلى حدٍّ ما بالتَّنسيقِ الجيِّد. أظهرَتِ القيادةُ والأركانُ والمقاتلونَ قُدُراتٍ قتاليَّةً عاليةً، وأبدَوا تَصميماً على المُواصَلة حتَّى النِّهاية. ولقَد كانَ العملُ مُعقَّداً وجَريئاً، وقد حَقَّق منه المجاهدون أهدافاً طَموحة. وإذا مَا نَظرْنا إلى عددِ المُقاتلينَ الذينَ شاركُوا في العمل، والوقتِ الذي استغرقَهُ الإعدادُ (ما بينَ شهرينِ إلى ثلاثةِ أشهر وفقاً للواء وردك)، والتَّعقيدُ في التَّخطيط، وكمِّيَّةِ الإمداداتِ المطلوبةِ والمنقولةِ إلى منطقةِ المَعركة -نُقِلت مُعظمُها من باكستان عبرَ ثلاثِ وِلايات (باكتيا ولوغر وننغرهار)- والنتائجِ التي تَحقَّقت، يبدو لنا بأنَّ عمليَّةَ السَّهم كانت عَملاً باهظاً وغيرَ فعَّالٍ من حيثُ التَّكلفة.

كانت العمليَّةُ هذه خاضعةً للاعتباراتِ والمصالحِ السِّياسيةِ أكثرَ منها عسكرية. فقد كانت القُوَّاتُ السُّوفييتيَّةُ تنسحبُ من أفغانستان، وفي ذلك الوقتِ كانَ الاتِّحادُ السُّوفييتي قد سَحَبَ نصفَ قُوَّاته أصلاً. ولتوضيحِ الأمرِ فقَد كانت مختلفُ الأحزابِ السِّياسيَّة للمجاهدين الأفغان تُناورُ في سبيلِ كسبِ المناصبِ في حكومةِ أفغانستان ما بعدَ الشُّيوعية. وللإبقاءِ على مصالحِهم وعلى سيلِ الدَّعمِ الخارجي من قِبَلِ الدَّاعمين العربِ والغربيين، كانَ على المجاهدين إظهارُ قابليَّتِهم على تحقيقِ التَّنسيقِ العسكري؛ وهو مَا كانَ مفقوداً طوالَ الحرب، باستثناءِ الوضعِ القتاليِّ للمجاهدين في مُحيط قندهار. وهذه الحاجةُ لإظهارِ التَّنسيقِ السِّياسيِّ والعسكريِّ بينَ الأحزابِ والفصائلِ كانت إحدى العواملِ الرَّئيسيَّةِ التي دفعَتِ الجبهةَ للتخطيطِ والتَّنفيذِ لمثلِ هذا العملِ الكبيرِ بالرُّغم من كونِ الحربِ التي كانُوا يخوضُونَها في الأصلِ حربَ عصابات. وعزَّزَ نجاحَ هذه العمليَّةَ من هيبةِ المجاهدين عامَّةً وزادَت من سمعةِ نجاحاتِ الجبهةِ العسكريَّةِ خاصةً، وقد كانت العمليَّةُ من أكبرِ انتصاراتِها.

من النَّاحيةِ العسكريَّة، كانَ منَ المُمكنِ استخدامُ المُقدَّراتِ على نحوٍ أفضل. فبدلاً من عملٍ كبيرٍ تنفِّذُه مجموعاتٌ ضَخمةٌ من المجاهدين كانَ من الأفضلِ تنفيذُ مجموعةٍ من الأعمالِ العسكريَّةِ الصَّغيرة، وبمجموعاتٍ مُتعاقبةٍ من المُجاهدين (كلُّ مجموعةٍ يبلغُ قوامُها 50-70 مجاهداً) كلُّ مجموعةٍ تنفِّذُ عملاً

صغيراً. ويستمرُّ كلُّ عملٍ لعدَّة أيامٍ لتمتدَّ بمجموعِها لفترةٍ طويلة. صحيحٌ أنَّ هذا الخيارَ العسكريَّ لن يحقّقَ قدراً عالياً من الظهورِ والاستعراض كالعملِ الذي حَدث، ولن يوقعَ خسائر هائلةً في صفوفه في كلِّ عملٍ، إلا أنَّهُ كانَ سيغلقُ الطَّريقَ إغلاقاً فعَّالاً لفترةٍ أطول، ويوقعُ خسائرَ أكبرَ بالمجمل. وإذا كانت الجبهةُ لا تَحَمَّلُ القيامَ بعملٍ عسكريٍ بحجمِ عمليَّةِ السَّهم إلا مَرَّةً واحدةً في السَّنة، فإنَّها تقدر على تنفيذِ عدَّةِ عمليَّاتٍ مُشابهةٍ وبحجمٍ أصغرَ وبتكاليفِ أقلَّ (أو التَّكاليف نفسها) في الأرواح والمعدَّاتِ والأوقاتِ والموارد.

وقد ظهرَ بأنَّ التَّوظيفَ السِّياسيَّ لقوَّاتِ أربعةِ فصائلَ للمجاهدين لإغلاقِ الطَّريقِ السَّريع بين كابول وجلال آباد -كلُّ فصيلٍ يغلقُ لأسبوعين- استلزمَ تكاليفاً باهظة. فقد تطلَّبَ أربعَ عمليَّاتِ نَشرٍ مُنفصلةٍ، وأربعَ عمليَّاتِ رسمِ خُططٍ للعملِ مُنفصلة، وثلاثَ عمليَّاتِ تبديلٍ من فصيلٍ إلى آخر، وأربعَ انسحابات. مِمَّا حتَّمَ مُضاعفةَ الجهودِ التَّكتيكيَّةِ واللُّوجستيَّة، وتكاليفَ النَّقلِ غيرِ الضَّروريَّة، وتضمَّنَ تعقيداً تكتيكيَّاً في عمليَّاتِ تبديلِ مجموعةٍ بأخرى على امتدادِ جبهةٍ عَريضة. وإذا ما نَظرنا في خيارٍ آخرَ، فإنَّ تقسيمَ المنطقةِ إلى أربعِ قطَّاعاتٍ مع تسليمِ مسؤوليَّةِ كُلِّ قطاعٍ لفصيلٍ على مَدى ثمانيةِ أسابيع كان ليحقّقَ الهدفَ نفسَه وبتعقيداتٍ أقلَّ وتكاليفِ أخفض، مع تحسينِ الدَّعمِ اللُّوجستي وتركيزِ الجهود. إلا أنَّ الافتقادَ لقيادةٍ سياسيَّةٍ وعسكريَّةٍ موحَّدةٍ والخلافاتِ الفصائليَّةَ مَنَعتَا من تنفيذِ هذا الخيار.

أظهرتِ القيادةُ والأركانُ المشتركةُ مُستوىً عالٍ من المِهنيَّةِ والرُّؤيةِ العملياتيَّةِ في كلٍّ من التَّخطيطِ والتَّنفيذ. فقد مثَّلَ تحريكُ حجمٍ كبيرٍ من القُوَّاتِ من قواعدَ متناثرةٍ إلى منطقةِ العمليَّات، معَ توفيرِ الدَّعمِ اللُّوجستيّ في ظلِّ مواردَ محليَّةٍ محدودةٍ جدَّاً، مثَّلَ مهمةً صَعبةً للغاية، وقد أنجزَتها القيادةُ إنجازاً فعالاً. فكانت تداعياتُ العملِ قد تجاوَزتِ السَّقفَ التَّكتيكيَّ والعمليَّاتيَّ، لتساهمَ في زعزعةِ النِّظامِ الأفغانيِّ العميلِ للسُّوفييت سياسيَّاً وإستراتيجيَّاً. وتثير ذعرَ هذه الحكومة، مِمَّا أجبرَها على دفعِ قُوَّاتٍ كبيرةٍ إلى المِنطقة، وتكبُّدِ خسائرَ هائلةٍ فيها.

ولكنْ لم تمرَّ هَذه العمليَّةُ دونَ أن يدفعَ المجاهدون تكاليفَ سياسيَّةً أخرى. فقد تسبَّبَ إغلاقُ الطَّريقِ بخسائرَ اقتصاديَّةٍ للتُّجَّارِ المدنيين. وكانُوا في ذلك الوقتِ من السَّنة، يعملونَ على تصديرِ الرُّمانِ من تاغاو والعنبِ من كابول إلى باكستان. وكانت تجارةُ الخضارِ والفواكهِ الطازجةِ هي إحدى مصادرِ الدَّخلِ الرَّئيسيَّةِ لأفغانستان. أثناءَ الأسبوعِ الأوَّلِ من نوفمبر/تشرين الأول، ناشدَ ممثلونَ عن تُجَّارِ الفاكهةِ المجاهدين لفتحِ الطَّريقِ، ولكنْ لا حياةَ لمن تُنادي. وفي حربِ العصابات، فإنَّ الحفاظَ على دعمِ الحاضنةِ الشَّعبيَّةِ أهمُّ من تفريطِها بأعمالٍ تؤذي الاقتصادَ المحلِّي.

من النَّاحيةِ التَّكتيكيَّةِ، وقعَ الجيشُ الأفغانيُّ في عدَّةِ أخطاء. فاستطلاعُ القُوَّاتِ الأفغانيَّةِ لم يكن كافياً مِمَّا سمحَ للمجاهدين بنشرِ آلافِ المجاهدين على مسافةٍ قريبةٍ من مواقعِ الجيشِ الأفغاني دونَ اكتشافِهم أو عرقلتِهم. ونفَّذَ المجاهدون تحرُّكاتِهم في اللَّيلِ واستخدمُوا الغطاءَ والتَّمويهَ الطبيعي المتمثِّلِ في التَّضاريسِ الجبليَّة. ومع ذلك، فلو كثَّفتِ القُوَّاتُ الأفغانيَّةُ الاستطلاعَ لاستطاعَت اكتشافَ انتشارِ المجاهدين، ولعملَت على وضعِ تدابيرَ مُضادَّةٍ لعرقلةِ استعداداتِ المجاهدين للعمليَّة. كما أنَّ فشلَ الجيشِ الأفغانيِّ في إنشاءِ نقاطِ مراقبةٍ على الجبالِ العاليةِ وشغْلها قد سمحَ للمجاهدين بالانتقالِ إلى المنطقةِ وإعدادِ مواقعَ قتاليَّةٍ دونَ أن يتمَّ اكتشافُهم.

كانت قُوَّاتُ العدوِّ في ساروبي مُتمركزةً في موقعٍ تكتيكيٍّ مناسبٍ لشنِّ هجومٍ التفافيٍّ ضدَّ قاعدةِ المجاهدين الرَّئيسيَّةِ في "حصارك". ولو نُفِّذت هكذا عمليَّة وبإسنادٍ جَوِّي ومدفعي، لأفشلت عمليَّةَ المجاهدين وقَطَعت طريقَ انسحابِهم. ولكانت الفُوضى ستدبُّ في صفوفِ المجاهدين لو أُكمِل الأمرُ بإنزالٍ مِروحيّ خلفَ خطوطِ المجاهدين، ولأجبرَهُم على إنهاءِ العمل. إلا أنَّ الجيشَ الأفغانيَّ انشغلَ بردودِ الأفعالِ غيرِ المَدروسةِ. وقد دَفعتِ القُوَّاتُ الأفغانيَّةُ على الطُّرقِ ثمناً باهظاً بسببِ فشلِ القيادة.

وأفدحُ خطأٍ وقعَ فيه الجيشُ الأفغانيُّ وأكثرُه كلفةً هو وقوعُهم في كمينِ المجاهدين الأخير. فبعدَ أن صَمَتَت بنادقُ المجاهدين، لم يكلفِ الجيشُ نفسَه عناءَ التَّأكُّدِ من أنَّ الصَّمتَ يعني انسحاباً حقيقيَّاً للمجاهدين وليسَ "هدوءاً يسبقُ العاصفة"،فنزلَ الجيشُ الأفغانيُّ بأعدادٍ كبيرةٍ من العرباتِ على الطَّريقِ السَّريعِ غيرِ الآمن. فحدثَ الازدحامُ المُروريُّ في منطقةِ القتلِ التي خَطَّطَ لها المجاهدون.

المقالاتُ التَّاليةُ تصفُ المعاركَ ضمنَ "عمليَّة السَّهم" على المقتربات الشَّرقيَّة من المضيق.

مقالة السادسة (أ): معركة مركز "خيروخيل" الأمني

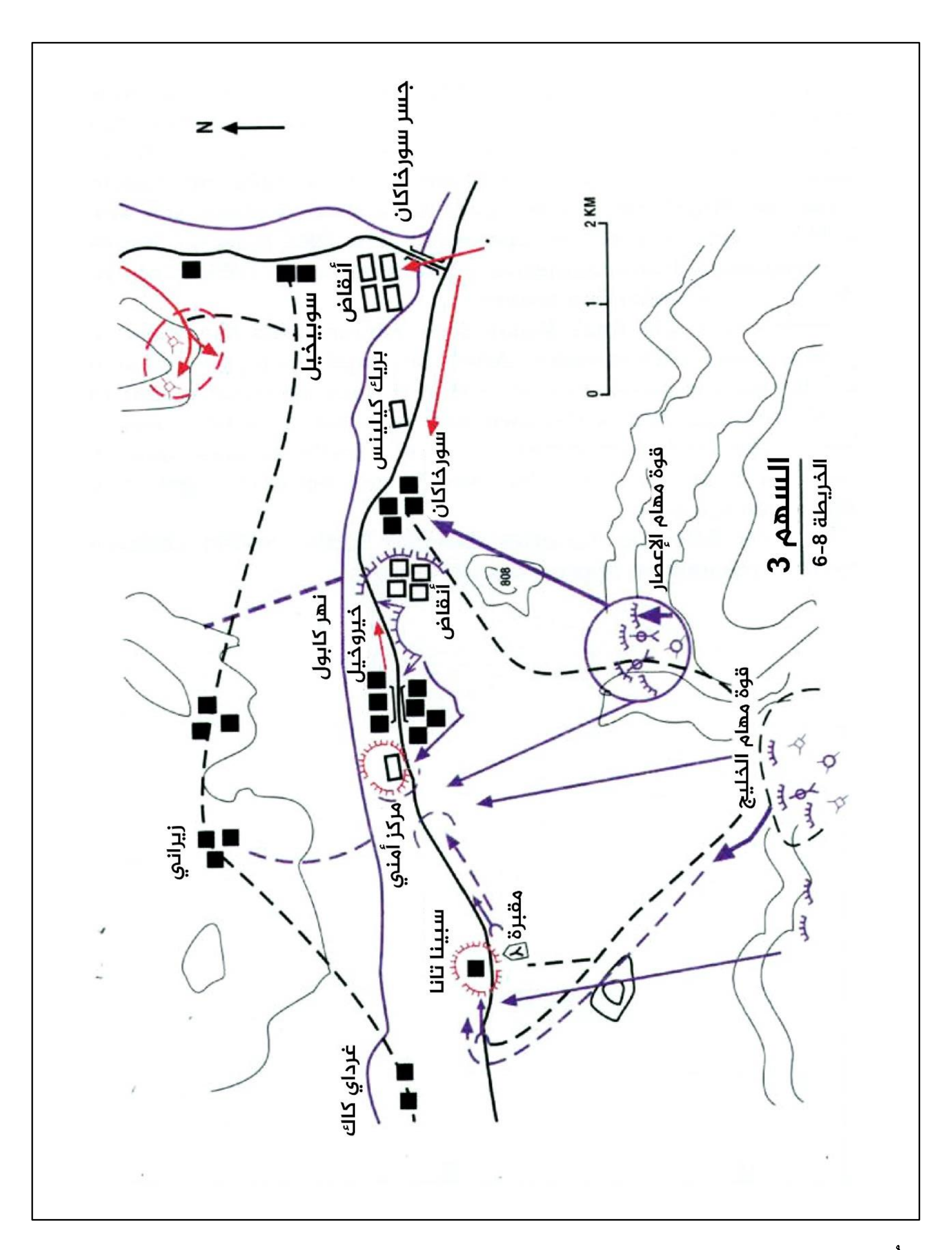
رواية "آصف خان"[125]

أَحضرْتُ 130 مجاهداً من قاعدَتنا الثَّابتةِ في مديريَّة "سرخرود" جنوبَ غربَ جلال آباد، وذلك بهدفِ المُشاركةِ في عمليَّة السَّهم. سُمِّيتُ مجموعتي بفرقةِ مهام إعصار. وانتشرَتِ المجموعةُ ليلًا في مواقعِها الهُجوميَّةِ بينَ ثنايا جبلِ "تور". وكانَ موقعُ انطلاقِ الهجومِ يقعُ على بُعدِ حَوالي 3 كيلومترات جنوبَ مركزِ "خايروخيل" مباشرةً (الخريطة 6-8 - السهم 3).

يقعُ مركزُ "خيروخيل" غربَ قريةِ "خيروخيل" مباشرةً. وكانت تشغلُه وحدةٌ بحجمِ الفصيلِ مُعزَّزةً بدبَّابتين وناقلةِ جنودٍ مدرَّعة. وكان لدى حامِيَتِه أيضاً مجموعةٌ من مدافعِ الهاون والرَّشَّاشات التي كانَ من بينِها نوعُ دوشكا. كانَ هناك مركزٌ آخرُ متَّصلٌ بدفاعاتِ خيروخيل بينَ القريةِ وجسرِ "سورخاكان" شرقاً. وكانَ العدوُّ يرسلُ فرقاً صغيرةً في شكلِ دوريَّاتٍ للتجوُّلِ خلالَ النَّهارِ من أجل حراسةِ الطَّريقِ السَّريع الرَّئيسيِّ بينَ خيروخيل وجسرِ سورخاكان، ثمَّ لتعودَ مرَّةَ أخرى إلى قاعدتِها عندَ حلولِ اللَّيل.

كانت تنتشرُ على ميسرةِ مجموعتي فرقةُ مهامِ الخليجِ بقيادة "الحاج زمان غمشاريك". وكانت مَهمَّتُها متمثلةً في مهاجمةِ قاعدةِ العدوِّ المجاورة في "سبينا ثانا". بينما انتشرَت إلى الغربِ منه فرقةُ مهام فالكون بقيادةِ "شريعتي" والملازم "ولي"، وكانت مَهمَّتُها متمثلةً في مهاجمةِ قاعدةِ "كفتارخانه". كما انتشرَت على مَيمَنَتِنا فرقةُ مهام الإعصار، وكانَ موقعُها مكشوفاً ولا تغطّيه سوى التَّضاريسِ الجبليَّة.

[125] كان آصف خان قائد قوة مهام الإعصار.



قمتُ بتشكيلِ فريقِ المهامِ الخاص إلى ثلاثِ مجموعات: مجموعةِ اقتحام، ومجموعةِ إسناد، ومفرزةِ خدمات. كانت مجموعةُ الاقتحامِ مؤلَّفةً من 50 مجاهداً مُسلَّحينَ ببنادقِ اقتحام و15 قاذفةِ آر بي جي -7 المضادَّةِ للدبَّابات. بينما كانت مجموعةُ الإسناد مُسلَّحةً بأسلحةٍ ثقيلة بما في ذلك راجمةِ بي أم -1 ومدفعٍ عيارِ 75 ملم عديمِ الارتدادِ وثلاثةِ مدافعَ عيار 82 عديمِ الارتداد.

وفي السَّاعةِ 22:00 من ليلةِ 22 أكتوبر 1988م، نزلتُ ببعضِ المقاتلين إلى قريةِ خيروخيل للاستطلاع. وتناوَلنا العشاءَ هناك معَ بعضِ الوجهاءِ المحَلّيين، ثمَّ طلبتُ منهم التَّحدُّثَ إلى قائدِ المركزِ الأمنيِّ الحكوميّ وإقناعَه بالتَّخلي عن الموقعِ بدلاً من مواجهةِ هجومِنا. وبعدَ أنْ أتمَمْنا تناولَ وجبةِ العشاء، أكملتُ استطلاعي وَعُدْتُ إلى موقعِنا الهجوميّ في التِّلالِ المُطلّةِ على القرية. كانت مواقعُنا قريبةً جداً من العدوِّ لدرجةِ أنَّ صحفيةً أمريكيَّةً كانت ترافقُ مجموعتي قد قالت لنا: "لو كنتُ مكانَ الميليشياتِ الحكوميَّة، فلن أبقيَ عليكم أحياءً لليلةٍ واحدةٍ وأنتم جالسونَ بالقربِ من المركزِ الأمنيِّ داخلَ مدى الأسلحةِ الثَّقيلة".

اتَّصلَ قائدُ العمليَّاتِ اللواء رحيم وردك بالقائدِ الحاج زمان (الذي يقود مجموعةً بالقربِ مني)، وأخبرَه أنَّ وقتَ الهجوم على المواقعِ سيكونُ في السَّاعة 08:00 يوم 23 أكتوبر. وعندما عُدتُ من استطلاعِي، أبلغَني الحاج زمان بهذا الأمر. فقمْتُ بنقلِ مجموعةِ الإغارةِ إلى بعضِ الأنقاضِ الواقعةِ على بُعدِ كيلومتر واحد جنوبَ طريق كابول-جلال آباد السَّريع استعداداً للهجومِ في الصَّباحِ التَّالي. ونصبتُ أيضاً كَميناً بالقربِ من الطَّريقِ السَّريع لإيقاعِ الدَّوريَّةِ التي من المُفترضِ أن تغادرَ مركزَ خيروخيل وتتحرَّكَ نحوَ جسرِ سورخاكان كَلَّ صباح. وكان هدفِي من ذلك تطهيرُ المنطقةِ وجعلُها خاليةً من كُلِّ ما يمكنُ أن يعرقلَ الإغارةَ على مركزِ خيروخيل.

في السَّاعة 0700، غادَرت مجموعةٌ من حوالي 15 جنديًّا أفغانيًّا المركزَ الأمنيَّ وبدؤُوا في التَّحرُّكِ باتِّجاهِ جسرِ سورخاكان لإقامةِ نقاطِ تفتيشٍ أمنية. تَركهم المجاهدونَ يُمَشّطونَ القريةَ من دونِ مقاومة، وبمجرَّدِ وصولِهم إلى امتدادٍ مكشوفٍ من الطَّريق، فتحُوا النِّيرانَ انطلاقاً من مواقعَ مَخفيَّةٍ جيداً بالقربِ من الطَّريق. واستطاعُوا قتلَ ستَّة جنودٍ وجرحَ عددٍ آخر.

وَرَدَّ العدوُّ بوابلٍ كثيفٍ من نيرانِ المِدفعيَّةِ انطلاقاً من قواعدِهم على جانبي خيروخيل. فكانت المِدفعيَّةُ والدَّبابات تُطلقانِ النِّيرانَ انطلاقاً من "سبينا ثانا" غرباً ومن مركزِ جسرِ سورخاكان شرقاً، وفي تلك اللَّحظات، بَعثتُ برسالةٍ مُشفرةٍ إلى الحاج زمان كَتبتُ فيها التَّالي "أبعد الكلاب عني". فردَّ

على الفور بنيرانٍ كثيفةٍ ضدَّ قاعدةِ العدو في "سبينا ثانا". وكانت مجموعةُ الحاج زمان جاهزةً، منذُ السَّاعة 08:00، وهو وقتُ بدءِ الهجوم.

خَفَّفَ المجاهدون بنيرانَهم على "سبينا ثانا" الضغط عن قطاعِي (قطاع خيروخيل). ولعدَّة ساعاتٍ، تبادَلَت فرقةُ مهامِ الخليج النّيران معَ قاعدة سبينا ثانا. ثمَّ وقعَت إحدى الرِّماياتِ المباشِرة على براميلِ الوَقودِ في الحِصن، فأشعلَتِ النّيران فيه. ثمَّ هاجَمت قُوَّةُ مهام الخليج قاعدةَ العدو.

عندما شَنَّت فرقةُ مهام الخليج هُجوماً على سبينا ثانا، أَوعَزْتُ للجزءِ الرَّئيسيّ من فرقةِ مهام الإعصار بالهجومِ على مواقعِ العدوِّ حولَ مركزِ خيروخيل، بينما أبقيتُ مفرزةً أمنيَّةً من الفرقةِ نفسِها شرقَ القريةِ لمنع قُوَّاتِ العدوِّ من دخولِ منطقةِ الاشتباك. واجتاحَت الهجماتُ المنسَّقةُ (لقُوَّاتِ مهام الخليجي وقُوَّاتِ مهام الإعصار) قاعدةَ سبينا ثانا المقابلةَ ومركزَ خيروخيل الأمنيَّ حَوالي السَّاعةِ 14:30. فتمَّ تدميرُ دبَّاباتِ العدوِّ وناقلاتِه في مركزِ خيروخيل. وبينما أنشأَ جزءٌ من مَجموعتي دفاعاً في محيطِ الموقعِ الذي تمَّ الاستيلاءُ عليه، قامَ الجزءُ الآخر بنقلِ الغنائمِ من الأسلحةِ والمعدَّاتِ إلى مخبئِنا الجبلي. وقد استمرَّ هذا العملُ طَوال اليوم.

أثناءَ الهجوم، كانَ العدوُّ ينقلُ المسؤولين الشُّيوعيين في حكومةِ مديريَّةِ ألينغار إلى جلال آباد في قافلةٍ عسكريَّةٍ (في هذا الوقت، وبسببِ الانسحابِ السُّوفيتِيّ المُستمر، كانَ النِّظامُ الشُّيوعيُّ يسحبُ وحداتِه العسكريَّةَ والإداريَّةَ من تلكَ المناطقِ النَّائيةِ التي لم يستطع الاحتفاظَ بها بسهولةٍ أو الدِّفاعَ عنها). وقد انتشرَت هذه القافلةُ في تلالِ "مهتر لام بابا" شمالَ نهر كابول، وبدَأت في توجيهِ نيرانِ المِدفعيَّةِ والصَّواريخِ بعيدةِ المدى عبرَ جبهةٍ عَريضةٍ تمتدُّ من خيروخيل إلى كفتارخانه. كانت المِدفعيَّةُ والرَّاجماتُ مُتعدِّدَةُ السَّبطانات من طراز بي أم - 21 تطلقُ النّيرانَ على مسافةٍ تزيدُ عن 10 كيلومترات، لذا فإنَّ نيرانَها لم تكن دقيقةً أو فعَّالةً للغاية. ومع ذلك وفي وقتٍ لاحقٍ من اليوم، تحرَّكَ جزءٌ من الرَّتلِ على طولِ الطَّريقِ الرَّئيسيّ باتّجاهِ منطقةِ المعركة وحاولَ عبورَ جسرِ سورخاكان. وكانت قاعدةُ العدوِّ في كفتارخانه لا تزالُ صامدةً. إلا أنَّها كانت تَتَعرَّضُ للهجوم من قِبَلِ مجموعةِ شريعتي ولم تستطعْ تخصيصَ نيرانٍ توجِّهُها نحوَ المجاهدين في المناطقِ المُجاورة.

ومن أجلِ احتواءِ حركةِ رتلِ العدوّ وتثبيتِه، قمتُ بنقلِ مجموعتي المُهاجمة بكلّ ما توفَّر لديها من قذائفِ آر بي جي - 7 إلى المواقعِ التي تُواجِه جسرَ سورخاكان. بالإضافةِ إلى ذلك، دَمَّرنا جسرَ الطَّريقِ السَّريعِ في قريةِ خيروخيل بشحنةٍ مُتفجرةٍ جَلبنَاها لهذا الغرضِ من قاعدتِنا الرَّئيسيَّة. وتعرَّضت دبَّاباتُ العدوّ وناقلاتِه في الرَّتلِ لنيرانِنا الجانبيَّةِ من قذائفِ الآر بي جي. ولم يتمكَّنِ العدوُّ من ضربِ رُماةِ القذائفِ لأنَّهم كانوا مَحميين بمنعطفٍ حادٍّ في الطَّريق. ولم يستطع العدوُّ أن يحاصرَ موقعي لأنَّ الطُّرُقَ الوعرةَ التُّرابيَّةَ كانت مليئةً بالألغام، ومنعَ الجسرُ المدمَّرُ العدوَّ من تنفيذِ أيِّ هجومٍ أمامي. كلُّ هذه العوامل ساهَمت في رفعِ معنويَّات المجاهدين بشكلٍ كبيرٍ بعد أن أمِنُوا على أنفسِهم من رتلِ العدو. لسببٍ ما، كانَ نشاطُ العدوِّ الجويِّ ضعيفاً على الرُّغمِ من حقيقةِ كونِ المنطقةِ مكشوفةً، وكانت المعركةُ مازالت مُستمرّةً وفي وَضَحِ النَّهار.

عندَ الغَسق، أرسلَ العدوُّ مشاةَ الرَّتلِ إلى الأمام لإفساحِ الطَّريقِ أمامَ العَرَبات، لكنَّه فَشِلَ في تحقيقِ أيِّ تقدُّم. وفيما بعد، بينما كُنَّا ننقلُ غنائمَنا وأسرى الحرب إلى مواقعَ في الجبالِ جنوباً، حرَّك العدوُّ رتلاً آليَّاً آخرَ من جلال آباد، مِمَّا اضطرَّني لسحبِ عناصرِ التَّأمين من على الطَّريقِ السَّريع. وبحلولِ اليوم التَّالي، سَحَبت فرقُ مهامِ الإعصارِ والخليجِ وفالكون من الطَّريقِ السَّريع. وتحرَّكت أرتالُ العدوِّ القادمةِ من جلال أباد ولغمان ببطءٍ على طولِ الطَّريقِ إلى قاعدةِ "ما شاء الله" وقامَت بتعزيزِها. لم يستولِ المجاهدون أبداً على هذه القاعدة، كما أنَّها لعبتْ دوراً محوريَّاً في الحفاظِ على وجودِ العدو.

بعد ذلك، اقتصرَت أعمالُنا على رماياتِ الأسلحةِ الثَّقيلةِ نحوَ العدوّ على الطَّريقِ السَّريع. وبعدَ ذلك بفترةٍ وجيزةٍ، سَحبتُ المجاهدين من العمليَّةِ لكونِ القَّواتِ الأفغانيَّةِ تحرَّكت نحوَ مديريَّتي وكانت تهدّدُ منازلنا.

التَّعليق:

كانت رحلةُ القائدِ الواثقِ من نفسه "آصف خان" لتناولِ وليمةٍ مع وجهاءِ القريةِ قد ساعدتهُ بالتَّأكيدِ في استطلاعِه، إلا أنَّهَا من الواضحِ قد أنذرَت قائدَ القُوَّاتِ الأفغانيَّةِ المُدافعة حولَ الهجومِ الوشيك الذي كانَ يُعِدُّ له المجاهدون. ومن ناحيةٍ أخرى، فقد انتشرَ المجاهدون في المنطقةِ لبعضِ الوقتِ ممَّا كانَ سيُعرِّضُهم للانكشاف. ويبدو أنَّ قائدَ المجاهدين قد افترضَ أنَّ جميعَ السُّكان المحليين كانُوا موالين للمجاهدين. ومضَى سلوكُه المندفعُ هذا بسلامٍ هذه المرَّة، لكن كانَ من المُمكنِ أن يهدِّدَ أمنَ العمليَّة. وعلى ما يبدو، لم يتَّخذْ قائدُ القُوَّاتِ الأفغانيَّةِ في المنطقةِ أيَّ إجراءٍ لزيادةِ دفاعاتِه وربما لم يبلغْ قائدَه الأعلى.

على ما يبدو، لقد افتقرَ المجاهدون إلى العددِ الكافي من أجهزةِ اللاسلكي، بحيثُ لم يحصلْ كُلُّ قائدِ فرقةِ مهامٍ على واحدة. ولم يتمكَّنِ الجنرالُ وردك من التَّأثيرِ بسرعةٍ على مسارِ المعركةِ لأنَّ الاتِّصالاتِ كانت قليلةً. علاوةً على ذلك، كانَ الجنرالُ وردك يفتقرُ إلى الاتِّصالاتِ اللَّاسلكيَّةِ مع جناحِهِ الشَّرقي. ويبدو أنَّ هذا الأمرَ كانَ سيسبِّبُ مشكلةً خطيرةً في حالةِ قرَّرَ الجيشُ الأفغانيُّ القضاءَ على العملِ بالالتفافِ من تلكَ الجهة.

بمجرَّدِ انسحابِ المجاهدينَ إلى التِّلال، لم تكنْ لنيرانِهم بعيدةِ المَدى تأثيرٌ واضحٌ. وفوقُ ذلك كلِّه، لقدْ خلقَ رحيلُهم المُبكِّرُ من دونِ إبلاغِ الجِنرال وردك مشاكلَ إِضافيَّةٍ له.

المقال السَّادس (ب): معركة قاعدة "سبيناثانا"

رواية "الحاج زمان غمشارك"

تَوَلَّيتُ قيادةَ قوَّةِ مهامِ الخليجِ المؤلَّفةِ من 200 مجاهدٍ (انظر الخريطة 6-8 - السهم 3). وَشَننتُ بمجموعتي هجوماً على القاعدةِ الحكوميَّةِ العميلةِ في سبيناثانا بالتَّنسيقِ معَ الهجمتينِ على مركزِ خيروخيل شَرقاً وقاعدةِ كفتارخانه غرباً، وذلك ضمنَ خطَّةِ عمليَّةِ السَّهم. كانت سبيناثانا واحدةً من القواعدِ العسكريَّةِ الرَّئيسيَّةِ التي ترسلُ أرتالَ التَّأمينِ على طولِ طريقِ كابول جلال آباد السَّريع. كما كانت تُرسِل أيضاً دوريَّاتٍ للتصدّي لإغاراتِ العصاباتِ عبرَ نهرِ كابول في ولاية لغمان. وقد كانت تَتَحَصَّنُ في هذهِ القاعدةِ سَرِيَّةٌ معزَّزةٌ مسنودةٌ بدَّباباتٍ وعَرباتِ بي أم بي وناقلاتِ جنودٍ مُدرَّعة ورشَّاشةٍ ثقيلةٍ ومدافع. كما قامَ العدوُّ من أجلِ حمايةِ القاعدة بإحاطتِها بالألغامِ والعوائقِ الأخرى، فكانت المنطقةُ المحيطةُ بالقاعدة بأكملِها مليئةً بالألغام، ما عدا الطَّريقَ السَّريعَ المعبَّدَ الذي يمرُّ عبرَ القاعدة. ولهذا فقد كانت "سبيناثانا" تُمَثِّلُ بالنِّسبة لنا الجَوزَةَ التي يَصعُبُ كَسرُها.

كانَ بإمكاني تخصيصُ 150 مجاهدٍ لمجموعةِ الاقتحام، إلا أنَّ استخدامَ مثلَ هذهِ القُوَّةِ الكبيرةِ للهجومِ تضمَّنَ العديدَ من المخاطر، حيثُ كانَ من المُتَوَقَّعِ أن نتكبَّدَ خسائرَ فادحةٍ بسببِ الألغام، ولم أكنْ أستطيعُ نشرَ المجموعةِ نشراً فعَّالاً بهذهِ الطَّريقة. ثمَّ فكَّرتُ في تنفيذِ هجومٍ ليلي، لكنَّ هذا الأمرَ كانَ بالقدَرِ ذاتِهِ من الصُّعوبة وبسببِ الألغامِ أيضاً، لاسيما أنَّ العدوَّ عادةً ما يُلغِّمُ مخارجَ القاعدةِ ومداخِلَها ليلاً. فقرَّرتُ الهجومَ في وضحِ النَّهار، وذلك بنقلِ جزءٍ من قُوَّتي أقربَ ما يُمكن من القاعدةِ تحتَ تغطيةِ النِّيرانِ الثَّقيلة، ثمَّ تمشي قُوَّتي المهاجمةُ على الطَّريقِ السَّريع خارجَ المنطقةِ الملغومةِ، حيثُ كان هذا هوَ الطريقَ الوحيدَ المضمونَ الخاليَ من الألغام.

قمت بتشكيلِ مجموعةِ إسنادٍ لفرقةِ المهام مُسلحةً براجمات بي أم 12 وبي أم 1، ومدافعٍ عديمةِ الارتدادِ عيارِ 82 ملم، ورشَّاشاتِ 14.5 ثابتةٍ بسبطانةٍ واحدة، ورشَّاشاتِ دوشكا، ومدافع هاون. ثمَّ وضعْتُ

المجموعةَ في ثنايا جبلِ تور الحاكمِ على قاعدةِ العدوّ في الأرضِ المُنخفضة بينَ الطَّريقِ السَّريع الرئيسي ونهر كابول.

اضطررتُ للبدءِ بتنفيذِ خطَّتي النَّاريَّة مُبكِّراً، وذاكَ أنَّ فرقَةَ مهام الإعصار قد تعرَّضت لنيرانٍ من قاعدةِ سبيناثانا. فردَّ العدوُّ بلا هوادة على نيراننا. وبقي تبادلُ النِّيرانِ بلا انقطاعٍ حتَّى احترقَ جزءٌ من قاعدةِ العدوِّ بإصاباتٍ مباشرةٍ منَّا، وهذه كانت نقطةَ التَّحوُّلِ في المعركة. وبينما كانَ الذُّعرُ قد دبَّ في صفوفِ القوَّاتِ الأفغانيَّةِ المدافعةِ، انطلقتُ بمجموعةِ الاقتحامِ البالغِ عددُها 60 مجاهداً عبرَ وادٍ (بعمق 30 متر تقريبا) إلى غربِ القاعدة. ومع وصولِنا إلى الطَّريقِ السَّريع قُمنا بالهجومِ باتِّجاهِ الشَّرق. وجهتُ رجالي بأن يبقوا على الطَّريقِ المُعبَّد، إلا أنَّ مجاهدينِ اثنين قد ضَلَّا الطَّريقَ فانفجرَتِ الألغامُ بأرجلِهم.

أسرَعنا نحوَ مدخلِ القاعدة، فلم يستطعِ العدوُّ تنظيمَ دفاعٍ جيدٍ، لاسيما وأنَّ المُدافعين عن القاعدةِ قد بدؤُوا فعلاً بالهروبِ مَذعورينَ نحوَ النَّهرِ للابتعادِ عن النِّيرانِ التي تلتهمُ القاعدة. فاقتحمْنا القاعدة، ولم نلقَ مقاومةً تُذكَر. واستطعْنا أسرَ العشراتِ من جنودِ العدو، بمن فيهم قائدَ القاعدة، المَدعوَّ رحمة الله سبيلاناي. ودمَّرنا الدَّباباتِ وناقلاتِ الجنودِ المدرَّعة وكلَّما ثَقُلَ حمله. أكملنا الهجومَ باتِّجاهِ الشَّرقِ لمساعدةِ فرقةِ الإعصارِ العالقةِ في اشتباكٍ مع مركزِ خيروخيل. ومع تقدُّمِ المجاهدين على مركزِ خيروخيل من اتِّجاهين انهارَ المركزُ وفرَّ جنودُه باتِّجاه النهر، واستولينا على المركز. أمَّا بقيَّةُ أعمالِ اليوم فقد أوضحنَاها في المقالِ السابق.

التَّعليق:

تزعمُ إحدى التَّقديراتِ أنَّ السُّوفييت خلَّفوا في أفغانستان ما يزيدُ عن 13 مليون لغمٍ أرضيٍ. حيثُ كانت القُوَّاتُ السُّوفييتيَّةُ والأفغانيَّةُ تحوطُ قواعدَها ومراكزُها الأمنية بحقولِ ألغام. وقد مثَّلَت عمليَّةُ عبورِها والسَّيطرةِ على المراكزِ خلفَها تحدِّياً ضَخماً بالنِّسبة للمجاهدين.

الجديرُ بالذكر أنَّ طُرُقَ المجاهدين لإزالةِ الألغامِ كانت كالتَّالي:

1. جسُّ الأرضِ ببطءٍ وبحذرٍ.
2. دفعُ قطيعٍ من الخِرفان عبرَ حقلِ الألغام.
3. دفعُ ورميُ جلاميدٍ صخريَّةٍ أمامَ المُتقدّمين لتوفيرِ مَمَرّ من الصخور.
4. رميُ المدافع عديمةِ الارتداد باتّجاهِ حقلِ الألغام لصنع ممَرٍّ من حُفَرِ القذائف.
5. استخدامٌ محدودٌ لأنظمةِ كشفِ الألغام وإزالتِها، يوفِّرُها الدَّاعمون الغربيون والعرب.

التَّعليق على الفصل

كانت السَّيطرةُ على الطَّريقِ السَّريع أمراً جَوهريَّاً لخدمةِ جهودِ القُوَّاتِ السُّوفييتيَّةِ والأفغانيَّة، إلا أنَّه في بعضِ المناطق، عجزَ العدوُّ عن السَّيطرةِ على أجزاءَ منها، واستطاعَ المجاهدون إغلاقَ تلكَ الطُّرُقِ لأسابيعَ وأشهرٍ وحتَّى لسنين. وأكثرُ عمليَّات إغلاقِ الطُّرُقِ إحكاماً تلك التي كانَ يُشرِفُ عليها مجاهدون محلِّيُّون ويستطيعونَ في الوقتِ نفسهِ مُواصَلةَ حياتِهم اليَوميَّة وإمضاءَ مصالحِهم الشَّخصيَّة. أمَّا أوهنُها فقد كَانت تلك التي تُشرف عليها قُوَّةٌ متنقلةٌ لعصاباتِ المجاهدين، تفتقرُ للإمداداتِ والقدرةِ على الالتزامِ بإغلاقِ الطُّرق.

الفصل السابع: حربُ الحِصار

حاصرَ المجاهدون عدَّة حامياتٍ للقوَّاتِ الأفغانية. وعندما كانَ يقومُ بهذا الحصارِ مجاهدون محَلّيون فقد كانَ يمضي على خَير، أمَّا في حالِ قَامَ به مجاهدون غرباءُ عن المنطقةِ فغالباً ما كانَ يبوءُ بالفشلِ، لعجزِ المجاهدينَ عن إدامةِ سيلِ الإمداداتِ اللَّازمةِ لهم لفرضِ الحصار، وبالتَّالي عجزِهم عن البقاءِ فترةً طويلةً خلالَ العمليَّة. كانَ المجاهدون -كما ذكرنا- مقاتلينَ مُتطوِّعين، وفي الوقتِ نفسهِ كانَ لهم مسؤوليَّاتٌ عائليَّة، لذا فنادراً ما كانُوا يستطيعونَ فرضَ حصارٍ (مُمِلٍّ) مُطوَّل.



المقالة الأولى: حصارٌ فاشلٌ في أورغون

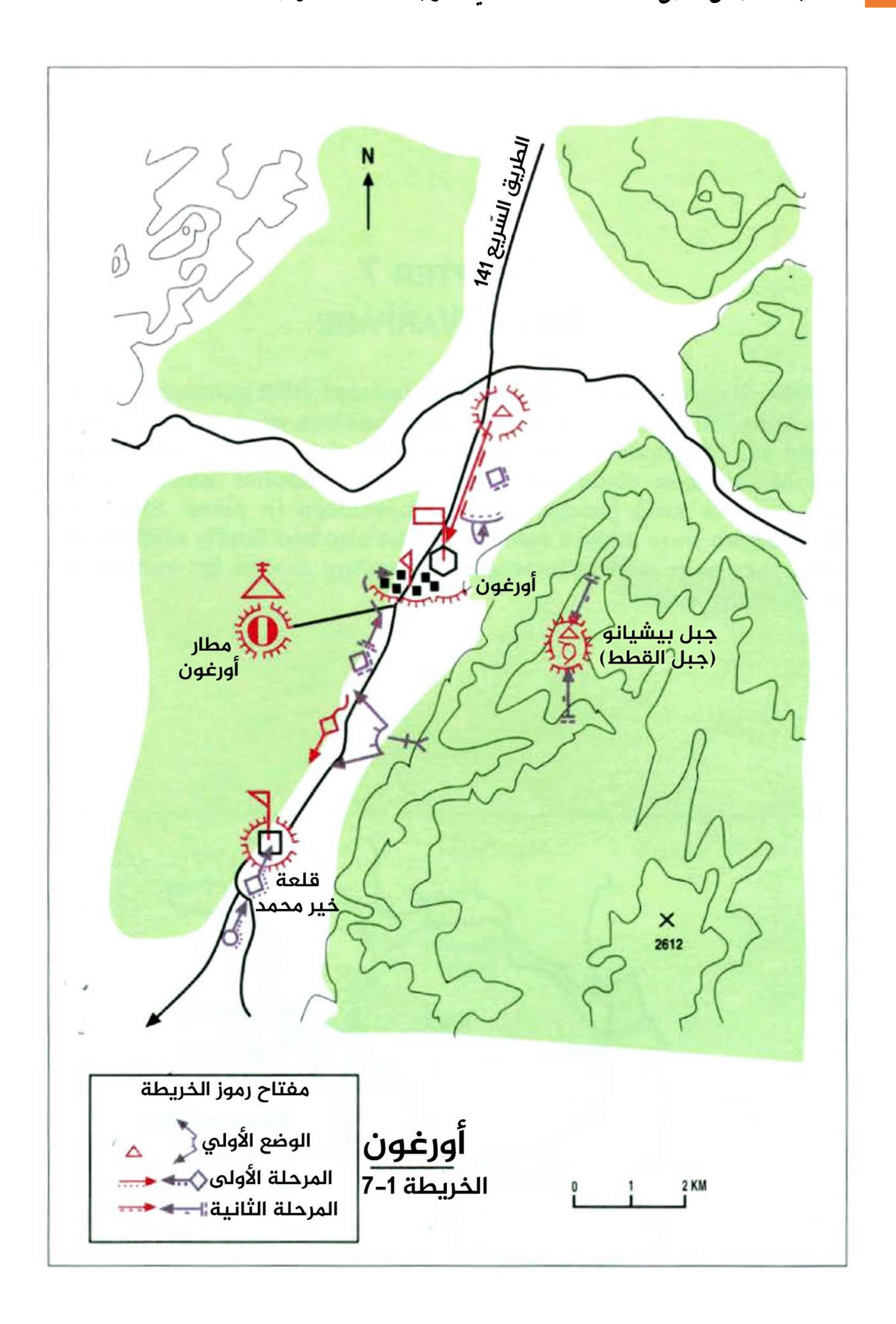
رواية اللواء "غول زرك زدران"[126]

كانَت أورغون مَعقلَ الفوجِ 21 الجبليّ التَّابع للجيشِ الأفغاني، وكانت تقعُ بالقربِ من الحدودِ الباكستانيَّة، وقريبةً من مواقعَ إستراتيجيَّة مثلَ خوست وغرديز وغزنة، وكذلكَ وزيرستان بباكستان. وفورَ تشكيلِ المجاهدين لحكومَتِهم في المَنفى، أرادُوا جعلَ أورغون العاصمةَ الرَّمزية لها. وعلى الرُّغمِ من أنَّها كانت تقعُ في منطقةٍ مَعزولةٍ، إلا أنَّ أهميَّتها السِّياسيَّة دَفعتِ القُوَّاتِ السُّوفييتيَّةَ والأفغانيَّةَ إلى محاولةِ إبقائِها تحتَ السَّيطرةِ بأيّ ثمن. وقد حدثت فيها إحدى العمليَّاتُ الكبرى للمجاهدين عام 1983م، شاركَ فيها حوالي 800 مجاهدٍ من قبائلِ وزير وزدران وخروتي.

كانَ من بينِ القادةِ الرَّئيسيين الذينَ شاركُوا الحصار: المولوي جلال الدين حقاني والمولوي أرسلا ومطيعُ الله ومولوي أحمد غول والقاضي خروتي. فيما تَضَمَّن المجلسُ العسكريُّ لعمليَّة الحصارِ النَّقيبَ عبد المجيد، والرائدَ أرسلا وزير، والرائدَ قيوم، والرائدَ سردار، وأمان الله، والمولوي عبد الغفور وأنا. وكانت القُوَّةُ الرَّئيسيَّةُ للفوجِ الأفغانيِّ موجودةً في القلعةِ القديمةِ في أورغون والتي تُعرَف بالحصنِ المثمَّن (هشترخا كالا). بينما كانت توجدُ كتيبةٌ واحدةٌ متمركزةٌ في حصنٍ آخر يقعُ على بُعدِ أربعةِ كيلومتراتٍ جنوبَ الفوجِ في قلعةِ "خير محمد". بينما شغلت سريةٌ معزَّزةٌ المطارَ غربَ مقرِّ الفوجِ. كما كانت سريةٌ أخرى تحمي الطَّريقَ الرَّئيسيَّ المؤدّيَ إلى أورغون في موقعٍ يبعدُ حوالي 1.5 كيلومتر شمالاً. (الخريطة 7-1 - أورغون)

---

[126] كان اللواء غول زرك زدران ضابطاً في الجيش الأفغاني الملكي. وتدرب في الولايات المتحدة ودرس في المعهد الأعلى لضباط الجيش الأفغاني، حيث كان المؤلف علي جلالي أحد مدربيه. وانضمَّ إلى صفوفِ المقاومة الأفغانيَّة وقاتل في ولاية بكتيا وفي معركتي زاور الأولى والثانية وممر ستو كندو. وكان ينتمي للاتِّحادِ الإسلاميِّ في أفغانستان بقيادةِ عبد ربِّ الرَّسول سياف. وبعدَ سقوط الحكومةِ الأفغانيَّةِ العميلة، عملَ نائبَ وزيرِ الدِّفاع في الحكومةِ المؤقتة، ويسكنُ حالياً في بيشاور. [Map sheet 2882]



أورغون

الخريطة 1-7



خَطَّطنا لتدميرِ الفوجِ على مَرحلتين. تمثَّلتِ المرحلة الأولى في تدميرِ قُوَّات التَّأمينِ حولَ المقرِّ الرَّئيسي (الكتيبة الجنوبية بالإضافة إلى السَّريَّتين البعيدتين). بينما كانَ من المُفترضِ أن يتمَّ تدميرُ مقرِّ الفوجِ في المرحلةِ الثانية. بدأت المرحلةُ الأولى في أغسطس عام 1983م، فقامَ المجاهدون المتمركزونَ في الجبالِ الواقعةِ شرقي وادي أورغون بتطويقِ الكتيبةِ في قلعة "خير محمد" وحاصرُوها. وكان حصنُها يضمُّ عدَّةَ أبراجٍ تشغلُها رشاشات 14.5 مُثبَّتةٌ على قواعدَ ثابتة، كما كانت القلعةُ محاطةٌ بحقولِ الألغام، فاستحالَ على المجاهدين الاقترابُ من الحِصن، وإحكامُ الخناقِ عليها.

بعد أيامٍ قليلةٍ من بدءِ الحِصار، حلَّ عيدُ الأضحى المبارك، وكانَ من المُعتادِ للمجاهدين العودةُ إلى ديارِهم خلالَ العيد، وظنَّ العدوُّ وقتَها بأنَّ القليلَ من المجاهدين سيبقونَ لفرضِ الحِصار. إلا أنَّهُ في هذا العمل، لم نسمحْ للمقاتلين بالعودةِ إلى ديارِهم بل احتفظْنا بهم في القواعد. وحاولَ الجيشُ الأفغانيُّ استغلالَ العطلة، اعتقاداً منه بأنَّ المجاهدين لم يكونُوا يشكِّلونَ تهديداً لقلَّتهم، فأرسلَ ثلاثَ دبَّابات وعدَّة شاحناتٍ من القاعدةِ العسكريَّة الرَّئيسيَّة لإعادة إمدادِ الكتيبة. فوضعْنا 70 مجاهداً كقوَّة كمينٍ بقيادةِ المولوي حسن في قاع مجرى مائيٍ جافٍ في منتصفِ المَسافةِ بينَ الحِصنين. وكانُوا مُسلَّحين ببعضِ قاذفات الآر بي جي 7. وعندما دخلَ الرَّتلُ الأفغانيُّ إلى منطقةِ القتلِ وقعُوا في الكمين. فدُمِّرَت لهم دبَّابةٌ واحدةٌ فيما أعطبِت الأخرى، وتركَ الجنودُ الأفغانُ إحداها سليمةً ليلوذُوا بالفِرار، وقد قُتِل العديدُ منهم، بينما أُسِر 25 آخرين، وهربَ الباقون.

لم يتمكّن المجاهدون من سحبِ الدّبابة بسببِ نيرانِ الأسلحةِ الرشّاشةِ الثّقيلةِ المُسلّطةِ عليهم من حِصن الكتيبة، وقد أجبرَهم ذلك على العَودةِ إلى الوادي الضيّقِ الجانبي. وعندما حلَّ اللّيلُ، قادَ المولوي حسن وخان زمك مجموعةً من المجاهدين لأخذِ الدّبابة، وكانَ منهم من عملَ سابقاً في طواقمِ الدّبّابات في الجيشِ الأفغاني. فقادُوا الدّبّابة بعيداً إلى موقعِهم.

خَطّطنا لمهاجمةِ حصنِ الكتيبةِ بعدَ ثلاثةِ أيّام، مستخدمينَ الدّبّابةَ كسلاحٍ رئيسي. وشكّلنا مجموعةً لحمايةِ الدّبّابة مكونةً من 11 رجلًا ليعتلُوها، مُسلحين ببعضِ قاذفات الآر بي جي والأسلحةِ الصّغيرة. وكانَتِ الخطّةُ تقتضي التّحرُّكَ مع الدّبّابةِ أثناءَ اللّيل عبرَ حقلِ الألغامِ المُضادّ للأفرادِ المحيطِ بالقلعة. وفي حالِ علقت الدّبّابةُ، تقومُ المجموعةُ بحمايتِها وتحريرِها. كما ستتبعُ قوةٌ هجوميةٌ مؤلّفةٌ من 65 رجلاً أثرَ الدّبّابةِ بعدَ مرورِها بحقلِ الألغامِ مباشرةً. وتقومُ الدّبّابةُ بإحداث ثغرةً في جدارِ الحِصنِ باستخدامِ المِدفعِ الرَّئيسيِّ لها. وبعدَ ذلك، يقومُ طاقمُ حمايةِ الدّبّابةِ المُكَوّنِ من 11 مقاتلاً بتمشيطِ الثّغرةِ وتأمينِها، وبعدَها يدخلُ فريقُ الاقتحامِ المكوّنِ من 65 مجاهداً الحصن. وكانَ منَ المُفترضِ أن يعملَ مسؤولو اتّصالاتِ المجاهدين في الهجومِ على تشويشِ الاتّصالاتِ بينَ الكتيبةِ والفوج، والعملِ أيضاً -إنْ أمكن- على خداعِ المِدفعية وتضليلِ تُوجيهِها.[127]

في السّاعة 21:00، بدأَ الهجومُ. وتحرّكت دبّابةُ المجاهدين على طريقِها المحدّد مع مجموعةِ الحمايةِ التي اعتلَتِ الدّبّابة. ولدى اقترابِها من الحِصن، انفجرَت بعضُ الألغامِ المُضادّةِ للأفراد، لكنَّ مجموعةَ حمايةِ الدّبّابةِ لم تُصَبْ بأيِّ أذى. وأطلقَتِ الدّبّابَةُ النّيرانَ على أبراجِ الحصنِ بمدفعِها الرَّئيسيِّ وأصابَتِ الرّشّاشاتِ الثّقيلة. إلا أنَّ مدفعيّةَ الفوجِ بدأت بإمطارِ المنطقةِ بوابلٍ من القذائف. وهنا بَدَأت عناصرُ اتّصالاتِ المجاهدين التّضليليّةُ بالصُّراخ عبرَ اللاسلكي قائلين بأنَّ نيرانَ الجيشِ الأفغانيِّ لم تكن تصيبُ العدو (المجاهدين) وإنما كانت تسقطُ على الكتيبة. فارتبكت قيادةُ المِدفعيّةِ من نداءاتِهم التي طالبَت بتحويلِ النّيرانِ بعيداً، وهذا ما أوقفَ المدفعيّةَ عن إطلاقِ النّار.

---

[127] كان من الشائع في هذه الحرب أن يخترق أحد الطرفين اتصالات شبكة اتصالات الطرف الآخر بغرض الخديعة أو الإزعاج أو إيصال الرسائل. وكان اللواء غول زرك عادةً ما يتكلم مع العدو ليسبهم ويلعنهم.

أطلقَتْ دبَّابةُ المجاهدين النّيرانَ على جدارِ الحصن، وبعدَ عدَّةِ قذائفَ استطاعت فتحَ ثغرةٍ في الحائط، ثم اقترَبت بمسافةٍ أقلَّ من عشَرةِ أمتارٍ من الجدارِ وأشارَ طاقمُ حمايةِ الدَّبَّابة إلى مجموعةِ الاقتحامِ بواسطةِ مصباحٍ يدويٍّ ضمنَ إشارةٍ مُتَّفقٍ عليها للاقتراب. ترجَّلَ طاقمُ حمايةِ الدَّبابةِ وعملَ على تأمينِ الثَّغرةِ على الفور. فيما اقتفَت مجموعةُ الاقتحامِ أثرَ الدَّبَّابة ودخلَتِ الحِصن. فوجِئَ العدوُّ بالاختراقِ المفاجئ ولم يبدِ أيَّ مقاومة. وأسرَ المجاهدون 243 رجلاً بالإضافةِ إلى اغتنامِ جميعِ الأسلحةِ والذَّخائرِ في الحصن. وعَفَونا عن الأسرى الذين أرادُوا الانضمام إلينا، فيما أطلقْنا سراحَ الآخرين ليعودُوا ديارهم. وكُنَّا في وقتِها على بعدِ أربعةِ كيلومتراتٍ من الحِصنِ الرَّئيسي.

يُطلُّ جبلُ بيشانيو (جبل القطط) على القلعةِ المُثمَّنة. وكانَ للفوجِ نقطةٌ أمنيَّةٌ مسلَّحةٌ بمدافعِ الهاون في هذا الجبل. فكانت خطوتُنا التَّاليةُ هي الاستيلاءُ على هذا الموقع بحيثُ يصبحُ الحصارُ أكثرَ إحكاماً. وبعدَ بضعةِ أيَّام، هاجمَ 70 مجاهداً النُّقطةَ ليلاً من الشَّمالِ والجنوب، ونجحُوا في الاستيلاءِ عليها. وبمجرَّدِ أن سيطَرنا على جبلِ القِطط، سحبَ الفوجُ السَّريةَ التي كانت تحمي الطَّريقَ السَّريعَ 141 إلى مقرِّ الفوج. وبذلك فقد هُيِّئتُ الأوضاعُ لبدءِ المرحلةِ الثَّانية من الخطة. وصارَ العدوُّ في وقتِها محاصراً بالكامل، ولم يبقَ له غيرَ منفَذِ الجوِّ للحصولِ على الإمدادات. ولم يكن يستطيعُ الوصولَ إلى المطارِ الواقعِ على بعد حوالي 1.5 كيلومتر غربَ الحِصن إلا بركوبِ المُدرَّعات، لأنَّ المجاهدين كانُوا يستطيعون إصابةَ الشَّاحناتِ وسيَّاراتِ الجيب. كما مَنَعت مدافعُنا الرَّشَّاشةُ على جبلِ القططِ الجيشَ الأفغانيَّ من إرسالِ الإمدادات يوميَّاً. وَوَاصلنا تشديدَ الحِصار مع مرورِ الوقت. وأحضرَ المجاهدون من زدران دبَّابَتَهم للمشاركةِ في العمل.

استدعى الجيشُ الأفغانيُّ مجموعةِ (غرفة) العمليَّاتِ من كابول. وكانت مَهمَّتهم هي مساعدةُ الكتيبةِ على الدِّفاعِ عن نفسِها وربطِها بوحدةٍ سوفييتيَّةٍ قادمةٍ من "غزنة" لكسرِ الحصار. وكانَ الجنرالُ جمالُ الدين عمر مسؤولًا عن هذه المجموعة. وقد كانَ الأخيرُ مدربي التكتيكيِّ القديم في الأكاديميَّةِ العسكريَّةِ الأفغانيَّةِ الملكية. قامَ الجيشُ الأفغانيُّ بنشرِ الكتيبةِ الثَّالثةِ جنوبَ المدينة بدلاً من نشرِها داخلَ الحصن. فكانت لديهم سريتين في خطِّ الدِّفاعِ الأمامي. وإلى الجنوبِ الشَّرقي، مثَّلت الخنادقُ

والوديانُ الطبيعيَّةُ حواجزاً مانعةً لتقدُّمنا. بينما كانَ المطارُ غربَ موقعِ انتشارهم، وكان المقتربُ المُؤدّي إلى غربِ المطارِ مُلغَّماً بشكلٍ غير كافٍ، ولهذا قامَ العدوُّ بتغطيتِه بالحرَّاسِ والدَّوريَّات.

إلى جانبِ دبَّابتِنا، كان لدينا مدفعانِ جبليَّانِ عيار 76 ملم، ومدفعُ هاوتزر عيار 122 ملم من طرازِ D30، ومدفعُ هاون واحدُ عيار 107 ملم، ومدافعُ هاون أخرى خَفيفة، والعديدُ من قاذفاتِ الآر بي جي، والعديدُ من رشَّاشاتِ الدُّوشكا وال 14.5 الثَّقيلةِ المثبَّتةِ على القواعد، ومدافعُ رشَّاشةٌ أخف. كان ذلك في يناير/كانون الأول، وكانت الثُّلوجُ تغطي الأرضَ. فقمْنا بتغطيةِ جزءٍ من دبَّاباتِنا بملابسَ بيضاء لإخفائِها. وسجَّلنا صوتَ دبابةٍ متحرِّكةٍ. فقد تلقَّينا بعضَ مكبِّراتِ الصَّوت من بيشاور وكلَّفْنا أناساً باستخدامِها على الجانب الشَّرقيِّ لإيهامِ العدوِّ بقدومِ دبَّاباتٍ من الشَّرق. نظَّمْنا قُوَّاتِنا للهجومِ من خلالِ إنشاءِ عدَّةِ مجموعات:

1. مجموعةُ حمايةٍ للدَّبَّابةِ التي كانت بقيادةِ مولوي شدام
2. مجموعتانِ هجوميَّتان - الشَّماليَّة والجنوبيَّة
3. مجموعةُ إخلاءٍ لحملِ الغنائم.
4. مجموعةُ حمايةِ الأُسَرِ والعوائل: لحمايةِ عوائلِ ضبَّاطِ الجيشِ الأفغانيِّ الذين كانُوا في الحامية.
5. مجموعةُ شاحناتِ النقل.
6. مجموعةُ القيادةِ والسَّيطرة.

وَضعْنا خطَّةَ الهجوم، والتي تمثَّلت ببدءِ العملِ بتمهيدٍ مِدفعِي، يعقبُه اقتحامانِ من المِحورِ الشَّماليِّ والمحورِ الجنوبي، طليعتُهما دبَّابتانِ تفتحانِ طريقاً عبرَ حقولِ الألغامِ المُضادَّة للأفراد، لتدخلَ من بعدِها مجموعاتُ الاقتحام على أثرِ الدَّبَّابات للهجومِ على العدوِّ من مِحورينِ بالوقتِ نفسِه.

كنتُ أنا معَ القُوَّاتِ الجنوبيَّة. وفي السَّاعة 20:00 في ليلةٍ باردةٍ من شهرِ يناير/كانون الأول، كانَ جميعُ المجاهدين في مواقعِهم. وَبَدَأنا التَّمهيدَ المدفعيَّ على مواقعِ الجيشِ الأفغاني. وبعدَ عَشْرَةِ دقائق، تَحَرَّكت دبَّاباتُنا في المِحورِ الجنوبيِّ شمالاً نحو المدينة، وضربَت بُرجي حِراسةٍ كانَا في المدينة، ودمَّرَتِ الرَّشَّاشاتَ المُثبَّتةَ عليه. وبعدَها فتحْنا مكبِّرَاتِ الصَّوتِ جنوبَ شرقَ المدينة، وأذعْنا عبرَهُ هديرَ

الدَّبَّابات، فقامَ العدوُّ بإطلاقِ النّيرانِ تجاهَ الصَّوتِ بينما دبَّابَّاتنا كانت قد حوَّلت مسارَها غرباً لتَتَجنَّبَ حقولِ الألغام. ودخلَتِ الدَّبَّابةُ المدينةَ بنجاحٍ وكنتُ أنا على متنِها والمولوي شدام وإسماعيل التركستاني.

تَرَجّلنا من الدَّبَّابةِ بعدَ أن تجاوَزنا حقلَ الألغام، وتحرَّكنا نحوَ مُؤَخّرةِ الكتيبةِ الثَّالثةِ للجيشِ الأفغاني. بينما لحقتْنا مجموعةُ الاقتحامِ على أثرِ دبَّابَّاتِنا إلى المدينة. واستطاعُوا اقتحامَ المدينةِ وانهارَت مقاومةُ الكتيبةِ الثَّالثة. ووقعَ بعضٌ من عناصرِ الكتيبةِ أسرى بأيدينا فيما انسحبَ الباقون شمالاً. وحاولنا مواصلةَ التَّقدُّمِ إلا أنَّ نيراناً كثيفةً انطلَقَت من مدفعِ دوشكا على مسافةِ 50 متراً شمالاً أوقفتْنا. وفي السَّاعة 03:00 قبلَ الفجر، هجَمْنا على موقعِ الدُّوشكا واستطَعنا قتلَ الرَّامي، والذي تبيّن فيما بَعد أنَّه مستشارٌ عسكريٌّ سوفييتيٌّ. وانسحبَت بقيَّةُ الفوجِ الأفغاني نحوَ الحِصن معَ اللّواءِ جمالِ الدّين عمر.

في تلكَ اللَّحظة، أبلَغَنا المولوي شدام أنَّ ذخيرةَ دبَّابَته قد نفدت. وكانَ سائقُ الدَّبابةِ الملازم محمد غول لوغاري قد أُصيبَ في ذِراعه، فيما قُتِل رامي الدَّبابة. وما تبقى من قُوَّاتِ العدوّ بدؤُوا بالتَّجمُّع والمقاومةِ من جديد. وكانت الذَّخيرةُ ستنفدُ من بعضِ عناصرِ مجموعةِ الاقتحام. لقد أخفقْنا في التَّخطيطِ لإعادةِ الإمدادِ بالذَّخيرة. فأصدَرنا تعليماتٍ لمولوي شادم بالعودةِ بالدَّبَّابة إلى القاعدةِ للحصولِ على جميعِ أنواعِ الذَّخيرة ثمَّ العودةِ إلى المعركةِ وإعادةِ إمدادِ المجاهدين ودعمِهم. وأثناءَ عودةِ الدَّبَّابة، سمعَ المجاهدونَ والعدوُّ صوتَها، فظنُّوا أنَّها تنسحبُ نهائيَّاً وأنَّنا في طريقِنا إلى الانسحاب. وكانَ الجوُّ بارداً والوقتُ في الصَّباحِ الباكر، وقد انهارَتِ القيادةُ والسَّيطرةُ على المجاهدين، فبدأ المجاهدون بالتَّراجع. وهاجمَنا العدوُّ حتَّى طَرَدنا من المدينة. وبزغَ الصَّباحُ والمجاهدون في فوضى يتجوَّلون بمحيطِ المدينة. وحينها بدأَت تأتي الغاراتُ تلوَ الغارات من قصفِ الطَّائراتِ الحربيَّة وانقضاضاتِها على المجاهدين وهُم على أرضٍ مكشوفةٍ. فاستطاعُوا تدميرَ دبَّابَتنا واضطُرِرْنا للانسحابِ نحوَ الجبال.

علمتُ فيما بعد أنَّ قُوَّاتِ محورِ الهجومِ الشَّماليّ لم تَتَحرَّكْ أصلاً في تلك اللَّيلة، حيثُ كانت دبَّابَتهم قد عَلِقت في الرِّمال ولم يستطيعُوا إخراجَها، وانحصرَ الهجومُ في المحورِ الجنوبيّ فقط، ممَّا فوَّتَ علينا

نَصراً مَضموناً. واضطُرِرْنا إلى الانسحاب نحوَ مخابئِنا الجبليَّةِ شرقاً. وفي الأيَّامِ التَّاليةِ أعدَدْنا العدَّة لمواصلةِ الحصار، إلا أنَّ الفوجَ السُّوفييتيَّ كانَ قد وصلَ أورغون من غزنة وعزَّزَ حاميةَ المدينةِ وأمدَّها بالمؤن.

التَّعليق:

كانت عمليةُ إعادةِ الإمدادِ بالذَّخيرةِ مشكلةً واضحةً، ومثَّلَ انسحابُ الدَّبابةِ لحظةً فارقةً قلبتْ مجرى المعركة. أيضاً مثَّلتِ الاتِّصالاتُ مُشكلةً كبيرةً، المجاهدون هذهِ المرَّةَ امتلكُوا أجهزةَ اتِّصالٍ لاسلكية، لكنَّ مسؤولي الاتِّصال لم يرافقُوا مجموعاتِ الاقتحام. فلم تستطعْ مجموعَتَي الاقتحامِ الشَّماليَّةِ والجنوبيَّةِ الاتَّصالَ ببعضِهما البعض، ولا معَ مجموعةِ القيادةِ والسَّيطرة. ولو اقتحم المحوران، لكانَ من الصَّعبِ للغاية منعُ وقوعِ الإصاباتِ بالنِّيرانِ الصَّديقة في ظلِّ غيابِ الاتِّصالاتِ اللاسلكية. وفوقَ ذلك، فأعضاءٌ من المجلسِ العسكريِّ كانُوا مُنغمسين معَ مجموعاتِ الاقتحام، بدلاً من توجيهِ المعركةِ من بعيد.

لم يحسنِ المجاهدون التَّخطيطَ للدِّفاعِ الجوي. فالمقتَرُب الجويُّ الواضحُ والبديهي لأورغون يمتدُّ فوقَ الطَّريقِ السَّريع 141 من الشَّمال إلى الجنوب. فيما كانَ المجاهدون يُسيطرون على الأراضي المُرتفعة على جانبي المُقترب ولديهم الرَّشَّاشاتُ الثَّقيلةُ اللَّازمةُ للدِّفاعِ الجوي. لكن يبدو أنَّ المجاهدين قد أشغلُوا معظمَ هذه الرَّشَّاشات بتوجيهها للاشتباكِ مع أهدافٍ برِّيَّةٍ، فانهارَ الوضعُ الدِّفاعيُّ الجويُّ مع وصولِ الرَّدِّ السُّوفييتيِّ الجوي.

بينما بقيَتِ الألغامُ معضلةً مستمرِةً للمجاهدين، إلا أنَّ المجاهدين قد أحسنُوا استخدامَ الدَّبَّابات بغرضِ فتحِ طُرُقٍ عبرَ حقولِ الألغامِ المُضادَّةِ للأفراد، واستخدامِ مدفعِ الدَّبَّابةِ الرَّئيسي لفتحِ ثغرةٍ للنَّفاذِ داخلَ الحصن. مثَّلَ أيضاً استخدامُ مجموعةٍ على متنِ الدَّبَّابة لحمايتِها ابتكاراً تكتيكيَّاً حقَّقَ نتائجَ طيبة. وقد لا يبدو هذا الأمرُ مبتكراً بالنِّسبةِ للضبَّاطِ المُحترفين الذي عادة ما يوجِّهونَ المُشاةَ لحمايةِ الدَّبَّابات، إلا أنَّ هذا الأمرَ لم يكن شائعاً في المرَّاتِ القليلةِ التي يغتنمُ فيها المجاهدون دبَّابات. كانت فكرةُ مجموعةِ الحماية للدَّبَّابةِ من الضُّبَّاطِ العسكريين مثلَ اللواء زدران.

المقالة الثَّانية: هجوم "دهراود"[128]

ما بينَ ربيعِ عامِ 1984م، وصيفِه، صعَّدَتِ القُوَّاتُ السُّوفييتيَّةُ من هجماتِها على مخابئِ المجاهدين وقواعدِهم المتنقِّلةِ في ثلاثِ ولاياتٍ مُتجاورةٍ، وهي: قندهار وهلمند وأروزغان. وكثَّفَت من جهودِها لعرقلةِ قوافلِ إمدادات المجاهدين القادمةِ من باكستان عبرَ الجبال. وفي خريفِ ذلك العام، قَرَّرَ عددٌ من قياداتِ المجاهدين العليا في هذهِ الولاياتِ إنشاءَ قاعدةِ إمدادٍ محلِّيَّةٍ في جبالِ أروزغان لدعمِ المجاهدين المُنتشرينَ في المنطقة. وبدَت مديريَّةُ "دهراود" الواقعةُ في ولاية أروزغان مكاناً مناسباً كقاعدةِ إمداد. وهي واحةٌ بينَ الجبال في وادي هلمند الأعلى. وقد كان من السَّهلِ الدِّفاعُ عنها، وكانت في موقعٍ جيدٍ بينَ ثلاثِ ولايات (الخريطة 7-2- دهراود).

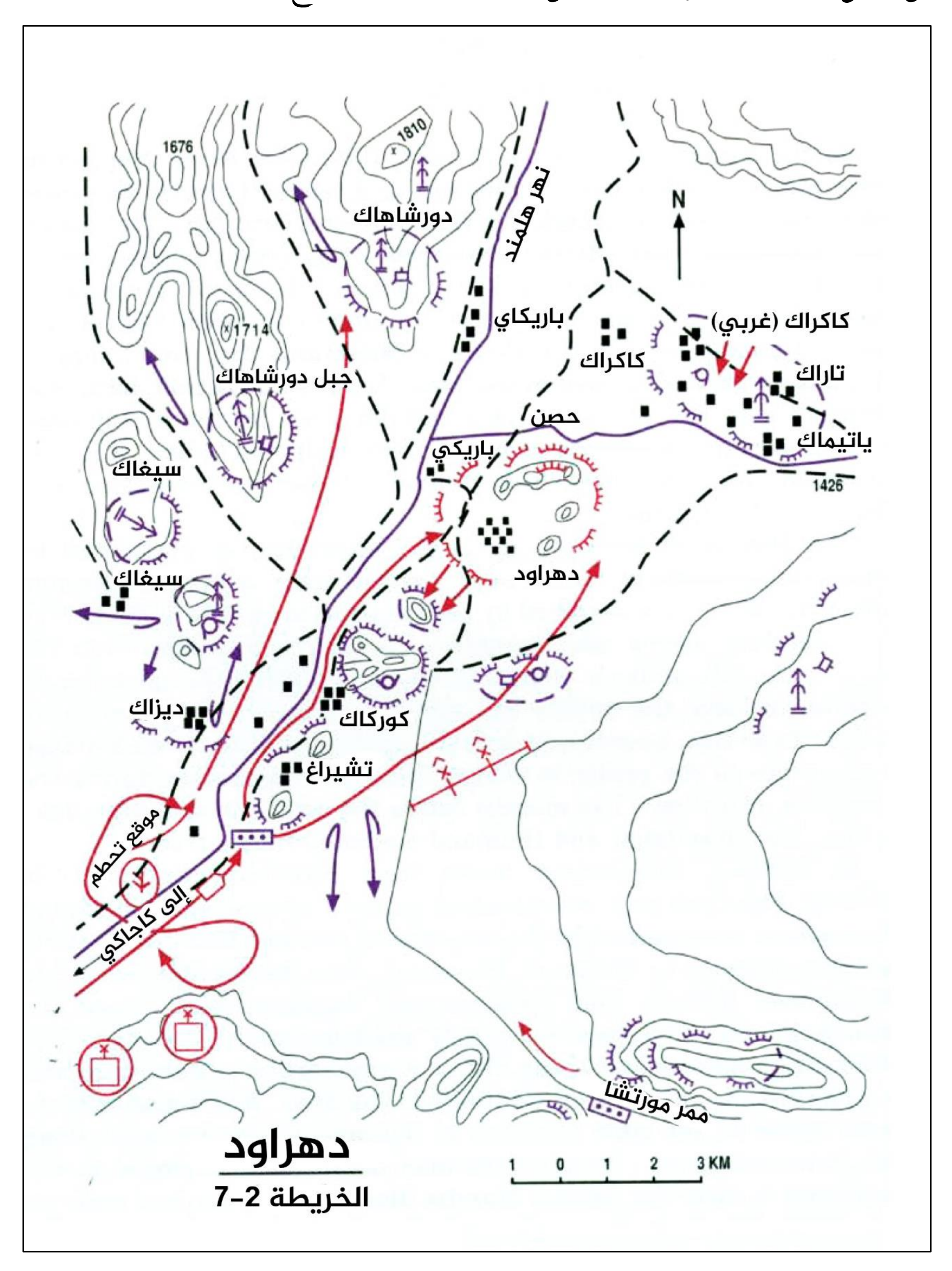


كانت تحمي عاصمة مديرية "دهراود" -المسماة أيضاً دهراود- قُوَّةٌ مؤلَّفةٌ من حوالي 500 مقاتلاً من الميليشياتِ الحكومية، وكانت هذهِ القُوَّةُ تشغلُ مواقعَ أمنيَّةٍ منتشرةٍ في جميعِ أنحاءِ المدينة. وكانت إمداداتُهم تأتي عبرَ الجو، وذلك منذُ أن حاصرَ المجاهدون المحلِّيونَ المدينة بعدَ السَّيطرةِ على جميعِ الطُّرقِ المُؤدِّيةِ إليها. قَرَّرَ مجلسُ قيادةِ المجاهدين مهاجمةَ الجيبِ الحكومي في المدينةِ وطردَ الميليشيات منها وتعزيزَ السَّيطرةِ على الوادي بأكملِه. ولكنَّهم للقيامِ بذلك، كان عليهم أولاً التَّفاوضُ مع الجماعاتِ

---

[128] مصادر المقالة هي روايات من القائد الملا مالانغ و"أخوند زاده قاسم" وعدد من المجاهدين من ولايات أروزغان وقندهار وهلمند، إضافةً لمذكرات علي جلالي وأوراقه.

المُتخاصمةِ في المنطقة بغرضِ عقدِ صلحٍ بينها لضمانِ تعاونِها الكاملِ أثناءَ العمليَّة المقبلة. وقبلَ شهرينِ من العمل، استطاعَت وفودُ المجاهدين من قندهار وهلمند عقدَ الصُّلح.



دهراود

الخريطة 2-7

في أكتوبر/تشرين الأول، انضمَّت قُوَّةٌ من مجاهدي قندهار تحتَ قيادةِ الملا مالانغ وفيضِ الله وقادةٍ آخرين، انضمُّوا إلى مَفرَزةٍ من مجاهدي هلمند تحتَ قيادة الرَّاحل نسيم أخوند زاده، وهوَ قائدُ مجاهدي هلمند. كذلك انضمَّ أسد الله ومقاتلون آخرونَ من أروزغان وباغران إلى القُوَّةِ المهاجمة.

بلغَ حجمُ هذهِ القُوَّةِ في نهايةِ المَطاف أكثرَ من 1000 مقاتلٍ. فتحرَّكَ المجاهدون على طولِ الطُّرُقِ المختلفة لهراود وأحاطُوا بالمواقع الحكوميَّةِ في المنطقة. وأغلَقَت مفرزةٌ من 300 مجاهدٍ الطَّريقَ الرَّئيسيَّ لهراود من الجنوبِ الممتدّ على طولِ نهر هلمند. وانتشرَت مَفرَزَةٌ أخرى مكوَّنةٌ من 100 مقاتلٍ في الجنوبِ الشَّرقيّ لتغطيةِ مَمَرِّ "مورتشا" وتلغيمِ الطَّريق. وانتشرَ حوالي 500 مقاتلٍ حولَ مركزِ المديريَّة، بينما تفرَّغ الباقون للعملِ على تقديمِ الدَّعمِ اللُّوجستي.

استمرَّ الحصارُ لمدَّةِ 45 يوماً، ضيَّق فيها المجاهدون الخناقَ شيئاً فشيئاً على مواقع الميليشيات. وكلَّف المجاهدون ثلثَ المقاتلين فقط بالرِّباط على الجبهة، فيما كُلِّف الباقون كاحتياطٍ أو لتقديمِ الخدماتِ اللُّوجستيَّة. ويتمُّ تبديلُ المرابطين على الجبهة كلَّ 24 ساعةً.

أسندَ الجيشانِ السُّوفييتيّ والأفغانيّ حاميةَ دهراود بالقصفِ الجويّ يوميًّا على مواقع المجاهدين لمنعِهم من التَّقدم. ونفَّذُوا طلعتينِ أو ثلاثَ يومياً بواسطةِ الطَّائراتِ الحربيَّة المُقاتلة-القاذفة[129] والمروحيَّاتِ الهجوميَّة. وأثناءَ ذلك، حشدَت قيادةُ العدوّ قوَّاتٍ برِّيَّةً من قندهار و"شيندند" لفكّ الحصارِ عن الميليشيات المُحاصَرَة في دهراود. وقد استغرقَ منها هذا الأمرُ أسابيعَ حتَّى استطاعَت تجهيزَ عدَّةِ أرتالٍ من المُشاة والدَّبَّابات.

في يومٍ من الأيَّام، أسقطَت رشَّاشة 14.5 مُثبَّتةٌ على قاعدةٍ ثابتةٍ طائرةً مقاتلةً-قاذفةً سوفييتيَّةً كانت تحلّقُ مع طائرةٍ أخرى فوقَ دهراود، حيثُ اشتعلتِ النّيرانُ فيها وسقطَت في نهر هلمند. وقفزَ الطَّيَّارُ

[129] المركز: المقاتلة القاذفة هي طائرة مقاتلة لها قدرات الهجوم على الأهداف البرية والبحرية. وتختلف المقاتلة-القاذفة عن الطائرات القاذفة في أنها تظل مقاتلة لها كفاءتُها وقدرتُها في الاشتباك مع الطائرات الأخرى. وفي السابق غالباً ما كانت الضَّرباتُ الجويَّةُ تقوم بها القاذفات محمية بالمقاتلات. وفي بعض الأحيان تُعد المقاتلة القاذفة قاذفةً خفيفة.

-الذي قِيلَ بأنّه ذو رتبةٍ عالية[130]- بالمِظلَّة وهبطَ على مسافةِ خمسةٍ إلى ستَّةِ كيلومترات من أقرب موقعٍ للمجاهدين. بينما حامَت الطَّائرةُ الحربيَّة الأخرى فوقَ المنطقةِ ثمَّ طارَت مُبتعدةً، وذاك فيما يبدو بعدَ أنْ حدَّدَتْ موقعَ تحطُّمِ الطَّائرةِ التي سقطَت. ذهبتْ مجموعةٌ من سبعةِ مجاهدين بقيادةِ "الملا جمعة خان" لأسرِ الطَّيَّار. وعندما وصلُوا إليه، كان قد اتَّخذَ موقعاً يمكّنُه من إطلاقِ النَّارِ من بندقية AK-47 على المجاهدينَ القادمين. حاولَ المجاهدون أسرَ الطَّيَّارِ حيَّاً. وبينما كانُوا يستعدِّون لفعلِ ذلك، حلَّقَت أسرابٌ من مِروحيَّاتِ النَّقلِ والمِروحيَّاتِ الهجوميَّةِ فوقَ مَمَرِّ مورتشا من قندهار وبدأَت بالانقضاضِ وإطلاقِ النَّارِ على مواقعِ المجاهدين، بينما حلَّقت مِروحيَّتانِ فوقَ موقعِ التَّحطُّم. وحامَت إحداهُما على بعدِ حوالي 50 متراً من الأرض وأنزلَت سلَّماً. فقفزَ الطَّيَّارُ السُّوفييتيُّ من مخبئِه وبدأ يتسلَّقُ السُّلَّم. ولأنَّ الطَّيَّارَ كانَ سيهربُ حتماً، فتحَ المجاهدونَ النيرانَ عليه فقتلُوهُ وألحقُوا أضراراً بالمِروحية. ثم حاولَت هذهِ المروحيَّة الهرب، لكنَّها تحطَّمت بعدَ ذلك على بُعدِ ثلاثةِ كيلومترات من موقعِ الطَّيَّار.

تسبَّبَ هذا الحادثُ في زيادة النَّشاطِ الجويِّ السُّوفييتي، حيثُ حاولُوا تمهيدَ المنطقةِ للهجوم البريّ المُرتقبِ انطلاقاً من مِحورين نحو دهراود. كانَ أحدُ الأرتالِ يقتربُ بمحاذاتِ نهرِ هلمند من اتّجاهِ سُدِّ "كاجاكي"، بينما قدِمَ الآخرُ من "خاكريز" عبرَ مَمَرِّ مورتشا. واستمرَّتِ الغاراتُ الجويَّةُ السُّوفييتيَّةُ لمدَّةِ ثلاثةِ أيَّامٍ دونَ انقطاع، من الفجرِ حتَّى الغَسَق. ومعَ ذلك، عَانى المجاهدون من خسائرَ أقلَّ ممَّا نالَتهُ الميليشياتُ جرَّاءَ الأضرارِ الجانبيَّةِ للقصف و "النّيرانِ الصَّديقة".

بعدَ ثلاثةِ أيَّامٍ من القصفِ العنيف، وصلَ رتلُ العدوِّ المكوَّنِ من المُشاة والدَّبَّاباتِ من جانبِ كاجاكي. وعلى الرُّغمِ من أنَّ مجموعاتِ المجاهدين المُكَلَّفةَ بتغطيةِ هذا المُقترب قد غادَرَت في وقتٍ سابقٍ، إلا أنَّ التَّضاريسَ كانت لا تسمحُ بحركةِ الدَّبَّابات. فاستخدمَت مفرزةُ دعمِ الحركةِ السُّوفييتيَّةِ (MSD) آلاتِ بناءِ الطُّرُقِ والمتفجّراتِ عبرَ المقتربِ الصَّخريّ لفتحِ الطَّريقِ للدَّبَّاباتِ وناقلاتِ

[130] ذكر الملا مالانغ بأن رتبته لواء.

الجنودِ المدرَّعة، وقامَ السُّوفييت أيضاً بإنزالِ جنودِهم جويّاً على مرتفعاتٍ حاكمةٍ على الطَّريقِ لتأمينِ الجَناح.

في ذلك الوقتِ، كانت عناصرُ المجاهدين مُبعثَرةً جداً إلى الحدِّ الذي أضعفَ من سيطرةِ القيادةِ عليهم. حيثُ كانت مفارزُ قندهار وهلمند مُتَوزِّعةً على جَانبي النَّهر، ولم يستطعْ أحدٌ منهم عبورَ النَّهرِ للطَّرفِ الآخر. وكانت أسلحتُهم الثَّقيلةُ من صواريخ الأرض-أرض ورشَّاشاتِ الدُّوشكا وال 14.5 مُتموضِعةً على جانبي النَّهر، ولم يستطع المجاهدون تنسيقَ نيرانِهم. وبعدَ خمسةَ أيامٍ من قتلِ الطَّيَّارِ السُّوفييتيِّ جوارَ نهرِ هلمند أدركَ المجاهدونَ بأنَّهم قد فقدُوا القيادةَ والسَّيطرةَ على مفارزِهم المُبعثرة، وأنَّهم لا يستطيعونَ التَّعاملَ مع تقدُّمِ العدوِّ من مِحورين. ولذلكَ، انسحبَ المجاهدون نحوَ قواعدِ ولاياتهم عبرَ المَمَرَّاتِ الجبليَّة.

وصلَ الرَّتلُ السُّوفييتيُّ من كاجاكي إلى دهراود، واستعادَ جُثَّةَ الطَّيَّارِ الهالكِ، وكانَ المجاهدون قد اغتنمُوا مستنداتِه في وقتٍ سابق. وعندما انسحبَ المجاهدون، توقَّفَ رتلُ قندهار في خاكريز ولم يكملِ المسيرَ نحوَ دهراود، بل نفَّذَ عدَّةَ عمليَّاتِ بحثٍ وتدميرٍ ثمَّ قفلَ عائداً. وخلالَ المعركةِ التي استمرَّت 45 يوماً بالتَّمامِ والكمال، تكبَّدَت ميليشياتُ النِّظامِ الأفغانيِّ أكبرَ الخسائر. بينما كانت خسائرُ المجاهدين ضئيلةً. ويقولُ الملا مالانغ بأنَّ المجاهدين أسقطُوا طائرةً حربيَّةً و10 مِروحيَّات.

التَّعليق:

كانت عمليَّةُ الحصارِ معركةً نظاميَّةً تقومُ بها مجموعاتُ العصابات، ولذلك انتهَت بتراجعٍ تكتيكيٍّ. لو أنَّ المجاهدين أنشؤُوا نظامَ قيادةٍ عمليَّاتيٍّ في المنطقة، لتيسَّرَ تنسيقُ الأعمالِ العسكريَّةِ زماناً ومكاناً. إلا أنَّ الافتقارَ لمثلِ هذهِ التَّرتيباتِ جعلَت قُوَّاتِ المجاهدين تفتقرُ للدَّعمِ العمليَّاتيِّ من قِبَلِ المجموعاتِ المحلِّية الأخرى، لاسيما في أعمالِ صَدِّ التَّعزيزاتِ السُّوفييتيةِ والأفغانيَّة.

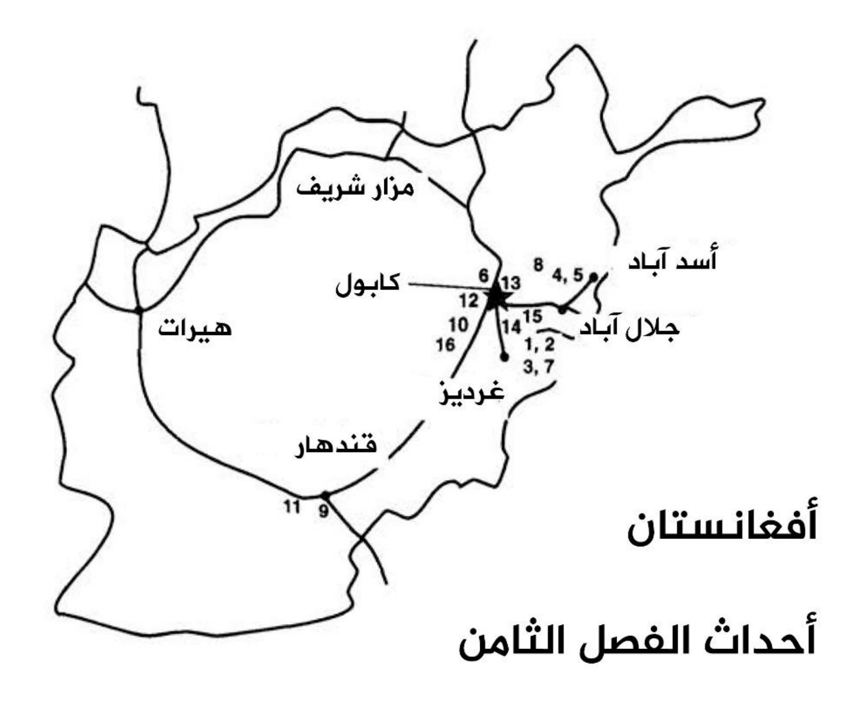
إنَّ العصاباتِ أحسنُ ما تُوظَّفُ في الأعمالِ القصيرة. أمَّا العمليَّاتُ البعيدةُ والممتدَّةُ (مثل الحصار) فهي تتطلَّبُ الكثيرَ من المُتطوِّعينَ بلا أجر. وصحيحٌ أنَّ المجاهدين كلَّفُوا مفارزَ لتغطيةِ المقتربات من دهراود من الجنوبِ، إلا أنَّ استمرارَ الحصارِ دفعَ الكثيرَ من المقاتلينَ المَضغوطينَ بأعمالِهم الخاصَّة إلى الانشغالِ بها بدلاً من الجلوسِ مكتوفي الأيدي في الجبال. فتركَت عناصرُ هذه المفارزِ -الواحدة تلو الأخرى- المقتربات غيرَ محميةٍ، وذلك على الرُّغمِ من أنَّهُ كانت ستكفي مفارزُ صغيرةٌ من المقاتلين الأشدَّاء لإغلاقِ مِحوري كاجاكي ومَمَرِّ مورتشا.

لو ثَبَتَ المجاهدون في مواقعِهم، لاستطاعُوا إيقافَ أرتالِ العدوِّ الكبيرة ولحقَّقُوا انتصاراً يحتفلونَ به في دهراود. لكنَّ ومرةً أخرى، أظهرَت هذه العمليَّةُ قصورَ المجاهدين من النَّاحيةِ التَّكتيكيَّةِ واللُّوجستيَّةِ في الاحتفاظِ بالسَّيطرةِ على القُوَّاتِ الكبيرةِ لفترةٍ طويلةٍ من الزمن. ولم يكن معظمُ المجاهدين يقاتلونَ على أراضيهم، ومن ثمَّ كانُوا أقلَّ حماساً بشأنِ البقاءِ في مواقعَ ثابتةٍ لفترةٍ طويلةٍ من الوقتِ بينما كانَ يقصفُهم سلاحُ الجوِّ السُّوفييتي.

في حينِ أنَّ القُوَّاتِ الجويَّةَ نادراً ما تكونُ حاسمةً في حربِ العصابات، إلا أنَّها قد لعبَت دوراً رئيسيَّاً في كسرِ هذا الحصار. فبمجرَّد اتِّخاذِ المجاهدين مواقعَ ثابتةٍ، تمكَّن سلاحُ الجوِّ السُّوفييتيّ من تأخيرِ هجومِ المجاهدين وكسبِ الوقتِ اللَّازمِ لوصولِ القُوَّاتِ البرِّيَّةِ إلى ساحةِ المعركة.

الفصل الثامن: الدِّفاعُ ضدَّ الإغارات

إنَّ الدّفاعَ الفعَّالَ والنَّاجحَ ضدَّ الإغاراتِ البرّيَّةِ يتطلَّبُ وصولَ المعلوماتِ الاستخباراتيَّةِ بشكلٍ فوري، وإعدادَ خططٍ وتدريباتٍ قتاليَّةٍ مسبقةٍ، وإعدادَ مواقعَ قتاليَّةٍ محميةٍ، وتجهيزَ قوَّةِ ردٍّ سريع، وتوفيرَ الأسلحةِ والذَّخائر، ومنافذَ الهروب، ونشرَ مجموعاتٍ من الحرَّاس ودوريَّات التَّأمين، ونشرَ عناصرِ الإنذارِ المبكِّرِ على مسافاتٍ كافية. ومن أساسيَّاتِ الدِّفاعِ النَّاجحِ ضدَّ الإغارات عقدُ مراجعاتٍ للخططِ وتدريباتٌ ميدانيَّة، وجهوزيَّةُ قوَّةِ الرَّدِّ السَّريع ومنافذِ الهروبِ والانسحاب.



المقالة الأولى: إغارةٌ سوفييتيّةٌ على مخبئٍ للمجاهدين في "سايغاني"

رواية "الحاج عبد القادر"[131]

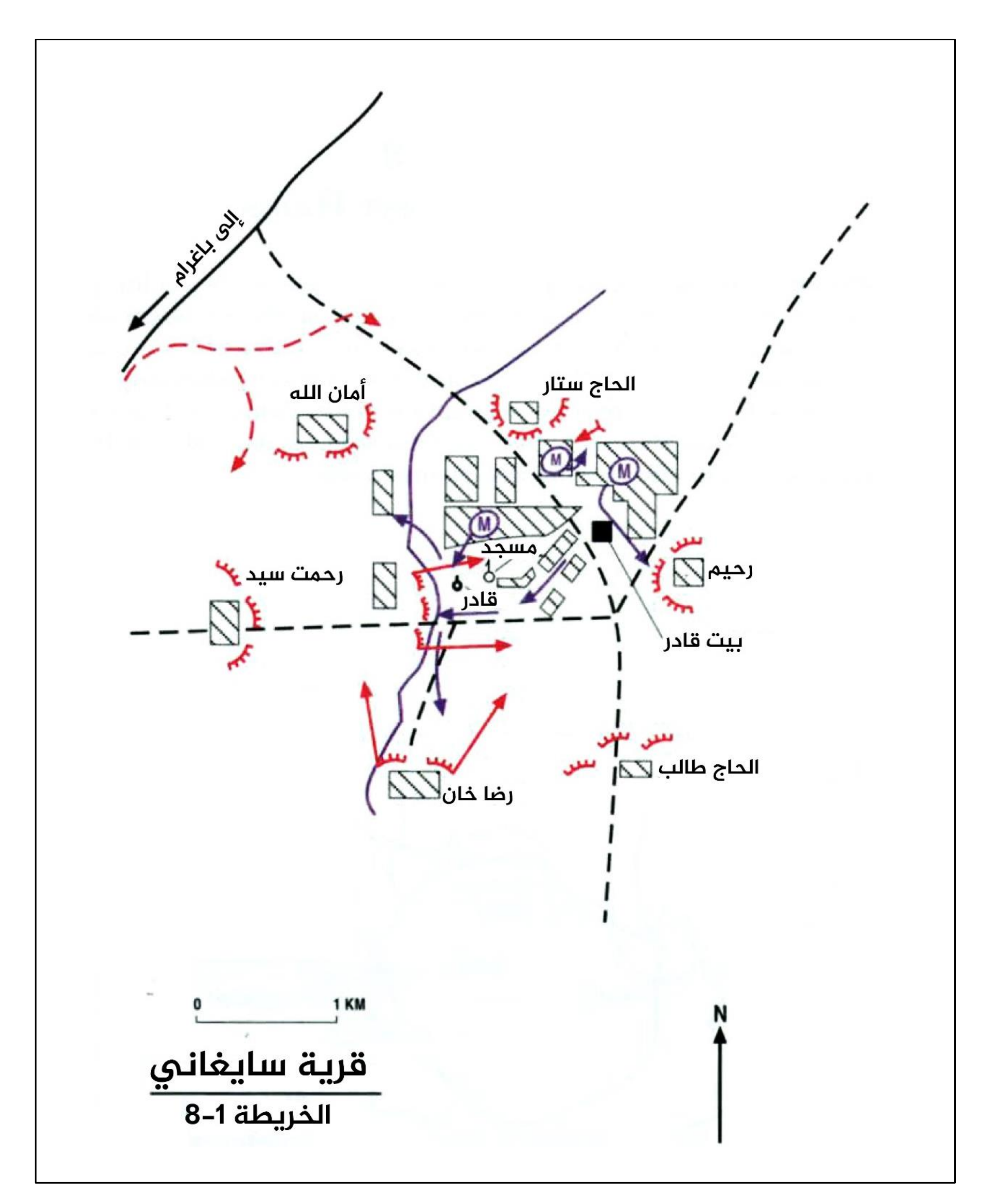
في 9 يناير/كانون الثاني 1981م، شَنَّت مفرزةٌ سوفيتيَّةٌ إغارةً على منزلي في قريةِ سايغاني، على بُعدِ حَوالي ستَّةِ كيلومترات شمالَ شرقَ قاعدةِ باغرام الجويَّة. في ذلكَ الوقتِ، كنتُ قائداً لمجموعةٍ من حَوالي 200 مقاتلٍ من المجاهدين المحلّيين، وكانُوا مُتوزِّعين بينَ العديدِ من القواعدِ المُتنقّلةِ في المنطقة. وكُنَّا ننفِّذُ مهاماً محدَّدةً في باغرام والمناطقِ المُجاورةِ في ولايتي باروان وكابيسا. ونادراً ما كنتُ أقضي اللّيلَ في قريتي لقربِها الشَّديدِ من الحاميةِ السُّوفييتيَّةِ في باغرام[132]، حيثُ كانَ من الصَّعبِ عليَّ الدِّفاعُ عنها. وكنتُ أبيتُ كلَّ ليلةٍ في قاعدةٍ مختلفة. وكانَ يرافقُني عادةً ما لا يزيدُ عن 20 مجاهداً مُتنكّرينَ في زيِّ مدنيين مُسالمين.

قبلَ الإغارةِ بأسبوعٍ، قُدتُ أنا والقياديُّ في الجمعيَّةِ الإسلاميَّةِ "المولوي ظاهر غوجرخيل" قوةً مشتركةً للإيقاعِ برتلٍ سُوفييتيٍّ وأفغانيٍ في كمينٍ بـ"صوفي بابا" على طولِ الطَّريقِ من تلَّةِ "كوهي" إلى "الصيَّاد"، وقد كانت قوةُ هذا الرَّتل: سبعَ شاحنات أو ثماني، وستَّ ناقلات جندٍ مدرَّعة. وكان عائداً من "خاناقه" و"نيازي" جنوباً، بعد أنْ داهمَ الجيشُ الأفغانيُّ القريتينِ للبحث عن مطلوبينَ للتجنيدِ قسراً. أوقَعْنا الرَّتلَ في كمينٍ عندَ الغسق ودمَّرنا ناقلتين وأربعَ شاحناتٍ بقذائفِ الآر بي جي -7. واغتنمْنا 70 بندقيَّةِ كلاشينكوف وكُنَّا وقتَها أحوجَ ما نكونُ لمثل هذه الغنيمة. قسمْنا الغنائمَ بينَ المجموعتين. وأظنُّ أنَّ الإغارةَ جاءت ردَّاً على هذا الكمين.

---

[131] كان الحاج عبد القادر معلماً في المدرسة، وأصبح في الحرب قائداً للمجاهدين. انضمَّ في البداية إلى الحزب الإسلاميِّ التابع لخالص ثمَّ التحقَ بالاتحاد الإسلامي. [Map sheet 2886, vie grid 2970] كذلك استخدمنا في هذه المقالة مذكرات علي جلالي.

[132] كان الفوجان السُّوفييتيان الـ 682 للبنادق الآلية والـ 354 المستقل المحمول جواً يرابطان في باغرام.



في تلكَ اللَّيلة، كانَ لديَّ ضيوفٌ من لغمان في بيتي داخلَ القرية، فسهرْنا إلى وقتٍ مُتأخِّرٍ من الليل بينما نتسامر، وصرفتُ معظمَ رجالي للمبيتِ في القرى الأخرى المُجاورة، بينما احتفظتُ ب 40 منهم في سايغاني (22 منهم من سكان القرية).

تضمُّ قريةُ سايغاني 100 منزلٍ على جانبي الطَّريقِ الرَّئيسي. وكانَ بيتي قريباً من مسجدِ القرية، محمَّياً بهياكل تشبهُ الحصونَ وتحيطُ بكلِّ القريةِ (الخريطة 8-1-سايغاني). وضعتُ مفرزتين للحراسة، الأولى

في بيتي والثَّانيةَ في المسجد. وخيَّمَ الهدوءُ طيلةَ تلكَ اللَّيلةِ تماماً، وبدأَ تساقطُ الثُّلوجِ في منتصفِها. وفي الصَّباحِ الباكرِ، استيقظتُ لتأديةِ صلاةِ الفجرِ. فأبلغني الحرَّاسُ على السطحِ بأنَّ كلَّ شيءٍ على ما يرام. إلا أنَّني أثناءَ وضوئي،[133] لاحظتُ مشاعلَ إشارةٍ تمرقُ عبرَ السَّماءِ الغائمة. وكانت تأتي من اتِّجاهيْ الشَّمالِ الشَّرقي والجنوبِ الشَّرقي.

بالرُّغمِ من أنَّ الوضعَ بدا ساكناً في اللَّيلِ بالنِّسبةِ للحرَّاس، إلا أنَّه كانَ هائجاً بالنِّسبةِ لمفرزةِ الإغارةِ السُّوفييتية. فقد تسلَّلُوا من باغرام إلى القريةِ أثناءَ تساقطِ الثُّلوجِ ليلاً مُسترشدين بالأدلاءِ والمُخبرين، واحتلُّوا بكلِّ هدوءٍ مباني حولَ القرية. وفي وقتِ الفجر، كانَ العدوُّ قد اتَّخذَ مواقعَ قتاليَّةٍ في حصونِ الحاج ستار ورحيم والحاج طالب ورضا خان والحاج رحمت صيد وأمان الله.[134]

بمجرَّدِ رؤيتي للمشاعلِ سألتُ الحرَّاس عنها. فأخبروني بأنَّهم ظنُّوا بأنَّ العدوَّ على الطَّريقِ المتَّجهِ نحوَ القريةِ على بُعدِ كيلومترين. إلا أنَّني لم اقتنعْ، واعتقدتُ بأنهم أقرب، ولم يكن لديَّ وقتٌ لجمعِ جميعِ رجالي، فخرجتُ ب 15 مقاتلاً ممَّن كانُوا في منزلي، وحاولنا الهروبَ من القرية. وبعدَ بُرهةٍ من خروجِنا من البيت، أدركتُ أنِّي نسيتُ حقيبتي التي تتضمَّنُ بياناتِ مجموعتي. فأرسلتُ أخي الأصغر لجلبِها، وأمرتُ رجالي بالنُّزولِ إلى أسفلِ الطَّريقِ نحوَ المسجد ومن ثمَّ التوجُّهِ نحوَ حصنِ رحمت سيد على أطرافِ القرية. ومن هناك نخرجُ للتوجُّهِ إلى مناطقَ يسيطرُ عليها المجاهدون.

بقيتُ أنتظرُ أخي، وبعدَ بضعِ دقائق عادَ إليَّ وهرَعْنا لنلحقَ بالمجموعة. وأدركْناهُم وقد اقتربُوا من المجَرى المائيِّ بعدَ المسجد. وكانت المفاجأةُ، فقاع المجَرى مليء بالجنودِ السُّوفييت وقد نصبُوا لنا كميناً، وأطلقُوا النَّار على رجالي ببنادق ال AK-47، وأردَوا في الحالِ ثلاثةً من رجالي قتلى. هَرَبَتْ بقيَّةُ مجموعتي لتختفيَ في الظَّلام، بينما تحرَّكتُ نحوَ الجنوبِ الغربيِّ، إلا أنَّه كانَ هنالك كمينٌ آخر، فقُتل

---

[133] يصلي المسلمون خمس مراتٍ في اليوم، ويتوضؤون قبل الصلوات.

[134] الكثير من البيوت في أفغانستان محاطةٌ بالجدران العالية السميكة المصنوعة من اللبن، وهي في الحقيقة حصونٌ صغيرة.

رجالي عن آخرِهم، وحَرَقَت طلقةُ خطَّاطٍ تساداري (وشاحي الغليظ)، فنبَّهني أخي باحتراقِه، فسحبتُه وألقيتُه بعيداً، إلا أنَّ هذا الأمرَ لفتَ أنظارَ الكمينِ الأوَّل، فأطلقُوا النَّارَ علينا وأردَوا أخي قتيلاً. وفقدْتُ الاتِّصالَ بمجموعتي، فتحرَّكتُ نحوَ الاتِّجاهِ المُعاكس وخرجْتُ خِلْسةً من القرية عبرَ بيتٍ في أطرافِها. لقد أغلقَ العدوُّ جميعَ الطُّرقاتِ ومنافذَ الهروب، ولم ينجُ أحدٌ من المجاهدين غيري من هذه الإغارة، إذ قتلَ العدوُّ 40 مجاهداً و15 مدنياً في مواقعِ مختلفةٍ من القرية.

التَّعليق:

إنَّ انعدامَ التَّأمينِ الفعَّالِ في القريةِ كانَ العاملَ الأكبرَ في نجاحِ الإغارة السُّوفييتيَّة، وهذا ما تَسبَّبَ في إبادةِ مجموعةِ المقاومةِ الأفغانية. كانَ التَّأمينُ الفعَّالُ سيحمي الوحدةَ من الهجومِ المباغت، وسيوفِّرُ الوقتَ والمجالَ الكافيَ للقوَّةِ الرَّئيسيَّةِ للتجهزِ والانتشارِ وخوضِ القتالِ بأنسبِ ظروفٍ ممكنة. ولو أنَّ المجاهدين نشرُوا دوريَّاتٍ لتأمينِ مقترباتِ القرية، لما استطاعَ العدوُّ الاقترابَ دونَ انكشافِه في الغالب، ولما استطاعَ مباغتةَ عناصرِ المقاومةِ وهم غافلون. أمَّا بالنِّسبة لمفرَزَتَي الحراسَة التي نَشَرَهُما القائدُ عبد القادر داخلَ القرية؛ فلا تستطيعانِ إلا توفيرَ الحمايةِ القريبة، لا التأمينَ التكتيكيَّ للوحدة.

كانَ لِسِّريةِ تحرُّكِ السُّوفييت نحوَ القرية وانتشارِهم المخفيِّ قربَها، كانَ لهذان العاملان دورٌ حاسمٌ في النَّتائجِ التي ترتَّبت على الإغارة. حيثُ فقدَ المجاهدونَ السَّيطرةَ على الوضع، وأجبِرُوا على التَّصرُّفِ في ظلِّ ظروفٍ فرضَها عليهم عدوُّهم الذي أخَذَهم بغتة.

كان ينبغي للمجاهدين حتَّى يتجنَّبوا الكارثةَ تجهيزُ خطةٍ للطوارئ، وتعليماتٍ واضحةٍ للعناصر ولقادةِ المجموعة في حالِ حدوثِ هجومٍ مباغت. وكان يجبُ أن تتضمَّنَ الخطَّةُ تحديدَ موقعِ كُلِّ عنصرٍ وقائدِ مجموعةٍ فرعيَّةٍ خلالَ أقامتِهم في اللَّيلِ داخلَ القرية. لقد كانَت باغرام مُنشأةً سُوفييتيَّةً كبرى، إلا أنَّ غرورَ المجاهدين وزُهُوَّهم بأنفسِهم ساهمَ بهزيمتِهم.

نظراً لتفاجئهِ من وجودِ القُوَّاتِ السُّوفييتيَّةِ، لم يعمل عبدُ القادر على فرضِ قيادةٍ وسيطرةٍ محكمةٍ على الوضع، ذاكراً بأنَّه لم يكن لديه الوقتُ الكافي للوصولِ لكلِّ مقاتلٍ وقائدِ مجموعةٍ فرعيَّة. لكنَّه

فشلَ حتَّى في قيادةِ مجموعتِه المؤلَّفةِ من 15 رجلاً من المرافقة. فقد انتظرَ أخاه ليأتيَه بالحقيبة، فيما أرسلَ مجموعتَه من دونِ تعيينِ قائدٍ بديلٍ لهم. فبقيَتِ المجموعةُ بلا قائدٍ حتَّى وقعَت في كمينين.

كانَ للمُخبرين والموالين للعدوِّ أيضاً دورٌ أساسيٌّ في نجاحِ الإغارة. فلم تكنْ مفرزةُ السُّوفييت لتستطيعَ تحقيقَ ما حقَّقت لولا التَّعاونُ الذي توفَّر لها من الدَّاخل. ومثلُ حالاتِ التَّعاونِ هذه صنعَت الكثيرَ من الشُّكوكِ والشُّبهاتِ ضمنَ صفوفِ المجاهدين، وأدَّت في بعضِ الأحيان إلى عواقبَ فاجعةٍ جدَّاً بحقِّ الأبرياء.

تعلَّم الحاج عبد القادر درساً مهماً وقاسياً جداً. وكما قال، لم تَبِتْ مجموعتُهُ مرَّةً أخرى في سايغاني إلا وقد نشرَت مفرزةً أمنيَّةً قويَّةً على مقتربات القرية، وعلى مسافةٍ لا تقلُّ عن كيلومترين.

المقالة الثانية: معركة مديرية "علي شانغ"

رواية القائد "شير بادشاه"[135]

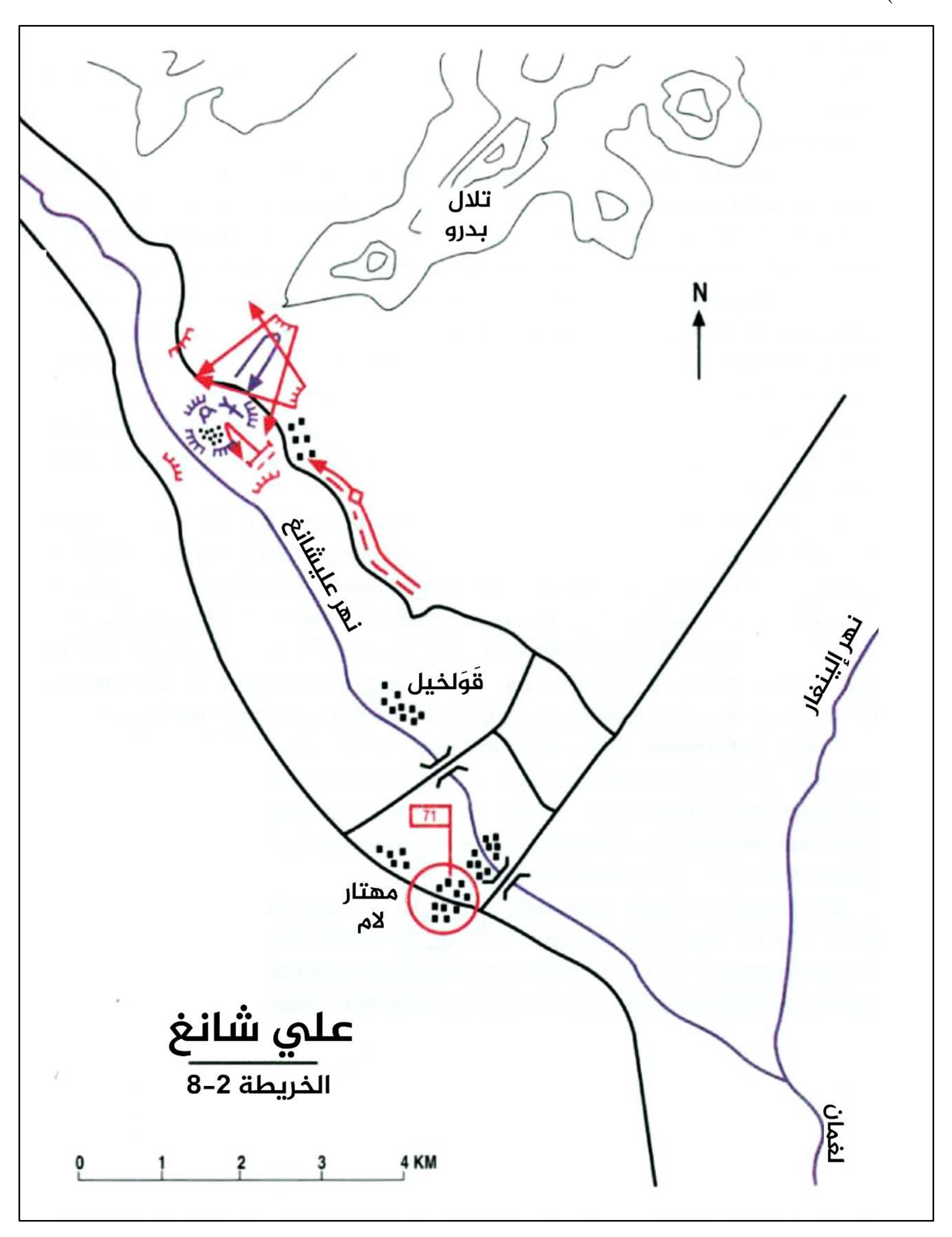
في أغسطس/آب 1981م، سيطرَ المجاهدون على مركزِ مديريَّة علي شانغ في ولاية لغمان. وكانت قاعدتي واقعةً في وادٍ مُرتفعٍ بعيدٍ قربَ "دولة شاه". جلبتُ 29 مجاهداً إلى قريةِ علي شانغ عبر وادي علي شانغ الخصب. (الخريطة 8-2- علي شانغ) وكانت مسافةُ الرِّحلةِ 45 كيلومتراً. ولدى وصولنا كانَ التَّعبُ قد أخذَ منَّا كلَّ مأخذ، فعرضَ علينا المجاهدون المحلِّيُّون -وهم 50 مجاهداً- بأن يتولَّوا حراستَنا بينما نخلدُ إلى النوم. وعندما قمْنا إلى صلاةِ الفجر، سمعْنا هديرَ الرَّصاص. فأدركَ الحرَّاس بعدها بأنَّ العدوَّ قد حاصرَنا. فقرَّرْنا الهروبَ نحو الجبال، عن طريقِ تلالِ بدرو على بُعدِ ثلاثةِ كيلومتراتٍ شمالَ شرقَ القرية. وحين حاولْنا الخروجَ من القرية، تَلَقَّتْنا نيرانَ الأعداءِ من جميع الاتجاهات.



وفي خمسِ دقائق، سقَطَ منَّا 14 قتيلاً و50 جريحاً. وكان من بينِ القَتلى "المولوي نياز محمد"، وهوَ قائدُ المجاهدين المحليين. ونتيجةَ النِّيرانِ المدمِّرة التي سُلِّطت علينا والخسائرَ الجسيمةَ اضطُرِرْنا للانسحابِ نحوَ القريةِ، بغرضِ القيامِ بدفاعٍ مستميت. بقيَ منَّا 15 رجلاً قادراً على القتال، ولحسنِ الحظِّ فقد نصبْنا مدافعَ الهاون منذُ اللَّيلةِ الماضية، ومازالت في أماكنها. وإضافةً لمدافع الهاون التي كانت

[135] القائد شير بادشاه من ولاية لغمان. [Map sheet 3086, vie grid 0149].

بحوزَتنا، كانت لدينا قاذفاتُ آر بي جي -7 ورشّاشاتُ بيكا وبنادقُ كلاشنكوف وبنادقُ بيرناو (أم 26-).[136]



[136] البيرناو اسمٌ آخر لرشاش أم 26 الخفيف التشيكوسلوفاكي. وكان المجاهدون يسمونه أيضاً الرامي 20.

صَمَدْنا خلالَ الدِّفاعِ ضدَّ هجمات العدو. ولكنْ تبيَّن لنا بعدَ ذلك بأنَّ القُوّاتِ السُّوفييتيَّةَ كانت تحاصرُ القرية. وفي السَّاعةِ 08:00، جاءَ رتلٌ من المُشاة والدَّبّاباتِ الأفغانيَّةِ لتعزيزِ السُّوفييت من عاصمةِ الولاية "مهتار لام". فبدأْنا بإطلاقِ قذائفِ الهاون على الرَّتل، حتَّى استطعْنا ردَّه عن الدُّخولِ للقرية. وفي لحظةٍ من اللَّحظات، وصلَ الحالُ بنا أن نلجأَ للقتال الفرديِّ المباشر. استطعْنا إصابةَ دبابةٍ بقذيفةِ آر بي جي. وفي وقتٍ قريبٍ من الظُّهرِ، استطعْنا إصابةَ سيارةِ جيبٍ مليئةٍ بالمستشارين السُّوفييت بقذيفةٍ أخرى. وتمكَّنّا من أسرِ جنودٍ أفغانٍ قريبين من السَّيَّارةِ بعد أن وجَّهنا إليهم نداءً بتسليمِ أنفسهم. واستمرَّ القتالُ حتَّى السَّاعةِ 16:00. وفجأةً وحينَ اقتربَ مغيبُ الشَّمس، انسحبَت القُوَّاتُ السُّوفييتيَّةُ والأفغانية، تاركينَ القريةَ تحتَ سيطرتِنا. بالإضافةِ إلى خسائِرنا التي بلغَت 14 قتيلاً و50 جريحاً، فقد قُتِل وأُصيبَ العديدُ من المدنيين بينهم أطفالٌ ونساء. ولا أعرفُ كم تكبَّدُ العدوُّ من خسائرَ بالمجمل.

أنا متأكِّدٌ من أنَّ أحداً ما من القريةِ قد أبلَغَ الحكومةَ بوجودِنا. فبعضُ القرويين قد غادرَ القريةَ قبلَ محُاصرةِ السُّوفييت لها. ومن ناحيةٍ أخرى فقد ساعدَنا القرويونَ الذينَ بقوا معَنا مساعدةً فعَّالةً في الدِّفاعِ عن القرية. حيثُ قدَّمتِ النِّساءُ لنا الطَّعامَ وأرْشَدْنَنَا إلى أماكنَ تصلحُ للاختباء. وحينَ كانَ العدوُّ يضيِّقُ علينا الخناق، قادتْنا النساءُ بينَ المنازلِ للتملُّصِ والهروب. وبعدَ أن انتهى القتالُ في المساء، طلبْنا من أهلِ القريةِ حميراً وبغالاً لحملِ قتلانا وجَرحانا. فحملْنا القَتلى نحوَ قُراهم لندفنَهم، بينما حَمَلْنا الجَرحى إلى الأطبَّاءِ المحليين لتلقي العلاج، وقد قدَّمَ لنا الأطبَّاءُ -بمن فيهم أطباءُ يعملون في المشافي الحكوميَّة- أقصى ما يستطيعونَ من الخدمةِ لعلاجِ جَرحانا.

كانَ السُّوفييت قد تركُوا بعضَ قتلاهُم في قريةِ علي شانغ. ولحلِّ هذه المشكلةِ تحرَّكُوا نحوَ قريةِ قَوَنخيل جنوباً وحاصرُوها وطلبُوا من أهلِها الخروجَ لانتشالِ جثثِ قتلاهم تحتَ التَّهديدِ بتدميرِ القرية. فقَدِم شيوخُ القرية إلينا وطلبُوا منَّا القتلى، فسمحْنا لهم بأخذِهم بعدَ انسحابِنا.

التَّعليق:

كانت الحراسةُ اللَّيليَّةُ للمجاهدين -أثناءَ وقتِ النَّومِ- عبارةً عن حارسٍ أو حارسين فقط داخلَ القرية. بينما كانَ يتوجَّبُ على المجاهدين وضعُ حُرَّاسهم على التَّضاريسِ الحاكمةِ على القريةِ لتحقيقِ إنذارٍ مبكّر. كانت القُوَّاتُ السُّوفييتيَّةُ والأفغانيَّةُ في العادة قادرةً على اكتشافِ المجاهدين وتطويقِهم أثناءَ نومِهم ليلاً وحُرَّاسُهم قريبين منهم، وذلك عندما كانت تصلُ إليهم المعلوماتُ الاستخباراتيَّة فوراً.

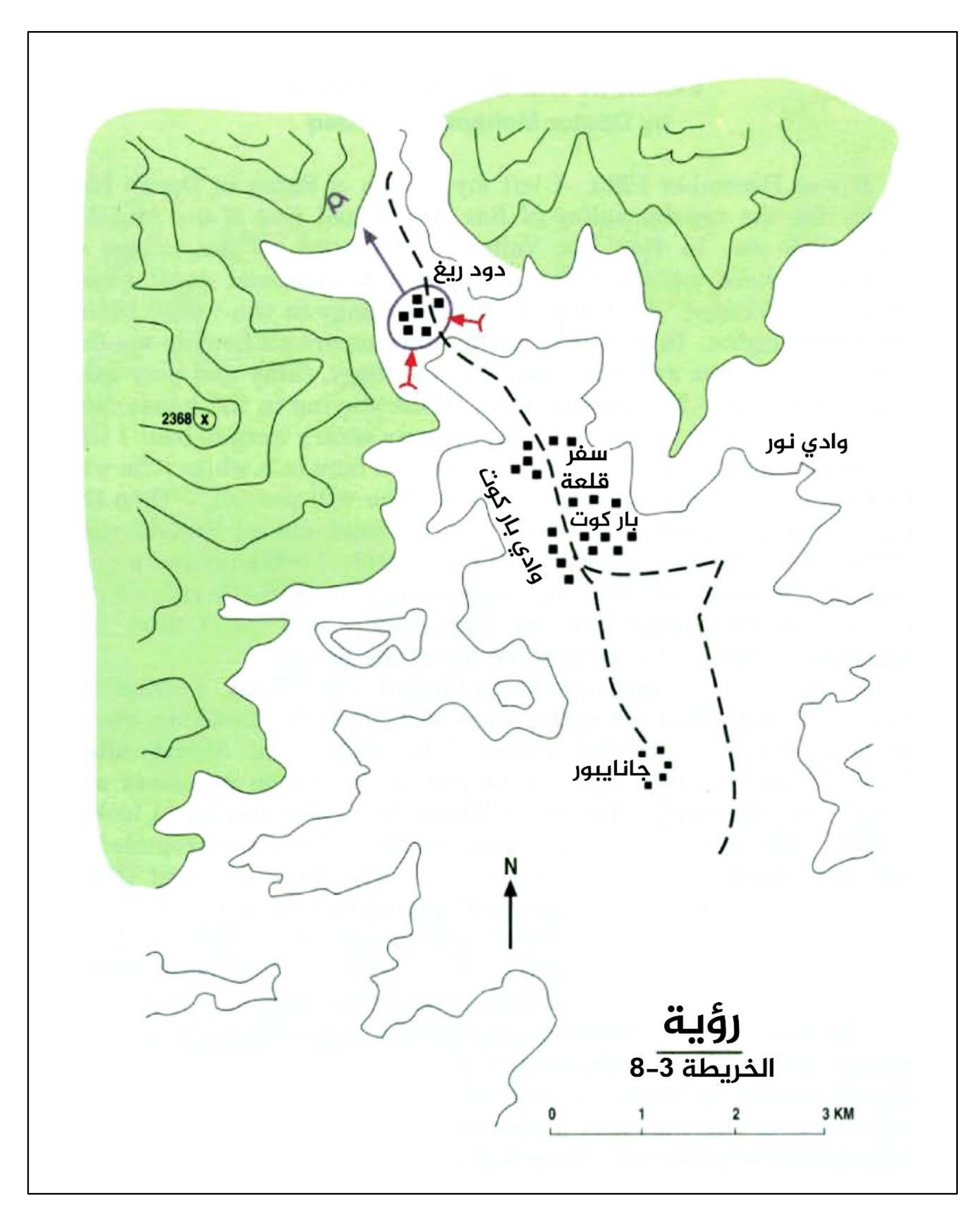
من المرجَّح أنَّ القُوَّاتِ السُّوفييتيَّةَ كانت تنتمي للواء 66 للبنادقِ الآليَّة المستقلِّ المتمركِزِ في جلال آباد على بُعدِ حَوالي 40 كيلومتراً. بينما كانت القُوَّاتُ الأفغانيَّةُ تنتمي للفوجِ 71 للمشاة، المتمركِزِ على بُعدِ سبعةِ كيلومتراتٍ في مهتار لام. وقد كانت المنطقةُ مكشوفةً ومفتوحةً وسهلةَ الوصولَ إليها عبرَ الطريق. ومنَ الأسبابِ النفسيَّةِ التي أوقعَت هذهِ الخَسارةَ الكبيرةَ للمقاومةِ هي ثقةُ المجاهدين المحلّيين المُفرطةُ بتفوُّقِهم واطمئنانُهم الذي كانَ في غيرِ محلّه.

المقالة الثالثة: رؤيا في وادي باركوت

رواية الدكتور محمد صادق

في ديسمبر/ كانون الأول 1983م، غادَرتُ قريتي سوتان في وادي "دره نور" (وادي نور) للتوجُّهِ نحوَ وادي باركوت، يرافقُني خمسةٌ من رجالي. وفي وادي باركوت بِتْنا للاستراحةِ في دارِ الضِّيافةِ للمجاهدين في قريةِ دود ريغ (الخريطة 8-3- رؤية)، وهي آخرُ قريةٍ في الوادي، وبعدَها تعلو الجبالَ غاباتٌ كثيفةٌ من أشجارِ الصَّنوبرِ والعرعرِ والجُمَّيز (فاكهتها شبيهةٌ بالتين)، وكانَ الطقسُ شديدَ البرودةِ وممطراً ويكتنفُه الضَّباب. وفي البيتِ المُجاور لنا يقيمُ مجاهدون آخرون من حركةِ الانقلابِ الإسلامي. وبعدَ عشاءٍ خفيفٍ في وقتٍ متأخرٍ من الليل، خَلدْنا إلى النَّومِ ما عَدا حارسيْ. ورأيتُ في المَنامِ أنَّهُ قد أتاني رجلٌ يَرتدي ثوباً أبيضاً ووضعَ يدَه على كتفي وقال لي: "إنَّك منصورٌ". ثمّ ألقى في حضني ذخيرةً وأعطاني بندقية إنفيلد وقال لي: " آن الأوان للسير إلى الأمام". فاستيقظتُ وتلفتُّ من حولي، فلم أجد ذخيرةً ولا بندقيةً، إلا أنّني تأكدت من وجود بندقيتي (كلاشنكوف) ومسدسي تحت المخدة بينما كنت أفكر في منامي.

في الساعة 03:00، استيقظتُ مرةً أخرى على صوت رصاصةٍ، ففزعتُ واقفاً وناديت على حراسي سائلاً عمَّا يجري. فردَّ عليَّ آغا غول قائلاً: "لا شيء، كلُّ شيءٍ على ما يرام"، فعدتُ للاستلقاء. وبعدَ قليلٍ ومرَّةً أخرى، سمعتُ صوت رصاصةً. فوثبتُ على قدمي ولبستُ حذائي وامتَشقتُ سلاحي. واستيقظَ بقيَّةُ المجاهدين أيضاً. نظرتُ إلى الخارج، فأتى الحارسُ قائلاً: "وصلَ السُّوفييت هنا! نحنُ مُحاصرون! إنّي أرى طلقاتِهم الإشاريَّة من حولِنا". هَرَعَتِ المجموعةُ الأخرى المجاورةُ لنا من مجاهدي حركةِ الانقلابِ الإسلاميّ خارجَ بيتِهم، واختفَوا في الظَّلام ليصعدُوا إلى الجبال. فسألني رجالي الخمسةُ: "ماذا نفعل؟"، فأجبتُ: "حسناً، ما داموا قد جاؤُوا إلينا، فسنقاتلُهم." وحينَها كانَ العدوُّ قد حاصرَنا وأغلقَ جميعَ المخارج.



كانَ للبيتِ الذي كُنَّا فيه فناءٌ كبيرٌ مغلقٌ، مساحتُه 60 متراً ب 60متراً. أطلقَ العدوُّ النّيرانَ نحو مواقعِنا، وكأنَّه يعرفُ مواقعَنا بالضبط. فذهبتُ إلى الجزء الخلفيِّ من السِّياج، وتسلقتُه لأدخلَ في زقاقٍ ضيّقٍ عرضُه مترٌ. وناديتُ على رجالي بأن يلحقُوا بي. ونزلْنا من الزُّقاق لندخلَ في الحقولِ المفتوحة، وكنتُ من هناك أستطيعُ رؤيةَ الجنودِ السُّوفييت. أخبرتُ رجالي بأنِّي سأشكِّلُ قاعدةً

ناريَّةً لتغطيةِ عبورِهم الحقل، وبمجرَّد عبورِهم الحقل كانَ عليهم التَّوجُّهُ إلى جانب الحقلِ والتَّثبيتُ فيه. خلفَنا مباشرةً كان يوجدُ البيتُ الذي باتَ فيه عناصرُ حركةِ الانقلابِ الإسلاميّ، فكُنَّا نخشى أن يطلقُوا النَّار على ظهورِنا ظنّاً منهم بأنَّنا أعداء، ولم أعلم وقتَها بمغادرتِهم قبلنا. سلطتُ على العدو نيرانَ تغطيةٍ لعناصري لدى عبورِهم الحقل، إلا أنَّ هذا لم يمنعْهم من تلقي بعضِ النِّيران من العدو، فقمْنا جميعُنا بالرَّدِّ على مصدرِ النِّيران واستطعْنا الانسحابَ نحوَ الجبال. وحينَ بدأنا الصُّعود للجبال، اصطدمْنا بمزيدٍ من السُّوفييت المتمركزين في الجبال. ولمَّا حاولنا التَّستُّرَ خلفَ إحدى الجدران، تلقَّى أحدُ رجالي رصاصةً وقُتلِ على إثرها. كُنَّا نجهلُ المنطقة، ولذلك لم نعرف كيفَ نخرج منها. فاستغرقَ منَّا الصُّعودُ بأمانٍ إلى أعلى الجبلِ ثلاثَ ساعاتٍ.

وبعدَ أن صعدْنا التقينا بمقاتلي حركةِ الانقلابِ الإسلاميِّ الذينَ سبقُونا في الخروج. وطلبُوا منَّا استخدامَ طلقاتٍ خطّاطة لتعليم عناصر العدو ليقوموا بقصفهم بمدافع الهوان. فأطلقتُ طلقةً خطَّاطةً على باحةِ الدَّار التي كُنَّا فيها، فوجَّه عناصرُ الانقلابِ نيرانَ مدافعِ الهاون نحوَها. ومع بزوغ ضوءِ النَّهار ازدادَت فعاليَّةُ نيرانِ الهاون. وأطلقُوا ما بلغَت حصيلتُه 42 قذيفةَ هاون. ولم يشأِ السُّوفييت البقاءَ في هذا المكانِ تحتَ القصف، فولَّوا مُنسحبين. وحين انسحبَ السُّوفييت علمتُ بأنَّنا انتصرْنا وهذا تأويلُ رؤيايَ من قبلُ قد جعلَها ربي حقاً، وآنَ الأوانُ لنسيرَ إلى الأمام.

علمتُ بعدَ المعركةِ بأنَّ السُّوفييت قد قتلُوا أحدَ مجاهدي حركةِ الانقلاب، وكذلك قتلُوا امرأتين قربَ باحةِ الدَّار التي كُنَّا فيها، وأنَّ القُوَّاتِ السُّوفييتيَّةَ قدمت من جلال آباد (على بعد حوالي 20 كيلومتراً).[137] وقد جاؤُوا ليلاً على متنِ ناقلاتِ جُندٍ مدرَّعةٍ، يقودُهم دليلٌ أفغانيٌّ اسمه نادر، وهو من شيوه. ولأنَّ الحكومةَ الأفغانيَّةَ العميلة للسوفييت كانت قويَّةً وراسخةً بمؤسساتِها في المنطقة، فإنَّ ولاءَ النَّاسِ فيها كانَ منقسماً، وكانَ هناك أناسٌ مثلَ نادر يعملون ضدَّنا.

[137] كانت القوات السُّوفييتية إما من اللواء 66 للبنادق الآلية المستقلة، أو من كتيبة السبيتسناز المتمركز في جلال آباد.

التَّعليق:

على الرُّغمِ من انقسامِ الولاءاتِ عندَ سكَّانِ تلكَ المنطقة، إلا أنَّ المجاهدين كانُوا مُتراخين من النَّاحية الأمنيَّة. حيثُ لم تكن دارُ الضِّيافة التي باتَ فيها المجاهدون بيتاً خاصاً، بل داراً مفتوحَاً يستخدمُها جميعُ المجاهدين لدى مرورِهم في المنطقة. ويعلمُ جميعُ السُّكان المحلِّيون بوجودِها وبفائدتِها. حتَّى أنَّ دليلَ السُّوفييت الذي كانَ من "شيوه" التي تبعدُ عن القريةِ 15 كيلومتراً لم يواجه مشكلةً في تحديدِ مكانِ المجاهدين بدقَّةٍ وفي ظلمةِ اللَّيل. وقد قادَ السُّوفييت رتلاً من ناقلاتِ الجنودِ عبرَ مناطقَ مأهولةٍ بالسُّكان للقيامِ بالإغارة، ومع ذلك لم يوظِّفِ المجاهدون إنذاراً مبكراً، وهو ما جعلَ الحرس يتفاجأ بقدومِ العدو. والخلاصةُ أنَّ المجاهدين قد كانُوا مُتساهلين من الناحيةِ الأمنيَّة، بل إنَّهم وظَّفُوا أساليبَ تأمينِ اعتادَ السُّوفييت على التَّعاملِ معها. إلا أنَّهم في هذه الإغارة لم ينقذْهم سوى وجودِ مدفعِ هاونٍ وذخيرةٍ كافيةٍ لها.

المقالة الرابعة: مباغتة السُّوفييت في وادي نور

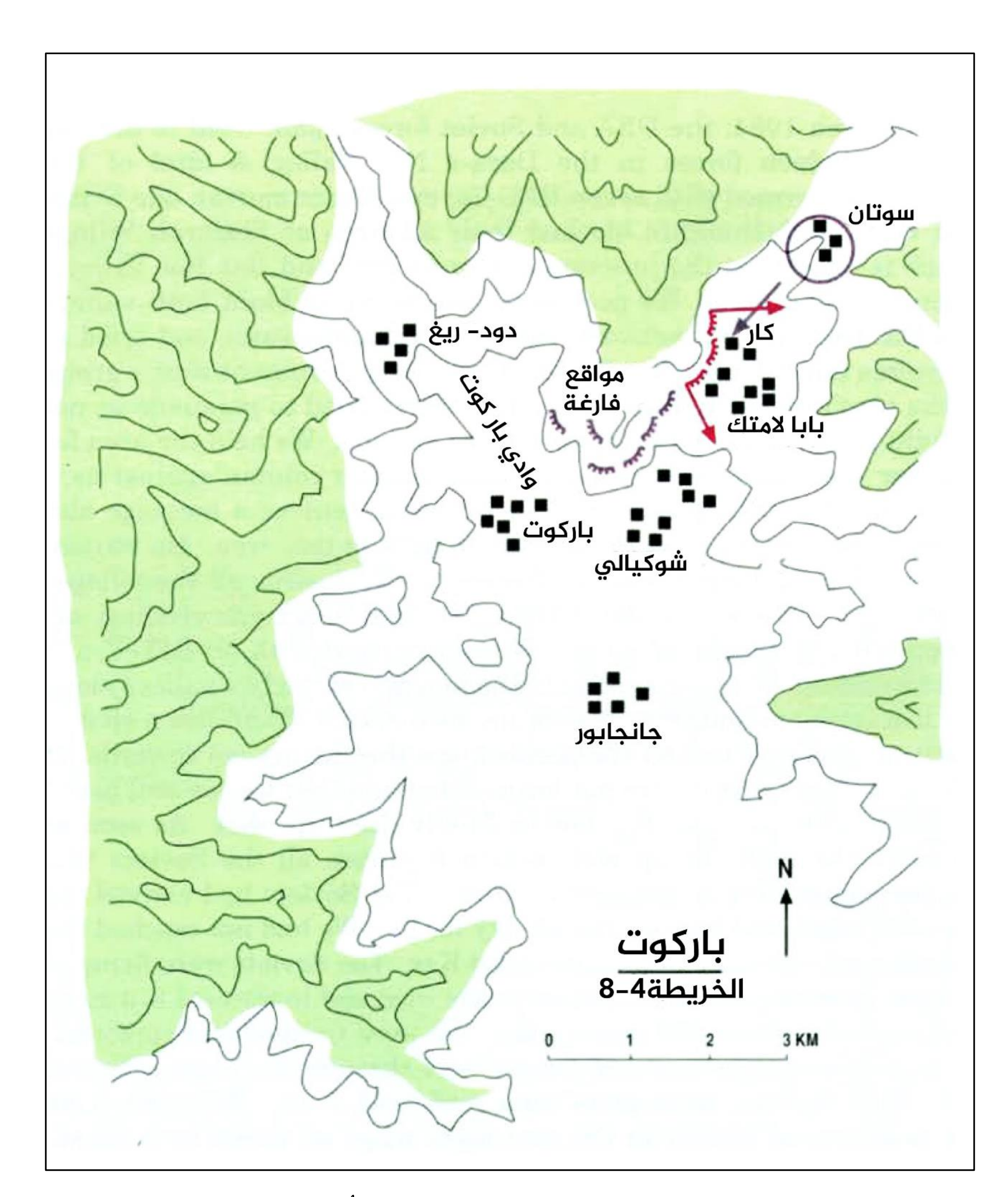
رواية الدكتور محمد صادق[138]

في مارس/آذار 1984م، حاولَتِ القُوَّاتُ السُّوفييتيَّةُ والأفغانيَّةُ مَرَّةً أخرى القضاءَ على المجاهدين في وادي نور. كانَ تعدادُ المجاهدين في الوادي يبلغُ 120 مقاتلاً مسلَّحين بسبعِ قاذفات آر بي جي- 7، ومدفعِ هاونٍ عيار 82 ملم، ومدفعِ دوشكا وعدداً من بنادقِ الكلاشنكوف، وكانُوا قد أغلقُوا الطَّريقَ أمامَ تقدُّمِ الأعداءِ في قرية "شوكيالي"، والتي تقعُ على مَلتقى الواديين نور وباركوت. (الخريطة 8-4- باركوت) وكنَّا قد وضعْنا قوَّاتِنا بحيثُ يتمُّ إغلاقُ الواديين والأرضِ المرتفعة بينَهما. حاولَ العدوُّ التغلُّبَ على دفاعاتِنا سابقاً وفشل. ثمَّ أرسلتِ الحكومةُ مجموعةً من شيوخِ المنطقة لإقناعِنا بتركِ القتال في المنطقةِ والمغادرةِ منها، إلا أنَّنا رفضْنا هذا الأمر، وتمسَّكنا بالمكانِ لسنةٍ كاملةٍ قبلَ أن يحاولَ العدوُّ مرةً أخرى إرسالَ رتلٍ آخرَ ضدَّنا.

حاولَ قائدُ الشُّرطةِ الأفغانيَّة في المنطقةِ المدعو نادر إقناعَنا عن طريقِ إرسالِ رسالةٍ طلبَ منَّا فيها التَّوقُّفَ عن القتالِ في المنطقة. وحذَّرَنا في حال عدمِ مغادرتِنا فإنَّ السُّوفييت سيدمِّرون جميعَ قرى المنطقة. نتحدَّثُ الآنَ عن إبريل 1985م، ففي السَّاعةِ 20:30 في إحدى الليالي، غادَرَت مجموعَتي قرية "سوتان"، حاملةَ قاذف آر بي جي -7 وبنادقَ كلاشنكوف، مُتوجِّهين نحوَ مُلتقى الواديين عبرَ قدمِ (أسفل) الجبل. صاحَ أحدُ رجالي:" سأطلقُ النَّارَ في الهواء لإظهارِ وجودِنا ونُعلِمَ النَّاسَ بأنَّنا لسنا بجبناءٍ، ولا نهابُ أحداً وأنَّنا ما زلنا موجودين." حاولتُ إقناعَه بالكفِّ عن هذا الأمر، لكنَّه في الأخير قامَ بإطلاقِ النَّار.

[138] كان الدكتور محمد صادق قائداً في الحزب الإسلامي التابع لحكمتيار لولاية كُنر، وقد ساهم في المقالة السابقة.

[Map sheet 3186, vie grid 4742.]



وبمجرّدِ إطلاقِ النَّار، اشتعلَ اللَّيلُ نهاراً، وذلك لرَدِّ القُوَّاتِ السُّوفييتيَّةُ الموجودةُ في المنطقةِ التي كشفنَاها للتو. لقد وصلَ السُّوفييت في اللَّيلةِ السَّابقة، وكانُوا ينتظرونَنا طوالَ النَّهار. وحين أطلقُوا علينا النِّيرانَ لم نكن قد وصلنا بعدُ لملتقى الواديين، لكنَّنا كُنَّا في مكانٍ يُدعى كار. وكان السُّوفييت يطلقونَ علينا النِّيران انطلاقاً من مواقعِهم على جبلٍ إلى الغرب، بينما في الشَّرق وادٍ ضيِّقٌ له جرفٌ صخريٌّ يبلغُ ارتفاعُه 150 مترٍ. فحُصرنا في مكانٍ ضيق، وانبطْحنا أرضاً لنختبئَ وقاتلنا طوالَ تلكَ

اللَّيلةِ وطيلةَ النَّهار التَّالي. وفي أثناءِ النَّهارِ كانت المِروحيَّات تأتي لتضربَنا. وبالكادِ استطعْنا الثَّباتَ في موقعنا، وانتظرْنا حتَّى اللَّيلةِ التَّاليةِ للهروب. ومن حسنِ حظِّنا اكتفى السُّوفييت بهذا القتالِ وانسحبُوا نهايةَ اليوم. كانت حصيلةُ خسائري مقتلُ أحد رجالي وجرحُ آخر. ولم أعلم مقدارَ الخسائرِ السُّوفييتيَّة.

التَّعليق:

كانَ المجاهدون مُقتنعينَ بمناعةِ دفاعاتِهم، وقد تسبَّبت روتينيَّاتُ الدِّفاعِ المَوقعيِّ في تبلُّدِ يقظتِهم وبطءِ استنفارِهم. بينما تمكَّن السُّوفييت مرَّةً أخرى من التَّسلُّلِ في عمقِ مناطقِ المجاهدين ومباغتَتِهم. تسبَّبَ ضعفُ انضباطِ المجاهدين بتهييجِ الكمينِ ضدَّهم، إلا أنَّه يبدو أنَّ الكمينَ قد انكشفَ قبلَ أنْ تدخلَ كاملُ قُوَّةِ المجاهدين إلى منطقةِ القتل. وهنا تجدرُ الإشارةُ إلى أنَّ قادةَ المجاهدين يَعتمدون في قيادةِ عناصرِهم على التَّوافقِ وقوَّةِ الشَّخصيَّةِ والإقناعِ الأخلاقي[139].

فشلَ المجاهدون في شغلِ مواقعِهم الدِّفاعيَّة على مدارِ السَّاعة، فاستطاعَ السُّوفييت عبورَها ومباغتةَ المجاهدين. إلا أنَّه من غيرِ الواضحِ كونُ القتالِ الذي حدث كميناً مدروساً أم محضَ صدفة، بحيثُ لو لم يَحدُثِ الاشتباك، هل كانَ السُّوفييت سينتظرونَ اللَّيلَ للتَّحركِ نحوَ "سوتان" لمهاجمةِ المُجاهدين؟

إحدى المشاكلِ التي تواجِهُها جماعةُ العصابات هي معاناةُ المدنيين من ردِّ العدوِّ وانتقامِه من أعمالِ العصابات. فالقضيَّةُ الشعبيَّةُ التي يدعمُها النَّاسُ بحماسٍ، قد تتحَوَّلُ إلى جرحٍ نازفٍ حينَ يضطرُّ المدنيون لمواجهةِ ردودِ أفعالِ المُحتلين في حربٍ ممتدَّةٍ لا يظهرُ أن نهايتَها قريبة. وفي الغالبِ يصبحُ المدنيون الباقون حِياديين، لا يريدونَ إلا أن يُترَكُوا وشأنَهم من قبلِ الطَّرفين للعيشِ بسلام. وقد خسرَ المجاهدون في هذهِ المنطقةِ قدراً هائلاً من الدَّعم المحلي، ومن ثَمَّ افتقدُوا للمعلومات الاستخباراتيَّة والإنذارِ المبكر.

[139] المركز: يُقصدَ بالإقناع الأخلاقي هي محاولةُ إقناع طرف معينٍ بفعلٍ سلوكٍ ما أو تغييره من منطلقٍ أخلاقي.

التَّعليق على الفصل

عادةً ما كانَ الجانبُ الأمنيُّ المحليُّ للمجاهدين مُتراخٍ، وذلكَ في المناطقِ التي يسيطرونَ عليها أو التي لم تتجوَّل فيها القُوَّاتُ السُّوفييتيَّةُ والأفغانيَّةُ منذ فترةٍ. بل إنَّ هذا التراخي قد وصلَ أيضاً إلى المناطقِ المجاورة للحاميات السُّوفييتيَّةُ والأفغانية. وفي الغالب، استطاعَ مخبري الخاد[140] والمُتسلِّلون منهم إيصالَ معلوماتٍ آنيةٍ ساعدَت على إنجاحِ إغاراتِ العدو. وكثيراً ما فشلَ المجاهدون في نشرِ حرسٍ على مسافةٍ كافيةٍ من القُوَّةِ الرَّئيسيَّةِ بغرضِ الإنذارِ المبكرِ. بدلاً من ذلك، اعتمدَ المجاهدون على السُّكانِ المحليين في هذا الأمر. لذا، في المناطقِ التي هربَ منها السُّكان أو سَئِمُوا من الحرب، كانَ المجاهدون أشبهَ بالعميان. بالإضافةِ لذلك، فالطبيعةُ الفصائليَّةُ في الجهادِ الأفغانيِّ منعَت من إيصالِ المعلوماتِ فوراً لجميعِ عناصرِ المجاهدين في المنطقة.

في غالبِ الأحيان، فشلَ المجاهدون في وضعِ خططِ التَّصدي للإغارات، وفي تشكيلِ قوَّةِ ردٍّ جاهزة، وتحديدِ طُرُق الهروبِ ومناطقِ التَّجمُّع، ومراجعةِ دفاعاتِهم. فكانَ للإغارات السُّوفييتيَّةِ والأفغانيَّةِ فرصةٌ كبيرةٌ في النَّجاحِ ضدَّ المجاهدين غيرِ الجاهزين. ويكمنُ السِّرُّ في هذا النَّجاح أنَّ السوفييت كانُوا ينسحبونَ بعدَ الإغارة قبلَ أن يستطيعَ المجاهدون التَّعافي من أثرِها والانطلاقَ في مُطاردةِ العدو.

---

[140] هي الشرطة السرية للحكومة الأفغانية العميلة المسؤولة عن كشف المعارضة السياسية المحلية وإبادتها والقيام بعمليات تخريب ضد المجاهدين واختراق مواقعهم وتوفير المعلومات الاستخباراتية العسكرية إلى الجيش الأفغاني. أنشئ الجهاز على نمط الـ KBG والـ GRU، ومن المحتمل بأنَّه كانَ يرفع التقارير إلى الـ KGB.

الفصل التاسع: مواجهة الإنزالات المِروحيَّة

غالباً ما كانَ تأثيرُ التّقنيَّات السُّوفييتية على المجاهدين لا يُذكَر. فعلى أرضِ الواقع، لم تتغيَّر تكتيكاتُ المجاهدين من زمنِ مقاومةِ الاحتلالِ البريطانيّ في القرنِ التَّاسع عَشَرَ وأوَّلِ القرنِ العشرين، بل بقيت محافظةً على فعَّاليتِها. وصحيحٌ أنَّ سلاحَ الجوِّ السُّوفييتي عالي الأداء قد مثَّلَ تهديداً مباشراً للمدنيين، إلا أنَّ المجاهدين عرفُوا كيفيَّةَ تجنُّبه أو تضليلِه. مع ذلك، كانَ يُستَثنى من هذا التَّفوق: المِروحيَّاتُ الهجوميَّة ومِروحيَّات النَّقلِ وطائراتُ السوخوي-25 للإسنادِ الجوي القريب. فهذهِ الأنظمةُ القوِّيةُ كانت مصدرَ قلقٍ كبيرٍ وخوفٍ بالنِّسبةِ للمجاهدين.



كانت مِروحيَّاتِ النَّقلِ تُنزلُ مجموعاتِ الإغارةِ في عُمقِ مناطقِ المجاهدين، بينما هاجمَتِ المِروحيَّاتُ الهجوميَّةُ وطائراتُ الإسنادِ القريب أيَّ تهديدٍ على هذه المجموعات. وطوالَ الحربِ عانى المجاهدون خلالَ عمليَّاتِ التَّصدي للإنزالاتِ المِروحيَّة، ولكنَّهم تعلَّموا مع الوقتِ كيفيَّةَ التَّخطيطِ والتَّدريبِ ونصبَ الكمائنِ الدِّفاعيَّةِ ضدَّ هذا التَّهديد.



المقالة الأولى: مجموعةُ إغارةٍ سوفييتية محمولةٌ عبر المروحيات تحقّقُ المباغتةَ

رواية الدكتور "عبد القدوس الكوزاي" والقائد "الحاج صديق الله"[141]

في أواسطِ الثَّمانينات، كثَّفَ المجاهدون المتمركزونَ في مديريَّةِ "إلينغار" ولاية "لغمان" من الهجماتِ على الأرتالِ السُّوفييتيَّةِ والأفغانيَّةِ السَّائرةِ بينَ إلينغار وعاصمةِ الولاية "مهتار لام". وقد تضمَّنت هذهِ العمليَّاتُ إزعاجَ أرتالِ الإمدادِ وغلقَ الطُّرقات وشنَّ الغاراتِ على النِّقاطِ الأمنيَّةِ التي كانت تحمي المُنشآتِ الحكوميَّة. وكانت تنفَّذُ الهجماتُ من قِبَلِ مجموعاتِ المقاومة المحلية التي تراوحَ حجمُها بين 30 و70 مقاتلاً، وينتمي معظمُهما إلى الحزبِ الإسلاميِّ بقيادةِ حكمتيار.

في أوقاتِ الفراغِ بينَ العمليات، كانَ قادةُ المجاهدين يقومونَ ببعثرةِ جنودِهم وأسلحتِهم ومعدَّاتِهم عبرَ القُرى والمخابئِ وأحياناً دفنِها، رُغمَ أنَّه كانَ من النَّادرِ أن يمرَّ يومٌ من دونِ قتالٍ يبدؤُه المجاهدون أو القُوَّاتُ الأفغانيَّة العميلة. ولمواجهةِ هذه الإجراءات، قامَت القُوَّاتُ السُّوفييتيَّةُ والأفغانيَّةُ بالإغارةِ على القواعدِ المُشتبهِ بها أو منازلِ قياداتِ المجاهدين في المنطقة (سواء كانت مقرَّات أو أماكنَ إقامةٍ دائمةٍ). معظمُ هذه الإغاراتِ كانت تنفِّذُها في البدايةِ قُوَّاتٌ بريَّةٌ. ولكن بعدَ عام 1984م، تغيَّرَ الحال، حيثُ أصبحَتِ القُوَّاتُ الخاصَّةُ السُّوفييتيَّةُ هي التي تنفِّذُ الإغاراتِ على أهدافِها في المنطقةِ عبرَ المِروحيَّات. وقد كانَ عملُهم في "بديع آباد" الذي سيرِدُ ذكرُه هنا يعدُّ من إحدى هذهِ الإغارات.

---

[141] كان الحاج صديق الله القائد العسكري للحزب الإسلامي (بقيادة حكمتيار) في ولاية لغمان. وقد انضم لحكمتيار في القتال ضدَّ داوود قبل الثورة الشيوعية. غير أنه لم تكن له معرفةٌ عسكريةٌ سابقةٌ. أما عبد القدوس، فقد كان قائداً تحت قيادة صديق الله. وعمل كطبي المجموعة لكونه تلقَّى تدريباً طبياً في باكستان.

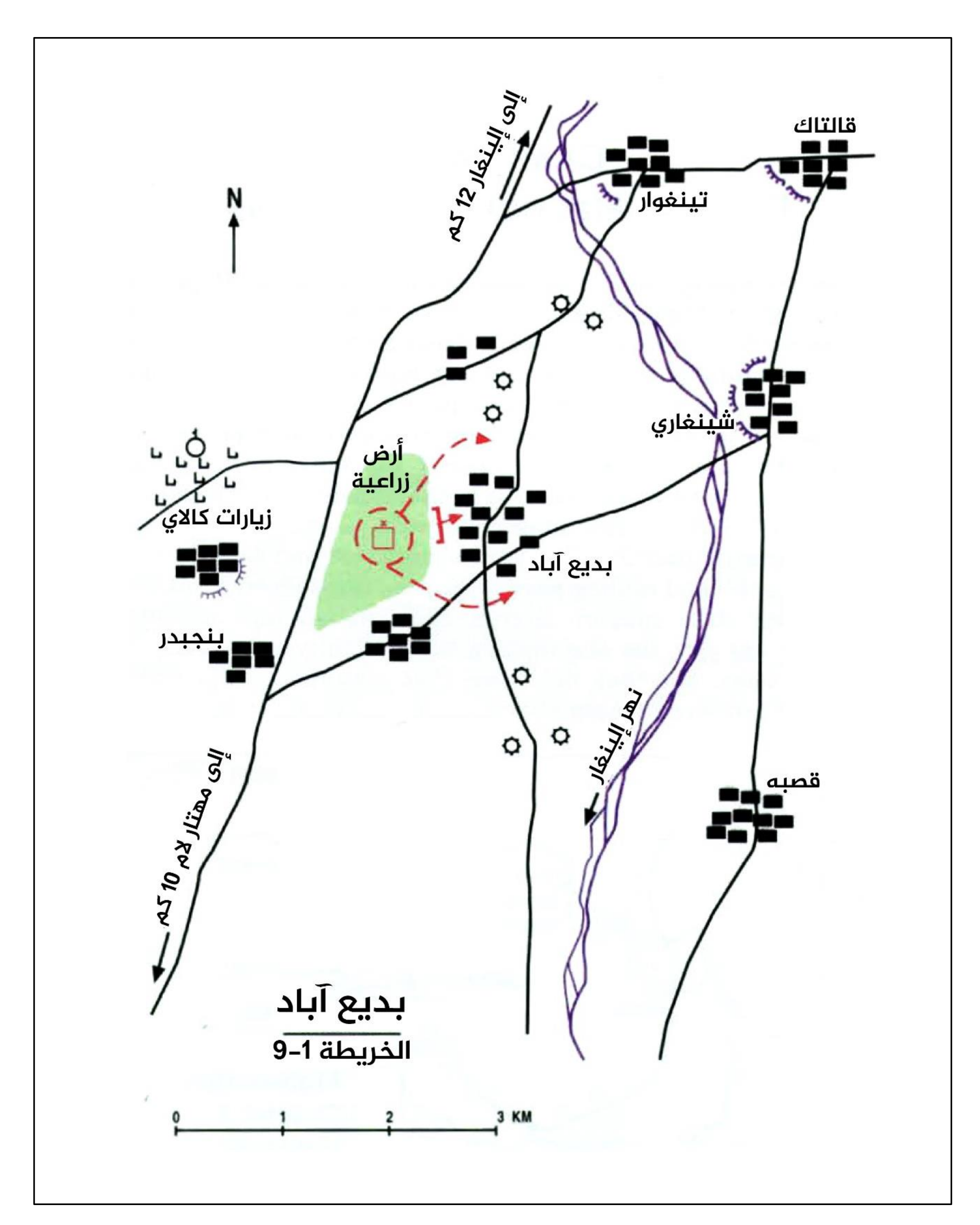
Map sheet,3086, vic grid 1745



قوات العمليات الخاصة السوفيتية تحضر لعملية في أفغانستان، 1988، بعدسة ميخائيل إيسفافيف

في صيفِ 1985م، في قريةِ بديع آباد، أغارَت مفرزةٌ سوفييتيَّةٌ منقولةٌ عبرَ المِروحيَّات على منزلِ المدعو "معمور غلام جيلاني" أحدِ قادةِ المجاهدين المحليين. تقعُ هذه القريةُ على بُعدِ 15 كيلومتراً شمالَ شرقَ مهتار لام على الطَّريقِ الرَّئيسيِّ الواصلِ بينَ عاصمةِ الولايةِ وبينَ مديريَّة إلينغار (الخريطة 9-1-بديع آباد). كانَ جيلاني يقودُ مجموعةً من المجاهدين قِوامُها 150 رجلا، مُتمركزين في بديع آباد وما حولَها، ومُسلَّحين ببنادقَ آليَّةٍ وقاذفاتِ آر بي جي – 7 وبعددٍ من قطعِ الأسلحةِ الثَّقيلةِ والمدافعِ الرَّشَّاشة الخفيفة.

بدأ السُّوفييت الإغارةَ السَّاعة 09:00 بعدَّة انقضاضاتٍ ناريَّةٍ بزوجٍ من المِروحيَّات الهجوميَّة. ومشَّط وابلُ الصَّواريخ والطَّلقاتِ القريةَ، مانعاً خروجَ سُكانِها إلى التِّلالِ المُجاورة، وهو ما اعتادَ عليه الأفغان، حيثُ كانُوا يُخرجونَ النساءَ والأطفالَ من القرى قبلَ أن تهجمَ القُوَّاتُ البرِّيَّةُ بعدَ القصفِ الجوي. لسوء حظِّ السُّوفييت، فقد كانَ جيلاني على بعدِ قريتين من منزلِه وقتَها، في قريةِ "مرزه قلعة" على بعدِ أقلَّ من كيلومترٍ واحدٍ شرقاً. وكانَ ابنهُ البالغُ من العمر 14 عاماً وحدَه في المنزل. وقد تعرَّضَ الشابُّ لإصابةٍ جرَّاءَ الإغارة، إلا أنَّه استطاعَ الهروب.



استمرَّ التمهيدُ الجويُّ لـ 30 دقيقةً من دونِ ردٍّ فعلٍ من المجاهدين أو ردٍّ ناري. ثمَّ هبطَت أربعُ مروحيَّات نقلٍ في حقولِ الذُّرةِ على بُعد 200-300 متر غربَ منزلِ القائد. وكانت سيقانُ الذُّرة ترتفعُ حوالي 20-30 سم في ذلك الوقت. ونزلَ من المِروحيَّات 40 مغواراً (كوماندوز)، فانقسمُوا فوراً إلى ثلاثِ مجموعاتٍ. قامَت مجموعتان (كُلٌّ منهما من عَشَرة جنود) بتأمينِ الجهةِ الشَّماليَّةِ

والجنوبيَّة من القرية، فيما اقتحمَ 20 جندياً عبرَ القريةِ نحو البيتِ فوجدُوه فارغاً. وصادرَ (أو بالأحرى سرق) الجنودُ الأموالَ وكلَّ المقتنياتِ الثَّمينة في المنزل، ثمَّ قامُوا بتدميرِ ما لم يستطيعوا حملَه. لقد فتَّشُوا في عدَّةَ منازلٍ مجاورة ولم يجدُوا إلا الأطفالَ والنساء. إلا أنَّهم اعتقلُوا مجاهدَيْن غيرَ مسلَّحَيْن كانا قد دَفَنا الأسلحةَ تحتَ الأرض، ثمَّ أطلقوهُما فيما بعد.

أثناءَ ذلك، تحرَّكتْ مجموعاتُ المجاهدين من القُرى المجاورة إلى بديع آباد لمواجهةِ السُّوفييت، إلا أنَّهم وصلُوا بعدَ فواتِ الأوانِ وانسحابِ المغاوير السُّوفييت. ولم تواجهِ المفرزةُ السُّوفييتيَّةُ أيَّةَ مقاومةٍ، لأنَّها طارَت بعيداً عبرَ المِروحيَّات التي جاءَت فيها. واستمرَّ العملُ بكاملهِ مُدَّة ساعة.



التَّعليق:

بالنِّسبةِ للمعلوماتِ الاستخباراتيَّةِ التي وصلت للسُّوفييت عن منزلِ القائدِ فقد كانت دقيقةً، ممَّا قد يدلُّ على وجودِ مُخبرٍ في المنطقة. مع ذلك، فقد كانت تعوزُهم معلوماتٌ آنيَّةٌ تشيرُ إلى أوقاتِ وجودِ القائد في منزلِه. وهذا يدلُّ على اعتمادِ السُّوفييت على مُخبرٍ واحدٍ، وكانَ عليهم توجيهُ مخبرينَ آخرين لتكميلِ تقاريرِ ذلك المخبر. وهذا الخطأُ من عدمِ دقَّةِ المعلوماتِ والافتقادِ إلى المعلوماتِ الآنيَّةِ هو الذي تسبَّبَ بفشلِ العمل. من ناحيةٍ أخرى، افتقدَ المجاهدون لنظامِ الإنذارِ المبكِّر، ولم يطوِّرُوا ويراجعُوا خطَّةً أو تدريباتٍ لمواجهةِ الإنزالِ المروحيِّ السُّوفييتي. وهذا الأمرُ قد أنقذَ القُوَّاتِ السُّوفييتيَّةَ من مجَزرةٍ مُمكنةٍ. إنَّ الافتقارَ لخطةِ تأمينٍ للقريةِ وبطءِ ردِّ المجاهدين ضَيَّع عليهم فرصةً ثمينةً لإيقاعِ خسائرَ جسيمةٍ في مَفرزةِ الإغارة. والجديرُ بالذكر، أنَّ الخطةَ الأمنيَّةَ الناجحةَ يجبُ أن تركِّزَ على تدميرِ مروحيَّاتِ النَّقل أولاً، ثمَّ على تجزئةِ وتصفيةِ عناصرِ مجموعةِ الإغارة.

يذكُرُ أحدُ شهودِ العيان بأنَّ جيلاني كانَ قد تركَ قاذف آر بي جي -7 في منزله. وحينَ بدأت المِروحيَّاتُ الهجوميَّةُ السُّوفيتيَّةُ بتمشيطِ القرية، طلبَ متطوعاً يسترجعُ له هذا السلاح، مقابلَ مكافأةٍ قدرُها 40000 أفغاني[142] (ما يُقدَّر ب 100 دولار). فتطوَّعَ ابنُ أخيه إسماعيل البالغُ من العمر 17، ووصلَ إلى المنزلِ المحاصر، فأخذَ السِّلاحَ، ثم هربَ قبلَ اقتحامِ الأعداءِ بدقائق.

كانَ من المُمكنِ لجيلاني أن يستخدمَ هذا السِّلاح في إسقاطِ مِروحيَّاتِ العدو، بدل الاكتفاءِ باسترداده. فالمجاهدونَ الذينَ توجَّهُوا للقرية من أمثال إسماعيل لم يفتقدُوا للشجاعة. وفي هذه الحالةِ أظهرُوا شجاعةً باسلةً، إلا أنَّهم افتقدُوا لروحِ العملِ الجماعيِّ التكتيكي والمبادرةِ والتَّماسك.

بعد شهرٍ واحدٍ من هذا العملِ، جاءَت فرصةٌ جديدةٌ للمجاهدين لقلبِ الطَّاولةِ هذه المرة، للتَّعاملِ مع إغارةٍ مُشابهةٍ على بُعدِ أربعةِ كيلومتراتٍ شمالَ بديع آباد. وهذا موضوعُ مقالِنا القادم.

[142] عملة أفغانستان المحلية اسمها أفغاني.

المقالة الثانية: إغارة سوفييتية على "كاندا"

رواية الدكتور "عبد القدوس الكوزاي" والقائد الحاج صديق الله[143]

في يوليو/تموز 1985، بعد شهرٍ من إغارة السوفييت على قاعدة المجاهدين في قرية بديع آباد، حاول السّوفييت تنفيذ إغارةٍ جديدةٍ مشابهةٍ للسابقة ضدّ قاعدة المقاومة التي تحت قيادة الدكتور الكوزاي، والواقعة في "كاندا واراجاي". وتقع كاندا واراجاي (تُعرَف عادةً بكاندا) على الطّريق الرّئيسي بين عاصمة الولاية مهتار لام ومركز مديرية إلينغار في ولاية لغمان. وتبعد جنوب مديرية إلينغار بمسافة حوالي ثماني كيلومترات.

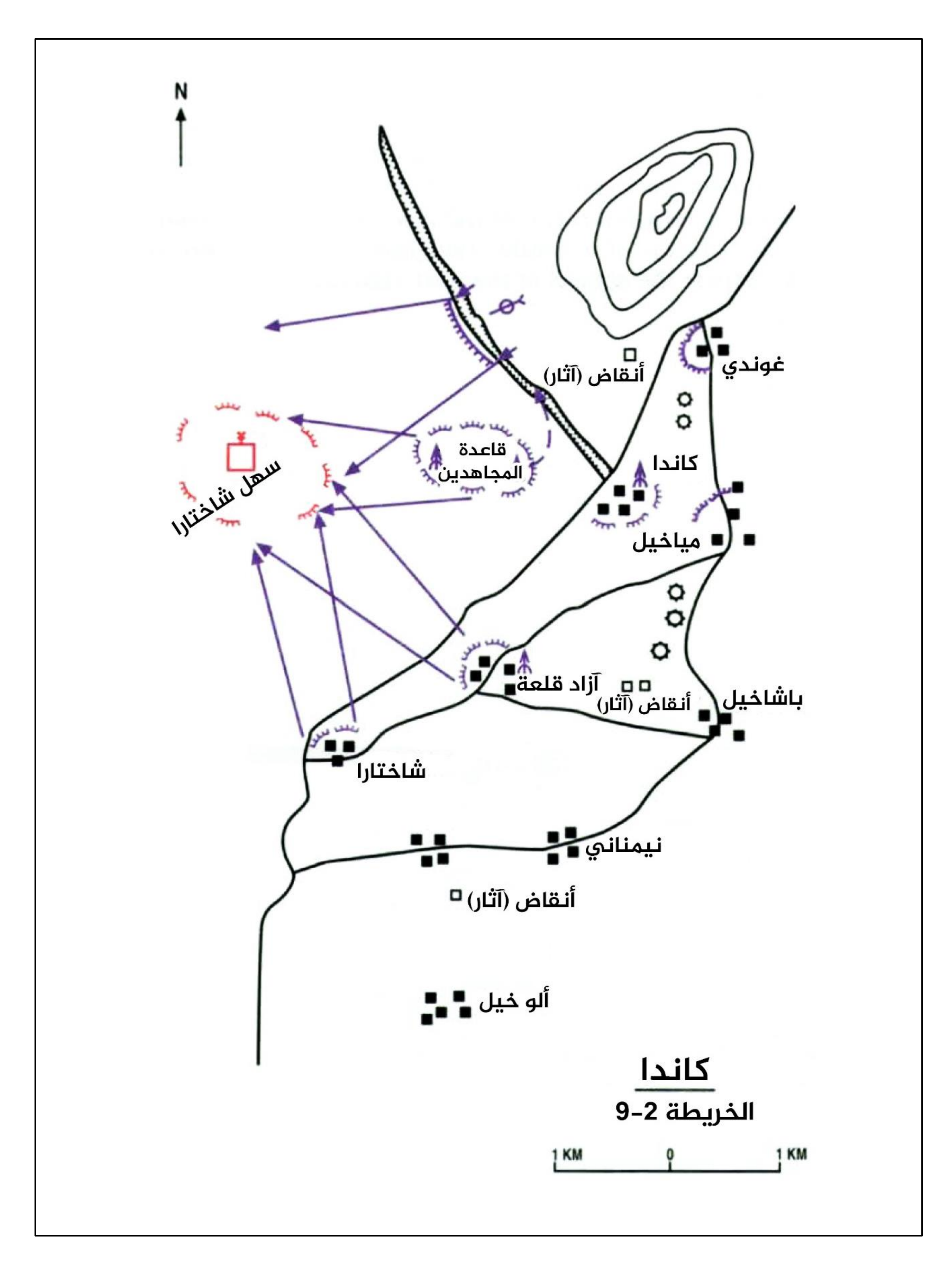
أنشأت قاعدتي خارج القرية مباشرةً غرب الطريق الرئيسي، ونقلتُ إليها جميع أسلحة الطواقم التي كانت موجودة في بيتي، <وذلك لأنني علمت أن> السّوفييت في تلك الفترة قد بدؤوا بشنّ إغاراتٍ على المنازل المعروفة الخاصة بقادة المجاهدين. وكانت قاعدتي واقعةً بين آثارٍ (أنقاضٍ) قرب قناة تصريفٍ متقطّعة، ومحميةً بنقاطٍ أمنيةٍ وأسلحة طواقم.

في إحدى أيام يوليو/تموز 1985، طارت ست مروحياتٍ سوفييتيةٍ نحو منطقتنا، وقامت أربع مروحيات هجومية منها بإطلاق النيران نحو محيط منزلي. بدا وقتها بأنّ العدو يحاول إنزال جنوده لشنّ إغارةٍ على منزلي. فردّ المجاهدون في قاعدتي برمي النيران من الأسلحة الرشاشة على مروحيات العدو، فأجبروها على الهبوط على مسافةٍ بعيدة من القرية <غربها>. ولمّا هبطت على بعد حوالي ثلاث كيلومترات عن كاندا على سهل شاختارا، حمل ستة مجاهدين مدفعاً عديم الارتداد من عيار 82 ملم صيني المنشأ، واتجهوا به نحو خندقٍ طبيعيٍ يمتد من كاندا إلى جبل "برانغ" الواقع غرباً (الخريطة 9-20 كاندا).

---

[143] الحاج صديق الله والدكتور عبد القدوس هم رواة المقالة السابقة.

[Map sheet 3086, vie grid 1948]



نزل الجنود السّوفييت من مروحياتهم إلى أرضٍ مفتوحةٍ (مكشوفة) قرب قطيع من الأغنام، وقاموا فوراً بقتل راعي تلك الأغنام. وحاولوا التّقدم نحو كاندا بتغطيةٍ من نيران مروحياتهم الهجومية، إلا أن كثافة نيران المجاهدين ثبتتهم في أرضهم. ومع استمرار القتال، هرع المزيد من المجاهدين للمشاركة

فيه، مما أجبر السّوفييت على الهروب لائذين بالفرار على متن المروحيات. وهو ما عَنى أن الإغارة السّوفييتية قد فشلت تماماً.

التَّعليق:

إنَّ سرعةَ ردِّ المجاهدين على هجومِ العدو قد أنقذَ الموقف. فقد تعلَّمَ المجاهدون بأنَّ اقتحاماً جويَّاً معادياً في منطقةٍ تسيطرُ عليها العصابات لا يملكُ إلا فرصةَ نجاحٍ قليلةٍ عندما يجابَهُ بنيرانٍ مُنسَّقةٍ من عِدَّة اتجاهات. وقد قامَ الدكتور الكوزاي بوضع خطَّةِ التَّصدي لمثلِ هذه الاقتحامات، كما قامَ بوضع الأسلحةِ المناسبة للتَّعامل مع هكذا هجوم.

وعلى الجانبِ الآخر، فقد دفعَ السُّوفييت ثمناً باهظاً لمحاولتِهم إنزالَ وحداتٍ صغيرةٍ في منطقةٍ مُسيطرٍ عليها تماماً من قِبَلِ المقاومة. كانَ من المُمكنِ لمثلِ هذا الهجومِ أن ينجحَ لو أنَّ المجاهدين أُخِذُوا على حينِ غرةٍ أو كانُوا غيرَ قادرينَ على الرَّدِّ السَّريع. وكانَ يجدرُ بقائدِ السُّوفييت أن تقنعَه كثافةُ النّيرانِ منذُ البدايةِ على إلغاءِ المهمة. إلا أنَّه اتَّكلَ على نيرانِ المِروحيَّات الهجوميَّةِ لتنفيذِ المهمة، فأُجبِر بعدَها على الانسحابِ من منطقةِ الإنزالِ السَّاخنة. ومن حسنِ حظّه، أنَّه لم تسقطْ إحدى مروحيَّاته المخصَّصة للنقل، خاصةً وأنَّ منطقةَ هبوطِها كانت قريبةً جداً من الهدف.

يبدو أنَّ المعلوماتِ الاستخباراتيَّةَ السُّوفييتيَّةَ عن الهدف كانت كافيةً، إلا أنَّها كانت منقوصةً فيما يخصُّ قوَّةَ العصابات ومواقعَهم. ولو أنَّ السُّوفييت أنزلُوا قُوَّةً لتأمين مرتفعٍ كاشفٍ على كاندا قبلَ إنزالِ قُوَّتِهم الرَّئيسية، لاستطاعُوا إسكاتَ أسلحةِ طواقمِ المجاهدين، ومن ثمَّ إنجازَ الإغارة.

المقالة الثالثة: اقتحامٌ جويٌ على معقل "مارو"

رواية "توريالاي همة"[144]

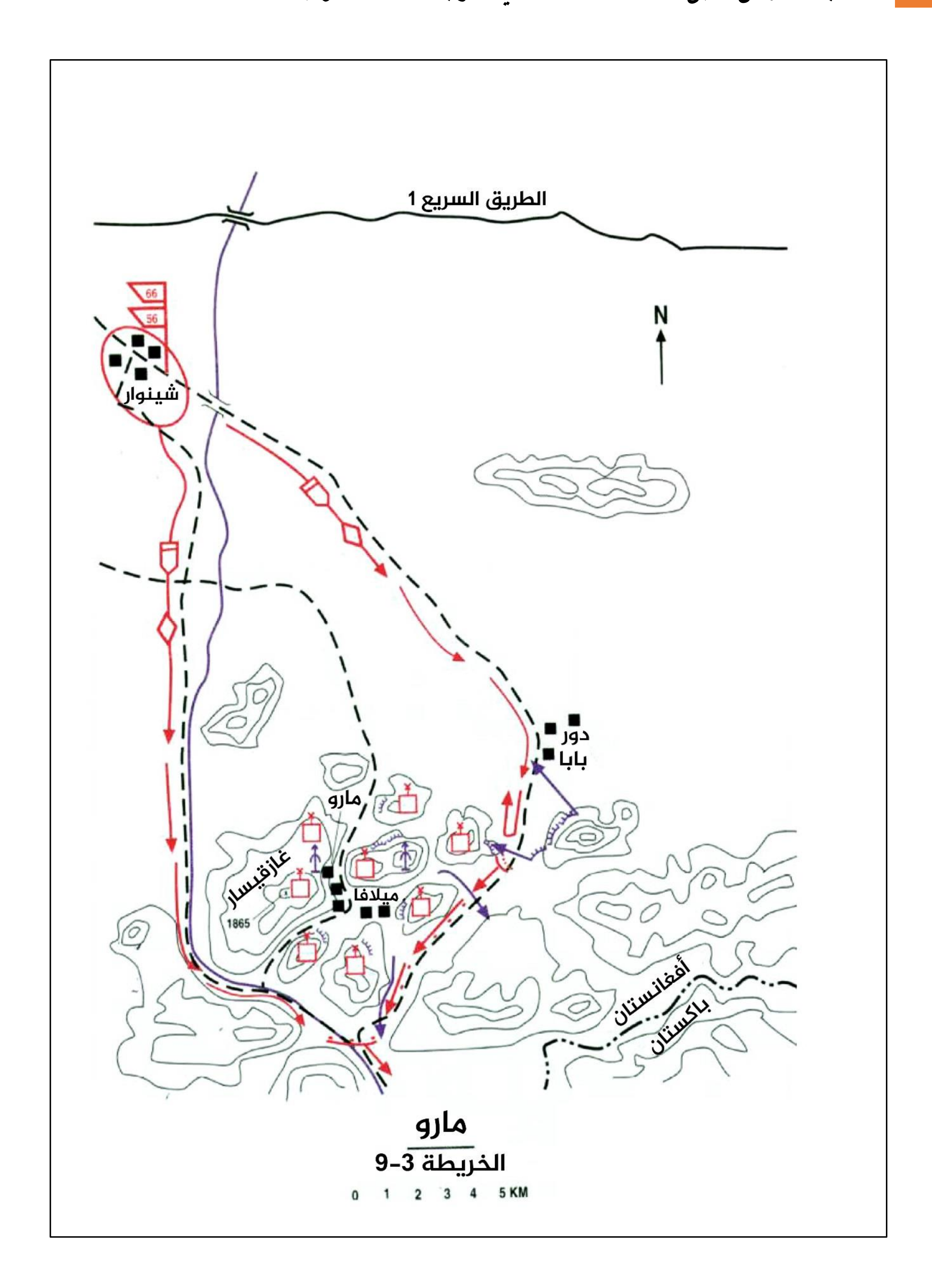
في أبريل 1987م، شنَّتِ القُوَّاتُ السُّوفييتيَّةُ والأفغانيَّةُ عمليَّةً مشتركةً على معقلِ المجاهدين في مديريَّة "شينوار" ولاية ننغرهار قربَ وادي "نازيان". وقد كانَ يقطنُ هذا الوادي عددٌ كبيرٌ من السُّكان، على الرُّغمِ من نزوح الكثيرينَ منه إلى باكستان للهروبِ من القصفِ السُّوفييتي. كانَ العدوُّ يستهدفُ معقلَ المجاهدين في "مارو" على بعدِ 70 كيلومتراً جنوبَ شرقَ جلال آباد قربَ الحدودِ الباكستانية. كانت توجدُ عِدَّة مجموعاتٍ للمجاهدين من مختلفِ الفصائلِ في محيطِ مارو، بحيثُ بلغَ تعدادُ المجاهدين الموجودين في هذهِ المنطقة التي كانت تمثِّلُ معقلَهم، حوالي 500 مقاتلاً مسلَّحين جيداً. وهذا ما جعلَ السُّوفييت يطلقونَ عليها منطقةَ "ميلافا" المحصَّنة.[145]

طوال 18 يوماً قبلَ الهجوم، قصفَ السُّوفييت المنطقةَ بسلاحِ الطَّيران. وبعدها انطلقَ رتلٌ سوفييتيٌّ وأفغانيٌّ ميكانيكيٌّ شرقاً من جلال آباد، وبعدَ وصولِه إلى بلدةِ شينوار انقسمُوا إلى رتلين (خريطة 9-3- مارو). فمضى رتلٌ عبرَ شينوار صُعوداً من وادي "نازيان". بينما توجَّهَ الرَّتلُ الثَّاني شرقاً إلى منطقة "دور بابا" ليهاجمَ باتِّجاهِ الجنوبِ الغربي.

---

[144] كان توريالاي همة قائد الفوج المتنقل، ويتبع الاتحاد الإسلامي في أفغانستان تحت قيادة سياف. وقد قاتل في العديد من الولايات الأفغانية. [Map sheet 3185, vie grid 8892]

[145] توجد الرواية السُّوفييتية لهذا العمل في المقالة 26 من كتاب عبور الدب للجبل. وقد أخطأت الرواية السوفييتية عندما ذكرت أن العمل قد حدث شمال شرق جلال آباد، وقد اكتشف "ليستر غراو" بأن هذا الخطأ قد حدث نتيجة تشابهٍ في الأسماء وبعض الغموض في النَّص.



مارو
الخريطة 3-9

قامَ القائدُ "سازنوار" ورجالُه بالدِّفاعِ عن مقترب دور بابا. بينما قمْتُ أنا والقائدُ خالد معَ عَشَرَةِ مجاهدين بالدِّفاع عن "غازقيسار" التي كانت أعلى نقطةٍ حاكمةٍ على "مارو". شنَّ العدوُّ قصفاً جويّاً كثيفاً على موقعِنا، ثمَّ جاءَت المِروحيَّات السُّوفييتيَّةُ لتنزلَ قُوَّاتِ اقتحامٍ جويٍّ بينَ المِحورين.[146]

استغرقَ نقلُ القُوَّاتِ 40-50 طلعةً مروحيَّةً. وكانت إحدى مناطقِ الهبوط أمامَنا مباشرةً. فنشبَ قتالٌ حامٍ، وقُتلِ تسعةٌ من مجموعتي جرَّاءَ القصفِ والقتالِ مع قُوَّةِ الاقتحامِ الجوي. ولم ينجُ من المجموعةِ إلا أنا وخالدٌ وعبد الوكيل. استطاعَ المجاهدون (تحت قيادة سازنوار) إيقافَ الرَّتلِ القادمِ من دور بابا، إلا أنَّ الرَّتلَ القادمَ من وادي نازيان تقدَّمَ بسرعةٍ واستولى على مارو. عَلَقتُ وما تبقَّى من مجموعتي بين منطقتيْ هبوطٍ للأعداء. فتملَّصْنا هاربين خارجَ المنطقة، فعبَرنا الحدودَ إلى باكستان، ومشيْنا إلى أنْ وصَلنا إلى قريةِ "بازار" القريبة.

حينَ استولى العدوُّ على مارو، هربَ الكثيرُ من المجاهدين عبرَ الحدودِ وتجمَّعُوا في بازار (ضمنَ مديريَّة تيراه في باكستان). ووصلَت تعزيزاتٌ من الحزبِ الإسلاميِّ (التابع لحكمتيار) والاتِّحادِ الإسلامي في أفغانستان. وقدم أيضاً متطوِّعون من المجاهدين العربِ مع الطلبةِ (طالبان) من المدارسِ الدِّينيَّة. وبعدَ التَّجمع، بدأنا بشنِّ هجومٍ مُضادٍ. لقد كانَ القتالُ لاستردادِ قواعدنا في منتهى الضَّراوة، حتَّى أنَّه تضمَّنَ عدَّةَ اشتباكاتٍ قريبة. وأنا شخصيَّاً كنتُ قريباً جداً من الرُّوس أثناءَ القتال، وما زلتُ أتذكَّر وجوهَهُم ليومنا هذا.

في العادة لم يكنِ السُّوفييت يتركونَ جنودَهم، إلا أنَّنا هذه المرَّةَ أحصينا 75 جنديَّاً سوفييتيَّاً قتيلاً. وعلمتُ فقط من خسائرِنا 72 مجاهداً بين قتيلٍ وجريحٍ، وهذا الرَّقمُ ليس بمجملِ الخسائر. ثبَتَ

---

[146] كانت هناك كتيبتان من اللواء 56 للاقتحام الجوي متمركزتان في غرديز. وتحركت الكتيبتان نحو جلال آباد، ثم إلى شينوار. وأعدوا للاقتحام الجوي من مطارٍ في شينوار. ويبقى الأمر غامضاً، لِمَ لَمْ يطيروا من مطار جلال آباد، ويعدّوا للاقتحام الجوي منها. بينما كانت القوات البرية على الأرجح من اللواء 66 للبنادق الآلية المستقلة والفرقة 11 مشاة الأفغانية.

السُّوفييت في مارو لثلاثةِ أيامٍ فقط، دمَّرُوا فيها وأحرقُوا ما تطالُه أيديهم، وبعدها لغَّمُوا المكان قبلَ الانسحابِ منه.

التَّعليق:

كانت الاقتحاماتُ الجويَّةُ السُّوفييتيَّةُ على قُوَّاتِ المجاهدين في الجبالِ تستغرقُ عادةً يوماً إلى ثلاثةِ أيَّامٍ. وكما في هذا المثال، فضَّلَ السُّوفييت استخدامَ قُوَّاتٍ برِّيَّةٍ تتَّصلُ بقوَّاتِ الاقتحامِ الجوي. كانُوا يحاولونَ السَّيطرةَ على المنطقة، ثمَّ تدميرَ كلِّ ما يقدرون على تدميرِه من القاعدة، ثمَّ تشريكَ المكان بالألغام، ثمَّ الانسحابَ من المنطقة. وكانُوا يحاولون تجنُّبَ الانحصارَ بينَ الجبالِ وقتالِ المجاهدين في منطقتِهم. ومثلما حدَثَ في عمليتي "زَور" و"الحزم" انحازَ المجاهدون في البِداية، وأعادُوا تنظيمَ أنفسِهم واستقدمُوا تعزيزاتٍ، ثم ردُّوا بالهجومِ على العدو. وساعدَهم على ذلكَ قربُ قاعدتِهم من باكستان. كانَ التَّخطيطُ والتَّنفيذُ السُّوفييتي حسناً لهذا العمل. لكن على ما يبدو فقد تأخَّرُوا في انسحابِهم، ممَّا اضطرَّهم إلى تنفيذِ انسحابٍ قتاليٍّ على عجل.

بالنِّسبة للمجاهدين، فقد كانَ توزيعُ قُوَّاتِهم على المحورين غيرَ متوازن، ومنعَهمُ الاقتحامُ الجويُّ من استخدامِ الاحتياطيِّ لتعزيزِ المِحورِ المُهدَّد. ويعودُ جزءٌ من سوءِ توزيعِ القُوَّاتِ إلى أنَّ توزيعَ المهام على القُوَّاتِ كانَ منطلقاً من التَّقسيمِ الفصائليِّ وليس من تقسيمِ القوَّة (عدد الرجال)، فكانت توجدُ في المنطقةِ عدَّةُ فصائلَ مختلفةٍ وبأعدادٍ مختلفة.

التَّعليق على الفصل

في بداياتِ الحرب، كانت الاقتحاماتُ الجويَّةُ السُّوفييتيَّةُ نجولةً وغيرَ مدروسة. لكن فيما بعد اكتسبَ السُّوفييت المزيدَ من الثِّقة بمفهومِ الاقتحامِ الجوي، وضربُوا بهذا الأسلوبِ أعمقَ فأعمق داخلَ مناطقِ المجاهدين، وبعنفٍ أكثرَ مع مرورِ الوقت. وكانت قُوَّاتُ الكمائنِ السُّوفيتيَّةُ تُنقَلُ عبرَ المِروحيَّات، ويتم نقلُ القُوَّاتِ التي ستقومُ بتنفيذِ الإغارة بالعمقِ إلى قواعدِ إمداد المجاهدين ومناطقِ انطلاقِهم، كما يتمُّ استخدامُهم لضربِ معاقلِ المجاهدين كما حدثَ في "مارو". وإذا طُلِبَ منهم البقاءُ في المنطقةِ لفترةٍ ما، كانَ السُّوفييت عادةً ما يرسلونَ عناصرَ برِّيَّةً للاتِّصال بقُوَّاتِ الاقتحامِ الجوي. واعتمدَت قُوَّاتُ الاقتحامِ الجويِّ على إسنادِ المِروحيَّات الهجوميَّةِ وطائراتِ الإسنادِ القريب من طراز سوخوي-25، وكثيراً ما كانُوا يصطحبون معَهم مدفعيَّةً عبرَ المِروحيات.

تعلَّم المجاهدون كيفيَّةَ مواجهةِ الاقتحاماتِ الجويَّة عبر:

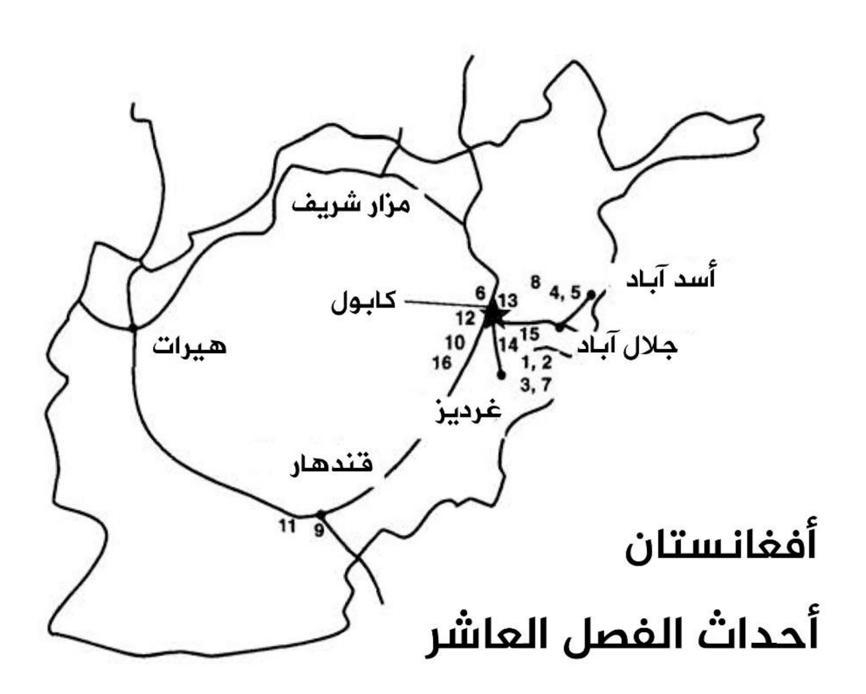
1. التَّخطيطِ
2. والتَّدريبِ على الردِّ السَّريع
3. ونظامِ الإنذارِ المبكر
4. وكمائنِ الدِّفاعِ الجوي.

فقد لغَّمُوا مناطقَ الهبوطِ المُحتملة، ووظَّفُوا نيرانَ الآر بي جي الكثيفةَ على المِروحيَّاتِ الهابطةِ أو الحائمة، كما حاولُوا اكتساحَ مناطقِ الهبوطِ قبلَ أنْ تقدرَ قُوَّاتِ الاقتحامِ الجويِّ على تنظيمِ وتوجيهِ نفسِها. إضافةَ إلى تعلُّمِهم كيفيَّةَ الهروبِ من نيرانِ المِروحيَّاتِ الهجوميَّة "باحتضان"[147] القُوَّاتِ السُّوفييتيَّة.

[147] المركز: أو نستطيع تسميته بالهروب إلى الأمام.

الفصل العاشر: الدِّفاعُ ضدَّ عمليَّاتِ التَّطويقِ والبحث

كانَ السُّوفييت يميلونَ للقيامِ بعملياتٍ تطويقٍ وبحثٍ في المناطقِ الشاسعةِ التَّابعةِ للمجاهدين. فكانُوا يعملونَ على تطويقِ المنطقةِ مُستخدمين التَّضاريسَ الحاكمةَ والطُّرُقَ والأنهارَ كحدودٍ للطوق، في الوقتِ الذي يدفعُون فيه قُوَّاتِهم نحوَ الدَّاخلِ للبحثِ عن المجاهدين ومخازنِ الأسلحة. وفي العادة، كانت القُوَّاتُ التي تقومُ بعمليَّاتِ البحثِ من الجيشِ الأفغانيّ، وكانوا خلالَ هذه العمليَّاتِ يقومُون أيضاً بجبايةِ الضَّرائبِ والتَّجنيدِ القَسري. في البدايةِ، كانَ المجاهدون ينهارونَ أمامَ مثلِ هذهِ العمليَّاتِ الكبيرة، غيرَ أنَّهم تعلَّموا فيما بعد كيفيَّةَ بناءِ التَّحصيناتِ عبرَ المناطق، وتنسيقَ عمليَّاتِ الدَّفاع، وتشكيلَ قُوَّاتِ الاحتياط، وإيقاعَ الخسائرِ بقُوَّاتِ العدوِّ التي تنفِّذُ عمليَّاتِ البحث.



أحداث الفصل العاشر

المقالة الأولى: معركة "بركي برك"

رواه القائد "قاضي غولجان طيب"[148]

كانت مديريَّةُ بركي عبارةً عن واحةٍ غنَّاء، ومنطقةٍ خضراءَ كبيرة، تقعُ بينَ طريقينِ سريعينِ رئيسيَّين يمتدَّانِ باتِّجاهِ جنوبِ كابول وجنوبِها الغربيِّ. يمتدُّ الطَّريقُ الأوَّلُ من كابول إلى غرديز في ولاية بكتيا، بينما يمتدُّ الثَّاني من كابول إلى غزني وصولاً إلى قندهار. وتسقي مياهُ نهرِ وردك ومضيقِ وردك هذه المنطقةَ الخَصبةَ وحقولَ القمحِ والذُّرةِ والأرزِّ المُزهرةِ بالكرومِ والبساتين. فكانت هذه المنطقةُ الخصبةُ المكتظَّةُ بالسُّكان قاعدةً طبيعيَّةً للمجاهدين، يستطيعونَ الانطلاقَ منها للهجومِ على خطي الاتِّصال (الإمداد) الرَّئيسيَّين، وكذلكَ الهجومِ على مديريَّة محمد آغا شمالاً وغرديز جنوباً.

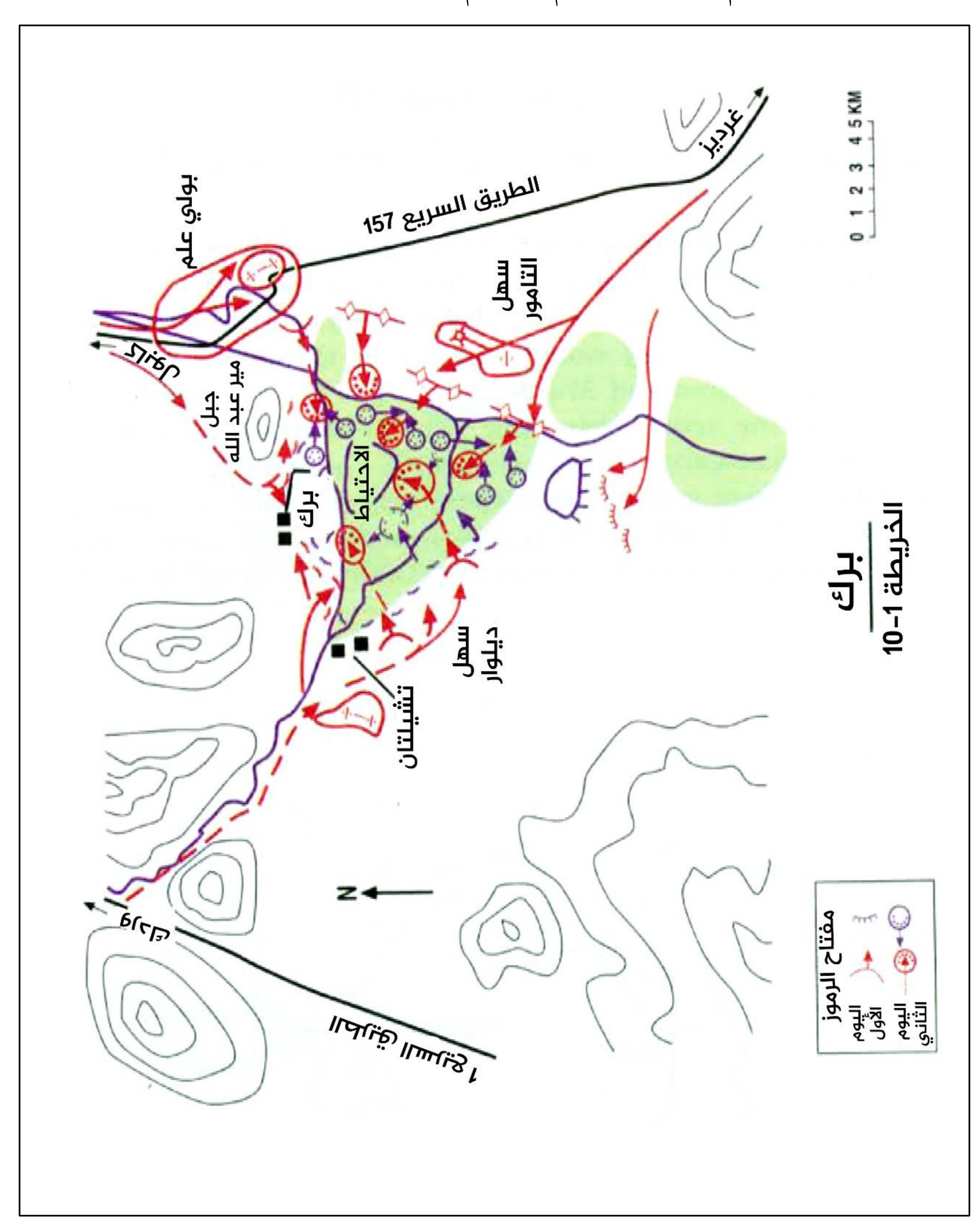
في يونيو/حزيران 1982م، كانت هناك عدَّةُ قواعدَ للمجاهدين في مديريَّة بركي برك. وكنَّا قد جلبْنا عدداً من الرَّشَّاشاتِ الثَّقيلة المُضادَّة للطَّائرات، وبالتَّحديد رشاشات 14.5 ملم بسبطانةٍ واحدة. وكانَ وجودُ أسلحةِ الدِّفاعِ الجوي هذه يقلقُ العدو. وقد تَلَقَّينا معلوماتٍ عن استعداداتِ العدوِّ لشنِّ هجومٍ على منطقتِنا ليحقِّقَ ثلاثةَ أهدافٍ:

أولاً: للاستيلاءِ على أسلحتِنا المُضادَّةِ للطَّائرات التي بدأت تمثِّلُ تهديداً لاقتحاماتِه الجويَّةِ ضمنَ منطقةِ عمليَّاتنا.

ثانياً: لأسرِ قادةِ المجاهدين المسؤولين عن الهجماتِ والمضايقاتِ التي كانت تُشنُّ على أرتالِ العدوِّ المارة على الطَّريقين السَّريعين المُمتدَّيْن على حافةِ منطقتنا.

[148] أثناء الانقلاب الشيوعي عام 1978م، كانَ القائد قازي ولجان طالباً في السَّنة الثَّالثة في كلية الشَّريعة بجامعة كابول. انضمَّ إلى حكمتيار، وانتقل بعدها إلى فصيل سيَّاف في منتصفِ الثمانينات. وكان قائدَ الفصيل في مديريَّة بركي برك ولاية لوغر. [Map sheets 2784, 2785, 2884, 2885]

وثالثاً: لاستعادةِ السَّيطرةِ على المنطقة، وإعادةِ حكومةِ المديريَّةِ التَّابعةِ للحكومةِ الأفغانيَّةِ الشيوعيَّةِ العميلة، وذلك بعدَ أن تمَّ إسقاطُها منذُ عام 1979م.



الخريطة 10-1
برك

شَنَّ السُّوفييت والنِّظامُ الأفغانيُّ هجوماً بقوَّةٍ تزيدُ عن 20 ألفِ جنديٍّ موزَّعين بينَ مهامِ القتالِ المباشرِ والإسنادِ والدَّعم (الخريطة 10-1- بركي). وأرسلَ العدوُّ ثلاثةَ أرتالٍ من غرديز وكابول ووردك.[149] وقد تحرَّكت تلكَ القُوَّاتُ إلى منطقتِنا وأنشأت طُوقاً حولَها، فاحتلَّتِ المُرتفعات وبدأت بالهجومِ على بعضِ مواقعِ المجاهدين. قامَ رتلُ كابول باحتلال "بولي علم"، ومن هناك أرسلَ مفرزةً غرباً خلفَ جبلِ "مير عبد الله" للالتفافِ على المديريَّة من شمالِ غربِها. وتحرَّك رتلُ غرديز غربَ الطَّريقِ نحوَ سهلِ التَّامور وغطَّى محورَ جنوبَ شرقَ المديريَّة. بينما احتلَّ رتلُ وردك العديدَ من المواقعِ على الجانبِ الغربيِّ من المديريَّة. وبهذا أغلقَ العدوُّ عمليَّاً كلَّ محاورِ الخروجِ الرَّئيسيَّةِ من المنطقة.

كنَّا قد علمْنا مُسبقاً بهذا الهجوم، فاجتمعْنا -قادة المجاهدين -لوضعِ خطَّةٍ دفاعيَّةٍ مُشتركةٍ. وساهمْنا جميعاً في تشكيلِ القطَّاعين الدِّفاعيَّين؛ الجنوبيِّ الشَّرقيِّ والشَّماليِّ الغربي، وقمْنا بتكليفِ مختلفِ الفصائلِ والوحداتِ بالمحاورِ الدِّفاعيَّة ضمنَ القطَّاعين. كما قمْنا بتنظيمِ قوَّاتِنا إلى مجموعاتٍ صغيرةٍ لنضمنَ القدرةَ على المناورة، ثمَّ كلَّفنا تلكَ الوحداتِ باحتلالِ العديدِ من المواقعِ في القُرى الواقعة على أطرافِ المديريَّة. وبالإضافةِ إلى ذلك، شكّلْنا أيضاً قوَّةَ احتياطٍ داخليَّةٍ متنقلةٍ لتكونَ جاهزةً للرَّدِّ على أعمالِ العدو.

قدتُ أنا القطَّاعَ الجنوبيَّ الشَّرقيَّ، وكان تحتَ قيادتي حوالي 800 مجاهدٍ بينهم المسلَّحُ وغيرُ المسلح. وكانَ تسليحُنا يتضمَّنُ رشاشاتِ 14.5، ورشاشاتِ دوشكا، والكثيرَ من قاذفاتِ الآر بي جي -7، ورشَّاشاتِ البيكا، ومدافعَ الهاون من عيارِ 82، والمدافعَ عديمةِ الارتدادِ من عياري 75 ملم و82 ملم، ورشاشاتٍ أخرى، وعدداً من بنادقِ إنفيلد عيار 303.. وقد كانت هذه البنادقُ فعَّالةً جداً ضدَّ مُشاةِ السُّوفييت، حيثُ كانَ أقصى مَداها الفعَّال (800 مترا) يبلغُ ضِعفَ مدى بنادقِ

---

[149] كانت القوات القادمة من محور غرديز من اللواء 56 السُّوفييتي للاقتحام الجوي، بينما كانت القوَّات الأفغانية من الفرقة 12 للمشاة. ومن المرجَّح أنَّ القواتِ القادمةَ من محوري كابول ووردك قد كانت من الفرقة 103 السُّوفييتية المحمولة جواً والفرقة 108 للبنادق الآلية، بينما كانت القوات الأفغانية من الفرقة الثامنة للمشاة واللواء 37 للمغاوير واللواء 15 للدبابات.

الكلاشنكوف (400 مترا). بالإضافةِ إلى ذلك، كانت طلقاتُ الإنفيلد تملكُ القدرةَ على اختراقِ سُتَرِ الجنودِ السُّوفييت الواقيةِ من الرَّصاص، بينما كانت طلقاتُ الكلاشنكوف عاجزةً عن ذلك.

نشرَ العدوُّ مدفعيَّتَه على سهلِ التامور وفي "بولي علم". واحتلَّ رتلُه القادمُ من وردك خطَّ سهلِ ديلوار- تل شيلتان -والقرى شمالَ المُرتفع، كما استفتحَ هجومَه بتمهيدٍ مدفعيٍّ ثقيلٍ وقصفٍ جويٍّ على القرى ومواقعِ المجاهدين المحتملة، واستمرَّ القصفُ المِدفعي لعدَّة ساعاتٍ. أصابُوا مواقعَ رشَّاشات 14.5 التَّابعةِ لنا، وأشعلُوا الحرائقَ في المنطقة، ثمَّ تقدَّمُوا من جهةِ الجنوبِ الغربي من بينِ شيلتان والطَّريق، فدخلُوا إلى قُرانا وبدأت عمليَّةُ البحثِ فيها. كما هاجمَ العدوُّ أيضاً من اتِّجاهٍ آخَرَ على القرى التي كانَت واقعةً على أطرافِ منطقةِ عمليَّتنا والتي كانت في مواجهتِه.

قاتلَ رجالُنا انطلاقاً من المواقعِ الأماميَّة، ثمَّ انسحبُوا إلى المواقعِ الخلفيَّةِ مع دخولِ العدوِّ تلكَ القرى. بالرُّغمِ من تطويقِ العدوِّ للمنطقة، فقد تمتَّعْنا بحرِّيَّةِ الحركةِ عبرَ منطقتِنا ذاتِ عرضِ العشرة كيلومترات، ويعودُ الفضلُ في ذلكَ للبساتينِ والقُرى التي وفَّرت لنا غطاءً وتمويهاً جيداً. وبعدَ كلِّ هذا، بدأْنا بِشَنِّ هجماتٍ مُضادَّةٍ باستخدامِ مجموعاتٍ صغيرةٍ مُبعثرةٍ، فاستطَعْنا ضربَ تجمُّعاتِ العدوِّ من عدَّة اتجاهات.

صحيحٌ أنَّنا تكبَّدنا بعضَ الخسائر، إلا أنَّ العدوَّ قد أصابَه قَرحٌ مثله، فقد كانَ قتالاً قريباً بينَ المشاة. قُتِل ثلاثةُ مجاهدين من مجموعَتي الخاصَّةِ أثناءَ قيامِنا بهجومٍ مضاد. واستطعْنا إحاطةَ القُوَّاتِ السُّوفييتيَّةَ، فاضطَرُّوا للقيامِ بهجومٍ مضادٍ لهجومِنا لفكِّ الحصارِ عن قوَّاتهم، فأرسلْنا تعزيزاتٍ لقُوَّاتِنا، واختلَطَت قُوَّاتُنا معَ قُوَّاتِ العدو، ممَّا منعَهم من توجيهِ نيرانِ المدفعيَّةِ نحونا (خشيةَ إصابة قواتهم). واستمرَّ القتالُ حتَّى الغَسق، ومع حلولِ الظَّلامِ تباطأَ القتالُ حتَّى توقَّف.

وفي صباحِ اليومِ التَّالي، استكملَ العدوُّ الهجومَ، لكن هذه المرَّةَ من الشَّرق، مستخدمينَ الدَّبَّاباتِ والمُشاة. وكنَّا قد لغَّمنا المقتربَ من ضريحِ "خليفة صاحب"، إلا أنَّ السُّوفييت قد جلبُوا معهم كلاباً لكشفِ الألغام. كانت مجموعتي بالمنطقةِ مُختبئةً في موقعٍ مُغطىً بشكلٍ جيِّد حاملةً ثلاث قاذفاتِ آر بي جي - 7. وبعد أن أزالَ العدوُّ حقلَ الألغامِ وتحرَّكَ للأمام، قُمْنا بإطلاقِ قذائفِ الآر بي جي

نحوَ دبَّاباتِهم المتوقّفةِ في منطقةٍ زراعيَّةٍ مكشوفة. فَرَدَّ العدوُّ بتحريكِ قوَّةٍ غاشمةٍ نحو المنطقة، فَرَدَّ المجاهدون عبرَ الخروجِ من مواقعِهم والنُّفوذِ عبرَ العديدِ من الثَّغراتِ، ثمَّ القيامِ بالتفافاتٍ على مُجنَّبات العدو. كما قامَت مجموعاتٌ صغيرةٌ للمجاهدين بالمناورةِ بشكلٍ خفيٍّ عبرَ ثنايا التَّضاريسِ المتشعّبةِ للاشتباك مع العدو. وهذا قلبَ الوضعَ تماماً لصالحِ المجاهدينِ، حيثُ تعثَّرَ تقدُّمُ العدو، وفقدَ زخَمه، ليتوقَّفَ أخيراً في جيبٍ دفاعي.

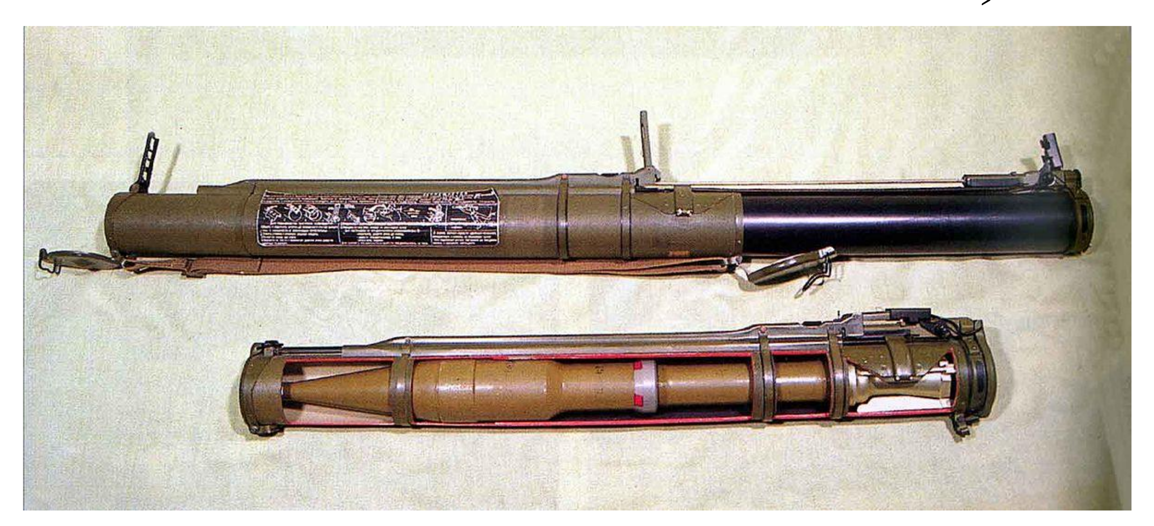
ومع حلولِ اللَّيلةِ الثَّانية من بدءِ العمل، احتلَّ السُّوفييت مجموعةَ قُرىً ومبانٍ ومزارعَ والعديدِ من البساتين لتحويلِها إلى مواقعَ دفاعيَّة. وتوزَّعتِ القُوَّاتُ السُّوفييتيَّةُ في خمسةِ جيوبٍ أو ستَّة، بينما حافظَ المجاهدون على حالةِ قطعٍ ومنعِ الاتّصالِ بينَ هذه الجيوب. كنَّا نعرفُ الأرضَ والتَّضاريسَ، وقد ساعدَنا المدنيون في التَّحركِ بينَ المواقع. فاستطعْنا مهاجمةَ السُّوفييت من جميعِ الاتجاهات، إلا أنَّنا تكبَّدنا بعضَ الخسائرِ أيضاً. واستمرَّ الوضعُ كما هو لليومِ واللَّيلةِ الثَّالثة. لقد اختلطَتِ الأمورُ على الطَّرفين وتشابكت النّيرانُ في كلِّ مكان. وشاهَدنا بحوزةِ العدوِّ مدافعَ قادرةً على الرَّمي في جميع الاتّجاهاتِ من طرازِ (D-30)، كما شاهَدْنا أيضاً قاذفاً من طراز (RPG -18)[150]. وفي هذا العمل، اغتنمْنا للمرَّةِ الأولى بنادقَ (AK-47).[151] الجديرُ بالذكرِ أيضاً أنَّ السّتراتِ الواقيةَ من الرَّصاصِ التي كانَ الجنودُ السُّوفييت يرتدونَها قد قامَت بحمايتِهم من طلقاتِ الكلاشنكوف، إلا أنَّها

---

[150] هو سلاح مضادٌّ للدبابات يُرمى من الكتف مرةً واحدةً ثم يُلقى بعدها. قذائفه من عيار 66 ملم، وهو سوفييتي المنشأ. يُخزَّن هذا السلاح في أنبوب قابل للتطويل (والأنبوب نفسه هو القاذف). مداه الفعال يبلغ 135 متر وهو نسخة من صواريخ اللاو USM72A2 LAW.

[151] كانت بنادق 47 – AK عيار 5.56 ملم (أخطأ المؤلف بذكر هذا العيار، حيث أن هذا العيار خاص ببنادق الـ أم – 16 الأمريكية، بينما عيار بنادق AK-47 هي 5.45 مل) مخصَّصةً للقُوَّات السُّوفييتية فقط. بينما تحمل القوات الأفغانية بنادق AK-47 القديمة. ويسمى الأفغان البندقية الحديثة باسم "كلاكوف". حتى أن إحدى الأغاني البشتونية في ذلك الوقت تسرد إحدى الأبيات: " أماه لا تُبكِي ابنك قتيل الكلاكوف" وهذا يعني أن ابنها قُتِل في معركةٍ مع السوفييت.

لم تحمِهم من طلقاتِ الإنفيلد القديمة. وبعدَ ثلاثةِ أيَّامٍ وليالي، بدأ العدوُّ بالانسحابِ يجرُّ أذيالَ الخيبة، ليعودَ مِن حيثُ أتى.



RPG-18

لم يحقّقِ العدوُّ أيّاً من الأهدافِ الثَّلاثة، لكنَّنا تكبَّدنا خسائرَ كبيرةً جداً وقُتِل منَّا 250 مجاهدٍ. بينما أشاعَ العدوُّ بأنَّهم قَتَلُوا أكثرَ من 2000 مجاهد. ورغمَ أنَّني لا أعلمُ خسائرَ العدو بالتَّحديد، إلا أنَّنا رأينا آثارَ دماءٍ وبركٍ منها في جميع مواقع السُّوفييت التي احتلُّوها. وفي النِّهاية، قامَ العدوُّ بأعمالٍ تخريبيَّةٍ انتقاميةٍ داخلَ القرى التي احتلُّوها، حيثُ تغوَّطُوا في الأواني الفخَّارية، وحطَّموا الأواني الأخرى، ودمَّرُوا الأثاث، وأتلفُوا أطعمةَ أهلِ القرى من خلالِ تمزيقِ أكياسِ القمح والطَّحين والملح والسُّكَّر ونثرِها على الأرض. كما هدمُوا أيضاً الجدرانَ وكسرُوا الأبواب وخرَّبوا البيوت.

التعليق:

كانت خطَّةُ العدوّ شاملةً في هذه العملية. فقد كانت التَّحركاتُ المُتقاربة لثلاثةِ أرتال من ثلاثةِ اتّجاهات مناورةً عملياتيَّةً بارعةً، وذلك لكونها قد أبقَتِ المبادرة بيدِ السُّوفييت كما أبقت في الوقت ذاتِه المجاهدين تحتَ الضَّغط. إلا أنَّه بمجرَّد دخولِ القُوَّاتِ السُّوفييتيَّةِ والأفغانيَّة داخلَ المنطقةِ الخضراء فإنَّ التَّضاريسَ ودفاعَ المجاهدين الفعَّال قد عملا على تقسيمِ القُوَّاتِ الشُّيوعيَّة إلى جيوبٍ معزولةٍ، ثمَّ استطاعَ المجاهدون معَ الوقت احتواءَها، ممَّا جعلَ هذه القُوَّاتِ تفقدُ زخمَها وتعجزُ عن استعادةِ المبادرة. وهو ما عنى تحوُّلَ المبادرةِ إلى صفِّ المجاهدين.

كانت خطةُ المجاهدين الدِّفاعيَّةُ شاملةً. فقد أجرَوا دفاعاً فعَّالاً تضمَّنَ مناوراتٍ تكتيكيَّةً. واحتفظُوا باحتياطٍ في موقعٍ مركزيٍّ يحظى بميزةِ استخدامِ الخطوطِ الدَّاخليَّة[152] في الاتِّجاهاتِ كافة. كما ساعدتهم كلٌّ من: التَّضاريسِ، والتَّحصيناتِ الميدانيَّةِ المتينة، ودفاعِهم الشَّرس؛ في صدِّ تقدُّمِ قواتِ العدوِّ وعزلِها إلى عِدَّة جيوبٍ مُتفرِّقة.

لم يَقُمِ السُّوفييت والنِّظامُ الأفغاني بجهدٍ يُذكَر في محاولةِ كسبِ قلوبِ وعقولِ سكانِ المناطقِ الخارجةِ عن سيطرتهم. ومن ناحيةٍ أخرى، غالباً ما عرَّضت عمليَّاتُ المجاهدين أرواحَ وممتلكاتِ السُّكان للخطر. وطوالَ الحرب، لم يسيطرِ السُّوفييت على "بركي برك"، غيرَ أنَّهم قصفُوها باستمرار، وهو ما أوقفَ الزِّراعة، وتسبَّبَ بنزوحِ السُّكَّانِ إلى باكستان أو المدن الأخرى.

[152] المركز: هي أسلوب استخدام خطوط الحركة والمواصلات داخل المنطقة المغلقة من قبل القوات المدافعة ضد قوات مهاجمة من خراج المنطقة. وتمتاز هذه الخطوط بقصرها نتيجة صغر المنطقة بينما يعاني العدو مشكلة امتداد الخطوط الخارجية. يوفر هذا الأسلوب للمدافع قدرة على تركيز القوات والحركة السريعة مقارنة بالقوات المهاجمة.

المقالة الثانية: الدفاع ضد هجومٍ في "بغمان"

رواية "تسارانوال شير حبيب"153

في أغسطس/آب 1982م، شَنَّتِ القُوَّاتُ السُّوفييتيَّةُ والأفغانيَّةُ عمليَّةَ بحثٍ وتدميرٍ ضدَّ قواعدِ المجاهدين في بغمان. فانطلقَ لهم رتلان، أحدُهما (وهو الأكبر) تحرَّكَ من كابول نحوَ الجنوب الغربيِّ ثمَّ استدارَ نحوَ الشَّمالِ الغربي، ليدخلَ الطَّريقَ السَّريعَ نحوَ بغمان، وكانت مهمتُهُ تدميرَ قواعدِ المقاومةِ في مركزِ البلدةِ وفي محيطِها الجنوبيِّ والجنوبيِّ الغربي. بينما تحرَّكَ الرَّتلُ الثَّاني (الأصغر) من كابول شمالاً، ثمَّ استدار نحوَ الشَّمال الغربي. وكانت مهمَّتُه إغلاقَ طرقِ هروبِ المجاهدين الممتدَّةِ على طولِ الحافةِ الشَّماليَّة الشَّرقيَّة من بغمان عبرَ قَريتي غازا وزرشاخ (الخريطة 10-2-غازا).[154]

في البداية، تحرَّك الرتلان باتجاهينِ مُتعاكسين لتضليلِ المجاهدين عن نيَّةِ الأعداءِ الحقيقة. ومع ذلك، فحِينَ توجَّهَ الرَّتلُ الكبير نحوَ البلدةِ وضواحِيها الغربيَّةِ والجنوبيَّة، أسرعَ المجاهدون لاحتلالِ مواقعِهم الدَّفاعيَّةِ المُعدَّة، وجهَّزُوا أنفسَهم للمعركة. إلا أنَّ المجاهدين أضاعُوا أثرَ الرَّتلِ الصَّغير، فدخلَ الأخيرُ إلى بلدة "كاريزي مير"، وتحرَّك ليحتلَّ مواقعَ على التلَّةِ الواقعةِ بين "سموتشك" و"غازا" دون أن يكتشفَه أحد. ومن هذهِ التَّلالِ أصبحَ العدوُّ حاكماً على الطَّريقِ الرَّئيسيِّ بينَ بغمان وسهولِ "شامالي" شمالَ كابول.

---

153 كان "تسارانوال (أتورناي) شير حبيب" يقود جبهة "إبراهيم خيل" شمال مدينة بغمان. وامتدت منطقة عملياته الرَّئيسية من بغمان شرقاً إلى كابول في الشمال الشرقي (على بعد 20 كيلومتر)

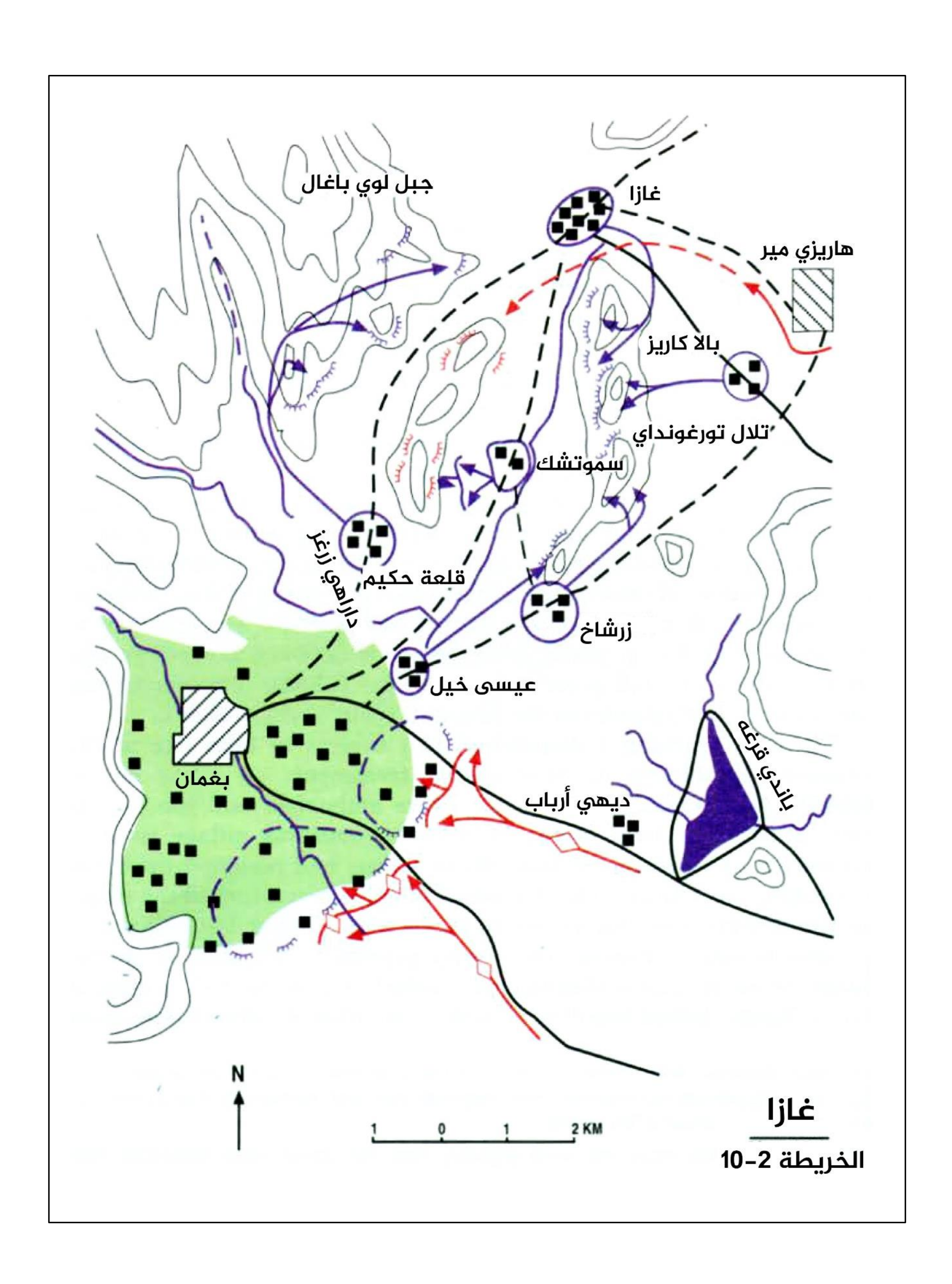
.[Map sheet 2786, 2886]

154 من المرجح بأن القوات التي كانت على المحور الرئيسي من الفرق 108 للبنادق الآلية السُّوفييتية، بينما كانت القوات الأفغانية من الفرقة الثامنة للمشاة واللواء 37 للمغاوير واللواء 15 للدبابات. ومن المرجح أيضا بأنَّ القوات في المحور الشمالي قد كانت من الفرقة 103 السُّوفييتية المحمولة جواً.



وفي صباحِ اليومِ التَّالي، أرسلتُ مرافقيْنِ اثنينِ معَ أحدِ جَرحى المجاهدين نحو "شامالي" لتلقي العلاج. وحينَ دخلُوا وادي سموتشك تعرَّضُوا لكمينٍ، فقُتِل المرافقَان. وبعدَ سماعِ صوتِ الكمين، انطلقَ مجاهدون من أهلِ المنطقةِ للتحقُّقِ ممَّا حدث، فاكتشفُوا بأنَّ القُوَّاتِ السُّوفييتيَّةَ قد احتلَّت حرفَ التَّلَّةِ الكاشفةِ للقرية، فحاولُوا مهاجمتَهم، إلا أنَّ العدوَّ كانَ أقوى من أن يُطرَدَ من موقعه. بدأَ بقيَّةُ المجاهدين في المنطقةِ يَشعرون بوجودِ العدوِّ في ذلك الموقع، فاجتمعُوا من قواعدِهم في قريتي "قلعة حكيم" و"عيسى خيل" ووادي "زارغار". وأخذتُ بين 30 إلى 40 من رجالي إلى جبلِ "لوي باغال". في الوقتِ نفسِهِ، عزَّزَ مجاهدو "سموتشك" مواقعَهم قربَ القرية، بينما تحرَّكَ مجاهدو "زارشاخ" و"غازا" لقطعِ طُرُقِ اتِّصالِ القُوَّاتِ السُّوفييتيَّةِ شرقَ تلال "تورغوندي". فاستطعنا بهذا تطويقَ القُوَّاتِ السُّوفييتيَّةَ في القَطَّاعِ الشَّماليِّ الشَّرقي بمائة مجاهدٍ.

استمرَّ القتالُ ضدَّ القُوَّاتِ السُّوفييتيَّةِ والأفغانيَّةِ في جميعِ أنحاءِ بغمان. وعبرَ هذا القتالِ، استطعْنا تثبيتَ القُوَّاتِ السُّوفييتيَّةِ الشَّمالية، مع تبادلِ النِّيران معها في ثلاثةِ ليالٍ ويومين. واجتمعْنا نحنُ القادةُ، فقرَّرنا الهجومَ للقضاءِ على هذه القوَّةِ السُّوفييتيَّةِ بعدَ ظهرِ اليومِ الثَّالث. اندفعْنا للهجومِ على العدوِّ من الغرب، بينما يثبِّتُ بقيَّةُ المجاهدين العدوَّ من الشَّرق. إلا أنَّ تقدُّمَنا مضَى بطيئاً، لافتقادِنا لأسلحة الإسناد. حيثُ كانَ كُلُّ ما لدينا وقتَها: بنادقُ الكلاشنكوف وبنادقُ الإنفيلد، وبعضٌ من قاذفاتِ الآر بي جي -7، ومدافعُ هاون عيار 60 ملم، ومستودعٌ صغيرٌ من الذَّخائر. كنَّا نحتاجُ للمدافعِ الرَّشَّاشة الثَّقيلة ومدافع الهاون من عيار 82 ملم والصَّواريخ.


جبل لوي باغال
غازا
هاريزي مير
بالا كاريز
تلال تورغونداي
سموتشك
قلعة حكيم
دراهي زغر
زرشاخ
عيسى خيل
بغمان
ديهي أرباب
باندي قرغه
N
1 0 1 2 KM
غازا
الخريطة 2-10

مع اقترابِ المجاهدين من مواقع السُّوفييت، قَدِمتْ 14 مِروحيَّةً سُوفييتيَّةً (من ضمنها مروحيَّاتٌ هجوميَّةٌ) إلى ساحةِ المعركةِ وبدأت بانقضاضاتٍ ناريَّةٍ ضدَّنا. فتكبَّدنا خسائرَ فادحةً وقطعْنا الاشتباك. وهبطَت مِروحيَّاتُ النَّقلِ وبدأت بحملِ القُوَّات السُّوفييتيَّةِ وطارَت عائدةً إلى كابول. صحيحٌ أنَّنا كَسبْنا المعركة، إلا أنَّنا خسرنا 23 قتيلاً والعديدَ من الجرحى في هذهِ المعركة.



التَّعليق:

أحسَنتِ القُوَّاتُ السُّوفييتيَّةُ والأفغانيَّةُ العملَ بدايةً حينما قامُوا بالتوريةِ عن هدفِهم، واستطاعُوا التَّحرُّكَ برتلِهم الشَّمالي متملِّصين من مراقبةِ المجاهدين. حقَّقَ الرَّتلُ الشَّماليُّ مسيراً مُباغتاً على نحوٍ فعَّال، واستطاعَ الاستيلاءَ على هدفِه بهدوءٍ. وقد كانَ هذا الرَّتل قد نُظِّم بهدفِ إغلاقِ طرقِ المجاهدين، ممَّا استلزمَ تسليحَه تسليحاً خفيفاً. كما كانَ بحجمِ كتيبةٍ أو أصغر. استولَت قُوَّاتُ الرَّتلِ الشَّماليِّ على الموقعِ الأولي، لكنَّها لم تعملْ أيَّ شيءٍ في سبيلِ توسعةِ سيطرتِها لتحقيقِ الإغلاقِ التَّام لطرقِ هروبِ المجاهدين. وفوقَ ذلكَ كلِه، لقد اكتفَت هذهِ القُوَّاتُ بالجمودِ دفاعاً، بعدَ أن كشفَتْ نفسَها بقتلِها مرافقةَ الجريحِ ممَّا أفقدَها المبادرة. وبالعموم، افتقدَ السُّوفييت أيضاً التَّنسيقَ بينَ الرَّتلِ الشَّماليِّ والرَّئيسي، فقد بدا الرَّتلُ الرَّئيسيُّ غيرَ مكترثٍ أو غيرَ قادرٍ على مساعدةِ الرَّتلِ الشَّماليِّ بالرُّغم من قربِه الشَّديدِ منه.

كان ردُّ المجاهدين مُمتازاً. فقد استولَوا وبسرعةٍ على مواقعَ حاكمةٍ على مواقعِ السُّوفييت، ممَّا شكَّلَ طوقاً حصرَ الرَّتلَ السُّوفييتيَّ الشَّماليَّ. مع ذلك، فإنَّ افتقادَ المجاهدين لأسلحةٍ ثقيلةٍ بعيدةِ المدى، منعَهم من استغلالِ هذا التَّفوُّقِ الذي منحتهم إيَّاهُ التَّضاريسُ الحاكمة. فلم يكنِ العدوُّ السُّوفييتيُّ ضمنَ مدى نيرانِ المجاهدين إلا أثناءَ محاولةِ الاقتحام. وقد تعامَلت المِروحيَّاتُ الهجوميَّةُ السُّوفييتيَّةُ بنجاحٍ مع هذا الاقتحام. إلا أنَّ هذه المِروحيَّات لم تكن فعالةً أثناءَ الليل، لذا السَّبب، لعلَّه كانَ من الأفضلِ للمجاهدين تنفيذُ هجومِهم في الغَسقِ أو قبلَ الفَجر.

كانَ استخدامُ المجاهدين للمناورةِ في هذه المعركةِ استخداماً مُبهراً. فقد استطاعُوا التَّغلُّبَ على ضعفِهم في القُوَّةِ النَّاريَّةِ، والاستيلاءَ على تضاريسَ حاكمة، والهجومَ على مواقعِ العدو، وأخذَ زِمامِ المبادرة منه بتطويقِه، ممَّا أجبرَ السُّوفييت على تنفيذِ عمليَّةِ الإنقاذِ وتعريضِ مروحيَّاتِهم للخَطر. وقد كانَ كلُّ ذلك نتَاجَ مناورةِ المجاهدين النَّاجحة. ولو كانَ لديهم سلاحٌ مُضادٌّ للطيران، لاستطاعُوا إيقاعَ هزيمةٍ فادحةٍ بالسُّوفييت. والخلاصةُ أنَّ مناورةَ المجاهدين قد مَنعت من نجاحِ الهجومِ السُّوفييتيِّ/الأفغانيِّ وحسمَت نتيجةَ المعركةِ لصالحِهم.

المقالةُ الثَّالثة: معركة "كامه"

رواية عبد الباقي بالوتس[155]

تقعُ منطقةُ كامه شمالَ شرقَ جلال آباد، وتُقدَّرُ مساحتُها ب 87 كم². يَحُدُّها من الغربِ نهرُ كُنَر، ومن الجنوبِ نهرُ كابول، بينما تمتدُّ الجبالُ في شرقِها وشمالِها. وهي منطقةٌ خضراءُ ذاتُ كثافةٍ سكانيَّةٍ عاليةٍ -قبل الحرب- وافرةِ السِّقاية.



وقد كانَ جميعُ المجاهدين الذين في المنطقةِ من أهلِها. في فبراير/شباط 1983م، كنتُ أقودُ مجموعةً من 35 مقاتلاً في قريتي "ساما غاراي" (تقعُ على بُعدِ كيلومترٍ واحدٍ شرقَ كامه). وكنَّا وقتَها مُسلَّحين ببنادقِ إنفيلد وG3[156] وعددٍ من بنادقِ الكلاشنكوف. وكنَّا غيرَ قادرين على شَنِّ هجماتٍ كبيرةٍ،

[155] عبد الباقي بالوتس قيادي في الحزب الإسلامي التابع لحكمتيار في منطقة "كامه" شرق جلال آباد. قبل الانقلاب الشيوعي، كان طالباً في الصف العاشر في المدرسة الثانوية. وحاولت سلطات المدارس إجباره على الانضمام إلى صفوف منظمة الشباب الشيوعية، إلا أن أباه نصحه بألا يفعل ذلك وأن ينضم إلى الجهاد. فترك المدرسة وانضم للمجاهدين، وقاتل حتى نهاية الحرب. [Map sheets 3085 and 3185]

[156] يقصد المجاهدون ببندقية الـ G3 بندقية سبرينغفيلد M1917 الأمريكية التي أُنتِجت لصالح الجيش البريطاني في الحرب العالمية الأولى.

واكتفينا بتنفيذِ هَجَماتِ كرٍّ وفر. كما لم تكن لنا قواعدُ في الجبال، بل اكتفينا بالعيشِ ضمنَ القرى. وكانت هناك وَحداتٌ مُماثلةٌ في باقِي قُرى المنطقة.

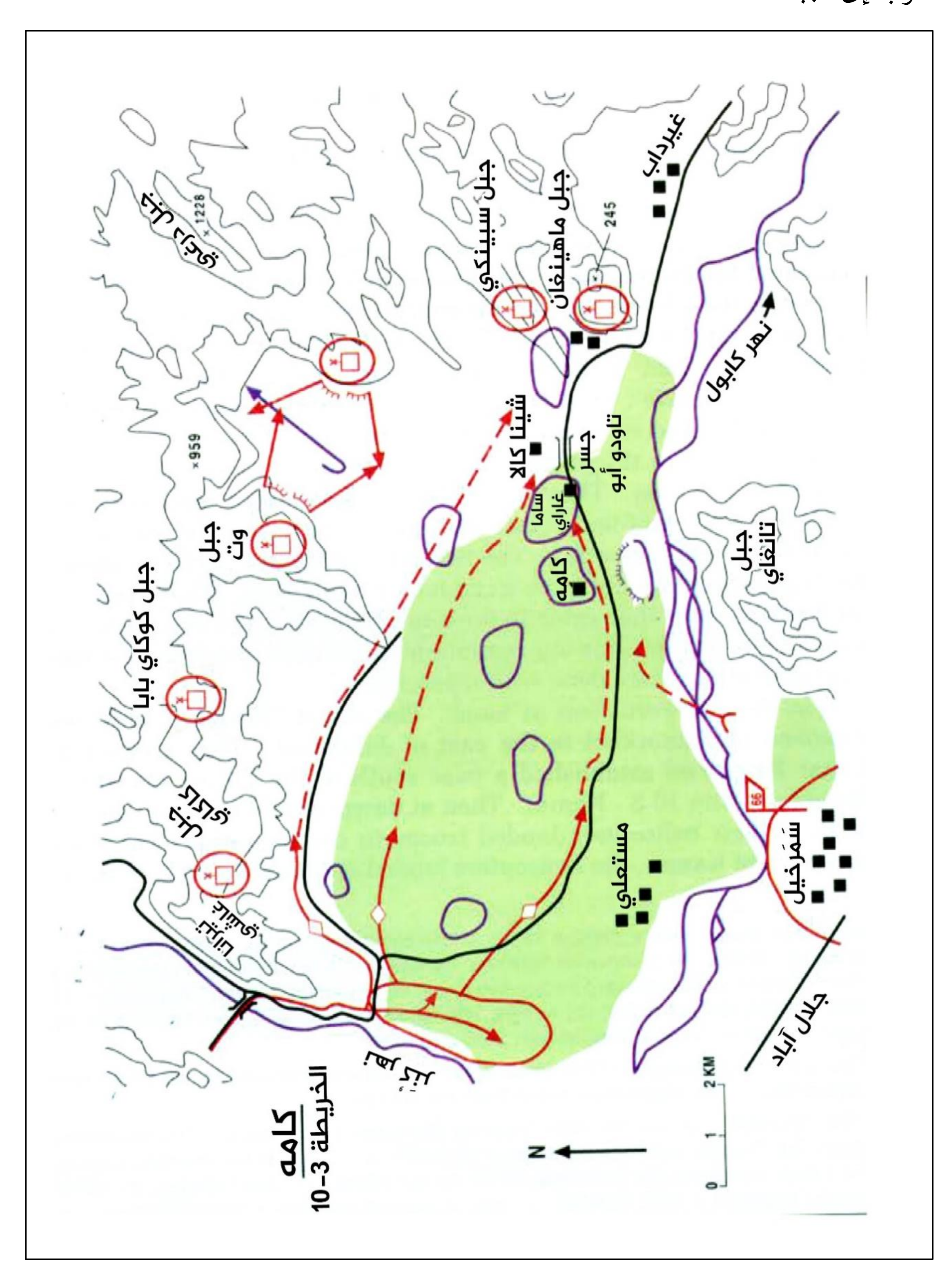
كانَ المجاهدون في هذه المنطقةِ منقسمينَ جداً، وكانَ الاتِّصالُ بينهم معدوماً، حيثُ لم نكن نستطيعُ مساعدةَ بعضِنا البعض، بينما يتعاملُ العدوُّ مع كلِّ قريةٍ على حدة. ولم نتَّفِق على خطَّةِ طوارئ موحَّدةٍ للتَّعاملِ مع السُّوفييت في حالِ هجمُوا علينا. وحتَّى لو وضعْنا خطةً لذلك فقد كانت الاتِّصالاتُ بيننا بدائيَّةً جداً، وكانت معظمُها تتمُّ عبرَ المراسلين.

كانَ السُّوفييت على مَرمى حجرٍ منَّا. وكانت وحدةُ الرَّعدِ السُّوفييتيَّةِ متمركِزةً في "سَمَرخيل" شرقَ جلال آباد. وقد عبرَت هذه الوحدةُ نهرَ كنر، فأنشأت قاعدةً جنوبَ "تيرانا غاشي" على السهلِ (خريطة 10-3- كامه). وفي فجرِ 15 فبراير/شباط 1983م، جاءَت ما بينَ 20 إلى 25 مروحيَّةً وأنزلت جنوداً في شمالَ كامه وشمالَ شرقِها. وهبطَتِ المِروحيَّات في جبالِ ماشينغان وسبينكي وديرغي ووت وكوكاي وبابا وكاكاي وتيرانا غاشي. فأغلَقت تلك القُوَّاتُ على المرتفعاتِ طُرُقَ هروبِنا نحوَ الجبال. وفي الوقتِ نفسِهِ عبرَت مفرزةٌ سوفييتيَّةٌ من قاعدةِ سَمَرخيل نهرَ كابول لتنشئَ الجزءَ الجنوبيَّ من الطوق. بينما بدأتِ القُوَّةُ الرَّئيسيَّةُ السُّوفييتيَّةُ بتمشيطِ المنطقةِ من جبلِ تيرانا مُتَّجِهةً شرقاً.

استيقظْنا في ذلكَ اليومِ على أصواتِ المِروحيَّاتِ وأضواءِ مشاعِلِها. لقد كنَّا نواجه قوةً عسكريةً رجّحنا أنها تزيد على حجم الفوج. كنتُ حينَها أتلو أذكارَ الصَّباح واقتربَ منِّي حارسي ليقول لي: " أيُّها القائد، إنَّ الأمورَ تبدو مختلفةً اليوم"، فرَدَدْتُ عليه قائلاً: "لا تقلق، إنَّ نفوسَنا بيد الله وليسَ بيدِ الروس، سنموتُ في الوقتِ الذي قدَّر اللهُ لنا، لن نستأخرَ عنه ساعةً ولن نستقدم". واستمرَّت المِروحيَّاتُ في التَّحليق فوقَنا عِدَّة مرَّات.

رأيت مجموعةً من المجاهدين من قريةِ مستعلي يركضونَ هاربين بينَ جبلَيْ وت وديرغي، وحينَ مشَوا على الطَّريق بدأَ السُّوفييت انطلاقاً من المُرتفعات بإطلاقِ النَّارِ عليهم حتَّى أردَوا قتيلين منها. كانَ

القتيلُ الأوَّل يدعى "غولرانغ"، بينما كانَ الثَّاني: ابن غلام ساروار السَّائق. أمَّا الباقون فقد استطاعُوا الهربَ إلى الجبال.



كنّا قريبين من النّهر، فتحرّكنا نحوَ جنوب كامه، والتجأنا إلى منطقةٍ غابيّةٍ ومسجدٍ واختبأنا هناك، خيّم الهدوءُ في هذه المنطقةِ لساعات. فجاءَني رجالي ليسألوني عمّا يجري من حولِهم، وكانت السّاعةُ وقتَها 11:00. فأخبرتُهم بأنَّ الرُّوسَ سيأتونَ حينَ يقدّرُ الله بأنّهم سيأتون، وأن يركّزُوا الآنَ على مسألةِ البحثِ عن الطّعام فإنّنا جائعون. فتوجّهتُ نحوَ قريةٍ للبَحث عن الطّعام. فجاءني رجلٌ وأمرني بألا أغادرَ مخبئي لأنَّ دبّاباتِ العدوّ قادمةٌ على بُعد خمسِ دقائق، فَعُدتُ إلى المخبأ.

وفي حوالي السّاعة 14:00، جاءني رجلٌ آخرُ وأخبرَني بأنْ أغادرَ الغابةَ لأنَّ العدوَّ سيشعلُها حرائقَ في سبيلِ طردِنا من أماكننا. وأخبرَنا بأنَّ ثماني دبّاباتٍ وناقلاتٍ تقتربُ من المنطقة. فهرَعْنا نحوَ أطرافِ الغابة، واتَّخذْنا مواقعَ خلفَ ساترٍ ترابيٍّ طبيعيٍ، نحملُ قاذفَ آر بي جي - 7 مع ثلاثِ قذائفَ له، وبندقيّتيْ كلاشنكوف وعدداً من بنادقِ ماركو الصّينية.[157] كانت الغابةُ مليئةً بالمدنيين الهاربينَ من السُّوفييت، ولذلك شَعرْنا بأنّه من الواجبِ الدِّفاعُ عنهم وعن الغابةِ ومنعُ السُّوفييت من إشعالِ النّار فيها. ورأيتُ عرباتِ البي أم بي تحرَّكُ نحوَنا، لتَتَوقّف قليلاً ثمَّ تجاوزَ الغابة لتستديرَ نحو كامه، وكانت السّاعة 15:00.

حين كنّا مُنتشرين في الغابة، تَلَقيْنا رسالةً من بقيّة رجالي، يَصِفُون فيها أماكنَهم، ويطلبونَ مني القدومَ للانضمامِ إليهم، حيثُ كانت قُوّاتُ الاقتحامِ الجويّ تتّجهُ نحوَ قرية ماشينغان. فأخذتُ رجالي الـ 12، وتحرّكنا للاجتماعِ بالبقيّة. وكانَ جسر (تاودو أُبو) قريبٌ من قريتنا، فانضمَمْت لبقيّةِ رجالي المتمركزين قربَ هذا الجسر. واستنتجْنا بأنَّ العدوَّ القادمَ من الجبلِ سيعبرُ من هذا الجسرِ حتماً، فنصبنْا كميناً من جانبي الطّريقِ المؤدّي إلى الجسر. وبينما كنّا ننتظرُ في مكامِننا، باغتتْنا مجموعةٌ سُوفييتيّةٌ كانت مُتَّجِهَةً نحوَنا وأطلقَت النّيرانَ علينا.

أصابت رصاصةٌ أخمصَ بُندقيةِ ابن خالي وحطَّمَتها، فقال: "ماذا أفعلُ الآن؟"، فرددتُ عليه: "سأجلبُ لك أخرى". وحين اقتربتُ من الطّريقِ، رأيتُ أحدَ رفاقي حبيب نور على بعدِ 30 متراً من مَيمنتي يرمي على شيءٍ ما، فانبطحْتُ على الأرضِ فوراً، وتبيّنَ لي أنّه يَرمي على جُنديين

[157] ماركو هي النسخة الصينية من بندقية ماوز M-88 الألمانية.

سُوفييتيَّين، وقد استطاعَ قتلهما. وصاحَ عليّ قائلاً: " أيُّها القائد، خُذْ بنادقَهُما"، فركضْتُ عبرَ الطَّريقِ وأمسكتُ بندقيَّة كلاشنكوف لأحدِهما، إلا أنَّ حزامَ حملِ البُندقيَّةِ كانَ محكمَ الشَّدِّ على الجثَّة، ولم أستطع فكَّه. ورأيتُ العديدَ من الجنودِ السُّوفييت يأتونَ نحوي ويرمونَ عليَّ، حتَّى أنَّهم أصابُوا سروالي الفَضفاضَ بعشرِ رصاصَات، وكانت الرَّصاصاتُ تتطايرُ من حولي. فأكملتُ محاولةَ جذبِ البندقيَّة، إلا أنَّها لم ترتخِ، فتخلَّيتُ عنها. وكانت لديَّ قنبلةٌ يدويَّةٌ مضادَّةٌ للدَّبَّابات من طراز RPK3، فقرَّرتُ استخدامَها حتَّى لو لم استهدفْ دبابةً، بغرضِ إحداثِ ضجَّةٍ تلفتُ انتباهَهم حتَّى نهرب. رميتُ القنبلةَ فانفجرَت بعدَ أربعِ ثوانٍ، وهرَبتُ حيثُ كانَ حبيب نور يَقِف.

أخبرَني حبيب بأنَّه ما لم نعبرِ المجَرى المائيَّ شمالاً لن نستطيعَ الاشتباكَ معَ العدو. وبما أنَّه طويلٌ وأنا قصيرٌ، فقد كانت فُرصتي في عبورِ المجَرى دونَ أن يكشفَني أحدٌ أفضلَ منه. فرَدَدْتُ عليه "كنتُ قائدَك، والآن أنتَ قائدي". فجريتُ لأعبرَ وقفزْت، إلا أنَّني سقطتُ في المجَرى مباشرةً. فصِحتُ: "يا الله! لا تمتْني هكذا ذليلاً". فقمتُ بقفزةٍ أخرى كبيرةٍ، وفجأةً استطعْت الخروجَ من المجرى، ولا أدري كيفَ نجوتُ، فحتَّى الدبابةُ لا تستطيعُ عبورَ هذا المجرى. وإلى اليوم، حينَ أعبرُ من هذا المكانِ أقومُ بقياسِ عرضِه لأتعجَّب ممَّا حَدث.

اتَّخذتُ موقعاً بعدَها، ورميتُ ببندقيَّةِ كلاشنكوف، فقتلتُ الجنديَّ الذي كانَ يواجِهُ حبيب نور. وصرَخ حبيب بأنَّ السُّوفييت ما زالوا في بيوتٍ قريبةٍ من قريةِ شنا كالا. فنزلتُ من الجسرِ حتَّى أُدركَهم، واقتربتُ من مواقعِهم، ورميتُ قنبلةً يدويَّةً، وأطلقتُ النِّيرانَ من بُندقيَّتي عليهم. بعدَها خيَّمَ الهدوء على المكان، فالتفتُّ إلى الطَّريقِ ورأيتُ حبيب نور واقفاً، فَصِحتُ عليه بأنْ ينبطحَ، إلا أنَّه بقِي واقفاً، يلعنُ السُّوفييت، وينادي عليهم بالاستسلامِ بلغةِ البشتو. وفي تلكَ اللحظةِ، رأيتَ وميضاً في بطنِه، لقد أصابُوهُ برصاصةٍ وأسقطُوه على الأرض. فَعُدتُ إليه عابراً الطَّريقَ، وكنتُ أستطيعُ مشاهدةَ جُثَثِ السُّوفييت في المجَرى، وحينَ وصلتُ إلى حبيب، وجدتُه ميّتاً، ولم تبقَ معه إلا خمسُ رَصاصاتٍ. كانَ من أعزِّ أصدقائي، ولم يكنْ حتَّى من قريتي. بل كان من قبيلةِ أحمدزي، وكانت مساكنُها بعيدةٌ عَن هذه المنطقة.

استُؤنفَ القتالُ من حولنا. وسمعتُ إطلاقاتِ الرَّصاصِ من كُلِّ النَّواحي، لكنَّني لم أعلم إلا بما يجري حَولي مباشرةً. وجاءَ الشَّيخُ "بومبار" من وَحدتي لمساعدتي. وكانَ لديهِ بندقيَّةُ كلاشنكوف الوحيدة -عدا التي معي- في مجموعتي. إلا أنَّه أعطاها شخصاً آخرَ وحملَ قاذفةَ آر بي جي وقذيفةً واحدةً وتوجَّه نحوي. وحينَ قدِم، شاهدتُ دبَّاباتٍ تتَّجهُ نحوَنا عبرَ الحقولِ من قريةِ قلعة "شنا" من اتِّجاهِ الغرب، وكانتِ الشَّمس في حينِها تغربُ، وقُوَّاتُ الاقتحامِ الجويِّ تنزلُ من الجبالِ وتتقدَّم. كنَّا نريدُ حملَ جثَّةِ حبيب نور إلى قرية "رانغين قلعة"، ومن هناك يسهلُ حملُ جثَّتِهِ إلى خارجِ المنطقة.

أخذتُ القاذفَ والقذيفةَ من الشَّيخ بومبار. ولفَفنا جثَّةَ حبيب نور بقطعةِ التسادار، وهي كساءٌ نحملُه جميعاً ونستخدمُه لكلِّ الأغراض. ثمَّ رميتُ قذيفةَ آر بي جي على الدَّبَّابة، إلا أنَّ القذيفةَ كانت خارجَ مَداها، فسقطَت على مُشاةِ العدو. ولأنَّ دبَّابات العدوِّ ومشاتَهُ أدركُوا وجودَ سلاحٍ مُضادٍ للدُّروع لدينا، توقفوا فوراً. وهذا الأمر ساعدَنا على قطعِ الاشتباك، وأخذِ الجثَّةِ خارجَ المنطقة إلى قرية "غيرداب" على بعدِ ستَّةِ كيلومتراتٍ شَرقاً. ومن هناك، استأجرتُ جملاً، وحملتُ جثَّةَ القتيلِ إلى أهلِهِ في مخيَّماتِ اللُّجوء في باكستان، ودفنَّاهَا في مقبرةِ اللَّاجئين في بيشاور، على الرُّغمِ من أنَّ منزلَه كان في ولايةِ بكتيا. وعائلتُه اليوم على ما يُرام، فأحدُ أبنائِه يمتلكُ وظيفةً في السَّعودية.

التَّعليق:

في هذه المعركة، تسبَّبَ ضعفُ تدريبِ المجاهدين وافتقارُهم للتَّعاون في تعريضِ هذه المنطقةِ للخطر، بينما عرَّض غيابُ تنسيقِ جهودِهم أرواحَ أهلِ القرى للخطر. مع ذلكَ، يجبُ أن نذكرَ بأنَّ شجاعتَهم الفرديَّةَ وقوَّةَ دوافعِهم حوَّلت المنطقةَ إلى منطقةٍ دفاعيَّةٍ، ساعدَت على عرقلةِ جهودِ السُّوفييت. فيما بعد، تحسَّنَ أداءُ المجاهدين القِتالي ضدَّ القُوَّاتِ السُّوفييتيَّةِ والأفغانية، وذلك بعدَ تحسَّن تسليحُهم واتِّصالاتهم وتنسيقُهم لأعمالِهم. إلا أنَّ معظمَ سكان المنطقةِ قد قُتِلوا أو هُجِّروا من ديارِهم إلى مخيَّمات اللُّجوءِ في باكستان.

كانَ عملُ السُّوفييت حسنَ التَّخطيط، واستخدمُوا قُوَّاتِ الاقتحامِ الجويِّ لإحكامِ تطويقِ المنطقة. ومعَ ذلك، فإنَّهم قد طوَّقوا منطقةً كبيرةً أعجزَتهم عن التَّمشيطِ على نحوٍ سليم. فكان يجبُ عليهم تقسيمُ المنطقةِ المُطوَّقة إلى أجزاءَ يسهلُ تمشيطُها. لكنَّهم مشَّطُوا المنطقةَ تمشيطاً عشوائيَّاً، وبقيت قطَّاعاتٌ كبيرةٌ من المنطقةِ الخضراء لم يمشّطوها. حيثُ كانت هذه المنطقةُ مليئةً بالقرى والحقول، كما كانت تحتاجُ لبضعةِ أيَّامٍ لتطهيرِها. لقد كانَ السُّوفييت رافضين لفكرةِ الإبقاءِ على التَّطويق ليلاً، فاستعجلُوا في التَّمشيطِ وضيَّعُوا الجزءَ الأكبرَ منَ المجاهدين المُبعثَرين.

المقالةُ الرَّابعة: الدِّفاعُ ضدَّ عمليَّةِ التَّطويقِ والبحث في "بروان"

رواية القائد الحاج عبد القادر[158]

في يناير/كانون الثَّاني 1984م، شَنَّتِ القُوَّاتُ السُّوفييتيَّةُ عمليَّةَ تطويقٍ في ولايتي بروان وكابيسا مُستخدمةً عدَّة فرقٍ[159]. وكانَ هدفُ هذهِ العمليَّة تدميرَ قوَّاتِ المجاهدين المُنتشرةِ عبرَ منطقةٍ واسعةٍ مُمتدَّةٍ من طريقِ "تشاريكار سالنغ" السَّريع غرباً حتَّى "محمود راقي" شرقاً وباغرام جنوباً (الخريطة 10-4- بروان).



وتنتشرُ في هذهِ المنطقةِ العديدُ من القرى، كما تقطعُها قنواتُ الرَّيِّ الواصلةِ إلى المناطقِ الخصبةِ، حيثُ البساتينُ والكرومُ والمزارع. وكانت في هذه المنطقةِ عشراتُ القواعدِ التَّابعةِ للمجاهدين المنتمين

---

[158] كان الحاج عبد القادر قائد منطقة باغرام. وقد درس المؤلفان وثائق أخرى لإضافة تفاصيل على روايته. يحدر عبد القادر من قرية سايغاني على بعد ست كيلومتراتٍ فقط من قاعدة باغرام الجوية، وكان معلماً في إحدى المدارس. كما كانت مجموعته تنتمي إلى الحزب الإسلامي بقيادة خالص سابقاً ثم انضمت إلى الاتحاد الإسلامي بقيادة سيّاف. [Map sheets 2886 and 2887].

[159] من المرجح أن القوات التي شاركت هي من الفرقة 103 المحمولة جواً والفرقة 108 للبنادق الآلية السوفييتيتين، ومن الفرقة الثامنة للمشاة واللواء 37 للمغاوير الأفغانيتين.

لكبرى فصائلِ المقاومة. وكانَ معظمُهم غيرَ متمركزاً فيها، بل مُتبعثرين إلى مئاتِ الوحدات الصَّغيرة السَّاكنة في القرى أثناءَ فصلِ الشِّتاء.

في 24 يناير/كانون الثَّاني، تحرَّكت أرتالٌ من الدَّبَّابات وقوَّاتِ البنادقِ الآليَّةِ من الجيشينِ السُّوفييتي والأفغانيّ انطلاقاً من كابول وباغرام وجبلِ السراج وغلبهار (في فم وادي بنجشير) لإنشاءِ طوقٍ كبيرٍ حولَ المنطقةِ الخضراء المُمتدَّةِ على جانبي نهرِ بانجشير، معَ إسنادٍ جويٍّ مُكثَّف. كانَ هدفُ العدوِّ من ذلك حصرُ الآلافِ من المجاهدين في المنطقة وتدميرُ قواعدِهم. فعزَّزَ المجاهدون دفاعاتِهم على طولِ الطُّرقِ الرَّئيسيَّة في القطَّاع، حيثُ توقَّعوا تقدُّمَ العدوِّ على هذهِ المحاور، فقرَّروا إغلاقَها لكسبِ الوقت، بينما يحاولُ بقيَّةُ المجاهدين كسرَ الطَّوقِ المفروضِ حولَ المنطقة.

أثناءَ اليومِ الأول، انتشرَتِ القُوَّاتُ السُّوفييتيَّةُ والأفغانيَّة، وأنشأتْ مواقعَ لإغلاقِ الطُّرُق، مُعزَّزةً بالدَّبَّابات وناقلاتِ الجنودِ المدرَّعةِ والمِدفعيَّة. وفي فجرِ يومِ 25 يناير/ كانون الأول، شُنَّت هذهِ القُوَّاتُ هجماتٍ من عِدَّةِ نقاطٍ، وهيَ تشاريكار وجبلُ السراج وغلبهار ومحمود راقي وقلعة ناو وباغرام.

العملُ قربَ باغرام

في ذلكَ الوقتِ، كانَ لدى الحاج عبدِ القادر 200 مقاتلٍ في مديريَّة باغرام. وكانت قاعدتُهم الدَّائمةُ مُشتركةً مَعَ فصيل الجمعيَّةِ الإسلاميَّةِ تحتَ قيادةِ شاهين في "ديه بابي" قربَ عبد الله بورج. كما كانت توجدُ له قاعدةٌ أخرى في "أشرفي" قربَ تشاريكار. وكانت مجموعةُ الحاج عبد القادر متنقِّلةً تقضي معظمَ وقتِها إمَّا في قتالٍ حولَ باغرام أو في عملٍ مُشتركٍ مع الوحداتِ الأخرى للمجاهدين في ولايتي بروان وكابيسا.

في اللَّيلةِ التي سبقت الهجوم، دكَّتِ المدفعيَّةُ السُّوفييتيَّةُ والأفغانيَّةُ مواقعَ المجاهدين، انطلاقاً من قواعدَ ناريَّةٍ أنشؤوها حولَ المنطقة. ثمَّ انقضُّوا واشتبكُوا مع المجاهدين من جميع المحاور بالمُشاةِ والمدرَّعات أو المِدفعيَّة الثَّقيلة والقَصف الجوي. واشتدَّ القصفُ الجوي في اليومِ الثَّاني، حيثُ أسندَتِ الطَّائراتُ

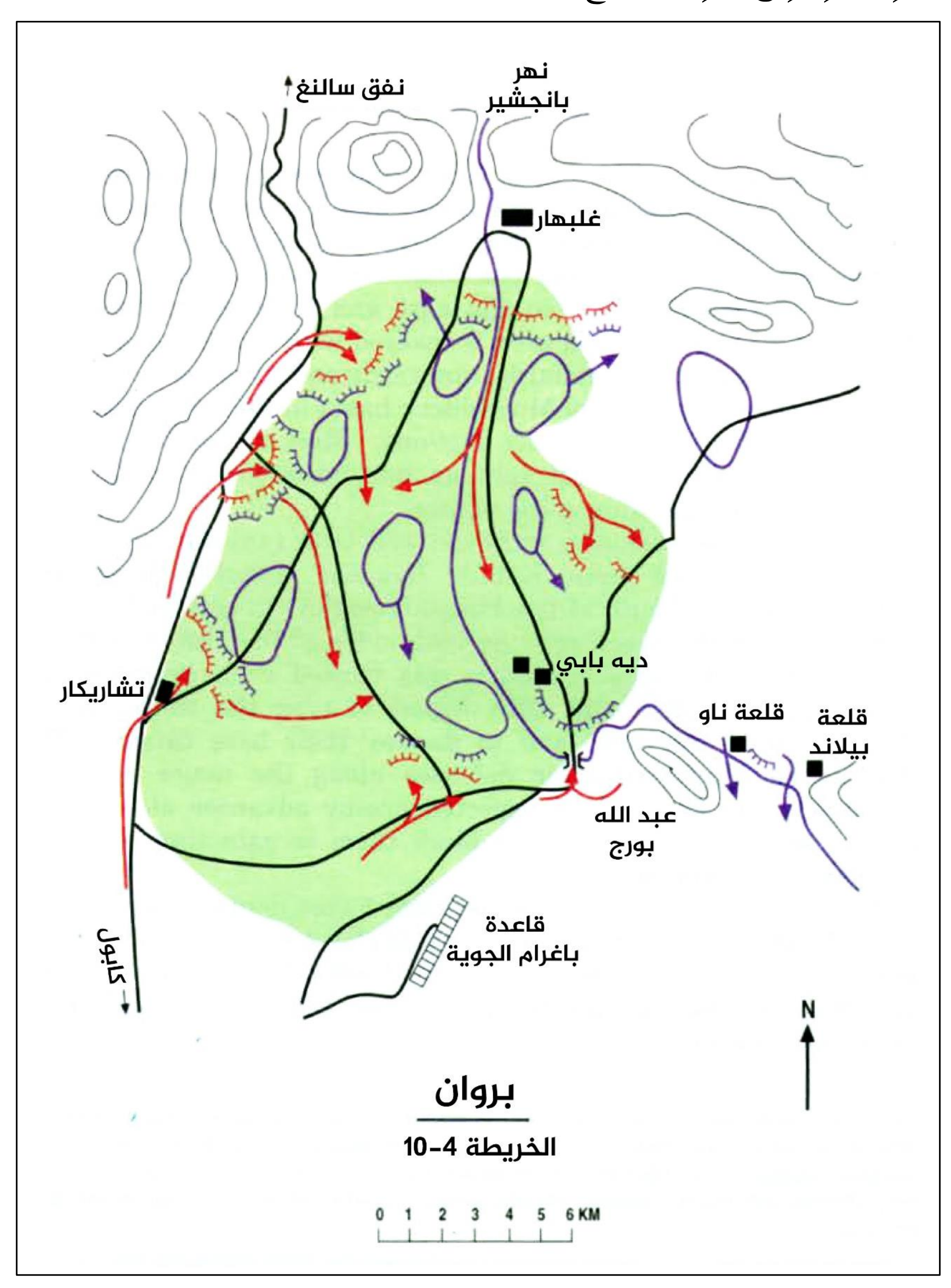
الحربيَّةُ والمِروحيَّاتُ الهجوميَّةُ هجومَ الأرتالِ على الأرض. وهذا ما سبَّبَ في تعطيلِ اتِّصالاتِ المجاهدين تعطيلاً بالغاً، ممَّا قلَّل التَّواصلَ فيما بينهم بشكلٍ كبير.

كانَ رجالُ الحاج عبد القادر مسلَّحين ببنادقِ كلاشنكوف و15 قاذفةِ آر بي جي وثلاثِ مدافعَ عديمةِ الارتدادِ عيارِ 82 ملم ومدفعين عديمي الارتدادِ عيار 75 ملم، وثلاثةِ مدافعِ هاون عيارِ 82 ملم ورشَّاشيْ دوشكا ورشَّاش 14.5 بسبطانةٍ واحدة، بالإضافةِ لعددٍ من صَواريخ 107 ملم أرض أرض. فأمرَ المجموعاتِ التَّابعةَ له باحتلالِ مواقعَ معرقلةٍ معدَّةٍ مُسبقاً، كما قامَ بنشرِ جميع الأسلحةِ المُضادَّة للدَّبابات إلى الأمامِ، بينما نشَرَ الرَّشَّاشاتِ الثَّقيلةَ في المُرتفعاتِ قبلَ خطِّ الجبهة. لقد قسَّمَ الحاج عبد القادر قُوَّاتِه وجعلَ لهم نظامَ مُناوبةٍ في المَواقع الدِّفاعية. ومن لم يشغلْ إحدى هذه المواقعِ، قامَ بضمِّه إلى مجموعةِ الاحتياط التي وضعَها في "بالتوخيل" و"سيادان" على بُعدِ حوالي كيلومترين إلى ثلاثة كيلومترات باتِّجاهِ الشَّمال الغربي. كما فتحَ أيضاً مراكزَ للإمداداتِ والإسعافِ في تلكَ المنطقة.

في فجر يوم 25 يناير/كانون الأول، قَصفَت مدفعيَّةُ العدوّ مواقعَ المجاهدين لساعتين. وأجبرَتْ شدَّةُ القصفِ المجاهدين على الاحتماءِ بالملاجئ. كما استترَ بعضُ المجاهدين في الأنقاض (الآثار) وثنايا الجبالِ والخنادق. رافقَ القصفَ المدفعيَّ قصفٌ بالطَّائراتِ الحربيَّةِ وانقضاضاتٌ ناريَّةٌ بالمِروحيَّات. وأثناءَ القصف، حرصَ المجاهدون على عدمِ كشفِ أنفسهم. ثمَّ بعدَ شُروقِ الشَّمس بقليل، تحرَّكت مُشاة العدوّ مسنودةً بالدَّبَّابات وعرباتِ البي أم بي للبدءِ بالهجوم. وسارَ الرَّتل مطمئناً، لافتراضِه بأنَّ القصفَ المِدفعيَّ والجويَّ قد قَضى على المجاهدين. وبمجرَّدِ دخولِه في مَدى أسلحةِ المجاهدين، فتحَت المدافعُ المُضادَّة للدَّبَّاباتِ والرَّشَّاشاتِ النَّارَ عليهم. فَؤُخِذَ العدوُّ على حين غِرَّةٍ، وأُجبِرت المشاةُ والدَّبَّابات على الانسحاب. الجديرُ بالذِّكرِ أنَّ قوَّاتِ العدوّ لم تكن مُندفعةً للهجوم بشدة، ولعلَّ ذلك يرجعُ في الغالبِ لخوفِهم من الألغامِ والأسلحةِ المُضادَّة للدبابات.

في أول يومين من العمليَّة، كرَّرَ السُّوفييت من هجماتِهم عدَّة مرَّاتٍ وبالأسلوبِ ذاتِه: تمهيدٌ مدفعيٌّ وقصفٌ جويٌّ بغرضِ تدميرِ مواقعِ المجاهدين، يتبعُه تقدُّمُ المُشاة والدَّبَّابات إلى أن توقِّفَهم نيرانُ

المجاهدين المُدمِّرة من مسافاتٍ قريبة، ومن بعدِها يتراجعون. كانَ تقدُّمُ الدَّبّابات التي تتَّبعُ المُشاةَ بطيئاً جداً، لاسيما عندما تتمُّ إصابتُها أو إصابةُ المُشاة. في الوقتِ نفسِهِ، فإنَّ المُشاةَ كانت تفزعُ بعدَ إصابتِها بنيرانِ الدِّفاعِ المدمِّرة، فتتراجعُ للاحتماء خلفَ الدَّبّابات.



بروان

الخريطة 4-10

بمرورِ الوقت، أصبحَ هناك عاملانِ يُشكّلان خطراً على المجاهدين. الأوَّلُ: اختراقُ العدوّ مواقعَ المجاهدين إلى عمقٍ خطيرٍ في بعضِ المحاور، ممَّا أثارَ المخاوفَ حولَ وقوعِ المجاهدينَ في تطويقِ وحداتِ العدوِّ الملتفَّة، الثاني: محاولةُ بعضِ المجاهدين الفرارَ مِن تطويقِ العدو، فبعد أن تبيَّنت لهم أهدافُ العدوِّ من عمليّته وحجمُ العمليَّة عمدُوا إلى الهروبِ للنَّجاةِ بأنفسِهم. وقد أضعفَ هذا مواقعَ المجاهدين وساعدَ المُهاجمين.

كانت بعضُ الوحداتِ المجاورةِ لوحداتِ الحاج عبد القادر قد تَركَت مواقعَها الأماميَّةَ في قطَّاعِ قلعة "بيلاند" وتراجَعت. فأجبرَ هذا عبدَ القادر على الانسحابِ بقُوَّاته في اليومِ الثَّالث نحوَ الخطِّ الدِّفاعي الثَّاني المُعدّ على مرتفعٍ يبعدُ كيلومتراً واحداً شمال المواقعِ الدِّفاعيَّة الأماميَّة. وعلى مدى الأيَّام الثلاثةِ التَّالية، حاولَ السُّوفييت كسرَ مواقعِ عبدِ القادر على المُرتفعات، إلا أنَّها كانت أشدَّ مناعةً من سابقتِها. وقد استخدمُوا أسلوبَ الاقتحامِ نفسَه بتقديمِ المُشاة تتبعُهم الدَّبَّابات، كما حدثَت أيضاً النَّتائجُ نفسُها التي حصَلت في الهجوماتِ السَّابقة.

في نهاية الأسبوع، استطاعَ المئاتُ من المجاهدين الهروبَ عبرَ قطَّاعِ قلعةِ بيلاند إلى قواعدِهم الجبليَّة في جبلِ "صافي" جنوباً، مستفيدينَ من قناةِ ريٍّ مُغطَّاة بالأشجار للفرارِ من المنطقة. فإلى الغربِ مباشرةً من الطَّريقِ قربَ سوقِ "قلعة ناو" كانت تُوجد قناةُ ريٍّ رئيسيَّةٍ تجري من الشَّرقِ إلى الغرب، بينما كانت تصبُّ فيها العديدُ من الرَّوافدِ المُغذِّية (القنوات الفرعيَّة) التي كانت تجري من الشَّمال إلى الجنوب. وفي عدَّةِ أماكنَ فوقَ القناةِ الرَّئيسيةِ والقنواتِ الثَّانويَّة وُضِعت جسورٌ مُغطَّاةٌ تسمحُ بعبورِ المراكب. وقد كانت هذه القنوات تجفُّ في الشّتاء، ممَّا وفَّر ممَرَّاتٍ مناسبةً للهروب. وفي اللَّيالي الأخيرة من العمليَّة، هربَ المئاتُ من المجاهدين عبرَ القنواتِ إلى جبلِ صافي. ولم يكتشفِ العدوُّ عمليَّة الهروبِ إلا في نهايةِ العمليَّة، ففتحُوا النّيران على بعضِ الهاربين. عملَ رجال عبد القادر كحرسٍ خلفيٍ للمجاهدين، وكانُوا آخرَ من خرجَ من المنطقة بعدَ إغلاقِ قطَّاعِ قلعةِ بيلاند لمدَّة أسبوعٍ من قبلِ العدو.

لم يدخلِ العدوُّ المنطقةَ إلا بعدَ أن استطاعَ الآلافُ من المجاهدين الهروبَ منها. وبحسبِ تصريحاتِ الحاج عبد القادر، فكلُّ ما استطاعَ العدوُّ أسرَه هو 20 مقاتلاً. لذا فقد تمَّ توبيخُ القائدِ السُّوفييتيّ الذي كانَ مُشرفاً على هذا العملِ بسببِ هذا الفشل. لقد استخدَمَ العدوُّ عدَّةَ فِرَقٍ في هذا العمل، وآلافَ القذائفِ المِدفعيّة، وأرسلَ المئاتِ من الطلعاتِ الجويَّة القتاليَّة، وكلُّ ذلك من دون تحقيقِ أيِّ نتيجةٍ تُذكَر. بينما دمَّرت مجموعةُ عبد القادر وحدَها 11 عربةً بينَ دبَّابةٍ وناقلة جندٍ، وأوقعَت عشراتِ القتلى والجرحى في صفوفه. وتكبَّدتِ المجموعةُ سبعةَ قتلى و18 جريحاً. وكانت معظمُ خسائرِها بسببِ المِروحيَّات الهجوميَّة.

التَّعليق:

صحيحٌ أنَّ العدوَّ استولى على الكثيرِ من قواعدِ المجاهدين في ولايتي بروان وكابيسا، إلا أنَّه فشلَ في تدميرِ قُوَّاتِ المجاهدين التي هربَت من الطَّوق أو توارَت عن الأنظارِ تحتَ الأرض. حيثُ تمتَّعَ المجاهدون بحرِّيَّة الحركة والمناورة في منطقةٍ واسعةٍ لحينِ استطاعَ العدوُّ في الأخيرِ اختراقَ الدِّفاعات. كما كانت عمليَّةُ التَّطويق هذه مخلخَلَةً -كما هو الحال في كثيرٍ من عمليَّاتِ التَّطويق والبحثِ الكبيرة أثناءَ الحرب- فاستحالَ على العدوِّ حبسُ المجاهدين داخلَ المنطقة.

في جانبٍ آخر، تكلَّف العدوُّ ثمناً باهظاً بسببِ أداءِ المُشاةِ والدَّبَّاباتِ الضَّعيف ضدَّ خصمٍ عنيدٍ. وظهرَ من هذا العمل بأنَّ العدوَّ كانَ يستخدمُ كلَّ سلاحٍ على حدا بدلاً من شنِّ اقتحاماتٍ منَسَّقةٍ بينَ المشاةِ والدَّبَّابات. وقد كانَ من الممكنِ للعملِ المشتركِ بين هذين السَّلاحين أن يغطِّيَ جوانبَ ضَعْفِ كلِّ سلاحٍ، وما حصلَ على الأرضِ أنَّ العملَ المنفصلَ قد زادَ من ضَعفِ كلِّ سلاحٍ في وجهِ دفاعٍ منيعٍ.

بنى المجاهدون سلسلةً من الملاجئِ المغطَّاةِ قربَ مواقعِهم القتاليَّةِ المُعدَّة، ممَّا نجَّاهم من القصفِ الجويِّ والمدفعيِّ المكثَّف. إلا أنَّ معظمَ هذا القصفِ قد دمَّرَ البيوتَ والأنظمةَ الزِّراعيَّة وقتل المدنيين. وكان غياب التّنسيق العملياتي بين مجموعات المجاهدين سببا في تضييع بعض الفرص

العملياتية الكبيرة. صحيحٌ أن السّوفييت لم يتمكّنوا من أسر أعدادٍ كبيرةٍ من المجاهدين أو قتلهم، إلا أن ضياع هذه الفرص العملياتية قد أفقد المجاهدين قدرة كبيرة في تكبيد العدو خسائر فادحة. لقد ركّز المجاهدون على الهرب، بينما كانت لديهم فرصاً كثيرةً لقتل عدوهم بالمقاومة انطلاقاً من سلسلة المواقع الدفاعية في المنطقة، أو من خلال قطع طرق انسحابه بعد دخوله لمناطق المجاهدين.

على أية حال، فهذه ليست المعركة الأولى أو الأخير للمقاومة. فقد خاض المجاهدون في هذه الحرب معركة استنزافٍ ضدّ عدوهم، وكانوا حعلى الدَّوامِ يرفضونَ الدُّخولَ في مواجهةٍ حاسمةٍ مع عدوِّهم في مناطقِ سكناهم، حيثُ سيتسبَّبُ هذا الأمرُ بتدميرِ القرى وقتلِ المدنيين. وفي هذه المنطقة بقيَ السُّكان المدنيين في منازلِهم طوالَ الحرب.

من النَّاحيةِ التَّكتيكيَّة، استطاعَ المجاهدون حشدَ نيرانِ أسلحتِهم الخفيفةِ المضادَّة للدُّروع ضمنَ مدىً قريب. واستطاعَ العديدُ من رماةِ هذهِ الأسلحة توجيهَ نيرانها على الأهدافِ توجيهاً متزامناً. ممَّا رفعَ من فرصِ نسبةِ إصابةِ الأهداف، ومنعَ العدوَّ من توجيهِ نيرانٍ مُضادَّةٍ فعَّالةٍ، وحطَّم معنويَّاتِ طواقمِ العربات، وبلبلَ صفوفَ أرتالِ الآليَّات والدَّبَّابات، ومنعَهم من توظيفِ نيرانِ المدفعيَّةِ غيرِ المباشرةِ الدَّقيقة نحوَ المنطقة. وعادةً، تستطيعُ الرَّشاشات الثَّقيلةُ تعزيزَ رماةِ الأسلحةِ المُضادَّة للدَّبابات بعدَّة أمور، فهي تفصلُ المشاةَ الرَّاجلةَ عن العرباتِ المدرَّعة، وتحصرُ طواقمَ العرباتِ داخلَ آليَّاتهم ممَّا يضعفُ الرُّؤيةَ لديهم، وتوفِّرُ تغطيةً ناريَّةً لانسحابِ رُماةِ المدفعيَّة.

المقالة الخامسة: الصمودُ الأخيرُ في الجُزر مقابل "غيردي كاتس"

رواية المولوي شُكُر ياسيني[160]

في 24 من مارس/آذار 1984م، أرسلَ السَّوفييت قوَّةً كبيرةً إلى مديريَّة كامه. كنتُ وقتَها في بيشاور باكستان. وكانت القُوَّاتُ السُّوفييتيَّةُ من اللواء 66، وتضمَّنت أيضاً قُوَّاتٍ من ولايةِ بغمان. وكانت تضمُّ ما بينَ 200-300 دبَّابةٍ أو ناقلةِ جندٍ مدرَّعة. بينما كانَ تحتَ قيادتي مجموعتين في قريةِ ميرزاخيل، يقودُ إحداها باز محمد، بينما قادَ الثَّانية ابن أخي شابور. استطاعَت مجموعةُ باز محمد الهروبَ، فيما حُوصِرَت مجموعةُ شابور المكوَّنةُ من 25 رجلاً.

قامَت القُوَّاتُ السَّوفييتيَّةُ بتنفيذِ عمليَّات إنزالٍ على المُرتفعاتِ الحاكمةِ على ميرزاخيل، وتحرَّكت دبابتُهم من الغرب (الخريطة 10-5- غيردي). وعلى الجانبِ الثَّاني من النَّهر، تحرَّكت الدَّبَّابات عبرَ غيردي كاتس. بينما تحرَّكَ المجاهدون جنوباً من ميرزاخيل إلى الجزرَ المنبسطةَ المُنخفضةَ داخلَ نهرِ كابول بين "غيردي كاتس" وميرزاخيل. وقد كانت هذهِ الجُزرُ مغطَّاةً بالشجيراتِ المُنخفضة، وكانت توفِّرُ تمويهاً لصدِّ القصفِ وليس غطاءً.

---

[160] مولوي شكر ياسيني هو عالم ديني بارز في ولاية ننغرهار. وهو من قرية غيرداب في مديرية كامه شمال شرق جلال آباد. وأثناء الحرب، كان قيادياً كبيراً في الحزب الإسلامي التابع لخالص. لكنه فيما بعد انضم للجبهة الإسلامية الوطنية. أثناء الحرب أخذمولوي شكر ياسين الصحفي دان راثر إلى قاعدته في أفغانستان. ورافق أيضاً عضو الكونغرس تشارلز ويلسون من تكساس في أفغانستان عدَّة مرات. وطوال معظم الحرب، كان فعالاً في منطقته يحارب الجيش الأفغاني في جلال آباد، واللواء 66 السوفييتي للبنادق الآلية المستقلة المتمركزة في سمرخيل. وكان عضواً في مجلس حكم ننغرهار بعد انهيار النظام الشيوعي، وبقي في المنصب حتى تقدم طالبان في سبتمبر/أيلول 1996. [Map sheet 3185]

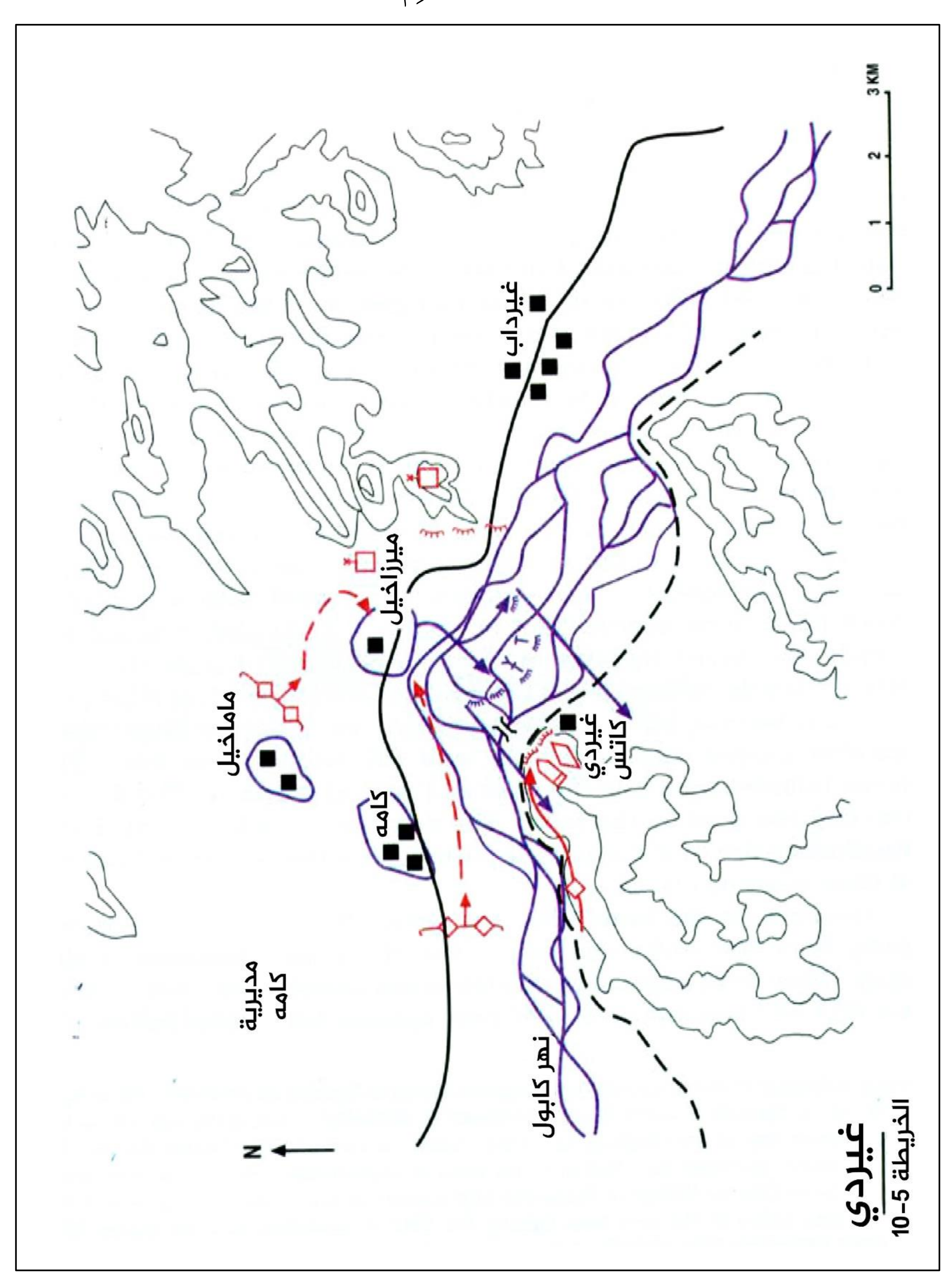


ومع وصولِهم لهذه الجزر، بدأ مُشاةُ السُّوفييت بالعبورِ من غيردي كاتس عبرَ النَّهر بطوّافات مطاطيَّةٍ قابلةٍ للنَّفخ. وحرَّكَ السُّوفييت أيضاً دبَّابةً إلى النَّهر حتَّى تعبره، إلا أنَّها علقتْ مباشرةً. فقامَ المجاهد "فيروز" رامي المِدفع الرَّشَّاشِ بإغراقِ تلكَ الطَّوافاتِ بنيرانِ رشَّاشِ البيكا. فسقطَ مُشاةُ السُّوفييت في النَّهر وغرقَ عددٌ منهم. كما كانَ هناكَ كلبانِ على هذهِ الطَّوافاتِ الغارقةِ، فسبحا نحوَ "غيردي كاتس". وكانت المُحصِّلة أنَّ نيرانَ المجاهدين التي كانت تخرجُ من الجزرِ قد استطاعَت تثبيتَ السُّوفييت وإفشالَ محاولةِ عبورِهم للنَّهر.

مع ذلكَ وفي الوقتِ نفسِه، ضغطَ العدوُّ على مجموعتي من جِهتين، ولم يستطع إلا القليلُ التَّملُّص بعيداً، حيثُ كانُوا مكشوفين ناريّاً على تلكَ الجُزر المُغطَّاةِ بالشجيراتِ القصيرة، فقُتِل من رجالي 11 مجاهداً، بينما جُرِح اثنان وأُسِرَ اثنان. الأوَّلُ اسمُه أعوذُ بالله، بينما الثَّاني اسمُه نزار محمد.

وقامَ السُّوفييت بتعذيبِهما، إلا أنَّهما لم يعترِفا. واستمرَّا بالزَّعمِ أنَّ المولوي شُكُر (المجنون) جنَّدهُما للقتالِ بالإكراه، ومن ثمَّ أطلقَ السُّوفييت سراحَهما. وأُصيبَ شابور وفيروز، فأخذَهما القرويون، وتنقَّلوا بهما بينَ منازلَ آمنةٍ، وأخفوهما من السُّوفييت الذين بقَوا لستَّةِ أيَّامٍ يفتّشونَ المنطقة. ولم نستطع استردادَ جثثِ بقيَّة المجاهدين فوراً بسببِ ضغطِ العدوّ أثناءَ المعركة. فافترستِ الثَّعالبُ وبناتُ آوى جُثثَهم، ولم نستطع دفنَ ما تبقَّى من الجُثث إلا بعدَ حَوالي أسبوعٍ. بينما عرضَ السُّوفييت دفع 20,000 من العملةِ الأفغانيَّة لمن ينتشلُ جثثَ رفاقِهم القتلى من النَّهر. إلا أنَّني بعدَ أن رأيت

ما صارَت إليه جثثُ إخوانِنا منعتُ النَّاسَ من استخراجِ جثثِ السَّوفييت من بابِ المعاملةِ بالمثلِ، وقلت: "دعوا غربانَ بلادنا تنالُ نصيبَهَا العادل من جُثَثِهِم".



التَّعليق:

غالباً ما كانَ المجاهدون في مديريَّة كامه يتملَّصون من عمليَّةِ التَّطويقِ والبحثِ السُّوفييتيَّةِ بالهروبِ إلى الجبال، إلا أنَّ السُّوفييت تعلَّموا اعتراضَ طرقِ هروبِهم بالإنزالاتِ المروحيَّة. بمعنى أنَّه توجَّب على السُّوفييت قتالُ المجاهدين ضمنَ المنطقةِ الخضراءِ ممَّا يعني أنَّهم لاقَوا بعضَ الصُّعوبات. وبالرُّغم من ذلك، فقد تضمَّنتِ المنطقةُ الخضراءُ في كامه على شبكةِ طُرُقٍ، ممَّا منحَ السُّوفييت تفوُّقاً، يتمثَّلُ بقدرتِهم على إيصالِ عرباتِهم القتاليَّةِ إلى المنطقةِ الخضراءِ والاستفادةِ من القوَّةِ النَّاريَّة. واستخدمَ السُّوفييت مناطقَ الهبوطِ نفسِها مراراً وتكراراً، إلا أنَّ المجاهدين لم يحاولُوا تلغيمَ تلكَ المناطقِ ولا نصب أسلحةٍ مضادَّةٍ للطيران موجَّهةً على تلكَ المناطقِ على نحوٍ دائم. وفي هذا العملِ، بُوغِت المجاهدون ولم يستطيعُوا الهروبَ إلى الجبال، فأجبِرُوا على خوضِ معركةٍ غيرِ متكافئة. وكانَ منَ المُمكنِ للمجاهدين أنْ يخفِّفُوا عن أنفسِهم الكثيرَ لو أنَّهم اعترضُوا العدوَّ في مناطقِ الإنزالِ المعروفة.

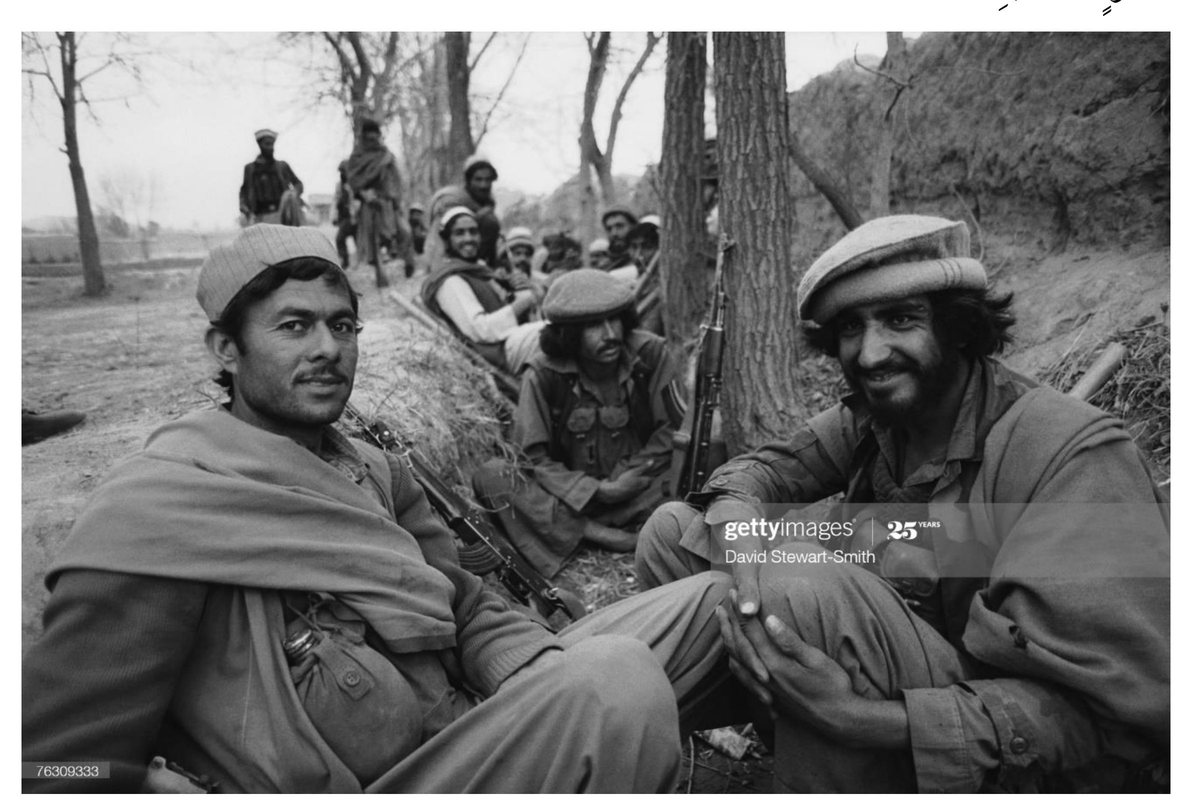
إنَّ عبورَ الأنهارِ الضَّحلةِ الصَّحراويَّة يبدو في الظَّاهر أمراً في غايةِ الأمان، إلا أنَّ الطبيعةَ خادعةٌ. ففي يوم 31 من مارس/آذار 1879م، فقدَ الجيشُ البريطاني 47 من رجالِه، أيْ حَوالي سربٍ كاملٍ من الفوجِ العاشرِ للخيَّالةِ الخفيفةِ (هوسار) الذي كانَ يحاولُ عبورَ نهرِ كابول على بُعدِ 35 كيلومتراً غربَ نقطةِ عبورِ الجيشِ السُّوفييتي اليوم. في الظَّاهر، يبدو نهرُ كابول ضحلاً وبطيء الجريان، إلا أنَّه في الحقيقةِ يُخفي تيَّاراتٍ قويَّةً تُغرِقُ على الفورِ الجنديَّ الغافلَ.[161]

---

[161] Colonel H. B. Hanna, The Second Afghan War, 1878-79-80, Its Causes, Its Conduct, and Its Consequences, Volume II, Westminister: Archibald Constable and Co., Ltd., 1904, 282-287.

التَّعليق على الفصل

كانَ من المعتادِ للقوَّاتِ السُّوفييتيَّةِ والأفغانيَّةِ في عمليَّاتِ التَّطويقِ والبحثِ، أن يخوضُوا المعاركَ والعمليَّاتِ بأسلحةٍ مشتركةٍ. فيما استطاعَ المجاهدون كسبَ تلكَ المعاركِ والنَّجاةَ من عمليَّاتِ التَّطويقِ عبرَ تحقيقِ التَّنسيقِ المركزيِّ لأعمالِهم، وتطويرِ خططِ طوارئٍ للتَّعامل مع العدو، وبناءِ الكثيرِ من التَّحصيناتِ الميدانيَّةِ لعرقلةِ تقدُّمِ القُوَّاتِ السُّوفييتيَّةِ والأفغانيَّةِ وبعثرةِ جهودِهم. فقد كانَ المجاهدون الأعلى جُهوزيَّةً يحتفظونَ على الدَّوام باحتياطيٍّ مركزيٍّ، وكانوا بارعينَ في توجيهِ الهجماتِ المُضادَّةِ والالتفافِ على أجنابِ العدوِّ المهاجم. وكلُّ من استصعبَ من المجاهدين مثلَ هذهِ الأعمال، كانُوا في الواقعِ مجموعاتٍ منفصلةً ممَّن افتقدُوا لقيادةٍ مركزيَّةٍ، وممَّن لم يعدُّوا خطَّةَ طوارئٍ، ولم يقومُوا بأيِّ خطوةٍ لتحصينِ المنطقةِ.



مجموعات من المجاهدين الأفغان في خندق لهم خلال هجوم على جلال آباد في مارس 1989

الفصل 11: الدِّفاعُ عن القواعد

على الرُّغمِ من أنَّ قُوَّاتِ العصابات تميلُ للاحتفاظِ بالمبادرةِ مع انتفاءِ الحاجةِ للدِّفاع، فإنَّ وقائعَ معيَّنةً في الحربِ قد تفرضُ عليهم اللُّجوءَ إلى الدِّفاع. وهنا يمكنُ للعصاباتِ القيامُ بدفاعٍ مُتحرِّكٍ أو دفاعٍ ثابتٍ (موقعيٍّ). وفي الغالب، يكونُ الدِّفاعُ المُتحرِّكُ عبارةً عن عمليَّةِ صدٍّ يقومُ به حرسُ المؤخِّرة لحفظِ القوَّة الرَّئيسية أو استدراجِ العدوِّ إلى كمينٍ مُعَدٍّ. ومن الطبيعيِّ أيضاً أن تحميَ العصابات في الدِّفاعِ الثَّابتِ مَمَرّاً أو جسراً أو منطقةً سكنيَّةً أو قاعدةً أو مركزَ إمداد. وفي كلا الحالتين، تواجهُ العصاباتُ المدافعةُ صعوباتٍ شتَّى، وذلك لأنَّ المهاجمَ يمتلكُ المبادرةَ والقوَّةَ النَّاريَّةَ والعرباتِ المدرَّعة والتَّفوُّقَ المدفعيَّ والقوَّةَ النَّاريَّة الغاشمة، بينما تحاولُ العصابات معاوضةَ هذا الأمرِ باستخدامِ التَّضاريسِ والتجهيزِ المُسبقِ للدِّفاعات.

في الحربِ الأفغانيَّةِ السُّوفييتيَّة، وجَّه المجاهدون قدْراً هائلاً من جهودِهم وأوقاتِهم لصالحِ الدِّفاع، وكانُوا يلجؤون لذلك حمايةً لمرافقِهم اللُّوجستيَّة. ففي بدايةِ الحرب، كانت مُتطلَّباتُ المجاهدين اللُّوجستيَّة تنحصرُ فقط في الإمدادِ بالذَّخائرِ وإخلاءِ الجرحى ما دامَ سكانُ الرِّيفِ يقدِّمونَ الطَّعامَ والمأوى للمجاهدين عن طيبِ خاطرٍ لكونِ المجاهدِ من السُّكان المحلِّيين. لكن السُّوفييت عمدُوا إلى مهاجمةِ هذه اللُّوجستيَّات عبرَ تهجيرِ سكَّانِ الرِّيف من مزارِعِهم إلى باكستان أو إيران أو إلى المدنِ الأفغانيَّة الأخرى. وقد حقَّقُوا ذلك بقصفِ القُرى ومهاجمتِها، ونثرِ الألغامِ في الأرياف، وتدميرِ المحاصيل، وقتلِ المواشي، وتسميمِ الآبار، وتدميرِ أنظمةِ الرَّي.

كان المجاهدونَ قد اعتادُوا العيشَ على كرمِ سُكَّانِ الأرياف، إلا أنَّهم أُجبرُوا بعدَها على حملِ وجبَاتِهم بالإضافةِ لذخائرِهم من باكستانَ وإيرانَ إلى أفغانستان. فأنشأَ المجاهدونَ سلاسلَ من مراكزِ الإمدادِ ونقاطاً أماميَّةً للإمدادِ لتموينِ قوَّاتِهم. كما سيطرُوا على المَمرّات الرَّئيسيَّة، ممَّا أجبرَ القُوَّاتِ السُّوفييتيَّةَ والأفغانيَّةَ إمَّا على سحبِ قُوَّاتِهم المُحاصَرة أو إعادةِ إمدادِها عبرَ الجو. وقد دافعَ المجاهدون عن هذهِ المَمَرَّاتِ بشراسة.



عزَّزَتِ التَّضاريسُ الوعرةُ دفاعاتِ المجاهدي، فيما مثَّلَت المواقعُ الدَّفاعيَّةُ المُعدَّةُ مُسبقاً المكوِّنَ المهمَّ الثَّاني من دفاعاتِهم، حيثُ بنى المجاهدون ملاجِئ مسقوفةً ومُحصَّنةً، تحمَّلُ القصفَ المِدفعيَّ والجوي. وبنَوا ملاجئَ دفاعيَّةً مُمَوَّهةً ومواقعَ قتاليَّةً مُتَّصِلةً فيما بينها وتحقِّقُ تقاطعاً ناريَّاً، وخنادقَ اتصالٍ وعدداً كبيراً من مواقعِ إطلاق النار. وتعلَّمَ المجاهدون مناوبةَ القُوَّاتِ المُدافعةِ عبرَ المواقعِ الدِّفاعيَّةِ للتقليلِ من آثارِ الإجهادِ القتاليِّ والضَّغط النَّفسي. وفيما يلي أمثلةُ عن العمليَّاتِ الدِّفاعيَّةِ التي نفَّذَها المجاهدون لحمايةِ مواقعِهم. منها ما لقيَ النَّجاحَ ومنها ما باءَ بالفشل. ومنها ما كانَ للتَّصدي للهجماتٍ البرِّيَّة، ومنها ما كانَ مُواجِها لمزيجٍ من الاقتحاماتِ الجويَّةِ والبريَّة.



المقالةُ الأولى: الهجومُ السُّوفييتي عبر نهر "سرخ"

رواية القائد محمد آصف[162]

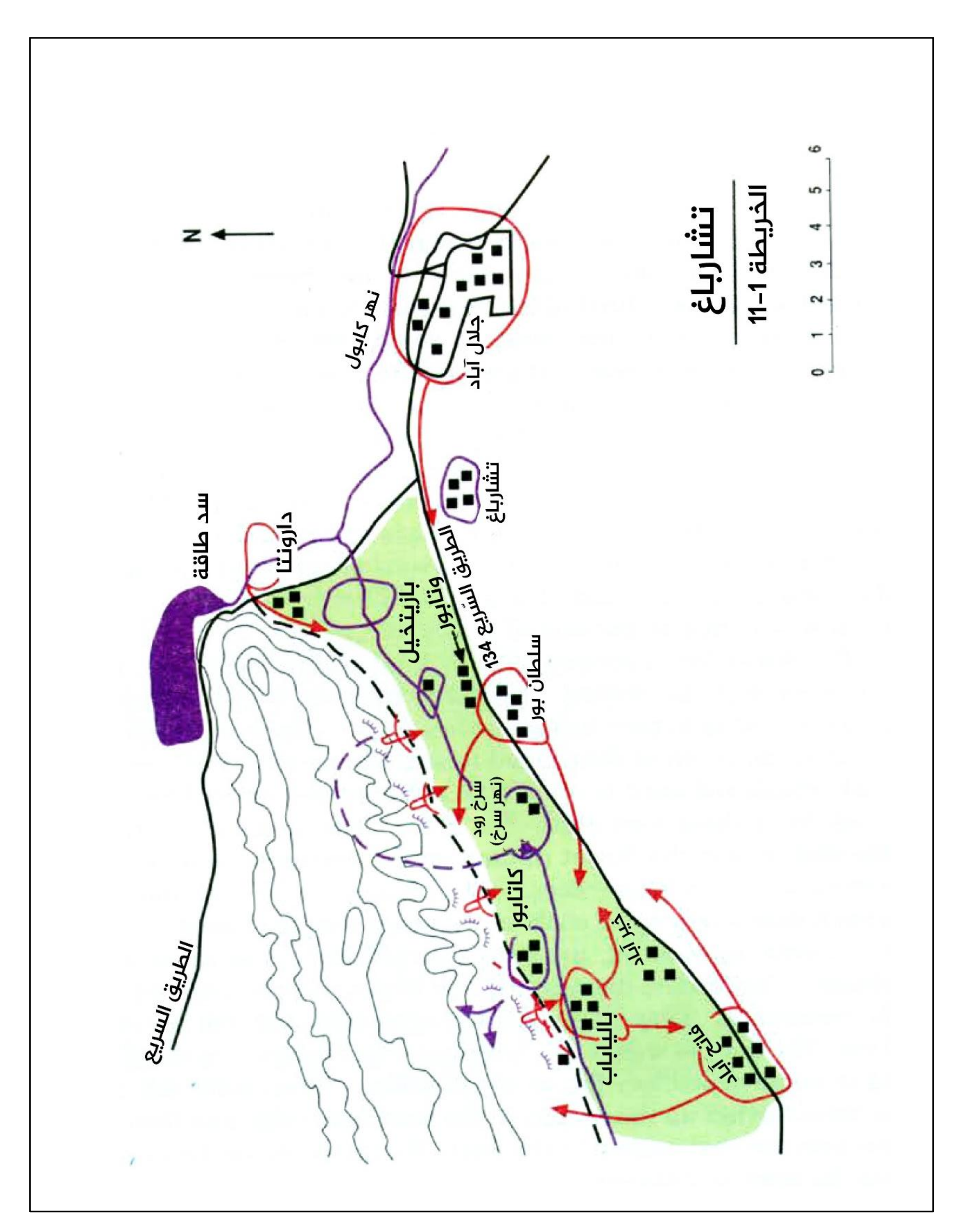
بينَ عَامي 1978 و1979م، شكَّلت مديريَّة "سرخ رود" (نهر سرخ) المليئةُ بالسُّكان حاضنةً للمقاومة ضدَّ النِّظامِ الشُّيوعي، وقاعدةً لعمليَّاتِ المجاهدين في ولاية ننغرهار. ولكن بعدَ الغزوِ السُّوفييتي لأفغانستان مباشرةً، نفَّذَ السُّوفييت عمليَّةً واسعةً ضدَّ قواعدِ المجاهدين في سرخ رود.

يمتدُّ طريقانِ رئيسيَّانِ من شمالِ شرقِ وادي سرخ رود إلى جنوبِ غربِه (خريطة 11-1- تشارباغ). ويعبرُ الطَّريقَ السَّريعَ عبرَ تشارباغ وواتابور وسرخ رود (مقر المديرية) وخير آباد وفاتح آباد. بينما يمتدُّ الطَّريقُ الثَّاني على امتدادِ قدم "جبل تور" عبرَ دارونتا وكاتابور وبالاباغ، ثمَّ يُحاذي نهرَ سرخ رود مُتَّجهاً نحوَ الغرب. وكانت معظمُ قواعدِ المجاهدين مُتمركزةً على امتدادِ الطَّريقين، بالإضافةِ إلى مخابئِهم التي كانت مُنتشرةً في الأوديةِ الضَّيِّقةِ المُمتدَّةِ عبرَ جبلِ تور. كانت بلدتِي الأم "بازيتخيل" تقعُ بينَ الطَّريقين، بينما تقعُ قاعدتِي شرقَ الطَّريقِ السَّريع 134.

في مايو 1980م، بلغَنا بأنَّ السُّوفييت قد حشدُوا قوَّاتِهم في جلال آباد، وذلك للتَّقدُّمِ على طولِ الطَّريقين مع تدميرِ قواعدِ المجاهدين أينَما وُجِدت، كما كانَ من المُفترضِ أن يلتفَّ رتلُهم الجنوبيُّ شمالاً انطلاقاً من "فتح أباد" حتَّى يُكمِلَ تطويقَ الجيب. غادرتُ قاعدتِي في تشارباغ وتوجَّهتُ لبازيتخيل، وكانَ فيها 80 من رجالي، فأخذتُ 50 منهم واتَّجهتُ بهم شَمالاً إلى وادٍ ضيقٍ في جبلِ تور.

---

[162] كان محمد آصف في البداية قيادياً في الحزب الإسلامي التابع لحكمتيار حتى عام 1984م، وانضم بعدها إلى الجبهة الإسلامية الوطنية. كما كان في المدرسة الثانوية بعد الانقلاب الشيوعي، ثم انضم بعد التخرج من المدرسة للمقاومة الأفغانية. وينحدر من بازيتخيل الواقعة في مديرية سرخ رود جنوب غرب جلال آباد في ولاية ننغرهار. [Map sheet 3085]



وضعنا خطَّةً للتَّصدّي للسُّوفييت على الطَّريقِ الشَّمالي قبلَ أن يصلُوا إلى قاعدةِ المجاهدين في كاتابور، ولكسبِ الوقت بما يسمحُ للمدنيين بالهروبِ نحوَ الجبال. وحينَ اقتربَ الرَّتل، بدأت قُوَّتي بالاشتباكِ معَه ممَّا تسبَّبَ في وقوفِه، فترجَّل الجنودُ السُّوفييت، وبدؤُوا باقتحامِ الجبلِ اقتحاماً شَرِسَاً. وكانت مُشاتُهم هذه المرَّة على غيرِ المُعتادِ في غايةِ الشَّراسة، إلا أنَّنا استطعْنا طردَهم من الجبلِ وأُصيبوُا بمقتلةٍ

عظيمةٍ. فردَّ السُّوفييت بطلبِ توجيهِ وابلٍ كثيفٍ من قذائفِ المِدفعيَّة نحوَ مواقعِنا. وحينَ حلَّ الظَّلامُ، سحبتُ قوَّتي أعمقَ في الوادي الضيِّقِ الجبليّ نحوَ حرفِ الجبلِ وعبرْتُ نحوَ وادٍ ضيِّقٍ آخر من جهةِ الغرب، ونزْلنا منهُ نحوَ بلدةِ كاتابور.

وفي كاتابور، أخبرَنا المجاهدون المحلّيونَ بأنَّ القُوَّاتِ السُّوفييتيَّةَ طَارَدت المدنيينَ إلى الجبالِ شمالَ كاتابور مباشرةً، وقتلتْ العديدَ منهم. وأثناءَ القتال الذي حدثَ قربَ كاتابور هربَ السُّوفييت وتركُوا خلفَهم جُثَّتين من رفاقِهم، فتوقَّعَ المجاهدون عودتَهم لاستعادةِ الجُثَّتين. فكَمَنَ رجالي مع مجاهدي المنطقة على مرتفعٍ يطلّ على وادٍ ضيقٍ جبلي شمال كاتابور. وبعد قليلٍ، أتت مفرزةٌ سوفييتيةٌ للبحث عن القتيلين، فَفَتحنا النِّيرانَ لنرديَ سبعةَ قتلى آخرين، بينما لاذَ الباقون بالفِرار. إلا أنَّهم بعد ذلك، قامُوا بالرَّدِ على القُرويين، فأبادُوا المدنيين في بالاباغ وكاتابور، حتى الحيواناتُ لم تَسلمْ منهم، ثمَّ تحرَّكُوا نحوَ فاتح آباد.

لم يستطع السُّوفييت طردَنا من الجبال ولا العثورَ علينا في الوادي، فانتقمُوا بقتلِ كلٍّ من رأوه. وأنشؤُوا ثلاثَ قواعدَ في بالاباغ وفاتح آباد وسلطان بور. ومنها انطلقُوا بعمليَّاتِ البحثِ والتَّدمير نحوَ القُرى المُجاورة، ما أجبرَ المدنيين على الهروبِ غرباً بينما التجأت مفارزُ المجاهدين إلى جبلِ تور. وأحصى قادةُ المجاهدين أعدادَ ضحايا مجازرِ السُّوفييت، فكانوا 1800 شخصٍ معظمُهم من المدنيين الأبرياء. لقد توقَّعَ السُّوفييت بأنَّهم سيعثرونَ على المجاهدين بِكلِّ سهولةٍ، إلا أنَّهم فشلُوا في ذلك وأصابَهم الإحباط، فَعَاثُوا في الأرضِ فساداً وقتلاً وسلباً. وكانت هذهِ أوَّل عمليةٍ سُوفييتيَّةٍ في المنطقة. وقد كانُوا يظنُّون أنَّهم سيعثرونَ على مرتزقةٍ صينيين وأمريكيين، ولكن لم يحصلْ شيءٌ من ذلك، وبدلاً من هذا فقد وَجدُوا فرصةً للقتل والنَّهب.

التَّعليق:

أثناءَ تلك الفترةِ من الحرب، عاشَ المجاهدون في منازلِهم بينَ المدنيين، يقدِّمون لهم الطعامَ والماءَ والمأوى حبّاً وكرامةً. ونتيجةً لذلك، قُتِل الكثيرُ من المدنيين في عمليَّاتِ السُّوفييت. وقد يعودُ السَّببُ في العددِ الكبيرِ من هؤلاءِ القتلى إمَّا إلى سياسةٍ مُتعمَّدةٍ مَدروسةٍ من قِبَل السُّوفييت، أو إلى ضعفِ سيطرةِ الضبَّاط على جنودِهم وقلَّةِ انضباطِهم. إلا أنَّ الخطَّةَ الظَّاهرةَ الواضحةَ للسُّوفييت هي فصلُ العصابات عن السُّكان، وذلك بطردِ الأخيرين من الرِّيف. وفي المراحلِ المتأخِّرةِ من الحرب، تركَ السُّكانُ ديارَهم في المنطقة، ونزحُوا إلى مخيَّمات اللاجئين في باكستان.

كانت هذه المنطقةُ أكبرَ من أن يتمَّ تطويقُها وتمشيطُها في عملٍ واحدٍ، وقد فشلَ السُّوفييت في تقسيمِ المنطقةِ وتمشيطِ كلِّ جزءٍ تلوَ الآخر. وقد سَمحَ هذا الأمرُ لكثيرٍ من المجاهدين والمدنيين بالهروبِ من الطَّوق. كما استفادَ المجاهدون من تركيزِ السُّوفييت على اتِّساعِ نطاقِ العمليَّة بدلاً من الاهتمامِ بإتقانِ التَّنفيذِ التَّكتيكيّ للعملية. ومن النَّاحية الأخرى، لقد كانت قيادةُ المجاهدين وسيطرتُهم مجزَّأةً، فعملُوا بالصُّدفةِ والتَّجلياتِ واقتناصِ الفُرص. ولولا التَّحذيرُ المبكِّرُ، لكان من المُمكنِ أن يتكبَّدَ المجاهدونَ المزيدَ من الخسائرِ في هذه العملية.

المقالة الثَّانية: الدِّفاعُ عن قاعدة سورخاب

رواية الحاج سيِّد محمد حنيف[163]

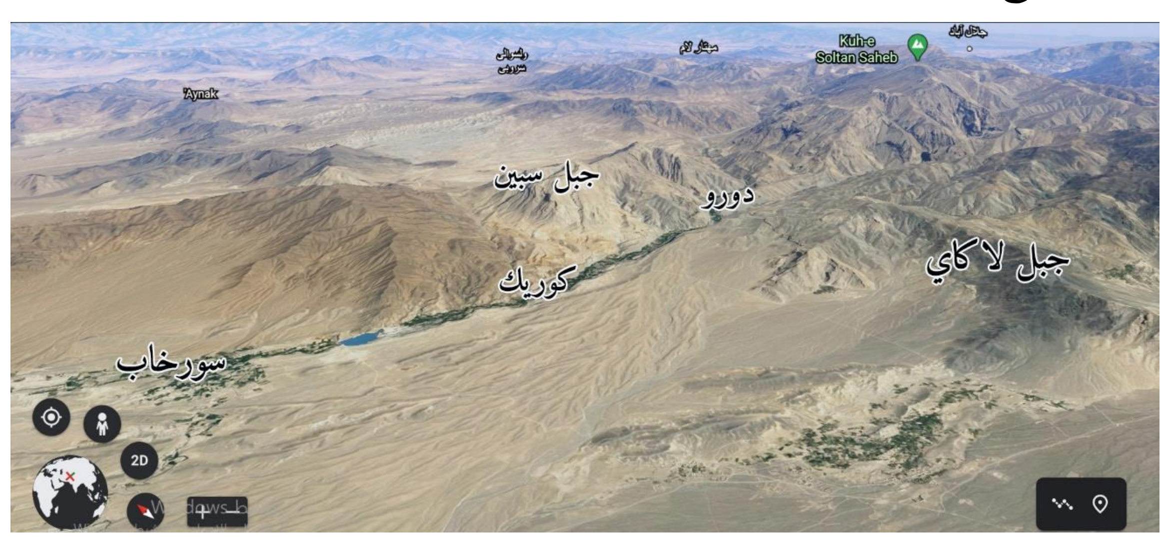
عام 1980م، قامَ المجاهدون بإنشاءِ قواعدِهم في الجبالِ القريبةِ من قريةِ سورخاب في ولاية لوغر. فتمركزَ في هذهِ القواعدِ ما يقارب ال 150 مجاهداً من مختلفِ الفصائل، وكانَ المولوي محمد يوسف قائدَ فصيلِ جبهةِ التَّحريرِ الوطنيّ الأفغانيّ في المنطقة، بينما كانَ المولوي محمدين قائدَ حركةِ الانقلابِ الإسلامي، كما كانت توجدُ أيضاً مجموعاتٌ صغيرةٌ من فصيلَيْ الجمعيَّةِ الإسلاميَّةِ والاتِّحادِ الإسلامي، وكانَ لها قواعدُ أيضاً في المنطقة. كانت قاعدتي واقعةً في الجبالِ شرقَ سورخاب في وادٍ ضيقٍ يُعرَف بدورو. وكنَّا مُسلَّحين بالعديدِ من مدافعِ الهوان عيار 82 ملم، ورشّاشات الدُّوشكا، وقاذفاتِ الآر بي جي -7.

في الصَّباحِ البَّاكرِ من اليومِ الخامس لشهر يونيو/حزيران 1980م،قَدِمَ رتلٌ مشتركٌ من القُوَّاتِ السُّوفييتيَّةِ والأفغانيَّةِ من كابول، وخرجَ من الطَّريقِ السَّريع 157 عندَ بولي قندهاري متوجّها نحوَ الشَّرق. لقد كانُوا مُتَّجهين نحونا، فنشرُوا مدفعيَّتهم وبدؤُوا بقصفِ قواعدِنا، فيما كانَ معظمُ المجاهدين في بيوتِهم وقتَها. فخرجُوا من قُراهُم وتمركزُوا في مواقعَ دفاعيَّةٍ وانضمَّ إليهم مُجاهدونَ آخرونَ قَدِمُوا من قواعدِهم في الجبال.

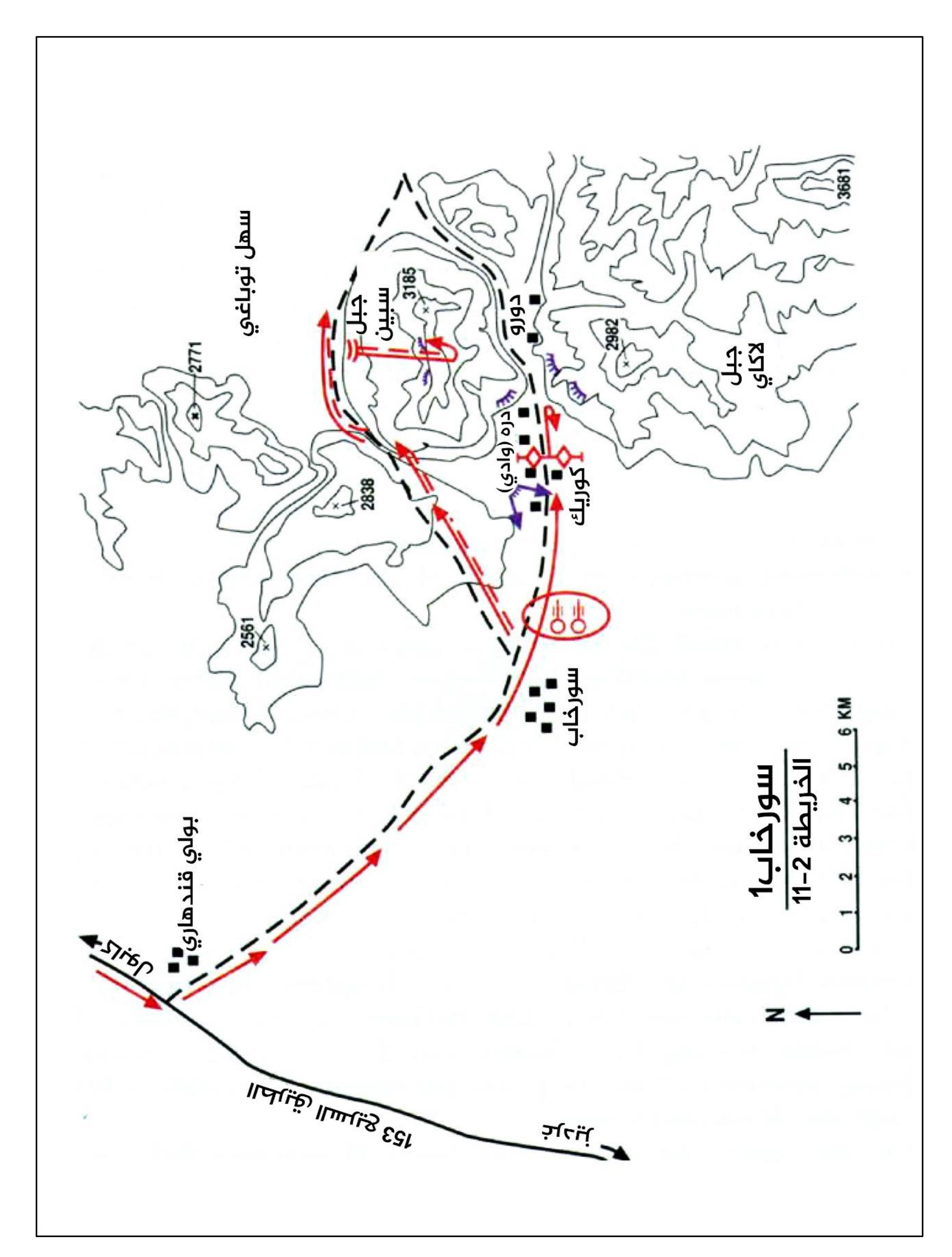
وَبِغَرَضِ منع العدوّ من التَّقدُّم نحو قواعدِنا الجبليَّة، اتَّخذنا مواقعَ لعرقلتِهم من على جبلِ "سبين" المُطِلِّ على قرية "دره" (الوادي) (الخريطة 11-2- سورخاب)، بينما احتلَّ بقيَّةُ المجاهدين مواقعَ جنوبَ وادي دورو الضيِّقِ في جبل "لا كاي". وكانت خطَّتُنا في البدايةِ الدِّفاعَ عن المُنحدراتِ الأماميَّة لجبلَي "سبين غار" و"لا كاي" المقابلةِ للعدو. فنصبْنا كميناً مُتقدِّماً أمامَ الدِّفاعات الرَّئيسيَّة، وأوقعنا خسائرَ بالعدو، إلا أنَّهم استطاعُوا في النهايةِ التَّغلُّبَ على الكمين. وبعدَ التَّمهيدِ المِدفعيّ، تحرَّكت دبَّاباتُ العدوِّ ومشاتُه على طولِ طريقِ الوادي من كوريك، وهاجمُوا مواقعَ المجاهدين في المَدخَلِ

[163] الحاج سيد محمد حنيف من ولاية لوغر. [Map sheet 2885, vie grid 2577]

الغربيّ للوادي الضيّق، فاندلعَ قتالٌ عنيفٌ، وكانت هذه المرَّةَ الأولى التي نواجهُ فيها السُّوفييت. كانت مروحيَّاتُ العدوِّ تقومُ بعمليَّاتِ إخلاءٍ للقتلى والجرحى. وعانى المدنيُّون أيضاً من جرائمِ العدوِّ البشعة، فبدؤُوا بتركِ منازلِهم والنُّزوحِ إلى الجبال. استمرَّ القتالُ طوالَ اليوم، إلا أنَّ العدوَّ لم يستطعْ اختراقَ مواقعِ المجاهدين.



وفي اليومِ الثَّاني، قلَّ عددُ المجاهدين الذي ثَبَتُوا في القتال، حيثُ غادرَ بعضُهم المنطقةَ أثناءَ اللَّيل. فبقيَ العدوُّ يضغطُ على المجاهدين المُتبقين بالنِّيران إلى أن أجبرَهم على الانسحاب من مواقعِهم القتالية. كانَ هناك طريقٌ مُغطىً إلى جبلِ سبين غار من الشَّمال عبرَ سهلِ "توباغي"، وقد كانَ هذا السَّهلُ أعلى من قريةِ سورخاب، وهو ما جعلَ تسلُّقَ الجبلِ من جهتِهِ أسهلَ علينا من تسلُّقه من جهةِ وادي سورخاب. فتسلقتُ أنا وآخران كانَا يحملانِ الذَّخائر. وكان بنيَّتي تسلُّقُ الجبلِ والوصولِ إلى وجههِ الشَّمالي. ولكن في منتصفِ طريقِنا نحوَ حرفِ الجبل، حلَّقت طائرةُ العدوِّ الحربيَّةِ فوقَ المنطقة، كما رأينا صواريخَ إشارةٍ تخرجُ من الجهةِ الثَّانية للجبل، وهوَ مَا عَنَى وقتها أنَّ مُشاةَ العدوِّ موجودون في الجهةِ الثَّانيةِ من الجبل، حيثُ كانَ العدوُّ يستخدمُ صواريخَ الإشارة أو الدُّخانَ لتعليمِ مواقعِ مُشاته أمامَ الطَّائرةِ الحربيَّة، وهنا علمنا أنَّ العدوَّ كان يحاولُ تطويقَ قواعدِنا الجبليَّة بحركةٍ التفافيَّةٍ انطلاقاً من سهلِ توباغي.



كان معي جميعُ ذخائرِنا، وفي تلكَ اللَّحظة كانت الذَّخائرُ غاليةً على نفسي كغلاوة إيماني. نَزَلنا عائدينَ عبرَ الجبل، فرأينا مجاهدينَ آخَرِينَ ينسحبونَ إلى قواعدِهم. كما جاءَ سكان سورخاب إلى المجاهدين وطلبُوا منهم نقلَ قواعدِهم خشيةَ اجتياح العدوِّ لسورخاب على نحوٍ يومي. كانَ الملالي سابقاً قد

رفضُوا طلبَ السُّكانِ بنقلِ تلكَ القواعدِ من قبل، ولكنَّهم الآن مَذعورون ويختبئونَ في الكهوف، فعابَ عليهم السُّكان ذلكَ قائلين: "أخبرتمونا سابقاً أنَّ هذا من الجهاد، لكنَّكم الآن تحاولونَ الهَرَب." فاستحى بعضُ الملالي على نفسهِ وخرجَ من كهفِه، إلا أنَّ الذُّعرَ بقيَ مخيِّماً على الجميع. بقيتُ وحدي مع الذَّخائر، ولم يبقَ معي أحدٌ لحملِها، ففكَّرتُ في تركِها والهروبِ بجلدي، ولكنَّني فكَّرتُ وقتَها بأهميَّةِ هذه الذّخائرِ بالنِّسبة للمجاهدين، وتصوَّرتُ نفسي في موقفٍ أُسألُ فيه عن أعمالي.

أخيراً، قرَّرَتْ إحدى المجموعاتِ القيامَ بصمودٍ أخيرٍ فدائيٍ ونادَوا للتَّطوُّع. وتطَّوعَ الملازمُ شيراب -المنشقُّ عن الجيشِ الأفغاني- الذي كنَّا سابقاً نشُكُّ فيه، إلا أنَّه الآن أثبتَ لنا صِدقه. قالَ الملازم شيراب: "العدوُّ ليسَ مُعتاداً على القتالِ في الجبال، وسيستغرقُ منه التَّسلُّقُ وقتاً طويلاً، وهو يخشى هذه الجبال. فإذا رميتم عليهم من موقعٍ واحد، فسيتوقَّفون طويلاً ويتعطَّلُ تقدُّمُهم ليردُّوا على ذلكَ الموقع". فرمينا عليهم بقذائفِ الهاون على المُنحدر الشَّمالي للجبلِ ووَضعْنا بعضَ المجاهدين على قمَّةِ جبلِ "سبين" لجذبِ نيران العدو. وهنا كانت نقطةُ التَّحوُّل، حيثُ انتهى فجأةً نشاطُ المروحيَّات وتناقصَت نيرانُ العدوِّ تدريجيَّاً في الوادي. ظننَّا في البدايةِ أنَّ الأمرَ خدعةٌ لإيهامِنا بأنَّ القتالَ انتهى، حتى يخرجَ المجاهدون من مخابئِهم، ومن ثمَّ يباغتونَنا من خلفِنا. ولم نتوقَّعْ بأنَّ عدواً قويَّاً سيتخلى عن نصرٍ أشبهِ بالحتمي ويعودُ بخُفَّي حُنَين.

وفي وقتٍ متأخِّرٍ بعد الظَّهيرة، جاءَ بعضُ المدنيين من سورخاب ليخبرونا بأنَّ العدوَّ قد انسحب. يبدو أنَّ العدوَّ لم يشأْ أن يقاتلَ بغرضِ احتلالِ الجبل. وهذا ليس بفضلِنا، بل بفضلِ اللهِ وحدَه. فقدتُ في هذه المعركة من مجموعتي عَشْرة قتلى وستَّ جرحى. ولا أعلمُ الخسائرَ في بقيَّةِ المجموعات. وكلُّ من استطاعَ السَّير من الجرحى سارَ إلى باكستان لتلقي العلاج، بينما تولَّى تطبيبَ باقي الجرحى أطباءُ محلّيون. حتى أنَّ بعضَ الأطبَّاء قَدِموا من مستشفيات كابول إلينا لتقديمِ العلاج، منهم الدكتور عبدُ الرَّحمن الذي عالجَ جِراحَنا في الكثيرِ من المرَّات. ولا أعرفُ مقدارَ خسائرِ العدو، إلا أنَّني أرجِّحُ تكبُّدَهم الكثيرَ من الخسائرِ التي دفعتهُم للانسحابِ بينما كانُوا على شفى النَّصر.

التَّعليق:

كانَ بإمكانِ القوَّاتِ السُّوفييتيَّةِ والأفغانيَّةِ الهجومَ على مَنفذَيْ الوادي الضَّيِّق الشَّرقِيِّ والغربِيِّ في الوقت ذاتِه. فقد كانت دفاعاتُ المجاهدين موجَّهةً نحوَ الغرب فقط. وحتَّى في اليوم الثَّاني، حين حاولت القوَّاتُ السُّوفييتيَّةُ والأفغانيَّةُ تطويقَ مواقع المجاهدين من سهلِ توباغي، لم يلتفُّوا خلفَ الجبل، بل حاولُوا الصُّعودَ عليه. وكانَ المجاهدون معتادين على تسلُّقِ الجبال، على عكسِ القوَّاتِ السُّوفييتيَّة الذين لم يكونُوا معدِّين لذلك. في وقتٍ لاحقٍ من الحرب، أرسلَ السُّوفييت لقوَّاتِهم معدَّات تصلحُ للقتالِ في الجبال، وبدؤُوا بتدريبِ الجنود في مواقعَ خاصَّة معدَّةٍ لحروبِ الجبال. ولكنَّهم على الرُّغم من هذا، بقيَ السُّوفييت ثقيلي الحركة، كما بقيَ الجيشُ الأفغانيُّ متردِّداً ولم يصبحُوا أبداً ندَّاً للمجاهدين في حربِ المُناوراتِ على الجبال.

كانَ يتوجَّبُ على العدوِّ الاستيلاءَ على الوادي الضَّيِّقِ من طرفيه. بالإضافةِ إلى ذلك، لو أنَّهم دفعُوا مصحِّحين أماميِّين للمدفعيَّة ليتسلَّلُوا نحوَ مرتفعٍ ما قبلَ الهجوم، لاستطاعُوا عرقلةَ المجاهدين بالرِّمايات المدفعيَّة عن إقامةِ دفاعاتِهم. لم يكن السُّوفييت وقتَها قد طوَّرُوا تكتيكاتِ اقتحامٍ جوِّيَّةٍ لمكافحةِ التَّمرد، حيثُ كانت قِمَمُ جبلي سبين ولاكاي تصلحُ للإنزالِ المروحيِّ، كما كانت دفاعاتُ المجاهدين الجوِّيَّة في ذلكَ الوقت لا تُذكر. وبالنِّسبةِ لقوَّةٍ سوفييتيَّةٍ مؤلَّفةٍ من رُماةِ هاون مع سلاحِهِم وَمُصحِّحين أماميِّين للمدفعيَّةِ ومسيطرين جَوِّيين أماميِّين ورماةِ رشَّاشات، كانَ منَ المُمكن لمثلِ هذهِ القوَّة أن تعيثَ في الأرضِ خراباً انطلاقاً من قممِ الجبالِ، لو قامَت بعمليَّةِ إنزالٍ جويٍّ في هذهِ المعركة.

المقالة الثَّالثة: سقوط قاعدة سورخاب

رواية الحاج سيد محمد حنيف[164]

في أوائل سبتمبر/أيلول عام 1983م، نصبْنا كميناً في "بولي قندهاري" على الطَّريقِ السَّريع 157 الذي يُعَدُّ الطَّريقَ الرَّئيسيَّ بينَ كابول وغرديز. وفي ذلك الوقت، كانت كمائنُ المجاهدين تعرقلُ باستمرارٍ إمدادَ السُّوفييت والحكومةَ الأفغانيَّةَ العميلةَ لغرديز، حيثُ كانت أرتالُ العدوّ تغادرُ كابول في الصباح، فنكمنُ لها من بدايةِ اليوم، وننتظرُ حتَّى زوالِ الشَّمس، فإذا جاوزَتِ الظَّهيرة ولم يأتِ الرَّتلُ بعد، عندها نلغي العملَ ونعود إلى قواعدِنا أو نَقيلُ في القرى.

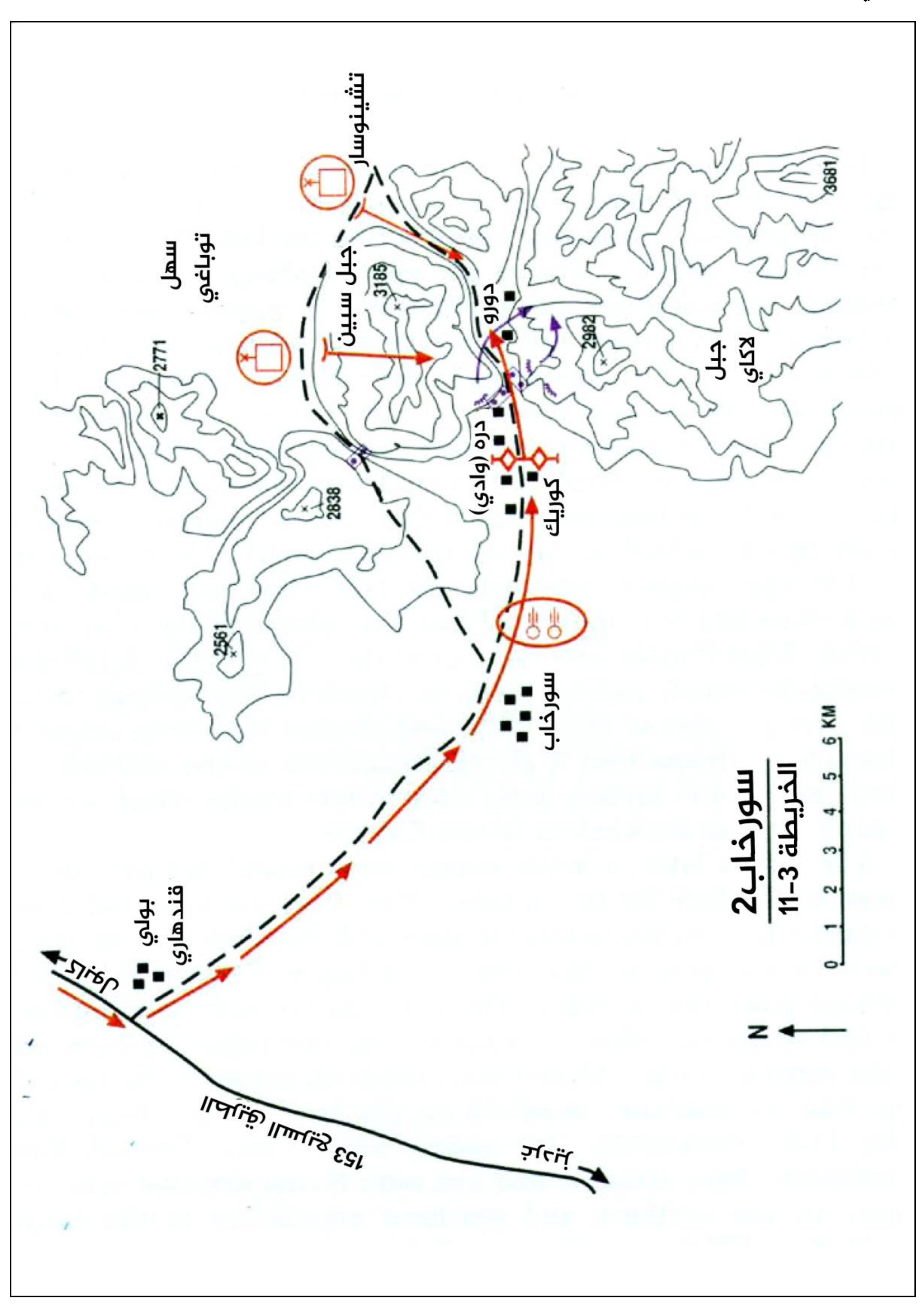
اكتشفَ العدوُّ آخرَ الأمرِ أنَّنا قد اعتدنا على هذا النَّمطِ فحاولَ تغييرَ روتينِه، وبدأ بتحريكِ القوافلِ بعدَ الظُّهر على افتراضِ أنَّ المجاهدين كانُوا يتركونَ أماكنَهم إذا تأخَّر وصولُ القوافل. وكالمعتاد، نصبْنا كميناً في الصَّباح وانتظرنا، ولم تأتِ أيَّةُ قافلة، فَتَركنا أماكننا، وفي وقتٍ مُتأخرٍ من بعدِ الظُّهر كانَ معظمُ المجاهدين قد تركُوا المنطقة. وبعد انصرافِهم أتت القافلةُ وفيها 180 شاحنةً، وهنا هرَعَ من بقيَ من المجاهدين في القرية سريعاً إلى الطَّريق، واشتبكُوا معَ الرَّتل الذي كانَ يحملُ الذَّخائرَ والوقودَ والطَّعام. فاغتنمْنا جزءاً من القافلة وقسَّمناها بينَ الفصائل التي شاركَت في الكمين. واستطاعَت مجموعتي اغتنامَ بعضَ شاحناتِ الذَّخائر، فَسُقْناها إلى قاعدتِنا في سورخاب الواقعةِ في وادي دورو الضّيِّق.

وبعد أيامٍ قليلةٍ، تحرَّكت قوَّةٌ عسكريَّةٌ كبيرةٌ للعدوِّ نحوَ قواعدِنا للانتقامِ من هذا الهجوم، فحاصرَت المنطقةَ لثمانيةِ أيَّامٍ متواصلةٍ. كان هناكَ وقتَها 300 مجاهداً من مختلفِ فصائلِ المنطقة، بينما لم يكن لدينا من السِّلاحِ الثَّقيلِ إلا بعضَ رشَّاشاتِ الدُّوشكا ومدافعِ الهاون. كنَّا قد توقَّعنا مسبقاً انتقامَ العدو، فجهَّزنا مواقعَ دفاعيَّةً على حرفَيْ الجبالِ في جانبيْ الوادي الضَّيِّقِ وعندَ مدخلِه، فزرَعنا بعضَ

---

[164] تكلَّمنا عن الحاج سيِّد محمد حنيف في المقالة السَّابقة. [Mapsheet 2885, vie grid 2577]

الألغامِ المُضادَّةِ للدَّبابات، كما زرَعنا أيضاً حقلَ ألغامٍ مضادَّةٍ للدَّبّاباتِ في الطَّريقِ المؤدِّي إلى سهلِ توباغي (الخريطة 11-3-سورخاب2).



جاءَ رتلُ العدوّ عبرَ "بولي قندهار" وبدأَ بتنفيذِ الهجوم، إلا أنَّه خسرَ بعضَ العرباتِ المدرَّعة عندَ المقتربِ الشَّمالي والجنوبيِّ من الوادي الضَّيِّق جرَّاءَ الألغام. لقد امتازَت مواقعُ المجاهدين الدِّفاعيَّة بأنَّها كانت مطلَّةً على حقلِ الألغام، مَّما ساعدَهم على الرِّماية تجاهَ العدوِّ المتقدِّم أثناءَ محاولتِه العبورَ من هذا الحقل. وقد عرقَلت الألغامُ تحرُّك العدو، إلا أنَّنا تكبَّدنا بعضَ الخسائرِ جَرَّاء القصفِ الجويِّ، لكنَّنا رغمَ ذلك صَمدْنا واستطعْنا إيقافَ تقدُّمِ العدوِّ الذي تمكَّنَ بعدَها من إخلاءِ دبَّاباته وعرباتِهِ المُدرَّعة المُدَمَّرة.

ولأنَّ العدوَّ قد توقَّفَ عن الهجوم، غادرَ بعضُ المجاهدين مواقعَهم الدِّفاعيَّةَ للنَّظر في شؤونِ أسرهم. وبعدَ أسبوعٍ من هذه المعركة، عزَّزَ العدوُّ من جهودِه مرة أخرى، فاستخدمَ قوَّاتِ الاقتحامِ الجوي، وأنزلَها على سهلِ "توباغي" و"تشينوسار" في المدخلِ الشرقيِّ للوادي الضَّيِّق، فاستطاعُوا الالتفافَ علينا، وتجدَّدَ القتالُ هذه المرَّة بهجومِ العدوِّ على المدخلينِ الشَّرقيِّ والغربيِّ وصعودِه جبلَ سبين من الشَّمال. فلم نكن نستطيعُ الثَّباتَ في مواقعِنا الغربيَّةِ في جبلَي سبين غار ولا كاي، مما جعلنا ننسحبُ منها بعدَ إحراقِنا للشَّاحناتِ التي اغتنمْناها سابقاً حتَّى لا يسترجعَها العدو. وصلَ العدوُّ بعدَها إلى قريتِنا في وادي دورو الضَّيِّقِ فوجدَ شاحناتِه الكبيرةَ تأكلُها النِّيران. أمَّا نحن، فقد تحرَّكنا شرقاً نحوَ الجبالِ وقمنا بإزعاجِ العدوِّ برماياتِ الهاون، إلا أنَّه في النِّهاية سيطرَ على القاعدة، ودمَّرَ ما استطاعَ تدميرَه، ثمَّ تركَ المكانَ بعدَ أن لغَّمه.

التَّعليق:

بحلولِ سنةِ 1983م، ازدادَ إقدامُ السُّوفييت وجرأتُهم على تنفيذِ الاقتحامِ الجويِّ، إلا أنَّ هذه الاقتحاماتِ لم تكن تنزلُ على الهدفِ مباشرةً في بدايةِ تجربتِهم لهذا الأسلوب. وفي هذهِ الحالة، تمَّ إنزالُ قوَّاتِ الاقتحامِ الجويِّ على سهلِ توباغي، فتسلَّقت الأخيرةُ إلى قمَّةِ جبلِ سبين غار. وبحلولِ عامِ 1986م، أصبحَت تلكَ القوَّاتُ تنزلُ على الأهدافِ مباشرةً.

خلالَ المعركة، ثبتَ المجاهدون في قواعدِهم للدِّفاعِ عنها، فاستفادَ العدوُّ السُّوفييتيُّ والأفغانيُّ من الضَّروراتِ اللُّوجستيَّةِ الخاصَّة بهم، حيثُ علِمَ السُّوفييت أنَّ الطَّريقةَ الوحيدةَ لإجبارِ المجاهدين على البقاءِ في منطقةٍ ما يستطيعونَ تركيزَ نيرانِ المدفعيَّةِ والجويَّةِ عليها هيَ بالعثورِ على قاعدتِهم ومهاجمتِها. مع ذلك، فنادراً ما كانَ السُّوفييت يقومونَ بإغلاقِ "الباب الخلفي" للقاعدةِ أثناءَ الهجومِ عليها، وهو ما مَكَّنَ المجاهدينَ من التَّمَلُّصِ والعودةِ للقتالِ في وقتٍ آخر. وكانَ منَ الممكنِ للسُّوفييت أن يمنعُوا هروبَ قوَّاتِ العصابات من خلالِ تفعيلِ مواقعِ الإعاقةِ الخلفيَّةِ التي منها: دوريَّاتُ الاستطلاعِ بعيدةِ المدى، والألغامِ القابلةِ للنثر، وقوَّاتِ الكمائنِ المحمولةِ جوَّاً عبرَ المروحيَّات.

لم يقم المجاهدون بتحسينِ دفاعاتِهم إلا قليلاً، على الرُّغمِ من أنَّ قاعدتَهم كانت على وشكِ السُّقوطِ في يونيو/حزيران 1980م. لقد علِمَ العدوُّ بالقاعدةِ ودفاعاتِها، إلا أنَّ المجاهدين لم يُنشئوا أيَّ دفاعٍ شرقي. وكانَ التَّحسينُ الوحيدُ الذي قامُوا به هو زرعُهم للألغامِ على مقتربِ سهلِ توباغي، ومعَ ذلكَ فلم يخصِّصُوا عناصرَ لحمايتِها، وعلى العمومِ، لقد استطاعَ العدوُّ الطيرانَ من فوقِها عبرَ المِروحيَّات.

المقالة الرَّابعة: سقوط قاعدة جبل تور

رواية القائد "شير بادشاه"[165]

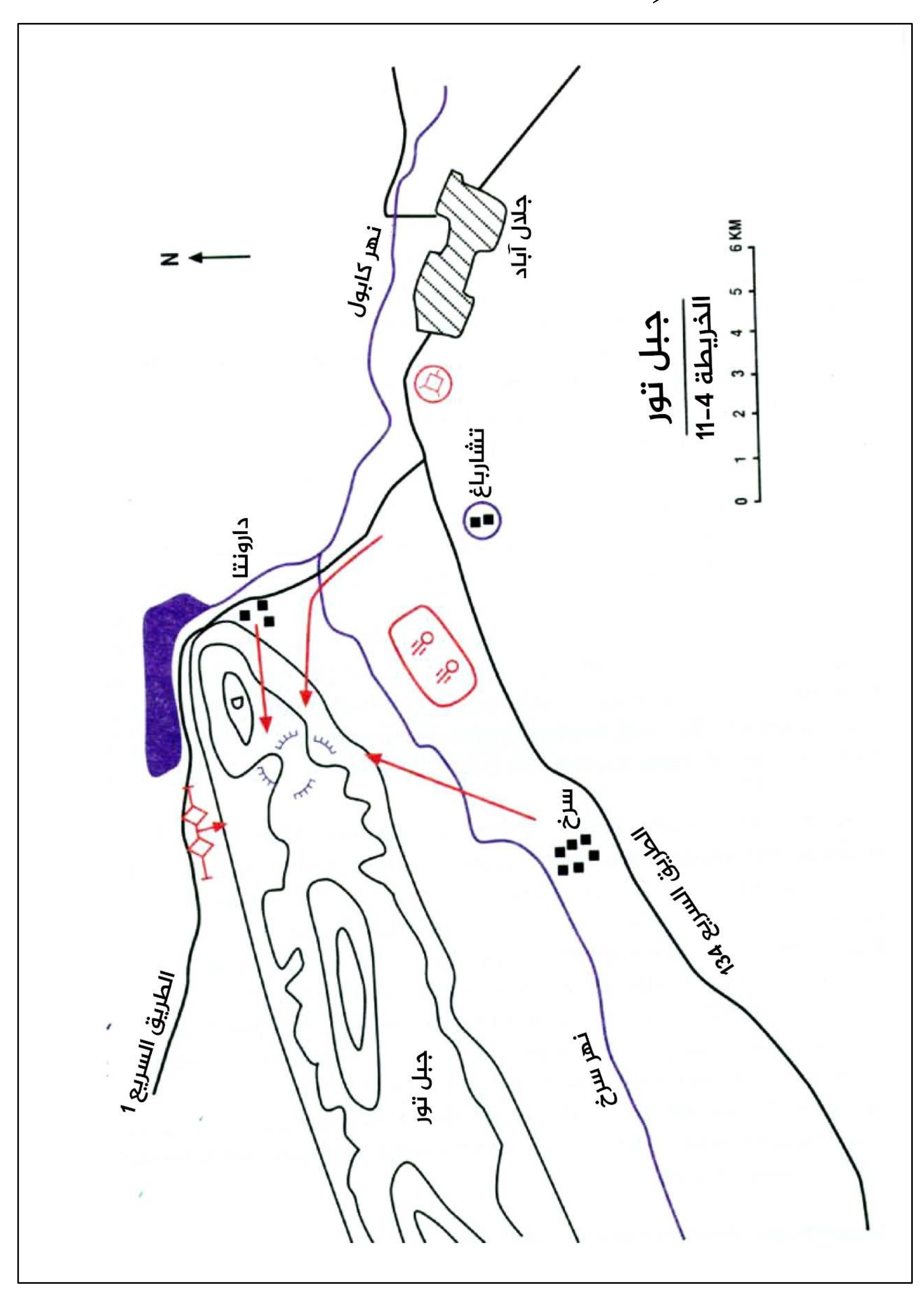
يقعُ جبلُ تور على بُعدِ ثماني كيلومتراتٍ شمالَ غربَ جلال آباد. وقد قامَ "آدم خان" و"رسول خان" بإنشاءِ قاعدةٍ للمجاهدين في الجبل، إلا أنَّهما قُتِلا في بداية الحرب. وفي عامِ 1980م، كانَ قائدُ القاعدةِ هو "القاري ألاغول"، وكانت تضمُّ 200 مجاهدٍ من أربعةِ فصائل أو خمسة، وقد كنتُ قائدَ مجموعةٍ صغيرةٍ تتبعُ للقائدِ عبد الله في ذلك الوقت.

كانت لدينا قواعدُ في كلٍّ من "تشارباغ" وجبلِ تور، كما قُمنا بشنِّ هجماتٍ دوريَّةٍ ضدَّ القُوَّات السُّوفييتيَّةِ انطلاقاً من جبلِ تور. وفي إحدى المرَّات أعلمَنَا أحدُ المُخبرين داخلَ الجيشِ الأفغانيّ بأنَّ السُّوفييت سيشنُّونَ هُجوماً على الجبلِ انتقاماً من إحدى هجماتِنا. وفي إحدى أيَّامِ يوليو/تموز عام 1980م، وفي وقتٍ متأخِّرٍ من بعدِ الظَّهيرة، أبلغنا مُخبرونا من الجيشِ الأفغانيّ بأنَّ السُّوفييت قادمون اللَّيلة. كنتُ وقتَها مع مجموعتي في "تشارباغ" جنوبَ شرقَ جبلِ تور، وكانَ القائدُ عبد الله في قاعدةِ جبلِ تور. فأرسلنا على الفور بلاغَ تحذيرٍ إليه، وَطَلبْنا منه دفنَ الذَّخيرة وكلَّ شيءٍ بما أنَّ السُّوفييت قد جاؤوا بحدِّهم وحديدِهم، وتوقَّعنا ألا يصمدَ أمامَهم. فردَّ علينا برسالة قال فيها: "طالما تسمعونَ رشَّاشي من طراز M-26 فاعلموا أنَّا صامدون. لقد أقسمْنا بالقرآن ألَّا نتركَ مواقعَنا." تضمَّنت مجموعةُ عبد الله 25 رجلاً مُسلَّحين بقاذفاتِ الآر بي جي وبنادقِ الكلاشنكوف ورشَّاشات M-26 وبنادقِ المكنظمة.

هجمَ السُّوفييت من عدَّةِ اتِّجاهاتٍ (الخريطة 11-4- جبل تور) متقدِّمين من "سرخ رود" وجلال آباد و"دارونتا"، فانسحبتُ من تشارباغ. انتشرَتْ دبَّابات السُّوفييت على طولِ الطَّريقِ شمالَ غربَ جبلِ تور، وقامَت بالرَّمي تجاهَ القاعدة، وبدأت راجماتُ بي أم 21 بالرَّمي انطلاقاً من جلال آباد

[165] القائد شير بادشاه من ولاية لغمان. Map sheet 3085

نحوَ القاعدة، كما رَمت مدفعيَّة العدوِّ ورجماتُه الأخرى انطلاقاً من عدَّة مرابض، في الوقت الذي قامَت فيه المروحيَّاتُ بتمشيطِ المنطقة.



لقد أحالَ السُّوفييت الجبلَ ناراً، ثمَّ قامُوا بتسلُّقه، فوصلُوا للقاعدة، لينشب قتالٌ مع المجاهدين استمرَّ ثلاثةَ أيامٍ، وصلَ في إحدى المرَّات إلى أنْ يتحوَّلَ إلى اشتباك قريب. لم نستطع النَّفاذ إلى المنطقة لأنَّ السُّوفييت قد أحكمُوا الطَّوقَ عليها، وقد قاتلَ المجاهدون فيها حتَّى آخرِ طلقة ونفسٍ. لقد دمَّرَ السُّوفييت القواعدَ كلَّها، ثمَّ قامُوا بزرعِ الألغام في أرجاءِ الجبل.

التَّعليق:

إنَّ إصرارَ المجاهدين على تمسُّكِهم بقواعدِهم في الجبلِ قد كلَّفهم ثمناً باهظاً. وفي تلك الفترةِ من الحرب لم تكن القواعدُ بتلك الأهميَّةِ بالنسبة للوجستيَّات المجاهدين، ولم تكن قاعدةُ عبد الله هي القاعدةَ الوحيدةَ التي استولى عليها السُّوفييت. والحقيقةُ أنَّها كانت معركةً عبثيَّةً، وكانَ يمكنُ للمجاهدين تجنُّبُها. والجديرُ بالذِّكرِ أيضاً أنَّ المجاهدين عندما كانُوا يتمسَّكون بالأرض، كانَ السُّوفييت ينجحون بشكلٍ كبير في تركيزِ قوَّتهم النَّاريةِ التي كانت متفوِّقةً على المجاهدين.

المقالة الخامسة: معارك حصن جبل شرفت (الشرف)

رواية المهندس محمد إبراهيم[166]

كانَ جبلُ الشَّرف جبلاً كبيراً يقعُ جنوبَ شرقَ مدينةِ فراه، يقعُ بينَ الطريقِ المعبَّدِ المُمتدِّ بينَ قندهار وهيرات (الطَّريق السَّريع 1) وطريقِ دولة آباد-فراه (الطَّريق السَّريع 517). وكانَ اسمُ الجبلِ الأصليِّ هو جبلُ "لور"، لكنَّ المجاهدين غيَّروا تسميتَه إلى جبلِ الشرف.[167] كانَ هذا المرتفعُ عبارةً عن كتلةٍ من الجبالِ المتلاصقةِ التي تعلوها هضبةٌ مستطيلةُ الشَّكل، وكانَ يرتفعُ عن الصَّحراءِ المحيطةِ به حوالي 1500 مترٍ، كما كانت حوافُّه شديدةَ الانحدار. يغطي المرتفعُ مساحة 256 كم2، وتعلوه الثُّلوجُ في أغلبِ أوقاتِ السَّنة، بينما تخترقُها العديدُ من الأوديةِ الضَّيِّقةِ الصَّغيرةِ والكبيرة.



كانَ يوجدُ شمالَ جبلِ الشَّرفِ وادٍ ضيِّقٌ يُدعى "شيخ رازي بابا" (خريطة 11-5- الشرف، تنطبق الرسوم الحمراء والزرقاء على آخر معركة). بينما كانَ يوجد شمالَ غربِه وادي "قلعة أماني" الضَّيِّق.

---

[166] المهندس محمد إبراهيم خريج كليَّةِ الزراعة جامعة كابول. كانَ قائد المجاهدين في ولاية فراه، ومسؤولَ الطبيَّةِ ومسؤولَ النَّقل. عملَ في البداية مع مولوي محمد شاه، إلا أنَّه تركه عام 1985م،حينما نشب نزاعٌ بين قبيلته بركزاي وقبيلة مولوي محمد شاه أخا كزاي. وبعدها قاتلَ مع الحاج غلام رسول شيواني. والآن يعملُ مع المفوضيَّةِ السامية للأممِ المتحدة لشؤونِ اللاجئين. [Map sheets 1581 and 1582]

[167] سمَّاه الشيوعيون جبل موردار (جبل القذارة) بعد أن نقلَ إليه المجاهدون قواعدَهم عام 1979م.

وقد استوطنَ في هذا الوادي الضَّيِّقِ أقوامٌ بدائيَّةٌ، لا زلنا حتَّى اليوم نستطيعُ مشاهدةَ رسومِ صيَّاديهم الأوائل حاملينَ الأقواسَ والأسهمَ وهي مرسومةٌ على الصُّخور. أمَّا غربَ الجبل، فقد كانَ يوجدُ وادٍ ضيِّقٌ يُدعى "قلعة كانيسكي"، بينما يتَّجهُ وادي "جاري أب" الضَّيِّقُ الذي يوجدُ في الطَّرفِ الغربيِّ للجبلِ إلى الجنوبِ الغربي، ويتَّصل مع وادي "قلعة كانيسكي" الضَّيِّقِ في الشَّمال. وفي الجنوبِ من الجبل كانَ يوجدُ وادٍ ضيق يُعرَف بـ"تانغيرا"، وكانَ يضمُّ معظمَ المياهِ التي تسقي المنطقة، إلا أنَّ المجاهدين عادةً ما كانوا يتجنَّبون الوجودَ فيه لأنَّه عريضٌ بما يكفي لدخولِ العرباتِ المدرَّعة. وإذا ما اتَّجهنا إلى الجنوبِ مقتربين من الشَّرق سنجدُ وادي "خوجه مراد" الضَّيِّقِ القريبِ من ضريح "خوجه مراد". وقد كانَ يمكنُ الوصولُ لجميع هذه الأوديةِ عبرَ هضبةِ الجبل.

كانَ وادي "قلعة كانيسكي" الضَّيِّقِ يضمُّ أقوى قاعدةٍ للمجاهدين في جبلِ الشَّرف، وكان يستغرقُ المشيُ من مدخلِ الوادي إلى نهايتِه ما يتراوحُ بينَ 35-40 دقيقةً. كانَ مدخلُ الوادي عبارةً عن فتحةٍ في صخرةٍ صلبةٍ، عرضُها ما بينَ مترين أو ثلاثةِ أمتار فقط. وعندما تدخلُ للوادي لا تستطيعُ رؤيةِ السَّماءِ فوقَك من ضيقِه، لكنَّ عرضَه يتَّسعُ مع نهايتِه ليصلَ إلى مساحةِ ثلاثةِ أو أربعةِ هكتارات حيثُ كانت توجدُ بعضُ الأشجار ويجري جدولٌ في فتراتٍ من السَّنة. وفي الوادي نفسهِ أيضاً، كانَ يوجدُ شلالٌ يصلُ ارتفاعُه حتَّى 40 متراً. ضمَّ الوادي مخزنَ ماءٍ للمجاهدين ومستودعَ إمدادٍ و16 كهفاً حَوَت 60 شخصاً. وقد نصبْنا رشّاشات الدُّوشكا على جانبي الوادي الضَّيِّقِ حيثُ المُرتفعات من أجلِ تأمينِ الحماية.

في أوَّلِ الحرب، كانت لدى المجاهدين قواعدُ قويَّةً جداً حولَ مركزَي ولايتي فراه ونيمروز، إلا أنَّ الضَّغط السُّوفييتيَّ والحكوميَّ أجبرَهم على الانسحابِ من فراه إلى جبلِ الشرف. فكانت أوَّلُ قاعدةٍ للمجاهدين في جبلِ الشَّرفِ في وادي "تانغيرا" عام 1979م. ثمَّ انتظمَ المجاهدون في مجموعاتٍ قبليَّةٍ، واتَّحدت قبائلُ أخا كزاي ونورزاي وبركزاي وعلي زاي، وانتقلَت بعدَها إلى قاعدةٍ جديدةٍ في وادي "جاري أب". هاجمَ السُّوفييت هذهِ القاعدةَ عام 1980م، فانتقلَ المجاهدون إلى وادي "قلعة كانيسكي". وقد كانَ للمجاهدين قواعدُ ضمنَ مدينة فراه حتَّى عامِ 1982م. لكن حينما شَدَّدَ العدوُّ

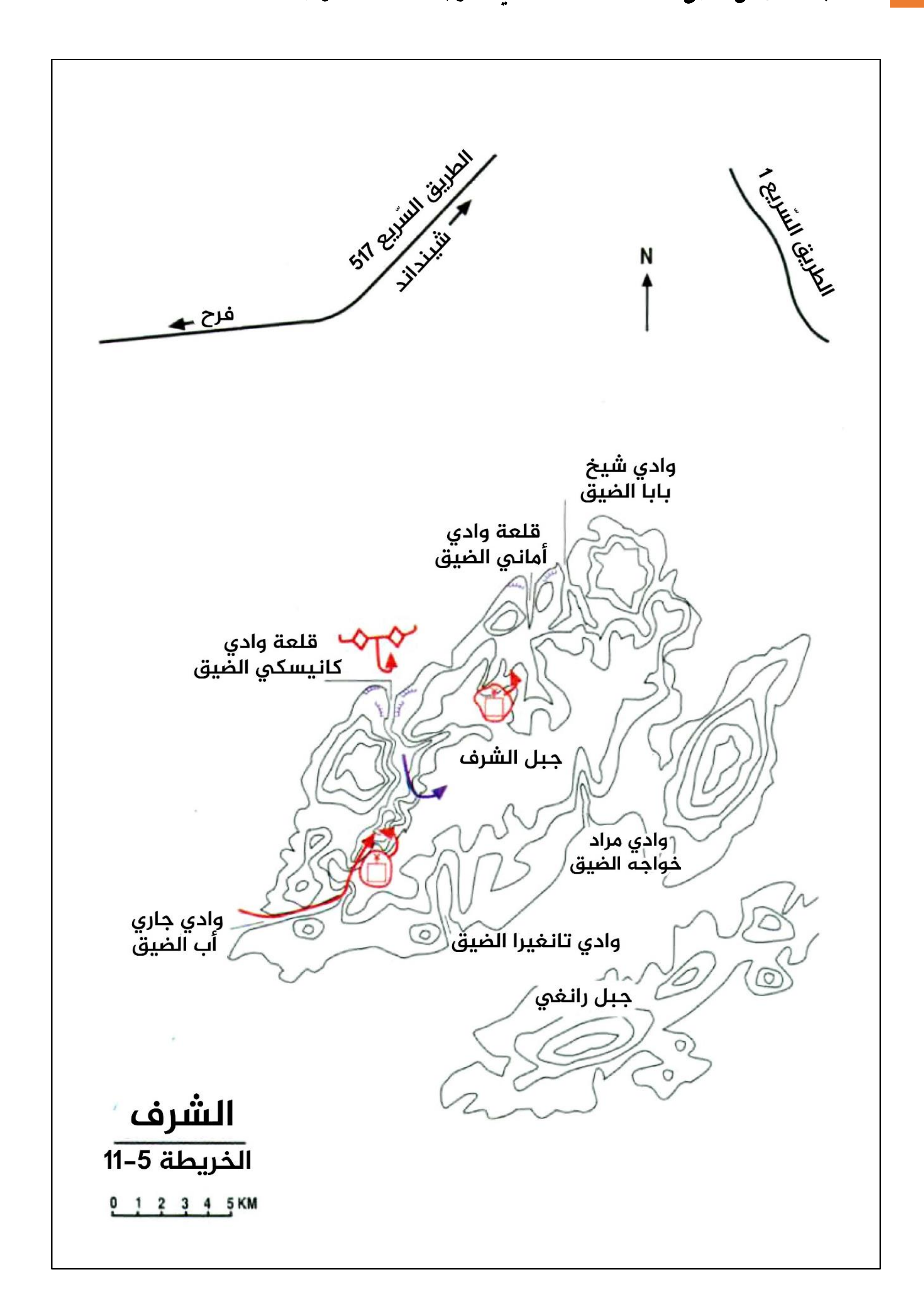
إجراءاتِه الأمنيَّةَ حولَ المدينة، اضطرَّ المجاهدون للخروج، ومنهم من عادَ إلى جبلِ الشَّرف. وحينها فقدَ المجاهدون الاتّصالَ بسكانِ المدينة، حيثُ لم يكن هؤلاءُ السُّكانُ قبليين، بل كانُوا ينظرونَ إلى المجاهدين على أنَّهم مجموعةٌ من الرِّيفيين الأجلاف، في الوقتِ الذي ينظرُ فيه المجاهدون إليهم على أنَّهم حضريُّون مُرفَّهون.

الجديرُ بالذِّكرِ أنَّ جبلَ الشَّرف كانَ يقعُ على بُعدِ 12 كيلومتراً من الطَّريقِ السَّريع 1، و20 كيلومتراً من الطَّريقِ السَّريع 517. انطلاقاً منه هاجمْنا قوافلَ العدوِّ قربَ "كاروانغاه" و"تشاراه" و"شيفان"، فنشرَ السُّوفييت مراكزَ أمنيَّةً في "كاروانغاه" و"تشاراه" و"فيلميخ" لحمايةِ هذهِ القوافل.

صقورُ الجوِّ يقصفونَ الوادي الضَّيِّق

عام 1982م، كانَت "قلعة كانيسكي" هي قاعدتُنا الرَّئيسة، وكانَ قائدُنا المولوي محمد شاه ينحدرُ من قبيلةِ أخاكزاي،[168] وكانَ الأخيرُ يحبُّ التَّفاخرَ والتَّباهي بقاعدته، بل قد يصلُ به الأمرُ عادةً بأنْ يستقدمَ زوَّاراً إلى الوادي الضَّيِّق. وفي إحدى المَرَّات جلبَ ضابطاً من الجيشِ الأفغانيِّ إلى الوادي ليأخذَه في جولةٍ داخلَها، وكانَ هذا الضَّابطُ أيضاً من قبيلةِ أخاكزاي، وكانَ يزعمُ لمحمد شاه بأنَّه مُتمَركزٌ في "شينْدَند" ويريدُ إنشاءَ اتِّصالٍ سرِّيٍّ مع محمد شاه ليعملَ معه كمُخبر، والذي ظهرَ لنا بعدَ ذلك أنَّ الضَّابط قد سرقَ خريطةً من الوادي تتضمَّنُ الدِّفاعاتِ التي كانت في القاعدة حينَ زارَها.

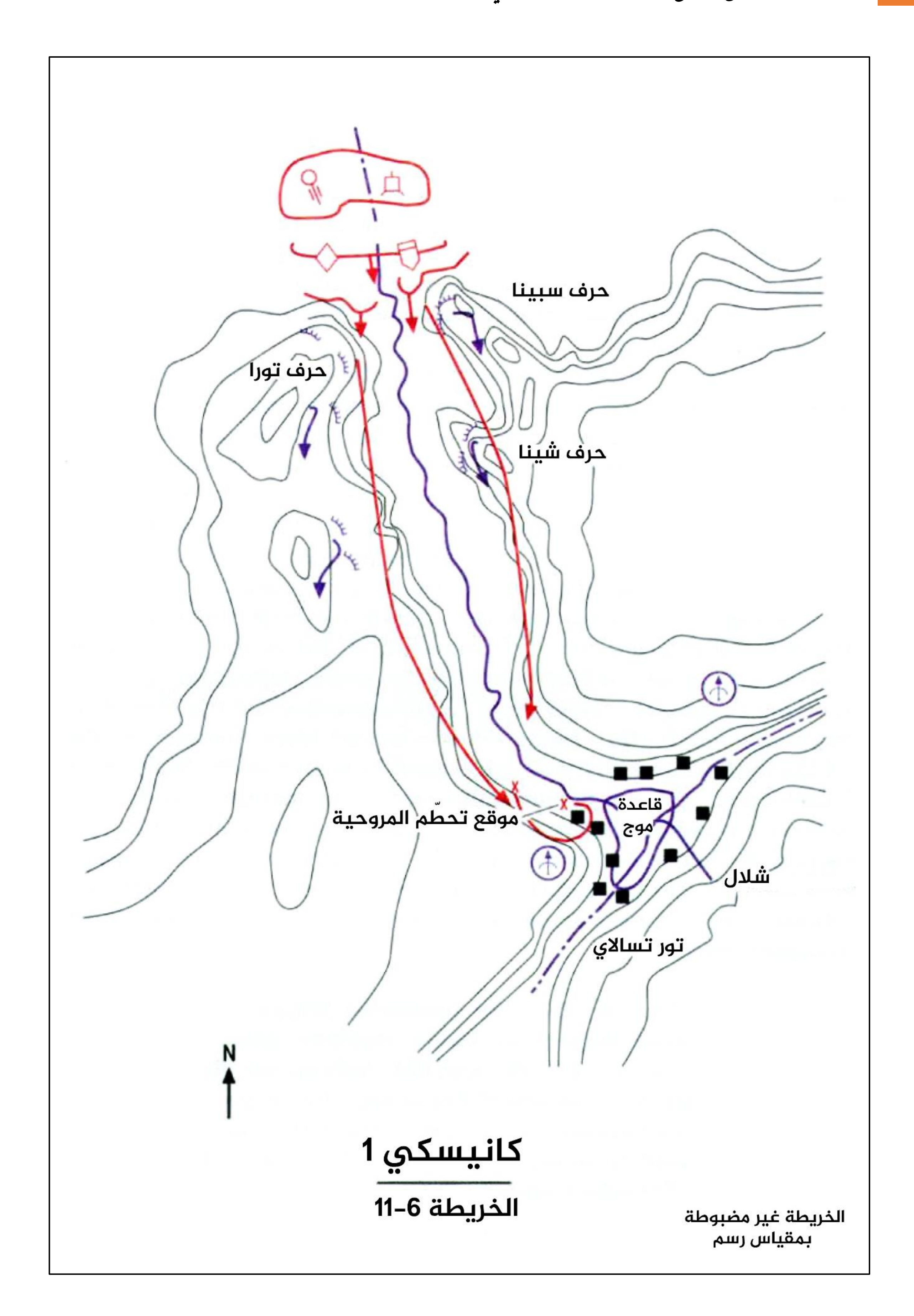
[168] كان القائدُ مولوي محمد شاه أحدَ القادةِ المشهورين في الحرب، وعضواً في حركةِ الانقلاب الإسلاميِّ التابعة لمحمد نبي محمدي.


الطريق السّريع 517
شيندناد
فرح
الطريق السّريع 1
N
وادي شيخ
بابا الضيق
قلعة وادي
أماني الضيق
قلعة وادي
كانيسكي الضيق
جبل الشرف
وادي مراد
خواجه الضيق
وادي جاري
أب الضيق
وادي تانغيرا الضيق
جبل رانغي
الشرف
الخريطة 5-11
0 1 2 3 4 5 KM

وفي ظهر إحدى أيام يوليو/تموز، بعدَ شهرٍ من زيارةِ الضَّابط، باغتَتْنا ثلاثُ مِروحيَّاتٍ هُجوميةٍ بتحليقِها فوقَ الوادي الضَّيِّق واستهدافِها لكهوفِ قاعدتِنا ومبانيها بالرِّمايات. لم تستطع رشَّاشات الدُّوشكا الاشتباكَ مع المِروحيَّات لأنها كانت أسفلَ الوادي الضَّيق، فأحدثَت دماراً هائلاً في القاعدة. وهنا قامَ أحدُ رماةِ الدُّوشكا واسمه "خوداي رحيم" -على الرُّغم من نحالةِ جسدِه- بخلع الدُّوشكا ذاتِ الـ 34 كغم (75 رطلاً) من حاملتِها، ورفعِها على كتفِه، ثمَّ رمى بها انطلاقاً من الوادي الضَّيِّق على المِروحيَّات. فأصابَ مِروحيَّتين، الأولى في دوَّارة المروحة، وقد حاولت هذهِ الطَّائرةُ التَّحليقَ صُعوداً إلى أعلى قمَّتها، غيرَ أنَّ الدوارة توقَّفت عن العمل، فرمى الطيَّارُ بنفسِه منها وهي على ارتفاع 50 متراً فوقَ الجبل، فتحَطَّم هو والمروحيَّةُ في الجدارِ الجنوبيِّ من الجبل قربَ المدخلِ الجنوبيِّ للوادي الضَّيق. بينما تمكَّنت المروحيَّةُ الثَّانيةُ من الهروب، ثمَّ جاءت مِروحيَّةٌ ثالثةٌ فهجَمت على رُماةِ الدُّوشكا وَقَتَلَت "خوداي رحيم".



هرعَ المجاهدون إلى حُطامِ المِروحيَّةِ وهم منتشون بإسقاطِها، فوجدُوا بينَ الحُطام خمسةَ سوفييت قتلى، وهم: الطَّيَّار وطاقمِين وراكبين، وقد كانَ أحدُ الرُّكاب امرأة. قامَ أحدُ المجاهدين بقطعِ رأسِ الطَّيَّار وجلبِه إلى محمد شاه، وفجأةً حلَّقت طائراتٌ مقاتلةٌ قاذفةٌ فوقَ قاعدتِنا، وبدأت بقصفِنا. وفي وقتٍ متأخِّرٍ من الظَّهيرة، حلَّقت مِروحيَّاتُ نقلٍ سوفييتيةٍ وهبطَت على بُعدِ حوالي ثلاث كيلومتراتٍ من فَمِ الوادي الضَّيِّق، وترجَّلت قوَّاتٌ سوفييتيَّةٌ منها، فاتَّخذت مواقعَ لإغلاقِ الوادي بغرضِ منعنا من أخذِ جثَثِ طاقمِ المِروحيَّة المحطَّمة بعيداً. وفي وقتٍ مبكِّرٍ من صباح اليومِ التَّالي، جاءَت عرباتٌ مدرَّعةٌ وطوَّقت المكان (خريطة 11-6 - كانيسكي 1) واندفعَت المشاةُ السُّوفييتيَّةُ مسنودةً بالدَّبابات.


حرف سبينا
حرف تورا
حرف شينا
قاعدة
موج
موقع تحطّم المروحية
شلال
تور تسالاي
N
كانيسكي 1
الخريطة 6-11
الخريطة غير مضبوطة
بمقياس رسم

وسارَت المشاةُ على الأرضِ المرتفعةِ على طولِ تورا بارا (حِرْف تورا)[169] نحوَ موقعِ المروحيَّةِ المُتحطَّمة، بينما سارَ بعضُ المُشاة في بطنِ الوادي وعلى طولِ الجدارِ المقابلِ له، تسندُها القوَّات من على مرتفع تورا بارا. وبينما كانُوا يتقدَّمون علَّموا الجلاميد والصُّخورَ بالأرقامِ حتَّى يستدلوا على الطَّريقِ فيما بعد. وبعدَ سبعةِ أيَّامٍ من القتال، وصلُوا إلى موقعِ حُطامِ المِروحيَّة، بينما تراجَعنا نحنُ إلى مرتفعٍ بجانبِ الشَّلال. وفي اليومِ الثَّامن، غادرَ السُّوفييت المكانَ حاملين قَتلاهم بمن فيهم قطيعُ الرَّأس، بينما تَركُوا ما تبقَّى من المروحيَّةِ خلفَهم.

التَّعليق:

كانَ إحدى أكثرِ الكمائنِ الجوِّيَّةِ الدفاعيَّةِ نجاحاً هو من يتضمَّن حفرَ مواقعَ للرَّشاشاتِ الثَّقيلة داخلَ الكهوف في جدرانِ الوادي الضَّيِّق. وعندَ تحليقِ المِروحيَّاتِ السُّوفييتيَّة والأفغانيَّة كانت الرَّشاشات تحقِّقُ تقاطعاً ناريَّاً يملأُ الجوَّ بالطَّلقات، فيما تعجزُ المروحيَّاتُ عن الرَّدِّ على الرشَّاشات وتضطرُّ للهروب تجنُّباً لوابلِ الرَّصاص. وبهذهِ الطَّريقة، كانَ من المُمكنِ أن ينجحَ مثلُ هذا الكمينِ في "وادي كانيسكي".

كتبَ السُّوفييت أرقاماً على الجلاميدِ والصُّخور بغرضِ جعلِها نقاطَ علَّامٍ أثناءَ القتال. وهذا أسلوبٌ جيدٌ يساعدُ على تصحيحِ رماياتِ المِدفعيَّة والجوِّيَّة، وتعقُّبِ آثارِ الوحدات وهي تتقدَّم. ومع ذلك، فقد أخطأ السُّوفييت باعتمادِهم الهجومَ الأماميَّ المباشر، ممَّا سمحَ للمجاهدين بحشدِ النِّيرانِ ضدَّ تقدُّمِهم.

---

[169] بارا تعني حِرْف الجبل.

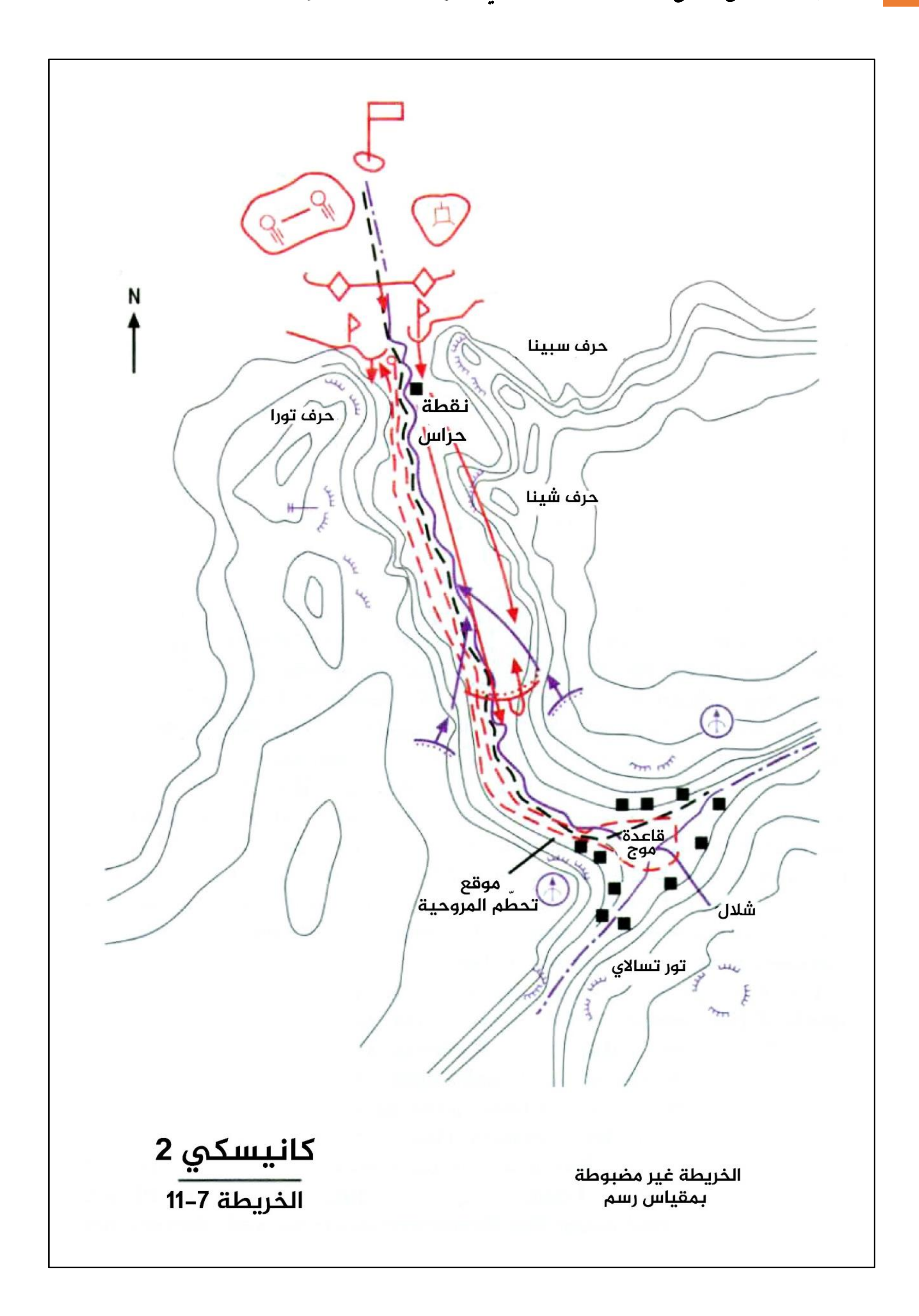
المركز: وحتى لا نخلط على القارئ بسبب تشابه الأسماء، فهذه ليست تورا بورا الشهيرة، فالأخيرة في ولاية ننغرهار وتعني الغبار الأسود.

دفاعٌ ناجح

في مارس/آذار 1983م، أخذَ قائدُ إحدى المجموعاتِ المدعوُّ مولوي شاه، معظمَ المجاهدين إلى ولاية نيمروز، حيثُ زوَّدته إيرانُ بالأسلحة، وشجَّعته ليهاجمَ لواءَ الحرسِ الحدوديِّ الأفغانيِّ في مديريَّة "كنغ" قربَ الحدودِ الإيرانيَّة. وبالإضافةِ للأسلحةِ الإيرانيَّةِ التي كانت بحوزتِه، أخذَ محمد شاه معظمَ رشَّاشات الدُّوشكا التي كانت لدينا، إلا أنَّ الهجومَ على الحدودِ قد باءَ بالفشل، وتسبَّب في مقتلِ 35 فرداً من رجالِ محمد شاه، كما فقدَ ابنه رجلَه في هذا العمل. لقد كانت ضربةً مؤلمةً تلقَّتها مجموعتُنا، وشعرْنا بأنَّ إيران تواطأت على إيقاعِنا في هذهِ الهزيمة.

في وقتِها، كانَ محمد شاه على وشكِ التَّحالفِ مع صاحبَي الفكرِ الماوي "غول محمد" و"برويز شهرياري"، وكانَ هذان الأخيرانِ من حركةِ الانقلابِ الإسلاميِّ ويتلقيانِ الأسلحةَ من إيران. وكانَ علينا بعدَ هذا التَّحالفِ مغادرةُ جبلِ الشَّرفِ والانتقالُ إلى "تشهار برجك"، ممَّا سيكون سبباً في تعزيزِ المجاهدين هناك، والظَّاهر أنَّ إيران لم تكن تريدُ لهذا أن يحصل، فأرادت إضعافَنا وجعلَنا مُعتمدين عليها. ونتيجةً لهذا الهجومِ الكارثي، ضَعُفتْ جبهةُ جبلِ الشَّرف الآن، وبقي 25 من رجالنا فقط في قاعدتِنا. وبعدَ هذهِ الكارثة، تجهزتُ لزيارةِ منزلي والرَّحيلِ عن القاعدة. ولكن حينَ خرجتُ منها وجدتُ السُّوفييت يخوضونَ غمارَ القتالِ في شيوان، فعدتُ للقاعدة، وناديْتُ عبرَ اللاسلكي مُتظاهراً بأنَّني أوجِّه 50 مجاهداً لاحتلالِ هذا الحرَفِ من الجبل و40 آخرين على ذاك الحرف، محاولةً مِنِّي لخداعِ السُّوفييت وتأخيرِهم.

بتُّ ليليتي في (نظام قاروال)، حيثُ تقعُ البوَّابةُ الأمنيَّةُ في فمِ الوادي الضيق. وفي الصَّباح الباكر، سمعتُ مروحيَّةً تحلِّقُ من فوقِنا، (خريطة 11-7- كانيسكي 2) فوضعْنا آذانَنا على الأرضِ لعلَّنا نسمعُ قدومَ الدَّبابات، ثمَّ هرَعنا في الظَّلام نحوَ قاعدتِنا، ولم نقفْ إلا لزرعِ الألغامِ المُضادَّة للدَّبَّابات. كانَ المسؤولُ علينا وقتَها هو نائبُ محمد شاه المدعوُّ "الحاج نور أحمد خيرخاو".


N
حرف سبينا
حرف تورا
نقطة
حراس
حرف شينا
قاعدة
موج
موقع
تحطّم المروحية
شلال
تور تسالاي
كانيسكي 2
الخريطة 7-11
الخريطة غير مضبوطة
بمقياس رسم

اجتمعنا ليلاً لمناقشةِ ما سنفعلُه، وحينها انضمَّ إلينا "مالك غلام حيدر" وبعضُ المجاهدين من شيوان الذي اعتقدُوا بأنَّ السُّوفييت يستعدُّون لأمرٍ ما، وخمّنوا بأنَّنا هدفُهم القادم، فأتَوا من شيوان عبرَ الصَّحراءِ للانضمامِ إلينا.

تبايعْنا على القتالِ حتَّى الموتِ وعلى قتلِ من يحاولُ الفِرار منا، واتَّخذْنا مواقعَنا على مرتفعاتٍ في جانبي الوادي الضَّيّق على حرفِ تورا بارا وحرفِ "شينا" وحرفِ "سبينا"، كما وضعْنا خمسةَ رجالٍ على المقتربِ الخلفيِّ للوادي، وبعضاً من الرِّجال على "تور تسالاي" لمراقبةِ المُقترب من "وادي جاري أب". كانت السماء وقتَها تمطرُ مطراً خفيفاً لا يعيقُ الطَّائرات السُّوفييتية، فحلَّقت فوقَنا طائرةُ المراقبة، ثمَّ جاءَت الطَّائرات المقاتلةُ القاذفة لتحلِّقَ في مجموعاتٍ ثلاثيَّةٍ وتنفِّذَ علينا عمليات القصف، ولم يكن لدينا إلا رشَّاشَيْ دوشكا، ولم يكن هذا كافياً لطردِ الطَّائرات بعيداً. شدَّدَ العدوُّ بعدها من عمليَّات القصف، حيثُ بدأ بإشراكِ المدافع ولم يكتفِ فقط بالطَّائرات، واستمرَّ في القصف طوالَ اللَّيلِ ليحرمَنا من النَّوم.

وقبلَ بزوغِ شمسِ اليَوم التَّالي، بدأَ العدوُّ بتنفيذِ الهجومِ البرّي. ونرجّحُ بأنَّ حجمَ قوَّةِ العدوِّ المهاجمة كانت كتيبتين، حيثُ هاجمت إحداهُما على حرفِ تورا بورا، بينما هاجمَت الثَّانية حرفَ سبينا. وأسندَتِ الدَّبَّابات المشاةَ الرَّاجلة، وحاولت أيضاً التَّقدُّم عبرَ مقتربِ الوادي أماماً إلا أنَّها قد أخفقَت في ذلك. وفي ظهيرةِ اليوم الثَّاني، قُتِل "مالك غلام حيدر" داخلَ منطقةِ القاعدة.

كان لدينا في ذلك الوقتِ سجناءُ أفغان كثيرون من مُرتكبي الجرائم والمتورِّطين في النِّزاعات والخُصومات داخلَ المناطقِ التي كانت تحتَ سيطرتنا. وقد تحدَّث لنا أحدُهم بعدَ المعركة -وهو من جبل زير- عن دخولِ السُّوفييت إلى القاعدة، حيثُ أشهرُوا في البدايةِ البنادقَ بوجهِ السُّجناء، إلا أنَّهم وعندما بيَّن لهم السُّجناء عبرَ لغةِ الإشارة أنَّهم ليسوا إلا مُعتقلين، قامَ السُّوفييت بسوقِهم إلى سجنٍ داخلَ أحدِ الكهوف، ثمَّ وقفُوا خارجَهُ لفترةٍ، لينصرفُوا بعد ذلك.

كانَ هناك رجلٌ يحملُ لنا الطَّعام إلى الخطوطِ الأماميَّة يُدعى "نبي"، عادَ إلى القاعدة ليتفاجأ بالسُّوفييت. ولأنَّه لم يكن يحملُ سلاحاً، هربَ لينجوَ بجلدِهِ، فحاولَ جنديٌّ سوفييتيٌّ اللَّحاق به. هَرَع

نبي إلى مستودعِ الأسلحةِ حيثُ كان حيدر مالك موجوداً، فأخبرَه بأنَّ السُّوفييت قد تسلَّلوا إلى معسكرِ المجاهدين من قِمَّةِ الجبل، فأخذَ مالكٌ بندقيَّةَ إنفيلد الأمريكيَّة ومسدَّسَهُ من طراز TT السُّوفييتي وخرجَ من مخزنِ "الكهف"، إلا أنَّ الجنديَّ السُّوفييتيَّ كانَ ينتظرُهُ خلفَ صخرةٍ، فقتلَه بِرَصَاصتين، ثمَّ أخذَ البندقيَّةَ والمسدَّسَ ولاذ بالفِرار.

كنتُ جالساً عندَ محطَّةِ الإسعاف الأولى قربَ خطِّ الجبهة حينما سمعتُ عبدَ الحي يصرخُ على الجنديِّ السُّوفييتيِّ قائلا:" مَنْ أنت؟ مَنْ أنت؟ توقَّف". كان أحدُ المجاهدين على وشكِ إطلاقِ النَّار عليه، إلا أنَّه امتنعَ عن ذلك لأنَّ الجنديَّ كانَ بعيداً لا يمكنُ تمييزُه، وخشيَ أن يكونَ أحدَ السُّجناءِ الذينَ يحملونَ المؤنَ إلى المواقعِ الأمامية. كانَ الجنديُّ يلبسُ بدلةً عسكريَّةً، وكان في بطنِ الوادي الضيق، بينما كنَّا نحنُ على أعلى جدرانِ الوادي، ولم نستطع تمييزَه بوضوح. وبما أنَّ الطائرةَ الحربيَّة كانت ما تزالُ تقصفُنا، لم نكن لنصدِّق بأنَّ جنديَّاً سوفييتيَّاً قد تسلَّل إلى القاعدة، والآنَ يخرجُ منها. وكانَ "تيمور خان معلم" على حرفِ جبلِ "شينا" يصوِّبُ نحوَه أيضاً إلا أنَّ بشار -ابن أخ محمد شاه- نَهَاهُ عن ذلك، وأقنعَهُ بأنَّه من رجالِنا.

فيما بعد، علمْنا بأنَّ السُّوفييت قد دعَوا بعضَ وُجهاءِ المنطقةِ لحضورِ موقع الهجوم وإبهارِهم بالجبروتِ السُّوفييتي. وقد وصفَ لنا الوجهاءُ كيفَ أنَّ الجنديَّ السُّوفييتيَّ جاءَ متبختراً حاملاً غنائمَه من الأسلحةِ فوقَ رأسه.

استمرَّ السُّوفييت بقصفِنا مرَّةً أخرى طوالَ اللَّيل. وفي صباحِ اليومِ الثَّالث، جدَّدَ السُّوفييت الهجوم، وظنُّوا بأنَّه لم تعدْ لنا قوَّاتٌ في بطنِ الوادي الضيق، فأطلقُوا قنابلَ دخانيَّةً داخلَه تمهيداً لدخولِه. ظنَنَّا أنَّهم قد استخدمُوا ضِدَّنا غازاتٍ سامَّةً، فربطنا المناديلَ على وجوهِنا. دخلَ السُّوفييت بعدَها إلى الوادي الضَّيِّقِ مستترينَ بالدُّخان، ومعَ أوَّل دخولِهم قمنا بتوجيهِ رماياتٍ عشوائيَّةٍ نحوَ الدُّخان انطلاقاً من المُرتفعات، إلا أنَّنا بعدَ ذلك رأيناهم يُشعلونَ المشاعلَ لبعضِهم البعض، فرمينْا نحوَ المشاعلِ مباشرة، وقد استوعبْنا انطلاقاً من مواقعِ المشاعلِ بأنَّ السُّوفييت اخترقُوا إلى داخلِ القاعدة، فصرخَ المجاهدونَ في القاعدةِ بأنَّ "الروس هنا!" ويرمونَ من مسافةٍ قريبةٍ. فخرجْنا من مواقِعِنا في

المُرتفعات، وانحدرْنا من جدرانِ الوادي الضَّيّق، فاندلع قتالٌ عنيفٌ من مسافاتٍ قريبةٍ. انسحبَ السُّوفييت آخرَ الظَّهيرة، حاملينَ قَتلاهم وجرحَاهم، وتاركينَ آثارَ دماءٍ وضمَّاداتٍ داميةً والعديدَ من قاذفاتِ الآر بي جي – 18. ومرةً أخرى، استمرَّ السُّوفييت بقصفِنا طوالَ الليل.

في اليومِ الرَّابع، تقدَّمَ السُّوفييت والدَّبابات في طليعتِهم ومن خلفِهم المشاةُ يحتمونَ بها، وكانَ المُشاة مُمتنعين عن الخروجِ من خلفِ الدَّبابات، إلى أن وصلُوا إلى ثنايا الوادي الضَّيّق فاختبؤوا خلفَ الجُدران ثمَّ انسحبَتِ الدَّبَّابات. ولسببٍ ما لم يخرجِ المُشاةُ من خلفِ ثنايا الجُدران، فعادت الدَّبابات لتغطِّيَ انسحابَهم ثمَّ تراجَعت. توقَّف السُّوفييت عن إطلاقِ النَّار ظهراً، وحمَلُوا أمتعتَهم ثمَّ ارتحلُوا بعدَ الظهر. فأشعلنا النّيرانَ من المُرتفعات احتفالاً بانسحابِ العدو. لم نمانع الآن من إشعالِ النّيران، فقد كانَ الجوُّ مطيراً أثناءَ المعركة، كما أنَّنا لم نشعلِ النّيرانَ أثناءَ المعركة كي لا نكشفَ مواقِعَنا.

التَّعليق:

نفَّذَ السُّوفييت هجوماً أماميّاً مرَّةً أخرى، إلا أنَّهم اعتمدُوا هذهِ المرَّة على الحجابِ الدُّخاني لتغطيةِ التَّقدُّم. ونجحَ التَّقدُّمُ في البداية، إلا أنَّهم فشلوا في تمشيطِ جنباتهم في الأخير. وبمجرَّد تكبُّدِهم بعضَ الخسائر، انسحبُوا وتركُوا الأرضَ التي احتلوها، ثمَّ حاولُوا السَّيطرةَ عليها مرَّةً أخرى فيما بعد. أما بالنّسبةِ للمجاهدين فقد كانَ من الصَّعب عليهم السَّيطرةُ على المعركةِ بسببِ افتقادِهم لوسائلِ الاتّصال.

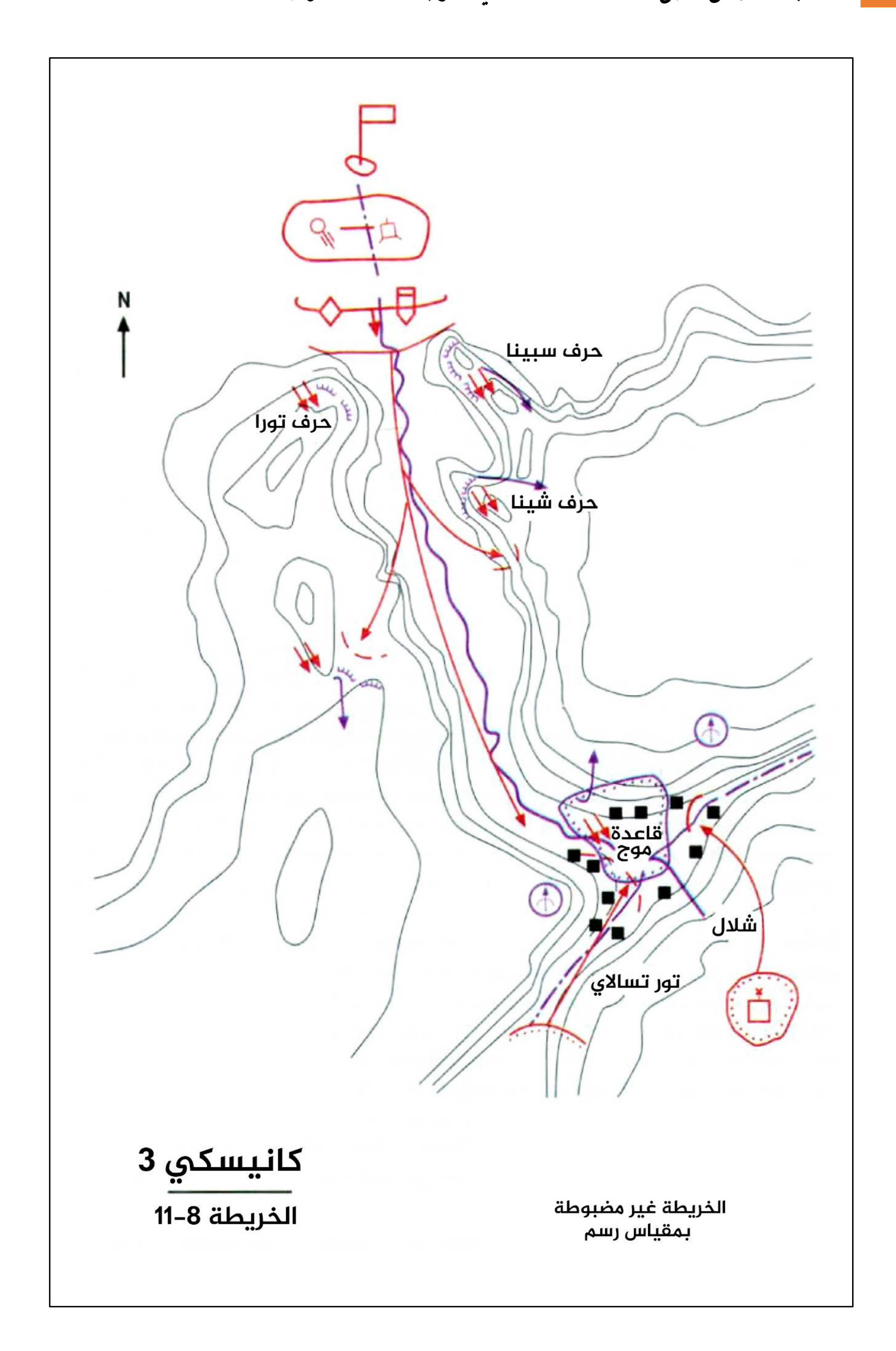
دفاعٌ فاشل

في عامِ 1985م، حَدث تنازعٌ على القيادةِ وتوزيعِ الغنائمِ بينَ قبائلِ المجاهدين، مِمَّا أدى إلى انقسامِهم كوحداتٍ قبليَّةٍ مُتفرِّقة، فانحازت كلُّ واحدةٍ بطائفتها إلى أوديةٍ مختلفةٍ. انعزلَ "الحاج عبد الخالق" ومجاهديه من قبيلةِ نورزاي إلى وادي "الشيخ راضي بابا"، بينما انحازَ "الحاج غولان رسول شيواني رسول أخوندزاده" ومجاهدين من قبيلةِ علي زاي وبركزاي إلى وادي "قلعة أماني"، وكنتُ أنا معهم. بينما بقيَ مولوي محمد شاه ورجالُه من قبيلةِ أخاكزاي في وادي قلعةِ كانيسكي.

بعدَ أن انعزلت المجاميعُ كلٌّ في واديه، عادَ السُّوفييت للهجوم، فركَّزُوا قوَّاتِهم على وادي قلعةِ كانيسكي حيثُ محمد شاه ورجالُه. كانَ تسليحُ الأخير: ستَّ رشَّاشات دوشكا، ورشَّاشَ 14.5 مثبَّتٌ على قاعدةٍ ثابتة، وثلاثَةَ مدافعٍ عديمةِ الارتداد عيار 82 ملم، و25 قاذف آر بي جي، وعدداً من الرشَّاشات المتوسِّطة. بينما جاءت القوَّاتُ السُّوفييتيَّة بأرتالٍ تضمُّ 200 دبابةٍ وناقلةٍ من "شيندَند" مُتَّجهةً نحوَ فراه وحاصَرَت المنطقة،[170] كما حلَّقت طائرةٌ سوفييتيَّةٌ انطلاقاً من قاعدةِ شيندَند وقصفَت قاعدةَ المجاهدين من ارتفاعاتٍ مُنخفضةٍ ومُرتفعة، بينما جاءت مِدفعيَّةُ السُّوفييت فدكَّت المَوقعَ لعدَّة ساعات بنيرانٍ كثيفة (خريطة 11-8- كانيسكي3).

أمضى السُّوفييت اليومَ الأوَّلَ في التَّمهيدِ المِدفعيِّ والجوي. وفي اليومِ الثَّاني، بدؤُوا بالهجومِ البرِّيِّ على الوادي مُستخدمين المُشاةَ مَسنودةً بالدَّبابات، ولكن استطاعَ محمد شاه ومجموعتُه صدَّ الهجوم. وفي اليومِ الثَّالث، هجمَ العدوُّ من جديد على مَدخل الوادي، إلا أنَّهم استطاعُوا هذه المرَّة إدخالَ قوَّةٍ خلسةً في وادي "جاري أب" عبرَ إنزالٍ مِروحيٍّ على قمَّةِ أحدِ الجبالِ القريبة. وقد عَبَرَت هذهِ القُوَّات حتَّى وصلت وادي قلعة كانيسكي وباغَتَت مجموعةَ محمد شاه من الخلف.

[170] كانت القوات من الفرقة الخامسة للبنادق الآلية السوفييتية. وإذا كان عدد الدبابات والناقلات التي ذكرها المجاهدون صحيحاً، فهذا فوجٌ (والغالب هو الفوج 371 للبنادق الآلية) معزز بقوات اقتحام جوي.


N
حرف سبينا
حرف تورا
حرف شينا
قاعدة
موج
شلال
تور تسالاي
كانيسكي 3
الخريطة 8-11
الخريطة غير مضبوطة
بمقياس رسم

قُتِل ابنُ محمد شاه بينما كان يرمي بسلاح 14.5، وَعَلِقت المجموعةُ حتَّى المساء بين قوَّتين للعدو، فجَمَعَ محمد شاه رجالَه وقالَ لهم:" إمَّا أن نثبتَ في مكانِنا حتَّى يُقتلَ آخرُنا، أو نخاطِرَ فننقضَّ على المهاجمين، ونحاولَ كسرَ الحصارِ ثمَّ الهرب، وإذا ما حاولنا الهربَ فيجبُ أن نهربَ بمجموعِنا، لأنَّنا إن كُشفنا خلالَ ذلك فسيكونُ لدينا القُوَّةُ النَّاريَّةُ الكافيةُ لقتالهم. وإن لم يكشفونا، فسننجو جميعاً." وقد وافقَ رجالُه جميعاً على ذلك. وفعلاً استطاعَ 70 مجاهداً التملُّصَ من بينِ القوَّات السُّوفييتية، ولم يبقَ إلا بعض المُسنِّين.

وفي اليوم التَّالي، استكملَ السُّوفييت التَّمهيدَ المدفعيَّ والجوي، جاهلين بهروب المجاهدين. ثمَّ في اليوم الخامس، دخلُوا القاعدة، ولغَّموا الكهوف، ونهبوا ما قدرُوا على حمله، ثمَّ غَادَرُوا.

حوَّل السُّوفييت بعدها انتباهَهُم نحوَ وادي قلعةِ أماني، فعبرُوا المُرتفعاتِ من قلعة كانيسكي، وهاجَمَت قوَّاتُ الاقتحامِ الجوي انطلاقاً من مُرتفعاتِ الوادي المجاهدين في قلعةِ أماني. ولم يستطعْ مُعظمُ المجاهدين فيها الهروبَ هذه المرَّة، حيثُ فَقَدنا 50 مجاهداً هناك. ثمَّ التفتَ السُّوفييت إلى وادي "الشيخ راضي بابا"، إلا أنَّ المجاهدين كانُوا قد غادرُوه، وكانت هذهِ نهايةَ مَعقلِ المجاهدين في جبلِ الشرف. كُنَّا نعلمُ بأنَّنا لن نستطيعَ البقاءَ في هذهِ القواعد الأفغانيَّةِ الكبيرة إلى الأبدِ في ظلِّ هجماتِ السُّوفييت، ولهذا السَّببِ قُمنا بنقلِ قواعدِنا ومناطقِ الانطلاقِ ومناطقِ الاستراحةِ إلى ما وراءَ حدودِ إيران.

التَّعليق:

حافظَ المجاهدون على قواعدِهم في جبلِ الشَّرف ما بينَ 1979 إلى 1985م، ولم يكن يخفى على العدوّ أنَّ المجاهدين مُتمركزين فيه، فأخذَ السُّوفييت بالمبادرة وشنُّوا هجوماً على القاعدةِ في الوقتِ الذي كانَ المجاهدون مُرتبطين فيه بالقاعدة، وكانَ عليهم تخصيصُ عناصرَ كافيةٍ للدِّفاعِ عنها طوالِ الوقت، مِمَّا حَرَمَهم من توفيرِ عددٍ كافٍ من المجاهدين للهجومِ على العدو. وبمجرَّدِ انعزالِ كلِّ مجموعةٍ من المجاهدين في وادٍ ضَيّقٍ، انقطعَت الاتِّصالات بينهم، وفقدُوا القدرةَ على تحذيرِ بعضِهِمُ البعضَ وتنسيقِ الأعمالِ ضدَّ السُّوفييت، ومن ثمَّ تمكَّنَ السُّوفييت من هزيمةِ كلِّ مجموعةٍ على حِدة.

مع ذلك، لم ينجح السُّوفييت في شنِّ الهجومِ على جبلِ الشَّرفِ بشكلٍ مُباشَرٍ انطلاقاً من الصَّحراء، كما تأخَّرُوا كثيراً في إنزالِ قوَّات الاقتحامِ الجويِّ عبرَ المروحيَّات على قممِ الجبال بعيداً عن القوَّاتِ الأرضيَّة التي كانَ من المقرَّرِ أن تتَّصلَ بها هذه القوَّاتُ الجوِّيَّة. وبمجرَّدِ أن بدؤُوا في تطبيقِ هذا الأمرِ حقَّقُوا الكثيرَ من النَّجاحات. ومعَ ذلك، فقد نجحَ المجاهدون أحياناً في عزلِ تلكَ القوَّات المحمولةِ عبرَ المِروحيَّات وتدميرِها. وفي هذهِ المعركةِ، نجحَ السُّوفييت حينَ استخدمُوا المروحيَّاتِ في إنزالِ قوَّاتٍ على المُرتفعات والهجومِ نزولاً للاتِّصال بالقوَّات الأرضيَّةِ الصَّاعدةِ إلى الوادي الضَّيِّق.

المقالة السادسة: الدفاع عن قاعدة "قلعة ناو"

رواية المولوي مُحيي الدين البلوشي[171]

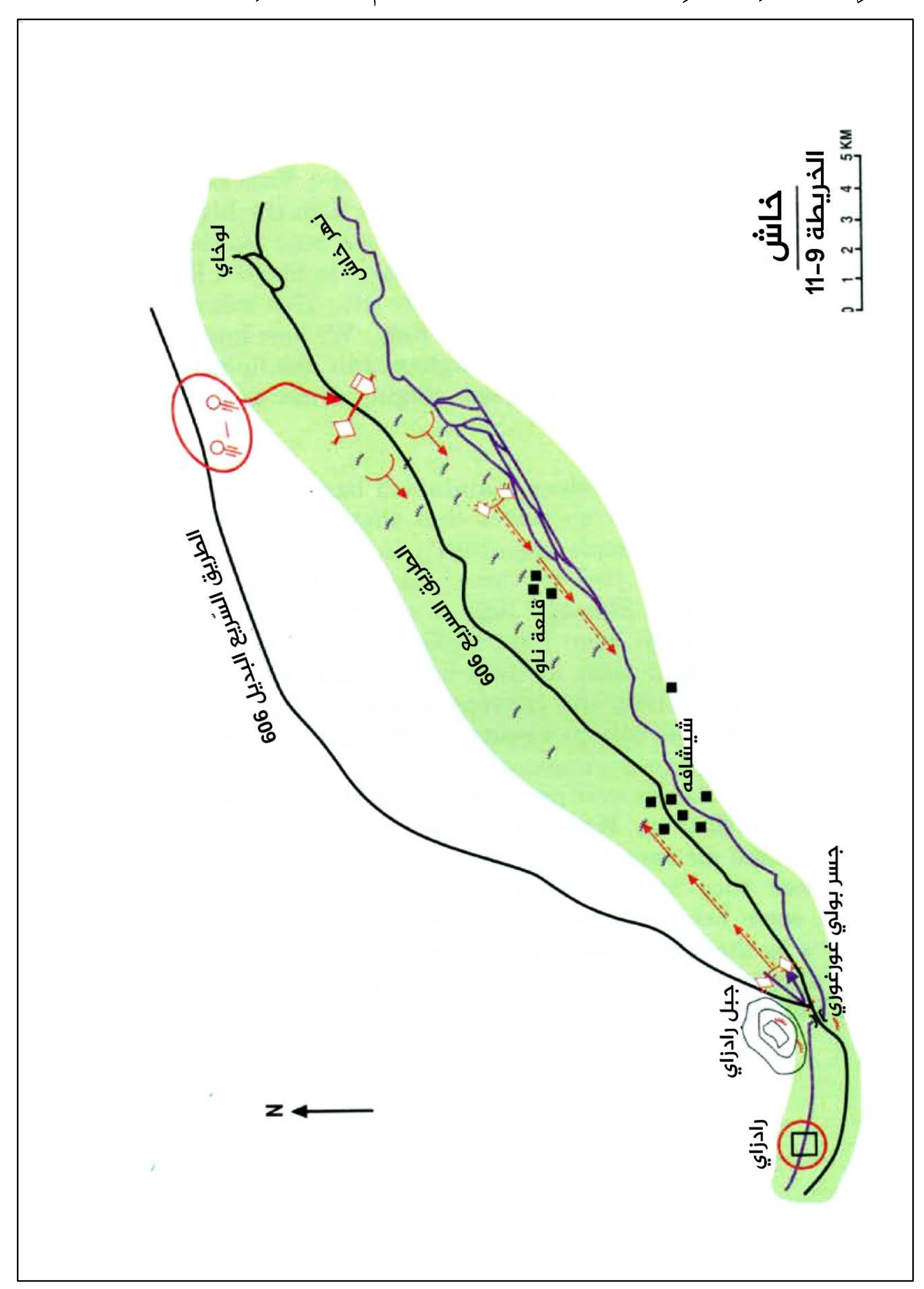
تقعُ ولايةُ نيمروز في الزَّاويةِ الجنوبيَّةِ الغربيَّةِ لأفغانستان، وتغلبُ على هذهِ الولايةِ الأرضُ المنبسطةُ والتَّصحُّرُ وقلَّةِ السُّكان. كانَ هؤلاءِ السُّكان القليلونَ يعيشونَ في المناطقِ الخضراءِ على طولِ ضفافِ الأنهار. ومن هذهِ الأنهارِ التي توجدُ في الولاية؛ نهرُ "خاش" الذي يجري من الشَّمال الشَّرقيّ إلى الجنوبِ الغربي. وتقعُ قاعدتِي جنوبَ غربَ "لوخاي" مركزِ مديريَّةِ "خاش رود" بمسافةِ 10 كيلومترات. (خريطة 11-9- خاش) وقد كانت القاعدةُ موجودةً في منطقةٍ غابيَّةٍ قريبةٍ من قريةِ "قلعة ناو" المُحاذيةِ لضفافِ نهرِ "خاش".

ويمتدُّ الطَّريقُ السَّريعُ 606 من "ديلارام" و"زارانج" (عاصمة الولاية) بموازاةِ النَّهرِ مخترقاً المنطقةَ الخضراء. وعادةً ما كُنَّا نغلقُ هذا الطَّريقَ، ونعترضُ القوافلَ المارَّة عليه، كما كُنَّا في بعضِ الأحيانِ نهجمُ أيضاً على عاصمةِ الولاية. كانَ حجمُ قوَّتي في قاعدتِي الرَّئيسيَّةِ قلعةِ ناو 200 رجلٍ، كما كانَ لديَّ قاعدةٌ أماميَّةٌ في جسرِ "بولي غورغوري" حيثُ كانِ يعبرُ الطَّريقُ فوقَ نهرِ خوش، وعادةً ما كُنَّا نلغِّمُ ونفجِّرُ هذا الجسرَ لمنع القوافلِ من الوصولِ إلى عاصمةِ الولاية. الجديرُ بالذِّكرِ أيضاً أنَّ النَّهرَ كانَ يَقسِمُ قاعدتِي الرَّئيسيَّةِ إلى جزءٍ شماليٍّ غربيٍّ وجزءٍ جنوبيٍّ شرقي. وأثناءَ موسمِ الفَيضان، كانَ يستحيلُ على المجاهدين عبورُ النَّهر، فيبقَونَ مُنقسمين يقاتلون كُلٌّ على حدةٍ طوالَ موسمِ الفيضان.

في أواسطِ الثَّمانينات، وبعدَ أن كبَّدت مقاوَمَتُنا العدوَّ خسائرَ فادحة، بَنَى الأخيرُ مُنعطَفاً بديلاً عن السَّهل بينَ زارانج وديلارام، بحيثُ يخني هذا الطَّريق بطولِ تسعةِ كيلومتراتٍ مُبتعداً عن قاعدةِ المجاهدين. وحينما اعتمدَ العدوُّ على هذا الطَّريقِ الجديد، ولكونِ المنطقةِ التي كانَ يمرُّ منها الطَّريقُ

[171] المولوي محيي الدين البلوشي من ولاية نيمروز. كانت قاعدته في لوخاي عاصمة مديرية خاش رود على نهر خاش. في البداية، انضم إلى حركة الانقلاب الإسلامي التابعة لمحمد نبي محمدي. وفيما بعد انضم إلى الحزب الإسلامي بقيادة خالص. [Map sheet 1579 and 1580]

البديل قاحلة جداً ومكشوفةً تماماً وتفتقدُ إلى إمداداتِ المياه، لم أستطعْ إلا تخصيصَ 15-20 رجلاً للهجومِ على بعضِ القوافلِ الصَّغيرة، أمَّا القوافلُ الكبيرة فلم يكن بإمكانِنا التعرُّضُ لها بأذى.



ولأنَّ الطَّريقَ البديلَ كان يلتقي بالطَّريقِ القديم في قريةِ "رادزاي" على بُعدِ 17 كيلومتراً إلى الجنوبِ الغربِيّ من القاعدة؛ بدأتُ بنقلِ الكمائنِ إلى منطقةِ رادزاي، حيثُ كانَ يوجدُ جبلٌ شرقَ رادزاي يحملُ اسمَ المنطقةِ عينَها. وقد كانَ الطَّريقُ يعبرُ بجانبِ الجبلِ من جهتِهِ الجنوبيَّةِ الشَّرقية، كما كانت توجدُ أيضاً مجموعةٌ من التِّلالِ التي كانت تعيقُ الحركةَ على الطَّريق، ممَّا جعلَ هذا المكانَ موقعاً مثاليّاً لنصبِ الكمائن.

في خريفِ عامِ 1984م، كنتُ ونائبي "خان محمد" بعيدَيْن من قاعدتِنا (كنَّا في إيران)، فأبلغَ المُخبرون النِّظامَ الأفغانيَّ بغيابِنا، فقرَّرَ النِّظامُ الهجومَ على قاعدتِنا، إلا أنَّ نائبي خَان محمد كانَ قد عادَ في اليومِ الذي هاجَمَ فيه الجيشُ الأفغانيُّ قاعدتَنا، وذلكَ قبلَ خمسةِ أيَّامٍ من عيدِ الأضحى. وبدأَ العدوُّ هجومَهُ انطلاقاً من "ديلارام" نحوَ السَّهلِ على بُعدِ 15 كيلومتراً شمالَ قاعدتِنا، وأنشأَ قاعدةً هناك. ولأنَّ طبيعةَ الأرض التي أنشؤُوا فيها القاعدة كانت صَحراء، فقد كانَ بمقدورِهم التَّحرُّكُ نحوَ أيِّ اتِّجاهٍ يريدونَه. هاجمُوا قاعدتَنا في اليومِ التَّالي، وكانَ فيها ما بينَ 70 إلى 80 مجاهدٍ وقتَها، وكانَ تصرُّفنا المعتادُ حينَ نتعرَّضُ لهجومٍ ما هوَ الانتشارُ على مساحةٍ واسعةٍ والتَّمركزُ في نقاطٍ حَصينةٍ مُتوزِّعةٍ على 20 قريةً.

هاجمَ العدوُّ كعادتِه انطلاقاً من الشَّمال الشَّرقِيّ نحوَ الجنوبِ الغربِيّ عبرَ المنطقةِ الخضراء حيثُ قاعدتُنا، ولكنَّه هذه المرَّةَ أرسلَ أيضاً مفرزةً إلى جسرِ "بولي غورغوري" للتَّمَوضُعِ في جبلِ رادزاي، وذلك لتطويقِ قوَّتِنا وحصرِنا داخلَ المنطقةِ الخضراء. لقد كنَّا مُجبرين على القِتالِ داخلَ المنطقةِ الخضراء، لأنَّ الصَّحراءَ المُحيطةَ بنا كانت مُنبسطةً تماماً ومكشوفةً لنيرانِ العدو. قَاتلْنا العدوَّ باستخدامِ عدَّةِ جُيوبِ مقاومةٍ مرتكزةٍ على مواقعَ قتاليَّةٍ محصَّنة. فعندما كانَ العدوُّ يحاولُ التَّركيزَ على جيبٍ واحد، كانَ المجاهدون في الجيوبِ الأُخرى يقومونَ بالهجومِ على مُجَنَّبَةِ العدوِّ ومؤخِّرَته، بينما كانَ العدوُّ عاجزاً عن تقسيمِ قوَّاته للتَّعاملِ معَ جميعِ الجيوب خَشيةَ تدميرِ كُلِّ جزءٍ على حِدة، فكان يبقي قوَّاتِه مُركَّزة لتأمينِها. كنَّا ندعُ العدوَّ يطارِدُنا من نقطةٍ حَصينةٍ إلى أخرى، بينما نهجمُ عليه متَى ما

استطعْنا. وفي النّهاية كانَ يتمُّ إنهاكُ قوّاتِ العدوِّ، وتنفدُ مؤنُهم وَمِياهُهم، فيقطعونَ الاشتباكَ ويولُّون الأدبار.

تطوَّرَ القتالُ كالمعتاد، وفي نهايةِ اليومِ تراجعَ العدو. إلا أنَّ هذه المرَّةَ لسوءِ الحظ قُتِل نائبي أثناءَ هذا القتال. ولمَّا سمعتُ أنا بالقتالِ في إيران، جمعتُ من كانَ جاهزاً من المجاهدين وانطلقْنا للعودةِ لقاعدتِنا. كانَ المجاهدون في قاعدتِنا قد استطاعُوا إخلاءَ قَتلاهُم وجَرحَاهُم إلى قلعةِ "ناو" و"شيشافه" ورادزاي. وقد أبلغَ المخبرونَ العدوَّ بأنَّ قائدَ القاعدةِ قد قُتِل حيثُ اشتبهَ عليهم الأمرُ بيني وبينَ نائبي. لقد ظنُّوا بأنَّني قُتِلت، فقرَّروا أنه حانَ وقتُ القضاءِ على جميعِ المجاهدين في المنطقةِ الخضراء. وصلتُ إلى المنطقةِ في اليومِ الثَّالثِ من بدايةِ المعركة، وفي اللّيل، جاءَ رتلٌ آخرُ للعدو، وانتشرَ في الصَّحراءِ شمالنا، فأدركتُ أنَّ العدوَّ سيهجمُ علينا الآن.

كانت الأسلحةُ التي بحوزتِنا وقتَها: راجمةَ بي أم – 12، وراجمةَ صواريخ عيارِ 107 ملم بسبطانةٍ واحدة، وستَّةَ مدافعٍ عيارِ 82 ملم عديمةِ الارتداد، وخمسةَ رشَّاشاتِ دوشكا، وثلاثةَ رشَّاشات 14.5 مُثبَّتةً على الأرضِ بقواعد، و15 قاذفةِ آر بي جي -7. وقد أصبحَ الآنَ برفقَتي 120 مقاتلاً، وبالإضافةِ لرجالي كانَ يوجدُ مجاهدون من الحزبِ الإسلاميِّ بقيادةِ خالص في المنطقة، وقد ساعدُونا في الدِّفاعِ عن القاعدة. أرسلتُ 20 من رجالِي إلى جسرِ غروغوري مُسلَّحين بأربعةِ قواذفِ آر بي جي – 7 وعددٍ من بنادقِ الكلاشنكوف، وأمرتُ قائدَهم بأنْ ينشرَ عشَرة رجالٍ على كُلِّ ضفَّة، لمنع مرورِ الدَّبَّاباتِ التي ستقومُ بعمليَّةِ التَّطويق، إلا أنَّ تلكَ المجموعةَ لم تصلْ إلى الجسرِ في الوقتِ المطلوب، حيثُ كانت خائفةً من الوقوعِ في كمينٍ للعدو فَفَرَّطَت في عبورِ الجسر، بينما استطاعَ العدوُّ السَّيطرةَ على الجسرِ فجراً، وانتشرَت مجموعاتُه الأخرى في قلعةِ ناو ورادزاي وشيشافه ونقاطٍ أخرى من المنطقة.

وكعادتِه، هاجمَ العدوُّ من جهةِ الشَّمالِ الشَّرقيِّ والجنوبِ الغربيِّ، فتضمَّن هجومُهُ الرَّئيسيُّ من الشَّمالِ الشَّرقيِّ ما بين 150-200 عربةٍ، وتركَّزُ على مجموعةِ المجاهدين التي كانت تُرابطُ على الجسر، إلا أنَّ العدوَّ بعدَ ذلكَ دَفَعَ المجاهدين وبدأَ التَّقدُّمَ نحوَ الشَّمالِ الشَّرقيِّ من "رادزاي". وفي الجو،

كانت ستُّ طائراتٍ حربيَّةٍ تقومُ بعمليَّاتِ القصف، بينما كانت أربعُ مِروحيَّاتٍ تصحّحُ لها الرِّمايات، وذلك من خلالِ إطلاقِ صواريخَ دخانيَّةٍ لتعليمِ الأماكنِ المطلوبِ قصفُها. استمرَّ القتالُ ليومين، قطعَ العدوُّ بعدَها الاشتباكَ ثمَّ انسحب. وأثناءَ القتال، انشقَّ 16 جنديَّاً أفغانيَّاً وقَدِمُوا إلينا، حيثُ كانُوا قد سُحِبُوا للتَّجنيدِ الإجباريِّ من ولايتي فراه ونيمروز، وكانُوا ينتمونَ للِّواءِ 21 الميكانيكيِّ في فراه، وفوج ساراندوي في نيمروز. وكانَ هناكَ أيضاً هاربونَ من اللِّواءِ الرَّابعِ للحرسِ الحدوديِّ الأفغانِيّ.

كانت خسائرُ المجاهدين: ثلاثةَ قتلى والعديدَ من الجَرحى. بينما لم نعلمْ عن خسائرِ العدوِّ إلا 16 هارباً.

التَّعليق:

عندما سألنا البلوشي عن السَّببِ الذي جعلَه قائداً ناجحاً قال: "عَزمْنا على القتالِ حتَّى آخرِ رجل، في الوقتِ الذي لم يملكْ عدوُّنا هذا العزم. لقد كانت هذهِ منطقةً واسعةً، وكُنَّا مُنتشرين فيها، ممَّا قلَّل من تأثيرِ القوَّةِ الجوِّيَّةِ للعدوِّ، حيثُ أضعفَتِ الصَّحراءُ من فعاليَّةِ القصفِ الجويِّ إلى حدٍّ كبير، كما فقدَتِ العديدُ من القنابلِ تأثيرَها فلم تنفجرْ أو اندفنت في الرِّمال. بالإضافةِ إلى ذلك، كانت ملاجئُنا ومواقعُنا القتاليَّةُ في كُلِّ قريةٍ مُغطَّاة بشكلٍ جيد.

كانَ العدوُّ جامداً متمسِّكاً بأسلوبٍ عسكريٍّ واحد، ولم يجرِّب شيئاً جديداً بتاتاً. لذا فقد كُنَّا نعلمُ من أيِّ اتِّجاهٍ سيأتي، وكيفَ سيتصرَّف، وإلى متى يستطيعُ البقاء. كانت مواقعُنا الدِّفاعيَّةُ متَّصلةً بخنادقِ اتِّصال، بينما كانَ العدوُّ مكشوفاً على الدَّوام. وكانَ لدينا أسلوبانِ للمناورة: الأوَّلُ هوَ المناورةُ الانتشاريَّة، وهي أن نُجبرَ العدوَّ على مطاردَتِنا كلِّنا لِيَجِدنا. أمَّا الثَّاني فهو المناورةُ الدَّاخليَّة ضمنَ النِّقاطِ المُحصَّنة، حينَ كنَّا نستطيعُ التَّحوُّلَ بينَ المواقعِ من دونِ أن يرصُدَنا العدو. وكانت لدينا مثلُ هذهِ المواقعِ في كلِّ القرى وعبرَ المنطقة. وكانت هناكَ العديدُ من الخنادقِ والقنواتِ في المنطقة، بعد أن عملْنا مُسبقاً على تحسينِها وتحويلِها إلى مواقعَ قتالية."

"بمجرَّد أن يعرِضَ عليَّ العدوُّ عرضاً مثل: "لا تهاجمْنا وسنعطيك إتاوةً قدرُها 50,000 أفغاني ($250)[172] على كلِّ مركبةٍ تمرُّ عبرَ المنطقة" أقومُ بردِّ العرض فوراً: "ما دامَ السُّوفييت هنا، لا نعقدُ معكم أيَّ صفقة".

كانَ سلاحُ المُشاةِ يمثّلُ أضعفَ سلاحٍ في جيوشِ العدو، سواءُ السُّوفييتية والأفغانيَّة. وكان تسلُّلُهم خلالَ الهجومِ مُتوقَّعاً تماماً. إذ يبدؤون عادةً بالتَّمهيدِ المدفعيّ والجويّ، ثمَّ يُطلقونَ حُجُبَ الدُّخان، ثمَّ تنطلقُ المُشاةُ في تنفيذِ الهجوم، وتسندُها الدَّبابات. لكن بمجرَّدِ بدايةِ تكبُّدِهم الخسائر يتوقَّفون. لقد كانت دبَّاباتُهم ترتاعُ من الأسلحةِ المُضادَّة للدَّبابات، فبمجرَّدِ علمِهم بوجودِ قاذفاتِ الآر بي جي ومدافعٍ عديمةِ الارتدادِ في المنطقةِ كانت الدَّباباتُ تُحجمُ عن التَّقدُّم. كنَّا ننتظرُ لحينِ اقترابِ الدَّباباتِ مسافةً ما بينَ 20 إلى 30 متراً من أسلحتِنا المُضادَّةِ للدَّبابات قبلَ أن نفتحَ النِّيران، ولم أكنْ أسمحُ لرجالي بمحاولةِ تنفيذِ رماياتٍ بعيدةٍ، وهذا ما جعلَهم يبقون ثابتين في مواقعِهم مُتحلّين بالصبرِ والشَّجاعة.

لم تكن الدَّباباتُ تستطيعُ رصدَنا واستهدافَنا على مسافاتٍ بعيدةٍ بسببِ التَّحصينات، بينما كنَّا نحنُ نستطيعُ رصدَها وإصابتَها عند اقترابِها منَّا. وكنَّا في معظمِ معارِكِنا، نقاتلُ عدوَّاً ذا قوَّةٍ ناريَّةٍ كبيرةٍ إلا أنَّه خوَّارٌ في الاقتحام. وفي هذا القتالِ الذي استمرَّ ليومين، نادراً ما وصلَ العدوُّ لمدى سلاح الكلاشنكوف. والتجديدُ الوحيدُ الذي قامَ بِهِ في هذهِ المعركةِ هوَ بالهجومِ أثناءَ عيدِ الأضحى، حيثُ توقَّعَ أن يعودَ المجاهدون إلى بيوتِهم بدلَ البقاءِ في قواعدِهم. وإن كانَ هناكَ أمرٌ جديدٌ ثانٍ في أسلوبِ العدو: فهوَ عودتُه إلى المنطقةِ وتكرارُه للهجومِ أبكرَ من المُعتاد، وهذانِ التَّغييرانِ الوحيدانِ الذين كانا في نمطِ قتالِه.

[172] المركز: هذا مقدار العملة عام 1998 سنة إصدار الكتاب، وسعر العملة الأفغانية اليوم مختلف وأضعف.

أنا لم أخضْ حربَ عصاباتٍ حقيقيَّة، لأنَّني كنتُ أعلمُ مواقعَ العدوِّ، وهو يعلمُ أيضاً مواقعي. كما أنَّ العصاباتِ مراوغةٌ، وتهجمُ في مكانٍ وزمانٍ غيرِ متوقَّعين. بينما في هذه الحالة، هاجمَني العدوُّ بالأسلوب والمكان عينِهما، فهل هذهِ حربُ عصابات!؟"

"كانت وسيلتُنا لإخلاءِ الجرحى: عَصَوَانِ تربطُهما قطعةُ قُماشٍ، بينما كانت وسيلتُهم المروحيَّة. سِرُّ النَّجاحِ بأنَّ المعركةَ كانت قضيَّة الشَّعب. فالجميعُ يعلمُ أنَّنا كنَّا نقاتلُ المحتلين، ولم تكن هذهِ حرباً، بل انتفاضة. ولذلك، فهي ليسَت حربَ عصاباتٍ بنظري، إذْ لم نكلّف أنفسَنا أبداً في موضوعِ الإمداد بالطّعام، حيثُ كانَ الشَّعبُ يمِدُّنا بكلِّ ما يملكُه. كانت لديَّ شاحنتانِ صغيرتان، فيما كانَ لدى العدوِّ 200 عربةٍ. واستخدمتُ الشَّاحنتان الصَّغيرتان بغرضِ نقلِ إمداداتِ الغذاءِ والذَّخيرة. ونقلْنا الإمداداتِ أيضاً سِرَّاً بالسَّيرِ على الأرجُل ومن خلالِ النَّهرِ في المنطقةِ الغابيَّةِ لإمدادِ المواقعِ القتاليَّة ليلاً. وكانَ نظامُنا الغذائيُّ في معظمِه لحومَ الضَّأنِ وخبزَ النَّان[173] الذي جهَّزَنا به سكانُ المنطقةِ مجاناً. كما كانت وجبتُنا الغذائيَّةُ اليوميَّةُ المُعتادةُ الكاملةُ قطعةَ لحمِ ضأنٍ مطبوخةٍ وملفوفةٍ بخبزِ النَّان. وكانَ الإمدادُ بالمياه سهلاً لأنَّ مواقعَنا القتاليَّةَ كانت قريبةً من النَّهرِ وكان كلُّ رجالي يحملونَ قِرَباً لحملِ المَاء."

173 النَّان هي أرغفة خبزٍ أفغانية دائرية مسطَّحة غير مختمرة. تشبه بالحجم والسَّماكة البيتزا الصغيرة أو المتوسطة.

المقالة السَّابعة: الدفاع عن ضواحي قندهار

رواية سلطان محمد توبخانه[174]

كانَ معظمُ عناصرِ فصيلِ الحركةِ الإسلاميَّة -أغلبهم من الشِّيعة- يتركزونَ في الجنوبِ الغربيِّ من أفغانستان، بينما كانت قاعدةُ الحركةِ الإسلاميَّةِ الرَّئيسيَّةِ واقعةً في الجبالِ الجنوبيَّةِ من "خاكريز"، وكانَ موقعُ هذهِ القاعدةِ يبعدُ 60 كيلومتراً شمالَ قندهار، وتوجدُ بالقربِ منها قاعدةُ "إسلام دره" (وادي الإسلام)[175] التَّابعةُ للحزبِ الإسلاميِّ بقيادةِ "المولوي خالص يونس"، وكانت هذه القاعدةُ تَبْعُدُ عن قاعدةِ "خاكريز" مسافةَ سبعِ ساعاتٍ سيراً على الأقدام. قَاتلت الحركةُ الإسلاميَّةُ في غيرشيك وأورزغان وقندهار، وكانَ لديها أربعُ وحداتٍ في منطقةِ قندهار، أمَّا نحنُ فقد كانَ لدينا 300 مقاتلٍ بقيادةِ "علي ياوار" الذي قُتِل فيما بعد أثناءَ الحربِ بانفجارِ لغمٍ أرضي.

وكانَت لدينا قاعدتان في منطقةِ قندهار، وهما "تشار ديوال" الموجودةُ في الضَّواحي الجنوبيَّةِ من قندهار والتي كانت تُدعى "المالاجات"، و"تشار باغ" الموجودةُ في وادي أرغنداب شمالَ غربَ قندهار. قُدتُ أنا مجموعةً في "تشار دوال"، كما قادَ كلٌّ من "غلام شاه" و"شاه محمد" مجموعةً أخرى. بينما كانَ "غول محمد" قائدُ قاعدةِ "تشار باغ". كنَّا عادةً نُنَاوِشُ القوافلَ المارَّةَ على الطَّريقِ السَّريع (1) ونصدُّها عن العبورِ قربَ سجنِ قندهار في "بشتون باغ" على بُعدِ نصفِ كيلومترٍ من حرفِ جبلِ ساربوزا. وعلى عكسِ العديدِ من مناطقِ أفغانستان، كانت الفصائلُ في قندهار تتَعاونُ فيما بينَها،

[174] كان سلطان محمد ينتسب إلى الأقلية الشيعية في أفغانستان، وكان ينتمي للحركة الإسلامية المعتدلة، والتي أسسها آية الله آصف محسني في إيران. قاتل منذ الانقلاب الشيوعي حتى انسحاب السُّوفييت.

[Map sheet 2180]

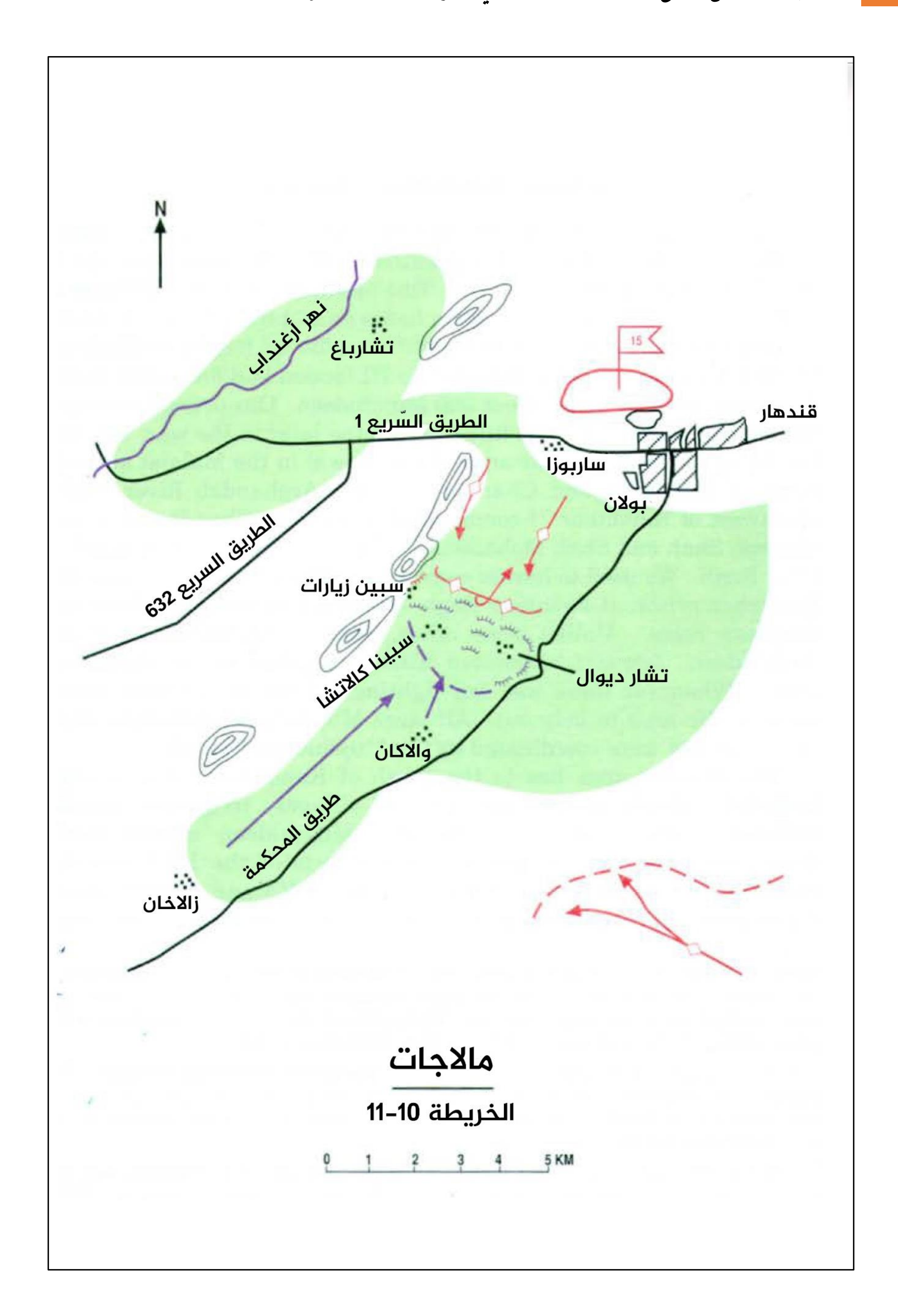
[175] هذا اسم قاعدة المجاهدين خلف جبل شاوادان. وقد شنَّت الفرقةُ 103 السُّوفييتيَّة المحمولةُ جواً هجوماً على هذه القاعدةِ عامَ 1985، وُضِّحَت تفاصيلُ الهجومِ في المقالةِ 25 من كتاب "عبور الدب للجبل"، إلا أنَّ تحديدَ موقعِ القاعدةِ في ذلك الكتابِ كانَ خاطئا.

فكلَّما سمعُوا هيعةً طارُوا إليها جميعاً، بحيثُ يتمُّ توحيدُ وتنسيقُ العمليَّاتِ الجهاديَّةِ عبرَ مجلسٍ مُشتركٍ بينَ المجاهدين.

تقعُ منطقةُ "مالاجات" جنوبَ قندهار، وهي تمثِّلُ الضَّاحيةَ الجنوبيَّةَ للمدينة، كما أنَّها وافرةُ الرَّي، ومليئةٌ بالقُرى وقنواتِ الرَّيِّ والبساتينِ والمزارعِ والكُروم. كانَ المجاهدون يَتحرَّكون فيها بكاملِ حُرِّيَّتِهم على الرُّغم من كلِّ جهودِ السُّوفييت والجيشِ الأفغاني للسَّيطرةِ على المنطقة.[176] حيثُ طَوَّقَ السُّوفييت على نحوٍ متكررٍ منطقةَ "مالاجات" وحاولُوا الدُّخولَ إليها وقتلَ المجاهدين فيها وتدميرَ قواعدِهم، غيرَ أنَّ كلَّ هذه المحاولات لم تنجحْ طوالَ الحرب. وكانَ في المنطقةِ دائماً ما يُقارب 1000 أو 1500 مجاهداً من مختلف الفصائل. وكانُوا جميعاً من المجموعاتِ المتنقِّلة، وليسُوا منَ المُقيمين في "مالاجات". وكانَ المجاهدون يقومُون بتبديلِ القوَّاتِ المُرابطةِ في المنطقة بشكلٍ مستمر، ممَّا ساهمَ في الحفاظِ على حالةِ استعدادٍ عالية. كانَ "مجاهدو مالاجات" مُجهَّزين بقواعدَ إمدادٍ حَسنَةِ التَّجهيز، وملاجئَ عالية التَّحصين، ومواقعَ قتاليَّةٍ معدَّةٍ بشكلٍ جيد (خريطة 11-10-مالاجات).

في خريفِ 1984م، فرضَ العدوُّ طوقاً كبيراً حولَ "مالاجات"، واحتلَّ المواقعَ الجنوبيَّةَ التي تعوَّد التَّمركزَ فيها سابقاً من جبلِ "زاكر" شرقاً إلى "قايتول" غرباً، ثمَّ حاصرَ "مالاجات" وقندهار شمالَ هذه المواقع الجنوبيَّة، والطَّريقِ السَّريع (4) شرقَها، وسلسلةً من التِّلالِ كانت موجودةً غربَها. وبهذا كانت المنطقةُ قد تضمَّنت مساحةً كبيرةً يتمتَّعُ فيها المجاهدون بحريَّةِ المناورة. في الساعة 07:00، جاءَ رتلٌ ميكانيكيٌّ للعدوِّ يتراوحُ حجمُه بينَ 30 و35 دبابةً وناقلةَ جندٍ مُدرَّعة عبرَ ساربوزا، بينما جاءَ رتلٌ آخرُ مؤلَّفٌ من 15-16 دبابةً وناقلةً من مقرِّ الفرقة (15) مارَّاً خلفَ منزلِ حاكمِ الولاية على طولِ طريقِ المحكمةِ قربَ بولان مُتَّجهاً نحوَ مواقعنا الدِّفاعية.

[176] تُرابطُ في منطقة قندهار التَّشكيلاتُ الأفغانية التالية: مقرُّ الفيلق الثاني، والفرقةُ 15 للمشاة، واللواءُ السابع للدبابات، واللواءُ الثالث لحرسِ الحدود، والفوجُ 366 للطائرات المقاتلة القاذفة، والسِّربُ 379 المستقل للقاذفات. بينما تضمنت القوات السُّوفييتية اللواء 70 للبنادق الآلية وكتيبة سبيتسناز.


N
نهر أرغنداب
تشارباغ
15
قندهار
الطريق السّريع 1
ساربوزا
بولان
الطريق السريع 632
سبين زيارات
سبينا كالاتشا
تشار ديوال
والاكان
طريق المحكمة
زالاخان
مالاجات
الخريطة 10-11
0 1 2 3 4 5 KM

امتدَّت مواقعُنا الدِّفاعيَّةُ على مسافةِ ثلاثةِ كيلومتراتٍ بينَ "تشار دوال" و"سبين زيارت"، وكُنَّا نستطيعُ رصدَ دفاعاتِ عدوِّنا من هناك. وقد شغلَ مواقعَنا الدِّفاعيَّةَ هناك 450 مجاهداً من مختلفِ الفصائل، منها وحداتٌ من "سر كاتب" تابعةٌ للحزبِ الإسلاميِّ بقيادةِ خالص، ووحدةٌ "غولاغه" ابن الحاج خطيب، وَوَحدَتينِ من الحركةِ الإسلاميَّة.

كانت المِروحيَّاتُ الهجوميَّةُ تغطي على الرَّتلينِ المتقدِّمين، وقامَت بالرَّمي على مواقعِنا. ومع ذلك، أوقفَ العدوُّ التَّقدُّمَ لأنَّنا كنَّا في مَنَعَةٍ جيدةٍ داخلَ مواقعِنا الدِّفاعية، كما لم يترجَّلِ العدوُّ من عرباتِه المدرَّعة، بل انتشرَ بعرباتِه في خطٍ لإطلاقِ النِّيران، وبقيَ يرمي علينا لمدَّةِ ساعتين أو ثلاث، حتَّى أنَّ الأشجارَ المُورقةَ احترقت. كانت مواقعُنا الدِّفاعيَّةُ تبلغُ مساحتُها الدَّاخليَّةُ (2*3 متر) بحيثُ تتَّسعُ لشخصين أو ثلاثة، كما كانت مَسقُوفةً بعوارضَ خشبيَّةٍ ثقيلةٍ تعلوها كومةُ ترابٍ وكتلةٌ من الصُّخورِ ارتفاعُها 1.5 متر. وأثناءَ سكَتاتِ أسلحةِ العدو، كانَ يبرزُ رجالُنا من ملاجئِهم لرميِ العدوِّ بقذائفِ الآر بي جي وقذائفِ المدافعِ عديمةِ الارتداد، فيعاودُ العدوُّ إطلاقَ النَّارَ علينا مباشرةً.

لقد قلتُ فيما سبق بأنَّ السُّوفييت قد حاصرُونا، إلا أنَّ هذا لم يكن صَحيحاً تماماً، حيثُ كانَ السُّوفييت طوالَ الحربِ دائماً ما يتركونَ جانباً من الجبهةِ دونَ حراسة. وفي وقتٍ قريبٍ من الظَّهيرة، وصلت تعزيزاتٌ للمجاهدين عددُها بينَ 100 و120 مجاهداً من "زالاخان" و"والاكان" اللتانِ تقعانِ إلى الجنوبِ والجنوبِ الشَّرقيِّ من "سبين زيارت"، وقد كانت هذه القُرى توجدُ في القَطَّاعِ غيرِ المحروسِ من قِبَلِ السُّوفييت. وبوصولِ هذهِ التَّعزيزات انقلبت كَفَّةُ المعركة، وفي النِّهاية دَفَعْنا السُّوفييت للانسحابِ حوالي السَّاعة 18:00. وكانت الحصيلةُ تدميرَ ثلاثِ عرباتٍ مُدرَّعةٍ على جبهةِ "ساربوزا" وعربتينِ مُدرَّعتين على جبهةِ "المحكمة".

كانَ القصفُ الجويُّ والمدفعيُّ يَتَسبَّبُ في بعضِ الأحيانِ بانسدادِ مخارجِ ملاجئنا، فكنَّا نضطرُّ إلى الخروجِ ليلاً لنحفرَها ونفتحَها من جديد، وكانَ هذا يَحدثُ عادةً لمواقعِنا القريبةِ من جسرِ "بانجاو بول"، حتَّى أنِّي اضطُرِرتُ للخروجِ ثلاثَ مراتٍ في مُنتصفِ الليل لأبحثَ عن ملاجئِنا، وأحفرَ لأُخرجَ رجالنا الذين كانُوا في بعضِ الأحيان يَنحصرُون في الملاجئِ من السَّاعة 05:00 إلى ما بعدَ

منتصفِ الليل. ومعَ ذلك، لقد كانت هذهُ الملاجئُ لا غنى عنها في عمليَّةِ التَّصدي للعدوِّ في "مالاجات".

التَّعليق:

عادةً ما تضمَّنت عمليَّاتُ التَّطويقِ والبحثِ السُّوفييتيَّةِ قوَّةً كبيرةً تقومُ بحصارِ منطقةٍ كبيرة، وكانت المنطقةُ المُحاصرةُ كبيرةً إلى الحدِّ الذي كانَ يسمحُ للمجاهدين بحرِّيَّةِ المُناورة. وبمجرَّدِ إنشاءِ الطَّوق، كانَت قوَّات السُّوفييت تندفعُ للبحثِ عبرَ كاملِ المنطقة حسبَ الإمكان، ولكنَّها نادراً ما كانت تقومُ بتقسيمِ المنطقةِ المُحاصرَةِ إلى قطَّاعاتٍ تسهِّل عليها تمشيطَها. سهَّل هذا الأمرُ على المجاهدين حركتَهم ومناورَتَهم ضدَّ السُّوفييت. وفي هذه المقالة، كانَ المجاهدون قادرين على تعزيزِ بعضِهِم البعضَ أثناءَ قتالٍ حَمِيَ وطيسُه.

وفي الكثيرِ من المعاركِ التي كانَ يطرحُها السُّوفييت كأمثلةٍ يتدارسُونها، يتبيَّنُ بأنَّهم كانُوا يُهملونَ حراسةَ مَجْنباتِ قوَّاتهم في عمليَّاتِ التَّطويقِ والبحث.[177] وقد يكونُ هذا الأمرُ صالحاً إذا تمَّ نصبِ كمينٍ على منفذِ هروبِ العدوِّ بحيثُ لا يتمكَّنُ من الالتفافِ على قوَّاتِ التَّطويقِ وضربِها في مُجنباتِها، إلا أنَّ هذا ليسَ هوَ ما حدث في المقالة، حيثُ أنَّ أسلوبَ تركِ العدوِّ ليهربَ كان أشبهَ بتقليدٍ عريقٍ يهدف إلى تقليل الخسائرِ من قِبَلِ الطَّرفين.

الأمرُ الأخيرُ، يبدو أنَّ القوَّاتِ السُّوفييتيَّة والأفغانيَّة كانت تخشى البقاءَ في منطقةِ "مالاجات" ليلاً، لأنَّ الليلَ سيضطرُّها إلى التَّرجلِ والبقاءِ بجانبِ العرباتِ لتأمينها، بينما لم تكن مضطرَّة لهذا خلالَ النَّهارِ إلا عند عمليَّات التَّمشيط، وصحيحٌ أنَّ وصولَ تعزيزاتِ المجاهدين كانَ مُساعداً لهم على الاستمرار في القتال، إلا أنَّ هذا لم يكن السَّببَ الرَّئيسيَّ في انسحابِ السُّوفييت السَّاعة 18:00، بل كانَ السَّبَبُ هوَ حلولُ الظَّلام.

---

[177] كمثالٍ، انظر المقال الخامس من كتاب عبور الدب للجبل.

المقالة الثامنة: الدفاع عن مالاجات

رواية "محمد شاه كاكو" و"عبد الغني"[178]

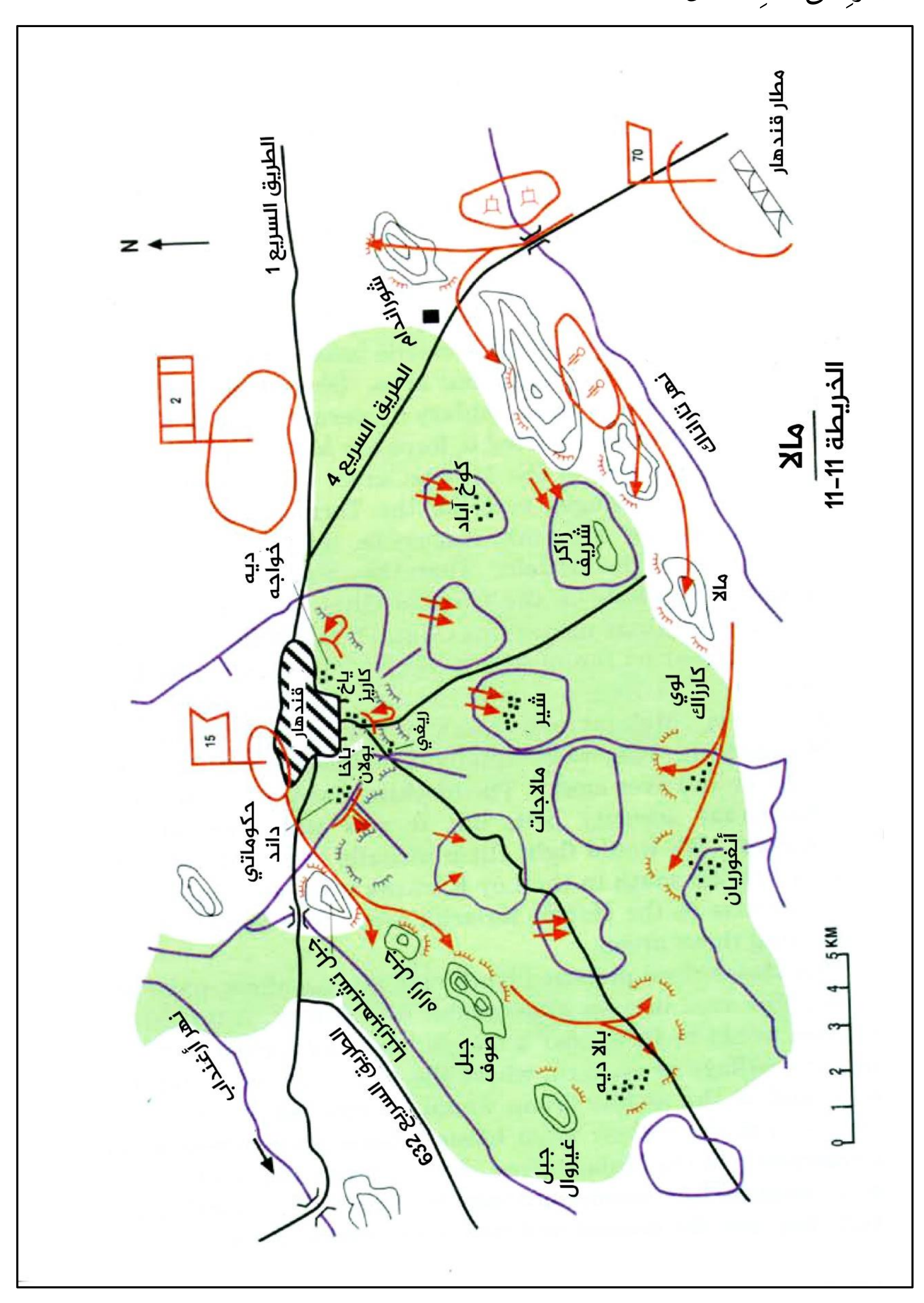
كانت مالاجات (الضَّاحيةُ الجنوبيَّةُ لقندهار) ساحةَ حربٍ مُستعرةً على الدَّوام، وكانت منطقةً خضراءَ كبيرةً مليئةً بالبساتينِ والقُرى وقنواتِ الرَّيِّ والكرومِ التي تنتشرُ فيها قواعدُ المجاهدين المُتنقلة، كما قامَ الكثيرُ من قادةِ المجاهدين -ممَّن لهم قواعدُ في مناطقَ أخرى- بالاحتفاظِ بقواعدَ متنقِّلةٍ في مالاجات ليكونَ أفرادُها أشبهَ بعناصرِ مراقبةٍ أماميةٍ لقندهار. ورغمَ أنَّ المجموعاتِ المتنقلةَ في هذهِ القواعدِ كانت تنتمي لفصائلَ مختلفة، إلا أنَّها مَثَّلت في الحقيقةِ نموذجاً يُحتَذى به من حيثُ التَّعاونُ والتَّنسيقُ فيما بينَهم.

حاولت القوَّاتُ السُّوفييتية طردَ المجاهدين بعمليَّاتِ تطويقٍ وبحثٍ في منطقةِ مالاجات، فاحتلُّوا المرتفعاتِ والقرى الواقعةَ شمالَ "نهر ترنك" مثل "شوراندام" و"زاكر شريف" و"لؤي كارزاك" و"أنغوريان" و"بالا ديه"، وقد كانت هذهِ القُرى والمرتفعاتُ تقعُ غربَ وشمالَ مطارِ قندهار. أنشأَ السُّوفييت بعدَ ذلك مواقعَ إغلاقٍ وعرقلةٍ على جبال "غيروَّال" و"صوف وزاراه" و"تشيهيلزينا" (خريطة 11-11-مالا)، فجعلُوا مدينةَ قندهار كموقعِ عرقلةٍ شماليَّة، وكانَ يشغلُها الجيشُ الأفغاني، بحيثُ تندفعُ القوَّاتُ السُّوفييتيَّةُ والأفغانيَّةُ انطلاقاً من مواقعِ العرقلة هذهِ داخلَ منطقة مالاجات بحثاً عن المجاهدين.

عادةً ما فشلَ العدوُّ في هذهِ الاندفاعات، إلا أنَّه رُغم ذلك كانَ يعيدُ المُحاوَلةَ المرَّةَ تلو الأخرى، وكانت مواقعُ العرقلة هذهِ جُزءاً من حزامِ قندهار الأمني، إلا أنَّ المجاهدين كانُوا قد أحسنُوا اختراقَها. كُنَّا نقاتلُ العدوَّ في منطقة مالاجات بدايةً، ثمَّ نحازُ جنوباً إلى منطقةِ لؤي كارزاك وأنغوريان، وإلى

[178] انضم محمد شاه كاكو في البداية ليقاتل مع الحزب الإسلامي (خالص)، ومن ثم تحول إلى الاتحاد الإسلامي الأفغاني. بينما قاتل عبد الغني مع جبهة التحرير الوطني الأفغاني. [Map sheet 2180]

الجنوبِ الغربيِّ في منطقة "هيندوكالاتشا"، وذلك في الوقتِ الذي كانَ السُّوفييت يعجزونَ فيه عن السَّيطرةِ على هذهِ المناطق.



أعدَّ المجاهدون مواقعَ عرقلةٍ على طولِ المحاورِ الرَّئيسية، وحوَّلوا المنطقةَ إلى معقلٍ منيعٍ، حيثُ كنَّا نبني موقعَ العرقلةِ المثالي قربَ قاعدةٍ مُتنقلةٍ، وكانَ يتضمَّن هذا الموقعُ عدَّةَ مبانٍ في قريةٍ أو بستان، وهذا ما كانَ يُمكِّنُ المجموعةَ المتنقّلةَ من توفيرِ معاشِها. كانت تتمُّ مناوبةُ الموقع من وقتٍ إلى آخر انطلاقاً من القواعدِ الرَّئيسية، فيما كانَ يجلسُ بعضُ المجاهدين في منطقةِ مالاجات على نحوٍ دائم. كانت القواعدُ المتنقّلةُ والمواقعُ المُعرقلة ترتبطُ فيما بينَها بخنادقِ اتّصالٍ، وكان يتمُّ حفرُ مواقعِ العرقلةِ في الأرض، بحيثُ تعد فيها مواقعٌ لإطلاقِ النّيران بواسطةِ الرَّشاشاتِ والمدافع عديمةِ الارتداد والآر بي جي.

كنّا نغطي المواقعَ القتاليَّة بأفرعِ أشجارِ الكرز، ثمَّ نُلقي عليها طبقةً من التُّراب، وندقُّ هذهِ الطَّبَقَةَ على المواقعِ دقَّاً شديداً، كما ضمَّت القواعدُ العديدَ من الملاجئ القتاليَّة المغطَّاةِ لحمايةِ رجالنا من نيرانِ المدفعيَّة والطَّائرات، وكانت هذه الملاجئ بعرضِ مترين إلى ثلاثةِ أمتارٍ وبطولِ ستَّةٍ إلى ثماني أمتار، ومغطَّاةً بالخشب وطبقةٍ من التُّراب المضغوطِ جيّداً التي يصلُ سمكُها إلى مترٍ واحد، بحيثُ تكونُ قادرةً على مقاومةِ معظمِ نيرانِ القصفِ الجويِّ والمدفعي. ومتى ما قامَ العدوُّ بتطويقِ منطقةِ مالاجات وَشَنِّ هجماتٍ بالمُشاةِ نحوَ المنطقةِ الخضراء، كانَ المجاهدون يشغلونَ مواقعَ العرقلة مباشرةً، وكنَّا قد بنيْنا مُسبقاً عدداً كبيراً من المواقعِ القتاليَّةِ يفوقُ الحاجة، وذلك لكيلا يؤثِّر فقدانُ بعضِ هذهِ المواقعِ على العمليَّةِ الدِّفاعيَّة.

في البداية، كانَ المجاهدون غيرَ جاهزينَ أو قادرينَ على المقاومةِ لأكثرَ من يومين أو ثلاثة، لكنَّهم بعدَها طوَّروا في تحصيناتِهم، واستطاعُوا الصُّمودَ لدفعِ العدو. وبمجرَّدِ تطويقِ المنطقة، كانَ العدوُّ يشنُّ عادةً هجومَهُ على طولِ الطَّريقِ الرَّئيسيِّ المُمْتدِّ من بلدةِ " زاكر شريف" حتَّى جنوبِها حيثُ تقعُ بلدةُ "لؤي كارزاك". بينما توجدُ في شمالِ المنطقة على خطِّ التَّماسِ المُعتاد بيننا وبينَ العدو: مناطقُ "حكوماتي داند" و"باخا بولان" و"ياخ كاريز" و"ديه خواجه"، وقد كانت هذهِ موجودةً خارجَ مناطقِ بناءِ قندهار مباشرةً. لكن فيما بَعد، أنشأَتِ القوَّاتُ السُّوفييتيَّةُ والأفغانيَّةُ مراكزَ أمنيَّةً دائمةً ومنيعةَ التَّحصين، فكانَ السُّوفييت يسيطرونَ على تلِّ "شوراندام" وتلِّ "زاكر شريف" وتل "مالا

كالا"، بينما كانَ الجيشُ الأفغانيُّ يسيطرُ على مواقعَ في جبالِ "صوف" و"زاره شار" و"تشيهيلزينا". وكلَّ شهرين، كان السُّوفييت يشنُّونَ حملةً كبرى للبحثِ والتَّطويقِ ضدَّ منطقةِ مالاجات بغرضِ إضعافِها.

وفي فجرِ إحدى أيَّام نوفمبر/تشرين الثَّاني 1987م، في يومٍ قارصِ البُرودة، بدأَ السُّوفييت عمليَّةَ تطويقٍ وبحثٍ استمرَّت 18 يوماً، وتحرَّكتِ القوَّاتُ السُّوفييتيَّةُ والأفغانيَّةُ من حامياتِها في السَّاعة 08:00، فاحتلَّت مواقعَها المعرقلة المُعتادة، وكانت قاعدةُ "محمد شاه كاكو" وقتَها موجودةً في "شير سورخ"، وكان تحتَ قيادتِه 30 رجلاً، بينما تواجدَ في منطقةِ مالاجات 350 مجاهداً من فصيلِه. قَسَّمَ المجاهدون خطَّ الجبهةِ المُواجهةِ لغربِ قندهار إلى أربعةِ قطاعاتٍ، ليكونَ في كلِّ قطاعٍ 50 رجلاً. قادَ الحزبُ الإسلاميُّ القطَّاعَ الشماليَّ الغربيَّ، بينما رابطَ في منطقةِ "باخا بولان" مجاهدونَ من "شير سورخ" و"زاكر شريف" و"كوخ آباد"، وهذا ما عَنَى أنَّ قَطَّاعَ محمد شاه كاكو كانَ فيه ثلاثةُ قادةٍ لأنَّه قد تواجدَ فيه ثلاثةُ فصائلَ مختلفة، إلا أنَّ التَّعاون بينهم كانَ مُتيسراً، حيثُ كانُوا كلُّهم من أبناءِ المنطقةِ ويعرفونَ بعضَهم البعض. أمَّا القَطَّاعُ الثَّالث، فكانَ في منطقةِ "ريغي: وقادَهُ "عبد الرزاق"، بينما كانَ القطَّاعُ الرَّابعُ في منطقة "ياخ كاريز" بقيادةِ "سارانوال". وكانَ عبدُ الغفور جان يقومُ بالتَّنسيقِ بينَ هذهِ القطَّاعاتِ الأربعة.

وفي هذه المرَّة، هاجمَ الجيشُ الأفغانيُّ انطلاقاً من المدينة، إلا أنَّ السُّوفييت لم يتحرَّكُوا من مواقعِهم المعرقلة، وكانت تُرافقُ مشاةَ الجيشِ الأفغانيّ قواتٌ تحملُ مناشيرَ كهربائية، حيثُ كانُوا قد خطَّطُوا لشقِّ طريقِهم عبرَ البساتين وتدميرِها وحرمانِ المجاهدين من هذا الملاذ. كَمَّا قد زرعْنا الألغامَ مسبقاً بِغَرَضِ ردعِ المُشاةِ الأفغانية ضعيفةِ التَّدريب، وأدمْنا على العدوِّ نيراناً مستمرةً انطلاقاً من مواقعَ جيِّدةِ التَّموضع، كما كُنَّا مُحتفظين باحتياطٍ قدرُه 160 إلى 200 رجلٍ في مكانِ استراحةِ الاحتياط. وفي كلِّ ليلةٍ، كانت مجموعةُ التَّبديل تأتي حاملةً وجباتِ الطعام وتبدُّل القوَّاتِ الأماميَّةَ لترتاح مدةَ يومين، ثمَّ بعد يومين كانت تجري عمليَّةُ التبديلِ ذاتُها مرةً أخرى. كانَ الهدوءُ مُعتاداً حينَ نقومُ

بالتَّبديل ليلاً. وعلى هذا الحال واصلْنا الدِّفاعَ حتَّى 18 يوماً، لم نكن خلالها نموِّنُ النِّقاطَ الأماميَّةَ بالطَّعامِ والمياهِ والذَّخائرِ إلافي الليل.

عَجزَت العناصرُ الأفغانيَّةُ عن اختراقِ البساتين، غيرَ أنَّهم استطاعُوا قطعَ بعضِ الأشجار قبلَ أن يُقتَلُوا في مكانِهم. كانَ الجوُّ بارداً في الشِّتاء، وكانت مواقعُنا جيدةً، على الرُّغم من أنَّ إمدادَها كانَ عسيراً. وطوالَ القتالِ قَصَفَ العدوُّ بالمدفعيَّةِ والطيرانِ كلَّ مواقعِ القواعدِ المشتبهِ بها في المنطقة، وحاولتْ إحدى الطَّائراتِ قصفَ موقعِنا في باخا بولان، غيرَ أنَّها أخطأت وأصابَت بوَّابةَ المدينةِ الغربيَّةِ وقتلَت العديدَ من المدنيين. وكانَ العدوُّ لا يقدرُ على ضربِ مواقعِ الخطوطِ الأماميَّةِ بسببِ قربِها الشَّديدِ لخطِّهِ الدفاعي، وبهذا أَمِنَ خطُّنا الأماميُّ من القصفِ الجويِّ والمِدفعي.

التَّعليق:

لم تستطعِ القوَّاتُ السُّوفييتية ولا الأفغانيَّةُ إخضاعَ قندهار تحتَ سيطرتِها التَّامَّةِ طوالَ الحرب، فقد شنَّت مجموعاتُ المجاهدين داخلَ المدنِ هجماتٍ متفرِّقَةً داخلَها، بينما حافظت قوَّاتُ المجاهدين المتنقِّلةُ على سيطرةِ الضَّواحي فيها. وعلى عكسِ مناطقِ أفغانستان الأخرى، كانَ هناكَ القليلُ من الصِّدامِ الدَّاخليِّ الفصائليِّ بينَ المجموعاتِ في محيطِ قندهار، كما حقَّقَ المجاهدون تنسيقاً عالياً في هجماتِهم عبرَ اللقاءاتِ المنتظمةِ لمجالسِ التَّنسيقِ العسكريَّة، وهو ما حقَّقَ لهم المرونةَ التَّكتيكيَّةَ اللازمة، ومكَّنَهم من بناءِ فائضٍ من التَّحصينات وصدِّ تقدُّمِ هجماتِ القوَّاتِ السُّوفييتيَّةِ والأفغانيَّة.

وممَّا يستحقُّ الذِّكرَ والتَّقديرَ في هذهِ المعركة؛ قُدرةُ المجاهدين على تبديلِ المواقعِ الأماميَّةِ على نحوٍ مُنتظم. حيثُ كانَ هذا الإجراءُ صعباً حتَّى على القوَّاتِ التي تتمتَّع بأعلى مُستويات التَّدريب. وقد استطاعَ المجاهدون القيامَ بهذه التَّبديلات في المواقعِ الأماميَّةِ من دونِ أن يفقدُوا الفاعليَّةَ القتاليَّة، وهذا أمرٌ فائقٌ ومبهرٌ بالنِّسبة لكلِّ القوَّات، فضلاً أن تكونَ قوةٌ في حالِ تماسٍ مباشرٍ مع العدوِّ وضعيفةَ التَّسليح مقارنةً بعدوِّها وقليلةَ الإمداد.

كانت هناك قوةٌ كبيرةٌ وَمُعتبرةٌ من القوّاتِ السُّوفييتيةِ والأفغانيَّةِ مُرابطةً في المنطقة، فكانَ كلٌّ من الفيلقِ الثَّاني، واللّواءِ 15 للمشاة، واللّواءِ السَّابع للدَّبَّابات، واللّواءِ الثَّالثِ لحرسِ الحُدود من القوَّاتِ الأفغانيَّةِ مُرابطين في مدينةِ قندهار، بينما رابطَ كُلٌّ من اللّواءِ 70 للبنادقِ الآليَّةِ المستقلَّةِ السُّوفييتي، والفوجِ 366 للمقاتلاتِ الجويَّةِ الأفغانيَّة، والسَّربِ 379 للقاذفاتِ الأفغانيَّةِ والقوَّاتِ الخاصَّةِ السُّوفييتيَّةِ (السبيتسناز) في مطارِ قندهار الدُّولي.

كانت عمليَّاتُ الجيشينِ السُّوفييتيِّ والأفغانيِّ في منطقةِ مالاجات مُتوقَّعةً تماماً من حيثُ الزَّمانِ والمكان. فقد حاولُوا مِراراً وتَكراراً اختراقَ المنطقةِ وتمشيطَها بكامِلِها بدلَ تطويقِها وتقسيمِها إلى مناطقَ صغيرةً يسهلُ تمشيطُها. وعلى الرُّغمِ من أنَّ القتالَ في منطقةِ مالاجات كانَ قتالاً ضدَّ منطقةٍ مُحصَّنة، إلا أنَّ القوَّاتِ السُّوفييتيَّةَ والأفغانيَّةَ بقيت رُغمَ ذلك تعاملُها على أنَّها عمليَّةَ فتحِ ثغرةٍ خلالَ خطٍ واستغلالٍ للخرقِ بدلَ أن تكونَ عمليَّةَ تدميرٍ مُمَنهجةٍ لكلِّ نقطةٍ مُحصَّنةٍ على حِدة. ولم يستطعِ الجُهد الاستخباراتيُّ التكتيكيُّ للقوَّاتِ السُّوفييتيَّةِ والأفغانيَّةِ اكتشافَ نمطِ نوباتِ المجاهدين وتبديلِهم ونوباتِ الإمداد بينَهم لاستغلالِها في تنفيذِ الهَجَماتِ ضدَّهم.

المقالة التاسعة: معركة قرية "تشاهار قولبا"

رواية القائد "أختر جيهان"[179]

أثناءَ الاحتلالِ السُّوفييتي، كانت الضِّفةُ الشَّرقيَّةُ لنهرِ أرغنداب قربَ قندهار تمثّلُ ملاذاً آمناً للمجاهدين حيثُ كانُوا يتجنَّبونَ خوضَ قتالٍ فيها، بينما كانت الضِّفَّةُ الغربيَّةُ تحتَ سيطرةِ المجاهدين. وكانت قاعدتي موجودةً في قريةِ بابور ضمنَ بساتين الضِّفَّةِ الغربيَّةِ (بعدَ انسحابِ السُّوفييت، أنشأَتِ العديدُ من القواعدِ على الضِّفَّةِ الشَّرقيَّةِ من النَّهرِ في قرية "بابا ولي صاحب"، و"بير بايمال" وفي الضَّواحي الغربيَّة من قندهار). وكانَ قائدي وقتَها هو الملا نقيب، وكانَ لديهِ أثناءَ الاحتلالِ السُّوفييتي قاعدةٌ بعيدةٌ في جبل "خاكريز"، بينما كانت قاعدَتُه الرَّئيسيَّةُ موجودةً في قريةِ "تشاهارقولبا". قُتِل أخي الأكبر في هذهِ القريةِ بإحدى المعارك، فجاءَ أخي الأكبر التالي بعدَ أن قاتلَ دفاعاً عن قاعدةِ "بابور" ليصبحَ القائدَ بعدَ مَقتلِ أخي الأكبر.

يتمُّ اختيارُ القائدِ في مجتمعنا وفقاً لمكانتِه الاجتماعيَّة في العائلةِ وتعليمِه ومهاراتِه القياديَّة الشَّخصيَّة، وكانت الرَّوابطُ العائليَّةُ خلالَ الجهادِ في غايةِ الأهمية، إذ كانَ القائدُ يحضرُ أقرباءَه إلى المجموعة، وكانَ منَ المُمكنِ لعائلةٍ مرموقةٍ أنْ تشكِّل مجموعةً كبيرة. وبما أنَّ أخي هو من أنشأَ المجموعة، فمن الطبيعيّ أن يتولَّى قيادتَها، ومنَ الطَّبيعيّ أيضاً أن أخلفَهُ أنا من بعدِه. لكن في المجموعات الأصوليَّةِ، كانَ يتمُّ اختيارُ القادةِ وفقاً لانتمائِهم الفكريّ لا لروابطِهم العائلية. وقد انضمَّ العديدُ من المراهقين إلى صفوفِ المجاهدين، وذلك لأنَّ الجيشَ الأفغانيَّ كانَ يعمدُ إلى سحبِ الشَّبابِ إلى التَّجنيدِ الإلزامي، فمثَّلَت قواعدُ المجاهدين مكاناً آمناً للهروبِ من هذا الأمر.

---

[179] هو قياديٌّ في الجمعية الإسلامية في مديرية أرغنداب شمال غرب قندهار. كانَ في المدرسة الابتدائية عندما انضمَّ إلى المجاهدين وهو في سن 12. ومع نهايةِ الحرب بلغَ عمره 25 عاماً وأصبحَ قائداً. وقد انضمَّ إلى الجهاد بعد أن قُتِل أخواه، حيثُ حلَّ محلهما وفقاً لتقاليد العائلة. عملَ تحتَ قيادة الملا نقيب، أحدِ أقوى قياداتِ الجمعيَّةِ الإسلامية في المنطقة. [Map sheet 2180]

في يونيو/حزيران 1987م الذي وافقَ شهرَ رمضان، شنَّتِ القوَّاتُ السُّوفييتيَّةُ والأفغانيَّةُ هجوماً كبيراً في أرغنداب (خريطة 11-12 -تشاهار). وفي هذه العمليَّةِ تمركزَ العدوُّ في "ناغاهان"، ثمَّ تحرَّكَ باتِّجاهِ الشَّمالِ الغربيِّ على طولِ الضِّفَّةِ الغربيَّةِ من نهرِ أرغنداب، بينما عبرَ رتلٌ آخرُ النَّهرَ من "بابا ولي صاحب". بدأَ العدوُّ هجومَه بالقصفِ الجويِّ الكثيفِ ضدَّ قواعدِ المجاهدينَ المُشتبهِ فيها، فدخَلنا مباشرةً إلى ملاجئِنا القتاليَّة.

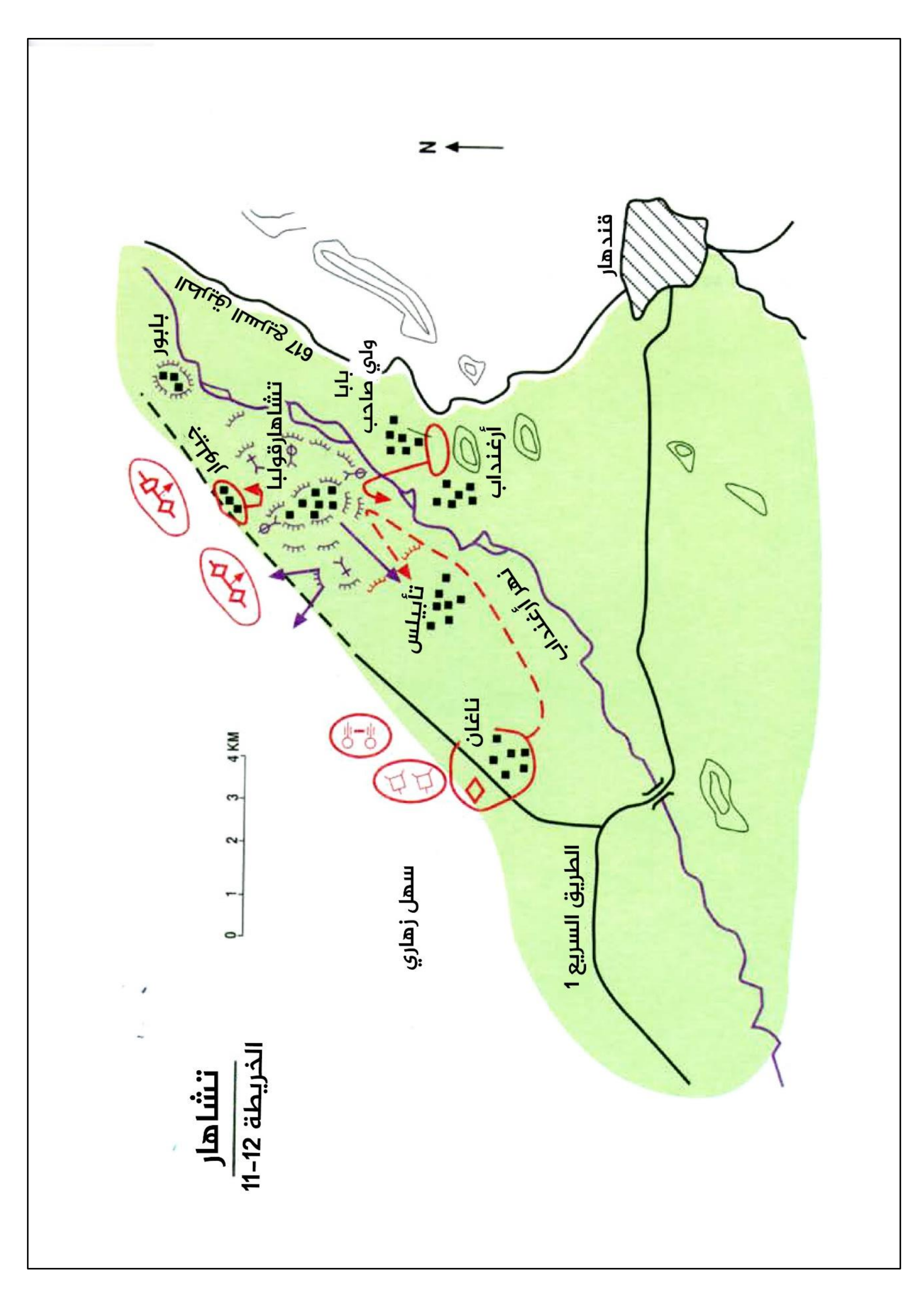
كانت الضِّفَّةُ الغربيَّةُ في حقيقتِها منطقةً مُحصنَّةً بالنِّسبةِ لنا، وكنَّا قد مَلأناهَا بالملاجئِ والمواقعِ القتاليَّةِ والخنادق. وفوقَ ذلكَ كلِّه، كانت المنطقةُ الخضراء تضمُّ بطبيعتِها الكثيرَ من البساتين، ممَّا جعلَها مقسَّمةً بالعديدِ من خنادقِ الرَّي، ممَّا وفَّرَ لنا مواقعَ قتاليَّةً جاهزةً في كلِّ أنحاءِ المنطقة. لم نجرؤ خلالَ الهجومِ على تركِ ملاجِئنا بسببِ القصفِ الجويِّ، لأنَّه عادةً ما كانَ العدوُّ ينشرُ دبَّاباته على محيطِ المنطقةِ الخضراء، ثمَّ يرسلُ المُشاةَ (وعادة ما كانُوا من القوَّاتِ الأفغانيَّة) بعدَ القصفِ الثَّقيلِ للمدافعِ والدَّباباتِ إلى المنطقةِ الخضراءِ ومعهم تعليماتٌ بجمعِ الأسلحةِ مفترضينَ مقتلَ كُلِّ من في منطقةِ القصف. لكن بمجرَّدِ دخولِ قوَّاتِ المُشاةِ مُطمئنين كنَّا نخرجُ لهم من ملاجِئنا نكبِّدُهم خسائرَ فادحة، ونأسرُ عدداً كبيراً من الجنودِ الأفغان ضعيفي التدريب، ثمَّ نرسلُ الأسرى شمالاً عبرَ الجبالِ وعبرَ طُرُقٍ ملتويةٍ إلى باكستان.

كنَّا قد بنينا حِصناً حقيقيّاً حولَ قاعدة "تشاهارقولبا"، وكانَ بعضُ المجاهدين يتولَّونَ عمليَّاتِ الدِّفاعِ بينما ينتشرُ آخرون في أماكنَ أبعد بغرَضِ توفيرِ عمقٍ للمناورة. ويعدُّ تحريكُ الدَّباباتِ إلى داخلِ المنطقةِ الخضراءِ أمراً في غايةِ الصُّعوبة، وقد حاولَ السُّوفييت سابقاً إدخالَ الدَّباباتِ إلى المنطقةِ لتقتربَ من المجاهدين، إلا أنَّ التَّضاريسَ حصَرتها في مسارٍ ضيِّقٍ وجعلَها عُرضةً للتدمير.

في هذه المَوقعة، جاءَ السُّوفييت والجيشُ الأفغانيُّ من اتِّجاهين لِمُهاجمةِ المجاهدين، إلا أنَّهم واجهُوا مقاومةً مُستمرَّةً من مواقعِ المُجاهدين القتاليَّة، كما جاءَت دبَّاباتُ السُّوفييت من صحراء "زهاري" وزَحَفَت مقتربةً من قاعدةِ "تشاهارقولبا"، ثمَّ تمركزَت في السَّهلِ غربَ المنطقةِ الخضراء. وقد استغرقَ منهم القتالُ أسبوعاً حتَّى استطاعوا تغطيةَ خطٍّ قتاليٍّ طولُه ستَّةُ كيلومتراتٍ غربَ قاعدتِنا. لقد قامُوا

بتحصينِ جميعِ دبَّاباتِهم بأكياسِ الرِّمالِ لتعطيلِ مفعولِ قذائفِ الآر بي جي، فَصَعُب علينا تدميرُها. وفي الأخير، لجَأنا إلى قائدِنا نقيب، وأبلغْناه بتفوُّقِ العدوِّ علينا بالأعداد، وبضرورةِ مُغادرةِ القاعدة، فأخبرَنا نقيبٌ قائلاً "هذه معركةُ العدوِّ الأخيرة، وهي التي ستقرِّرُ مصيرَ القتالِ بينَنَا وبينَه، حيثُ حاولُوا في السَّابقِ احتلالَ القاعدة منذُ سنوات، وستكون هذه محاولتُهم الأخيرة، إنْ غادَرنا الآنَ فلن نعودَ ثانيةً، بينما إنْ أوقفْناهم فلن يعودُوا هم أبداً". فَرَدَدنا عليه بأنَّ قذائفَ الآر بي جي لا تعملُ ضدَّ دباباتِهم المحصَّنةِ بأكياسِ الرِّمال، فامتشقَ نقيبٌ قذيفةَ آر بي جي وخرجَ إلى المواقعِ الأماميَّةِ لتدميرِ دبابةٍ ما، إلا أنَّنا أوقفناه ووَعدناه بأنَّنا سنقاتلُ حتَّى النِّهاية.

استمرَّ القتالُ وبعنفٍ طوالَ اليوم، لكنَّنا استطعْنا إيقافَ العدوِّ، فانسحبَ إلى "تأبيلس" على بُعدِ بضعِ كيلومتراتٍ جنوباً، فلحقْنا بهِ واشتبكْنا معهُ في شوارعِها، وقتلْنا العديدَ من قوَّاته. انسحبَ المجاهدون بعدَها إلى تشاهارقولبا قبلَ الفجر. وفي الأيَّامِ التَّاليةِ، شنَّ العدوُّ هجوماً علينا من ثلاثةِ محاور، من الجنوبِ الغربيِّ حيثُ "تأبيلس"، ومن الجنوبِ الشَّرقيِّ حيثُ "بابا ولي صاحب"، ومن الشَّمالِ الغربيِّ حيثُ "جيلاوور"، واستخدمَ لإسنادِ الهجومِ الدَّبَّاباتِ والمدافعَ انطلاقاً من سهلِ صحراء زهاري. ونظراً لأنَّ البساتينَ كانت منيعةً أمامَ مرورِ الدَّبَّابات، فقد اكتفَت الأخيرةُ بتقديمِ الإسنادِ للمُشاةِ من خلالِ القصفِ فقط، أشبهُ ما تكونُ بمدافعِ السُّفنِ البحريَّة. انتظرَت دبَّاباتُ العدوِّ لحينِ اقترابِ المُشاةِ من قاعدتِنا، ثمَّ دنَت من المقتربات الضَّيِّقة. وبمجرَّدِ أن رُدَّت المُشاة خائبةً على أعقابِها، تراجعَتِ الدَّباباتُ إلى الوراء لائذةً بالفرار. والحقيقةُ أنَّ الدَّبَّابات كانت قليلةَ الفائدةِ في المنطقةِ الخضراء، ونادراً ما كانت تُحرزُ تقدُّماً فيها، لكنَّ ناقلاتِ الجنودِ كانت تستطيعُ التَّقدُّمَ قليلاً لإسنادِ المشاة، غيرَ أنَّ تحرُّكَها كانَ مُقيَّداً جداً، وكانَ علينا من السُّهولةِ بمكان ضربُها من جنباتِها.



مَهَّدَ العدوُّ لهجومِه بالقصفِ المِدفعيِّ والجوي، فبقيَ المجاهدون في ملاجئِهم، وتركُوا بعضَ المُراقبين في المواقعِ القتالية. وبمجرَّدِ أنْ رصدَ المراقبونَ العدوَّ وهو يقترب، خرجَ المجاهدون من ملاجِئِهم،

وشغَلُوا مواقعَهم القتاليَّة، فتكبَّدَ المُشاةُ خسائرَ فادحةً وردُّوا على أعقابِهم، وانشقَّ الكثيرُ من جنودِ الجيشِ الأفغاني، حيثُ كنَّا قد نادينا عليهم بمكبِّرَات الصَّوت: "لسنا أعداءَكم. نحنُ إخوانُكم. انضمُّوا إلينا". ومعَ ذلك، فقد أعادَ العدوُّ تجميعَ مُشاتِه، وعاودَ الهجومَ بهم على قاعدتِنا من الجنوبِ والجنوبِ الشَّرقِيّ، واقتربَ من جيلاوور.

كانت دفاعاتُنا من جهةِ الشَّمالِ الغربِيّ ضعيفةً. ومعَ استمرارِ القتال، صَعُب على المجاهدين البقاءُ مُتيقِّظين. حتَّى أنَّه في إحدى المَواقع القتاليَّة، اخترَقَت دوريَّةٌ للجيشِ الأفغانِيّ الموقعَ، وسرقَت مِدفعاً عديمَ الارتداد، فيما كانَ راميه نائماً، لكنَّ القائدَ أحمد الله جان رآهم يحملونَ المِدفعَ فلاحَقَهم. وعلى بعد حوالي 25-30 متراً كانت تنتظرُ هذه الدَّوريَّةَ ناقلتا جند مُدَرَّعة، وقبل أن تصلَ الدَّوريَّةُ إلى الناقلتين استطاعَ أحمد الله ورجالُه معَ مجموعةٍ أخرى للمجاهدين اعتراضَهم والاشتباكَ معهم، فدمَّرُوا ناقلةَ جندٍ واحدة، واسترجعُوا المِدفع، وأسرُوا الدَّوريَّة، واغتنمُوا النَّاقلة الثَّانية، ثمَّ جلبُوا قائدَ الدَّوريَّةِ الملازمَ في الجيشِ الأفغانِيّ إلى الملا نقيب، فقالَ لهُ نقيب: "لا أريدُ قَتلكَ، لكن أخبرْ زملاءَك بأنَّنا لن نرحل، وهذا يعني المزيدَ من القتلى مِنكم، فأوقفُوا هجماتِكُم وعودُوا إلى ثكَناتكم"، فردَّ الملازمُ قائلاً: "لا أستطيعُ فعلَ ذلك، فعائلتي في كابول". وعلى أيِّ حال أخلينا سبيلَه في المساء.

استمرَّ القتالُ لمدَّةِ 34 يوماً، وخلالَها ظهرَ نمطٌ واضحٌ لأسلوبِ العدوِّ القتالي، حيثُ كانَ يبدأُ صباحاً بالقصفِ الجويِّ والمدفعِيّ من الجنوبِ والجنوبِ الغربِيّ، ثمَّ يرسلُ بعدها ثماني مِروحيَّاتٍ هجوميَّةٍ للعملِ فوقَ المنطقة، ثمَّ تبدأ المُشاةُ بشنِّ الهجمات، فيخرجُ المجاهدون من ملاجئِهم، ويحتلُّونَ مواقِعَهم القتاليَّة مُنتظرينَ المُشاةَ المُقتربة. كانت مواقعُنا القتاليَّةُ ممتازةً، وكنَّا نرتدي الأكاليلَ من أوراقِ العنب كتمويهٍ، كما كنَّا ندعُ العدوَّ يقتربُ حتَّى مسافةِ عشَرةِ أمتارٍ قبلَ أن نطلقَ عليه النِّيران. لقد كنَّا ندعُهُم يتقربون مِنَّا إلى هذا الحد لسببين؛ الأوَّلُ، أنَّنا كنَّا نريدُ قتلَهم برصاصةٍ واحدةٍ، أمَّا الثَّاني، فلأنَّنا كنَّا نريدُ منعَهم من الهروب.

كنَّا قد زرَعنا آلافَ ألغامِ الضَّغطِ المُضادَّةِ للأفرادِ في المنطقة،[180] وتحديداً على مقتربات المُشاةِ من جيلاوور، كانت قوّاتُ الجيشِ الأفغانيّ بعدَ فشلِ هجومِها عادةً ما تهربُ لتقعَ في الألغام. وكنَّا بعد انسحابِ العدوِّ نقومُ بجمعِ الغنائمِ من الأسلحةِ والذَّخيرةِ والطَّعام. وفي حالِ لم يهجمْ علينا العدو، كنَّا نرسلُ مجموعاتِ الكمائن للإيقاعِ بأرتالِهِ على الطَّريقِ الرَّئيسيّ، أمَّا في اللَّيل فقد كانَ الهدوءُ يسودُ المنطقةَ عادة، لكن في بعضِ الأحيان، كانَ العدوُّ يقصفُنا بالمدفعيَّة ليلاً، غيرَ أنَّهُم لم يكونوا يجرؤونَ على الهجومِ إلا نهاراً، حيثُ كانُوا يجهلونَ الطَّريقَ تماماً، لذا لم يحاولُوا القيامَ بقتالٍ ليلي.

كان للحكومةِ الأفغانيَّةِ الشُّيوعيَّةِ مركزٌ حكوميٌّ للمديريَّةِ والميليشيات المحليَّةِ في الضِّفَّةِ الشَّرقيَّة، وكانت عوائلُنا أيضاً في الضِّفَّةِ الشَّرقيَّة وكذلك مرافقُ الرَّاحةِ الخاصَّةِ بنا، حيثُ لم تكنِ الحكومةُ تقصفُ تلكَ المنطقة. وكانت الإمداداتُ تأتي إلينا من منازلِنا في الضِّفَّةِ الأخرى الشَّرقيَّة، غيرَ أنَّها كانت تَتوقَّفُ أثناءَ القتال، فنضطرُّ للدِّفاعِ عن أنفسنا، حتَّى أنَّنا لم نستطعِ الطَّبخَ خشيةَ قصفِنا من قبلِ العدوِّ بمجرَّدِ رؤيتِه لدخانِ النَّار. أمَّا بالنِّسبَةِ للذَّخائر، فقد كانت مُتوفِّرة لدينا، حيثُ كانت القاعدةُ قد مُوِّنت في السَّابقِ تموينًا جيداً، وكانتِ الذَّخائرُ تصلُ إلى المواقعِ القتاليَّة أولاً بأول. لكنَّ الطَّعامَ مثَّلَ لنا مُشكلةً جَسيمة، على الرُّغمِ من أنَّ أعدادَنا في قاعدة "تشاهارقولبا" لم تتجاوز كأقصى حدٍّ 500 مجاهدٍ، حيثُ كانت شدَّةُ القصفِ تمنعُنا من تناولِ الطَّعامِ نهاراً، بل وليلاً في بعضِ الأحيان، وكنَّا في بعضِ الأوقات نبحثُ عن الطَّعامِ الذي يخلِّفُه السُّوفييت والجيشُ الأفغانيُّ وراءَهم. وقد كانَ السُّوفييت يتركونَ الكثيرَ من الطَّعامِ خلفَهم، وبالأخصِّ الخبز. وكثيراً ما كانَ طعامُنا الوحيدُ متمثِّلاً في الخبزِ السُّوفييتيِّ المنقَّعِ بالماء.

كمَا كُنَّا نعاني أيضاً في مسألةِ علاجِ الجَرحى، إذ كانَ لدينا فقط بعضُ المُسعفين الذين تخرَّجُوا من دورةٍ إسعافيَّةٍ قصيرةٍ في باكستان، وكانُوا مُؤهلين للقيامِ بإسعافٍ أوليٍّ فقط. كنَّا عادةً نُخلي الجَرحى إلى باكستان لتلقي العلاجِ والنَّقاهة. لكنَّنا أثناءَ هذا الحصار، لم نستطعْ إرسالَ الجَرحى إلى باكستان،

---

[180] الألغامُ المضادَّة للأفراد هي ألغامٌ بلاستيكيةٌ صنَعَها الاتحادُ السُّوفييتي، وتعملُ بالضَّغط. وكان المجاهدون يسمونها كانداني (علب السكر) لمشابهتها لها في الحجمِ والشَّكل.

ولم نستطعْ إزالةَ الشَّظايا من الجراح، فَتُوفِّيَ مَعَنا العديدُ من المُصابينَ ذوي الجِراح البالغة. وكانَ معَنا بعضُ العربِ في القاعدةِ أثناءَ الحِصار، غيرَ أنَّهم كانُوا هناكَ لكسبِ السُّمعةِ في الجهادِ ولمشاهدةِ القتالِ فحسب، فقُلنا لهم: "إن كنتمُ مُسلمين، ساعدُونا في نقلِ الجَرحى"، إلا أنَّهم رَفضُوا ذلك.

كنَّا بالعمومِ في وضعِ الدِّفاع، باستثناءِ هجومِنا على "تأبليس" وتنفيذِنا لبعضِ الكمائن، بينما كانَ السُّوفييت بكاملِ قُواهم في المعركة، إلا أنَّهم كانُوا يكتفونَ بالبقاءِ في السَّهلِ بدبَّاباتِهم ومدفعيَّتِهم، ونادراً ما كانُوا يرسلونَ مُشاتهم. لقد ملأتِ المَدافعُ والدَّباباتُ السَّهل، ويبدو كأنَّ السُّوفيت كانَ لديهم الآلافُ من الجنود، إلا أنَّهم رغمَ ذلك اكتفَوا بالبقاءِ هنالك، فقد كانَ الجيشُ الأفغانيُّ هو من ينفِّذُ معظم الهجمات، لينالَ جنودُهُ النَّصيبَ الأوفرَ من الهلاك، وقد بقيَ على تلكَ الحالِ حتَّى استُنزِفَ وفقَدَ القدرةَ على تحمُّلِ مزيدٍ من الخسائر. لذا في الأخير، وبعدَ 34 يوماً من القتال، قطعَ العدوُّ الاشتباكَ في السَّاعة 11:00 وانسحبَ مُوَلِّياً الأدبار. الجديرُ بالذِّكر، أنَّ العدوَّ في الماضي قد حاولَ أسرنا، لكنَّهُ لم يأتِ سابقاً بمثلِ هذهِ القُوَّةِ ولا بقيَ مثلَ هذهِ المُدَّةَ قط.

فَقَدنا 60 مجاهداً بين مقاتلٍ وقياديٍّ في القاعدة ومحيطِها، ولم نعلمْ خسائرَ الجيشينِ السُّوفييتيِّ والأفغانيِّ تحديداً، لكنَّنا كنَّا دائماً نباغتُهم بهجماتٍ مفاجئة، وهو ما جعلَنا نتوقَّعُ بأنَّ خسائرَهُم قد كانت أعلى من خسائرِنا بكثير. ومن المؤكَّدِ أيضاً بأنَّ خسائرَ الجيشِ الأفغانيّ كانت أكثرَ من خسائرِ الجيشِ السُّوفييتيّ، وأعتقدُ بأنَّ العدوَّ توقَّفَ في الأخير بسببِ خسائرِهِ المُتراكمة.[181]

---

[181] ورد في الصفحةِ السَّادسةِ من التَّقرير الـ 40 لأفغانستانَ الصَّادرِ بتاريخ يوليو/تموز عام 1987م من فريقِ تحليلِ الأزماتِ والصَّراعات في معهدِ الدِّراسات الإستراتيجية في إسلام آباد: "بأنه وردت تقاريرُ على مدى شهر ونصف حتَّى نهاية يونيو/تموز عام 1987، بأنَّ قوَّاتِ كابول السوفييتية تكبَّدت 250 قتيلاً و800 جريحاً في مدينة قندهار وضواحيها. ودُمِّرت لهم 100 آليةٍ بين عربةٍ ودبابةٍ وسيارة جيب، بالإضافة لـ 13 طائرةٍ ومروحية. وانضمَّ للمجاهدين 2500 جندي أفغاني، وذلك أثناء عملية بدت أنها أطول عملية تنفذها قُوَّات كابول السوفييتية ضدَّ المجاهدين من عدة سنين. وبدا أنَّ الهجومَ امتدَّ حتى يوليو/حزيران 1987م.

التَّعليق:

استخدمَ السُّوفييت المُجنَّدينَ مِن مُشاةِ الجيشِ الأفغانيِّ بكثافةٍ، وكانَ هؤلاءِ المُشاةُ يفتقرونَ إلى التَّدريبِ والتَّجهيزِ والمَعنويات، وقد ساهَم في انهيارِ معنويَّاتهم استخدامُ السُّوفييت لهم كمُشاةِ استهلاك. لقد اكتسبَت القوَّات الأفغانيَّةُ سمعةً سيئةً بسلبيَّتِها في ساحةِ المعركة، ورغبتِها في الهروبِ من أوَّلِ فُرصةٍ تلوحُ لها.

يبدو أنَّ الجهدَ الاستخباراتيَّ التكتيكيَّ السُّوفييتيَّ والأفغانيَّ لم يكن كفؤاً، فقد كانت دفاعاتُ المجاهدين ضعيفةً من جهةِ جيلاوور، لكنَّ السُّوفييت لم يتعبُوا أنفسَهم بالاندفاعِ في ذلكَ المِحور اندفاعاً كافياً لاكتشافِ ذلك.

إنَّ تصميمَ العدوِّ على الاستمرارِ في القِتالِ حتَّى 34 يوماً ثمَّ قطعَ الاشتباكِ والانسحاب، كانَ أمراً لافتاً للنَّظر. وساهمَ رفضُ العدوِّ للحسمِ السَّريعِ في تعزيزِ قوَّةِ المُجاهدين، وبالتَّدريجِ أحدَثَ ذلك تغييراً نوعيّاً في الوضعِ لصالحِ المجاهدين. من ناحيةٍ أخرى، فإنَّ الطَّبيعةَ الفصائليَّةَ للمجاهدين ألقَت بأثرِها على الأرض، وجعلَت المجاهدين في تشاهارقولبا يقاتلونَ بمعزلٍ عن بقيَّةِ المجاهدين، يواجهونَ كاملَ قوَّةِ العدو، ولقد كانَ منَ المُمكنِ أن يحصلُوا على مساعدةٍ خارجيةٍ من المجاهدين الآخرين على شكلِ كمائنَ ضدَّ قوافلِ الإمدادِ أو إغاراتٍ على قوَّاتِ العدو في "ناغاهان" وسهل "زهاري"، حيثُ كانَ منَ المُمكنِ لهذهِ العمليَّات أن تُخفِّف الضَّغطَ عَن مُجاهدي "تشاهارقولبا". ولكن لسوءِ الحظ، كانَ هناكَ القليلُ من التَّعاونِ والتَّنسيقِ على المُستوى الإستراتيجيِّ والعمليَّاتيِّ بينَ مُختلفِ فصائلِ المجاهدين. صحيحٌ أنَّ فصائلَ المجاهدين في قندهار قد تعاونَت فيما بينها أكثرَ من بقيَّة الوِلايات، ولكنَّ ظاهرَ الأمرِ كما يتَّضِحُ في المقالِ أنَّ التَّعاونَ بينَهم قد بقيَ رُغم ذلك مَحدوداً.

مثَّلَ هُجومُ المُجاهدينَ على "تأبليس" مِثالاً جيِّداً أثبتَ قُدرَتهم على التَّحَوُّلِ السَّريعِ إلى مُطاردة العدوِّ المُنسحب. وبشكلٍ عام، ما لم تُنشِئْ قوَّةٌ ما لنفسها حرسَ مؤخرةٍ قويّاً ومتماسكاً، فإنَّها ستنهارُ أثناءَ انسحابِها، ولن تستطيعَ حشدَ قوَّتِها القتاليَّةِ مرَّةً أخرى، وقد كانَ المجاهدون الأفغانُ يتميَّزونَ بقدرتِهم

على التَّحوُّلِ الفوريّ من الدِّفاع إلى المُطاردة، وهذهِ ميزةٌ قديمةٌ حظَوا بها منذُ قتالِهم ضدَّ البريطانيين أوائلَ القرنِ المُنصرم، وَمَا زالَت موجودةً فيهم حتَّى الآن.

المقالة العاشرة: زَوَرْ الأولى

روايةُ الملازم عمر والمولوي نظام الدِّين حقَّاني[182]

كانت "زَوَرْ" إحدى قواعدِ المجاهدين في ولاية بكتيا، وتقعُ على بُعْدِ أربعةِ كيلومترات من الحدودِ الباكستانيَّة. ويمتدُّ طريقٌ طولُه 15 كيلومتراً منها إلى قاعدةِ الإمدادِ الأماميَّةِ الباكستانيَّة في "ميران شاه". كانَت القاعدةُ تمثّلُ في البدايةِ مركزاً لتدريبِ المُجاهدين، ثمَّ توسَّعت لتصبحَ قاعدةً قتاليَّةً للإمدادِ والتَّدريبِ والانطلاق. ومعَ توسيعِ القاعدة، استخدمَ المُجاهدون المُتفجّرات والجرَّافاتِ لحفر 11 نفقاً باتّجاهِ الجنوبِ الشَّرقيّ مُواجهاً لحرفِ جبلِ "سوديا كي"، وقد امتدَّت هذهِ الأنفاقُ الكبيرة حتَّى مسافةِ 500 مترٍ، وضمَّت مضافةً ومسجداً ومخزناً للسّلاح ودكاكينَ صيانةٍ ومرآبَ ونقطةً طبيَّةً ومركزَ اتّصالاتٍ لاسلكيَّة ومطبخاً. كما تمَّ تزويدُ هذهِ الأنفاقِ بالطَّاقةِ الكهربائيَّةِ عبرَ مُولّدة بنزين، لتقومَ بتشغيلِ شاشةِ عرضٍ كبيرة!

أصبحَت هذهِ القاعدةُ المُبهرةُ استراحةً حتميَّةً للزُّوارِ من الصَّحفيين وأعضاءِ الكونغرس وسُيَّاح الحروبِ الآخرين. ويبدو أنَّ جهودَ البِناء هذه قد عَرقَلت إتمامَ بناءِ المواقعِ القتاليَّةِ والتَّحصيناتِ المَيدانيَّةِ الأساسيَّة. كانَ يتمركزُ في القاعدةِ فوجُ "زَوَرْ" المؤلَّفُ من 500 مقاتلاً، وكانَ هذا الفوجُ مَسؤولاً في المقامِ الأوَّلِ عن توفيرِ الدَّعمِ اللوجستيِّ للمجموعاتِ القتاليَّةِ المتنقّلةِ في المنطقة، ودعمِ

[182] الملازم عمر (الضابط عمر) متخرجٌ من أكاديميَّةِ كابول العسكريَّةِ في السبعينات من القرن المنصرم. بعد الانقلاب الشُّيوعي والغزوِ السُّوفييتي انضمَّ الملازم عمر إلى المجاهدين وإلى الحزب الإسلامي التابع للمولوي محمد يونس خالص الأصولي. وكانَ هو المساعدَ المقرَّب لجلال الدين حقاني، وقاتلَ معه طوالَ الحرب. أدارَ حقاني جهودَ المجاهدين العسكرية في ولاية باكتيا الحساسة. وعملَ الضابط عمر كقائد إحدى المجموعات في ولاية بكتيا طوال الحرب. Map sheet 2983, vic grid 8267

المولوي نظام الدِّين حقَّاني هو نائبُ جلال الدين، وهو قائدُ إحدى المجموعات، وكانَ عضواً في الحزب الإسلامي التَّابع لخالص. وانضمَّ إلى المجاهدين بعدَ الانقلابِ الشُّيوعيِّ عامَ 1978م، وقاتلَ في منطقةِ باكتيا قبلَ الغزوِ السُّوفييتي، حرَّرت مجموعتُه المنطقةَ المحيطة بخوست، بينما بقيَت مدينةُ خوست فقط تحتَ سيطرةِ الحُكومة.

مجموعاتِ الحزبِ الإسلاميّ التَّابع لخالص في باقي ولاياتِ أفغانستان الأخرى. ونظراً لأنَّ مهمَّته لوجستيةٌ بالأساس، لم يكن الفوجُ مجهَّزاً بأكملِه للقتال، إلا أنَّه رُغم ذلك بقيَ يمثّلُ قوَّةً يُعتَمَدُ عليها، حيثُ كانَ مسؤولاً عن الدِّفاع عن القاعدةِ ومنع تسلُّلِ عملاءِ الخاد والكاي جي بي بين أفغانستانَ وباكستان، كما شغلَ نقاطَ تفتيشٍ على طولِ الطَّريقِ لفحصِ الأوراقِ الثُّبوتيَّةِ للمارّين.

ضَمَّ الفوجُ مِدفعَ 122 ملم دي -30 هاوتزر السُّوفييتي، ودبَّابتين (تم اغتنامها من مركزِ الجيشِ الأفغانيّ في باري عام 1983م)، وراجمةَ بي أم – 12 ذاتِ 6 سبطاناتٍ صينيَّة المَنشأ، وعدداً من الرَّشَّاشاتِ والأسلحةِ الصَّغيرة. وضمَّت السَّريَّةُ المخصَّصَةُ للدِّفاع الجويّ عن زَوَرْ خمسَ رشَّاشاتِ 14.5 بسبطانةٍ واحدةٍ على قاعدةٍ مُدَولبة، معَ أربع رشَّاشاتٍ مُزدَوَجةٍ 14.5 على قاعدةٍ مُدَوْلبة. وكانت رشَّاشاتُ الدِّفاعِ الجويّ مُتمركِزةً على المُرتفعاتِ حولَ القاعدة، بينما كانت مَسؤوليَّةُ الدِّفاعِ عن مقتربات القَاعدةِ مُلْقاةً على عَاتقِ مجموعاتِ المُجاهدين الأخرى.

في سبتمبر/أيلول 1985م، حَرَّكَ الجيشُ الأفغانيُّ عناصراً من فرقةِ المُشاةِ 12 من غرديز، معَ عناصرَ من لوائي المغاوير 37 و38،وانطلقُوا من غرديز عبرَ طرقٍ فَرعيَّة مُلتويةٍ نحوَ "جاجي ميدان" ثمَّ إلى خوست، حيثُ كانَ الطَّريقُ الرَّئيسيُّ المُباشر يمرُّ عبرَ مَمَرِّ "سات كندو" الذي يسيطرُ عليه المجاهدون منذُ عامِ 1981م، وقد انضَمَّت لهذه القوَّةِ عناصرُ من الفرقةِ 25 للمُشاةِ الأفغانيَّةِ التي كانت مُرابطةً في خوست، بينما تولَّى "شاهنواز تاني"[183] مسؤوليَّةَ قيادةِ كُلِّ هذهِ القوَّاتِ الأفغانيَّةِ المُشتركة. صحيحٌ أنَّ الوحداتِ العسكريَّةَ الأفغانيَّةَ كانَت كاملةَ السِّلاحِ والمعدَّات، إلا أنَّ هروبَ الجنودِ وتشعبَ مفارزِ التَّأمينِ وكثرةَ المهام أبقَتِ الوَحداتِ الأفغانيَّةَ دائماً مفتقرِّةً إلى الأعدادِ البشرّيَّةِ على المَدى

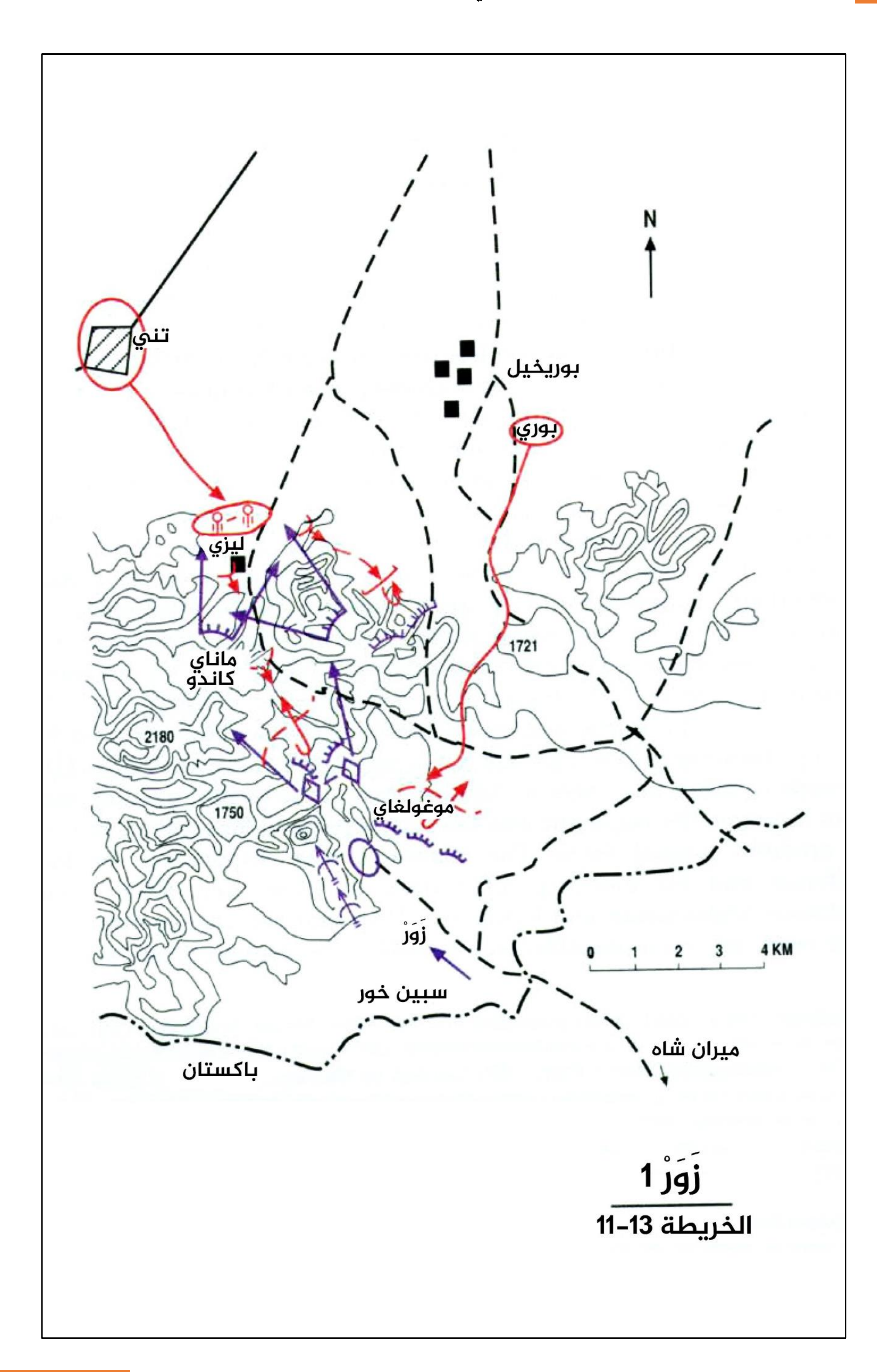
[183] كان الجنرال "شاهنواز تني" من بلدة تني القريبة من زور، وكانَ يتمَّتعُ بدعمٍ شعبيٍّ في المنطقة. وقد أصبحَ فيما بعد وزيرَ الدِّفاع في الحكومةِ الأفغانيَّةِ الشيوعيَّةِ العميلة. وفي السَّادسِ من مارس عام 1990م، تحالفَ مع قلب الدين حكمتيار في محاولةٍ للانقلاب ضدَّ الرَّئيس الشُّيوعي نجيب الله، ولكن حينَ فشل الانقلابُ فرَّ إلى باكستان.

الطَّويل. ولأنَّ الجيشَ الأفغانيَّ لم يكنْ قادراً على تعبئةِ قوةٍ كافيةٍ من فوجٍ واحدٍ أو فرقةٍ واحدةٍ فقد مَارسَ أسلوبَ "الالتِهامِ التَّكتيكي" وهوَ الدَّمجُ بينَ الوَحدات وتشكيلُ قوَّةٍ مُشتركةٍ لهذهِ المهام.

وفي ظهيرةِ إحدى أيَّامِ سبتمبر، بدأتِ القوَّةُ الأفغانيَّةُ هُجوماً بالمُشاةِ مُسنودةً بنيرانِ المدفعيَّةِ الثَّقيلةِ والقصفِ الجويِّ على باري التي تقعُ شمالَ غربَ زَوَرْ (خريطة 11-13- زَوَرْ 1). ولم تكن زَوَرْ جاهزةً لمثلِ هذا الهُجوم، لكونِ معظمِ قادَتِها الكبار -بمن فيهم حقاني- كانُوا في رحلةِ حجٍ إلى مكة. سيطرَ الجيشُ الأفغانيُّ على باري ثمَّ تحرَّكَ نحوَ زَوَرْ، فَرَدَّ المجاهدون بنشرِ مجموعةٍ من 80 مجاهداً لسَدِّ الطَّريقِ عبرَ حرفِ الجبلِ على المُنحدرِ الشَّرقيِّ لجبالِ "موغولغاي" التي تمثِّلُ الحائطَ الشَّرقيَّ لقاعدةِ زَوَرْ. وصلَتِ القُوَّاتُ الأفغانيَّةُ ليلاً، غيرَ أنَّها كانت قد فقَدَت في القتالِ الليلي ناقلتينِ للجنودِ وأربعَ شاحنات. وفي النِّهاية، تراجعت عزيمةُ الجيشِ الأفغانيِّ فانسحَب عائداً إلى خوست.[184] واستعادَ السَّيطرةَ على باري المجاهدون البدوُّ مِنْ قبيلة "كوخي" الذينَ كانَ يقودُهم "مالانغ كوخي" و"دادمير كوخي" و"غوربيز".



[184] من المحتمل أن يكون هذا القتالُ عبارةً عن عمليَّاتِ استطلاعٍ بالقوة.



زَوَرْ 1

الخريطة 13-11

أعادَ الجيشُ الأفغانيُّ المحاولةَ مرَّةَ أخرى، ولكن من اتِّجاهِ بلدةِ "تني" هذهِ المرَّة، واستعادَ السَّيطرةَ على بلدةِ "ليزي" وقُتِلَ قائدَ المجاهدين فيها المولوي أحمد غول. وفي هذا اليومِ كانَ قد عادَ كبارُ قادةِ المُجاهدين من الحجِّ عبرَ باكستان (4 سبتمبر/أيلول)، وهرَعُوا إلى زَوَرْ لتولي زمامِ القِيادة، بينما كانَ مجاهدو ليزي قدِ انسحبُوا جنوباً، فيما أغلَقَت مجموعةٌ من 20 مجاهداً ممَرَّ "ماناي كندو".

تحكُمُ مَمَرَّ "ماناي كندو" قمةٌ عاليةٌ مغطاةٌ بكُتلةٍ صَخرِيةٍ، ويقبعُ تحتَ هذهِ الكُتلةِ كهفٌ طبيعيٌّ عملَ المجاهدون على إدخالِ بعضِ التَّحسيناتِ فيه، بحيثُ أصبحَ يتَّسعُ لـ 20 مجاهداً أثناءَ القصفِ الجويِّ والمدفعي، كما فتحَ المجاهدون أيضاً خنادقَ اتِّصالٍ تسمحُ لهم أن يشغلُوا مواقعَ إطلاقِ النَّارِ بسرعةٍ بعد توقُّفِ رِماياتِ العدوِّ مباشرةً، بينما كانت هذه الخنادق تمكن المجاهدين من استهداف سهلَ "تَنِي" بما يحقّقُ رماياتٍ جيدةً لصدِّ أيِّ هُجُومٍ بالمُشاة.

حاولَ الجيشُ الأفغانيُّ مِراراً وتكراراً اقتحامَ المَمَر، ولكنَّهم في كلِّ مرةٍ كانُوا يلقون صداً شديداً من قِبَلِ المجاهدين. كانَ هجومُهم يبدأُ باقتحامِ المُشاة، فيصدُّهم المجاهدون بنيرانٍ مُميتة، فيقومُ العدوُّ على إثرِها بتوجيهِ نيرانٍ جوِّيةٍ ومدفعيَّةٍ مكثَّفةٍ لذَلِكَ المنطقة، ثمَّ تعيدُ مُشاةُ الجيشِ الأفغانيِّ المحاولةَ مرَّةَ أخرى، لكنَّها لا تلبثُ أن تفشلَ فوراً. كانت هذهِ الإجراءاتُ تتكرَّرُ المرَّةَ تلوَ الأخرى، لكن من دونِ أن يحدثَ أيُّ تقدمٍ أثناءَ هجومِ العشرةِ أيَّام. طلبَ الجيشُ الأفغانيُّ بعدَها قصفاً جويَّاً سوفييتيَّاً ثقيلاً على قِمَّةِ الجبل. وبعدَ القصف، بدأت الكُتلةُ الصَّخريَّةُ السَّميكةُ الواقعةُ على قِمَّةِ الجبلِ بالترنُّحِ والميلان، فخشي المجاهدون أن تسقطَ هذهِ الصَّخرةُ على كهفِهم فتحطِّمَه، ممَّا اضطرَّهم في النِّهايةِ إلى الانسحابِ يومَ 14 من سبتمبر/أيلول 1985م.

مع تراجعِ المجاهدين، استطاعَ العدوُّ إنشاءَ نقاطِ مراقبةٍ على المُرتفعات، وقد ساعدتهم هذهِ النِّقاطُ على تصحيحِ الرِّمايات المدفعيَّةِ والجويَّة، ممَّا أعطى الجيشَ الأفغانيَّ تفوُّقاً تكتيكيَّاً مَكَّنَ مشاتَه من التَّقدُّمِ عبرَ المَمَرِّ، بينما كانَ حرسُ مؤخّرةِ المجاهدين المُنسحبين يستبسلُ في صَدِّ مُشاةِ العدوِّ بالرَّشاشات، وفي صدِّ طائراتِ العدوِّ برشَّاشات ال 14.5 المثبَّتَةِ على قواعدَ ثابتة. وقد تزايدَ تقدُّمُ الجيشِ الأفغانيِّ حتَّى استطاعَ الاستيلاءَ على قِمَمِ جبل "تور كَمَر".

يَبعدُ جبلُ "تور كَمَر" عن قاعدةِ زَوَرْ مسافةَ كيلومترٍ واحد، وبالتَّالي فهو يقعُ ضمنَ مَدى رشَّاشات المجاهدين، إلا أنَّ الجيشَ الأفغانيَّ قد أصابَه الغُرور، وظنَّ أنَّ المجاهدينَ في القاعدةِ يَفتقدُون إلى الأسلحةِ الثَّقيلة، فتكدَّست قوَّاته أعلى الجبل. ولحسنِ حظِّ المجاهدين، فقد كانَ في القاعدةِ مُجاهدان اسمُهما "علام جام" و"محمد سليم"، وكانا قائديْ دبَّاباتٍ سابقاً في الجيشِ الأفغاني، فقامَا آخرَ الظَّهيرةِ بإخراجِ دبَّابتين من الكهوف، واندفعَا شَمالاً إلى مواقعِ الرَّمي، فَفَتَحا النِّيرانَ على العدو، وأصابَت قذائفُهُما نقطةَ مراقبةٍ خاصَّةٍ بمدفعيَّةِ الجيشِ الأفغانيّ ليطيرَ الرَّاصدُ فيها والجنودُ في الهواء، ثمَّ حوَّلَ رُماةُ الدَّبابتين نيرانَهما إلى نقطةِ مُراقبةٍ أخرى فدمَّرُوها، وبعدَها فتحُوا النِّيرانَ على جنودِ الجيشِ الأفغاني.

انسحبَ الجنودُ الأفغانُ المُحطَّمين راجعينَ القَهقري، وناورُا عبرَ عنقِ جبلٍ[185] شرقَ جبل "تامبري"، فحاولَ المجاهدون منعَ العدوِّ من الهروبِ بنصبِ حواجزَ معرقلةٍ طيلةَ خمسةِ أيَّامٍ، وتولَّى الحاج أمانُ الله خان وإسماعيلُ خان مَسؤوليَّةَ هذا الجزءِ من العمل.

قامَ الجنرال "تَنِي" بنقلِ مركزِ قيادته إلى ممرِّ "ماناي كَندو"، وحاولَ تجديدَ الاقتحام، إلا أنَّ المجاهدين قد صَمدُوا هذهِ المرَّة. وأثناءَ القتالِ استطاعَ المجاهدون إسقاطَ مروحيَّةٍ، لكنَّهم فقدُوا القياديَّ الكبير "المولوي فتح الله" الذي استُشهِدَ في العملية. وصلت التَّعزيزاتُ للمجاهدين من باكستان وجلال آباد وأورغن، وكانَ مَعَها القائدُ "المولوي أرسلا". وعلى المَدى الطَّويل، بدأَت عناصرُ الجيشِ الأفغانيّ تتناقصُ كما بدأَت تقلُّ إمدادَاتُه. وبعدَ 42 يوماً من القتال، قطعَ الجنرال "تَنِي" الاشتباكَ وأجرَى انسحاباً ليليَّاً.

بلغَت خسائرُ المُجاهدين 106 قتيلاً و321 جريحاً. وكانت خسائرُ العدوِّ السُّوفييتيّ والأفغانيّ عاليةً، لكن لم نستطعْ معرفتَها تحديداً وإحصاءَها لأنَّهم كانوا يُخلون القَتلى والجَرحى بشكلٍ دوري.

---

[185] المركز: هو الانخفاض بين قمّتي تلتين أو جبلين.

التَّعليق:

مثَّلَت زَوَرْ رمزَ قوَّةِ المُجاهدين عبرَ منطقةِ الحُدود، ورأى السُّوفييت والحكومةُ الأفغانيَّةُ الشُّيوعيَّةُ بأنَّ عليهم تدميرَ هذا الرَّمز. بينما كانَ المجاهدون على قناعةٍ بحصانةِ ومناعة زَوَرْ، فأخفقُوا في اتِّخاذِ تدابيرِ التَّأمينِ الأساسيَّة.

في أفغانستان، ومنذُ القدم، تُعدُّ أشهُرُ سبتمبر- أكتوبر ومارس-أبريل، الأنسبَ للقيامِ بحملاتٍ عسكريَّةٍ، وذلك لأنَّ الجوَّ يكونُ فيها مُعتدلاً والمَسالكُ جافَّةً. وقد صادَفَ أن يكونَ الحجُّ في هذهِ السَّنةِ في شهري أغسطس وسبتمبر، فحجَّتِ القياداتُ العُليا لتلكَ المنطقةِ سويَّةً، ممَّا ترَكَ فراغاً قياديَّاً عندَ بدءِ المعركة، فتولَّى مجاهدون آخرونَ القيادة. وكانت التَّحصيناتُ المَيدانيَّةُ حولَ زَوَرْ مهملةً وغيرَ كاملة، إلا أنَّ التَّحصيناتِ الممتازةَ في مدخلِ مَمَرِّ "ماناي كندو" قد أكسبَ المجاهدين الوقتَ اللَّازمَ لتحسينِ بقيَّةِ التَّحصينات. ولولا أن قدَّرَ الله ظهورَ دبَّابةِ المجاهدين في اللَّحظةِ الحاسمة، لكانَ سلوكُ المجاهدين المتقاعسُ والمُتَراخي كفيلاً بتضييع قاعدتِهم وإكسابِ الجيشِ الأفغانيِّ نَصراً كبيراً.

استطاعَ المجاهدون تحريكَ التَّعزيزاتِ والإمداداتِ مِن "ميرام شاه" في باكستان طوالَ المعركة، ولم يحاولِ الجيشُ الأفغانيُّ عرقلَةَ دخولِهم بنشرِ الألغامِ القابلةِ للنثرِ على هذا الطَّريق.

المقالة 11: زَوَرْ الثانية

رواية الملازم عمر والمولوي نظام الدين حقاني والمولوي عبد الرحمن[186]

في الثَّاني من أبريل 1986م، كانَ المولوي نظامُ الدِّين حقاني مَوجُوداً في منطقة زدران، حيثُ شاهدَ ما يقاربُ 20 مروحيَّةَ نقلٍ تحلِّقُ فوقَ المنطقة. فاتَّصلَ عبرَ اللَّاسلكي بقيادةِ زَوَرْ وحذَّرَهُم من قدومِ العدو. وتوقَّعَ هبوطَ المِروحيَّات في "ليزي" أو "داراكاي". ثمَّ بعدَ هذا الاتِّصال، شاهدَ المزيدَ من المِروحيَّات، بما فيها مِروحيَّة نقلٍ ثقيلةٍ تُحلِّق بالاتجاه، ورافَقَتها طائراتٌ حربيَّةٌ، فراسلَ عبرَ اللاسلكي ثانيةً قاعدةَ زَوَرْ وأبلغَهم بمَا شاهَد. كانَ في القاعدة ما يتراوحُ بينَ 700 إلى 800 مجاهداً، بالإضافةِ إلى وجودِ قوَّاتٍ للدِّفاعِ الجويِّ كان لهم دورٌ في هذهِ المعركة. وكانَ جلالَ الدِّين حقَّاني بذلك الوقتِ في "ميرام شاه"، فاتَّصلَ بِهِ نظامُ الدِّين وأخبرَهُ بآخرِ التَّطوُّرات، ليقفلَ جلالُ الدِّين راجعاً إلى زَوَرْ.

كانَ النَّمطُ المُعتادُ للهجومِ السُّوفييتيّ والأفغانيّ هوَ البدءُ بالقصفِ الجويِّ لقاعدةِ المجاهدين، ليتلوهُ إنزالٌ جويٌّ وقصفٌ مِدفعيٌّ وتقدُّمٌ للقوَّاتِ البرِّيَّةِ التي تسعى للاتِّصالِ بقوَّاتِ الاقتحامِ الجوي. لقد كانَ القصفُ الجويُّ فيما سبق يمنحُ المُجاهدين إنذاراً مُبكِّراً والوقتَ اللَّازمَ للرَّدِّ ومؤشِّراً قويَّاً لمكانِ الهجوم، إلا أنَّهُ في هذهِ المعركة قد بُوغِتَ المجاهدون[187]، كما أنَّ عناصرَهُم الاستخباراتيَّةَ ضمنَ

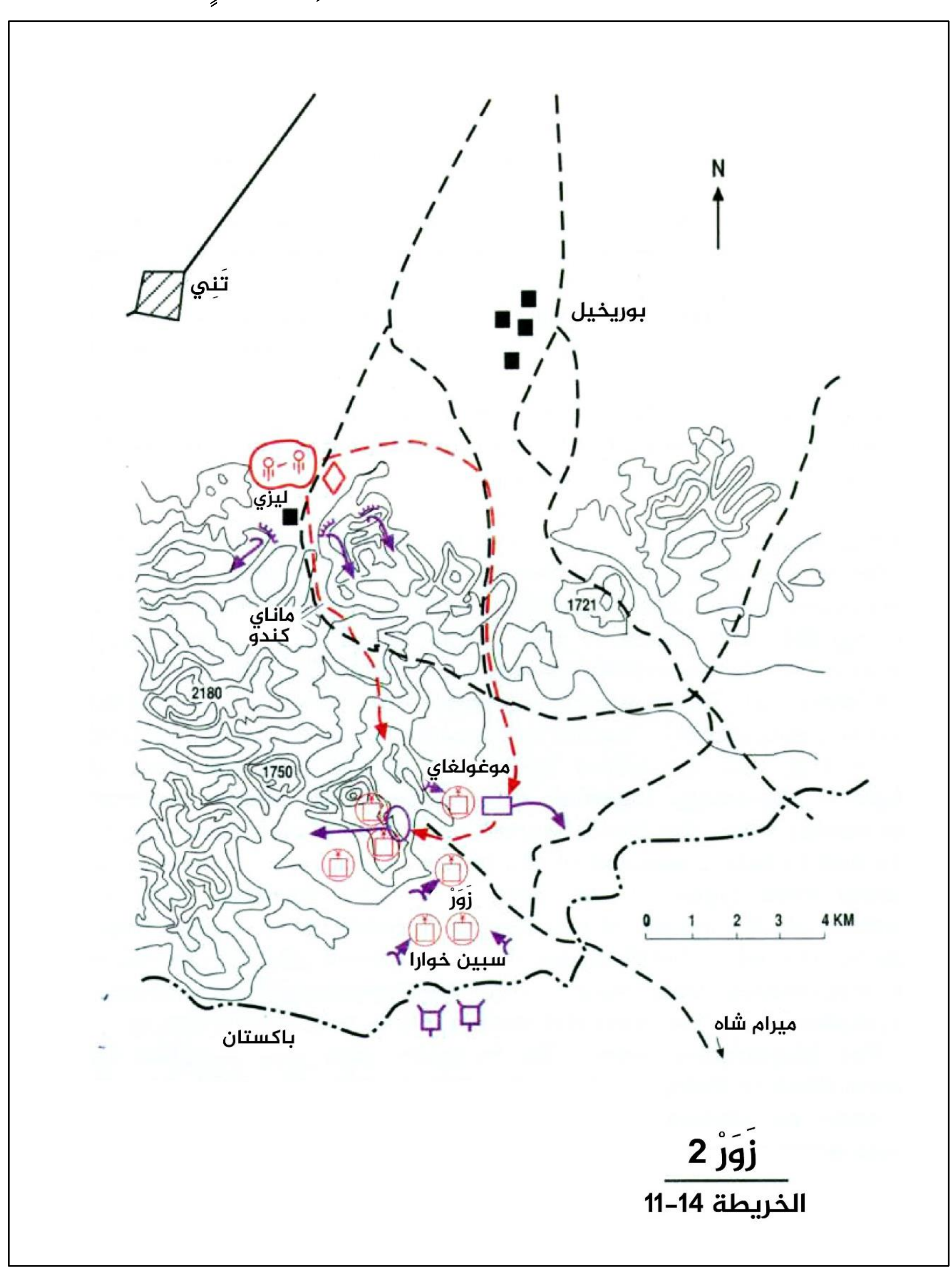
---

[186] الملازم عمر والمولوي نظام تحدَّثنا عنهما في المقالة السابقة، أمَّا المولوي عبد الرحمن فهو قائد مجموعة، ينتمي إلى قبيلة زدران في ولاية بكتيا، وقد قُتل أخوه في هذه المعركة.

Mohammad Yousaf and Mark Adkin, The Bear Trap, London: Leo Cooper, 1992,166-173 and Ijaz S. Gilani and Fazal-Ru-Rahman, Afghanistan Report, Islamabad: The Institute of Strategic Studies, Number 25, April 1986, 2-5 also consulted for this vignette.

[187] المركز: لعل المؤلف يقصدُ بأنَّ المباغتة حدثَت نتيجةَ عدمِ استهلالِ الهجومِ بقصف جوي.

الجيشِ الأفغانيّ لم تُبلِغْهم بأيّ معلوماتٍ حولَ الهجوم. أَنزَلَت مِروحيَّاتُ الجيشِ الأفغانيّ اللواءَ 38 للمغاوير على سبعةِ مواقعَ إنزالٍ مُتناثرةٍ حولَ زَوَرْ. وفي الإنزالِ الأوَّلِ الذي حدَث السَّاعة 07:00 كانَ هُناكَ 15 مروحيةً، أعقبَها المزيدُ من الطَّلعات لإنزالِ لواءٍ كاملٍ.



الخريطة 14-11

نَزَلَت أوَّلُ مِروحيتَين في سهلِ سبين خوارا، وكانت بعضُ مناطقِ الإنزالِ تقعُ على بُعدِ كيلومترٍ واحدٍ مِنَ الحُدودِ الباكستانية (خريطة 11-14- زَوَرْ 2)، كما هبطَت معظمُ المِروحيَّاتِ على المُرتفعاتِ غرب زَوَرْ، إلا أنَّ رُماةَ المجاهدين استطاعُوا تدميرَ مِروَحيَّتين بينما كانَتا على الأرض. وبعدَ تنفيذِ العدوِّ للإنزالِ الجويِّ، بدأَت الطَّائراتُ الحربيَّةُ النَّفَّاثةُ السُّوفييتيَّةُ بتنفيذِ عمليَّاتِ القصفِ لتمشيطِ مواقعِ المجاهدين، بينما لم تستطعْ دفاعاتُ المجاهدين إسكاتَ هذهِ الطَّائرات على نَحوٍ فعَّال.

وبدلاً من اكتفاءِ المجاهدين بالدِّفاعِ الثَّابتِ أمامَ القصفِ الجويِّ من الطَّائراتِ المُقاتلةِ القاذفةِ والإسنادِ الجويِّ القريب، تحوَّلَ المجاهدون للهجومِ وانقضُّوا على مناطقِ الإنزال، فاستطاعُوا الاستيلاءَ بسرعةٍ على أربعِ مناطقِ إنزال، وأسرَ الكثيرِ من المغاويرِ الأفغانيَّة، كما تحرَّكت تعزيزاتُ المجاهدينَ مِن ميرام شاه في باكستان نحو زَوَرْ، وشرَّدُوا بالمغاويرِ مَن خلفَهم. لقد حُصِرَ المغاوير بينَ قوَّتين للمجاهدين، فوقَعَ جميعُهم بينَ قتيلٍ وأسير، ومعَ نهايةِ اليومِ أسرَ المجاهدون 530 جنديَّاً من مغاويرِ اللواء 38.[188]

أثناءَ ذلك، قامَتِ الطَّائراتُ السُّوفييتيَّةُ الحربيَّةُ بقصفِ كُهوفِ المجاهدين بالصَّواريخِ الذَّكية،[189] ولأنَّ الكهوفَ كانت تستقبلُ جهةَ الجنوبِ الغربيِّ نحوَ باكستان، دخلتِ الطَّائراتُ السُّوفييتيَّةُ المَجالَ الجويَّ الباكستانيَّ وعَادَت لتقصفَ الكُهوفَ من جهةِ الجنوب، فدمَّرَت الصَّواريخُ الذكيَّةُ الكهفَ الأوَّلَ الغربيَّ وقتلَت 18 مجاهداً على الفور، وقصفَت أيضاً الكهفَ الغربيَّ الثَّاني، لينهارَ مدخلُه ويُحبَسَ حوالي 150 مجاهداً. وهذا الكهفُ البالغُ طولُه 150 متراً كان يستخدمُه المجاهدونَ كملجَأ لبثِّ الاتِّصالاتِ اللاسلكيَّة، وممَّن كانَ محبوساً داخلَه: القائدُ جلالُ الدِّين حقاني الذي كانَ للتوِّ قد وصلَ من ميرام شاه.

---

[188] بعد عملية زَوَرْ الثانية، أُخذت بقايا اللواء 38 لتشكيل الفرقة الثانية الجديدة.

[189] المركز: هي أحد أنواع الذخيرة الموجهة بدقة التي تهدف إلى تحقيق إصابة ذات قدر أكبر من الدقة، وهي أسلحة ذاتية التوجيه.

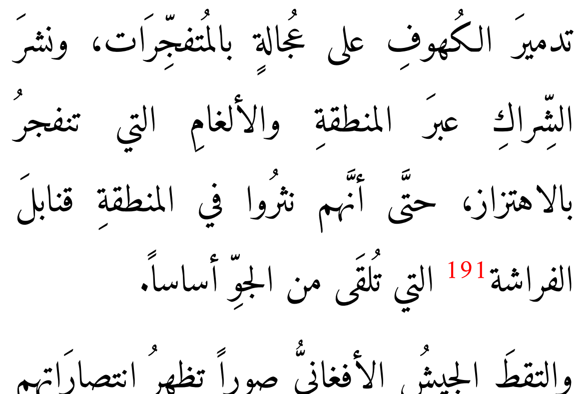
أتبعَتِ القاذفاتُ السُّوفييتيَّةُ قصفَ الطَّائراتِ الحربيَّة بقصفٍ جديدٍ بالذَّخائرِ الذكيَّة، فألقَت أطنانَ القنابلِ التي تسبَّبَت في رفعِ الأنقاضِ التي كانت تُغلِقُ مَداخلَ الكُهوف، واستطاعَ المُجاهدون المَحصُورُون الهروبَ والنَّجاةَ. وقد استمرَّت المعركةُ معَ مناطقِ الإنزالِ المُتبقِّيَة، حيثُ بقِيت مجموعةٌ واحدةٌ من المغاوير مُستعصيةً على مُرتفعٍ لثلاثةِ أيَّامٍ قبلَ أن تسقطَ في الأخير.

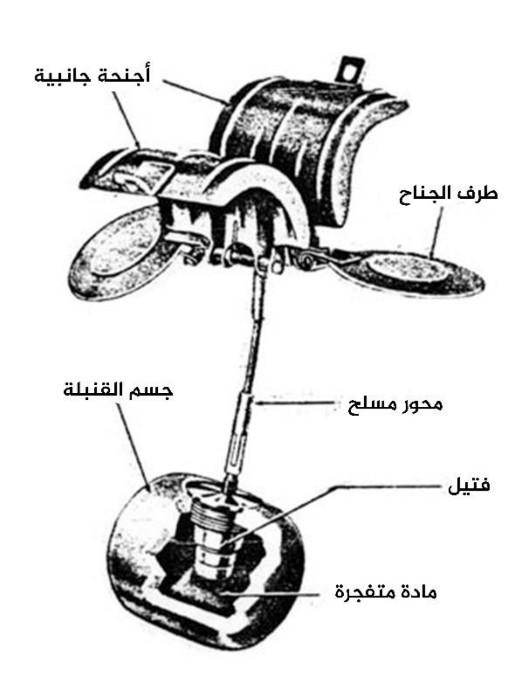
كانَ الجيشُ الأفغانيُّ قد عاوَدَ الرِّباطَ عندَ "ليزي" منذُ عمليَّةِ زَوَرْ الأولى، فقاتلَ الآنَ للسَّيطرةِ على مَمَرِّ "ماناي كندو" طيلةَ حَوالي عشَرةِ أيَّامٍ بعدَ الإنزالِ الجوي، كما هاجمَ المُجاهدون خطوطَ الإمدادِ للجيشِ الأفغانيِّ ومطارَ خوست، بينما استطاعَ مُجاهدو مَمَرِّ ماناي كندو إيقافَ العدو. وفي معركةِ زَوَرْ الأولى، كانَ القصفُ الجويُّ والمدفعيُّ السُّوفييتيُّ والأفغانيُّ يتوقَّفُ أثناءَ اللَّيل، إلا أنَّهُ هذهِ المرَّةَ كانَ مستمِرّاً على مَدارِ اليوم، وخلالَ اللَّيلِ كانَ العدوُّ يطلقُ المشاعلَ الضَّوئية.

وقد استمرَّ هذا القصفُ الجُنونيُّ لمدَّةِ 12 يوماً، كما بدأَت تَصِلُ بعدَه المزيدُ من تعزيزاتِ السُّوفييت والجيشِ الأفغانيِّ من خوست عبرَ تني إلى ليزي. فتراجعَ المجاهدون من منطقةِ ليزي إلى الأراضي الأكثرِ ارتفاعاً، وتقدَّمَ العدوُّ السُّوفييتيُّ والأفغانيُّ ببطءٍ عبرَ ماناي كندو. وفي الوقتِ نفسه، انطلقَ رتلٌ سوفييتيٌ وأفغانيٌ للالتفافِ على المجاهدين من منطقة ليزي شرقاً، ثمَّ تحرَّكَ نحوَ جبلِ غولغاي على الجانبِ الشَّرقيِّ من زَوَر. وهناكَ كانَ فوجٌ مِنَ الحزبِ الإسلاميِّ التَّابع لحكمتيار مُتَموضِعاً للدِّفاع، إلا أنَّه معَ اقترابِ الرَّتلِ الأفغانيِّ المُلتفّ، انسحبَ دونَ أيِّ قتال[190]. وفي الوقتِ نفسه، أُصيبَ جلالُ الدِّين حقاني بجروحٍ في وجهِهِ ورأسِهِ نتيجةَ قصفٍ بطائرةٍ حربيَّة، إلا أنَّ شائعاتِ مقتلهِ انتشرَت بينَ المجاهدين، فأخلَى المجاهدونَ قاعدةَ زَوَرْ مُتَّجهين إلى المُرتفعاتِ المُحيطة، بينما وصلَ رتلُ العدوِّ إلى زَوَرْ بعدَ 12 يوماً من القِتال.

لم يستطعِ الجيشُ الأفغانيُّ الاحتفاظَ بزَوَرْ إلا لخمسِ ساعات، فقد نقلَ المجاهدون راجمةَ صواريخٍ إلى خلفِ الحدودِ الباكستانية، ورمَوا بها على الشُّيوعيين، وحاولَ الجيشُ الأفغانيُّ أثناءَ احتلالهِ زَوَرْ

[190] المركز: الظاهر أن الرواة يلمّحون حولَ وقوع خيانة من حزب حكمتيار، وقد حدثَ مثلُها في عملية الحزم.





تدميرَ الكُهوفِ على عُجالةٍ بالمُتفجّرَات، ونشرَ الشِّراكِ عبرَ المنطقةِ والألغامِ التي تنفجرُ بالاهتزاز، حتّى أنَّهم نثرُوا في المنطقةِ قنابلَ الفراشة[191] التي تُلقَى من الجوّ أساساً.

والتقطَ الجيشُ الأفغانيُّ صوراً تظهرُ انتصارَاتِهم دعائيًّاً ثمَّ قامُوا بإخلاءِ القاعدةِ بعدَها. عادَ المجاهدون إلى زَوَرْ في اليومِ التَّالي، لتقتلَ إحدى الألغامِ الاهتزازيَّة أحدَ المجاهدين، فانسحبَ المُجاهدون ورمَوا المنطقةَ بوابلٍ من قذائفِ الهاون وصواريخ البي أم-12 والرَّشَّاشاتِ بغرضِ تفجيرِ الألغامِ الاهتزازيَّة. وبعدَها، بدؤُوا بمسحٍ يدويٍّ بطيءٍ للمنطقةِ للبحثِ عن بقيَّةِ الألغام، ثمَّ اندفعَ المجاهدون أماماً من زَوَرْ واسترجعُوا ليزي ومناطقَ أخرى. ولأنَّ الجيشَ الأفغانيَّ لم يستطع البقاءَ أكثرَ من خمسِ ساعاتٍ في زَوَرْ، فقد عجزَ عن تدميرِ الكُهوف، لكنَّه استطاعَ تدميرَ بعضِ مداخِلِها. وبقيَت الأسلحةُ المخزَّنةُ في الكهوفِ سليمةً وَصَالحةً للاستعمال.

وبعدَ هذه التَّجربةِ تعلَّمَ المجاهدون فتحَ خنادقِ الاتّصالِ بينَ الكهوف، فأعادُوا فتحَ الكهوفِ معَ حَفرِ خنادقِ الاتّصال بينَها، كما أجرَوا تَحسيناتٍ عليها ليصلَ طُولُها إلى 400 و500 مترٍ.[192]

---

[191] المركز: قنبلةُ الفراشة كانت عبارةً عن 2 كيلوغرام من الذَّخيرة الصَّغيرة المضادَّة للأفراد المستخدمةِ من قبلِ سلاح الجو الألماني خلالَ الحربِ العالميَّةِ الثانية. تم تسميتُها بهذا الاسم لأنَّ الغطاءَ الخارجيَّ المعدنيَّ الإسطواني الرقيقَ عندَ فتح القُنبلة يشبهُ فراشةً كبيرة.

[192] اقترح مقاتلون قدامى من زَوَرْ على حقاني ترميمَ هذه الكهوف وتحويلَها إلى متاحف، حتى يزورَها النَّاسُ ويروا آثارَهم بعد 200 عامٍ.

بلغَت خسائرُ المجاهدين 281 قتيلاً و363 جريحاً، بينما كانت خسائرُ القوَّاتِ السُّوفييتيَّةِ والأفغانيَّةِ غيرَ معلومة، غيرَ أنَّ المجاهدين استطاعُوا تدميرَ مِروحيَّتين وهما على الأرض، وإسقاطَ طائرتينِ حربيَّتينِ وأسرَ 530 جنديَّاً من المغاوير الأفغانيَّة. وبالنِّسبةِ للأسرى، أقامَ المُجاهدون لهم محكمةً ميدانيَّةً، حضَرَها يونس خالص وقضاةٌ آخرون، وحكمُوا بالإعدامِ على كُلٍّ من العقيدِ قالندر شاه قائدِ اللواء 38 للمغاوير وعقيدٍ آخرَ تمَّ إنزالُه معَ اللِّواءِ وعملَ على تصحيحِ رماياتِ المِدفعيَّة. وقد تمَّ تنفيذُ حكمِ الإعدامِ عليهما فوراً.

كانَ هناكَ 78 ضابطاً مِن بينِ الأسرى، أُعطَوا الحقَّ في الاعترافِ بجرائِمِهم في المعاركِ الأخرى التي خاضُوها، ثمَّ تمَّ إعدامُهم جميعا. أمَّا الجنودُ، فقد تمَّ إصدارُ العفوِ في حقِّهم كُلِّهم لكونِهم جُنِّدُوا قَهراً، إلا أنَّهُ طُلِب منهم تقديمُ خدمةِ عملٍ لمدَّة سنتينِ مُقابل العفو. فعملُوا في تقديمِ الخَدماتِ اللُّوجستيَّةِ، وتمَّت أعادةُ تثقيفِهم، ثمَّ أطلقَ سراحُهُم بعدَ سَنتين.

التَّعليق:

ساعدَ انسحابُ فوجِ الحزبِ الإسلاميِّ التَّابع لحكمتيار الجيشَ الأفغانيَّ في تحقيقِ انتصارِه المُؤقَّت، إضافةً إلى انتشارِ الإشاعاتِ بمقتلِ حَقَّاني، حيثُ مَثَّلَ خبرُ مقتلِ حقَّاني صَدمةً مَعنويَّةً، وأضاعَت ما تبقَّى من القِيادة والسَّيطرةِ على المجاهدين في تلكَ اللحظةِ المفصليَّةِ من المعركة. مَعَ ذلك، فقد فَشلَ الجيشُ الأفغانيُّ في نشرِ قوَّةِ صدٍّ على طريقِ ميرام شاه، على الرُّغمِ مِن معرفتِهم بقدومِ تعزيزاتِ المُجاهدين على هذا الطَّريق، ولم يُكلِّفوا أنفسهم على الأقلِّ باستخدامِ ألغامٍ قابلةٍ للنَّثر، بل تركُوا هذا الطَّريقَ مَفتُوحاً.

ظهرَ بوضوحٍ قلقُ باكستان من المعاركِ الكبيرةِ التي كانت تندلعُ على حدودِها، حتَّى أنَّه ذُكِرَ قيامُهم بنقلِ المجاهدين إلى الحدودِ، كما أمدُّوا المجاهدين براجمةِ الصَّواريخ التي رمَت على العدوِّ في زَوَرْ من خلفِ الحدود. وممَّا يجبُ ذكرُه، أنَّ المجاهدين في هذهِ المعركةِ افتقدُوا إلى دفاعٍ جويٍّ فعَّالٍ ضدَّ المِروحيَّاتِ الهجوميَّةِ وضدَّ قصفِ الطَّائراتِ الحربيَّةِ عاليةِ الأداء، هذا على الرُّغمِ مِن امتلاكِهم وقتَها لصواريخِ إبْلَوبَايْب (Blowpipe) المُضادَّة للطَّيرانِ والتي تُطلَقُ من الكتفِ التي لم تكن فعالةً، رُغم أنَّ رُماتَها تسلَّقُوا الجبلَ ورمَوا 13 صاروخاً منها من دونِ تحقيقِ أيِّ إصابة. والجديرُ بالذِّكرِ أيضاً أنَّ الطَّائرةَ الحربيَّةَ قد أصابَت نَقيباً باكستانيَّاً برفقةِ ضبَّاطِه المَرؤوسين بجروحٍ بَليغة.[193]



احتفلَ الجيشُ الأفغانيُّ بسقوطِ زَوَرْ على أنَّها انتصارٌ عظيم، رُغم أنَّ زَوَرْ عادَت للعملِ بكاملِ طاقتِها بعدَ أسابيعَ فقط مِن هذا الهُجوم.

[193] Mohammad Yousaf and Mark Adkin, The Bear Trap, London: Leo Cooper, 1992, 171.

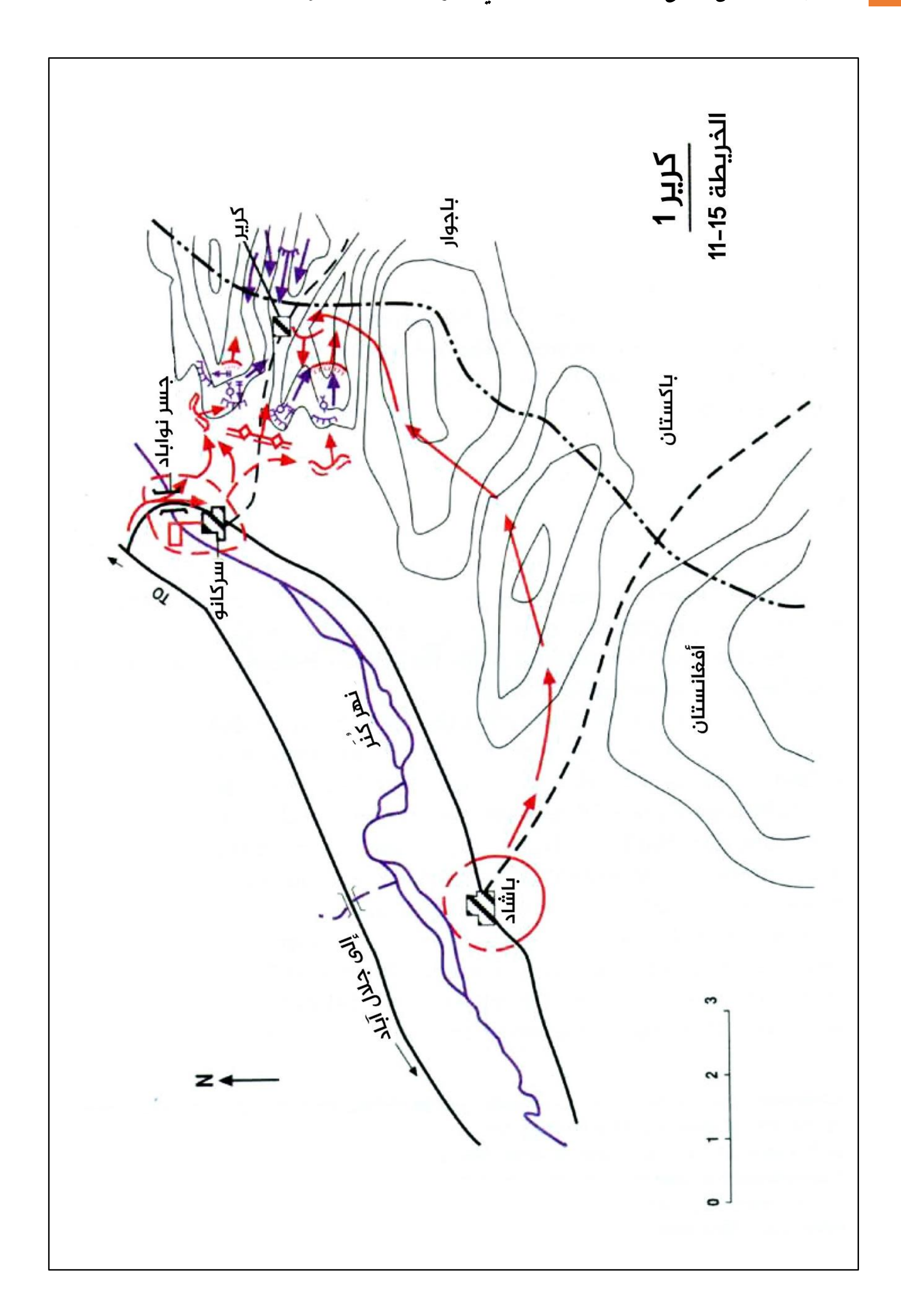
المقالة 12: معركةُ كرير الأولى

روايةُ القائدِ أسدُ الله

في أواخرِ مارس/آذار 1986م، شَنَّتِ القوَّاتُ السَّوفييتيَّةُ والأفغانيَّةُ هجوماً كبيراً ضدَّ المجاهدين المُتمركزين في قواعدِ كرير على الحدودِ معَ باكستان (خريطة 11-15- كرير 1). تقعُ كرير شرقَ مركزِ مديريَّة "سركانو" في ولايةِ كُنَر.



وكانَ للمجاهدين قاعدتين اثنتين في "وادي الجبل" اسمُهما "الشهيد عبد اللطيف" و"فتحة". وكان المجاهدونَ يستطيعونَ الوصولَ إلى منطقةِ باجوار الباكستانية انطلاقاً من هاتينِ القاعدتين، ممَّا وفَّرَ مركزَ إمدادٍ حُدوديٍّ ونقطةَ انطلاقٍ لهجماتِ المجاهدين ضدَّ القُوَّاتِ السُّوفييتيَّةِ والأفغانيَّةِ في ولاية كُنَر. وكانَ فَوجي المُسمَّى فوجَ "أسامةُ بنُ زيد رضيَ اللهُ عنهما" قد شغلَ قاعدتي كرير، وقد كانَ عددُ عناصرِه يتغيَّرُ حسب المُتطلَّبَاتِ والأوضاعِ، وكانَ يسهلُ تعزيزُ الفوجِ في وقتٍ وجيزٍ من إطلاقِ الإنذار لأنَّ القاعدتان كانتا قريبتين من الحدودِ مع باكستان. ففي مارس/آذار 1986م، وقبلَ بدءِ هجومِ العدو، كانَ فوجي مَنقُوصَ القُوام، إلا أنَّه بعدَ بدءِ المعركةِ وصلتهُ تعزيزاتٌ من "باجوار" رفعَت تعدادَه إلى حَوالي 400 عنصراً.


الخريطة 11-15
كرير 1
باجوار
كرير
باكستان
أفغانستان
جسر نواباد
سركانو
نهر كنر
إلى جلال آباد
باشاد
N
0
1
2
3

وصلتْنا مؤشّراتٌ بأنَّ القوّاتِ السُّوفييتيّةَ والأفغانيَّةَ كانت تخطِّطُ لهجومٍ ما، لكنَّنا لم نعلمْ بالتَّحديدِ مَتى سيكونُ انطلاقه. وفي آخرِ أسبوعٍ من شهرِ مارس، حيثُ كانَ الجوُّ ما زالَ بارداً وقِمَمُ الجبالِ تغطِّيها الثُّلوجُ، رَصدْنا تَحرُّكاتِ العدوِّ عبرَ جسرِ "نواباد" من سركانو. والغريبُ أنَّ هذهِ التَّحرُّكات كانت مكشوفةً لنا تماماً، ولم يحاولِ العدوُّ إخفاءَها ولا تمويهَها، ويظهرُ أنَّه قد أرادَ لفتَ انتباهنا عن تحرُّكاتِه الحقيقيَّة. وبالفعل اكتشفْنا فيما بعد أنَّ استعراضَ القوَّةِ هذا لم يكن إلا خدعةً لتغطيةِ هجومٍ آخرَ من "باشاد" الواقعةِ على بُعدِ 20 كِيلومترٍ جنوبَ غربَ سركانو، ولم نكن نتوقَّعُ وقتَها حدوثَ هجومٍ على كرير من باشاد. لقد أعدَدْنا أنفسَنَا لنتصدَّى لهجومِ العدوِّ من سركانو، ونَشَرْنا معظمَ (كتّلة) قوّاتِنا في مدخلِ الوادي المقابلِ لمركزِ مديريَّة سركانو، لأنَّ هذا كانَ المقترب الرئيسيَّ من كرير، فتوقَّعتُ أنْ يستعمله العدو.

بدأَ هجومُ العدوِّ بقدومِ رتلٍ مُشتركٍ سوفييتيٍّ وأفغانيٍّ يعاونُهم أدِلَّاء محَلِّيون، فعبرُوا نهرَ "كنر" على جسرِ "نواباد" شمالَ شرقَ سركانو، ثمَّ هاجمُوا المواقعَ الأماميَّةَ لنا آخرَ الظَّهيرة (خريطة 11-14- كرير 1). واندلعَ قتالٌ عنيفٌ بينَ مُقاتلينا ومُشاتِهم وعرباتِهم المُدرَّعةِ على مَدخلِ الوادي، حيثُ كنتُ أتوقَّع مجيئَهم، وقد تكبَّدَ الطَّرفانِ خسائرَ فادحة. وبينما ثبَّتَ العدوُّ قوتي، أطلقَ هجوماً آخرَ من باشاد عبرَ المَمَرَّاتِ الجبليَّةِ للالتفافِ على قوَّتِنا. وكانت هذهِ القوَّةُ الملتفَّةُ تتألَّفُ مِنَ المُشاةِ السُّوفييتيَّةِ (غالباً كانُوا مفرزةً من القوّاتِ الخاصَّة سبيتسناز)، فوصلت من دون أن تُكشفَ إلى مؤخّرَتنا واستولَت على مرتفعٍ غيرِ محْمي في جبالِ "سبينا تسوكا". وانطلاقاً من هذا المُرتفع، هَجَمَتِ المفرزةُ السُّوفييتيَّةُ على مؤخِّرتِنا واستولَت على القاعدتين وعلى مُستودعِ الإمداداتِ الرَّئيسية. وفي صباحِ اليومِ التَّالي، فقدْنا جميعَ مرافِقِنا، وحُوصِرنا من قِبَلِ الأعداء. وَدكُّوا مواقِعَنا مِنَ المُرتفعاتِ خلفَنا.

استطعتُ عبورَ الحدودِ وتعبئةَ قوَّاتِ المجاهدين من مُعسكراتِ باجوار، وبينما كانَ العدوُّ يقاتلُ في كرير، دخلَ المجاهدون مِن باكستان لإنقاذِ المجاهدين المُحَاصرين، وعبرُوا الحدودَ في الصَّباحِ الباكرِ من خلالِ مقتربات مُمَوَّهةٍ إلى كرير، لأنَّ العدوَّ كانَ قد كشفَ الطَّريقَ الرئيسيَّ بسيطرَتِه على المُرتفعات. وقريباً من الظُّهر، كنتُ معَ مجموعتي المُكوَّنةِ من ستَّةِ رجالٍ حينَ اصطدَمْنا بمجموعةٍ مِنَ

السُّوفييت، ويبدو أنَّهم كانُوا مجموعةَ قيادةِ العدو. فاشتبكْنا معهم، وبعدَ قتالٍ وجيزٍ -إلا أنَّهُ كانَ حامياً، حتَّى أنّنا تراشَقنا القنابلَ اليدويَّة- استطعْنا قتلَ الضَّابطِ القائدِ السُّوفييتي، ممَّا دفعَ العَدوَّ للانسحاب. ومعَ وصولِ تعزيزاتِ المجاهدين، أصبحَ مَوقعُ السُّوفييت مُهدَّداً من خلفِه. اندلَعَت اشتباكاتٌ مُتفرّقةٌ في عدَّة مناطقٍ عبرَ الوادي، وبدأَ العدوُّ بالانسحابِ بعدَ الظُّهر، وفي المساء كانَ المُجاهدون قد استرجعُوا الوادي وقاعدَتينا، إلا أنَّ العدوَّ كانَ قد دمَّرَ مُعظمَ القاعدتين.

كَشفْنا وجودَ مجموعةٍ من السُّوفييت في إحدى كهوفِ الإمدادِ في المُستودع، فحاولْنا طردَهم من الكهف، فأُصيب عددٌ من رجالي بينَ قتيلٍ وجريحٍ بنيرانِ بنادقِ AK-47. وفي النّهاية، قُمنا بتدميرِ الكهف بأكملِه من خلالِ إطلاقِ قذيفةِ آر بي جي ورميِ العديدِ من القنابلِ اليدويَّةِ داخلَهُ مُسكتين بذلكَ العدو. وفي صباحِ اليومِ التَّالي، عَثرْنا في الكهفِ على جُثَثِ عددٍ من الجنودِ السُّوفييت. قُمْنا بدفنِ قَتلانا وإخلاءِ جَرحَانا، وقد بلغَت نسبةُ خسائري على مُستوى الرِّجال 25 % (33 قتيلاً و40 جريحاً)، بينما أعتقدُ أنَّ خسائرَ العدوِّ قد كانت أكثرَ لِعُثورِنا على 60 قطعةِ سلاحٍ صغير.[194]

[194] أشار تقريرٌ لمركز الدراسات الإستراتيجية الباكستانية الصادر بتاريخ 1986: "شنَّ السُّوفييت عملية هجومٍ جويٍ وبريٍ على قاعدة المجاهدين في منطقة كرير، وقتلوا 26 مجاهداً ودمروا مستودع أسلحة القاعدة، وفقدوا 42 جندياً بعد 15 ساعةً من بدء القتال يوم 26 من مارس. وكردٍ على الهجوم السُّوفييتي والأفغاني وكمحاولةٍ لكسر تطويق العدو لقاعدة سوران في منطقة كرير قتل المجاهدون 50 جندياً سوفييتياً و70 جندياً أفغانيًّاً وفقدوا 42 مجاهداً بين يومي 28-31 مارس. واستطاع المجاهدون ردَّ هجوم السُّوفييت بعد ساعات من احتلالهم القاعدة بعد تكبيدهم خسائر فادحة وأسر ثلاثة جنودٍ سوفييت أثناء 48 ساعة من القتال 30-31 مارس".

التَّعليق:

استطاعَ السُّوفييت تحقيقَ مُباغتةٍ كُبرى عبرَ التَّخطيطِ الحَسَنِ والخداعِ، فهاجمُوا قاعدةَ المُجاهدين من الخلفِ بعدَ أن سحبُوا معظمَ قوَّاتِهم من القاعدة، وهو مَا مكَّنهم من الاستيلاءِ على القاعدة وتدميرِها دونَ مُجابهةِ أيّ مقاومةٍ. إلا أنَّ فشلَ السُّوفييت في غلقِ طريقِ قدومِ تعزيزاتِ المجاهدين قَد كلَّفَهم على ما يبدو خسائرَ فَادحة دفعتهُم للانسحابِ من المَناطقِ التي احتلُّوها بسهولةٍ، حيثُ تسبَّبَ وصولُ تعزيزاتِ المجاهدين بسرعةٍ في قلبِ ميزانِ المعركةِ لصالِحِهم، وذاك أنَّ انتزاعَ زِمامَ المُبادرةِ معَ الحفاظِ عليها يُعدُّ أمراً جوهريَّاً في كلِّ خطَّةٍ تكتيكيَّة.

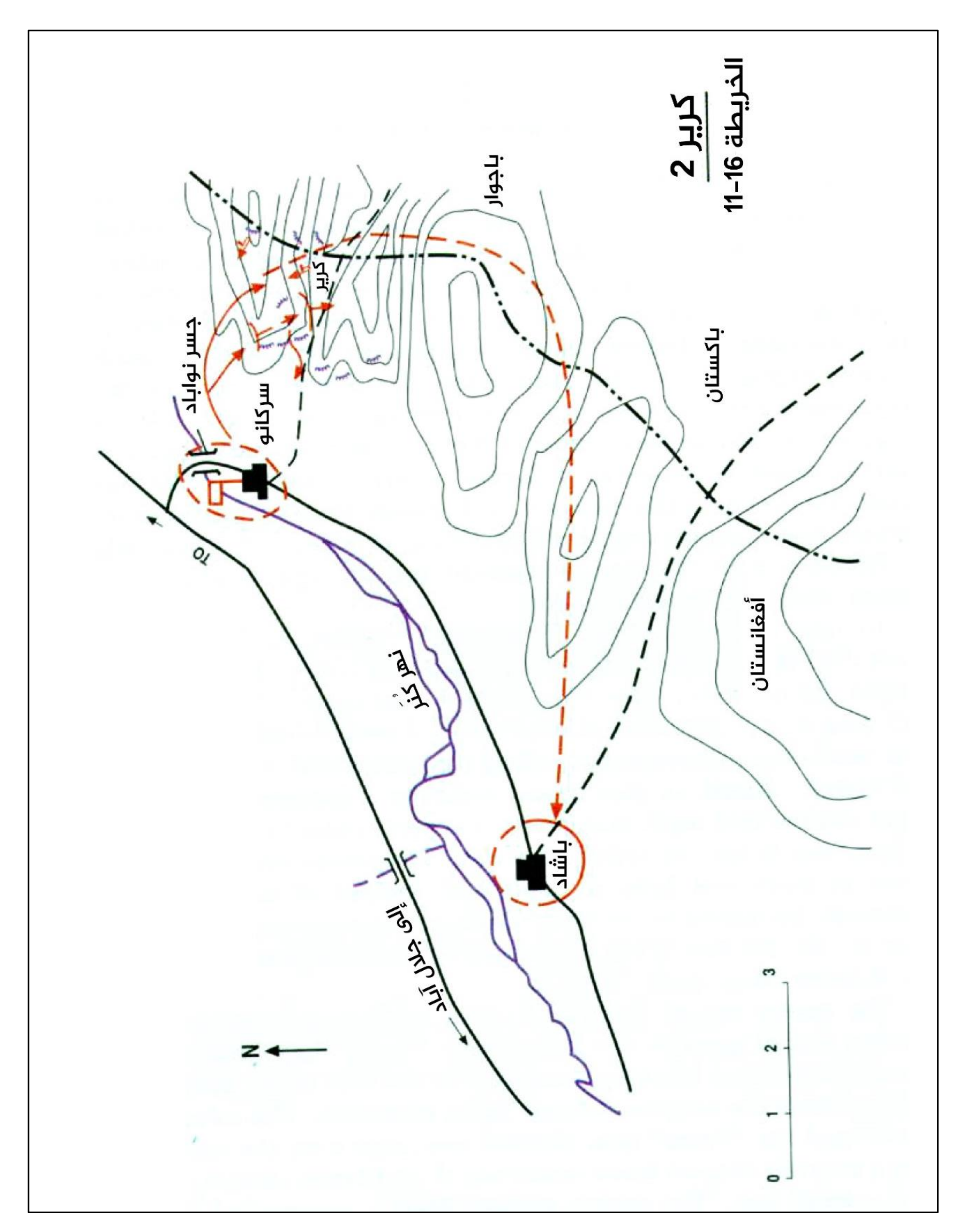
لقد فقدَ المجاهدون في البدايةِ المُبادرةَ لصالحِ العدو، إلا أنَّ السُّوفييت فشلُوا في الحفاظِ عليها، وفقدُوها نتيجةَ مناورةِ احتياطِ المجاهدين وراءَ الحُدود من المُؤخّرة، ممَّا حسمَ نتيجةَ المعركة. الجديرُ بالذِّكرِ أنَّ حربَ العصابات لا تختلفُ عن الحربِ التَّقليديةِ في فكرةِ ضرورةِ وجودِ الاحتياطِ القادرِ على قلبِ المجرَيات، عبرَ زَجّهِ بسرعةٍ وفعاليَّةٍ في أتونِ المَعركةِ قبلَ أنْ يستطيعَ العدوُّ تعزيزَ نجاحاتِهِ التَّكتيكيَّة.

المقالة 13: معركةُ كرير الثَّانية

روايةُ القائدِ أسدُ الله

في أواخرِ عامِ 1987م، حينَ بدأت القوَّاتُ السُّوفييتيَّةُ بالتَّحضيرِ لانسحابِها من أفغانستان بموجبِ المفاوضات، قامَت بشنِّ هجماتٍ استعراضيَّةً لخدمةِ حملتِهم الدِّعائيَّة التي أرادُوا من خلالِها تسويقَ قدرتِهم على هزيمةِ المجاهدين في جميعِ أرجاءِ أفغانستان. وإلى هنا حيثُ نتحدَّث، كانَ السُّوفييت قد نفَّذُوا عمليَّةَ الحزم في ولايةِ بكتيا لفتح طريق غرديز- خوست المنيع. وفي الوقتِ نفسِه، هاجمَ السُّوفييت قواعدَ المجاهدين الرَّئيسيَّة على الحدود، ففي ولاية كُنَر، هاجَمت قوَّاتٌ سوفييتيَّةٌ وأفغانيَّةٌ قاعدةَ المجاهدين في كرير ودمَّرتها، وبدا كأنَّهم كانُوا يريدون إنشاءَ مركزٍ أمنيٍّ حدوديٍّ في جبلِ "سبينا تسوكا" على الحدودِ مع باكستان، وذلك للسَّيطرةِ على طُرُقِ التَّهريب الرَّابطةِ بينَ ممَرِّ "نوا" و"غونجغال" وأوديةٍ أخرى في باكستان، وبينَ طريقِ "سركانو" وأوديةِ "شنكراي" و"شالاي" و"أولاي" في أفغانستان.

في أواخرِ ديسمبر/كانونَ الأول عامَ 1987م، وَرَدتني تقاريرُ استخباراتيَّةٌ تفيدُ بأنَّ أرتالاً أفغانيَّةً يقودُها السُّوفييت ستهاجمُ قواعدَ كرير، ولكن لم يعلمْ مُخبرونا متى سيحدثُ الهجومُ بالتَّحديد. كانَ معي وقتَها هناك 170 عنصراً في فوجي، فأنشأتُ مراكزَ أمنيَّةً، وأجريتُ عمليَّاتِ استطلاعٍ على طولِ الطُّرُقِ المُتوقَّع قدومُ الهجومِ منها. وبناءً على تصرُّفاتِ العدوِّ السَّابقة، توقَّعتُ أن يتجنَّبَ العدوُّ الهجومَ والمناورةَ الليلية، وأن يبدأَ الهجومَ فجراً أو بعدَ الفجرِ بقليل، وأن يمرَّ من مُقترب الوادي، إلا أنَّ العدوَّ فاجَأني وخالفَ كلَّ توقُّعاتي، حيثُ اختارَ هذهِ المرَّةَ التحرُّكَ والهجومَ الليلي. وبدلاً من العبورِ عبرَ الوادي، ذهبَ إلى الجانبِ الشَّماليِّ من الجبل، وهاجمَ منه، ليتجنَّبَ دافعاتِنا الأماميَّةِ وَيُبلبِلَها. (خريطة 11-16- كرير 2)



تَحَرَّكَ العدوُّ من سركانو ليلاً في رتلين اثنين، أحدُهما تحرَّكَ نحوَ قاعدةِ "فتحه"، بينما تحرَّكَ الآخرُ بمناورةٍ التفافيَّةٍ عميقةٍ نحوَ مؤخّرةِ دفاعاتِنا، وحاولَ صعودَ جبلِ سبينا تسوكا. صعدَ الرَّتلُ الأوَّلُ إلى حرفِ الجبلِ من شرقِه، حيثُ كانت هناكَ نقطةٌ أمنيَّةٌ يشغلُها من 10 إلى 12 مجاهداً نائمين في خيمةٍ وكوخٍ صغيرٍ، فتسلَّلَ جنودُ العدوِّ نحوَ الحارسِ وقتلُوه بصمتٍ بينما كانَ البقيَّةُ يغطُّونَ في نومٍ

عميق، فأُخِذوا على حينِ غرَّة. وحينَ بدأ العدوُّ بقتلِهم فزعَ بعضُهم من نومِهِ وحدثَ تبادلٌ لإطلاقِ النَّار، إلا أنَّ مُجاهدي "فتحه" قُتِلُوا عن آخرِهم.

نبَّهَ ضجيجُ إطلاقِ النِّيرانِ بقيَّةَ المجاهدين في كرير، ولم يصلِ الرَّتلُ الثَّاني إلى قمَّةِ جبلِ سبينا تسوكا بعد. فشغلَ رجالي مواقعَهم القتاليَّة، وتلقَّوا العدوَّ المقترب بالنِّيرانِ الثَّقيلة، فاندلعَ قتالٌ عنيفٌ طوالَ اللَّيل. كانَ رتلُ العدوِّ الثَّاني قد انغمسَ عميقاً في مواقعِنا، إلا أنَّنا استطعنا قطعَ طُرُقِ انسحابِه، وتوقعْنا حينها أن نُوقِعَ العدوَّ في مَقتلةٍ في حالِ حاولَ القتالَ لإعادةِ فتح طرقِ الانسحاب. إلا أنَّه بدلاً من ذلك، أكملَ طريقَه عبرَ الممرِّ الجبليِّ حتَّى عادَ عبرَ طريقٍ مطوَّلٍ إلى باشاد الواقعةِ على بُعد 20 كيلومتراً جنوبَ غربَ سركانو، ولم نتوقَّع أنَّ العدوَّ سينسحبُ عبرَ هذا الاتِّجاه.[195]

أثناءَ ذلك، وجَّه المجاهدون نيراناً كثيفةً نحوَ الأعداءِ في قاعدةِ "فتحه"، فبدأ العدوُّ بالانسحابِ منها نحوَ سركانو. ومعَ الفجر، انسحبَ العدوُّ من قاعدةِ كرير مُخلياً جرحاهُ وقتلاهُ، وقد بلغَت خسائرُ المجاهدين 18 قتيلاً و20 جريحاً (ربعُ قوَّاتي كما في العملية السَّابقة)

195 المركز: كانت عملية هروبٍ إلى الأمام.

التَّعليق:

لقد أحسنَ قائدُ القوَّاتِ السُّوفييتيَّةِ والأفغانيَّةِ المهاجِمة في هذهِ المعركة بتحليلِه نمطَ القتالِ المتَّبع سابقاً من قِبَلِ القادةِ الذين سبقُوه. وبالاستفادةِ من قَولبة (جمود) تفكيرِ المجاهدين الدِّفاعيّ استطاعَ القائدُ الأفغانيُّ مباغتَةَ المجاهدين على الرُّغم من بلوغِهم خبرَ الهُجومِ الوشيك. وقد علِمَ قائدُ العدوِّ بأنَّ المجاهدين متأكدينَ من تردُّدِهم عن القيامِ بهجومٍ ليلي، ومُتَّكلين على تضاريسٍ سهلةِ التَّعرُّفِ في التَّحرُّكات اللَّيلية. ولذا، تمكَّنَ العدوُّ من التَّسلُّلِ اللَّيليّ عبرَ مقتربات غيرِ متوقَّعة، مُحقّقاً مفاجأةً تكتيكيَّةً ومبيداً نقطةً أمنيَّةً مهمَّةً للمجاهدين بدون مقاومةٍ تُذكَر. مع ذلك، فعلى ما يبدو أنَّه قد أخفقَ في التَّنسيق بينَ الرَّتلين، ممَّا أفشلَ هجومَه مُبكّراً، وحرمَ الرَّتلَ الثَّانيَ من تحقيقِ أيِّ مكسب. ولو أنَّ الرَّتلين قد وَصَلا إلى مواقِعِهما وشَنَّا هجومَهُما مُتزامنين، لحقَّقا في الغالبِ نتائجَ أفضل.

على الرُّغمِ من بلوغِ التَّحذيرات للمجاهدين، إلا أنَّهم كانُوا نائمين في المركزِ الأمنيِّ الحسَّاس، وذلك لاعتيادِهم على نمطٍ قتاليٍّ معينٍ من قِبَلِ عدوِّهم. إلا أنَّ المجاهدين قد أحسنُوا التَّصرُّفَ بمجرَّدِ بلوغِهم الإنذارَ بوصولِ العدو، لاسيما على ما صنعُوه من قطعِ الطَّريقِ الذي كانَ متوقَّعاً لهروبِ العدو. وإمَّا أنَّ قيادةَ العدوِّ قد وضعَت في خطَّتِها الأصليَّةِ خطةَ الانسحابِ عبرَ جبلِ باشاد، أو أنَّ قرارَ الانسحابِ عبرَ هذا الجبلِ قد اتُّخِذَ في لحظتِه؛ وعلى أيَّةِ حال فإنَّ هذا التَّحرُّكَ قد أنقذَ القوَّةَ من وقوعِها في مجزرةٍ مُحقَّقة. ولو استطاعَ المجاهدون قطعَ هذا الطَّريق، لواجَهَت قوَّةُ العدوِّ مُشكلةً عَويصةً جداً ولتعرَّضَت للإبادة.

المقالة 14: سقوط معسكر "تشاغني"

رواية القائد عبد الرزاق والحاج بير محمد وأمير محمد[196]

تقعُ قاعدةُ تشاغني في مديريَّة "شاهر صفا" على بُعْدِ عشَرةِ كيلومتراتٍ من الطَّريقِ السَّريع (1) الذي يمثِّلُ الطَّريقَ الرَّئيسيَّ بينَ كابول وقندهار. كنَّا عادةً ننصبُ الكمائنَ على الجهةِ الجنوبيَّةِ من هذا الطَّريق، وذلك لأنَّ الجهةَ الشَّماليَّةَ منه كانت مَكشوفةً بين "شاهر صفا" و"قلعت". وكانَ هناك مكانٌ واحدٌ صالحٌ لنصبِ الكمائن في جزءٍ من الطَّريقِ امتدادُه ستَّةُ كيلومتراتٍ، حيثُ كانَ يوجدُ بموازاتِه قاعُ مَجرًى نهريٍّ جاف، وقد مَكَّن هذا أنْ يختبئَ عدد كبيرٌ من المجاهدين في الأراضي المُرتفعةِ الكاشفةِ للطَّريق، في الوقت الذي تكونُ فيه عرباتُ المُرافقةِ والحمايةِ -التي تكون عادة مع الأرتال- عاجزةً عن عبورِ قاعِ المَجرى لمهاجمةِ مكامنِ الثُّوار، حيثُ كانت جُدرانُ ضِفافِ النَّهرِ شديدةَ الانحدار.

وعلى الرُّغمِ من معرفتِنا بعدمِ إمكانيَّةِ عبورِ أيِّ دبَّابةٍ أو ناقلةِ جندٍ مدرَّعةٍ للنَّهر، فقد لغَّمْنا المساحةَ بينَ الطَّريقِ والنَّهرِ الجاف احتياطاً في جميع الأحوال، كما أنَّ الجُرُفَ الصَّخريَّ لجبلِ "علي خان" كانَ يحمي انسحابَنا. وإضافةً إلى ذلك، لم تكن هناك قرى أو قرويون مُجاورون ليوصِلُوا تحذيراتٍ للعدوِّ حولَ وجودِنا. فما كانَ منَّا إلا أن بنيْنا مواقعَ قتاليَّةً دائمةً في هذا المكان، لنوقعَ العدوَّ في كمائنَ مُتتاليةٍ، لا ينفكُّ فيها عن الغفلةِ والوقوعِ في المفاجأة دائماً. وكان عادةً ما يصلُ العدوُّ آخرَ الظُّهر لكونِه كانَ ينطلقُ من كابول قرابةَ السَّاعة 08:00.

---

[196] كان عبد الرزاق قياديَّاً كبيراً في منطقة قندهار. وعمل تحتَه العديدُ من قياداتِ طالبان الحالية. شملت منطقةُ سيطرتِه مديريَّة شاهر صفا شمالَ شرقَ قندهار. [Map sheet 2280, vie grid 6016]

كان الحاج بير محمد قائداً ثانويَّاً تحتَ إمرة عبد الرزاق في منطقة قندهار.

أمير محمد هو مقاتلٌ في مجموعة عبد الرزاق.

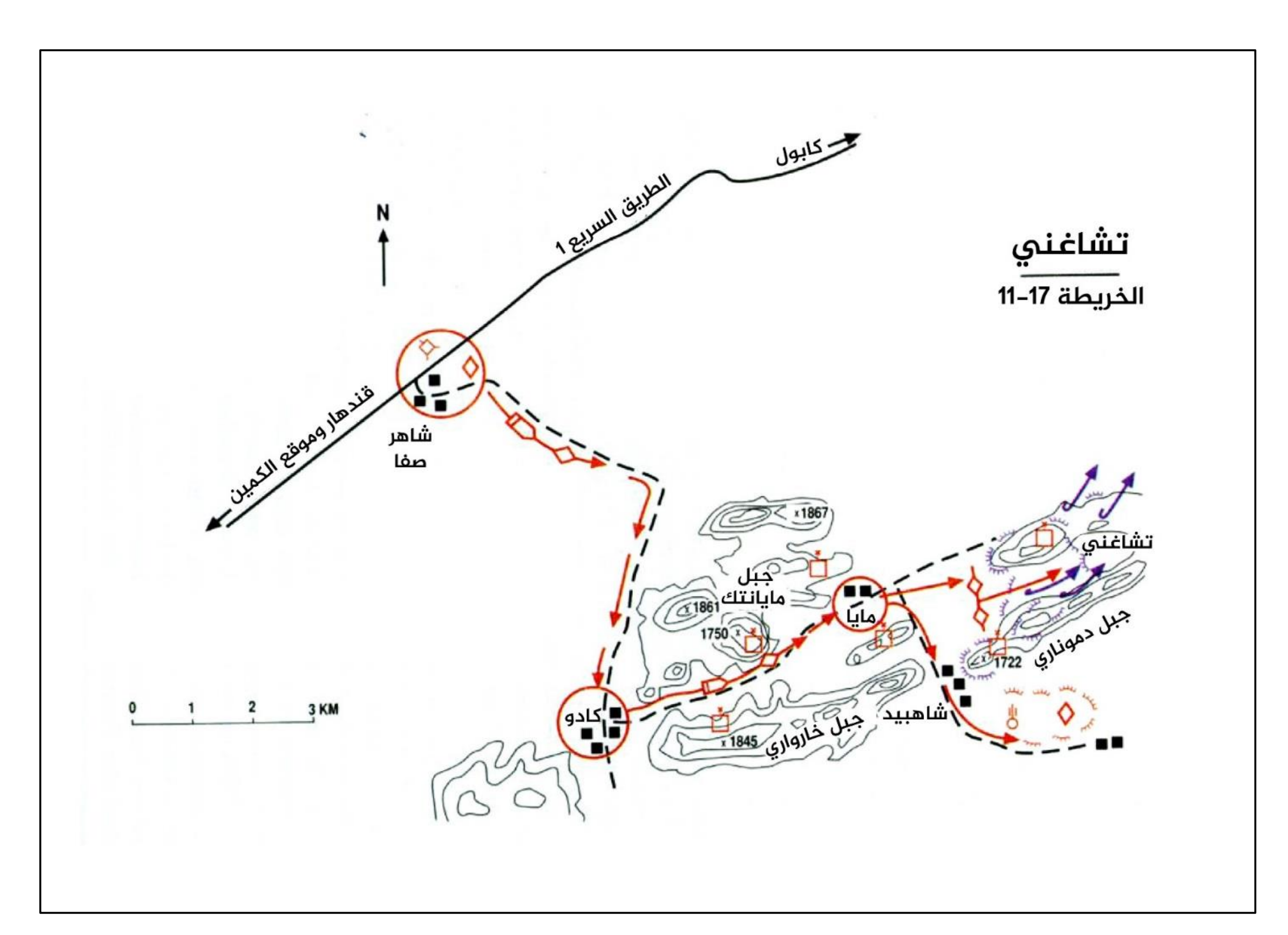
كانَ العدوُّ عادةً ما يرسلُ دبَّاباتٍ وعرباتِ بي أم بي وناقلاتِ جنودٍ مُدرَّعةٍ لمرافقةِ القوافل، وكُنَّا قد اعتدْنا نصبَ أسلحتِنا الثَّقيلة على مُرتفعاتٍ خلفيَّة عاليةٍ وملائمةٍ، بينما كنَّا نقدِّم الأسلحةَ الصَّغيرة إلى الأمام.

في النُّقطة التي كنَّا نُنفِّذُ فيها كمائنَنا، كانَ هناك طريقٌ واحدٌ يقطعُ منطقتَنا ويمرُّ من خلالِ قاعِ المَجرى النَّهري، إلا أنَّنا لغَّمناه احتياطاً. كانت ردَّةُ فعلِ العدوِّ المُعتادةِ على كمائِننا، الهروبُ من الطَّريقِ شمالاً للخروجِ من مدى أسلحتِنا، ولم يحاولُوا أبداً مهاجمتَنا. وعادةً ما كانت تُصبحُ شاحناتُهم بينَ مدمَّرَةٍ ومحترقةٍ، لتعمَّ الفُوضى طولَ الطَّريق. وبينما يحاولُ كلٌّ من عناصرِ العدوِّ النَّجاةَ بنفسه، كانت دبَّاباتُهُ وناقلاتُهُ ترمي النِّيرانَ بشكلٍ عشوائي، ولم يكن يُنزلُ قوَّاتٍ راجلةً للتقدُّمِ إلى الأمامِ أبداً، بل كانَ ينتظرُ وصولَ الطَّائرات الحربيَّةَ لتقومَ بانقضاضاتٍ هجوميَّة، ولم تكنِ الأخيرةُ تصلُ إلا متأخِّرَةً بعدَ حلولِ الظَّلام. والحقيقةُ أنَّ قاعدةَ تشاغني ومجموعتَنا قد كانت شوكةً مُؤلمةً في خاصرةِ العدو.

في العامِ نفسهِ الذي استولى فيه السُّوفييت على قاعدةِ وادي الإسلام (إسلام دره) في شهرِ أكتوبر/تشرين الأول عام 1985م[197]، استولَوا أيضاً على تشاغني. وكانَ قائدُنا عبدُ الرَّزاقِ وقتَها في زيارةٍ للمجاهدين بقندهار وهلمند، بينما اتَّخذَ المُمَثِّلون الآخرين لفصيلنا "بيشاور" مقراًّ لهم. وفي الساعة 04:00، ألقى العدوُّ مشاعلَ إضاءةٍ أحالَت ليلَ المنطقةِ نهاراً، بينما كانَ الجميعُ في تشاغني نائمين مَا عَدا الحُراس، وأعقبَ ذلكَ تمهيدٌ بسلاحِ الرَّاجماتِ والطَّائرات. وفي الصَّباحِ الباكِرِ، جاءَت المِروحيَّاتُ وأنزلَت قواتٍ في أربعِ مناطقِ هبوطٍ (خريطة 11-17 - تشاغني). وشاركت 45 مروحيَّةً في هذهِ العمليَّة، لتقومَ بعمليَّات إنزالِ الجنودِ في أربعِ مناطقَ على المُرتفعات، تؤمِّنُ من خلالِهم أجنابَ القوَّاتِ السُّوفييتيَّةِ المقتحمةِ من الدَّبَّابات والمُشاة. وحينَ أبلغَتْها قوَّاتُ الاقتحامِ الجويِّ بأنَّ الطَّريقَ سالكٌ، تحرَّكَت الدَّباباتُ والمُشاة الميكانيكيَّةُ من "شاهر صفا". لقد كانَ التَّمهيدُ الجويُّ والمدفعيُّ عنيفاً جداً إلى الحدِّ الذي تصوَّرُوا فيه أنَّه لم يبقَ أحدٌ منَّا على قيدِ الحياة.

---

[197] المركز: في الأصل كتب المؤلف خطأً بأنَّ الاستيلاءَ حدثَ عام 1986م.



كانَ السُّوفييت قد انتقلُوا مسبقا من قندهار إلى شاهر صفا، والآن أتى رتلُهُم البريُّ من شاهر صفا جنوباً مُتَّجِهاً نحوَ "كادو"، حيثُ تحوَّلُوا شرقاً في الوادي الضَّيِّقِ بينَ جبلِ "مينتك" وجبلِ "خاروازي". وقامَت قوَّاتُ الاقتحامِ الجويِّ التي نزلَّت على هذهِ المُرتفعاتِ بحراسةِ المَمَر، بينما كانتِ القوَّاتُ البرِّيَّةُ تَتَحرَّكُ ببطء شديدٍ انتظاراً لقوَّاتِ الاقتحامِ الجويِّ التي كانت تتنقلُ بينَ المُرتفعاتِ وتعملُ على تأمينِ المَمر. وصلَ العدوُّ إلى كادو صباحاً، واستغرقَتِ الرِّحلةُ من السَّاعة 08:00 إلى 16:00 ليقطعُوا مسافةَ 11 كيلومتراً من كادو إلى قاعدِتنا. وفي نهايةِ الوادي كانت هناكَ قريةُ "مايو"، وهنالك انقسمَ الرَّتل البريُّ، فاستمرَّ الجزءُ الرَّئيسيُّ بالسَّيرِ شرقاً نحوَ قريةِ "باندا كي".

كانت قاعدتُنا شرقَ باندا كي واقعةً في العُنُقِ بينَ جبلِ "كا كي" وجبلِ "دوموناراي". ومرَّةً أخرى، عملَت قوَّاتُ الاقتحامِ الجويِّ انطلاقاً من المُرتفعاتِ لحمايةِ المَمَرِّ أمامَ رفاقِهم، بينما عملَ الجزءُ الثَّاني من الرَّتلِ على القيامِ بعمليةِ التفاف، حيثُ التفَّت قوَّاتُه نحو الجنوبِ من "مايو" عبرَ قريةِ "شاهدبيد"، ثمَّ سارَت إلى جنوبِ جبلِ "دوموناراي" لغلقِ منافذِ الهُروب واتِّخاذِ مواقعَ مناسبةٍ لرمي قاعدتِنا.

وصلت دبَّاباتُهم قاعدتَنا بعدَ الظُّهر. وحينما اقتربُوا من مواقعِنا، قامُوا بإنزالِ قوَّات اقتحامٍ جويٍّ في منطقةٍ خامسةٍ وسادسةٍ، ولم يكن ذلكَ بغرضِ تأمينِ تقدُّمِهم فحسب، بل للقيامِ أيضاً بعمليَّةٍ هجوميَّةٍ نحوَنَا انطلاقاً من المُرتفعات. كانَ "الحاج بير محمد" موجوداً على متنِ رشَّاش 14.5 مُثبَّتٍ على قاعدةٍ ثابتةٍ في تلةِ 1722، بينما اشتبكَ "أمير محمد" أيضاً مع مروحيَّةٍ قادمةٍ نحوَه لكنَّه لم يستطعْ إصابةَ الهدف، فعبرَت المِروحيَّةُ قمَّةَ التلَّةِ حيثُ كانَ عبدُ الغني يكمُنُ لها حاملاً قاذفَ الآر بي جي، فصرخَ الأخيرُ يُخبرنا بأنَّ المِروحيَّة كانت تُنزِلُ جنوداً وأنَّه سيتعاملُ معَها، فضربَها بقذيفةِ آر بي جي، وحينَ أصابَها لم يخرج منها إلا أربعةُ جنودٍ أو خمسة، بينما بقيَ حطامُ المروحيَّة هنالك لأكثرَ من سنةٍ.

كنَّا قد نَشَرنا قوَّاتِنا بغرضِ تسليطِ أقصى ما يمكنُ من القوَّةِ النَّاريَّةِ على العدو، وذلك باستخدامِ سبعةِ مدافعَ من عيار 82 ملم عديمةِ الارتداد، وخمسةِ رشَّاشات 14,5 ملم مثبَّتةٍ على قاعدةٍ ثابتة، وستَّةِ رشَّاشاتِ دوشكا، والعديدِ من قواذفِ الآر بي جي-7، كما كانَ بحوزتِنا بعضُ مدافعِ الهاون، إلا أنَّنا كنَّا لا نستطيعُ استخدامَها الاستخدامَ الأمثل لأنَّ هذه الهاونات خاصَّةٌ بالأهدافِ الثَّابتةِ لا المتحركة. لذا فقد استخدمْنا غالباً خلالَ القتالِ مدافعَنا عديمةِ الارتدادِ وقاذفاتِ الآر بي جي ضدَّ عرباتِهم المُدرَّعة، وكنَّا قريبين من العدوِّ إلى درجةِ أنَّنا كنَّا نسمعُ كلامَ الرُّوس فيما بينهم، وقد سَمِعْناهم ينادون عبرَ مُكبِّرات الصَّوت عارضين الاستسلام علينا ما دُمنا في مأزقٍ مَيؤوسٍ منه، وأخبرونا أنَّنا سنواجه الموتَ لا محالة، وكانَ النِّداءُ بلغةِ البشتون عبرَ عملائِهم الأفغان، فكانَ ردُّنا بالنَّار، إذ قمْنا بتدميرِ سبعِ عرباتٍ بينَ دبَّابةٍ وناقلةِ جنودٍ مُدرَّعة، كما أسقطْنا طائرةً حربيَّة. كَثَّفَ العدوُّ بعدها من رماياتِه، وبينما كانَ يهجمُ علينا، كانت قوَّاتُه تُظهرُ مواقعَها للطَّائرات عبرَ إطلاقِ الدُّخانِ الأحمر، وهذا ما منعَ حدوثَ مقتلةٍ بينهم بالنِّيرانِ الصَّديقة.

حلَّ الظَّلام علينا، ومعَ فُقدانِنا للقيادةِ والسَّيطرة على المقاتلين، بدا كُلُّ شيءٍ حولنا فوضيًّا ومُحيّراً، فلم نعلم أينَ السُّوفييت وأينَ المجاهدون. ولكنَّنا قاتلْنا على أيَّةِ حال حتَّى السَّاعة 02:00 أو 03:00. ومعَ نفاذِ ذخيرتِنا تسلَّلنا لِواذاً نحوَ الشَّمالِ الشَّرقي. أمَّا بالنِّسبةِ لبير محمد، فقد كانَ يقفُ قربَ أحدِ أصدقائِه المُقرَّبين منه، فقُتل، فحملَ بير محمد جثَّتَهُ إلى مُرتفعٍ وخبَّأها في مكانٍ آمن، ثمَّ غادَر المنطقة.

كانَ هناك 220 مجاهداً في القاعدة، قُتِل منهم 22 وواحدٌ، بينهم واحدٌ كانَ ضيفاً على القاعدة جاءَ في الليل، بينما هَرَبَ معظمُ الـ 198 الباقين نحوَ الشَّمالِ الشَّرقي. وقد سيطرَ السُّوفييت وقتَها على القاعدة، فمكثُوا فيها 24 ساعةً ينهبون ويدمِّرون مرافقَها بكلِّ ما استطاعُوا من قوة.

وقبلَ أن يغادرَ القائد "رزاق" بلدةَ "تشاغني"، أرسلَ طليعةً لكشفِ الطَّريق، فأبلغوهُ بأنَّ الطَّريقَ من قندهار وأرغستان قد تمَّ إغلاقُه، ثمَّ أعادَ إرسال الطَّلائع في اللَّيلةِ التَّالية، فأبلغُوهُ أيضاً بأنَّ الطَّريقَ لا يزال مغلقاً. وبعدَها بيومٍ واحدٍ معَ اقترابِ نهايةِ الظَّهيرة، ارتحلَ إلى بلدة "شاهر صفا" بالجرَّار، فَسَلَكَ شمالاً نحوَ الجبال، ثمَّ استدارَ ليمشيَ على طولِ وادي أرغنداب نحوَ قندهار، وقد استغرقَت منه هذهِ الرِّحلةُ خمسةَ أيامٍ.

وفي قندهار، شاهدَ "رزاق" مطارَها في غايةِ الازدحام، وأسرابُ الطَّائراتِ داخلةٌ إليه وخارجةٌ منه. كما وصلتْه الأخبارُ بأنَّ قوَّاتٍ بَرِّيَّةً من العدوِّ قد غادرَت واتَّجهَت نحوَ الشَّمالِ الشَّرقي. ووقتَها كانَ يعاني من فقدانِ الاتِّصالاتِ مع قوَّاته. وفي آخرِ الظَّهيرة، علمَ بأنَّ القتالَ قد تركَّزَ في قاعدتِه، فارتحلَ إلى قواعدِه الأخرى في قندهار، وجمعَ المجاهدين وراجماتِ الصَّواريخ. وسلكَ بعدَها طريقاً مُلتوياً عائداً إلى قاعدتِه، إلا أنَّه معَ وُصولِه إلى "شاهر صفا"، علمَ برحيلِ السُّوفييت فسَرَّح تعزيزاتِه التي كانَ قد أتى بِهَا من قندهار ثمَّ عادَ إلى "تشاغني". كُلُّ من رحلَ عن المنطقةِ في هذه العمليَّةِ كانَ قد نَجا، أمَّا من بقيَ فقد ماتُوا جميعاً. لقد كانت فوضىً عارمةً، فكُلُّ شيءٍ إمَّا مُدَمَّرٌ أو مُتضرِرٌ، وكانت الشِّراكُ والألغامُ منثورةً في كلِّ مكانٍ عبرَ المنطقة. وبالتَّدريج، بدأَ النَّاجون بالعودةِ للمنطقة، وقرَّرَ القائدُ "رزاق" بأنَّه ليسَ من الآمنِ إقامةُ قاعدةٍ ثابتةٍ ودائمة، فقرَّر تحويلَها لقاعدةٍ مُتنقِّلةٍ من 50 رجلاً فقط. وبعدَ خمسةِ أيَّامٍ من دفنِنا لقتلانا حَملنا 150 صاروخاً وانطلقْنا لطلبِ الثَّأرِ لننتقمَ من مطار قندهار.

وبعدَ حَوالي أُسبوعين وفي إحدى الليالي، استطعْنا تخبئةَ صواريخِنا إمَّا في مخابِئَ أو في منازلٍ آمنة أو من خلالِ دفنِها تحتَ الأرضِ قُربَ "نير خوشاب" شمالَ المطار، وقد نفَّذنا هذا العملَ في غايةِ السِّرِّيَّةِ حتى لا يكتَشِفَ السُّكانُ المحليونَ خطَّتنا للقصف. ثمَّ في اللَّيلةِ التَّالية، نصَبنا الـ 150 صاروخاً

وَوَجَّهناها نحوَ المطار، معَ ربطِ الصَّواريخ بآليَّةِ تحكُّمٍ بالإطلاقِ عن بعد. وقد كانَ التَّحكُّمُ عن بعدٍ أمراً لا مناصَ منه، حيثُ كانَ من المُستحيل علينا البقاءُ في منطقةٍ مَكشوفةٍ بعد تنفيذِنا للرِّمايات.

انطلقَت الصَّليةُ (الرشقة) الأولى ليلاً مؤلَّفةً من 50 صاروخاً، فانطلقَ الطَّيرانُ بعدَها مُباشرة ليقصفَ المنطقةَ عشوائياً. ثمَّ معَ شروقِ الشَّمس، انطلقَت الصَّليةُ الثَّانيةُ من الصَّواريخ، ثمَّ بعدَها بساعةٍ حوالي 07:00، انطلقَت الصَّليةُ الثَّالثة. وبعدَ كُلِّ صليةٍ كانَ الطَّيرانُ يحلّقُ ليقصفَ المنطقةَ قصفاً عشوائيَّاً على الرُّغم من خلوِّها من المجاهدين. وبعدَ الصَّليةِ الثَّالثة، أرسلَ العدوُّ عرباتِه المُدرَّعَةَ لتطويقِ المنطقة، ودفعَ مُشاتِه للبحثِ فيها، فلم يجدُوا فيها غيرَ منصَّاتِ إطلاقِ الصواريخ.

كانت جلُّ خسائرِ السُّوفييت على مُستوى الطَّائراتِ ناجمةً عن قصفِها بالصَّواريخ وهي رابضةٌ على الأرض، لا عن إسقاطِها بالدِّفاعِ الجويِّ وهي محلّقةٌ في السَّماء. وقد بلغنا فيما بعد أنَّ هُجومَنا هذه المرة قد كلَّفَ العدوَّ العديدَ من الطَّائرات. قبلَ مجيءِ الستينغر، كنَّا نعتمدُ على صواريخ SA-7 (ستريلا 2) وقد أثبتَت ضعفاً شديداً في فعَّاليَّاتِها، حيثُ لم نستطع إسقاطَ سوى طائرتين بها في منطقةِ قندهار.



صاروخ ستريلا 2

التعليق:

كانَ تقدُّمُ السُّوفييت نحوَ تشاغني بطيئاً، إلا أنَّهم تعلَّموا في النِّهايةِ السَّيطرةَ على المُرتفعات قبلَ التَّقدُّمِ بقوَّاتِهم على الأرض، ويبدو أنَّهم هذهِ المرَّةَ كانُوا مَدعُومين جيّداً بالمعلوماتِ الاستخباراتيَّة. ومعَ ذلك، لم يُغلقِ السُّوفييت جميعَ مَنافذِ الهروب، فتملَّصَ معظمُ المجاهدين من المنطقة.

من ناحيةٍ أخرى، افتقدَ المجاهدونَ للاستطلاعِ الجيِّد، ما أدَّى لوقوعِهم في المُباغتة. وعلى الرَّغم من هذا، فقد كانَ للمجاهدين الوقتُ الكافي لضربِ العدوِّ أو إخلاءِ القاعدة في الوقتِ الذي كانَ فيهِ السُّوفييت يتقدَّمونَ ببطءٍ، كما أنَّهم لم يتَّخذُوا إلا القليلَ من الإجراءاتِ الاحترازيَّة، ولم يستشرِسُوا في وجهِ التَّقدُّمِ السوفييتيِّ، إضافةً إلى أنَّهم قد أظهرُوا نَقصاً في القيادةِ والسَّيطرةِ على المُقاتلين، وذلك نتيجةَ غيابِ قائدِهم وغيابِ التَّسلسلِ القياديِّ الفاعل. وفوقَ ذلكَ كلِّه، لم يدربِ القائدُ طواقمِ مدافعِ الهاونِ التَّابعةِ له على رمايةِ الأهدافِ المُتحرِّكة.

التعليق على الفصل

كانَ لملاذاتِ المجاهدين الآمنةِ في باكستان وإيران أهميَّةٌ جوهريَّةٌ في نجاةِ قوَّاتهم، وتحديداً باكستان التي كانت تمثِّلُ المَمَرَّ الرئيسيَّ لمعظمِ المُساعدات الخارجيَّة. وقد ساعدَت هذهِ المَلاذات المجاهدين على إيواءِ عوائِلهم، وإعادةِ التَّزوُّدِ بالإمدادات والتموينات، ومعالجةِ الجرحى، وممارسةِ التَّدريبات، وبيع غنائمِ الحرب لدعمِ مَعَاش عوائِلهم، ونيلِ قسطٍ من الرَّاحة، وتبادُلِ المعلومات الاستخباراتيَّة والتَّكتيكية. كما قدَّمت باكستان للثُّوارِ مُستودعاتِ تموينٍ أماميَّةً قربَ حدودِها، وبنى المجاهدون أيضاً مُستودعاتٍ أخرى كبيرةً قربَ الحدودِ من داخلِ أفغانستان، فكانت هذهِ المُستودعات هَدفاً دائماً للقوَّاتِ السُّوفييتيَّةِ والأفغانيَّة.

وفي بعضِ المناطق، أنشأَ المجاهدون مُستودعاتِ تموينٍ أماميَّة وطوَّروها وحاولُوا نقلَ معظمِ المُؤن والإمدادات إليها. أمَّا في المناطقِ المُتنازَعِ عليها، فقد اضطرَّ المجاهدون لنقلِ مراكزِ إمدادِهم بعيداً لتجنُّب وقوعِها بيدِ العدو. وفي كلِّ الأحوال، فإنَّ مراكزَ الإمدادِ الكُبرى الثَّابتة كانت تمثِّلُ نقطةَ ضعفٍ للمجاهدين، حيثُ تلزمُ قواعدُ حربِ العصابات قوَّاتِ العصاباتِ بعدمِ التَّمسُّكِ بالأرض، بينما أجبرَتِ اللوجستيَّاتُ المجاهدين في أفغانستانَ على التَّمسُّكِ بالأرض.



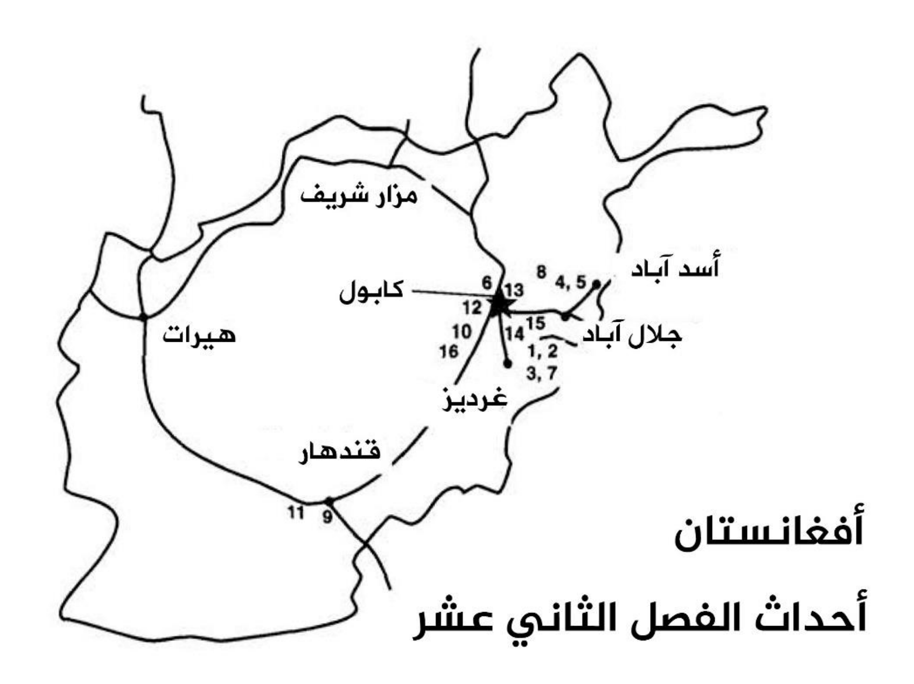
كانت دفاعاتُ المجاهدين تبنى حولَ أسلحةِ الطَّواقمِ الثَّقيلة، وصحيحٌ أنَّ الصُّورةَ المُعتادةَ للعصابات أنَّهم قوَّاتٌ صغيرةٌ يحملونَ مجموعةً من الأسلحةِ الصَّغيرة، ومعظمُ الحروبِ الثَّوريَّةِ بَدَأت هكذا، إلا أنَّ الثَّوراتِ النَّاجحةَ ستحتاجُ فيما بعد لأسلحةٍ ثقيلةٍ، وستكونُ المشكلةُ في هذهِ الأسلحةِ أنَّها هي وذخيرتُها يصعُبُ نقلُهما.

لقد أصبحَ المجاهدون في غايةِ البراعةِ على مُستوى التَّحصيناتِ الميدانيَّة، فقامُوا ببناءِ الملاجئ وطوَّروها، بحيثُ أصبحت تحميهم من القصفِ المِدفعيِّ والجويِّ العنيف. ومن ناحيةٍ أخرى، واجهَ المجاهدون طوالَ الحربِ صعوبةً في التَّعاملِ مع أنظمةِ التَّسليح الجويَّةِ والمدفعيَّة، فاضطرُّوا إلى تعلُّمِ كيفيَّةِ النَّجاةِ منها، لاسيما في حالةِ الدِّفاع، وقد ساعدَ إدخالُ صواريخِ الستينغر المُضادَّةِ للطيرانِ المحمولةِ على تحسينِ دفاعِ الثُّوارِ الجوي، كما أجبرَ السُّوفييت على تغييرِ تكتيكاتِهم الجويَّةِ لتفادي فقدانِ الطَّائراتِ الحربيَّة.

في بدايةِ الحربِ، تردَّدَ السُّوفييت في تنفيذِ اقتحاماتٍ ليليَّةٍ، وبالغُوا في الاعتمادِ على القوَّةِ النَّاريَّةِ على حسابِ المُناورة، وتردَّدُوا في العملِ بعيداً عن عرباتِهم المدرَّعة، وقد تسبَّبت كُلُّ هذه العواملِ في إعاقةِ اقتحاماتِهم التي كانُوا ينفِّذونَها ضدَّ دفاعاتِ المجاهدين. ومع استمرارِ الحرب، طوَّرَ السُّوفييت مشاةً خفيفةً أفضل، وتزايدَ اعتمادُهم على القتالِ اللَّيلي والاقتحاماتِ الجويَّةِ مُتقنةِ التَّنفيذ، وعلى عناصرِ القتالِ الأرضيَّةِ التَّكتيكيَّة، مستخدمين كلَّ هذهِ التَّطويرات على نحوٍ مشتركٍ. ومع ذلكَ فطوالَ الحرب، عانَى السُّوفييت من قلَّةِ قوَّاتِ المُشاةِ الكافية.

الفصل 12: التَّصدي للكمائن

يَتَطَلَّبُ التَّصدي لكمائنِ العدوِّ جُهداً طويلاً من التَّخطيطِ للطُّرُقِ التي سيتمُّ استخدامُها والدَّوريَّاتِ التي سيتمُّ تنفيذُها، كما يحتاجُ أيضاً بحثاً آنيّاً ومتواصلاً عن المعلوماتِ الاستخباراتيَّة، إضافةً إلى تنفيذِ تدريباتٍ ميدانيَّةٍ تَتَضمَّنُ التَّصدي للكمائنِ وتأمينِ الجنبات. ويستلزمُ التَّخطيطُ لهذهِ العمليَّاتِ ضمانَ استخدامِ الطُّرُقِ البديلة، ومعرفةَ المُدَدِ الزَّمنيَّة للمسيرات، وتطهيرَ مواقعِ الكمائنِ المحتملة، والتَّحرُّكَ عبرَ المناطقِ مع التَّنسيقِ مع القوَّات المحليَّة. كما يجبُ ضمانُ عدمِ انكشافِ تفاصيلِ التَّحركات، واتخاذُ تدابيرٍ خداعيَّةٍ لمنع وقوعِ القوَّات في كمائن.



المقالة الأولى: الوقوعُ في كمينٍ سوفييتٍ

رواية المولوي محيي الدين البلوشي[198]

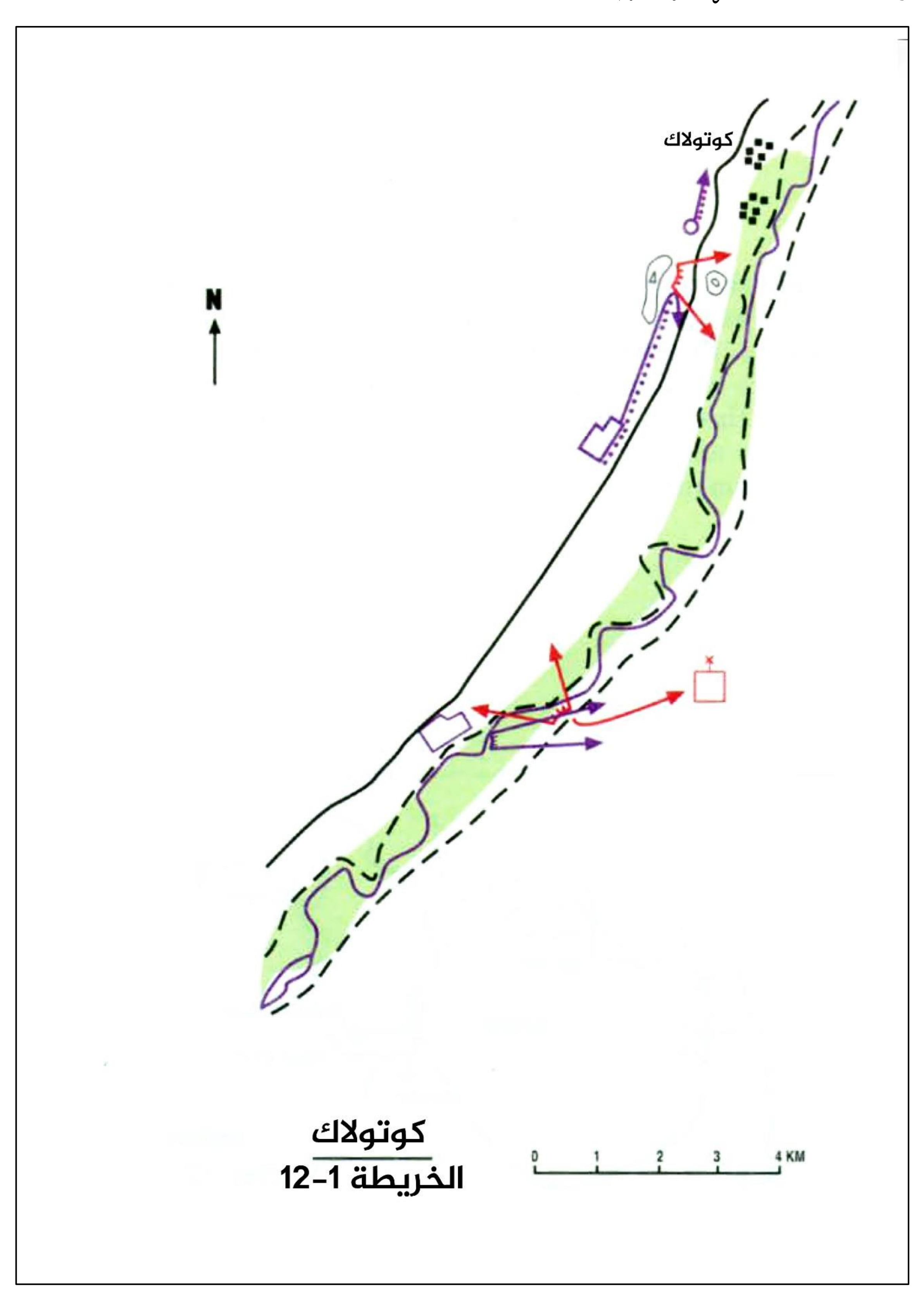
في عامِ 1983م، كانَ لدينا نصفُ شاحنةٍ من طرازِ جي أم سي لدعمِ قوَّاتنا، وكنَّا نسمي هذا النَّوعَ منَ الشَّاحنات "أهو" (يعني الغزالة)، حيثُ كانت تمتازُ بالسُّرعةِ وخفَّةِ الحركة. صادفَ وقتَها أنْ كُنَّا في شهرِ رمضان، وكنَّا مُتَّجهين من قاعدتِنا في قلعةِ "ناو" نحوَ "كوتالاك" للحصولِ على بعضِ البنزين. الجديرُ بالذِّكرِ أنَّنا كنَّا نشتري مادةَ البنزين من السُّوفييت أنفسِهم، وكانُوا هم مصدرَنا الرَّئيسيَّ لتحصيلِ مادَّة الوقود. كانت نقطةُ لقائِنا معَهم لاستلامِ البنزين شمالَ كوتولاك، فغادرْنا بعدَ الظُّهرِ مباشرةً، وقدْنا سيَّارتَنا بمُحاذاةِ النَّهرِ مُتَجنّبين الطُّرُقَ الرَّئيسيَّة (خريطة 12-1-كوتولاك)، كما كانَ معنا في الشَّاحنة شخصاً من بدوِ الكوخي[199] كانَ قد زارَنا في قاعدتِنا، فَقُمنا بحملِهِ معنا لنعيدَه إلى مخيِّمِ قريتِه. حينما بلغْنا مسافةَ عشَرة كيلومتراتٍ جنوبَ كوتولاك، رأينا مخيَّمَ البدويِّ قربَ النَّهر، فتوقَّفْنا لكي ينزلَ صاحبُنا، ولننتظرَ أيضا حلولَ الظَّلام، حيثُ كنَّا بعيدين مسافةَ 50 كيلومتراً من قاعدةٍ سوفييتيةٍ في "ديلارام"، ولا ينبغي أن نقتربَ أكثرَ من هذا القدرِ في وَضَحِ النَّهار. راقبْنا البدويَّ الكوخي بينما كانَ يدخلُ غابةً تَبعدُ عنَّا ما بينَ 500 و600 متراً في طريقِه لمخيَّمه. وفجْأةً، رأيْنا بعضَ الأشخاصِ يهاجمونَه ويجرُّونَه جانباً، لم نكن نعرفُ ما يحدثُ، وَحَسبْناه خلافاً بينَ بدوِ الكوخيين. صَرَخْنا: "ما الذي يجري؟ "، فلم يردُّوا علينا، فما كانَ منَّا إلا أن رمينْا رصاصاتٍ في الهواء، وهنا فَطِنَ أولئكَ القوم وعلِموا أنَّهم قد كُشِفوا من قِبَلِنا فبدؤُوا برمِي النِّيران علينا. تبادلْنا معَهم إطلاقَ النِّيرانِ لِمُدَّةِ

---

[198] المولوي محيي الدين البلوشي من ولاية نمروز. تقع قاعدته في لوخاي، عاصمة مديرية نهر خاش الواقعة على نهر خاش. انضم في البداية لحركة الانقلاب الإسلامي، غير أنه انضم بعدها إلى الحزب الإسلامي بقيادة خالص. [Map sheet 1680]

[199] الكوخي هم من بدو أفغانستان، وكانوا يعيشون من الرعي وتجارة الأغنام والمعز والجمال.

نصفِ ساعةٍ حتَّى جاءَتِ المِروحيَّاتُ وهبطَت خلفَ منطقةِ الغابة، فصعدُوا فيها وغادرُوا بعيداً، وقد حدثَ هذا الأمرُ آخرَ الظَّهيرة.



كوتولاك
الخريطة 1-12

لقد تبيَّن لنا أنَّنا استفززْنا كميناً للسُّوفييت عن غيرِ قصدٍ وبشكلٍ مبكِّرٍ، حيثُ كنَّا على ضفَّةِ نهرِ خاش الغربية، بينما كانت قوَّةُ الكمينِ على ضفَّتِهِ الشَّرقية. وقد كانَت دائماً كمائنُ السُّوفييت أفضلَ إعداداً وتخطيطاً من كمائنِ الجيشِ الأفغانيِّ، حيثُ كانَ السُّوفييت يُنزلونَ مجموعةَ الكمين عبرَ المروحيَّاتِ ليلاً، لكي تتحرَّك المجموعةُ إلى موقعِ الكمينِ مَشياً على الأقدام فلا يتمُّ كشفُها. والراجحُ أنَّ هذه المجموعةَ التي كشفْناها بالصُّدفة كانت على الأغلبِ منْ "ديلارام"[200]، ومن المُرجَّح أيضاً أنَّهم قد انتقلُوا إلى موقعِهم في الغابةِ اللَّيلةِ السَّابقة. لقد خنقَ السُّوفييت البدويَّ الكوكي الذي كانَ معنا، وقتلُوا كوخيَّاً آخرَ بالطريقةِ ذاتِها قبلَ هذا الحدث.

كانَ النَّهر ضَحْلاً، وبعدَ إقلاعِ المروحيَّةِ ومغادرتِها، عَبَرنا النَّهرَ للعثورِ على موقعِ الكمين، فعثرَ القروِيُّون على جُثَّتين لكوخيين مقتولين، ثمَّ عُدنا وعبرْنا إلى الضِّفَّةِ الغربيَّة، وصعدْنا إلى شاحنتِنا، وسرْنا في الطَّريق إلى كوتالاك لأنَّ الليل قد حلَّ. وعلى بُعدِ كيلومترين جنوبَ كوتولاك، كانَ السُّوفييت قد نصبُوا كميناً آخرَ في بعضِ التِّلالِ المُطلَّةِ على الطَّريق. كنَّا نتحرَّكُ ضمنَ مناطقِ العدو، فاعتقدْتُ بأنَّ الطَّريقَ خَطِرٌ، فتوقَّفْنا قبلَ التِّلال، وأرسلت سبعةً من رجالي سيراً على الأقدام طوالَ الطَّريقِ وُصولاً إلى الجانبِ الآخر من التَّلال للبحثِ إن كانَ هناكَ كمينٌ ما، فإنَّ لم يروا شيئاً، سِرنا بشاحنتِنا إلى الأمام، بينما بقيَ معي ثمانيةُ مجاهدين؛ ثلاثةٌ منهم راكبونَ في الأمامِ بمقصورةِ القيادة، والخمسةُ البقيَّةُ يركبونَ حوضَ الشَّاحنةِ الخلفيَّة. عبرَ الرِّجالُ السَّبعةُ عبرَ التِّلال وفحصُوا المنطقةَ فلم يجدُوا كميناً، وهنا أرسلُوا لنا إشارةً بصاروخِ الإشارةِ بأنَّ الطَّريقَ سَالك.

تَرَكَت مجموعةُ الكمينِ السُّوفييتيَّةِ المُشاةَ السَّبعةَ يعبرونَ من دونِ مضايقتِهم، أمَّا نحنُ فعندما رأينا صاروخَ الإشارة سِرنا مُطمئنين. وفجأةً، وكأنَّ شخصاً ما أضرمَ النَّارَ فينا، كنَّا قد دخلْنا منطقةَ قتلِ الكمين، فتطايَرَت الرَّصاصاتُ من حولِنا، وقُتِل رجلان في حوضِ الشَّاحنة، بينما قُتل آخرٌ يجلسُ بجانبي في مقصورةِ السَّيارة، كما جُرِح السَّائقُ في كتفِه، وأُصيبت إحدى عجلاتِ الشَّاحنة. حوَّلَ

---

[200] نرجح بأنهم كانوا سبيتسناز من لشكر جاه

السَّائقُ غيارَ السَّيَّارةِ (ناقل الحركة) إلى الرُّجوع، وحاولَ الخروجَ بالسَّيَّارةِ من منطقةِ القتل، فسارَ بالشَّاحنةِ ليحتميَ خلفَ تلَّةٍ صغيرةٍ، ثمَّ وقفَ عندها.

كانت الحصيلةُ مقتلَ ثلاثةٍ منَّا وإصابةَ اثنينِ آخرين. بدَّلنا الإطارَ المُصاب وغادَرنا المنطقةَ في الظَّلام، أمَّا المُشاةُ السَّبعةُ الذين تقدَّمُونا، فقد أكملُوا طَريقَهم إلى كوتولاك، ثمَّ عادُوا بعدَ ذلك فُرادَى إلى قاعدتي. والجديرُ بالذِّكر أيضا أنَّه حينما رجعتِ السَّيارة للوراءِ للخروجِ من منطقةِ القتل، سقطَ أحدُ قتلانا من حوضِ الشَّاحنة، فعُدنا في اليومِ التَّالي لنسترجعَ جُثَّتَه، فاكتشفْنا بأنَّها كانت مُلغَّمة. رمينْا حَبلاً عليها ورَبطْناه بجُثَّتِه، ثمَّ سحبْناها لمسافةٍ قصيرة، وحملْنا بعدها جثَّةَ رفيقنا بسلامْ إلى منزلِهِ لندفنَها.

التَّعليق:

في موقع الكمينِ الأوَّل، فشلَ السُّوفييت في وضع مُراقبين على الجنبات، وهذا ما جعلَهم يفاجؤُون بالمجاهدين وهُم في شاحنتِهم الواقفة، وقد تَسبَّبَ هذا الفشلُ في كشفِ كَمينهم. أمَّا في الكمينِ الثَّاني، فقد مَشت طليعةُ المجاهدين (السبعة) حولَ التِّلال، ولم يسيروا على سفحِها حيثُ كانَ موقعُ عناصرِ الكمين. ومن دهاءِ قوَّاتِ الكمين أنَّها تركَتِ الطَّليعةَ تعبرُ بسلام لتركِّزَ على الشَّاحنة. ومع ذلك، فقد فشلَ السُّوفييت في توظيفِ ألغامٍ موجَّهةٍ عن بعدٍ أو سلاحِ الآر بي جي لإيقافِ الشَّاحنةِ على نحوٍ فعَّالٍ في منطقةِ القتل. وفوقَ ذلكَ كُلِّه، لم يعلمْ قائدُ السُّوفييت حجمَ قوَّةِ المجاهدين، وبعدَ الكمين لم يطارِدهم ولم يرسلْ دوريَّةً لمعرفةِ موقعِ المجاهدين ووَضعِهم.

بعدَ الكمينِ الأوَّل، علِمَ السُّوفييت بأنَّ المجاهدين ينوونَ التَّحرُّك شمالاً. أمَّا بالنِّسبةِ للمجاهدين فقد كانَ من الواضحِ أيضاً لهم بأنَّ السُّوفييت كانُوا في المنطقة، ومع ذلكَ لم يتَّصِلُوا بمجموعاتِ المُجاهدين المحلّيَة للتَّأكُّدِ من نشاطاتِ القوَّاتِ السُّوفييتيَّةِ والأفغانيَّةِ في المنطقة، حيثُ مَنعَتِ الطَّبيعةُ الفصائليَّةُ للمقاومةِ الأفغانيَّةِ من تبادلِ المعلوماتِ الاستخباراتيَّةِ التَّكتيكية، ولعلَّ هذا الأمرَ -لو حصل- لكانَ سيحمي المجاهدين من الوقوعِ في هذهِ الكارثة.

المقالة الثَّانية: الوقوعُ في كمين "فرزا"

روايةُ القائد "صوفي لال غول"[201]

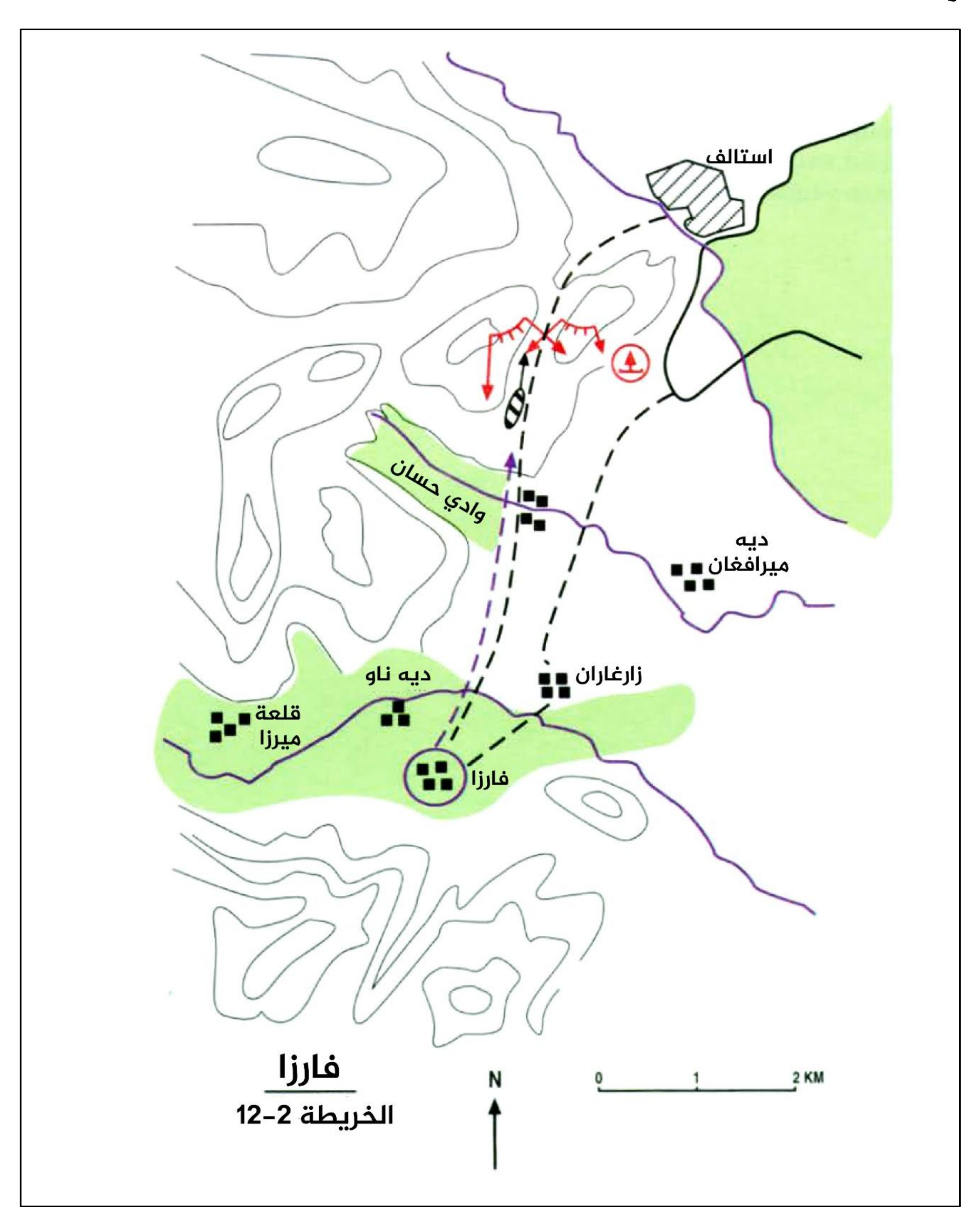
في أبريل 1984م، دُعي المجاهدون في بعضِ المناطقِ لحضورِ جلسةِ شُورى تَتَضمَّنُ مناقشةَ بعضِ القضايا المحلِّيَّةِ وتهدفُ إلى التَّوصُّلِ لصيغَ عملٍ مشتركة. حَضَرتُ و"صوفي رسول" كقائدَين للمجاهدين في فرزا. وكانت الجلسةُ ستُعقد في "استالف" على بُعدِ خمسةِ كيلومتراتٍ شمالاً، كما كانَت مرافقتُنا مؤلَّفةً من 28 مجاهداً مسلَّحين ببنادقِ AK-47 وقاذِفَي آر بي جي – 7. علمَ الجيشُ الأفغانيُّ بخُطَطنا، فنصبَ لنا كميناً على الطَّريقِ التُّرابي قربَ فرزا، ويترجَّحُ أنَّ شخصاً ما في منطقتِنا كانَ يعملُ لصالحِ الاستخبارات الأفغانيَّة.



خرجْنا من فرزا ليلاً حتَّى لا يرصدَنا العدو، وكانَ طريقُنا يمرُّ من بينِ تلَّتين قربَ موقعِ بطاريَّة دفاعٍ جويٍّ للجيشِ الأفغاني (خريطة 12-2-فرزا)، وعندما وصلْنا إلى منتصفِ الطَّريق، وصِرْنا في مكانٍ يُقالُ له "وُوتاق" فتحَ العدوُّ علينا النّيرانَ انطلاقاً من التّلالِ المُحيطة. لقد نصبَ العدوُّ لنا كميناً أثناءَ الليل، ولا شكَّ بأنَّه كانَ يعلمُ بالضَّبطِ الطَّريقَ الذي سنسلكُه. انبطحْنا أرضاً في منطقةِ القتل،

[201] القائد "صوفي لال غول" من قرية فرزا في مديرية "مير باشا كوت"، على بعد 25 كيلومتراً شمال كابول. كان ينتمي لفصيلِ مجددي المسمى جبهةُ التحرير الوطنيّ الأفغانيّ أثناءَ الحربِ مع السُّوفييت. وكانت جهوده موجهةً على طريق كابول-تشاريكار. [Map sheet 2886, vie grid 0350]

وحاولْنا إيجادَ مواقعَ قتاليَّةٍ جيدة. غيرَ أنَّنا كنَّا قد أُخِذْنا على حين غرةٍ، ولم نكن نعلمُ قوَّةَ العدوِّ الحقيقيَّةِ ولا مواقعَهُ بدقةٍ، بينما كانَت نيرانُه علينا كثيفةً، أما ردُّنا النَّاريُّ عليها فقد كانَ عشوائيَّاً ولا فعَّالاً.



فارزا

الخريطة 2-12

ومعَ بزوغِ الفجرِ تحسَّنَ الوضعُ قليلاً، إلا أنَّنا بَقِينا في حالةِ صَدمة، فلم أستطعْ فرضَ القيادة ولا السَّيطرةَ من جديد على قُوَّاتي، وتصرَّفُوا ذاتيَّاً محاولين قطعَ الاشتباكِ والهروبَ من منطقةِ القتل، إلا أنَّ نيرانَ العدوِّ بَقِيت كثيفةً علينا. وأثناءَ هدوءِ القتالِ قليلاً، استطَعتُ أن أجدَ بعضَ المجاهدين مُختبئين في أحدِ الخنادق، فقُدْتهم إلى برِّ الأمان غرباً بينَ ثنايا الجبالِ والأوديةِ، وفي النِّهايةِ وصلَ إلى هناكَ 12 مجاهداً. وبقينا في الوادي إلى أنْ رأيْنا قوَّةَ الكمين تغادرُ مكامِنَها بعدَ الظَّهيرة، ثمَّ عُدنا لموقعِ الكمين لنجدَ 18 من رفاقِنا مَقتولين، وكانَ العدوُّ قد مثَّلَ بجُثَثِهم ومزَّقَ ثيابَ معظمِهم. أمَّا الجرحى فقد كانُوا ثلاثةً بما فيهم أنا. وفي آخرِ الظَّهيرة نقلْنا جُثَثَ القتلى ليتمَّ دفنُها. أمَّا بالنِّسبةِ للعدوِّ فلا أعلمُ عن خسائرِه شيئاً، إلا أنَّني شاهدْت المِروحيَّاتِ تأتي إلى موقعِه تَهبِطُ ثمَّ تُقلِعُ من جديد، فلربَّما كانُوا يخلون قَتلاهم وجَرحاهم.

التَّعليق:

استطاعَ كمينُ الجيشِ الأفغانيِّ الناجح أن يوقعَ خسائرَ في المجاهدين زادَت على نسبةِ 60 % من قوَّتِهم. لقد وسَّعَ تجنيدُ السُّوفييت والنِّظامِ الأفغانيِّ للعملاءِ المحلّيين والمُخبرين شبكتَهم الاستخباراتيَّة خلالَ الحربِ ضمنَ المناطقِ الرِّيفيَّةِ الأفغانيَّة. وفي الغالب، لم تكن معلوماتُ المُخبرينَ والعملاء سريعةً، ولكنَّها عندما تصلُ مُبكّراً فقد كانَ المُخطّطون السُّوفييت والأفغان يتَصرَّفون بسرعةٍ. ولقد كانت المعلوماتُ الاستخباراتيَّةُ محوريَّةً في وضعِ خططِ كمائنِ القوَّاتِ السُّوفييتيَّةِ والأفغانيَّةِ وخلالَ محاولاتِهم القيامَ باغتيالِ قادةِ المجاهدين. كما اعتادَ العدوُّ على تنفيذِ الكمائنِ بالاعتمادِ على المعلوماتِ المَوثوقة، بينما كانَ من النَّادرِ أن ينصبَ كمائنَ عشوائيَّةً على أملِ أن تقعَ فيها قوَّةٌ من المجاهدين.

إذا شعرَ المجاهدون بأنَّهم يتحرَّكون في منطقةٍ غيرِ مُتنازعٍ عليها تحتَ سيطرتِهم، فإنَّهم لا يعمدونَ إلى نشرِ مَفرزةِ تأمينٍ للطُّرُق ولا نشرِ دوريَّاتٍ أماميَّةٍ وجانبيَّة، وقد كانَ هذا الإهمالُ لأمنِهم التَّكتيكي ينبعُ من اعتقادِهم بسيطرتِهم التَّامَّةِ على الرِّيف، وأنَّ قوَّاتِ العدو لا تجرُؤ على العملِ سرَّاً في الرِّيفِ لمدَّةٍ طويلةٍ. فكلَّفتهُم هذهِ الثِّقةُ المُفرطةُ بسيطرتِهم ثمناً باهظاً، واستغلَّ العدوُّ هذا الأمرَ لنصبِ الكمائن في عُمقِ مناطقِ سيطرةِ المجاهدين.

حينَ كانَ يتعرَّضُ المجاهدون للكمائن، كانَ من الصَّعبِ عليهم الحفاظُ على القيادةِ والسَّيطرة، وهذا ما زادَ الطِّين بِلةً وضاعفَ من خسائرِهم. وغالباً مَا لم يدرِّب قادةُ المجاهدين رجالَهم على إجراءاتٍ مُضادَّة للكمائن، ولا أخضعُوهم لتدريباتٍ ميدانيَّةٍ مِن هذا القبيل. وفي هذا المثال، فقَدَ القائدُ السَّيطرةَ على رجالِه فوراً وفَشِلَ في استعادَتِها، وهذا مَا سَاهم في جعلِ خسائرِ المجاهدين عالية. وبالإضافةِ إلى ذلك، فإنَّه لا يصلحُ إقامةُ دفاعٍ وسطَ منطقةِ القتل. لو دُرِّب القائدُ على مواجهةِ الكمائن، بحيثُ يقتحمُ رجالُه فوراً على قوَّاتِ الكمينِ لكانَ منَ المُمكنِ أن تنجوَ قوَّاته.

المقالة الثَّالثة: تفجيرُ الكمين

رواية أمير محمد[202]

في إحدى أيَّامِ عامِ 1985م، كانت لدينا شاحنةٌ كبيرةٌ ننقلُ بها الأسلحةَ والصَّواريخَ والذَّخائرَ من باكستان إلى قاعدتِنا في وادي نهرِ أرغنداب (لا توجد خريطة). فَسلَكْنَا طَريقاً مُلتوياً مُقتربين من "لورا" قبلَ مغيبِ الشَّمس بقليل، وحينَها أبصرْنا مروحيَّةً للعدو، لكن لم يكن هُناك مكانٌ للاختباء، حيثُ كانَ موقعُنا في سهلٍ مكشوفٍ. هَبطت المِروحيَّة وأنزلَت جنوداً سُوفييتيين، فاتَّخذُوا العديدَ من المواقعِ المُحيطة بنا. أوقفْنا الشَّاحنة، ونزلْنا مِنها، ثمَّ اتَّخذْنا مواقعَ حولَها.

كُنَّا وقتَها 13 مجاهداً، بينما كانَ عددُ العدوِّ مَا بينَ 10-12 جنديَّاً، إلا أنَّهم كانُوا متفوِّقين من حيثُ المواقعِ والأسلحةِ والقوَّةِ النَّارِيَّة. بدأنا بتبادلِ إطلاقِ النَّارِ معهم، فبدؤُوا في التَّقدُّمِ نحوَنا. وخشيةً من وقوعِنا في الأسر، أخذَ السَّائق جركنَّاً (دابو) مَليئاً بالبنزين، ثمَّ سكبَهُ على الشَّاحنةِ فأشعلَ النَّار فيها، وصرخَ مُشيراً علينا بأنْ نحتميَ بساترٍ ما، فهرَعْنا إلى مواقعَ جديدةٍ للاحتماءِ رُغمَ استمرارِ إطلاقِ النّيرانِ علينا. ولم يمضِ الكثيرُ من الوقتِ حتَّى وصلت النّيرانُ إلى الذَّخائرِ والصَّواريخ التي كانت في الشَّاحنة، فانفجرَت انفجاراً مُدوّياً وهائلاً.

لم تكن الصَّواريخُ والذَّخائرُ مرصوصةً بشكلٍ مُنتظم، بل كانت مُكدَّسَة في كُلِّ الاتجاهات، فانطلَقَت الصواريخُ والرَّصاصَاتُ في كُلِّ الاتِّجاهات، وكانَ المشهد مُذهلاً، وهوَ ما أفزعَ السُّوفييت وأجبرَهم على الفِرارِ إلى مِروحيَّتِهم والهروب. وبعدَ هروبِ المِروحيَّةِ وتوقُّفِ الانفجارات، سِرْنا إلى قريةٍ قريبة. لم يتكبَّدِ الطَّرفانِ أيَّة خسائر، سوى أنَّنا خسِرنْا شاحنةً مُمتازة، ومعَها كمٌّ هائلٌ من الذَّخائر، وكانَ علينا أن نسيرَ عائدين إلى قاعدتِنا.

[202] كان أمير محمد مقاتل من مجموعة عبد الرزاق في مديرية شاهر صفا شمال شرق قندهار. لا توجد خريطة للمقالة.

التَّعليق:

كانَ المجاهدون يشعرونَ أنَّهم في منطقةٍ آمنةٍ، فساقُوا شاحنتِهم أثناءَ النَّهار، بعدَ أنْ كانُوا مُعتادين على القيادةِ ليلاً. يبدو أنَّ السُّوفييت كانُوا يأملونَ اغتنامَ الشَّاحنة، وإلا كانُوا سيرمونَ عليها وَيُحدثونَ هذا الانفجارَ بدلَ المجاهدين.

المقالة الرَّابعة: الوقوعُ في كمين الجيش الأفغاني

رواية المولوي محي الدين البلوشي[203]

في إحدى أيَّامِ عامِ 1986م، كنَّا نتحرَّكُ في ثلاثِ شاحناتٍ صغيرةٍ مَليئةٍ بالذَّخائر من إيرانَ إلى قاعدتِنا، وكانت طليعتُنا مُتمثِّلةً في درَّاجتين ناريَّتين تقومانِ بدوريَّاتٍ أمامَ الشَّاحنات وتسبقانِها بمسافةِ خمسةِ كيلومترات. كانَ موقعُنا قربَ الحدودِ الإيرانيَّة في "شند" على مَقربةٍ من بحيرةِ هلمند، كما كانت توجدُ على الطَّريق نقطةٌ تُضَيِّقُ فيها تلَّتان مجالَ العبورِ وتحدُّ من المناورة، وكانَ حرسُ الحدودِ الأفغانيِّ قد نصبُوا لنا فيها كميناً (لا توجد خريطة)، فدخلت الدَّراجتانِ النَّاريَّتانِ منطقةَ الكمين، ولكنَّ الجيشَ الأفغانيَّ تركَهما يعبرانِ بسلام. ولكنْ لحسنِ حظِّنا بينما كانت الدَّرَّاجتان تُمشِّطانِ المنطقة، اكتشفَتَا كمينَ الجيشِ الأفغانيِّ، فترجَّلَ السَّائقان واتَّخذَا مواقعَ للرَّمي على التلَّةِ المقابلة، في الوقتِ الذي دخلَت فيه الشَّاحناتُ منطقةَ القتل.

فتحَ السَّائقانِ النِّيرانَ على قوَّات الكمينِ لإنذارِ الشَّاحنات وإشغالِ العدو. فيما فتحَ الجيشُ الأفغانيُّ النِّيرانَ على الشَّاحنات، فأصابَ الشَّاحنةَ الثَّانيةَ بينما استطاعَتِ الشَّاحنةُ الأولى الهروبَ من منطقةِ القتل، أمَّا الشَّاحنةُ الثَّالثةُ فقد توقَّفت وترجَّل منها المجاهدون، وقاتلُوا قوَّاتِ العدوِّ التي كانت في الكمين، فولَّى الجيشُ الأفغانيُّ هارباً. قُتِل منَّا مجاهدان، بينما أُصيبَت شاحنةٌ واحدة بأضرار، ولا نعلمُ خسائرَ الجيشِ الأفغاني.

[203] المولوي محيي الدين البلوشي من ولاية نيمروز، وتقع قاعدته في لوخاي عاصمة مديرية نهر خاش والواقعة على النهر. كانَ يعملُ في البداية مع حركةِ الانقلاب الإسلامي التَّابعةِ للمولوي محمد نبي محمدي. ثم تحوَّل إلى الحزبِ الإسلامي بقيادةِ خالص. لا توجد خريطةٌ في المقالة.

التَّعليق:

كانَ المجاهدون ينقلونَ إمداداتِهم نهاراً عندما يَشعرونَ بأنَّهم في منطقةٍ آمنةٍ. ومعَ ذلك، كانُوا يُرسلون دوريَّةً أماميَّةً للكشفِ عن الكمائن، إلا أنَّ هذه الدَّورياتِ كانت تبقى مَربوطةً بالطَّريق، ولا تخرجُ عنه لفحصِ مواقع المَكامِن المحتملة. بالإضافةِ إلى ذلك، افتقدَتِ الدَّوريَّاتُ لاتصالٍ مباشرٍ بالرَّتلِ الرئيسي، فعندما اكتشفَ سائِقا الدَّراجتين وجودَ الكمين، لم يستطيعا إبلاغَ الشَّاحنات فوراً، ممَّا تسبَّب في دخولِ شاحنتين من أصلِ ثلاثةٍ إلى منطقةِ القتل في الوقتِ الذي بدأَ فيهِ سائقا الدَّراجتين بإطلاقِ النَّار. ومعَ ذلك، فإنَّ إبقاءَ المَسافاتِ الكافيةِ بينَ الشَّاحنات قد مَنعَت وجودَ الرَّتلِ بأكملِه داخلَ منطقةِ القتلِ في وقتٍ واحدٍ.

أظهرَ المجاهدون رُوحاً قتاليَّةً واندفاعاً جيداً بهجومِهِم الفوريّ على الكمين وطردِهم للعدوِّ خارجَ منطقةِ العمل. بينما كانَ الجيشُ الأفغانيُّ قد سيطرَ على تضاريسَ حاكمةٍ، وكانت لديهِ الفُرصةُ في إعدادِ مواقعَ قتالية، لذا فقد كانَ ينبغي على عناصرِه الصُّمود، ومعَ ذلك لقد هربُوا أمامَ اندفاعِ المجاهدين، ومن المرجَّح أنَّ هذا الاقتحامَ الفوريَّ على الكمين هوَ الذي أنقذَ القافلة.

المقالة الخامسة: الوقوعُ في كمين على سهلٍ مرتفع

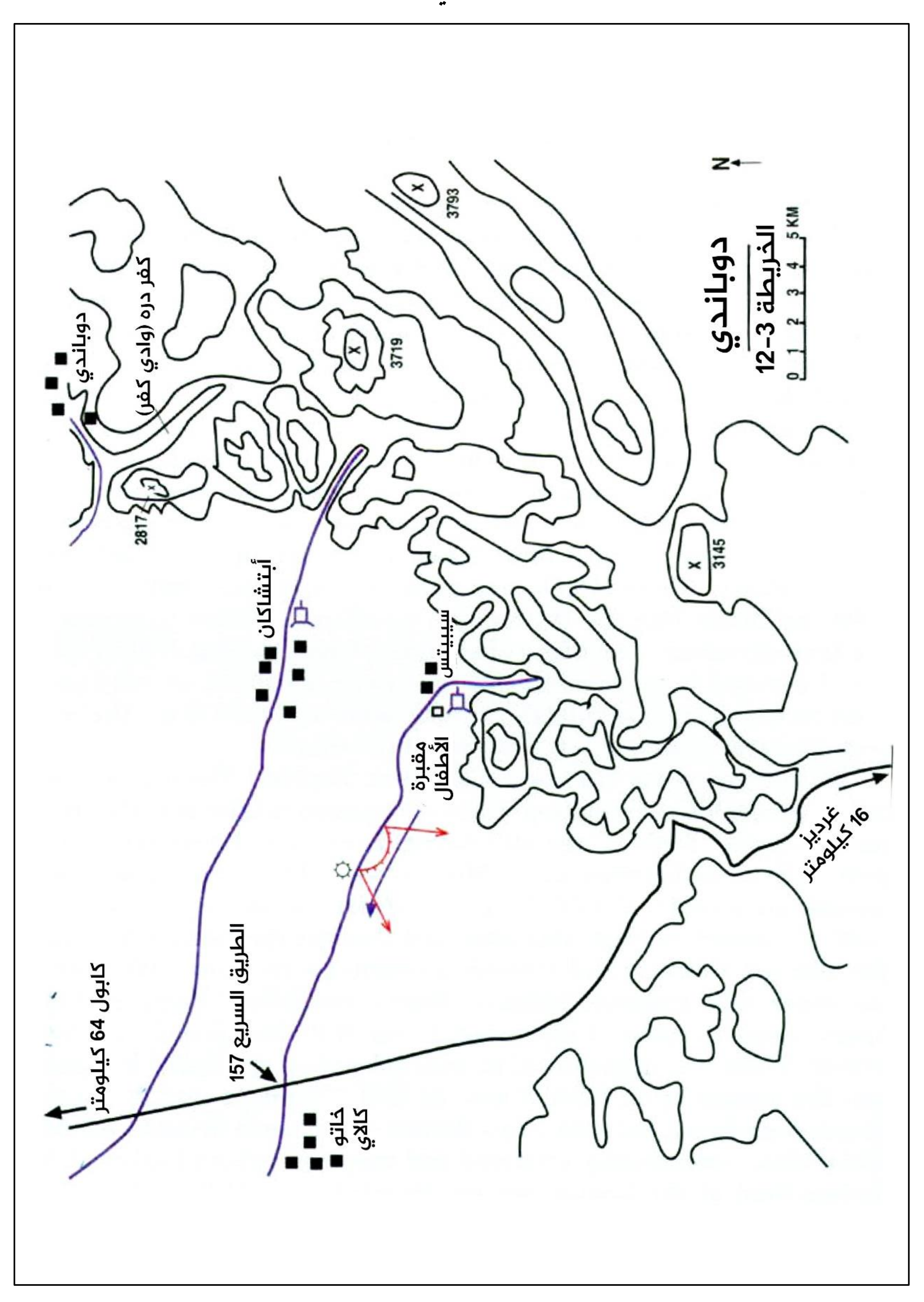
رواية الحاج "عاقل شاه سهاك"

كنَّا في مايو 1987م ننقلُ إمداداتٍ من بيشاور في باكستان إلى قاعدتنا غربَ كابول. سلكْنا طريقَ "لوغر" من "باراتشينار" في باكستان عبرَ الحدودِ إلى "دزادزي" في ولاية بكتيا، ومن هُناك كنَّا نَدخُلُ عبرَ أوديةِ الجبالِ الضَّيِّقةِ إلى "دوباندي". وبعد "دوباندي"، كانت تنتهي سلسلةُ الجبالِ ويبدأُ سهلٌ عريضٌ نعبرُه لنصلَ إلى الجبالِ القريبةِ من قاعدتِنا. وصلْنا أخيراً إلى دوباندي وبقيْنا فيها ثلاثةَ أيَّام (خريطة 12-3- دوباندي). وانتظرْنا هناك حتَّى نتأكَّدَ بأنَّ الطَّريقَ سالكٌ، حيثُ كانَ السُّوفييت عادةً ما ينصبون الكمائنَ لعرقلةِ وصولِ إمداداتِنا.

ذهبْتُ من دوباني إلى "كفر دره" (وادي كفر) الضَّيِّقِ للحصولِ على معلوماتٍ عن تحرُّكات السُّوفييت، إلا أنَّ المجاهدين فيها كانُوا أيضاً لا يعلمونَ شيئاً عن نشاطاتِ العدوِّ في تلكَ المنطقة، فذهبْتُ إلى "سيبيتس" حيثُ كانت هناكَ عدَّةُ قواعدَ للمجاهدين من حركةِ الانقلابِ الإسلاميِّ والحزبِ الإسلامي، فساعدُونا بأنْ أرسلُوا مَعَنا دليلين، أحدُهما "أخند زاده" من حركةِ الانقلاب، أمَّا الآخرُ فقد كانَ اسمه "الملا نواب". أحضَرْنا جميعَ المُؤن إلى "سيبيتس" آخرَ الظَّهيرة، وكانَ لديَّ 31 مجاهداً بمن فيهم الدليلان. كانت خطَّتي تقتضي المُضيَّ قُدُماً مع تمشيطِ الطَّريقِ وإنشاءِ نقاطٍ أمنيَّةٍ على تضاريسَ حاكمةٍ وفي مواقعِ الكمائنِ المُحتملة، ثمَّ أجلبُ بعدَها المؤن، وأتحرَّكُ وسط الرتل.

تحرَّكنا عبرَ السَّهلِ المَفتوح من "سيبيتس"، وكانت هناكَ مَقبرةٌ للأطفال، فنزلْنا عندَها لنصليَ العصرَ. وبما أنَّ الجوَّ كانَ لا يزالُ نهاراً، تحرَّكنا مُتباعدين عن بعضِنا البعض بمسافاتٍ كافيةٍ، حَذَراً من قصفِ العدوِّ الجوي. طلبتُ من الدَّليل "الملا نواب" بأن يبقى مَعَنا حتَّى نعبرَ المنطقةَ ونصلَ إلى طريقِ "غرديز" السَّريع. سِرنا معَ قاعِ المَجرى عَبرَ إحدى الأدغال، واقتَرَبْنا من ناعورةٍ في مُنتصفِ الطَّريقِ بين "خاتو كالاي" و"سيبيتس" في السَّاعةِ 19:20، وحينها نظرتُ إلى ساعتي لمعرفةِ دخولِ

وقتِ صلاةِ المغرب، وكانَ هناك مرتفعٌ على جانبي الطَّريق. وفجأةً، فُتِحَت علينا نيرانُ الرَّشَّاشات أمامَنا، فظننتُ أولاً بأنّها من نيران المجاهدين، لكنَّني رأيتُ بعدَها السُّوفييت شمالَنا يرمُون علينا.



انتشرَ رجالِي على الفَور، فانبطحُوا خلفَ أحراش الأشجار، بينما استمرَّ السُّوفييت بإطلاقِ النِّيران علينا. ولأنَّ المجاهدين امتنعُوا عن إطلاقِ النِّيران، افترضَ السُّوفييت بأنَّهم قد قتلُوا جميعا، فبرزُوا من مواقعِهم خارجين، وحينما رأيتُ السُّوفييت قد خرجُوا عن مواقعِهم، صَدَحت "الله أكبر" وفتَحنا النِّيران عليهم. وقد استمرَّ إطلاقُ النِّيران لفترةٍ طويلةٍ.

كنتُ أنا ورجالي مُنتشرين في صفٍّ واحدٍ، وكان ترتيبي في هذا الصَّفِّ هو السَّادسُ عشر، كما كانَ "دادغول" إلى جانبي. والحقيقةُ أنَّنا لم نعلمْ مواقعَ الجنودِ السُّوفييت بالتَّحديد، كما أنَّهم لم يعلمُوا أيضاً مواقعَنا بدقة، فتبادَلنا مع العدوِّ إطلاقَ نيرانٍ متقطِّعٍ، ثمَّ قُرابَة السَّاعة 22:00، سَمِعْنا هديرَ مُحرِّكات المُدرَّعات تقتربُ باتِّجاهنا، وقد جاؤُوا من "بولي علم" (شمال غربنا). بدأ "معمور عبد العلي" رميُ الصَّواريخ لإسنادِنا من إحدى القواعِدِ في سيبيتس، إلا أنَّ الصَّاروخَ الأوَّلَ قد سقطَ قُربَنا، ثمَّ سقطَ الثَّاني أبعد، بينما سقطَ الخامسُ على رتلِ العدو، ما أبطأَ الرَّتلَ عن التَّقدُّم.

انضمَّ بعدَها "أخندزاده" إلى "معمور عبد العلي" في رميِ الصَّواريخ على رتلِ العدوِّ، فأمرتُ المجاهدين أن يتراجعُوا إلى الجبالِ قُربَ "أبتشاكان" ثمَّ يتحرَّكُوا إلى جنوبِ سيبيتس إلى وادي الجبل، حيثُ كانت قواعدُ المجاهدين موجودةً هناك. وصلْنا إلى قاعدةِ "أخندزاده" في السَّاعة 02:00. إلا أنَّني فقدتُ 16 مجاهداً ممَّن كانُوا أمامي في الرَّتل. ثمَّ في الصَّباح التَّالي حَوالي السَّاعة 10:00، تقدَّمنا إلى الأمامِ لنجدَ "محمدي"، وقد كانَ أُصيبَ البارحةَ، بينما عثَرنا على رامي الآر بي جي مَقتولاً، أمَّا بقيَّةُ المجاهدين فكانُوا قد رحلُوا إلى "لوغر". ولا أعلمُ عن خسائرِ السُّوفييت، إلا أنَّ التَّقاريرَ التي وَرَدت قد أفادَت تكبُّدَهم بعضَ الخسائر، ولم يستخدمِ السُّوفييت موقعَ الكمين هذا مرةً أخرى أبداً.

التَّعليق:

مِن المرجَّح أنَّ مجموعةَ الكمينِ السُّوفييتيَّةِ كانت تنتمي إلى الفرقةِ 108 للبنادقِ الآليَّة أو الفرقةِ 103 المحمولةِ جوًّا، حيثُ كانت الفِرقتان تُرابطانِ في كابول. رغمَ أنَّ اللواء 56 للاقتحامِ الجويِّ في "غرديز" قد كانَ هوَ الأقربَ لموقعِ الكمين، إلا أنَّ التَّعزيزاتِ السُّوفييتية جاءَت من اتِّجاهِ كابول.

لم يتمَّ الإعدادُ للكمينِ السُّوفييتي على نحوٍ جيد، حيثُ لم يُغلقِ السُّوفييت منطقةَ القتل، ولم يزيلُوا مسبقاً العوائقَ عن مرامِيهم، ولم يجهِّزُوا شواخصَ تسديدٍ، ولا ألغاماً مُوجَّهةً، ولا خطَّطوا لتوجيهِ نيرانٍ غيرِ مباشرةٍ نحوَ منطقةِ القتل. كما بدأ الكمينُ السُّوفييتي برمايةٍ فرديَّةٍ لا بحشدٍ ناريٍّ كثيف يُنفَّذُ بإشارةٍ من القائد، ويبدو أنَّ قائدَ الكمين لم يعلم بأنَّه يواجهُ رتلاً للمجاهدين قد تبعثرَ ولم يعدْ يستطيعُ حَشد النِّيرانِ تجاهَه. وبمجرَّدِ حلولِ الظَّلام، لم يقطعِ المُجاهدون الاشتباك، ويبدو أنَّ قائدَ الكمين قد شعرَ بأنَّه يواجهُ قوَّةً كبيرةً من المجاهدين، فطلبَ التعزيزَ برتلٍ من المُدرَّعات.

لقد أحسنَ المجاهدونَ في وضعِ خطَّة التَّحركات، فلم يخاطرْ قائدُهم بإمداداتِه إلا بعدَ أن يمشِّطَ الطَّريقَ ويضعَ على نقاطِهِ الحاكمةِ مفارزَ أمنية، كما نسَّقَ العملَ مع فصائلَ أخرى لجلبِ المعلوماتِ الاستخباراتيَّةِ التَّكتيكيَّة، ونشرَ عناصرَه حتَّى لا يمثِّلَ هدفاً سهلاً لسلاحِ الجو، وتحرَّك وسطَ الرَّتلِ بُغيةَ فرضِ أفضلِ السَّيطرة على الرَّتل، إلا أنَّه يستحقُّ الانتقادَ لسيرِه مع الدَّليلِ في قاعِ المَجرى مع عدمِ إرسالِ قوَّاتٍ لتمشيطِ الجنبات العالية. ورُغمَ ذلك كله، لقد استطاعَ القائدُ التحقُّقَ من أنَّ رتلَه غيرُ مهدَّدٍ بالإبادة الفوريَّةِ حينما تعرَّضُوا لأوَّل صَليةٍ ناريَّة، فاستطاعَ منعَ عناصرِه من القيامِ بردٍّ ناريٍّ إلا بعدَ أن يتثبَّتَ رجالُه من أماكنِ تواجدِ قوَّات الكمين ويَستدرِجُوا العدوَّ خارجَ مكامِنه. كما أمرَ القائدُ رجالَه بالهروبِ باتِّجاهِ الشَّمالِ الشَّرقي، ومن ثمَّ التحرَّك جنوباً إلى برِّ الأمان حيثُ الجبالُ بدلَ العودةِ منَ الطَّريقِ ذاتِه والمخاطرةِ بالوقوعِ في كمينٍ آخر، أو جذبِ رتلِ تعزيزاتِ العدوِّ إلى منطقةِ "سيبيتيس".

التَّعليقُ على الفصل

يتطلَّبُ نجاحُ مكافحةِ الكمائن:

1. تخطيطاً دقيقاً.
2. ومناوراتٍ تدريبيَّةً.
3. ومراجعاتٍ مُتواصلة.
4. ومكافحةً للتَّجسُّس.
5. والقيامَ بدورياتٍ تفقُّديَّة.
6. وإيصالَ المعلوماتِ الاستخباراتيَّة بسرعةٍ.
7. وتدابيرَ خداعيَّةً أخرى.

وتختلفُ طريقةُ تحريكِ الإمداداتِ باختلافِ الطَّريقِ والوقتِ ومكوِّناتِ قافلةِ الإمداد. وقد كانت إمداداتُ المجاهدين تُنقَلُ على البغالِ والأحصنةِ والحميرِ والجمالِ والشَّاحناتِ والحمَّالينَ البشر. وفي الوقتِ الذي كانت فيهِ بعضُ الفصائلِ تمتلكُ جهازَها الخاص للنَّقل، كانَ معظمُ المجاهدين ينقلونَ الإمداداتِ عبرَ التُّجَّارِ وسائسي الدَّواب. لقد كانت تكاليفُ النَّقلِ عاليةً، كما كانت المجموعةُ التي تحصلُ على سمعةٍ سيِّئةٍ حولَ تعرُّضِ إمداداتِها للكمائن؛ تجدُ صعوبةً في إيجادِ التُّجَّارِ المستعدِّينَ لنقلِ إمداداتِها.

في بعضِ المناطق، كانَ يكفي المجاهدين أن ينقلُوا بعضَ الذَّخائر، إلا أنَّهم في بعضِ المناطقِ الأخرى كانُوا يحتاجون إلى نقلِ الطَّعامِ والملابسِ والأعلاف. والجديرُ بالذِّكرِ أنَّ قيامَ المجاهدين بكمينٍ صغيرٍ بقوَّةِ 20 رجلاً مسلَّحين ببنادق إنفيلد وكلاشنكوف وقاذفاتِ آر بي جي ورشَّاشِ بيكا وخمسةِ ألغامٍ مُضادَّة للدُّروع؛ كانَ يتطلَّبُ منهم نقلَ ذخائرَ يزيدُ وزنُها على 375 رطلاً، وإذا أضفتَ ذخائرَ الهاون والمدافعَ عديمةِ الارتداد والرَّشَّاشاتِ الثَّقيلةَ فإنَّ الأوزانَ المطلوبة ستقفزُ قفزةً هائلةً.[204]

---

[204] 'The Logistics System of the Mujahideen", page 55, unpublished government contract study written in 1987.

وحتَّى لو كانت الذَّخائر تأتي للمجاهدين بالمجَّان، فإنَّ تكاليفَ نقلِها حيثُ يحتاجونَها تبقى كبيرةً، حيثُ كانَ القائدُ الحكيمُ يبالغُ بحمايةِ إمداداتِه من أيِّ عَمليَّات عَرقلة.

الفصل 13: القتالُ ضمنَ التَّطويق

طَوَّرَ السُّوفييت أساليبَ تطويقٍ للتَّعاملِ مع قوَّات الخصمِ الميكانيكيَّةِ، وحتَّى في الحالات التي يَتَخَلَّى فيهِ جنودُ الخصم عن عرباتِهِم في محاولةٍ منهم للهروبِ من التَّطويق، فإنَّ المصيرَ نفسَه سيحلُّ بالقوَّةِ الميكانيكيَّةِ، سيتمُّ تدميرُها. ولأنَّ المجاهدين لم يكن لهم قوَّاتٌ ميكانيكيَّةٌ، فقد اكتشفُوا بأنَّ تطويقَ السُّوفييت لهم كانَ مُخلخَلاً وفضفاضَاً، حيثُ لم يمتلكْ السُّوفييت ولا الجيشُ الأفغانيُّ مشاةً راجلةً كافيةً لحصرِ مُشاة المجاهدين في جيوبٍ، لاسيما عندَ حلولِ الظَّلام. ورغمَ وجودِ هذا الضَّعف، كثيراً ما نفَّذَ السُّوفييت والجيشُ الأفغانيُّ عمليَّاتِ تطويقٍ كبيرة، كجزءٍ من عمليَّاتِ البحثِ والتَّطويق، كما نفَّذُوا في بعضِ الأحيانِ عمليَّاتِ تطويقٍ تكتيكيَّةٍ أصغر ضدَّ مجموعاتِ المجاهدين التي كانت تَسعى لقطعِ طُرُقِهم.



المقالة الأولى: نزهةٌ تعيسةٌ إلى بيت الحاكم

رواية القائد "سارشار"[205]

كانَ محلُّ إقامةِ حاكمِ ولايةِ بروان في مدينةِ "تشاريكار" واقعاً بجوارِ مدرسةِ النُّعمانِ الثَّانويَّة، وكانَ يقعُ بجانبِهِ أيضاً مركزٌ أمنيٌّ داخلَ بيتٍ مُسَوَّرٍ، وكانَ هذا المركز يُسمَّى "بيت الوالي"، وقوامُ حامِيَتِهِ المُعتادِ 30 جنديَّاً. كانَ الجميعُ يسمُّونَه بيتَ الوالي (الحاكم) على الرُّغمِ من أنَّه لم يكنْ كذلك، وفي يناير/كانونَ الثَّاني 1983 في فصلِ الشّتاءِ القارِص، خطَّطنا لتنفيذِ إغارةٍ على هذا المركزِ الأمنيِّ (لا توجد خريطة).[206]

كانَ قوامُ مجموعَتي 200 مجاهداً، مُسلَّحين بمدفعٍ جبليٍّ عيارِ 76 ملم، وخمسةَ مدافعِ هاونٍ من عيارِ 82 ملم، ومِدفعين عديمي الارتدادِ عيارِ 82 ملم، و20 قاذفِ آر بي جي -7، ورشَّاشاتِ غورينوف الثَّقيلة، ورشَّاشاتِ بيكا، وبنادقِ كلاشنكوف. تَحَرَّكْنا عبرَ الجبالِ ليلاً وفي البردِ الزَّمهرير، وَوَصلْنا إلى قريةِ "أوفيان شريف"، حيثُ قضيْنا النَّهارَ هناك لنخطّطَ للإغارة وضمنَ هذهِ الخطة، خصَّصْتُ فريقاً للإسنادِ بالأسلحةِ الثَّقيلةِ مسلحاً بمدفعِ 76 ملم ومدافعِ الهاون ومِدفعينِ عَديمي الارتداد، بينما خصَّصتُ مجموعتين للتَّأمين؛ كلَّفتُ إحداهُما بتأمينِ المنطقةِ خلفَ فريقِ الإسناد شمالاً، أمَّا الأخرى ففرزْتُها جنوباً لتأمينِ المقتربات حول مدرسةِ النُّعمان، كما خصَّصتُ فريقَ اقتحامٍ للسَّيطرةِ على المركز.

---

[205] كان القائد سرشار ضابطاً للشرطة في بروان، وعمل هناك في السّر مع المجاهدين، لكنَّهُ هرب بعد انكشاف أمره، أصبح قائداً للمجاهدين في "غوربند"، حيث قاد مجموعةً متنقلةً في غوربند قرب تشاريكار [Map sheet 2887]

[206] لا توجد خريطةٌ في هذه المقالة، وهذه العملية شرحناها في المقالة الرابعة من الفصل العاشر "الدفاع ضدَّ عمليَّةِ التطويق والبحث في بروان" رواية القائد الحاج عبد القادر.

أكملْنا التَّحرُّكَ ليلاً من "أوفيان شريف" إلى سهلِ "أوفيان" خارجَ محيطِ مركزٍ أمنيٍّ في قلعةِ "مقبول"، وهي إلى الشَّمال مباشرةً من هدفِنا في شاريكار. بدأَ الهجومُ في الليل، لكن بمجرَّدِ تقدُّمِ مجموعةِ الاقتحام، سقطَت قذائفُ مدافعِ الهاونِ التَّابعةِ لنا ومدافعُنا عديمةُ الارتدادِ وسط مجموعتِنا فمزَّقتهم، فأصبحَ 18 مجاهداً بينَ قتيلٍ وجريحٍ. ألغيتُ الهجومَ وبدأْت بإخلاءِ القَتلى والجَرحى، وتصادفَ ذلك معَ تخطيطِ العدوِّ لعمليَّةِ تطويقٍ وبحثٍ كبيرةٍ بدأَها في الصَّباحِ التَّالي.

في الصَّباحِ الباكرِ، تحرَّكَ العدوُّ عبرَ المنطقة وحاصرَها بمئاتِ الدَّبَّابات وناقلاتِ الجنودِ المدرَّعة، فطوَّقُوا مئاتِ المجاهدين في مناطقِ باغرام وكوهستان وتشاريكار. كُنَّا محبوسين في موقعِنا، ومعَ اقترابِ العدوِّ انضمَمْنا إلى المجاهدين المَحَلِّيين للقتال، وكانَ من حُسنِ حَظِّنا أنْ كانَ مَعنا 20 قاذف آر بي جي. استمرَّ القتالُ 12 يوماً، استطعْنا فيها تدميرَ 12 عربةً مدرَّعةً، وقد حاولنا الهروبَ من التَّطويقِ، فتحرَّكنا عبرَ القُرى إلى "بول متك" في مدخلِ وادي غوربند، وتسلَّلنا عبرَ ثغراتٍ في خطوطِ العدوِّ إلى وادي غوربند.

كانت حصيلة خسائرِنا 18 قتيلاً وجريحَين، بينما استطعْنا تدميرَ 12 عربةً مدرَّعةً وأربعَ شاحناتِ إمدادٍ في الأيَّامِ السَّابقة. بينما استطاعَ العدوُّ جرَّاءَ تطويقه المنطقةَ لفترةٍ ما بين 12-15 يوماً، استطاعَ الدُّخولَ في الكثيرِ من نواحي المنطقةِ المُحاصرةِ وتطهيرَها، واعتقلَ 800 أفغانيَّاً بينَ مجاهدٍ ومدنيٍّ، فيما تمكَّن الكثيرُ من المجاهدين من الفِرار.

التَّعليق:

تمثِّلُ مسألةُ التَّنسيقِ بينَ عنصرَي النِّيرانِ والمناورةِ مُشكلةً للجيوشِ المدرَّبة، إلا أنَّها أشدُّ عُسرةً بالنِّسبةِ للقوَّاتِ غيرِ النِّظاميَّة (العصابات). وعلى الرُّغمِ من قدرةِ رماةِ المجاهدين -المختصِّين بالأهدافِ الثَّابتة- على تحديدِ إحداثيَّاتِ الأهدافِ الثَّابتةِ بمرورِ الوقت، إلا أنَّ رُماةَ المجاهدين المخصَّصين لإسنادِ الهجمات الأرضيَّة نادراً ما امتلكُوا مُتَّسعاً من الوقتِ لفعلِ ذلك قبلَ الهجوم، وهذا ما حمَّلَ القوَّاتِ المقتحمةَ المزيدِ مِن المَخاطر.

المقالة الثانية: معركة "موسى قلعة"

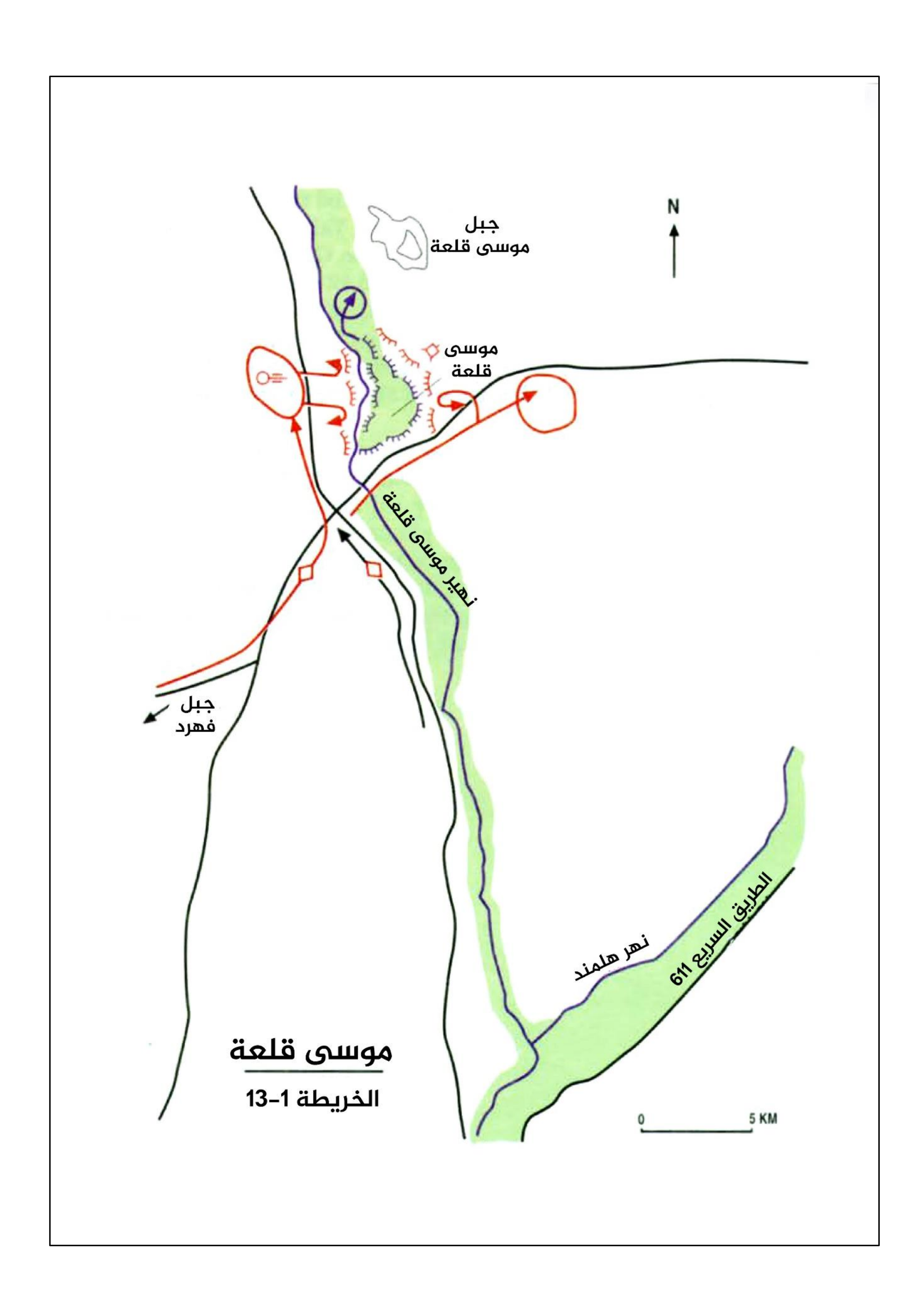
رواية "أخند زاده قاسم" [207]

بَدأنا المقاومةَ مُستخدمين أبسطَ الأساليب، وكانَ لدينا القليلُ من الأسلحةِ المُضادَّةِ للدَّبابات، وهذا ما جعلَ دفاعَنا الأساسيَّ ضدَّها يتمَّثلُ في الخنادقِ المُضادَّةِ للدَّبابات والزُّجاجات الحَارقة (المولوتوف) التي كنَّا نصنعُها في قُرانا. كنَّا نبقى في خنادِقنا حاملينَ فُؤوسنا مُنتظرينَ الفَرجَ والخلاَصَ مِن الدَّبابة، وأذكُرُ في إحدى المَعارِكِ كيفَ كنتُ في غايةِ اليأسِ من عدمِ قُدرتِنا على إيقافِ عربةٍ مدرَّعة، إلى الحدِّ الذي أشعلتُ فيه عمامتي ورميتُها عليها. لكن معَ مرورِ الوقت، حصلْنا على أسلحةٍ أفضل، وشَرَعْنا في استعادةِ السَّيطرةِ على مناطقِ بلادنا. وفي صيفِ عامِ 1980م، حرَّرنا مديريَّةَ موسى قلعة وأنشَأْنا فيها قواعِدنا. (خريطة 13-1 قلعة) وكانت "موسى قلعة" منطقةً كثيفةَ السُّكانِ والزَّرع، مُمتدةً على نُهيرٍ يصبُّ في نهرِ هلمند الرَّئيسي، بينما كانَ يحيطُ بها سهلٌ صحراويٌّ كبير.

في يونيو/حزيران عام 1983م، شنَّ السُّوفييت هجوماً بهدفِ السَّيطرةِ على ولاية هلمند، فبدؤُوا بالهجومِ مِن "غرشك" نحوَ نوزاد شمالاً (إلى الغربِ مِن موسى قلعة)، وهاجمَ رتلُهم مجاهدي الحزبِ الإسلاميِّ (حكمتيار) الذينَ كانُوا في قاعدتِهم في جبلِ "فرهد"، فأرسلَ مجاهدو "موسى قلعة" راجمةً لقصفِ القوَّاتِ السُّوفييتية، وبعدَ أنَّ دمَّرَ السُّوفييت قاعدةَ الحزبِ الإسلامي، أرسلُوا رتلينِ آخرين (أحدهما الذي دمَّر القاعدة) للهجومِ على "موسى قلعة".

---

[207] كان أخند زاده قاسم قائداً في حركة الانقلاب الإسلامي، التابعة للمولوي نبي محمدي. وكان مسؤولاً عن الدَّعم الطبيّ لجبهة موسى قلعة في ولاية هلمند. وقد كان هذا المكان معقلاً للمجاهدين تحت قيادة الراحل المولوي نسيم أخند زاده الذي كان أحد كبار قيادات المجاهدين في المنطقة، وبعد اغتياله عام 1986م، تولى القيادة أخوه المولوي صديق أخند زاده. كانت هذه الجبهة تسيطر على معظم ولاية هلمند أثناء الحرب، وكانت قيادتها إحدى القيادات القلائل الموحدة الكبيرة في أفغانستان. كما دعمت تجارة المخدرات هذه الجبهة وجعلتها غنيةً، وكان قاسم مسؤولاً عن الدعم الطبي وعضواً في مجلس القيادة فيها. [Map sheet 1981]


N
جبل
موسى قلعة
موسى
قلعة
نهير موسى قلعة
جبل
فهرد
نهر هلمند
الطريق السريع 611
0
5 KM
موسى قلعة
الخريطة 1-13

توجَّهَ الرَّتلُ الذي دمَّرَ القاعدة باتِّجاهِ الشَّرقِ نحوَنا في "موسى قلعة"، بينما تحرَّكَ الرَّتلُ الثَّاني من غرشك على طولِ الطَّريقِ المُحاذي للنَّهر، واقتربَ نحونا من جهةِ الجنوبِ الغربي، ثمَّ التقى الرَّتلان معاً فطوَّقَا "موسى قلعة" بالكامل.

أنشأنا دفاعاً مُحيطيَّاً (خطاً دفاعيّاً من كلِّ الاتِّجاهات المحيطةِ بنا)، وقاتلْنا سبعةَ أيَّامٍ متواصلةٍ بدايةً من أواخرِ يونيو حتَّى أوائلِ يوليو 1983م، فسقطَ مِنَّا 472 قتيلاً، أمَّا المدنيون فقد كانَت قتلاهم أكثرَ منَّا بكثير، وقد كنتُ وقتَها مسؤولاً عن المُستشفى التي كانت تفيضُ بالجرحى. وأثناءَ القِتال، وصلتِ الدَّبَّاباتُ السُّوفييتيَّةُ من جهةِ الشَّرقِ حتَّى صارَت على بُعدِ 300 متراً جنوبَ المستشفى، وبدأَت بقصفِها فكانَ عليَّ إخلاءُ الجرحى. وأثناءَ الليل، استطْعنا فعلاً الخروجَ ونقلَ المستشفى شمالَ المنطقةِ المُحاصرة. لقد حملْنا الجرَحى باستخدامِ النقَّالات لمسافةِ 500 مترٍ، حيثُ تلقانا بعدَها المجاهدون من جبهَةِ "بغران"، فأرسلُوا لنا شاحناتٍ نقلْنا بها جرحَانا إلى مكانٍ آمن. وبعدَ إخلاءِ الجرَحى عُدتُ إلى موسى قلعة في السَّاعة 22:00، واجتمَعتُ معَ المجلسِ العسكريِّ للجبهة، فقرَّرنا الهروبَ من التَّطويق.

في تلكَ الليلة، ساعدَتنا الظُّروفُ الجوِّيَّةُ على تنفيذِ عمليَّةِ الهروب هذه، فقد كانت الرِّياحُ عاصفةً تلقي الرِّمال في الوجوه، كما أخفَى صرصر (ضجيج) الرِّياح وغبارُها تملُّصنا من بينِ دبَّابات العدو. لقد كانَ داخلَ طوقِ العدوِّ الكثيرُ من المجاهدين، حيثُ أتى العديدُ منهم ليقاتلُوا من مديريَّاتٍ ومناطقَ أخرى، فبلغَ تعدادُهم قرابةَ الـ 2000 مقاتلاً، غيرَ أنَّهم استطاعُوا جميعاً الهروبَ أثناءَ الليل. لقد ساعدَ الليلُ والغبارُ بقيَّةَ المدنيين أيضاً على الهروبِ والتَّسلل، وبمجرَّدِ خروجنا هَدَأتِ الرِّياح، فتكلَّمَ النَّاسُ فيما بعد بأنَّ يدَ الله قد أنجتهم. وصلَ المجاهدون إلى الجبالِ المحيطة، بينما ذهبتُ أنا إلى جبلِ موسى قلعة، وهو جبلٌ صغيرٌ شمالَ موسى قلعة مباشرة.

بعدَ هذهِ الهزيمةِ الفادحة، قرَّرْنا الإبقاءَ على وجودِنا في موسى قلعة معَ إنشاءِ قاعدةٍ جبليَّةٍ لنا لنحتفظَ فيها بأسلحتِنا الثَّقيلةِ ومخازنِ الذَّخيرةِ والإمدادات، فأنشأنا قاعدتَنا في جبلِ "غول ميش" على بُعدِ 30 كيلومتراً شمالَ شرقَ سدِّ "كجكي"، وقد كانت هذهِ القاعدةُ في الوادي الضَّيِّقِ المُؤدِّي إلى الجبلِ

والمنفتح إلى بطنِ وادٍ آخرَ بينَ الجبال، وقد كانَ عُمقُ هذا الوادي الضَّيِّقِ عشَرة كيلومترات. قُمْنا بحمايةِ القاعدةِ برشَّاشاتِ الدُّوشكا ورشَّاشات 14.5 المثبَّتةِ على قواعدَ ثابتة، وأطلقْنا عليها اسم "إسلام أباد".

وبعدَها بسنةٍ واحدة، في شهر أكتوبر/تشرين الأوَّل، هاجمَ السُّوفييت قاعدةَ إسلام آباد، حيثُ قامُوا بإرسال رتلٍ كبيرٍ من "غرشك" وفرضُوا حصاراً جديداً على موسى قلعة، بينما تحرَّكَ رتلٌ آخرُ شمالاً وهاجمَ القاعدة. كانَ هناكَ وقتَها القليلُ من المجاهدين في القاعدة، فيما كانَ غالبُهم داخلَ موسى قلعة. أنزلَ السُّوفييت قوَّاتِ اقتحامٍ جويٍّ على المُرتفعات، فهاجَمَت هذهِ القوَّاتُ بالتَّنسيقِ مع الرَّتلِ البرِّيِّ لتسيطرَ على القاعدةِ بعدَ قتالٍ استمرَّ ثلاثةَ أيَّام، فدمَّرُوا القاعدة، وجعلُوها غيرَ صالحةٍ للعمل من كثرةِ الألغامِ التي تركُوا فيها، فنقلْنا قاعدتَنا ومخازنَنا إلى "خانجاك مزار" جنوبَ "كالاتا بغني"، وفرَّقْنا الذَّخائرَ على عِدَّةِ قواعدَ ومديريَّات، حتَّى لا يتسبَّبَ سُقوطُ القاعدةِ المركزيَّةِ بانهيارِنا تماماً.

التَّعليق:

كانت المنطقةُ المُحيطة بموسى قلعة مَكشوفةً ومُنبسطةً وصالحةً لمسيرِ الدَّبَّابات، وكانَ السُّوفييت قادرينَ على الحركةِ بحرِّيَّةٍ في محيطِ المنطقة الخضراء، وقد استطاعَ المجاهدون الصُّمودَ في المنطقةِ الخضراء لسبعةِ أيَّامٍ بالاستعانةِ بالتَّحصيناتِ الميدانيَّة، إلا أنَّ ذلك كلَّفَهم ثَمَنَاً باهظاً، حيثُ أرادَ المجاهدون مِن السَّيطرة على موسى قلعة تحقيقَ قيمةٍ سياسيَّةٍ لكونِها كانت مثل مركزِ المديريَّة، وبذلكَ كانت الاعتباراتُ السِّياسيَّة قد علَت على الاعتباراتِ العسكريَّة، وهو ما جعلَ الجبهةَ تبقي معظمَ قوَّاتِها هناك بمجرَّدِ أنْ بَنَت قاعدةً قويَّةً في الجبل.

المقالة الثَّالثة: الهروب من تطويق "أرغنداي"

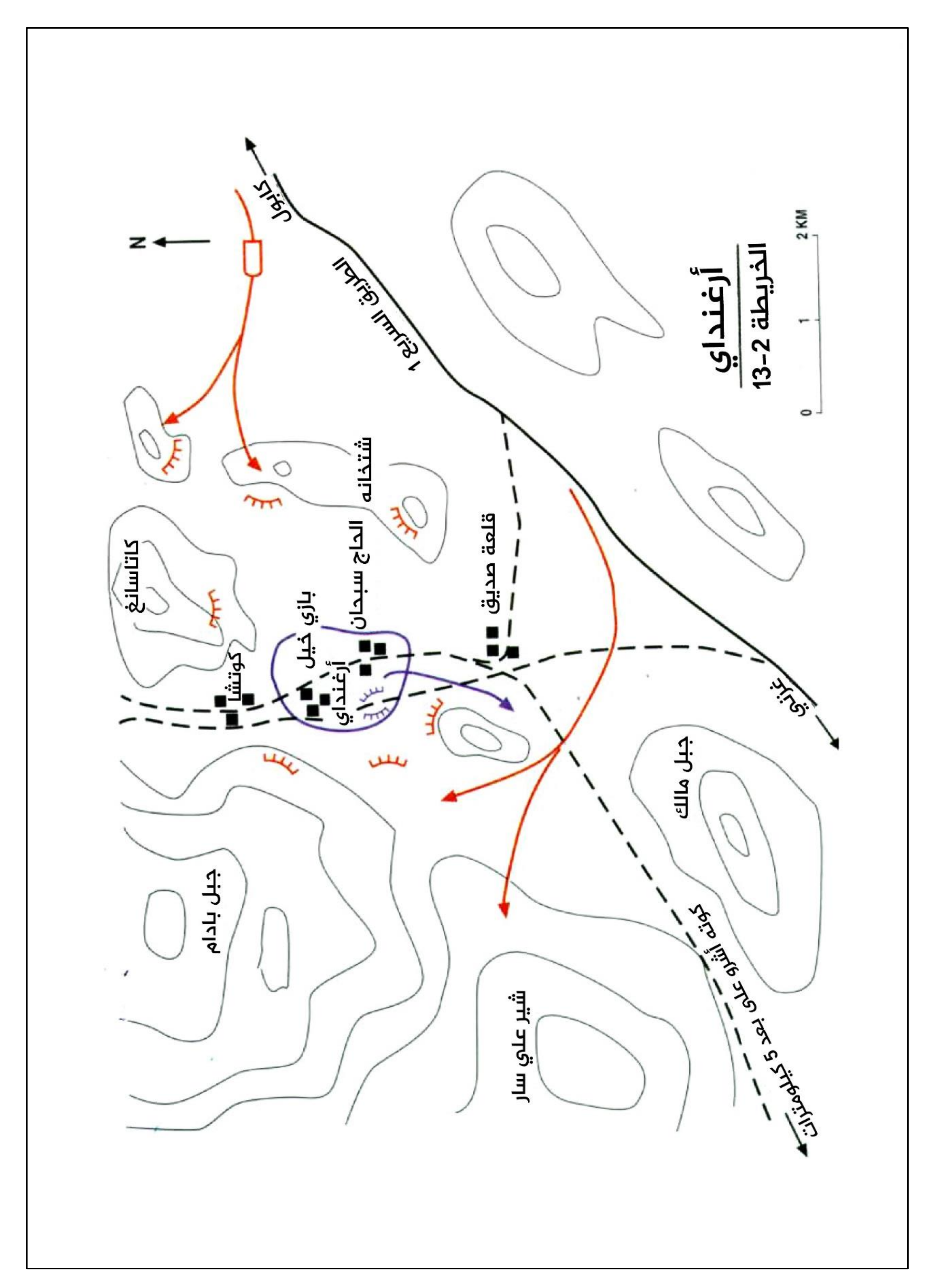
روايةُ القائد الحاج محمد صديق[208]

في يوليو/تموز عام 1986م، أعدَدْنا لعمليَّةِ خطفِ ضابطٍ أفغانيٍّ من بيتِه غربَ "كوته سنغي" في كابول. وبعدَ عِدَّة أيَّامٍ جمعْنا المعلوماتِ عن الضَّابط، من وقتِ وصولِه للمنزلِ ومغادرتِه منه، والطريقَّ الذي يسلكُه في الذَّهابِ والعودة، وأعانَنا على هذا العملِ مخبرٌ في محطَّةِ وقودِ كوته سنغي، فاكتشفْنا بأنَّ الضَّابط لا يبقى في منزلِه ليلاً، بل يمضي بضعَ ساعاتٍ فيه ثمَّ يعودُ ليبيتَ في وحدَته. وهنا قرَّرْنا أخذَ مجموعةٍ من 13 مجاهداً وخطفَه في الوقتِ القصيرِ الذي يكونُ فيه بمنزلِه.

قضينْا اللَّيلَ في حيِّ "ديه بوري" في كابول. وفي اللَّيلةِ التَّالية، التقيْنا بمخبِرنا في محطَّةِ الوقود، وأبلغَنا بوجودِ الضَّابطِ في منزلِه، فأخذْتُ ثلاثةً من رجالي متنكِّرين بزيِّ الجيشِ الأفغاني، بينما كنتُ أنا ألبسُ لباسي التَّقليدي، وذهبْنا لمنزلِ الضَّابط الواقع بينَ مركزِ "قلعة شهاده" الأمنيّ ومركزِ شرطةِ "كوته سنغي". وعندَ وصولِنا للمنزل، طرَقَ رجالي المتنكِّرونَ البابَ، فأجابتْ ابنةُ الضَّابط على الباب، فأخبرَها أحدُ المجاهدين بأنَّ هناكَ رسالةً مستعجلةً للضَّابط من وحدتِه. وبعدَ بضعِ دقائق، حضرَ الضَّابطُ إلى الباب. وبمجرَّدِ خروجِه مِن عتبةِ الباب، خرجْتُ أنا من خلفِ ركنِ البيت وأمرتُه بأنْ يتبعنا ولا يحاولَ الهربَ وإلا فالقتلُ مصيرُه في الحال. لقد كنَّا نعرفُ بعضَنا البعض مُسبقاً، فغضبَ الضَّابطُ في الوَهلةِ الأولى، إلا أنَّه طاوَعَنا بعدَ ذلك، فرافقْناهُ عبرَ الشَّوارعِ إلى "قلعة شهاده" ومنها إلى قاعدةِ "أرغنداي". وفي القاعدةِ سلَّمناهُ إلى "زاهد" الذي كانَ قائدَ المجاهدين في بغمان، وقد أُشيعَ أنَّ هذا الضَّابطَ قتلَ الكثيرَ من المجاهدين من مجموعةِ زاهد.

---

[208] الحاج محمد صديق من قرية "نوب ورجا" في ولاية لوغر. تقعُ هذه القريةُ في منطقة "تانغي وردك" الرابطة بين مديرية سيد آباد في ولاية وردك وبين مديرية "بركي برك" في ولاية لوغر، أي أنها تقع في الحدود بين الولايتين. وهذا ما جعلَ القائد محمد صديق يخوضُ القتالَ بجندِه في الولايتين مع التنسيق مع بقية المجاهدين. وكانَ الحاج محمد صديق ينتمي إلى الحزب الإسلامي (حكمتيار). [Map sheet 27851]



أمضيْنا اللَّيلَ مُقيمين في قاعدةِ قائدٍ محليٍّ يُدْعَى (شافه). وفي الصَّباح الباكرِ حوالي السَّاعة 04:00، استيقظْنا على صوتِ الدَّبَّاباتِ المُقتربةِ من القرية (خريطة 13-2- أرغنداي). وفي البدايةِ، ظننَّا أنَّ هذهِ التَّحرُّكاتِ ليست إلا مروراً عاديَّاً لقافلةِ تموينٍ عسكريةٍ نحوَ المراكزِ الأمنيَّةِ على طولِ طريقِ

كابول غزني، إلا أنَّ "والد شافه" تسلَّقَ بعدَها سطحَ البيتِ ليلقيَ نظرة، فإذا القريةُ محاطةٌ بالدَّبَّاباتِ والعرباتِ العسكريَّةِ الأخرى، وقد سيطرَ الجنود السُّوفييت والأفغانُ من مجموعة "رشيد دستم" العسكريَّةِ على التَّلالِ المحيطةِ بالقرية، لقد حوصِرنا! أخذَنا "شافه" إلى مخبئٍ قربَ البيت، وكانَ عبارةً عن كهفٍ كانُوا قد حفرُوه من قبلُ لتخبئةِ المجاهدين أثناءَ عمليَّاتِ العدوِّ للتَّطويقِ والبحث.

شعرْنا بحركةٍ بعدَ فترةٍ، ولاحظْنا بأنَّ فِرَقَ بحثِ العدوّ قد عيَّنُوا حارساً على مدخلِ الكهف. فصاحَ الحارسُ منادياً وسائلاً عن وجودِ أيِّ أحدٍ، ثمَّ نادى طالباً خروجَ مَن في الدَّاخل، كما انحنَى بجسمه إلى الأمام ليرَى مَن في الكهف، وفي تلكَ اللَّحظة رمَى عليه "علَم غول" (الذي نلقّبُه بالأوزبكي لأنَّ شكلَه يشبههم) فقتَلَهُ وسقطَت جثَّتُه داخلَ الكهف. سحبْنا الجثَّةَ جانباً وخرجْنا من الكهف، ومع خروجِنا واجَهنا العديدَ من الجنودِ في الشَّوارع، فقاتلْنا لنصلَ إلى خندقٍ طبيعيٍّ في طَرَفِ القرية.

قفزْنا إلى الخندق، ثمَّ وجَّهنا أسلحتَنا إلى كلا الاتِّجاهين. كنَّا جميعاً مُسلَّحين ببنادق AK-47 مع قاذفِ آر بي جي واحد. وقاتلْنا مِن هذا الموقعِ حتَّى الساعة 13:00، وفي تلكَ السَّاعة استطاعَت بعضُ وحداتِ المُجاهدين في "كوته أشرو" على بعدِ عشَرةِ كيلومترات جنوبَ غربَ قريةِ "أرغنداي" قصفَ المكانِ بصواريخِ راجمةِ بي أم – 12. فأجبرَتِ الصُّواريخُ العدوَّ على الابتعادِ عن الجهةِ الجنوبيَّةِ من القرية، فاستفدْنا من ذلك لنتملَّص من التَّطويقِ عبرَ هذه الثَّغرة، وهرَبْنا إلى "كوته أشرو" عبرَ الجبال، ولم يُصب مِنَّا إلا مجاهدٌ واحداً بجروح.

التَّعليق على الفصل

إنَّ طبيعةَ الطَّوقِ المخلخلِ الذي كانت تفرضُه القوَّاتُ السُّوفييتيَّةُ والأفغانيَّةُ، ساعدَ المجاهدين على الهروبِ منه، وتمكنوا من ذلكَ بالاستعانةِ بعواملَ مُشتّتةٍ مثلَ قصفٍ مدفعيٍّ أو عواصفَ رمليَّةٍ أو حلولِ الظَّلام. وكانَ المجاهدون بارعين في التَّملُّصِ، وعادةً ما كانَ صِغَرُ حجمِ المَجموعاتِ السُّوفييتيَّةِ والأفغانيَّةِ التي كانت تحرسُ الطَّوق يساعدُهم على الهروبِ بدلَ خوضِ قتالٍ غيرِ متكافئٍ. وهذا ما جعلَ السُّوفييت يلجؤون إلى استخدامِ الألغامِ القابلةِ للنثر، والمجسَّاتِ الأرضيَّة، والمشاعلِ المظليَّةِ للإنارة، وغيرِها من الأساليبِ التّقنيَّةِ لمنع عمليَّاتِ الهُروبِ والتَّملُّص. إلا أنَّ المجاهدين كانُوا ينجحونَ دائماً إمَّا بالتَّسلُّسل فُرادى، أو جماعاتٍ صغيرة؛ ليجتمعُوا بعدَها خارجَ الطَّوق.

الفصل 14: القتالُ الحضري (قتال المدن)

تكونُ العصاباتُ الحضريَّةُ عادةً مُحاطةً بالمُخبرين والجَوَاسيس الحُكوميين الذين لا يمكنُ كشفُهم بسهولةٍ، كما أنَّهم مضطرُّونَ للتَّجوالِ في المدن بلا سلاحٍ في الكثيرِ من الأحيان. وفوقَ ذلكَ كلِّه، فالنِّظامُ قادرٌ على الاستجابةِ رداً على أعمالِهم أسرعَ مِمَّا في الأرياف. ولهذا السَّبب، يتمُّ تنظيمُ العصابات في المدنِ وفقَ مجموعاتٍ صغيرةٍ، معَ الاكتفاءِ بتنفيذِ هجَماتٍ قصيرةِ المُدَّة. والجديرُ بالذِّكرِ أنَّ العديدَ من هذهِ العصاباتِ الحضرِيَّة قد عاشَت في الأريافِ والضَّواحي، فلم تدخلِ المدنَ إلا للقيامِ بأعمالٍ قتاليَّةٍ ثمَّ لتخرجَ بعدَها بسرعة.



المقالة الأولى: خطفُ المُستشار السُّوفييتي

روايةُ القائد شهابُ الدِّين[209]

كانَ هناكَ مُوظَّفٌ أفغانيٌّ في ولايةِ بكتيا يعملُ سائقاً لمستشارٍ سوفييتيّ مدنيّ، وكانَ هذا المستشارُ يعملُ في قطَّاعِ التَّعدينِ لصالحِ الحكومة الأفغانيَّة، فأردْنا خطفَه. كانَ السَّائقُ قد تلقَّى تدريباً في الاتِّحادِ السُّوفييتي، فوثقَ بهِ المُستشارُ السُّوفييتيُّ، غيرَ أنَّه وافقَ على تقديمِ المُساعدةِ لنا بعدَ أنْ أجرينْا اتِّصالاتٍ لطلبِ ذلك. لم نكن واثقينَ في البدايةِ بالسَّائق، فطلبْنا منه برهاناً على ولائِهِ للمُجاهدين، فقالَ لنا: "سأحضرُ لكم عائلتي لتسكنَ في مناطقِ المجاهدين، كبرهانٍ على أنَّني جديرٌ بالثِّقة". جاءَ السُّائقُ بعدَها إلى معسكرِنا بزوجتِهِ وعائلتِه، فأرسلتُهم إلى قريتي في شيوكي ليبقوا هناكَ بينما نأسرُ المُستشار.

في إحدى الأيَّام، أبلغَنا السَّائقُ بأنَّ زوجةَ المُستشارِ قادمةٌ من الاتِّحادِ السُّوفييتيّ إلى أفغانستان عبرَ رحلةِ طيران، وسيأخذُ السُّائقُ المُستشارَ إلى المطارِ للقائِها. فأعطينْا السَّائقَ جهازاً لا سلكيّاً محمولاً باليد، وطلبْنا منهُ الاتِّصالَ بنا إذا استجدَّ أمرٌ ما، وسنقومُ بالرَّدِّ عليه خلالَ 20 دقيقةً من اتِّصالِه، فاتَّصلَ بنا في صباحِ أحدِ الأيَّام، ليبلغَنا بأنَّ زوجةَ المُستشار ستصلُ اليوم، وأنَّه لا توجدُ مُرافقةٌ معَ المُستشارِ إلى المطارِ سواه، فتنكَّرَ أحدُ رجالِنا بزيّ ضابطٍ أفغانيّ، وأخذْناه بالسَّيَّارة، وأنزلْناه على جسرٍ فوقَ نهرِ كابول في منطقة "مكروريان" شرقَ كابول لينتظرَ صَاحبُنا قدومَ السَّائقِ معَ الضحيَّة (المستشار).

حينَ وصلتِ السَّيَّارةُ إلى الموقع، أشارَ السَّائقُ لصاحِبِنا المُتنكِّرِ وأخبرَ المستشارَ قائلاً: "إنَّ هذا الضَّابط هوَ أخي، ويريدُ الذَّهابَ إلى المطار، فهَلَّا سمحتَ لهُ بالرُّكوب؟" فوافقَ المُستشارُ على ذلك ووَقفتِ السَّيَّارةُ لحملِ "الضَّابط". صعدَ الضَّابط إلى المقعدِ الخلفيِّ خلفَ المستشار، ثم سحبَ المسدَّسَ وَوَجَّههُ

[209] القائدُ شهاب الدين من قرية شيوكي جنوب كابول، لا توجد خريطة في المقال وأوراق خريطة كابول برقم 2885 و2886.

إلى ظهره، وأمرَ السَّائقَ بأن يتوجَّهَ إلى "شيوكي". جاءَت بعدَها عربةٌ أخرى تحملُ ثمانيةَ مجاهدين مسلَّحين بمسدَّساتٍ مزوَّدةٍ بكاتماتِ صوتٍ لتلحقَ بسيَّارةِ المستشار، ولم نواجِهْ مُشكلةً في أيِّ نقطة تفتيشٍ، لأنَّ حُرَّاسها قد رأَوا "الضَّابط" بلباسِه، فحيَّوه بالتحيَّةِ العسكريَّةِ وتركُوه وشأنه و"المفرزة الأمنية" التي كانت خلفَه.

أخذنا المُستشار إلى شيوكي وأحرقْنا السَّيَّارة، وقد شنَّت الحكومةُ الأفغانيَّةُ عمليَّةَ بحثٍ واسعةٍ، فنقلْنا المُستشار إلى "أب درة" (وادي أب)، كما مَشَّطَت المِروحيَّاتُ الحكوميَّةُ شيوكي بعدَ مغادرتِنا لها، وأنزلَت مفارزَ بحثٍ وتفتيشٍ بحثاً عن المُستشار. أمَّا نحنُ فقد أبقيْنا المُستشارَ في الوادي قربَ نصب تشاكاري (البرج البوذي) ليومين، ثمَّ نقلْناه إلى "تيزين" قربَ جلال آباد ليبقى فيها لعدَّةِ أيَّامٍ. وأخيراً أدخلنَاهُ عبرَ الحدودِ الباكستانيَّة إلى بيشاور، وسلَّمْناهُ لإحدى الفصائل، ولا أدري ما جَرَى لهُ بعدَها.

المقالة الثَّانية: أربعُ هجماتٍ تفجيريَّةٍ في المدينة

روايةُ الحاج محمد يعقوب[210]

تُعدُّ التَّفجيراتُ جزءاً لا يتجزَّأُ من حربِ العِصاباتِ الحضريَّة، وهي تهدفُ إلى اغتيالِ أشخاصٍ مُعيَّنين وخلقِ الرُّعبِ في قلوبِهم. كانت المُتفجّراتُ تأتينا من باكستان، وكانَ القَائدان "عزيز الدّين" و"ميسكين يار" مُخبرَينا في مديريَّة "بغمان"، ويعملانِ على تمريرِ المُتفجِّرات وأجهزةِ التَّفجيرِ إلينا، كما وظَّفُوا أيضاً العجائزَ لحملِ الرَّسائلِ والمُتفجّرَات إلينا.

الهجمة الأولى:

في أبريل/نيسان عام 1980م، نفَّذْنا هجوماً على مَبنى إذاعةِ أفغانستان، وقد كانَ هذا المَبنى يضمُّ المكاتبَ المركزيَّةَ للبثِّ التلفازيِّ والإذاعيِّ لأفغانستان، وكانَ يعملُ فيه مستشارونَ سوفييتيونَ للإشرافِ على البثِّ الإذاعيِّ والتلفازيِّ ومراقبتِهما، مع تعديلِ الأخبارِ وتنقيحِها قبلَ البثِّ، فكانَ هدفُنا هؤلاءِ المُستشارين. أمدَّنا مُخبرونا بقنبلةٍ، فأوصَلْناها لامرأةٍ تعملُ في محطَّةِ الإذاعة، فهرَّبَتْها إلى المحطَّةِ وأعدَّتها للتفجير. وانفجرَتِ القُنبلةُ في السَّاعة 10:00 في يومِ عمل، وقتلَت ناشطينِ حزبيينِ أفغانيينِ اثنينِ ومستشارينِ سوفييتيينِ اثنينِ وأصابَت جنديَّاً أفغانيَّاً واحداً، كما توقَّفَ البثُّ التلفازيُّ والإذاعيُّ لبعضِ الوقت. شُدِّدَت بعدَها الإجراءاتُ الأمنيَّةُ للمبنى، وأصبحَ الجميعُ يفتَّشونَ بشكلٍ دقيق. أمَّا مخبرتُنا فقد استطاعَتْ نقلَ عملِها إلى مكتبِ الرَّواتبِ في جامعةِ كابول.

---

[210] الحاج محمد يعقوب، اسمه الحركي منصور، وكانَ أحدَ أفرادِ العصابات الحضرية في كابول، وينتمي لفصيلِ الحزبِ الإسلامي التَّابع لحكمتيار. لا توجد خريطة للمقالة.

الهجمةُ الثَّانية:

حوَّلَ النِّظامُ الشُّيوعيُّ جامعةَ كابول إلى مَدجنةٍ لتفريخِ العقيدةِ الشُّيوعيَّةِ في أذهانِ الطلبة. فقرَّرنا استهدافَ المُنظَّمةِ الحزبيَّةِ الرَّئيسيَّةِ في جامعةِ كابول يناير/كانونَ الثَّاني عام 1981م،وبدا لنا بأنَّ التَّفجيرَ هوَ أفضلُ سلاحٍ لمثلِ هذه المهمة. في ذلكَ الوقت، كانَت مُخبرَتُنا في مَحطَّةِ إذاعةِ أفغانستان قد نقلَت عملَها إلى مكتبِ الرَّواتب في جامعةِ كابول، فأعطيناهَا قُنبلتين لتزرعَ الأولى في مَبنى إدارةِ الجامعة معَ ضبطِ مؤقّتِ التَّفجيرِ في السَّاعة 11:00، بينما زرَعت القنبلةَ الثَّانيةَ في مَبنى منظَّمةِ الحزبِ الرَّئيسيَّةِ لتنفجرَ في السَّاعةِ 11:45. لقد افترضْنا بأنَّ القُنبلةَ الأولى إذا انفجرَتْ سيستمرُّ النَّاسُ في التَّسَكُّعِ حولَ موقعِ الانفجار، بينما سيجتمعُ بعدَها النَّاشطون الحزبيُّون الكبار في مَبنى الحزبِ لمناقشةِ التَّفجير، وعندَها ستنفجرُ القُنبلة الثَّانية على هذا التَّجمع. وقد حدَثَ الأمرُ كما خَطَّطْنا له، فبعدَ انفجارِ مَبنى الإدارة، اجتمعَ أُمناء سرِّ الحزبِ من مُختَلَف المُنظَّمات الشُّيوعيَّةِ في مَبنى منظَّمةِ الحزب، فقتلَ التَّفجيرُ الثَّاني مستشاراً سوفييتيّاً والعديدَ من أُمناءِ سرِّ مُختلف الأحزاب، وكانَت جملةُ خسائرِ العدو: عشَرةُ قتلى، وعددٌ غيرُ معلومٍ من الجَرحى.

الهجمةُ الثَّالثة:

في السَّادسِ من مايو عامِ 1983م، قُمنا بتنفيذِ تفجيرٍ داخلَ مَبنى وَزَارةِ الدَّاخليَّةِ في كابول، حيثُ كنَّا قَد زَرَعنا مُتفجِّراتٍ وزنُها 27 كيلوغرام داخلَ غرفةٍ في الطَّابقِ الثَّاني قربَ مكتبِ الوزير، وكانت المُتفجِّراتُ مُخبَّأةً في أربعِ مزهريَّاتٍ كبيرةٍ تمَّ وضعُها في هذا المكانِ منذُ بعضِ الوقت. وقد كانَ مُخبرُنا داخلَ وَزارةِ الدَّاخليَّةِ هو بستانيُّ الوَزارة. وعندما وافقَ على تهريبِ المُتفجِّرات وزرعِها، قُمنا بتدريبِهِ على إعدادِها، نخلطَ المُتفجِّراتِ بمسحوقِ الطَّباشير، وهرَّبَها في أكياسٍ بلاستيكيَّةٍ خلالَ مُدَّةٍ طويلة.

كانَت تقتضي خطَّتُنا الأصليَّةُ تفجيرِ القنابلِ أثناءَ فترةِ العملِ النَّهاريِّ لإيقاعِ أكبر قدرٍ ممكنٍ من الخسائر، إلا أنَّ قيادةَ الحزبِ الإسلاميِّ (حكمتيار) في بيشاور رَفَضَت ذلك، وأصرَّتْ على تفجيرِ

تلكَ القنابلِ ليلاً، فقد أرادَت إبقاءَ وزيرِ الدَّاخليَّةِ غلابزوي حيَّاً لكونِهِ كانَ قياديَّاً في فصيلِ خلق[211]، وكانَت نجاتُهُ ستضمنُ استمرارَ العَداوةِ والصِّدامِ بينَ حزبِهِ وبينَ حزبِ بارشيم[212].

وقَّتَ البُستانيُّ جميعَ صواعقِ التَّفجيرِ لتنفجرَ في السَّاعة 23:00، بينما كانَ يغادرُ عادةً عندَ السَّاعة 16:00. لم يكن هناكَ أيُّ جَدوى من تعيينِ أوقاتٍ مختلفةٍ لكلِّ مزهريَّةٍ متفجِّرةٍ إذا افترضْنا بأنَّ المَبنى سيتمُّ هجرُهُ بعدَ أوَّلِ تفجيرٍ. وقد تمَّ تفجيرُ القنابلِ الموقوتةِ في الوقتِ المُحدَّدِ فقتلتْ أربعَ ضباطِ حراسة، وأصابَت مكتبَ الوزيرِ بأضرارٍ. ولو أنَّ التفجيرَ حَصَلَ نهاراً لكانَ من المُمكنِ أن يُقتلَ الوزيرُ وحارسُه الشخصيُّ المدعوُّ غازي ونائبُهُ المدعوُّ "شيروالدين" إضافةً إلى مائةٍ غيرهم. وبعدَ العمليَّةِ مُباشرةً أغلقَ النِّظامُ الأفغانيُّ الطُّرُقَ حولَ المَبنى لـ 24 ساعةً، وأجرى العديدَ من التَّحريات، إلا أنَّه اعتقدَ بأنَّ الانفجارَ له علاقةٌ بالنِّزاعِ الدَّاخليِّ ضمنَ قيادةِ الشُّيوعيين ولم يَشُكُّوا البتَّةَ في البُستاني.

الهجمةُ الرَّابعة:

كانَ السُّوفييت يسكنونَ في منطقةِ "مكروريان" الواقعةِ في كابول، فقرَّرْنا تنفيذَ هجومٍ حيثُ يسكنون. وكانت توجدُ في تلكِ المنطقةِ محطةُ باص حيثُ كانَ ينتظرُ السُّوفييت قدومَ باصاتهم للذَّهابِ إلى العمل. درسْنا مواقيتَ قدومِ الباصاتِ فتبيَّنَ لنا بأنَّ الباصَ الصَّباحيَّ الذي يستقلُّهُ معظمُ السُّوفييت يَصلُ في السَّاعةِ 07:45 وقد احتجْنا إنشاءَ نمطٍ مُعتادٍ مِن التَّحرُّكات بحيثُ نستطيعُ تركَ قنبلةٍ من دونِ لفتِ انتباهِ أحد، فجلبْنا عربةَ بيعٍ مُتنقِّلة، وحمَّلْناها بأفضلَ ما استطعْنا الحصولَ عليه من الفواكهِ والخضراوات، حيثُ جلبْنا البِضاعةَ من ولايةِ بروان بسعرٍ مَعقول، فاعتادَ أهلُ المنطقةِ والسُّوفييت على رؤيتِنا والشِّراءِ مِنَّا، وبقِينا على هذا الحالِ لبضعةِ أيَّام.

---

[211] كلمة فارسية تعني الشعب، وهو أحد جناحي الحزب الشيوعي الأفغاني المسمى الحزب الديمقراطي الشعبي الأفغاني.

[212] كلمة فارسية تعني الراية، وهي إحدى فصائل الحزب الشيوعي الأفغاني.

في إحدى الليالي، عملْنا على تصنيع بطنٍ وهميٍّ لإحدى عرباتِ البيعِ المُتنقّلةِ بغرضِ وضعِ المُتفجّراتِ داخلَها بحيثُ لا يتمُّ كشفُها خلالَ عمليَّاتِ التَّفتيش. نفَّذنا التَّفجيرَ في الثَّاني من أكتوبر/تشرين الأوَّلِ عامَ 1983م، حيثُ قُمْنا بتحميلِ خمسةِ قنابلَ في بطنِ العَربة، ورَكَّبنا فيها صواعقَ تفجيرٍ مؤقَّتَةٍ على السَّاعة 07:43، وحملْنا البضاعةَ على العربةِ وسِرْنا بها. نفَّذ هذا الهجومَ ستَّةُ مجاهدين لم يحملْ أحدٌ منهم أيَّ سلاحٍ، حيثُ جلبْنا العربةَ إلى موقفِ الباص كالمُعتاد، وعندما تجمَّعَ 13 سوفييتيّاً حولَ العربةِ لمُشاهدةِ البضائعِ المحمَّلةِ عليها، تسلَّلنا هاربينَ وتاركينَ العربة واختفينْا ضمنَ المَارَّة، فانفجرَتِ القنبلةُ في الوقتِ المحدَّدِ قبلَ وصولِ الباص، وتسبَّبت بمقتلِ 13 شخصاً وجرح 12 آخرين، كما أصابَ التَّفجيرُ مَتجراً قريباً ببعضِ الأضرار. وقامَتِ القُوَّاتُ الأفغانيَّةُ بتفتيشِ حشودِ المَّارين، غيرَ أنَّها لم تعثرْ على أحدٍ منَّا.

التَّعليق:

يرى الكثيرونَ أنَّ التَّفجيراتِ داخلَ المُدن فعلٌ مستهجنٌ أخلاقياً، ومعَ ذلكَ فإنَّ هؤلاء لا يؤنِّبُهم ضميرُهم عندما يقومونَ بإلقاءِ قنابلَ أكبرَ بكثيرٍ منَ الطَّائرات. كلا النَّوعين من الهَجماتِ ليسَتا بالتَّفجيراتِ الجراحيَّةِ الدَّقيقة، وتَتسبَّبانِ بسقوطِ قَتلى من المَّارين الأبرياء، غيرَ أنَّ الفرقَ الوحيدَ بينهما هوَ في حجمِ القنابلِ وَوَسائلِ إيصالِها. فالمجاهدونَ كانُوا يفتقدونَ للقوَّةِ الجوّيَّة، لكنَّهم احتفظُوا بخيارِ استخدامِ تفجيراتٍ محدودة. بينما امتلكَ السُّوفييت القوَّةَ الجوِّيّة، ونفَّذُوا هجماتِ قصفٍ واسعةِ النِّطاقِ طوالَ الحرب.

المقالة الثَّالثة: واقعة قلعة جابر

رواية "محمد همايون شاهين"[213]

في يونيو/حزيران عام 1981م الذي صادَفَ شهرَ رمضان، كُلِّفَ خمسةُ مجاهدين بلقاء جنديٍّ سوفييتيٍّ في قلعةِ "جابر" بغرضِ شراءِ بعضِ مخازنِ كلاشنكوف، وكانَ قائدُ هذهِ المجموعةِ هو "علوزاي" ويُعرَف "بِشير خان"، بينما كانَ عناصرُ المجموعة: أنا و"حُكُم خان" واثنان آخران.

كانت قلعةُ جابر هذهِ تقعُ على بُعدِ ثلاثةِ كيلومتراتٍ جنوبَ قاعدة "دار الأمان" العسكريَّةِ السُّوفييتيَّة، فذهبْنا إليها، والتقيْنا بالجنديِّ السُّوفييتي، فعرَّفَ الجنديُّ نفسَه باسم حسن، وأرانا بضاعَتَه. فوافقْنا على شراءِ المَخازن، وأخرجْنا رُزمةً من عُملةِ الأفغان من فئةِ الخمسين لندفعَه للجندي. إلا أنَّ الجنديَّ كانَ يجهلُ فئةَ الخمسين، فَرفضَها وطالبَ بفئةِ المائة. ولأنَّنا لم نكن نَتَحَدَّثُ اللُّغةَ الرُّوسية، حاولَ "شيرخان" أن يفهمَهُ بأنَّ وَرقتين من فئةِ الخمسينِ تعدِلُ ورقةً من فئةِ المائة، حتَّى أنَّه كتبَ ذلكَ على قُصاصةٍ من روق، ومعَ ذلكَ على مَا يبدو، لم يفهمِ السُّوفييتيُّ هذا الأمرَ وأصرَّ على مطالبتِهِ بفئةِ المائة.

معَ استمرارِ محاولتِنا في التَّواصلِ معَه، بدأَ صراخُ السُّوفيتيِّ يعلو شيئاً فشيئاً، في الوقتِ الذي كُنَّا فيه على مَقرُبَةٍ شديدةٍ من القاعدةِ السُّوفييتيَّةِ، وبدأنا نشكُّ بأنَّ هذا اللقاءَ كلَّه مجرَّدُ فخٍ. فقامَ "حكم خان"

---

[213] انضم "محمد همايون" إلى المجاهدين عندما كان طالباً في المدرسة الثانوية، وعمل كمقاتلٍ وقائدٍ لعصابات الحزب الإسلامي (حكمتيار) الحضرية في الضواحي الجنوبية من كابول في مديرية "تشاردهي"، وقد ساعدَته هويَّته المدرسيَّةُ في التَّحرك عبرَ كابول حتى تخرُّجِه عام 1981م، ومن ثَمَّ تمَّ تزويده بوثائقَ مزورةٍ تظهر بأنَّه أكمل الخدمة العسكرية، وهذا ما ساعدَه على البقاءِ في المدينة دون أن يتم سحبه إلى الخدمة. كانت مجموعته تُنفِّذ أعمالاً مشتركةً مع عصابات المحسني الحضرية. وبعد انهيار النظام الشيوعي، تم تعيين شاهين كقائد فوجٍ تحت قيادة الحكومة الإسلامية وتم ترقيته إلى رتبة عميد. (لا توجد خريطةٌ في المقالة.)

بتطويقِ رقبةِ السُّوفييتي بذراعِهِ وصرعَهُ على الأرض، بينما قامَ القائدُ "شير خان" بطعنِهِ حتَّى هلك. واغتنمْنا بندقيَّة AK-47 مع مخازنِها ثمَّ لُذنا بالفِرار.

التَّعليق:

كانت هناكَ تجارةٌ مُنتظمةٌ ومُستمرّةٌ بينَ الجنودِ السُّوفييت والأفغانيين، حيثُ كانَ المُجَنَّدون السُّوفييت يبيعونَ الوَقود والذَّخائرَ والأسلحةَ والبَّطاريَّاتِ والمعدَّاتِ العسكريَّةِ مُقابلَ الحشيش والطَّعامِ والعملةِ الأفغانيَّة، ويشترون بهذهِ الأموالِ المسجّلات الغربيَّة وشرائطَ الموسيقى والسَّجائر والملابسَ من أسواقِ كابول. كانت بعضُ هذه البضائع متوفِّرةً في المَتَاجرِ العسكريَّةِ السُّوفييتيَّة، إلا أنَّ المُجندين قد افتقدُوا للأموالِ أو مُنِعُوا من الوصولِ إليها، وهو ما اضطرَّهُم للنزولِ على الأسواق المحليَّةِ وشراءِ البضائع التي يريدونَها.

المقالة الرَّابعة: كمين "أفشار"

روايةُ القائد أصيل خان[214]

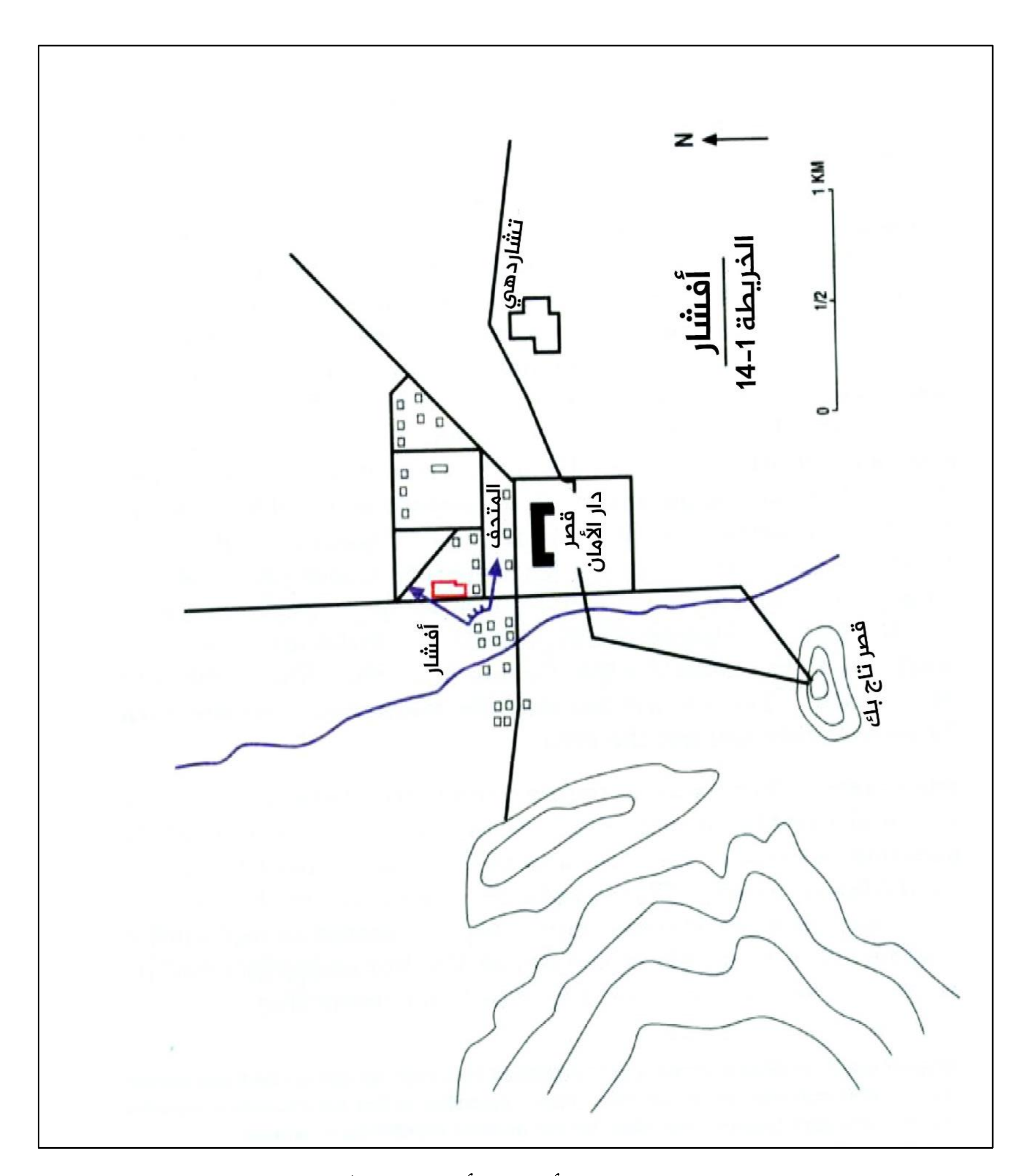
في 28 من مايو 1982م، قُدتُ مجموعةً مؤلَّفةً من أربعةِ مجاهدين للقيامِ بكمين في كابول تماماً عندَ بوَّابةِ الحاميةِ السُّوفييتيَّة. في ذلك الوقت، كانت عناصرُ من الفرقةِ 103 السُّوفييتيَّةِ المحمولةِ جوَّاً وبعضِ الوحدات الأخرى متمركزةً في "دار الأمان" على بُعدِ 10 كيلومتراتِ جنوبَ غربَ وسطِ كابول. كما كانَ مقرُّ الجيشِ الأربعين السُّوفييتيّ موجوداً في "قصر تاج بك"، بينما كنتُ قائدَ وحدةٍ صغيرةٍ في جبهةِ أبي المدعوّ "الحاج دولت"، وتقعُ قاعدةُ هذهِ الجبهةِ الرَّئيسيَّةِ في "مرغ قيران" على بُعدِ عشَرةِ كيلومتراتِ غربَ "دار الأمان".

اخترتُ هذا الموقعَ لتنفيذِ الكمين بعد أنْ أمضيتُ عدَّةَ أيَّامٍ في الاستطلاع ومراقبةِ حركةِ السُّوفييت حولَ "دارِ الأمان". وأثناءَ الاستطلاع، رَصَدْنا نمطاً معتاداً في تحرُّكِ الآليَّاتِ السُّوفييتيَّةِ عبرَ الطَّريقِ من كابول إلى مقرِّ السُّوفييت في "قصر تاج بك". كانت توجدُ إلى الشَّمال مباشرةً من قاعدةِ دارِ الأمان السُّوفييتية قريةٌ صغيرةٌ اسمها "أفشار". (خريطة 14-1 أفشار) وكانَ للقرية سوقٌ أشبهُ ما يكون بأسواقِ الضَّواحي، معَ ما فيها من العديدِ من البقالات ومخازنِ الفواكهِ الطَّازجة والأكشاك. وقد كانَ السُّوفييت يتردَّدونَ على ذلك السُّوق بعد أن يوقفُوا عرباتِهم لشراءِ السَّجائرِ والأطعمةِ وخمورِ الفُودكا المُستوردة.

ظهرَ لنا أنَّ "أفشار" تصلحُ كموقعٍ لنصبِ الكمائن، حيثُ كانَ الجنودُ يشعرونَ فيها بالأمان، كما كانت فيها مساحةٌ كافيةٌ لنصبِ الكمين، ثمَّ إنَّ الولوجَ إلى المكانِ والخروجَ منه كانَ أمراً في غايةِ السُّهولة، حيثُ كانَ الطَّريقُ المؤدِّي إليه مُموَّهاً أغلبُه، ممَّا مكَّننَا من الوصولِ إلى قواعدِ المُجاهدين وبيوتِهم الآمنةِ في مديريَّة "تشاردهي".

---

[214] كان القائدُ أصيل خان قائدَ عصاباتٍ حضريةٍ في كابول، وعملَ في صفوفِ الجبهةِ الإسلاميَّةِ الوطنيَّةِ في أفغانستان.



أمضيْنا يومَ الكمين في قلعةِ "بختيار"، وهي قريةٌ موجودةٌ على بعدِ ستَّةِ كيلومتراتٍ غربَ موقع الكمين. وكنَّا قد تسلَّحنا بأربع بنادق AK-47، وقاذفٍ مضادٍ للدُّروع غيرِ سوفييتي. وفي وقتِ المغرب، تحرَّكنا نحوَ أفشار، حيثُ كانَ هذا وقتَ الإفطار في شهرِ رمضان، وقليلٌ من الأشخاصِ من يبقى في الخارجِ في هذا الوقت. ولأنَّ موقعَ الكمين كانَ على مَقربةٍ شديدةٍ من قاعدةِ السُّوفييت، فقد قرَّرتُ تنفيذَ كمينٍ سريعٍ جداً على عربةٍ سوفييتيةٍ واحدةٍ وأسرَ من استطعْنا منها.



تحرَّكْنا عبرَ الطَّريقِ الضَّيِّقِ لأفشار الذي يؤدِّي إلى الطَّريقِ الرئيسيِّ شمالَ قصرِ دارِ الأمان. وحوالي السَّاعة 19:30، وصلت عناصري الرَّائدةُ إلى تقاطعِ الطُّرق، فاقتربت شاحنةٌ GAZ-66 من الشَّرق في طريقِها للمعسكر، وكانَ فيها خمسةُ ركابٍ؛ السَّائقُ والرَّاكبُ إلى جانبه وثلاثةُ جنودٍ في الخلف. كانَ أحدُ الجنودِ يحملُ جهازَ اتِّصالٍ لاسلكي محمولاً على الظَّهر، فأمرتُ راميَ القاذف بأن يرميَ حينَ تصلُ الشَّاحنةُ إلى منطقةِ القتل. وعندما قامَ بالرَّمي، أخطأتِ القذيفةُ هدفَها وبالكادِ مسَّت الشَّاحنة. توقَّفت الشَّاحنةُ فوراً، ونزلَ منها الرُّكاب، وبدؤُوا بإطلاقِ النِّيران عشوائيَّاً.

وأثناءَ إطلاقِ النَّارِ السَّريع هذا قتلْنا جنديَّاً سوفييتيَّاً، وهربَ اثنانِ نحوَ الجنوبِ الغربيِّ حيثُ معسكرُهم، بينما زحفَ الأخيرُ تحتَ الشَّاحنة قربَ عجلاتِها الخلفية، أمَّا حامل اللاسلكي فقد هرعَ إلى بقالةٍ مفتوحةٍ واختبأ فيها، وكانَ أحدُ رجالي قربَ البقالةِ خلفَ برجٍ كهربائيٍّ كونكريتي، فأمرتُه بأن يلحقَ بجنديِّ الاتِّصالات حتَّى يقفَ أمامَ البقالة، بينما أدخلُ أنا من بابِها الخلفي، وأقدِّم له نفسي على أنَّني "صديق". كانَ الجنديُّ متحيِّراً في البداية، غيرَ أنَّه عندما رأى القاذفَ الأجنبي غيرَ السُّوفييتي في أيدي المجاهدين صرخَ قائلاً "دوشمان" (يعني عدو)، ثمَّ بقي صامتاً لَمَّا ربطْنا يديه وَسُقْناه إلى الخلف خارجين. صِحتُ لفريقي لننسحبَ لائذينَ بالفِرار، وقد استمَرَّ كل هذا العمل عدَّة دقائق فقط.

خرجْنا في الظلماءِ مُسرعين مُتوجِّهين إلى "قلعة بختيار" خوفاً من ردِّ العدو، ومنها إلى "قلعة بهادر خان"، ثمَّ "قلعة جابر خان"، ثمَّ "قلعة قاضي"، لكي نصلَ بعدَها إلى قاعدةِ جبهتِنا في "مرغ قيران" حوالي السَّاعة 22:00. احتفظْنا بالأسيرِ هناك لمدَّةِ ثلاثةِ أيَّامٍ، ثمَّ نقلْناه إلى مقرِّ الجبهةِ الإسلاميَّة الوطنيَّة في بيشاور باكستان.

التَّعليق:

إنَّ الاستطلاعَ الدَّقيقَ المفصَّلَ من قِبَلِ المجاهدين والمعرفةَ بتحركاتِ العدوِّ وترتيباتِه الأمنيَّة، كلَّها ساهمت في تنفيذِ الكمين في قلبِ الحاميةِ السُّوفييتيَّة وإنجاحه. لم يكن السُّوفييت ليحرسُوا هكذا نقطةٍ ضعيفةٍ بجوار الحامية إمَّا للثِّقةِ المُفرطة بأنفسهم، أو بسببِ الإهمال من قِبَلِ القادةِ في المستويات الدنيا.

كانَ لاختيارِ مجموعةٍ صغيرةٍ من المقاتلين مع تشكيلةٍ فعَّالةٍ من الأسلحةِ واختيارِ موقعٍ جيِّدٍ للكمين؛ الدورُ الكبيرُ في إنجاح العمل. ومعَ ذلك، فَمِنَ الرَّاجح أنَّ استعمالَ سلاحٍ مُضادٍّ للدُّروع غيرَ متعوِّدٍ عليه من قبل المجاهدين قد تَسَبَّب بأن يخطِئ الرَّامي هدفاً كبيراً في مثلِ هذهِ المسافةِ القريبة. ونتساءَلُ هل تلقَّى الرَّامي أيَّ تدريبٍ على هذا السِّلاح أو تمرَّن عليه قبلَ أن يستخدمَه في هذا العمل؟ وقد كانَ من المفروضِ أن يأتِيَ في مثلِ هذا العملِ رامٍ ماهرٌ بسلاح الآر بي جي – 7.

بينما السُّؤالُ الآخرُ الذي يستحقُّ الطَّرحَ، لِمَ توقَّف السُّوفييت في منتصفِ منطقةِ القتلِ فوراً حينَ أخطأتهم قذيفةُ المجاهدين؟

بما أنَّ القذيفةَ أخطأتهم فلا حاجةَ للوقوفِ الآن، حيثُ كانَ منَ الممكنِ للجنودِ الفرارُ من نيرانِ الأسلحةِ الصَّغيرةِ قبلَ أن يستطيعَ راميَ القاذفِ إعادةَ تذخيرِ سلاحه. لقد فشلَ السُّوفييت في الرَّدِّ على نحوٍ فعَّالٍ تجاهَ الهُجوم المفاجئ، وقد كانت هذه الحركةُ من قِبلهم مَهلكَةً وغبيَّةً كلَّفتهم جنديَّاً قتيلاً وآخر أسيراً.

المقالة الخامسة: تفجيرٌ عبر التَّحكم عن بعدٍ على قافلةٍ في الضواحي

رواية "محمد هومايين شاهين"[215]

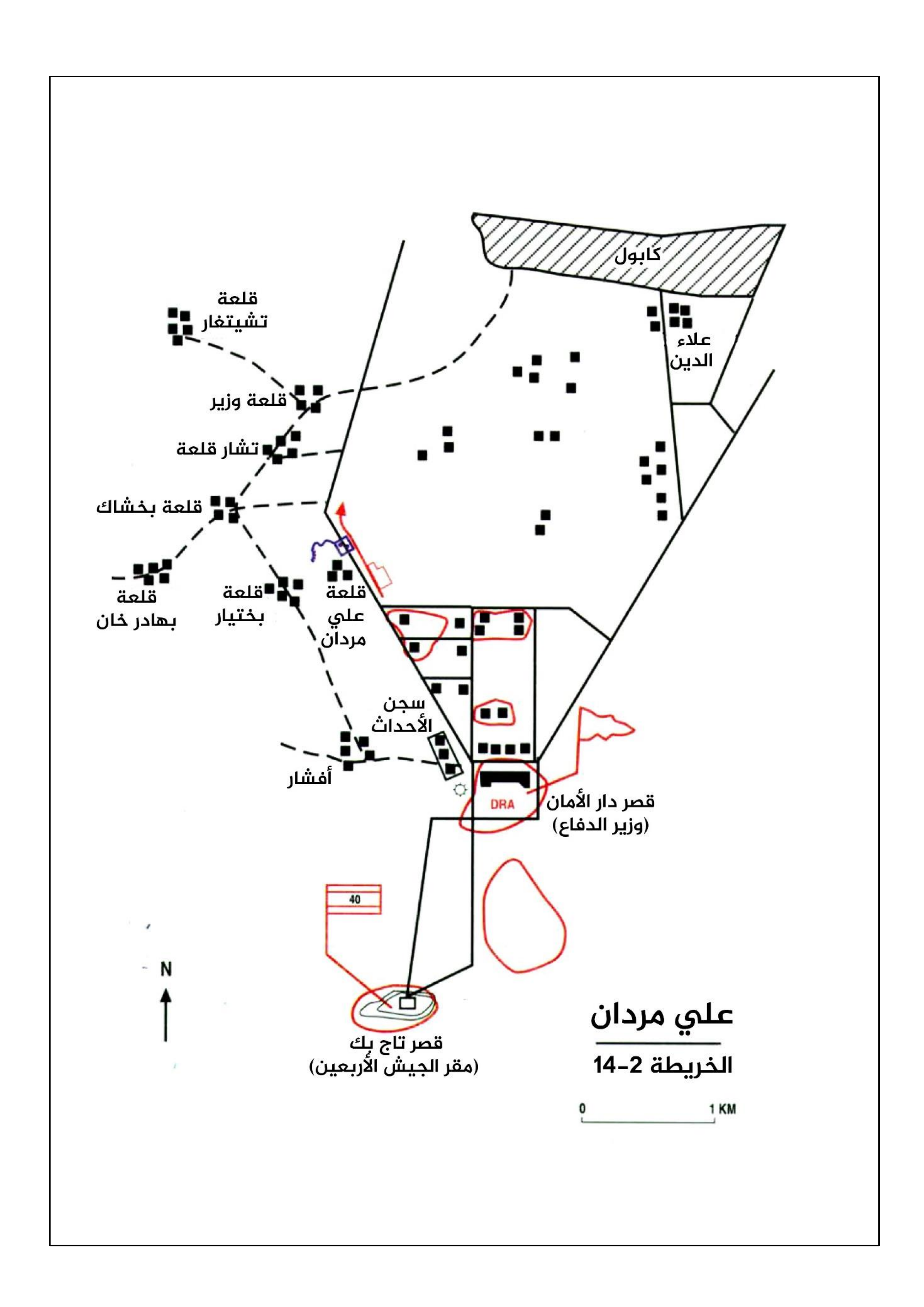
كانَ حجمُ قوَّتي يبلغ 40 مقاتلاً، وكنَّا نسكنُ داخلَ كابول وفي ضواحيها، كما كانَ معظمُ رجالي من قوميَّة البشتون، إلا أنَّ سبعةً منهم كانوا يتكلَّمون لغةَ الدرية (لغة فارسيَّة أفغانيَّة) إضافةً للغتهم الأصليَّة. كانَ المجاهدون حينَ يفتّشُ الجيشُ الأفغانيُّ المنطقةَ يختلطُ من يتكلَّمُ البشتو منهم مع بدوِ الكوخي فينصبُ الخيامَ ويسرحُ بقطعانِ الماشية في مشارفِ كابول كغطاءٍ أمني، بينما يتصرَّفُ المتكلّمون باللغة الدرية كأنَّهم تجَّارٌ جاؤوا لشراءِ مُنتجات الألبان.

في أكتوبر/تشرين الأول عام 1982م، كنتُ وقتَها مُقاتلاً لا قائداً، وكانَ قائدُنا هو المدعو "قرار". وفي ذلكَ الوقت، قادَنا الأخيرُ في هجومٍ على طريق "كوته سنغي"- "دارِ الأمان" قربَ "قلعة علي مردان" (خريطة علي مردان)، وكانت العمليَّةُ مشتركةً بينَ الحزبِ الإسلامي (حكمتيار) تحتَ قيادةِ "ديدار" والقائدِ "فيروز" والقائدِ "قرار"، بالإضافةِ لمقاتلين من فصيلِ المحسني (الشيعي)، وقد بلغَ حجمُ القوَّةِ في العمليَّة 76 مقاتلاً.

كنَّا نتوقَّع قدومَ رتلٍ من "دار الأمان" مُتَّجهاً نحوَ كابول في اليومِ التَّالي، فتحرَّكنا إلى المنطقةِ وأحطنا بها ليلاً، حيثُ نصبتْ مجموعاتُ التَّلغيم سبعةَ ألغامٍ يتمُّ التَّحكُّمُ بها عن بعدٍ (شارتا كي)، ثمَّ قامت بإخفائِها جيداً، ثمَّ انسحبَ المجاهدون بعدَ أن نصبُوا نقطتي مراقبةٍ وفريقَ تفجير. تألَّفت مجموعةُ التَّفجيرِ منّي ومن رجلٍ من قوميَّة الهزارة (شيعة أفغان) اسمهُ "شير باش خالا"، بينما كانَ القائدُ "قرار" في نقطةِ مراقبةِ "دار الأمان"، كما راقبَ شخصٌ آخرُ المنطقةَ الملغَّمة. وأمضيتُ أنا و"شير باش" الليلةَ في حقلِ "برسيم" على بُعدِ 200 مترٍ من الطريق.

---

[215] تحدثنا عن محمد شاهين في مقالةٍ سابقةٍ في هذا الفصل.


كابول
قلعة تشيتغار
علاء الدين
قلعة وزير
تشار قلعة
قلعة بخشاك
قلعة بهادر خان
قلعة بختيار
قلعة علي مردان
سجن الأحداث
أفشار
DRA
قصر دار الأمان (وزير الدفاع)
40
N
قصر تاج بك (مقر الجيش الأربعين)
علي مردان
الخريطة 2-14
0
1 KM

وفي صباح اليومِ التالي، سارَ القائدُ "قرار" عبرَ الطَّريق إلينا على متنِ درَّاجته ليخبرَنا بقدومِ رتلٍ للسَّوفييت من "دار الأمان"، فذهبْنا إلى الموقعِ الذي سنقومُ بالتفجير منه، بينما تحرَّكَ القائدُ قرار إلى نقطةِ المراقبةِ الثَّانية، فأخبرَ المراقب فيها بأن يخلعَ عمامَته ويلوِّحَ بها عندما تعبرُ أوَّل عربتين المنطقةَ الملغَّمة من الطَّريق، وذلك لأنَّنا لم نكن نستطيعُ أن نرى هذه المنطقةَ انطلاقاً من موقعِنا. وبعد لحظاتٍ يسيرةٍ، وصلَت القافلةُ إلى الموقع، ولوَّحَ المراقبُ بعمامتِه ثمَّ انتقلَ إلى مكانٍ آمن. وعندما ضغطْنا المفجِّر، انفجرَت أربعةُ ألغام من أصلِ سبعة، فكانت الحصيلةُ تدميرَ وإعطابَ ثلاثِ شاحناتٍ وعربةِ بي أم بي، بينما انسحبَ المجاهدون الأربعة بأمانٍ من المنطقة.

التَّعليق:

من المُستحسن دائماً أن تُوضع مجموعةُ التَّفجير في نقطةٍ ترى من خلالها منطقةَ الهدف، حيثُ كانت اتِّصالات المجاهدين غالباً بدائيَّةً وتعتمدُ على الإشاراتِ البصريَّة. وقد كانت هذه الهجمةُ حالَها كحالِ معظمِ الهجماتِ في المدن، ضربةً خاطفةً واحدةً يعقبُها انسحابٌ فوري. ومن النَّادر ما يكونُ لمثلِ هذه الهجمات أيُّ تأثيرٍ كبيرٍ عدا كسرِ معنويَّاتِ العدوِّ ونفسيَّاتِ جنودِه.

من الصَّواب أن تكونَ مجموعةُ التَّفجير صغيرةً، لا بحجمِ 76 مقاتلاً بحجَّةِ تأمينِ المنطقة بينما يتمُّ تلغيمُها، لاسيما وأنَّ كابول قد كانَ يُفرَض فيها حَظرُ التَّجوالِ اللَّيلي، ومن الممكنِ أنْ تتعرَّضَ المجموعاتُ الكبيرةُ للرَّصدِ بسهولة من قِبل دوريَّاتِ العدو التي كانت على الطُّرُق الرَّئيسيَّة.

المقالة السادسة: هجومٌ على وزارة الدفاع

رواية "محمد همايين شاهين"[216]

في نوفمبر/تشرين الثَّاني عام 1982م، شنَّ 60 مقاتلاً من الحزبِ الإسلاميِّ (حكمتيار) والحركةِ الإسلاميَّةِ (الشيعية) هجوماً ليليَّاً على وزارةِ الدِّفاعِ في قصرِ "دار الأمان" (خريطة 14-3-دار الأمان). كانت الإجراءاتُ الأمنيَّةُ في تلكَ المنطقةِ في غايةِ التَّشديد، وكانت المنطقةُ بينَ "قصر دار الأمان" و"قصر تاج بك" (مقر الجيشِ الأربعين السُّوفييتي) تغصُّ بالدَّورياَّتِ المكثَّفة، فقرَّرنا تنفيذَ هجومٍ مقتصرٍ على قاذفاتِ الآر بي جي من مسافاتٍ قريبة. كانت مجموعةُ الحزبِ الإسلاميّ مسلحةً ببنادقِ كلاشنكوف، بينما كانت مجموعةُ المحسني (الشيعية) مُسلَّحةً بغدَّارات ستن البريطانية[217] وأسلحةٍ أخرى، بالإضافةِ لقاذفاتِ الآر بي جي، وقد قدَّمَ الفصيلان ذخيرةً من قذائفِ آر بي جي.

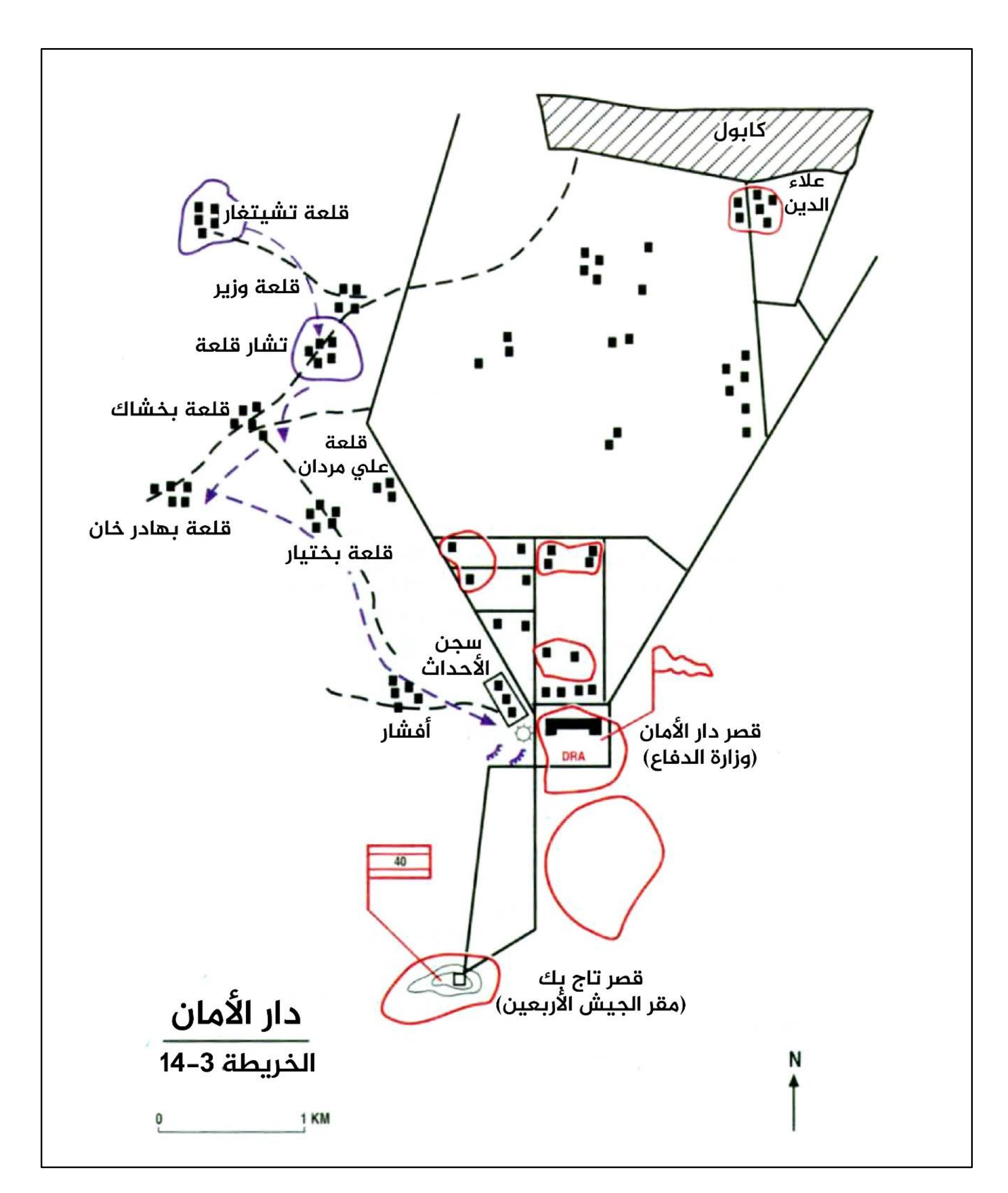


تجمَّعنا في نقطةِ الانطلاقِ في "تشار قلعة" آخرَ الظَّهيرة، حيثُ كانت "تشار قلعة" هذه موجودةً على بعدِ ثلاثِ كيلومتراتٍ شمالَ الهدف، ومن هناك تحرَّكنا جنوباً في مجموعاتٍ عبرَ قرى "قلعة بخشاك" و"قلعة بهادر خان" و"قلعة بختيار". كانت النُّقطةَ التي سنرمي منها عبارةً عن طاحونةِ ماءٍ (ناعورة) موجودةٍ خارجَ سجنِ الأحداث قربَ "قصر دار الأمان". وحينَ تحرَّكنا نشرْنا معظمَ عناصرِ المجموعات لتأمينِ تقدُّمِنا نحوَ منطقةِ الهدف وانسحابنا، وكانت مواقعُ عناصرِ التَّأمين موجودةً في نقاطٍ مهمةٍ تيسِّر لنا التَّسلل والانسحاب.

---

[216] تحدثنا عن محمد شاهين في مقالةٍ سابقةٍ في هذا الفصل.

[217] سلاح الستن هو رشاشٌ قصيرٌ بريطاني من الحرب العالمية الثانية بطلقات عيار 9 ملم، وله مخزنٌ يتَّسع لـ 32 رصاصة، مع سرعة رمي مقدارها 540 طلقة بالدقيقة.



وبمجرَّد أن أمَّنت عناصرُ التَّأمين الأماميَّة منطقةَ الهدف، قامَ الرَّامي "سعدت" (من فصيل المحسني) باتِّشخاذ موقعٍ للرِّماية يقعُ على بعد 250 مترٍ من الهدف، ثمَّ قامَ برمي قذيفتي آر بي جي على الهدف، فردَّ العدوُّ مباشرةً، حيثُ أضاءَت النِّيرانُ الكثيفةُ التي أطلقَها الحرَّاسُ الموجودون حولَ القصرِ الليلَ وقلبتهُ نهاراً. وبدلاً من الرَّدِّ على العدوِّ، رجعْنا القهقرى فوراً عبرَ الطَّريقِ المحروس من قِبلِ

مفارزِنا الأمنية. فاسترحنا في مخابئِنا وبيوتِنا الآمنة في قرى "تشاردهي". وبعدَ بضعِ سنواتٍ، أخبرَنَا أحدُ الأسرى من الجيشِ الأفغانيِّ بأنَّ ذلك الهجومَ اللَّيليَّ قد تسبَّبَ بمقتلِ وجرح 20 شخصاً.

التَّعليق:

تُعدُّ الأساليبُ القتاليَّةُ التي يستخدمُها المجاهدون في حربِ المدن تكتيكاتٍ صغرى خاليةً من التَّعقيد، فقد انحصَرَت أعمالُهُم على ضرباتٍ مفردةٍ يتلوها انسحابٌ مباشرٌ لتجنُّب حدوثِ اشتباكٍ حاسمٍ مع قوَّةٍ نظاميةٍ أكثرَ تسليحاً ودعماً. حيثُ كانَ نجاةُ أفرادِ العصابات يستلزمُ مثلَ هذهِ التَّكتيكات، كما كانَ الأثر المُرتجى منها سياسيَّاً ونفسيَّاً ومعنويَّاً أكثرَ من الأثرِ العسكري، فكان على العصابات الحضريَّة أن تتقبَّلَ الجهدَ المُلقى على عاتقِها والمخاطرَ التي يجبُ أن تخوضَها، في الوقت التي كانت فيها النتائجُ صغيرةً وغيرَ فوريَّةِ الظهور.

كانَ نجاحُ المجاهدين في المدنِ يعودُ أساساً لدعمِ السُّكان، في الوقتِ الذي تفتقدُ فيه القُوَّاتُ السُّوفييتيَّةُ والأفغانيَّةُ للسيطرةِ خارجَ المناطقِ التي لا توجدُ فيها قوَّاتُهم. وصحيحٌ أنَّ المدنَ كانَ يفرَض عليها حَظرُ التَّجوالِ اللَّيلي، لكنَّ الدَّوريَّات التي كانت تفرضُها لم تكن تجرؤُ على السَّير خارجَ الطُّرقِ الرئيسية، فكانَ من أثرِ ذلك أن تمتَّعَ المجاهدون بحريَّةِ الحركةِ بعيداً عن الطُّرق الرَّئيسية وفي الضَّواحي. إلا أنَّ ما منعَ المجاهدين من استغلالِ هذهِ المزيَّةِ هو قلَّةُ تدريباتِهم وضعفُ هيكليَّتهم التَّنظيميَّة وافتقادُهم للأسلحةِ والمعدَّات الحديثة وضعفُ فعاليَّةِ نظامِ القيادةِ والسَّيطرة لديهم وافتقادُهم للتماسكِ التَّكتيكيِّ بينَ المجموعاتِ التي كانت منتميةً لعدَّة فصائلَ مختلفة، كما أنَّ افتقادَهم لمعدَّات الاتِّصالِ كانَ العاملَ الأشدَّ الذي أعاقَ المجاهدين، لاسيما في الأيَّامِ الأولى من الحرب.

المقالة السَّابعة: ومن الخمر ما قتل

رواية "رجل الجبل"[218]

كانت الفرقةُ الثَّامنةُ للمشاة في الجيشِ الأفغانِيّ ترابطُ في كابول، وكانَ لدينا ضابطٌ مخبرٌ داخلَ الفرقة، مدَّنا عبرَ السِّنين بالكثيرِ من المعلوماتِ المَوثوقة، إلا أنَّ هذا التَّعاونَ قد وضعَه وعائلتَه في خطرٍ شديد، ممَّا جعلَه يقرِّرُ أخيراً الانشقاقَ والانضمامَ إلى المجاهدين. عملْنا على ترتيبِ انشقاقٍ يأمنُ مُخبرَنا ويؤذي العدو، فأمرْنا الضَّابط أن يُعِدَّ حفلةً في منزلِه الكائنِ في "كوته سنغي" يوم 24 من سبتمبر/أيلول 1983م، ويدعو لها الضَّابطَ السِّياسيَّ للفرقةِ الثَّامنةِ مع مستشارين سوفييتيين اثنين كانُوا يعملونَ معه. وافقَ الثَّلاثةُ على الدَّعوة، ووصلُوا راكبين عربةَ جيبٍ عسكريَّةٍ ليلاً. وكانَ لدى ضابطِنا (المخبر) الكثيرَ من خمرِ الويسكي الغربي وشيشِ الكباب، فتناولَ السُّوفييتيان والضَّابطُ السِّياسيُّ الطَّعامَ وشربُوا الخمرَ حتَّى ثملُوا تماماً، وفقدُوا الوعي. فاستدعانا الضَّابطُ عندها، فجئنا لمنزلِه وحمَلْنا الثَّملين على سيَّارة الجيب، ثمَّ انطلقْنا إلى قريةِ "قلعة قاضي" جنوبَ غربَ كابول. لم يوقفنا أحدٌ أو حتَّى يتعرَّضَ لنا نظراً لركوبِنا عربةَ الجيبِ العسكريَّة. ولمَّا وصلنا أخرجْنا الثَّملين من السَّيَّارة، ثمَّ أخذَها مخبرُنا ليعودَ إلى بيتِه فيأخذَ عائلتَه ويهربَ بهم إلى باكستان، وقد انضمَّ فيما بعد للنِّضالِ العلنِيِّ معنا.

حملْنا الثَّملين إلى مخبئِنا في قريةٍ كائنةٍ في جبل "مرغ قيران"[219]، وعندما فاقَ الأسرى من سكرتِهم في اليومِ التَّالي، عَرضْنا عليهم دِينَ الإسلامِ واتِّباعَ الصِّراطِ المستقيم، فغضبَ السُّوفييتيانِ غضباً شديداً وبدؤُوا بلعنِنا وشتمِنا، وقالا: "لن نتراجعَ عن الطَّريقِ الذي اخترْناه، وستكونُ أفغانستانُ شيوعيَّة، ولن نقبلَ بكم ولا بدينكم القَذر"[220]، ورفَضَا التَّعاونَ معنا. لم نستطع الخروجَ بالأسرى من دونِ

---

[218] بعد أن أجرينْا المقابلة، وافق المؤلفان على كتم اسم الراوي الحقيقي. كما لا توجد خريطة للمقالة.

[219] (من باب الطرفة) كلمة "مرغ قيران" تعني سارقي الدجاج.

[220] المركز: نعتذر عن الترجمة الحرفية، ولكن ناقل الكفر ليس بكافر.

تعاونِهم، ولم نكن نستطيعُ أيضاً قتلَهم رمياً بالرَّصاص حتَّى لا نجلبَ انتباهَ النِّقاط الأمنيَّةِ القريبة، فقتلْناهما دَفناً بالتُّرابِ وهم أحياء، واحتفظْنا بملابسِهم وأوراقِهم التي أرسلْناها لاحقاً إلى مقرِّ الحزبِ الإسلاميِّ (حكمتيار) في بيشاور. وفي اليومِ التَّالي، طَوَّق السُّوفييت المنطقةَ، فغادَرْناها وارتحلْنا إلى بروان وميدان. وبينما كانُوا يبحثونَ عَنَّا، اصطدمُوا بقوَّاتِ المولوي "رحمت غول"، كما أنَّهم بعدَ انتهاءِ الاشتباكات وجدَ السُّوفييت مكانَ دفنِ أسراهم الثَّلاثة، لكن بعد أن كانُوا قد هلكُوا واسودَّت أجسادُهم.

المقالة الثَّامنة: إغارة على "حصن بالا حصار"

رواية القائد شهاب الدين

كانَ هناكَ فوجٌ سوفييتيٌ مرابطٌ في حصنِ "بالا حصار" في كابول. وفي شهرِ سبتمبر أو أكتوبر من عام 1983م، اتَّخذْنا قراراً بالإغارةِ على مركزٍ أمنيٍ جنوبَ "بالا حصار"، وقد كانَ هذا المركزُ جزءاً من الحزامِ الأمنيّ المحيطِ بالحصن.

تألَّفت مجموعتي من 62 رجلاً مسلَّحين بثماني قاذفاتِ آر بي جي-7 ومِدفعينِ عديمي الارتدادِ عيار 82 ملم. وكانت قاعدتي موجودةً على بُعدِ عشَرةِ كيلومتراتٍ جنوبَ كابول في "يخ درة" (وادي يخ)، وهناكَ وضعْنا خطَّتنا للإغارة، ومن هناك أيضاً تحرَّكنا في آخرِ الظَّهيرة إلى "قرية شيوكي" وانتظرنا فيها هبوطَ الظَّلام. وبعدَ حلولِ اللّيل، ارتحلْنا ومرَرْنا في الطَّريقِ بعدَّةِ مراكزَ أمنية للفوج، فخصَّصتُ مفارزَ أمنيَّةً على كُلّ مركزٍ، كانت كلٌّ واحدة منها مؤلفةً من خمسةِ رجالٍ. وقد كانَ المركزُ الرَّئيسيٌّ واقعاً في "أخوزي"، بينما كانت هناك مراكزُ أخرى في "باغ أفضل" و"قلعتشا". والجديرُ بالذِّكرِ أنَّ مهمَّةَ المفارزِ الأمنيَّةِ كانت متمثِّلةً في تأمينِ طريقِ عودتِنا من كمائنِ العدو.

وصلْنا إلى حصنِ "بالا حصار" الذي كانَ مُحاطاً بعدَّةِ مراكزَ أمنية، وكنت قَد احتفظتُ له بمجموعةٍ مخصَّصَةٍ للهجومِ مؤلَّفةً من 15 رجلاً، بينما نشرتُ بقيَّةَ الرِّجالِ الذين كانوا تحتَ قيادتي كعناصرَ أمنيَّةٍ لمنعِ التَّعزيزاتِ القادمةِ من المراكزِ الأخرى غيرِ الرَّئيسية. قسمتُ مجموعةَ الهجومِ إلى فريقِ إسنادٍ من خمسةِ رجالٍ وفريقِ اقتحامٍ من عشَرةِ رجالٍ، وكنت بنفسي قائدَ مجموعةِ الاقتحام، فزحفْنا مُتسلّلين إلى المركز، وتسلَّقنا أسوارَه حتَّى وصلنا إلى الأسطح، وبدأْنا الهجومَ بقتلِ الحارسِ بقذيفةِ آر بي جي نثرتْه أشلاءً تطايَرت في الهواء، وفجَّرْنا الأبوابَ بقذائف الآر بي جي لنفتَحَ النِّيرانَ على الجنودِ

في الباحة، فقتلْنا 12 جنديّاً أفغانيّاً، وأسرْنا ثلاثةً من الجرحى، بينما هربَ الباقون إلى حصن بالا حصار عبرَ مَمَرٍّ سريٍّ كان مخفيّاً عنّا، فيما قُتِل منّا اثنان، أحدُهما الضّابط حليم.[221]

حملْنا القتلى معنا، إلا أنّنا عَجِزْنا عن حملِ الأسرى من الجيشِ الأفغاني فتركْناهم وشأنهم، وكنّا قد اغتنمْنا 16 قطعةَ سلاحٍ من بنادقِ الكلاشنكوف والرّشاشاتِ والهاوناتِ وقاذفاتِ الآر بي جي. وحينَ ارتحلْنا كانت هناكَ ضوضاءُ في "بالا حصار" وتحرّكت الدّبابات باتجاهنا، حتّى وصلتْ إحداهنَّ قريباً منا، فدمَّرناها بقذيفةِ آر بي جي، لتتوقّف الدّباباتُ الباقيةُ عن مطاردتنا، حيثُ خبَتْ نارُ همّتهم عن قتالِنا. أردنا الخروجَ سريعاً من هذهِ المنطقة، فغادرنا إلى منطقةِ التّجمع، وقد كنّا مُسبقاً عَيّنّا منطقةَ تجمعٍ، لذا حينَ سُئلنا عن كلمةِ السِّرِّ أجبناهُم بها مباشرة.

وبعد حشدِ كلِّ مجموعتي، غادَرنا على الفور، واستطاعَت المفارزُ الأمنيَّة ضمانَ انسحابٍ آمنٍ لنا من المنطقة. حدثت هذه الإغارةُ في يومِ عاشوراء، اليومِ العاشرِ من محرمٍ في التّقويمِ الهجري، وهو ذكرى مقتلِ الحسين رضي الله عنه حفيدِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم و72 من آلِ بيتهِ وأصحابِه في كربلاء. وقد كانَ هذا اليومُ يوماً للحداد والحزن والتّفكُّرِ عند الشّيعة والمذاهب الأخرى، وكنّا نرى قتلانا في ذلكَ اليوم شهداءً في سبيلِ الحقِ والاستقامة، وقد نالُوا ميتةً كريمةً عزيزةً.

التّعليق:

احتفظَ الكثيرُ من قادةِ العصابات الحضريَّة في المدن بقواعدِ عمليَّاتهم الرَّئيسيَّة في ضواحي المدن أو القرى المحيطة بها، حيثُ كانَ من السَّهل لهم تجميعُ المجموعات وتدريبُها بعيداً عن مراقبةِ الحكومة، كما احتفظُوا أيضاً بشبكةٍ من المخبرين والدّاعمين ممَّن سهَّلوا لهم الدُّخولَ والخروجَ إلى المدن. ومع ذلك، فقد التزمت العصاباتُ خلالَ عمليَّاتِها بتخصيصِ معظمِ المجموعات لتأمينِ طرقِ الدُّخول والانسحاب.

---

[221] كان الضابط حليم مقاتلاً أسطورياً، وكان أحد أفراد العصابات في المدن، كما كان فيما سبق أحد ضباط الصف في الجيش الأفغاني الملكي. وقد شكَّل موته صدمةً للمجاهدين.

المقالة التَّاسعة: الإغارة على مؤسَّسة النَّقل بالباصات في العاصمة كابول

رواية القائد شهاب الدِّين[222]

تقعُ مؤسسةُ النَّقلِ بالباصاتِ في الجهةِ الشرقيَّة من مدينةِ كابول، وكانت تمثِّلُ المحطَّةَ المركزيَّةَ لإيواء 130 باصاً. وفي أكتوبر/تشرين الأول عام 1983م، جمعتُ 120 مجاهداً في قاعدتِنا في "يخ درة" (وادي يخ) لتنفيذِ الإغارة. وكُنَّا مسلحين بـ 16 قاذف آر بي جي -7 وثلاثةِ مدافع هاون وثلاثةِ مدافعَ عديمةِ الارتداد والكثيرِ من الأسلحةِ الصَّغيرة. قسَّمتُ 60 من رجالي في ثلاث مجموعاتٍ، كانت كلُّ واحدةٍ منها مؤلَّفةً من عشرين رجلاً، وذلك لتنفيذِ الهجومِ على كلٍّ من شركةِ منسوجات "باغرامي" ومحطَّةِ الشُّرطة ومؤسَّسةِ الباصات، وقد كانت الأخيرةُ هي هدفُنا الرَّئيسي. بينما كلَّفتُ الـ 60 مقاتلاً الباقين بمهمةِ تأمينِ طرقِ تقدُّمنا وانسحابِنا، حيثُ كانَ من الاعتبارات الرَّئيسيَّة في حربِ عصاباتِ المدن: تغطيةُ طرقِ الانسحاب.

تحرَّكت قوَّاتُنا من قاعدتِنا لتنتشرَ في القرى المُحيطة بالمدينة، وقد كتمْنا حقيقةَ العمليَّة عن الجميع ما عداي أنا والقادة الثَّانويين حفظاً لسرِّيَّة العمل. وحين وصلْنا للقرى المحيطة، شرحَ القادةُ لرجالِهم المهمَّة وواجباتِهم فيها، فكانت مهمَّةُ المجموعة الأولى الهجومَ على مصنع الغزلِ والنَّسيج، بينما كانت الثَّانيةُ المعزَّزةُ بمدفعٍ عديمِ الارتداد وهاونٍ وبعضِ قاذفاتِ الآر بي جي مُخصَّصة لتهاجمَ مركزَ الشُّرطة في "كارت ناو"، أمَّا الثَّالثة التي كنتُ أنا أقودُها فكانت مهمَّتُها أن تقومَ بتنفيذِ الهجومِ الرَّئيسيِّ على مؤسَّسةِ الباصات. وحين تحرَّكنا، نشرْنا عناصرَ التَّأمين خارجَ جميع المراكز الأمنيَّة في المنطقة، وأرسلتُ مجموعةً واحدةً من التَّأمين لمهاجمةِ المركزِ الأمنيِّ عندَ "سينما إقبال"، حتى لا يتدخَّلُوا في إغارتِنا.

---

[222] القائد شهاب الدين من قرية شيوكي جنوب كابول. لا توجد خريطة في هذا المقال

بينما كانَ المجاهدون يتجهَّزون للهجومِ على المركز، مرَّت دوريَّةُ جيبٍ بالقرب منهم، فدمَّرُوها بقذيفةِ آر بي جي، وحينَ رأى الجنودُ في المركزِ الأمنيّ السَّيَّارةَ المُحترقة، ولُّوا الأدبارَ هاربين بعيداً، فاغتنمَ المجاهدون ثلاثَ بنادقَ كلاشنكوف من موقعِهم.

قدتُ مجموعتي إلى مرآبِ الباصاتِ الكبير للمؤسَّسة. وحين وصلْنا، عيَّنتُ عدَّةَ حُرَّاسٍ لمنع حدوثِ أيِّ مُباغتةٍ لنا، ثمَّ هجمْنا على المفرزةِ الأمنيَّةِ في موقف الباصات، فقتلنا ثمانيةً من العدوِّ وأسرنا اثنين، وحرَقْنا 127 باصاً ضمنَ المرآب، ولم تفلت من الباصاتِ إلا ثلاثةٌ. اغتنمْنا 13 أو 14 بندقيَّةَ كلاشنكوف و155 حربةً! ثمَّ انسحبْنا عائدين سالمين إلى قاعدتنا. وعلمتُ بأنَّ مجموعةَ شركةِ المنسوجات قد استطاعَت قصفَ المصنع بالهاون والأسلحةِ الثَّقيلةِ متسبِّبةً بأضرارٍ في مبانيها. وبعدَ العمليَّة، خَلَت كابول من باصاتِ النَّقلِ لمدَّةٍ طويلة.

التَّعليق:

إنَّ هجماتِ العصاباتِ في المدنِ تزعزِعُ من مِصداقيَّة الحكومةِ وموثوقيَّتِها عبرَ تدميرِها للمعنويَّات واستهدافِ المؤسَّساتِ الحكوميَّةِ البارزة وتعطيلِها لحياةِ النَّاسِ اليوميَّة. وكانت محطَّةُ الباصاتِ هدفاً مثاليَّاً لكونها تظهرُ بوضوحٍ لا لَبْسَ فيه قدرةَ المجاهدين على الوصولِ وقد أبطأتْ حياةَ العاصمةِ بُطئاً بالغاً.

المقالة العاشرة: إغارة لاغتنام أسلحة في "تشاريكار"

رواية القائد "سرشار"[223]

تشاريكار هي عاصمةُ ولاية بروان، ولها مركزُ مدينةٍ مُكتظٌّ ومرصوصةٌ بناياته. يبلغُ مساحةُ المدينة تقريباً واحد كيلومترٍ مربعٍ، كما تملكُ ضاحيةً كبيرةً، ويُسمَّى القسمُ الشَّماليُّ منها بمنطقةِ السِّجنِ الجديد، بينما يقعُ في هذا القسمِ مقرُّ الميليشيات الحكوميَّة (وحدات الدفاع الذاتي). كانَ لنا داخلَ المقرِّ مخبرٌ اسمه "مالك شاه"، وقد وَعَدَنا في أكتوبر/تشرين الأول عام 1983 بإدخالنا إلى داخلِ مجمَّع مقرِ الميليشيات بينما يكونُ قائدُه نائماً، فحشدْنا 65 مجاهداً من قاعدتي لتأديةِ هذه المهمَّة، وقد تسلَّحُوا برشَّاشي غورنوف ثقيلين، وثلاثِ رشَّاشات بيكا متوسطة، وأربع قاذفاتِ آر بي جي – 7 وبنادقِ كلاشنكوف وإنفيلد.

قسمتُ تلكَ القوَّةَ إلى ثلاثِ مجموعاتِ تأمينٍ ومجموعةِ اقتحام، ونشرْتُ مجموعةَ التَّأمينِ الأولى قربَ الشَّارعِ شمالَ شرقَ المقر، بينما جعلتُ الثَّانيةَ شمالَ غربَ المقرِّ لتغطيةِ مجنبتنا الأخرى، وقد كانت مهمَّةُ هاتين المجموعتين: حمايةَ مجموعةِ الاقتحام، بينما خَصَّصتُ مجموعةَ التَّأمين الثَّالثة لتأمينِ طريقِ الانسحاب شمالاً إلى "أوفيان شريف".

اقتربْنا من الهدفِ ليلاً في السَّاعة 02:00، وبعدها بساعةٍ تَلَقَّيْنا إشارةَ الكَشَّافِ الضَّوئي المتَّفقِ عليها من المقر، فتسلَّقتُ برفقةِ ثمانيةِ مجاهدين من مجموعةِ الاقتحام السُّورَ، ودخلنا المجمَّع. لم يكد "مالك" يُرينا الغرفَ الثَّلاثةَ لمبنى المجمع حتى كَشَفَنا أحدُ عناصرِ الميليشيات بعد أنْ استيقظَ من نومه فجأةً، وبعدَ أن رآنا بدأَ بالصُّراخ مباشرةً. لم يكن لدينا وقتٌ نضيِّعه، فاقتحمْنا مُسرعين الغُرَفَ الثَّلاثة ونحنُ نطلقُ النَّار، وَقُدتُ المجموعةَ إلى غرفةِ القائد، فاستطعْنا قتلَ 20 من الميليشيات، بينما لم يُقتَل من

[223] كان القائد سرشار ضابطَ شرطة في بروان وعملَ في السِّرِّ مع المجاهدين. وعندما كان غطاؤُه الأمني على وشك الانكشاف، هربَ وأصبحَ قائدَ المجاهدين في غوربند. وقادَ مجموعةً متنقِّلة في جبهة غوربند قرب تشاريكار. لا توجد خريطة للمقالة، ورقم خريطة تشاريكار 2887.

رجالي إلا واحدٌ فقط وجُرِحَ آخر. اغتنمْنا 16 بندقية، واغتنمتُ مُسدَّسَ القائدِ الذي كانَ من طراز ماكروف. ولأنَّ إطلاقَ النَّار قد انحصرَ داخلَ الغُرف، فقد كانَ الضَّجيجُ مكتوماً، ولم تنتبه المراكزُ الأمنية الأخرى لما حدَث، ويظهرُ أنَّه لم تعلمْ بأنَّا استوليْنا على المركز، فاستطعْنا المغادرةَ قبلَ الفجر، وَعُدْنا إلى "أوفين شريف"، لنصلَ في الليلة التَّالية إلى قاعدتِنا في "غوربند".

التَّعليق:

كانت شوارعُ "تشاريكار" الجانبيَّةُ ضَيِّقةً وَمُلتويةً، فكانَ تأمينُ الجنبات وطريقِ الانسحاب أمراً في غايةِ الأهميَّة دوماً، وقد خُصِّصَ لهذه المهمَّةِ معظمُ عناصرِ حرب المدن. وفي هذه العمليَّةِ تمَّ تخصيصُ 87% من العناصرِ للتأمين، ونرجِّحُ بأنَّ هذه النِّسبةَ لم تكن زائدةً عن اللزوم. لكن يَشُكُّ المرءُ في فعاليَّةِ نظام "تشاريكار" الأمنيّ الحكوميّ، لاسيما بأنَّ 20 جنديَّاً قُتلوا بأسلحةٍ آليَّةٍ في السَّاعة 03:00 ولم تشدَّ هذهِ الحادثةُ انتباهَ أحد.

المقالة 11: إغارة ليلية على مركزٍ أمنيٍ في المدينة

رواية "غلام فاروق"[224]

كنتُ طالباً في المدرسةِ الثَّانويَّةِ في قندهار، فكنتُ أستخدمُ هويَّتي المدرسيَّة للتَّحرُّكِ بحرِّيَّةٍ في أرجاءِ المدينة بغرضِ دعمِ المجاهدين. وكنتُ أحاولُ إجراءَ اتِّصالاتٍ مع جنودِ الجيشِ الأفغاني في مراكزِهم الأمنيَّةِ أثناءَ النَّهار، ثمَّ تقديمِ المعلومات التي أحصلُ عليها للمجاهدين لاستخدامِها في الهجومِ على الجيشِ الأفغانيِّ ليلاً. وفي أحدِ أيَّام يناير/كانون الثَّاني 1984م، تواصلتُ مع جنديٍّ أظهرَ الرَّغبةَ في التَّعاونِ مع المجاهدين للاستيلاءِ على نقطتِه الأمنيَّةِ في قندهار التي تُسمَّى نقطة (سراي ساعتها). وقد كانت هذهِ النُّقطةُ تقعُ في الطَّابقِ الثَّاني من إحدى بناياتِ حي "بازار (سوق) شاه"، بعد تقاطعٍ للسُّوقِ مع شارعِ "علي زاي". وكانَ العدوُّ يهدفُ من خلالِ هذه النُّقطةِ إلى السَّيطرةِ على طريق "علي زاي" الذي عادةً ما استخدمَهُ المجاهدون كمدخلٍ للمدينة.

أخذتُ الجنديَّ على متنِ درَّاجتي إلى "تشاردوال" على بُعْدِ ستَّةِ كيلومترات جنوبَ المدينة، فالقتيناْ هناكَ بقائدي "علي ياوار"، وتناقشْنا حولَ خطَّةِ العمليَّة، ثمَّ أعدت الجنديَّ إلى المدينةِ على متنِ الدَّراجة أيضاً. وفي تلكَ الليلة اجتمعَت مجموعتُنا المؤلَّفةُ من 30 رجلاً، ودخلنا المدينةَ من الجهةِ الجنوبيَّةِ قربَ بوَّابةِ "شيكاربوبر" (شارع رانغريزها). ومن هناك تحرَّكنا عبرَ شارعِ "شيرالي خان" قرب "بازار (سوق) هيرات"، ثمَّ منهُ إلى شارعِ "ولي محمد". وفي هذا الطَّريقِ وضعْنا مجموعةً تعملُ على تأمينِ انسحابِنا.

كنَّا قد اتَّفقْنا معَ مُخبرنا بأنَّنا سنأتي السَّاعة 22:00، وقد وصلْنا فعلاً في الوقت المحدَّد. وعندَ اقترابِنا من النُّقطة، أشرْنا له بكشَّافِنا الضَّوئي، فخرجَ لنا الجنديُّ المُخبر، ثمَّ عبرنا الطَّريقَ المعبَّد ونشرْنا مجموعةً

[224] كان غلام فاروق أحد أفراد عصابات المجاهدين في قندهار. وكان ينتمي للحركة الإسلامية بقيادة "آية الله الشيخ آصف محسني"، وهو فصيلٌ من الأقلية الشيعية. كان اسم غلام الحركي "غولالاي". (لا توجد خريطة للمقالة.)

أخرى لتأمينِ البوَّابة، وبذلك صارَ لدينا 22 رجلاً مخصَّصينَ لتأمينِ الطَّريقِ والبوَّابة، بينما دخلَ باقي الثَّمانية عبرَ البوَّابة، وصعدُوا إلى الطَّابق الثَّاني. كانَ الجميعُ في الظَّاهر نائمون، إلا أنَّه كانَ هناك جنديٌّ واحدٌ كانَ قد أكملَ نوبتَه للحراسَةِ وافترضنا بأنَّهُ نائمٌ، إلا أنَّه لم يكن كذلك! فأمسكَ بندقيَّته، وبدأَ بإطلاقِ النَّارِ علينا، فقتلَ واحداً منَّا. ردَّ أخو القتيلِ النِّيرانَ فقتلَ الجنديَّ واثنينِ من رفاقِه النَّائمين، كما أسرْنا أربعةَ جنودٍ آخرين، واغتنمْنا تسعَ بنادقَ ومسدَّساً، بينما انضمَّ المُخبرُ إلينا لِيَهربَ من الجيش.

نَبَّهَ صوتُ النِّيرانِ القوَّاتَ الأفغانيَّة الأخرى، ممَّا كان سيصعِّبُ من مهمَّتِنا في إخراجِ جثَّةِ قتيلِنا من المدينة، فقرَّرنا نقلَ الجثَّةِ إلى بيتٍ آمنٍ حيثُ نستطيعُ تركَها ليلاً. وبينما كنَّا نسيرُ في الشَّارع، هربَ أحدُ أسرى الجيشِ الأفغاني، فحاولَ أحدُ المجاهدين رميَه إلا أنَّه تفاجأَ بنفادِ ذخيرتِه. تيقنَّا وقتَها بأنَّ الجنديَّ الهاربَ سيبلِّغُ بمكانِ وجودِنا للسُّلطات. ولأنَّه قد هربَ بالقربِ من البيتِ الآمن، فلم يعدْ بالإمكانِ تركُ جثَّةِ صاحبِنا هناك، فأخذنَاها وخبأنَاها قربَ أحدِ المخابز، وغطَّيْنا آثارَ الدِّماءِ بالتُّراب، ثمَّ انسحَبْنا من حيثُ أتيْنا، وخرَجْنا من المدينةِ السَّاعة 02:00.

بعدَ أن علِمتِ الحكومةُ بأنَّنا تركْنا جثَّةَ صاحبِنا، قامُوا بإغلاقِ جميعِ مداخلِ المدينة، وعلى الرُّغم من محاولتِنا الدُّخولَ لاسترجاعِ الجثَّةِ في الليلةِ التَّالية، إلا أنَّنا عجِزْنا عن ذلك. حَاولْنا في الليلةِ الثَّالثةِ العبورَ من طريقٍ مُختلفٍ من شمالِ المدينة عبرَ ضواحي "تشاوناي"، فتحرَّكْنا من "كالاتشاي ميرزا" إلى "تشاوناي"، ودخلْنا المدينةَ لنصلَ بعدَها إلى المخبز. لم تستطعِ الحكومةُ العثورَ على الجثَّة، بينما استطعْنا نحنُ استرجَاعَها، والخروجَ من المدينةِ لدفنِها على نحوٍ لائق. وقد كانَ قتيلُنا "حفيظ الله" من خرِّيجي جامعةِ كابول.

التَّعليق:

كانَ التَّحرك عبرَ المدينةِ عاليَ الخُطورة ما لم يتمَّ تأمينُ الطُّرُقات. وفي هذه الحالة، كانَ أكثرُ من ثُلثي قوَّةِ المجاهدين مخصَّصاً لتأمينِ الطَّريق، وهوَ ما مكَّنَهم من الخروجِ من المدينةِ بأمانٍ. ومن جهةٍ أخرى كانَ تأمينُ الأسرى غيرَ مُحكم، حيثُ كانَ يجبُ تقييدُهم وتكميمُهم وربطُهم في مجموعاتٍ صغيرةٍ مع بعضِهم البعضِ لإحكامِ السَّيطرة عليهم. وإن كانَ مُمكناً، فيجبُ تغطيةُ أعينهم حتَّى يجهلُوا مكانَهم ويعجزُوا عن تقديمِ معلوماتٍ فوريَّةٍ في حال استطاعُوا الهروب. الأمرُ الأخير، أنَّه كانَ يجبُ إبقاءُ قوَّةِ الإغارةِ صغيرة، ومع ذلك كانت نسبةُ المجاهدين في هذهِ العمليَّة أمامَ عناصرِ الجيشِ الأفغانيّ متعادلة تقريباً. وقد ضمنت المباغتةُ للمجاهدين تفوّقاً، لكنَّ الجنديَّ المُستيقظَ أضعفَ نوعاً ما هذا التفوُّقَ.

المقالة 12: إغارة على مركز اتصالات قندهار

رواية غلام فاروق[225]

استمرَّ استخدامي لهويَّتي المدرسيَّةِ خلالَ تجوالي في أنحاءِ قندهار، فكنتُ أوصلُ الرَّسائلَ إلى المجاهدين، وأحاولُ الاتّصالَ بجنودِ الجيشِ الأفغاني على أملِ إعطائي بعضَ المعلومات القيّمة أو الحصولِ على تعاونِهم معَ المقاومة. في أغسطس/آب عامَ 1984م، وجدتُ جنديَّاً أفغانيَّاً يريدُ التَّعاونَ مع المقاومة، وكانَ اسمهُ "حنيف"، ويعملُ في مقسمِ هاتف قندهار. لقد قَبِل هو ورفيقُه في الجيشِ الأفغانيّ أن يساعدَانا، فأخذتُ "حنيف" إلى قاعدتِنا جنوبَ مدينة قندهار في "تشاردوال" للتحدُّثِ مع قائدِنا "علي ياوار"، فقالَ له "ياوار" إنَّ المقسمَ أقوى من أن يؤخذَ بإغارةٍ، إلا أنَّ حنيف أخبرَه بأنَّه مستعدٌّ مع أصدقائِه لتقديمِ المُساعدة.

بَعدَ عدَّة ليالٍ، جمعَ علي ياوار 120 مجاهداً لتنفيذِ الإغارة، وسلكَ المُقترب الشَّمالي من "كالاتشاي ميرزا محمد خان" إلى ضاحية "تشاوناي"، ومن تشاوناي إلى "توبخانا" (القسم الشيعي من المدينة)، ثمَّ تحرَّكنا إلى شارعِ "بالا"، وأثناءَ ذلكَ كانَ "علي ياوار" قد نشرَ 100 مجاهدٍ لتأمينِ الطَّريق. وأخيراً وصلْنا إلى مكانٍ أمامَ المركزِ الأمنيّ المُكلَّفِ بحراسةِ مقسمِ الهاتف من الخارج، وأطلقْنا إشارتَنا المتَّفقَ عليها عبرَ الكشَّافِ الضَّوئي، فخرجَ لنا "حنيف".

وضعَ "علي ياوار" مفرزةَ تأمينٍ أخرى في هذا المكان، ثمَّ سِرنْا 12 رجلاً سويَّةً عبرَ الشَّارع لندخلَ المجمَّعَ المُسوَّر، وكانَ فيه مَحرَسٌ وَمَبَانٍ أخرى، فأخذَنا حنيف إلى المحرس، وجلسْنا فيه بينما كانت الدَّوريَّاتُ الأفغانيَّةُ تعبرُ من قربنا، حيثُ سارَت كالمعتاد دوريَّةٌ أمنيَّةٌ من الشَّرقِ لتمرَّ بجوارِ المجمَّع دونَ أن تلاحظَ أيَّ شيءٍ غيرَ معتادٍ. أمرنا "حنيف" بأنَّ نبقى صامتين لأنَّ هناكَ دوريةٌ أخرى كانت قادمةً من الغرب، فانتظرْنا مرورَها بسلام. بالإضافةِ لكلِّ هؤلاء، كانَ هناكَ ثلاثةُ حرَّاسٍ داخلَ المجمَّع، وكانَ علينا تحييدهم. كانَ حنيف قد أقامَ لهم في اللَّيالي الثَّلاثة الماضية استراحةً

[225] ساهم غلام فاروق في المقالة السابقة. لا توجد خريطة للمقالة.

لتناولِ الشَّاي والكعك. وبعدَ مرورِ الدَّوريتين، كانَ على الحرَّاس أن ينسلُّوا فرادَى إلى المحرس لنيلِ الاستراحةِ. وبعدَ دخولِ الحارسِ الأوَّلِ إلى المَحرس، استطعْنا التَّغلبَ عليه وقيَّدناه وكمَّمناه ثمَّ أخذناهُ إلى مجموعةِ التَّأمين الخارجيَّة لتأخذه بعيداً. وبالأسلوب نفسهِ تخلَّصْنا من الحَارسيْن الباقييْن.

أمضيْنا 35 دقيقةً داخلَ المَحرس لتفادي دوريَّاتِ الحراسةِ وللتَّخلُّصِ من الحراس، ثمَّ خرجْنا من المَحرسِ حاملين جركانات (بيدونات) البنزين، حيثُ كانَ من ضمنِ خُطَّتنا حرقُ المقسمِ والمجمَّع المحيطِ به. وحينما دخلْنا مَبنى المقسمِ الرَّئيسي، استيقظَ الحارسُ النَّائمُ داخله، بينما كنَّا نصعدُ السُّلَّمَ إلى الطَّابقِ الثَّاني، كانَ الحارسُ قد التقطَ بندقيَّته الكلاشنكوف وبدأَ بإطلاقِ النِّيران علينا، فَقَتَلَ المجاهدَ "محمد نبي" من تشاردوال و"شيراندام"، كما جرحَ أيضاً "غلام رضا"، فدبَّت في المكانِ فوضى عارمةٌ منذُ تلكَ اللَّحظة. كنَّا نرمي النِّيرانَ في جميعِ الاتِّجاهات فيما كانَ أشخاصٌ آخرون يردُّون النَّارَ علينا، ولم يفهم أحدٌ ما يجري، فحملْنا قتلانَا وجرحَانا وتسعَ بنادقَ كلاشنكوف، ثمَّ غادرنا المكانَ على عُجالةٍ إلى الحدِّ الذي لم نشعلْ فيه النِّيران في المكان. ورجعْنا على آثارِنا لنصلَ إلى "كالاتشاي ميرزا محمد خان" في السَّاعة 02:30. وفي اليومِ التَّالي، علمْنا بمقتلِ أربعةِ جنودٍ أفغان معَ بعضِ أقربائِهم ممَّن كانُوا يقيمونَ هنالك معَهم.

التعليق:

كانَ للمجاهدين خطَّةُ تحركٍ جيّدةٍ عبرَ المدينة، إلا أنَّهم لم يمتلكُوا أيَّ خطَّةِ عملٍ بمجرَّدِ دخولِ المجمَّع. ومن ثمَّ، لم تكن هناكَ أيُّ مراجعةٍ قبلَ الإغارة. فقد تركَ القائدُ خطَّةَ العملِ الحسَّاسةِ داخلَ المبنى للمتعاون، وهذهِ فكرةٌ ليست بالجيدةِ دائماً. عملياً، سَلَّمَ القائدُ القيادةَ للمتعاونِ في المرحلةِ الأكثرِ حساسيةً من الإغارة. لقد أمضت قوَّةُ الإغارة 35 دقيقةً مجتمعةً داخلَ المَحرس، وقد كانَ هذا أمراً في غايةِ الخطورة، فقوَّةُ الإغارةِ ستكونُ هذه ضعيفةً جداً إذا كانَ المُتعاون خائناً. بالإضافةِ إلى ذلك، فالجنودُ النَّائمون لا ينامون دائماً طوالَ اللَّيل، كما أنَّ المحارسَ تُزارُ كثيراً.

كانَ المغيرون يَحتاجون إلى قوَّةِ تغطيةٍ داخلَ المجمَّع. ربما لم تكنْ هناك طريقةٌ أخرى لتحييدِ الحراس، إلا أنَّ تكليفَ القوَّةِ المغيرةِ بهذا الأمرِ يَنطوي على مخاطرةٍ كبيرةٍ. وكانَ ينبغي على المُتعاون معرفةُ الحارسِ داخلَ المقسم، إلا أنه يبدو أنَّ المتعاون لم يُعِدَّ خطةً لإسكاتِه قبلَ دخولِ القوَّةِ إلى المبنى، بينما كانَ ينبغي على القُوَّةِ المُغيرة تحقيقُ السُّرعةِ في الدُّخولِ والخروجِ.

بما أنَّ القائدَ تلاشَت قيادتُه في المرحلةِ الحَسَّاسةِ من العمل، فقد تصرَّفت العناصرُ عشوائيَّاً حينَ ساءَت الأمور. إلا أنَّ الأمرَ الذي يستحقُّ الثَّناءَ عليه هو: أداءُ المجاهدين خلالَ إخلاءِ قتلاهُم وَجَرحَاهم وغنائِمَهم. ومعَ ذلك، لم يقتطعْ أحدٌ منهم من وقتِهِ 30 ثانيةً لسكبِ البنزين وإشعالِه، حيثُ كانَ الهدفُ الرَّئيسيُّ من العملِ هو إحراقُ المقسمِ وهذا لم يَحدُث.

المقالة 13: الهجوم على مقر الاستخبارات الأفغانية (خاد)

رواية "محمد همايون شاهين"[226]

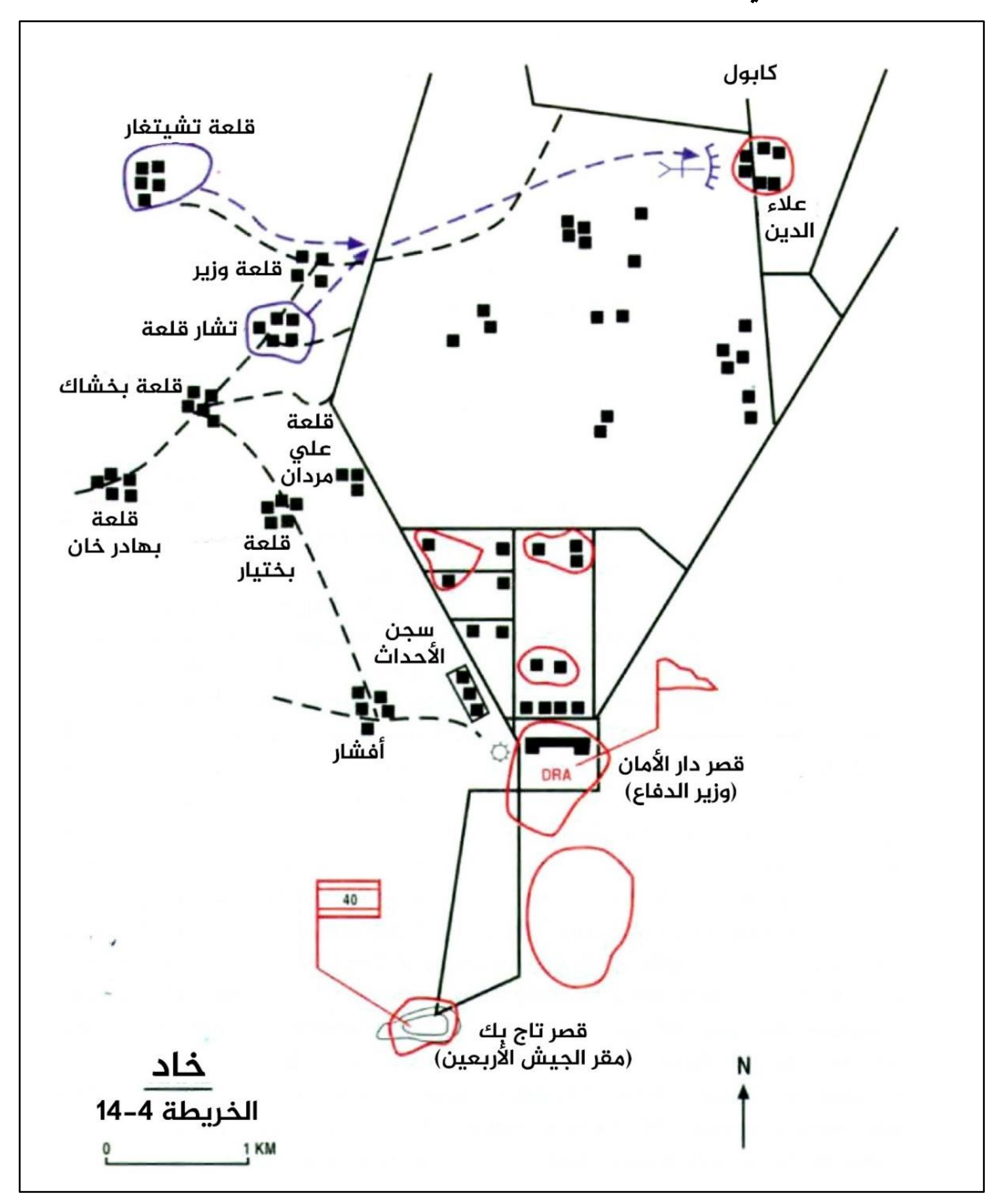
في مساءِ 13 أغسطس/آب 1986، قُدتُ هجوماً مؤلَّفاً من خمسةِ أشخاصٍ ضدَّ مقرِّ الاستخباراتِ الأفغانيَّة في كابول. كانَ مبنى المديريَّةِ الأولى لِخاد واقعاً قربَ قصرِ دارِ الأمان في منطقةِ علاء الدين جنوبَ كابول. كانت المديريَّةُ تعملُ على مدارِ السَّاعة، وتقعُ ضمنَ جزءٍ من البلدةِ ذو حمايةٍ عاليةٍ (خريطة 14-4-خاد)، وذلك ما جعلَنا نوظّفُ لهذه المهمَّةِ مجموعةً صغيرةً للقيامِ بضربِ الهدف ثمَّ الهربِ بسرعة. تسلَّحنا بأربعِ بنادق AK-47 وقاذفِ آر بي جي – 7، ووضعْنا خُطَّةً للتَّسلُّلِ ليلاً ورميِ قذيفةٍ على البنايةِ ثمَّ النجاةِ بالفرار. وكانَ من ضمنِ مجموعتي: أخي ونور الله ومعمور عبد الله وشاه محمد ومحمد زاهر.

كانَ لديَّ مقرٌّ سرّيٌّ تحتَ الأرض في قريةِ "قلعة تشيتغار" التي تقعُ على بُعدِ 2.5 كيلومتراً غربَ مشارفِ كابول، وكنَّا نحتفظُ فيه بأسلحَتِنا، حيثُ كنَّا بعدَ كلِّ مهمَّةٍ ننظّفُ أسلحتنا ونُزيّتُها ونلفُّها بملابسَ قطنية ثمَّ نضعُها داخلَ أكياسٍ بلاستيكيَّةٍ مغلَقةٍ بإحكام، نخبِّئها بعدَ ذلك في أنابيبِ الصَّرفِ الصِّحي وفي الأماكنِ البعيدةِ عن الحركةِ والمخفية. تجهَّزنا لتنفيذِ المهمَّة، فأخرجنا أسلحتَنا، وانتظرنا حلولَ الظَّلام، ثمَّ غادَرنا "قلعة تشيتغار" في ساعةٍ متأخرةٍ من الليل. وقد كانت هذه القريةُ تقعُ على بُعْدِ أربعِ كيلومتراتٍ غربَ المبنى المُستهدف.

وحين وصلْنا لمنطقةِ الهدف، تستَّرنا خارجَ مبنى المديريَّة الأولى لخاد، ووضعتُ راميَ الآر بي جي في موقعٍ صالحٍ للرِّماية معَ بعضِ العناصر لحمايته. كان رامينا المعتادُ للآر بي جي غائباً هذه المرَّة، فاضطرِرْتُ لتعيينِ رجلٍ بديلٍ للرمي على القاذف، غيرَ أنَّ هذا الراميَ الجديد لم يكن قدْ جَرَّب الرمي سابقاً بشكلٍ فعلي، لأنَّنا كنَّا عصاباتٍ حضريَّةً، وقلمَّا توفَّرت لنا الفرصةُ للتمرن على الرمي. عملتُ كمساعدٍ له، وحملتُ له القذائف، وساعدتُه في تلقيمِ السِّلاح. وانطلاقاً من مراقبتِنا لأضواءِ النَّوافذ،

[226] ذكرنا محمد شاهين في المقالة السابقة.

اعتقدتُ بأنَّ الطَّابقَ الثَّاني هو الأكثرُ ازدحاماً بعناصرِ المُخابرات، فأمرتُ الرَّامي بإطلاقِ القذيفةِ على نافذةِ الطَّابق الثاني. لم تكن لدينا أيَّةُ حمايةٍ للآذان، فأمرتُ الرَّامي بأن يُبقيَ فَمَهُ مفتوحاً أثناءَ الرَّمي لتخفيفِ أو معادلةِ الضَّغط، ولضمانِ ذلك طلبتُ منه أن يصرخَ عالياً "الله أكبر" ثلاثَ مَرَّاتٍ قبلَ أن يرمي، إلا أنَّ الرَّامي الجديد الذي كان شيعيَّاً ابتسمَ وقالي لي: "سأفعلُ ما تقول، ولكنَّني سأضيفُ للاستغاثة "يا علي".[227]



[227] يهتفُ الشِّيعةُ بيا علي حين الدعاء لطلب التأييد الإلهي.

سدَّدَ الرَّامي مكبراً ورمى القذيفة، فحلَّقت القذيفةُ مبتعدةً، إلا أنَّها بدلاً من أن تصيبَ الطَّابق الثاني أصابَت الطَّابق الرابع، فهاجَ المبنى بمن فيه، إلا أنَّ أحداً منهم لم يردَّ علينا برصاصةٍ واحدة. غادَرنا المنطقةَ على الفور، وانسحبْنا إلى قاعدتنا. وقد علمْنا فيما بعد بمقتلِ وجرح ما يزيدُ عن 20 شخصاً بهذا الهُجوم.

التَّعليق:

هناكَ أماكنُ أفضلُ للتَّدريب على الأسلحةِ والتَّأهُّلِ لحملِها من ميدانِ المعركة نفسه. وفي هذه الحالة، كانَ الهدفُ أكبرَ من أن يخطِئَه الفرد. ومعَ ذلك، أخطأ الرَّامي هدفَه بطابقين اثنين. ومثَّل فقدانُ التَّدريبِ الموحَّدِ مشكلةً ثابتةً أمامَ قادةِ المجاهدين، بينما كانَ أفضلُ تدريبٍ تلقَّاهُ المجاهدون هو ذاكَ الذي حَصَلوا عليه في مُعسكرات باكستان أو قواعِدِهم في الجبال. ومالم يتمَّ إرسالُ عصاباتِ المدن للتدريب، فإنَّهم سيفتقدون التدريبَ بالنِّيران الحيَّة عدا ما قد يحصلُوا عليه من خبرةٍ في القتال الحقيقي. وعادةً ما تُخَصِّصُ العصابات مجموعةً كبيرةً للتأمين، إلا أنَّه في هذهِ الحالة اعتمدَ الفريقُ المؤلَّفُ من خمسةِ رجالٍ على المُخبرين المَحليين لمراقبةِ المنطقةِ بدلَ تخصيصِ مجموعةٍ لتأمينِ الطَّريق.

المقالة 14: إغارةٌ على حامية الفرقة 15

رواية القائد "أخترجان"[228]

كانَت الفرقةُ 15 للمُشاةِ الأفغانية مُرابطةً في مَدينة قندهار، وكانَ لدينا فيها مجموعةٌ من المُخبرين. وفي خريف عام 1987م، دَعَانا المُخبرون لنأتيَ ونستوليَ على أسلحةٍ من سريَّةِ الشُّرطةِ العسكريَّةِ التَّابعةِ للفِرقة، فجَمَعْنا لهذه العمليَّةِ 100 مجاهدٍ، وكنتُ أنا قائدَ مجموعةٍ مؤلَّفةٍ من 15 رجلاً من ضِمنهم. عَبرْنا نهرَ أرغنداب من قاعدتِنا في "تَشاهرقولبا" إلى "بابا ولي صاحب"، ومن هناكَ عَبرنا ضاحيةَ "تَشاونايِ" لِنَصِلَ أخيراً إلى حاميةِ الفِرْقة الرَّئيسية. انتظرْنا حتَّى بزوغِ القمر قريباً من مُنتصفِ اللَّيل، وكانَ مَبنى الشُّرطةِ العسكريَّةِ في نهايةِ المُجَمَّعِ الرَّئيسي، فَزَحفْنا مُتَسَلِّلينَ إلى المبنى، لنرى سُلَّماً على السُّورِ وَضَعَه لنا المخبرون، فاتَّخذَ 50 من رجالِنا مواقعَ خارجَ المُجَمَّع، بينما تَسلَّقت مجموعةُ الإغارةِ المؤلَّفةِ من 50 شخصاً السُّلَّمَ حتَّى وصلْتُ سطحَ المبنى، ثمَّ تَسلَّقْنا نزولاً لندخلَ ضِمنَ سورِ المُجَمَّع.

كانَ بعضُ مُخبرينا في ذلكَ الوقتِ ضِمنَ نَوبةِ الحِراسة، فلم نواجِهْ أيَّةَ مشاكل. التقيْنا بالمُخبرين، فقادُونا إلى مَبنى الثُّكنات، واجتَمَعْنا هناكَ في غرفةٍ فارغةٍ كبيرةٍ، ثمَّ أَخَذَنا المخبرون إلى عِدَّةِ غرفٍ تحوي كُلُّ غرفةٍ منها خمسةَ أو ستَّةَ جنودٍ نائمين. كانت أسلحتُهم مُخزَّنةً في الغُرَفِ فَأَخَذْناها، كما كانت توجدُ بجوارِ الثُّكناتِ مباشرةً غرفةُ أسلحةٍ كبيرةٍ، وبعدَ تجريدِ النَّائمين من أسلحتِهم، أغرْنا على غرفةِ الأسلحة، وأخَذْنا المئاتِ من القطع. بَدَأْنا بحملِ جميعِ الأسلحة إلى السَّطحِ لنمرِّرَها إلى رفاقنا خارجَ أسوارِ المُجَمَّع. وبينما كُنَّا نفعلُ ذلك، استيقظَ الضَّابطُ السِّياسيُّ لسريَّةِ الشُّرطة العسكريَّة، فرآنا

[228] كان القائد أخترجان قياديّاً في الجمعيَّة الإسلاميَّة الأفغانية في مديريَّة أرغنداب شمالَ غربَ قندهار. وكان طالباً في المدرسية الابتدائية حين انضمَّ إلى الجهادِ وعمره 12 عاماً. وفي نهايةِ الحرب أصبحَ قائداً وعمره 25 عاماً. وانضمَّ إلى الجهادِ لكون أخواه انضمَّا للجهاد وقتلا. وكانت تقاليدُ العائلة تُملي عليه أن يحلَّ محلهما. وعملَ تحتَ قيادة الملا نقيب، وهو أقوى قادةِ الجماعة الإسلاميَّة في المنطقة. لا توجد خريطة لهذه المقالة، وورقة خريطة قندهار مرقمة 2180.

وبدأَ بالصُّراخ، فأسكتنَاه قتلاً بحرابِنا، ثمَّ أكملْنا إخراجَ الأسلحةِ وغادَرنا القاعدةَ، بينما هربَ مخبرُونا من الجيشِ الأفغانيّ ليأتوا معنا. وكانَ مَعنا بعضُ العرب الطَّامحين في سُمعةِ الجهادِ لتصويرِ مقاطع مرئيَّة بكاميراتِهم، ولم تكنْ لهم في الواقعِ أيُّ قيمةٍ على الأرض.

التَّعليق:

كانَ اختراقُ المجاهدين للجيشِ الأفغاني أَمراً أساسيَّاً في إنجاح إغاراتٍ كهذه. إنَّ دخولَ مُجمَّعٍ وقتَ النَّوم أمرٌ في غايةِ الخطورة، حيثُ من المُتوقَّع أن يكونَ سُكَّانُه مُستيقظين أو مُهيَّئين للاستيقاظِ سريعاً، إضافةَ إلى وجودِ الحُرَّاس. ومن الأمورِ الأساسيَّةِ لعصاباتِ المدن أن يكونَ لديهم طريقُ اقترابٍ وطريقُ انسحابٍ آمنين، وبتحقيقِ هذينِ الشَّرطين، استطاعَ المجاهدون في هذهِ العمليَّةِ تأمينَ مجموعةٍ كافيةٍ لحملِ الأسلحة، إضافةً إلى تأمينِ أنفسِهم من الوقوعِ في كمينٍ أثناءَ العمل.

التَّعليق على الفَصل

إنَّ القتالَ الحضري صعبٌ على القُوَّاتِ النِّظاميَّةِ وقُوَّاتِ العصابات على حُدٍّ سواء. وطوالَ الحرب، لم تستطعِ القُوَّاتُ السُّوفييتيَّةُ والأفغانيَّة فرضَ سيطرتِها التَّامَّةِ على قندهار وهيرات. لكنَّ السُّوفييت بعدَ ذلك تعاملُوا مع عصاباتِ هيرات بقصفِ المدينةِ حتَّى حوَّلُوا 75% منها إلى أنقاض. ومعَ ذلك، فقد فشلُوا في إيقافِ العصابات الحضريَّة. بينما حَقَّقَ الجيشُ الأفغانيُّ نجاحاتٍ أكثرَ في السَّيطرةِ على كابول، إلا أنَّه لم يستطعْ إيقافَ أعمالِ العصابات وهجماتِها الصَّاروخية. أمَّا من النَّاحيةِ الأخرى، فقد كانَ من الصَّعبِ علينا أن نجدَ النَّاجين من أفرادِ العِصاباتِ الحضريَّةِ ممَّن لا يزالُ على قيدِ الحياة، حيثُ كانَ يتوجَّبُ على فردِ العصاباتِ الحضريَّة أن يكونَ شَبَحَاً شَرِسَاً حتَّى يستطيعَ النَّجاة. وقد ركَّزتِ القُوَّاتُ السُّوفييتيَّةُ والأفغانيَّةُ جزءاً كبيراً من جهودِها في الكشفِ عن العصاباتِ الحضريَّةِ والقضاءِ عليها.

الفصل 15: الاستنتاجات (الخلاصة)

"إنّنا كأمَّةٍ نؤمنُ بأنَّ التَّاريخَ يعيدُ نفسَه، فما لاقاهُ الغُزاةُ البريطانيونَ في القرنِ التَّاسع عَشَرَ سيلقاهُ حتماً الغزاةُ السُّوفييت. غيرَ أنَّ السُّوفييت من النَّاحيةِ الفَلسفيَّةِ لا يُقرّون بذلك، فهم يؤمنونَ بأنَّ التَّاريخَ أحاديُّ الاتّجاه وتقدميٌّ ولا يعيدُ نفسه. لكنَّ الذي حَصَل أنَّ التَّاريخَ أعادَ نفسَه وانتَصَرْنا في الحربِ مرَّةً أخرى."[229]

(الجنرال عبد الرحيم وردك)

فَقِه المجاهدون بأنَّ الحربَ الثَّوريَّةَ هي في الحقيقةِ صراعُ الإراداتِ الوطنيَّةِ والمصابرة، فلم يكن يَعنيهم غالباً النَّصرُ في ساحةِ المعركة، نظراً لأنَّ الثَّائرَ المسلمَ كانَ ينجو من معركةٍ واحدةٍ ليقاتلَ في ألفٍ غيرَها، ثمَّ يسلِّمُ الرَّاية لأبنائه من بَعدَه. لقد قاتلَ المجاهدونَ في هذه الحرب لا لأنَّهم كانُوا يهدفون كَسبَها أساساً، ولكن لأنَّهم اعتقدُوا أنَّ القتالَ واجبٌ دينيٌّ وَوَطني، ممَّا جعلَهم يَتَحمَّلون الخسائرَ الفادحةَ على مُستوى الأرواح والبنيةِ التحتيَّة، الأمرُ الذي أدَّى في آخرِ المَطاف -على غيرِ المُتوقَّع- إلى انسحابِ السُّوفييت.

إنَّ التَّكتيكاتِ التي طُبِّقت في الحروبِ الأفغانيَّةِ الإنجليزيَّة ما بينَ الأعوامِ (1839-1842، و1879-1880، و1919) لا يزالُ في الإمكانِ تطبيقُها الآن في الكثيرِ منَ الجوانب. وصحيحٌ أنَّ التِّقنيَّةَ الحديثةَ قد عَزَّزت من دقَّةِ الأسلحةِ ومدَاها، إلا أنَّ التَّضاريسَ بقيتْ هي مَن يُملي طبيعةَ التَّكتيكات على واقعِ المعركة. ومن جهةِ المجاهدين، فقد كانُوا مسرورينَ بتطبيقِ هذه التّكتيكاتِ العريقةِ المجيدة ضدَّ خصمٍ حديث. ومعَ ذلكَ يجبُ ألَّا نغفلَ، أنَّ مَنظومتينِ حديثَتينِ، تَسبَّبتا بخلقِ مشاكلٍ تكتيكيَّةٍ للمجاهدين خارجَ إطارِ خبرتِهم التَّاريخيَّة، وهما الألغامُ المُضادَّةُ للأفرادِ والمروحيَّات.

[229] المركز: لقد أعادَ نفسَه مرَّة ثالثة، وانتصرَ المسلمون الأفغان مرةً أخرى في الحربِ ضدَّ الغزاة، عندما اعترفت أمريكا بهزيمتها ضد الطالبان سنة 2020م.

كانت مُحاولاتُ الإبداعِ التَّكتيكيِّ أثناءَ الحربِ تحدثُ عندَ الحاجةِ إليها فقط، وكانَت تَنتهي بإيجادِ المجاهدين لِطُرُقِ عملٍ يلتفُّونَ بها على المُعضلاتِ التي خَلَقَتْها تقنيَّات العدو. أمَّا عندما لا تكونُ هناكَ حاجةٌ للإبداع، فعادةً ما كان المجاهدون يبقونَ على الأساليبِ القديمةِ المجرَّبةِ والمَضمونة، إذ لم تتغيَّر أساسيَّاتُ كمائنِ المجاهدين ومطارداتِهم منذُ القرنِ التَّاسع عَشَرَ وحتَّى اليومِ إلا قليلاً، بينما كانت عمليَّاتُهم خلالَ الاقتحاماتِ الجويةِ وضدَّ المراكزِ الأمنيَّةِ تتطوَّرُ بسرعةٍ وفقاً للضَّرورة.

أولاً: التِّقنيَّة

في هذا النَّوعِ من الحروب، تمنحُ التِّقنيَّةُ الحديثةُ صاحبَها تفوُّقَاً وامتيازات، إلا أنَّها تبقى غيرُ قادرة بمفردِها على حَسمِ الحرب. لقد كانَ للقنابلِ الذَّكيةِ السُّوفييتيَّةِ أثرٌ لا شكَّ فيه على مُجرياتِ المعركة، وذلكَ عندما كانَ يتمُّ تحديدُ مجموعةِ أهدافٍ مُناسبةٍ لها. ولكنَّ وصولَ الدَّعمِ الأمريكيِّ من الصَّواريخ المُضادَّة للطيران من طِراز ستينغر إلى أيدي المجاهدين، أحدثَ ذُعراً كبيراً لدى السَّوفييت وتغيُّراً بالغاً في تكتيكاتِهم الجويَّة. ومعَ ذلك، لم يكن لأيٍّ من المَنظومتين أثرٌ حاسمٌ في كَسبِ الحرب.

بالنِّسبةِ للمُعدَّاتِ السُّوفييتيَّةِ فقد كانت مُصمَّمة لخوضِ حربٍ مختلفةٍ على أرضٍ مختلفةٍ، وهذا ما جعلَها تفشلُ في تقديمِ الأداءِ الأمثلِ بينَ جبالِ أفغانستانَ وصحاريها. فلم تكنْ بنادقُ الكلاشنكوف الاقتحاميَّةُ أفضلَ من بنادقِ الإنفيلد البريطانيَّةِ التي كانت في زمنِ الحربِ العالميَّةِ الأولى، بل على العكس، لقد كانَت طَلقاتُ الإنفيلد أكثرَ دقةً وخَرقاً للسُّترِ المُضادَّةِ للرَّصاص التي صُمِّمت أصلاً لإيقافِ طلقاتِ الكلاشنكوف.

كانت قاذفاتُ الآر بي جي -7 سلاحَ المجاهدين المُفَضَّلَ لما امتازَت به تقنيَّتُها القاتلةُ من خِفَّةِ الوزن وقدرتِها على تدميرِ الدَّبَّابات وناقلاتِ الجُنود المُدرَّعة والشَّاحناتِ والمروحيَّات. كما كانت القُوَّاتُ السُّوفييتيَّةُ تنتهجُ أسلوبَ الابتعادِ عن المجاهدين بمسافةٍ لا تقلُّ عن 300 مترٍ، تجنُّباً لمدى الكلاشنكوف والآر بي جي -7. وقد دفعَ هذا الجُبْنُ التَّكتيكيُّ المجاهدين لاقتناءِ أسلحةِ طواقمٍ ثقيلة.

وبمرورِ الوقت، أصبحَتِ الرَّشاشاتُ الثَّقيلةُ والمدافعُ عديمةُ الارتدادِ ومدافعُ الهاون وراجماتُ الصَّواريخ المتنقِّلةُ جزءاً لا يتجزَّأُ من تَرسَانة المجاهدين، يستخدمُها قسمٌ منهم لتثبيتِ العدوِّ في موقعِه، بينما يقتربُ الجزءُ الآخرُ ليقتحمَ ببنادقِ الكلاشنكوف والآر بي جي. ولكنْ ينبغي التَّنبيهُ إلى أنَّ تلكَ الأسلحَةَ (أسلحة الطواقم) قد قيَّدت من حرِّيَّةِ الحركَةِ لدى العصابات.

كانَ للمقاتلاتِ الحربيَّةِ عاليةِ الأداءِ والقاصفاتِ السُّوفييتيَّةِ دوراً إستراتيجيّاً مؤثراً، وليس تكتيكيّاً. فقد استخدمَ السُّوفييت القُوَّةَ الجويَّةَ لتخريبِ الرِّيفِ الأفغانيِّ وإجبارِ سُكَّانه على الهروبِ بهدفِ حرمانِ المجاهدين من الغذاء، فقامُوا بتدميرِ المزارعِ والمحاصيلِ وقطعانِ المواشي والبساتين وأنظمةِ الرَّيِ، ما أجبرَ ملايينَ النَّاسِ على النُّزوح، كما أجبرَ المجاهدين أيضاً على حَملِ وجباتِهم مَعَهم إضافةً لمستلزماتِ الحربِ الأخرى. وعلى الرُّغم من كُلِّ هذا، فنادراً ما كانَ المجاهدون يقعونَ -كهدفٍ مؤثِّرٍ على مُجرياتِ القتالِ التَّكتيكِيِّ- تحتَ الضرباتِ الجويَّةِ والمِدفعيَّةِ السُّوفييتيَّة.

ضَاعَفت القدرةُ التِّقنية من قُوَّةِ السُّوفييت، حيثُ مكَّنتهُم من إعادةِ الإمدادِ الجويِّ لفترةٍ غيرِ محدودة في حالةِ الحِصار، كما ساعَدَتهم "القنابل السجَّادية"[230] على منع وقوعِ إبادةٍ في صفوفِ قُوَّاتِهم، وقامَتِ المِروحيَّاتُ الطبيَّةُ بإخلاءِ الجرحى لإنقاذِهم وإسعافِهم ثمَّ ليعودوا إلى الخِدمةِ من جديد، كما تقدِّمُ المجسَّاتُ التِّقنيَّةُ بياناتٍ استطلاعيَّةً في المناطقِ المَعزولة.

[230] المركز: هي عملية قصف كبيرة في منطقة واسعة. تحدث عادة عن طريق إسقاط كثير من القنابل غير الموجهة كالقنابل الجاذبية. والقصف البساطي أو السجادي هو تكتيك يهدف للتدمير الكامل للمنطقة المستهدفة، أو لتدمير الأفراد والعتاد، أو كوسيلة لإضعاف الروح المعنوية للعدو. وسميت بساطية لأن القنابل تغطي كامل المساحة بالطريقة ذاتها التي يغطي فيها البساط الأرضية.

ثانياً: تَشرذُمُ القيادة.

بَدا المجاهدونَ في الظَّاهرِ منقسمينَ إلى سبعةِ فصائلَ رئيسيَّةٍ، إلا أنَّ التَّفرُّقَ بينهم كانَ أوسعَ من ذلك بكثيرٍ في الحقيقة، فَقَد كانَت هناكَ فصائلُ في قلبِ الفصائل، وفوقَ ذلك كلّه كانت الخِلافاتُ والنّزاعاتُ القديمةُ التي حَدَثَت قبلَ الحربِ لا تزالُ مُؤثّرةً وموجودة، حيثُ تكرَّرت الصِّداماتُ المُسلَّحةُ بين مختلفِ فصائلِ المجاهدين، بل إنَّ بعضَ الفصائلِ المعينة قد اكتسبَت سُمعةً بأنَّها تُفضّلِ القتالَ الدَّاخليَّ أكثرَ من قتالِ السُّوفييت. ومع ذلك، فقد جَاهدتِ المُخابراتُ الباكستانيَّةُ لتنسيقِ أعمالِ مختلفِ الفصائلِ ووضعِها في خطَّة شاملة. غيرَ أنَّ الأمرَ لا يخلُوا مِن استثناءات، ففي بعضِ مناطقِ القتالِ مثلَ قندهار، كانَ هناكَ تنسيقٌ عالٍ بين المجاهدين مِن مختلفِ الفصائلِ بِغضّ النَّظرِ عن سياساتِ قادتِها.

في الحربِ الفيتناميَّة، كانت قُوَّاتُ الفيتنام الشَّمالية والفيت كونغ يسيطرُ عليها تسلسلٌ قياديٌّ هرميٌّ صَارم، وقد مثَّل هذا الأمرُ نقطةَ قُوَّةٍ للقُوَّاتِ الشُّيوعيَّة، وقد بذلَت الولاياتُ المُتَّحدةُ الكثيرَ من الجهودِ في سبيلِ العُثورِ على هذه القيادةِ المَركزيَّةِ والقضاءِ عليها. صحيحٌ أنَّه كانَ من الصَّعبِ فرضُ هيكليَّةٍ على المجاهدين الأفغان، وأنَّهم افتقدُوا للقيادةِ المركزيَّةِ التي كانَ لها دورٌ مفصليٌّ في نجاحِ قضيَّتِهم، إلا أنَّ هذا التَّشرذُم ربَّما كانَ عاملَ قوَّةٍ أيضاً للمجاهدين، فمهما قُتِل من القياداتِ العُليا أو الدنيا فلن يؤثّرَ ذلك على استمرارِ القتال، ولن يُقَلّلَ من أعداءِ السُّوفييت.

على المُستوى التَّكتيكِيّ، كانَ المجاهدون مُستعدين لحربٍ طويلةٍ، وكانَ هدفُهم في كلِّ قتالٍ أن يضربُوا وينجوا ليقاتلوا في معركةٍ أخرى. ولهذا السَّبب، لم يكنِ المجاهدونَ يستطيعونَ استغلالَ النَّصرِ والثَّباتَ على الأرض، حيثُ كانُوا بعدَ كُلِّ انتصارٍ يعودون إلى منازلهم. وبغضِّ النَّظرِ عن ضعفِ التَّحالفاتِ التي كانَت بينَ المجاهدين، فإنَّ قادةَ المجموعاتِ أيضاً كانُوا لا يستطيعونَ الإبقاءَ على تماسكِ القُوَّات لفترةٍ طويلةٍ بعدَ القتال. وكما لاحظ البريطانيونَ الذينَ قاتلُوا قبائلَ الجبال، فإنَّ طبيعةَ مُحاربي الجبالِ تجعلُهم لا يستطيعونَ البقاءَ سَويَّةً لا في حالةِ الهزيمةِ ولا في حالةِ النَّصر، وعلى هذا الأساسِ لم يكن من المُمكنِ تحويلُ الانتصاراتِ التَّكتيكيَّة إلى مكسبٍ عَمَلِيَّاتي.

ثالثاً: دورُ العسكريين الأكاديميين

لم تَتَعدَّ نسبةُ الضبَّاطِ العسكريين الـ 15% من مجموعِ قادةِ المجاهدين التَّكتيكيين. ومعَ ذلك فقد استطاعَت هيئاتُ الضُّباط لعبَ دورٍ كبيرٍ في شَلِّ الغزوِ السُّوفييتيّ وهزيمتِه. ولعلَّ أهمَّ دورٍ لعبَه الضُّبَّاطُ الأفغان مِمَّن بقوا في الخدمةِ أثناءَ الحرب هو عدمُ التَّعاونِ الكاملِ معَ الحكومة، وتنفيذُ عمليَّاتِ تخريبٍ موجَّهةٍ ضدَّ النِّظامِ الشُّيوعيِّ وداعميه السُّوفييت من الدَّاخل. مَا بين عامي 1978 و1979م، نَظَّمَ الضُبَّاطُ الأفغانُ عِدَّةَ انتفاضَاتٍ عَفويَّةٍ ضدَّ الحكومةِ في هيرات وبكتيا وأسمار و"قلعة بالا حصار" في كابول والكثيرِ من المواقعِ الأخرى، كما مَرَّرَ الكثيرُ منهم معلوماتٍ للمجاهدين. وفي أواسطِ الثَّمانينات، ألقى النِّظامُ القبضَ على كاملِ قيادةِ مديريَّةِ استخباراتِ وَزَارةِ الدِّفاع، بمن فيهم رئيسُ المديريَّةِ الجنرال "خليل" -أعدَمَهُ النِّظامُ فيما بعد- بسببِ تعاونِهم السِّريِّ معَ المجاهدين.

لقد رفضَ معظمُ الضُبَّاط الأفغان العضويَّةَ في الحزبِ الشُّيوعي، ولم يكن الكثيرُ منهم مِمَّن أُجبِر على الانضمامِ يُكِنُّ الولاءَ للنِّظام، بل كانَ العديدُ منهم يحملُ بطاقاتِ عضويَّةٍ سريَّةٍ تابعةٍ لإحدى فصائلِ المجاهدين. وقد سَاهم ضعفُ التَّعاونِ هذا من قبلِ الضُّبَّاطِ في إفشالِ كُلِّ جهودِ السُّوفييت التي كانت تسعى إلى إنشاءِ قوَّةٍ عسكريَّةٍ محلِّيةٍ يُعتَمَدُ عليها في أفغانستان. ومن ثَمَّ اضطرَّ السُّوفييت إلى الاعتماد غالباً على جنودِهم لقتالِ المجاهدين.

أما بالنِّسبةِ للضباطِ الذينَ انضمُّوا علانيةً للمجاهدين، فقد واجهُوا العديدَ من الصُّعوبات في الاندماجِ مع قيادةِ المقاومةِ في باكستان، حيثُ رأى بعضُ قادةِ الفصائل في هؤلاءِ الضُّبَّاطِ السَّابقين تحدٍّ لزعامَتِهم ومصالحِهم الفصائليَّة، فعملُوا على تهميشِهم. وكانت الفصائلُ ذاتُ التَّوَجُّهِ الإسلاميِّ الأصوليِّ بالعمومِ أكثرَ معارضةً لقبولِ هؤلاءِ الضُّبَّاط الذين تدرَّبُوا وخدمُوا في النِّظامِ السَّابق. ولذا، فقد تمَّ تنحيةُ الكثيرِ من الضُّبَّاطِ عاليِ التَّدريبِ مِمَّن كانُوا قادرينَ على فرضِ القيادةِ والتَّنظيمِ في صفوفِ المُقاومةِ بسببِ السياساتِ الفصائلية. ومع ذلك، فقد أثبتوا أنفسهم بأنّهم أكفأُ القياداتِ التكتيكية والعملياتية التي حظيَ بها المجاهدون طوالَ سنواتِ الحرب الطَّويلةِ مع القُوَّاتِ السُّوفييتيَّة.

رابعاً: اللُّوجستيَّات

في البدايةِ، عاشَ المجاهدون في القُرى التي يُدافعونَ عنها، فقدَّمَ لهم القرويُّون الطَّعامَ والمأوى، بينما كانت الأسلحةُ والذَّخائرُ والموادُ الأخرى تأتي إليهم عبرَ الأسواقِ المحليَّة أو من إيران أو من باكستان. وهنا قَرَّر السُّوفييت كسرَ التَّرابطِ بينَ الشَّعبِ والعصابات، وذلك بطردِ الشَّعبِ من الرِّيف، فَقَصَفتِ الطَّائراتُ والمِدفعيَّة السُّوفييتيَّةُ القُرى والمَحاصيلَ الدَّائمةَ والبساتينَ وقطعانَ المواشي وصوامعَ الحبوبِ وطواحينَ المياهِ (النَّواعير) وأنظمةَ الرَّيِّ، ممَّا جعلَ السُّكَّان ينزحُونَ من المناطقِ الرِّيفيَّة، وهو ما أفقدَ المجاهدين الإمدادَ بالموادِ المعيشيَّة.

مع تدميرِ أنظمةِ الزِّراعةِ اضطرَّ المجاهدون لنقلِ الطَّعامِ والأعلافِ معهم. وردّاً على هذهِ الأزمة، أنشأَتِ الفصائلُ قواعدَ إمدادٍ ثابتَةً في أفغانستان، فكانت الكبيرةُ منها في الجبالِ قربَ الحدودِ مع باكستان، بينما كانتِ الصَّغيرةُ منها عبارةً عن مَخابِئَ مخفيَّةٍ خارجَ البلداتِ والقرى. وعلى إثْرِ ذلك، ركَّزَ السُّوفييت على إيجادِ هذه القواعدِ (الصَّغيرةِ والكبيرة) وتدميرِها. ولشدَّةِ اعتمادِ المجاهدين على قواعدِ الإمدادِ الثَّابتةِ الكبيرةِ فقد أُجبروا على الدِّفاعِ عنها، مِمَّا جعلَهم يمثّلونَ مجموعةَ أهدافٍ حيويَّةٍ لسلاحَي الطَّيرانِ والمِدفعيَّة السُّوفييتيَّة.

على الرُّغمِ منْ أنَّ الأسلحةَ والمواد كانت تصلُ للمجاهدين في ملاذاتِهم الآمنةِ الرَّئيسيَّةِ في باكستان بالمجَّان، إلا أنَّ تكاليفَ إيصالِها إلى المكانِ الذي يحتاجُها فيه الثُّوار كانت كبيرةً. لقد كانت الموادُ المُرسلَةُ غالباً مخالفةً لحاجةِ القائد، وهو ما جعلَه يعملُ على مُقايضتِها أو بيعِها لشراءِ ما يحتاجُه. ثمَّ إنَّ هذه الموادَ كانَ يجبُ نقلُها، وعادةً ما كانت عمليَّةُ النَّقلِ تَتِمُّ عبرَ التُّجَّارِ مُستخدمين الحميرَ والبغالَ والجمالَ ونصفَ الشَّاحنات.[231] وقد اكتشفَ قادةُ الفصائلِ الذينَ أنشؤُوا أنظمةَ نقلٍ بأنَّ الاعتمادَ

---

[231] قدرات الحيوانات في الحمل: البغل يحمل ما بين 250- إلى 335 رطل (110-150 كغم)

H. W. Daly, Manual of Pack Transportation, Washington: Government Printing Office, 1917, page 18

على التُّجّارِ وسائسي الدّواب والشّاحنات كانَ أرخصَ وأسهلَ من إنشاءِ هذهِ الأنظمة. ولم ينتهِ الدَّفعُ مع تحميلِ الموادِ ونقلِها، بل هناكَ ضرائبُ وإتاواتٍ أخرى يجبُ دفعُها. حيثُ كانت هذه الإمداداتُ في كُلِّ مَرَّةٍ تعبر إلى منطقةٍ قبيلةٍ أو فصيلٍ مختلفٍ يجبُ عليها دفع ضريبةٍ أو جُمركٍ مقدارُه غالباً 10% من البَضَائع، وكانت فصائلُ المجاهدين المتمركزُ معظمُها في أفغانستان نهايةَ خطِّ الإمداد تكتشفُ بأنَّ 40% من موادِها التي كانَ ينبغي أن تصلَ إليها قد ذهبَت إلى بقيَّةِ مجموعاتِ المجاهدين بين إيصالاتِ تسليمٍ وفواتيرِ عُبور.

كانت الدُّولُ الغربيَّةُ تفضّلُ إيصالَ المُساعدات كبضائعَ، بينما كانَ قادةُ المجاهدين (تحديداً من هم في الدَّاخل) يُفضّلون المُساعداتِ الماليَّة، حيثُ كان هذا سيساعدُهم على شراءِ ما يَحتاجونهُ تحديداً من موادٍ وأطعمةٍ وذخائرَ وألغامٍ من السُّوقِ المحلّيَّة، وقد كانت السَّعوديَّةُ ترسلُ عادةً مساعداتِها على شكلِ أموال.[232] والجديرُ بالذِّكرِ أنَّ الموادَ المُرسَلة كانت غالباً لا تكفي حاجةَ المجاهدين، مِمَّا يجعلُهم يجمعونَ الأموالَ بِطُرُقِهم الخاصَّة لشراءِ بقيَّةِ المواد، وذلك من الصَّادراتِ التَّاريخيَّةِ التي كانت تَحظى بها أفغانستانُ والمتمثّلةِ بالمخدّرات والأحجارِ النَّفيسة وغيرِها.

الجمل 400-600 رطل (180-270 كغم)

[Lewis Burt Lesley, Uncle Sam's Camels: The Journal of May Humphreys Stacey Supplemented by the Report of Edward Fitzgerald Beale (1857-1858), Cambridge: Harvard University Press, 1929, page 9];

والخيول الآسيوية الوسطى 215 رطلٍ (100 كغم)

William H. Carter, Horses Saddles and Bridles, Baltimore: The Lord Baltimore Press, 1902, pages 262-263

أما أرقام عن قدرة الحمير فلم نجد.

[232] "The Logistics System of the Mujahideen", unpublished government contract study written in 1987.

مع حصولِ المجاهدين على أسلحةِ الطَّواقمِ الثَّقيلة، ازدادَت حمولةُ الذَّخائر المطلوبةِ زيادةً هائلةً. وفي الوقتِ نفسِهِ كانَ القصفُ الجويُّ السُّوفييتيُّ يقضي على قطعانِ الدَّواب، بالإضافةِ إلى الألغامِ القابلةِ للنَّثرِ في المَمَرَّات الجبليَّةِ والطُرُقِ التُّرابيَّة التي قَتَلَتِ الكثيرَ من دواب النَّقل. ومع ازديادِ الحاجةِ لنقلِ البضائع، كانت حيواناتُ النَّقلِ تَقِلُّ شيئاً فشيئاً، فحاوَلت الولاياتُ المتَّحدةُ سَدَّ النَّقصِ على مُستوى البِغال بإرسالِ بغالِ "ميزوري"، ولكن لسوءِ الحظِّ، كانت هذه البغالُ تتطلَّبُ عَلَفاً أكثر، وتحملُ حِمْلاً أقل، وتهلكُ أسرعَ من البغالِ المحلِّيَّة.

كانت العنايةُ الطبيَّةُ والإخلاءُ الطبيُّ نقطَتَا ضعفٍ للمجاهدين، فقد كانَ أطباؤُهم قليلون على الرُّغمِ من قيامِ بعضِ الأطبَّاءِ المعروفين بمعالجتِهم في الكثيرِ من الأحيان وتعريضِ أمنِهم الشَّخصيّ للخَطر. كانت بعضُ مجموعاتِ المجاهدين تضمُّ طبيبينِ خرّيجين من دوراتٍ تستغرقُ ثمانيةَ أشهر إلى سنة من باكستان أو دولٍ أخرى، بينما كانت معظمُ المجموعاتِ الأخرى محظوظةً إن كانت تضمُّ خرّيجي دوراتِ الإسعافِ الأوليّ ذاتِ السّتَّةِ أسابيع. وقد عملَ بعضُ الأطبَّاءِ الفرنسيون داخلَ أفغانستان، بينما عملَ معظمُ الأطبَّاءِ الغربيون الآخرين في المناطقِ الحدوديَّة لباكستان. وفي الحالات التي يَتَمَكَّنُ فيها المجاهدُ الجريحُ من تجاوزِ رحلتِه المُروِّعةِ إلى باكستانَ بِسلام، فإنَّ مصيرَهُ كانَ غالباً النَّجاةَ، بينما كانَ يهلكُ عادةً أصحابُ الإصاباتِ البليغةِ الذينَ يفضِّلونَ البقاءَ داخلَ أفغانستان.

خامساً: التَّكتيكات

تَتطلَّبُ طبيعةُ الحربِ الثَّوريَّةِ من الطَّرفينِ المُتصارعين أعداداً كبيرةً من قوَّاتِ المُشاةِ الخفيفةِ النَّوعيَّة، وبالنِّسبة للسُّوفييت فإنَّهم لم ينشرُوا أعداداً كافيةً منها، أمَّا المجاهدون فقد كانُوا بطبيعتِهم مُشاةً. لقد كانوا شُجعاناً وأقوياءَ وجريئين، وكانُوا من سُكَّان المِنطقة المحلِّيين، فامتلَكُوا معنويَّات عاليةً ورُوحاً قتاليَّةً صَلبةً، وكمَّاً كبيراً من المعلوماتِ الاستخباراتيَّةِ التَّكتيكيَّةِ المَوثوقة، وكانُوا ينفِّذُونَ عمليَّاتِ الكمائن والمُطارداتِ بالفطرة. لقد نشؤُوا منذُ طفولتِهم معَ السَّلاح، إلا أنَّ ما كان ينقُصُهم هوَ تدريباتُ الوحدةِ العسكريَّةِ والانضباط، حيثُ تفاوتَت التَّدريباتُ التي كانُوا يخضعونَ لها من وادٍ إلى آخر، ومن قُوةٍ إلى أخرى. حاولَتِ المُخابراتُ الباكستانيَّةُ تقديمَ دوراتٍ تدريبيَّة، وحاولَ الضُّبَّاطُ المنشقُّونَ من الجيشِ الأفغانيّ تدريبَ المجاهدين تدريباً مُوحَّداً، إلا أنَّ عمومَ المجاهدين رُغمَ ذلك لم يَتَلقَّوا تدريباتٍ موحَّدةً، فكانت نوعيَّاتُ المجموعاتِ العسكريَّةِ لكُلِّ فصيلٍ نِتاجاً لاهتمامِ قيادته.

امتلكَ المجاهدون رُوحاً قتاليَّةً تجذبُهُم للمعاركِ الحامية، وتنفِّرهُم من أهدافِ خطوطِ الإمدادِ السَّهلة، فقد كانُوا يُحبُّون الضجيجَ والإثارةَ والأمجادَ وغنائمَ الحرب، وكانَ من الصَّعبِ على الاستخباراتِ الباكستانيَّة إقناعَهم –سواءً بالتَّرغيبِ أو التَّرهيب– بالهجومِ على أنابيبِ النِّفطِ السَّهلةِ والمُربحة إذا كانَ متاحاً لهم ضربُ بعضِ المراكزِ الأمنيَّة.[233] كما كانت هُناك أخطاءٌ تكتيكيّةٌ واضحةٌ لدى المجاهدين، ومنها أنَّهم إذا كانُوا وحدَهم في مناطِقِهم، أهملُوا التَّأمين المحلِّيَّ وسَهُلت مباغتَتُهم، وكانت مكامِنُهم ومرابِضُهم المخصَّصَةُ للقصفِ مُتوقَّعةً تماماً، إلا أنَّ السُّوفييت لم يَعُوا هذا الأمرَ، فعلى الرُّغمِ من اعتيادِ المجاهدين على استخدامِ الأماكنِ نفسِها مِراراً وتَكراراً، إلا أنَّ هناكَ القليلُ من الأدلَّةِ

---

[233] Mohammad Yousaf and Mark Adkin, The Bear Trap: Afghanistan's Untold Story, London: Leo Cooper, 1992, 36.

التي تشيرُ إلى أنَّ السُّوفييت قد استغلُّوا هذه النمطيَّةُ بنشرِ دوريَّاتٍ من المُشاة، وتنفيذِ إغاراتٍ، وتلغيمِ تلكَ المواقع أو التخطيطِ لِدَكِّها بنيرانِ المِدفعيَّة.

عانى الموقفُ الدِّفاعيُّ الجويُّ العام للمجاهدين من الضَّعف، وساعدَ إدخالُ صواريخ الستينغر الدِّفاعيَّة الجويَّةُ المحمولةَ على الكتفِ المجاهدين قبلَ نهايةِ الحربِ بقليل، لكن السُّوفييت كافَحُوا نظامَ الصَّواريخ هذا بتغييرِ تكتيكاتِهم الجويَّة. وقد مثَّلت عدَّةُ أسلحةٍ سُوفييتيَّة تهديداً تكتيكيّاً للمجاهدين، وهي طائراتُ الإسنادِ الجويِّ القريبِ من طرازِ سوخوي-25، والمِروحيَّاتِ الهجوميَّة، ومروحيَّاتِ نقلِ قُوَّاتِ الاقتحامِ الجوية. وقد دفعَ هذا المجاهدينَ إلى تطويرِ ردٍّ ضدَّ هذه التَّهديدات تَمَثَّلَ في "كمائنِ الدِّفاعِ الجوي".

كانت هناكَ نماذجاً مختلفةً من هذه الكمائن، لكنَّ فكرتَها العامَّةُ أنَّ المجاهدين كانوا يَضعُون أسلحةَ الدِّفاعِ الجويِّ في مواقعِ الرِّمايةِ الأمثل، ثمَّ يُقدِّمُون طعماً لاستدراجِ الطائرةِ إلى منطقةِ قتلِ الكمينِ لتدخلَ الوادي، فتفتحُ عليها عدَّةُ رشَّاشاتِ النِّيرانَ على مسارِ طَيرانها. وأكثرُ مواقعِ الرَّمي شُيوعاً تلك التي كانت تُحفَرُ كمغاراتٍ في جدرانِ الأودية، بحيثُ تستطيعُ من خلالِها الرَّشَّاشاتُ الثَّقيلةُ الرَّميَ أفقيّاً عبرَ الوادي الضيّق، بينما تعجزُ الطَّائرات الأخرى عن الاشتباكِ مع الرَّشَّاشاتِ لكونِها كانت عاجزةً عن الرَّمي على الكهوف. وقد اكتسبَ المجاهدون الخبرةَ في معرفةِ أماكنِ الهبوطِ المُحتملةِ للمِروحيَّات وقامُوا بتلغيمِها، كما وضعُوا رماةَ الرَّشَّاشات والآر بي جي-7 حولَها، وعندما كانت تَهبطُ المِروحيَّةُ يفتحُ الرُّماةُ النِّيرانَ عليها ويمزِّقونها إرْباً إرْباً. وكانَ المجاهدون يميلونَ أيضاً لضربِ الطَّائرات في مدارجِها، ويُعِدُّون لقصفِ تلك الطَّائرات وهيَ على الأرض، ممَّا تسبَّب في تدميرِ نسبةٍ عاليةٍ من الطَّائرات بنيرانِ الهاونِ والرَّاجماتِ المُسلَّطةِ على المَدارج.

كانت الألغامُ المضادَّةُ للأفراد تمثّل إحدى مشاكلِ المجاهدين العَويصة، فقد زرعَ السُّوفييت الملايينَ منها في أفغانستان، ومدُّوا منها حُقولاً عديدةً حولَ منشآتِهم وحامياتِهم ومراكِزِهم الأمنيَّة والمرافقِ الحكوميَّة. وكانُوا يلغِّمُون أيضاً جوانبَ الأجزاءِ الحسَّاسةِ من الطُّرق، كما استخدمُوا الألغامَ القابلةَ للنَّثر في الطُّرُقِ التُّرابيَّةِ والمَمَرَّات الجبليَّة وحقولِ الرَّعي والزِّراعة. وممَّا صعَّبَ كشفَ هذه الألغامِ

أنَّ معظمَ مكوناتِها كانت غيرَ معدنية، وقد صُمِّمَتْ لتبترَ لا لتقتل. ولذا فإنَّ هذه الألغامَ ستقطعُ أرجُلَ المجاهدين وستجبِرُهم على حَملِ المقاتلِ المُعاقِ إلى باكستان. وحتَّى لو نَجى المُعاقُ من الرَّحلةِ الطَّويلةِ المؤلمةِ، فالغالبُ أنَّه لن يعودَ للقتال، غيرَ أنَّ هذه الرحلةَ كانت تتطلَّبُ مساعدةَ ستَّةِ مجاهدين أو ثمانيةِ مِمَّن كانُوا قادرينَ على القِتال.

كان الإمدادُ بكاشفاتِ الألغامِ شحيحاً، وحتَّى معَ وجودِها كانت غيرَ فعَّالةٍ في كشفِ الألغامِ البلاستيكيَّة، وهوَ مَا دفعَ المجاهدينَ لاختراقِ حقولِ الألغامِ بالعرباتِ المُغتنمَة أو قطعانِ الغنمِ أو رمي قذائفَ مُتتابعةٍ من المدافعِ عديمةِ الارتدادِ أو بدحرجةِ وإلقاءِ الصُّخورِ لفتحِ الطُّرق، ولم تكنْ أيُّ واحدةٍ من هذهِ الطُّرُقِ أسلوباً فعَّالاً 100%.

على الرُّغمِ من أنَّ المجاهدين نَفَرُوا من فكرةِ حفرِ التَّحصيناتِ الميدانيَّة في الأرضِ القاسيةِ الصَّخريَّة لأفغانستان، إلا أنَّهم فيما بعد أدركُوا قيمتَها في الصُّمودِ ضدَّ القصفِ المِدفعيِّ والجويِّ السُّوفييتي وإعاقتَها للعرباتِ المُدرَّعة. وأصبحَ لهذه التَّحصينات دورٌ محوريٌّ في الحربِ بعد أنْ تمرَّسَ المجاهدون على بناءِ أعدادٍ كبيرةٍ من الملاجئِ المُحصَّنةِ المنيعةِ والمُمَوَّهة، وعلى بناءِ المواقعِ القتاليَّةِ التي ضَمنَت نجاتَهم.

وبالمجمل، فإنَّ المجاهدين قد مثَّلُوا قوَّةً تكتيكيَّةً موجَّهةً لتنفيذِ أهدافٍ تكتيكيَّة، ولكنَّهم حينما يَستدعي الأمر، كانُوا يستطيعونَ القيامَ بأعمالٍ على مستوىً عمليَّاتي، وقد أظهرَت العمليَّات مثل "غاشاي" ومعركة "زَور الثانية" والدِّفاع ضدَّ عمليَّةِ "الحزم" مَقدِرَتَهم على ذلك، والجديرُ بالذكر أنَّ مثلَ هذه العمليَّات كانت تحتَ تخطيطِ وقيادةِ ضُبَّاطٍ مُنشقين من الجيشِ الأفغاني.

ما عجزَ عنه المجاهدون حقيقةً هو: "التَّحوُّلُ السَّريعُ إلى قوَّةٍ نظاميةٍ"، فبعدَ الانسحابِ السُّوفييتي حاولَ المجاهدون الاستيلاءَ على جلال آباد وكابول بهجومٍ نظاميٍّ ولكنَّهم فشلُوا في ذلك، وتحوَّلَت جهودُهم إلى فَوضى عارمةٍ في الوقتِ الذي تشجَّعَ فيهِ النِّظامُ الأفغانيُّ الشُّيوعيُّ وخاضَ فيه المعاركَ بِنجاح. وقد استغرقَ سقوطُ النِّظامِ الأفغانيِّ الشُّيوعيِّ عدَّةَ سنوات، بينما حاولَ المجاهدون الاتِّحادَ معَ بعضِهم البعض لإعادةِ بناءِ أفغانستان.

مفتاح رموز الخرائط

الأحمر = القوات السوفييتية أو الأفغانية الشيوعية

الأزرق =المجاهدين

- عربة
- حاملة جنود مدرعة (بي تي أر أو بي أم دي)
- عربة مشاة قتالية (بي أم بي)
- دبابة
- قافلة
- هجوم
- هجوم فاشل
- انسحاب
- موقع دفاعي
- كمين
- كمين

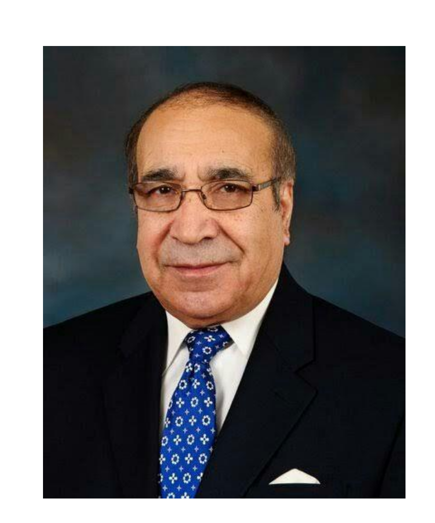
- رماة بنادق
- رشاش خفيف
- رشاش متوسط
- رشاش ثقيل
- رشاش ثقيل م/ط
- آر بي جي-7
- أي جي أس-17
- مدفع عديم الارتداد
- هاون
- راجمة صواريخ
- مدفع هاوتزر 122 ملم
- قاعدة هاوتزر عيار 122 ملم نارية
- شاحنة



أخدود
نقطة محصنة، نقطة تفتيش، نقطة مراقبة
قصف جوي
قيادة فصيلة
قيادة سرية
إنزال مروحي
مسجد
انقضاض هجومي مروحي
مقبرة
دوريات جوية
جسر
مطار
طاحونة
حامية
حقل ألغام مقذوف من بعيد
حقل ألغام مضاد للدبابات
مقر قيادة كتيبة أو فوج أو لواء
حقل ألغام مضاد للأفراد
حقل ألغام مختلط

عن المؤلّـِفَـيْن

علي أحمد جلالي، عقيدٌ سابقٌ في الجيش الأفغاني، وأحدُ الخريجين المتميزين من الجامعةِ العسكريَّة في كابول. حَضَر دوراتِ ضباطِ مشاةٍ متقدمة في "فورت بينغ" جورجيا، وفي كليَّةِ الأركانِ للجيش البريطاني في "كامبرلي"، وفي كليَّة الدراساتِ العليا للبحريَّة الأمريكية في "مونتري" كاليفورنيا، وفي أكاديميَّة "فرونز" في موسكو، ومعهدِ السِّياسات العالمية في واشنطن، وقد دَرَّس في الأكاديميَّة العسكريَّة والكليَّات العسكريَّة المتقدمة في كابول. انضمَّ أحمد جلالي إلى المجاهدين عام 1980م، وعملَ كمخططٍ عسكريٍ أعلى في أركانِ التوجيه في الاتِّحادِ الإسلامي لمجاهدي أفغانستان (وهو تحالفٌ من ثلاثِ فصائلَ معتدلة) أثناءَ الثمانينات قبل انضمامه لصوتِ أمريكا، كما عملَ كصحفيٍّ وغطَّى أحداثَ آسيا الوسطى وأفغانستانَ على مدى 15 عاماً. ألَّف أحمدُ العديدَ من الكتب، من ضِمنها مؤلفاتٌ عن العسكريَّة السُّوفييتيَّة، ويعملُ حاليَّاً على آسيا الوسطى، ويسعى إلى تأليف كتّابٍ من ثلاثِ مُجلدات عن التَّاريخ العسكريِّ لأفغانستان.



علي أحمد جلالي



ليستر دبليو غراو

ليستر دبليون غراو، مُقدَّم متقاعد من الجيشِ الأمريكي. خَدَم كضابط مُشاة وكضابطٍ دبلوماسيّ في الأراضي السُّوفييتيَّة طوالَ مسيرتِه المِهنيَّة، كما قاتلَ أيضاً في فيتنام. وعام 1981 م أكملَ تدريبهُ لتعلُّمِ اللغةِ الرُّوسيَّة الذي استمرَّ لمدَّة سنةٍ في معهدِ الدِّفاع للغات في "مونتري" كاليفورنيا، تخرَّجَ "ليستر"

من المعهدِ الرُّوسيّ التَّابع للجيشِ الأمريكيّ في غارميش-بارتنكيرخن ألمانيا عام 1983م، وقد كانت المدَّةُ الدِّراسيَّةُ في هذا المعهد سنتين لطلابِ الدِّراساتِ العليا، ويتعاملُ مع دراسةِ جميع جوانبِ الاتِّحادِ السوفييتي وجميعُ دروسِه تُعطى باللغةِ الرُّوسيَّة. كما خَدَم في موسكو، وتنقلَ في أرجاءِ حلفِ وارسو والاتِّحاد السُّوفييتيّ السَّابق، ولا زالَ يستمرُّ في السفرِ فيه حتَّى اليومِ الذي نشرَ فيه هذا الكتاب. ومنذُ عام 1983م، ركَّز ليستر عملَهُ على دراسةِ التَّكتيكياتِ والعمليَّات السُّوفييتيَّة والرُّوسيَّة، كما ألَّفَ كُتباً عن تكتيكات السُّوفييت في أفغانستان. ويعملُ السيد غراو حاليَّاً في مكتبِ الدِّراسات العسكريَّة الخارجيَّة في فورت ليفينوورث، حيثُ يستمرُّ في العمل في الشؤونِ العمليَّاتيَّة والتَّكتيكيَّة.

عن مركز الخطَّابي للدراسات

يشكو عالمنا الإسلامي من ندرةٍ على مستوى المراكز البحثية المستقلّة القادرةِ على أرشفة التجارب الثورية وتقديمِ موادٍ علميةٍ مؤثرةٍ وقابلة للتطبيق، وخاصة تلك المختصة في فنون الثورات المسلحة أو السلمية. ومع تزايد المراكز الأجيرة والمُسيّسة، كان من الضروري أن يقوم نخب الأمة ومفكرُوها بإنشاء مراكز بحثية تجمع بين الكفاءة العلمية والنزاهة الأخلاقيّة. وفي هذا السياق، يأتي مركز الخطابي للدراسات ليقدم لشباب الأمة مِنبراً بحثِيًّا يتناول قضايا شعوبنا المستضعفة والفقيرة، ويضع تصوِّرات عمليّة حول سُبل التحرر والتقدم في بلداننا التي لا طالما عانت من القهر والقمع والدكتاتورية.

أهدافنا:

- إيجاد مراجع شاملة تتناول مبادئ واستراتيجيات وتكتيكات الحروب الثورية، لتلبية حاجة الثوار التدريبية والبحثيّة.
- توفير مصادر علمية وافية عن الفنون السياسيّة والعسكريّة والاجتماعيّة التي يحتاجها الثوار في العالم العربي والإسلامي.
- تحليل دقيق وتقييم علمي لتاريخ أهم الثورات السابقة.
- تقديم التوجيهات والتحليلات الدقيقة التي تحتاجها النّخب الثورية حول أهم النوازل المعاصرة.
- أرشفة شاملة عن أحداث الثورة السورية على المستوى العسكري والسياسي والاجتماعي.

مبادئنا:

- المصداقية.
- الواقعية.
- الشمولية.

رؤيتنا: مركز ثقافي فعّال، يعمل على تقديم مواد سياسية وعسكرية وفكرية وأمنية ترقى بمستوى الثوار، وترشد العمل الثوري في مختلف مناطق العالم الإسلامي.

أهم إنجازات المركز من 2019 حتى 2021:

- تأليف كتاب الخطابي ملهم الثورات المسلحة، السياق التاريخي والأبعاد السياسية والعسكرية والاجتماعية لثورة الريف الثالثة (1921-1926)، إعداد مركز الخطابي للدراسات، طبعة أولى 2019.
- تأليف كتاب انتفاضة الصحراء، السياق التاريخي للثورة الليبية (1911 – 1932) وأبعادها السياسية والاجتماعية والعسكرية.
- ترجمة كتاب تكتيكات طالبان جنوب أفغانستان بين 2005 و2008، تأليف كارتر مالكاسيان وجيري ميبرلي.
- ترجمة كتاب نشوب الثورات المسلحة، دروس من الفيتكونغ وصولاً إلى تنظيم الدولة الإسلامية، تأليف سيث جونز.
- ترجمة كتاب من الدولة العميقة إلى الدولة الإسلامية، الثورة العربية المضادة وموروثها الجهادي، تأليف جون بيير.
- بحث مترجم للأمريكي الرقيب الأول "مارك سكستون" بعنوان "كيف تسيطر الطالبان على قرية؟"

الدكتور أحمد موفق زيدان



بعد أن قرأت الكتاب الذي كان رحلةً بانوراميةً حقيقيةً أخذتنا إلى أفغانستان مختصِرةً الزمان والمكان، رحلةً طافت بنا في أقاليم وأدغال وشوارع المدن الأفغانية، تشرح لنا الجانب الآخر من الجبل، وهي الرواية التي لم تُروَ بعد؛ كنت على مدى صفحات الكتاب الممتدة لأكثر من خمسمائة صفحة وكأنني أشاهد فيلماً شيقاً مُدعّماً بالخرائط والتفاصيل المساعدة على فهم ما جرى.

كتب الكثيرون عن سياسة واستراتيجيات القوى الكبرى في أفغانستان وتحديداً الحرب الأفغانية السوفياتية، وكتب وسيكتب الكثير ربما عن رواية القوي في الحرب، ولكن قلّما نرى رواية الضعيف، ولعل هذا الكتاب قد سدّ فراغاً كبيراً في المكتبة العالمية لينقله إلينا مركز الخطابي باللغة العربية فنتعرف من خلاله على رواية الأفغاني عن نفسه في حربه ضد السوفييت.



ترجمة وإخراج مركز الخطابي للدراسات

